عدن، لؤلؤة اليمن

(عدن في العصر الحديث)

من الاحتلال البريطاني لعدن (١٨٣٩م)

إلى الاستقلال (١٩٦٧م) ونتائجه

بسم الله الرحمن الرحیم

الدكتور محمد علي البار

عدن، لؤلؤة اليمن

الجزء الثالث

(عدن في العصر الحديث)

من الاحتلال البريطاني (١٨٣٩م)
إلى الاستقلال (١٩٦٧م) ونتائجه



معلومات الطبع
ردمك والترقيم الدولي
بعد الفسح



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ذكرت في مقدمة الجزء الأول نبذة مختصرة عن الأجزاء الثلاثة من هذا الكتاب الموسّع عن عدن، وتكلمت باختصار شديد عن الجزء الثالث الذي يمتد من مقدمات الاحتلال البريطاني لعدن. وضعف دولة الأئمة (الدولة القاسمية)، وقيام كثير من الدّويلات المستقلة عنها، ومنها يافع ولحج وعدن. وكانت يافع السفلى قد تحالفت مع العبدلي للاستيلاء على عدن على أن يكون دخل عدن بينهما مناصفة (أي لكل واحد منهما خمسمائة ريال فضّة)، وقد اشتهر استعمال دولار ماريا تريزا حتى أصبح هو العملة المتداولة في اليمن.

وهذا يدل على انهيار ميناء عدن في ذلك الوقت، فقد كان مهر الملكة أروى الصليحية عند زواجها من المكرم أحمد بن علي الصليحي دخل عدن (بعد نفقات الدولة والقائمين عليه من بني زريع)، مائة ألف دينار ذهباً سنويًّا. وزاد دخل عدن عن ذلك في أيام الأيوبيين والرسوليين. ثم انهيار الميناء الهام بعد دخول العثمانيين، وعدم اهتمامهم بعدن. حيث انتقل اهتمامهم إلى المخا القريبة من مزارع البنّ. وكانت اليمن هي الدولة الوحيدة التي تصدّر البنّ إلى العالم، وتوافدت عليها السفن من مصر والشام (سوريا) ثم بعد ذلك من تركيا، ثم من أوروبا (فرنسا وبريطانيا وهولندة)، والولايات المتحدة الأمريكية حتى أصبحت تجارة البنّ توازي تجارة اللبان والمرّ في العصور القديمة (حضارة سبأ)، وتجارة البهارات (الكارم) في العصور الوسيطة (الدولة الصليحية – الزريعية – الأيوبية – الرسولية – الطاهرية) بل إن تجارة البنّ وصلت إلى مبالغ خرافية. يقول (جافن)[1]، إن البنّ اليمني كان يُشترى بالذهب والفضة، ولم يكن

---

(١) R. Gavin : *Aden Under the British Rule* (1839 – 1967), p. 15 – 18

مقايضة بالبضائع. وكانت السفن لا تحمل البضائع فقط، وإنما تحمل الأموال الذهبية والفضيّة. وهو ما دفع بالقراصنة الأوربيين أن يهجموا على باب المندب (البحر الأحمر) والمحيط الهندي. وكان أشهر هؤلاء القراصنة القرصان الإنجليزي (Every) الذي هاجم سفينة كانت حمولتها خمسمائة ألف جنيه ذهباً، وهي أكبر كمية من العملات الذهبية التي تتم سرقتها في ذلك الوقت (القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين).

ولم يكن القراصنة فقط من الإنجليز (كما يقول جافن)، بل شاركهم في ذلك الهولنديون والدينماركيون والفرنسيون والأمريكيون، وخاصة بعد أن توقفت القرصنة الآتية من جزر البهاماس وأمريكا الجنوبية وكوبا، وهي مناطق احتلتها إسبانيا والبرتغال، ولم يكن لبقية أوربا نصيب في ذهبها وثروتها، فاضطرت الدول الأوربية، وعلى رأسها إنجلترا، إلى تكوين أساطيل تموّلها الدولة والتجار للقرصنة ولسرقة الذهب الآتي من أمريكا اللاتينية، والذاهب إلى إسبانيا والبرتغال. وقد اضطرت إسبانيا لخوض معركة الأرمادا الشهيرة ضد إنجلترا، والتي أدَّت إلى هزيمة إسبانيا وظهور بريطانيا كأقوى دولة بحرية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وإلى ما بعدهما. وكانت ملكة بريطانيا إليزابث الأولى وعشاقها المفضلين سير فرانسيس دريك وسير والتر راليه هم رؤساء القرصنة العالمية آنذاك.

وقد انتشر البنّ اليمني الذي تصدّره المخا في اسطمبول (أول محل للقهوة فيها سنة ١٥٤٤م) ولندن (١٦٥٠) وأمستردام (١٦٦٠) وباريس (١٦٧٠) وفينا (١٦٨٠). وكان أول وصول للإنجليز إلى عدن في شهر نوفمبر عندما قدم سير هنري ميدلتون (Sir Henry Middleton) في رحلة تجارية في سفينتين هما دارلنج (Darling) وبيبركورن (Pepper Corn)، وأبقى الأخيرة في عدن، وتوجّه هو إلى المخا. ثم وصلت، في العام نفسه، سفن شركة الهند الشرقية بقيادة جون ساريس (John Saris) إلى المخا.

وتوالى وصول السفن الإنجليزية إلى المخا، وأقاموا وكالة تجارية تابعة لشركة الهند الشرقية بعد أن وافقت الآستانة على ذلك.

واشتدّ النشاط الأوربي: الإنجليزي والفرنسي والهولندي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية والتنافس على البنّ اليمني (من المخا) حتى قام الهولنديون بزراعة البنّ (اليمني) في جزر الهند الشرقية (جاوه = أندونيسيا)، وجزر الهند الغربية، ومنذ عام ١٧٣٨م استغنى الهولنديون عن البنّ اليمني، ثم تبعهم الفرنسيون. واشتدَّ التنافس بعد ذلك بين إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية التي نقلت بعد ذلك البنّ إلى البرازيل حتى أصبحت البرازيل تصدّر البنّ إلى كافة أصقاع العالم بما فيها اليمن نفسها!!

وقد استعرضت في الفصول الأولى من هذا الجزء التنافس الشديد بين هذه الدول الأوربية على سواحل البحر الأحمر ودخول الولايات المتحدة، ثم عودة الدولة العثمانية إلى الاهتمام الشديد بما كان تحت يدها من أقطار العالم الإسلامي في البحر الأحمر (شماله وجنوبه) بما في ذلك اليمن. وكان محمد علي باشا ممثلاً للدولة العثمانية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وخاصة بعد أن انشغلت الدولة العثمانية بحروبها العديدة مع روسيا والبلقان.

وقد هاجمت بريطانيا (أبو عريش) (في جيزان)، وكمران بسبب اتصالات فرنسا مع حاكم أبي عريش وكمران الذي قيل إنه باع جزيرة كمران للسيد محمد ابن عقيل السقاف (أحد كبار التجار من ظفار) [في عمان اليوم]، وذلك في بداية القرن التاسع عشر. وقام برنجل (Pringle) الإنجليزي بزيارة أبي عريش واللحيّة وكمران. وأهدرت حكومة بريطانيا دم السيد محمد بن عقيل السقاف، وبحثت عنه حيًّا أو ميتاً. ولكن السيد عندما علم بخطوات بريطانيا هرب من كمران، وسلمها لحاكمها المحلّي.

وبدأت بريطانيا تجدّد اتصالها بعدن وأدركوا أهمية مينائها، وقال برنجل عام ١٨٠٥م بعد زيارته لكمران، إنها أنسب مكان بعد عدن لإقامة مستوطنة بريطانية فيها.. وقد تكرّرت زيارة السفن البريطانية لعدن، وفي عام ١٨٠٢ وقَّع السلطان أحمد عبد الكريم فضل العبدلي سلطان لحج وعدن (١٧٩٢ – ١٨٢٧) أول اتفاقية تجارية مع الإنجليز. وقد وقّعها من الجانب الإنجليزي سير هيوم بوفام (Sir Hume Popham)، ومن الجانب العبدلي أحمد باصهي، حاكم عدن، من قِبَل السلطان أحمد عبد الكريم العبدلي في ٦ سبتمبر ١٨٠٢، وفيها أن السلطان قد وافق على فتح ميناء عدن أمام البضائع التي تحملها السفن البريطانية مقابل ضريبة ٢ بالمئة لمدة عشر سنوات، ثم ترتفع بعد ذلك إلى ٣ بالمئة. وسمح لهم بإقامة وكالة في عدن وأرض تكون مقبرة لمن يُتوفّى من رعايا بريطانيا ليدفن فيها.

وقد امتدح بليفر السلطان أحمد عبد الكريم وقال: «إن عدن استعادت في أيامه بعض نشاطها التجاري السابق».. وكان السلطان قد عرض على الإنجليز الدخول في حلف معهم، ولكن شركة الهند الشرقية اعتذرت عن ذلك في ذلك الوقت. وكان السلطان يسعى للحصول على أسلحة وعتاد ليخضع بها القبائل المناوئة والمجاورة مثل الفضلي والحوشبي والعقربي.. إلخ. وظنّ أن الإنجليز سيساعدونه في ذلك طالما أنه يفتح لهم باب التجارة.

ولم يكن يعلم أن مجلس حكومة بومبي في الهند قد قرر في ٤ فبراير ١٨٠٠م الموافقة على تأسيس قاعدة عسكرية وتجارية في عدن لأهميتها العسكرية ولحماية الهند من أي عدوان من فرنسا وغيرها من الدول الأوربية، ولأهمية مينائها باعتباره أفضل ميناء طبيعي في المنطقة، ولمستقبلها التجاري الواعد، ولأهميتها السياسية.. ولكنها أجّلت التنفيذ لوقت مناسب لانشغالها بثورات عدّة عنيفة في الهند ذاتها، يقودها الأمراء المسلمون هناك، كما أن مشاغلها العديدة في أوربا والبحر الأحمر وآسيا شغلتها عن ذلك مؤقتاً.

وفي عام ١٨٣٨م قرّرت بريطانيا احتلال عدن بينما كان حاكمها السلطان محسن بن فضل العبدلي (١٨٢٧ – ١٨٤٧) يرغب في توقيع معاهدة تجارية مثل تلك التي وقّعها سلفه أحمد عبد الكريم سنة ١٨٠٢، بل كان مستعدًّا أن يعطيهم أرضاً تكون لهم وتحت تصرّفهم بإيجار سنوي محدّد، وذلك لإقامة محطة للفحم ومحطة تجارية. ولم تكن بريطانيا تريد ذلك فقط، ولكنها قرّرت اتخاذ عدن مستعمرة بريطانية على أن تدفع للسلطان أي مبلغ يريده، وقد رفض السلطان هذا العرض مراراً. وقام القرصان الوغد القبطان هينس بافتعال قصة السفينة دريا دولت والتي غرقت في غُبَّة سيلان (في ساحل أبْين) قبالة عدن، وقام الأهالي بإنقاذ الركاب والبضائع على أن يكون لهم ثلث البضائع، وللسلطان الثلث، ويرد الباقي على أصحاب السفينة. واضطر السلطان محسن للموافقة على دفع ثمن البضائع التي قدرها القبطان هينس بمبلغ اثني عشر ألف دولار (ريال فضة) حتى يتجنب مواجهة لا يستطيعها مع بريطانيا سيّدة البحار آنذاك.

واعترف هيكنبوتم (حاكم عدن ١٩٥١ – ١٩٥٥) في كتابه عدن *Aden* وجافن (R. J. Gavin) في كتابه عدن تحت الحكم البريطاني *(Aden Under British Rule)* وتوم ليتل (Tom Little) في كتابه *(South Arabia Arena of Conflict)* وغيرهم، أن قصة دريا دولت مفتعلة، وأن احتلال عدن كان أمراً محرجاً ومربكاً للكثيرين . وأن احتلال عدن كان متّفقاً عليه بين مجموعة من كبار موظفي شركة الهند الشرقية، وحكومة عموم الهند، ووزارة الخارجية البريطانية، ووزارة المستعمرات، رغم معارضة مجموعة أخرى من الموظفين الكبار.

وقام الكابتن هينس بتزوير كتاب من السلطان عليه ختمه بأنه قد تنازل عن عدن لحكومة بريطانيا، وهو أمر نفاه السلطان وأدى إلى محاولات لاستعادة الختم المسروق والصك المزور، مما استخدمه هينس كحجة للهجوم على عدن والاستيلاء عليها في معركة غير متكافئة في ١٨ يناير ١٨٣٩م. وقد قتل من الإنجليز وجنودهم من الهنود عدد محدود (الجرحى والقتلى ١٥ شخصاً فقط)

بينما قتل من المدافعين عن عدن من العبادل ١٣٩ شخصاً وجرح كثيرون، ٢٥ منهم جراحهم خطيرة (توفوا بعدها)، وأسر ١٣٩ شخصاً. وقد كانت بريطانيا تستخدم المدافع الحديثة بينما لم يكن أمام المدافعين إلا بنادق الفتيل القديمة ومدفعين قديمين في قلعة صيرة منذ العهد العثماني الأول.

ومع هذا، فقد أشادت الصحف البريطانية الصادرة في الهند بشجاعة وبسالة الجنود الذين دافعوا عن عدن وأبدوا ضروباً من الشجاعة والصبر تفوق الخيال، ومنها صحيفة بومباي كورير (Bombay Courier) وصحيفة بومباي تايمز (Bombay Times).

وقد حاول السلطان محسن فضل أن يستعيد عدن أربع مرات، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل لعدة أسباب:

(أولها) تيقّظ الكابتن هينس وبثّه الجواسيس في داخل لحج وخارجها، واستخدامه اليهود والعملاء داخل قصر السلطان.

(ثانيها) استخدامه الخلافات بين السلطان العبدلي والسلطان الفضلي والحوشبي والعقربي .. إلخ، رغم محاولاتهم الاجتماع لصد العدوان الإنجليزي الكافر.

(ثالثها) استخدامه أسلحة متفوّقة بالنسبة لأسلحتهم البدائية.

(رابعها) استخدام المكر والخداع والأكاذيب ومحاولة إغراء أفراد من حاشية السلطان وأقاربه ضده.

وهكذا سقطت عدن بسبب هذا الماكر المخادع الذي استطاع أن يحتلّ عدن بفرقة من الجنود الإنجليز وأجناد من الهنود، واستطاع أن يوقّع اتفاقيات صداقة مع العبادل والفضلي والحوشبي والعقربي.. إلخ، وبالتالي يؤمن عدن. ولكن هينس لم يضبط ميزانية عدن وأتاح للملا محمد جعفر ساعده الأيمن وجاسوسه الأكبر أن يستولي على بعض الأموال. وفي عام ١٨٥٤ استُدعي هينس إلى بومباي

في الهند حيث تمَّتْ محاكمته على الفروقات المالية التي بلغت ٢٧٨,٩٧١ روبية. واستطاع هينس أن يوجد إثباتات لصرف مبالغ ما عدا أربعين ألف روبية لم يستطع أن يأتي بأي دليل على صرفها فتمَّ سجنه وأهانته. وخرج من السجن محطَّماً، وقبل أن يغادر الهند توفي بالإسهال مهاناً محتقراً لا يُعرف له قبر. وهكذا انتقم الله لعدن من الرجل الذي غزاها ودوّخها واستخدم كافة وسائل الخداع والجاسوسية والقوة العسكرية لإخضاعها.

واستطاعت بريطانيا بعد ذلك أن توسع ما احتلته من عدن إذ كان محدوداً بعدن كريتر إلى خورمكسر والمعلا والتواهي. فمدّت ذلك واشترت خور مكسر إلى الشيخ عثمان (الاتفاقية النهائية في ٦ فبراير ١٨٨٢)، كما باع شيخ العقارب عدن الصغرى (البريقة) ما عدا ساحل صغير بين خور مكسر والحسوة بمبلغ ثلاثين ألف ريال (فضة) سنة ١٨٦٩ ثم استولت بريطانيا على تلك القطعة الصغيرة من الساحل.

وتحول الميناء من صيرة إلى حُجيف أولاً ثم إلى التواهي (Steamer Point) وهو ميناء أكثر عمقاً ويستطيع تحمّل السفن الكبيرة. وصارت جُحيف مخزناً للفحم الحجري الذي بدأت تستخدمه البواخر. وانتقلت الإدارة البريطانية من كريتر عدن إلى رأس طارش في التواهي سنة ١٨٦٠ وانتقلت معها المفرزة من الجنود الإنجليز بينما بقيت مفرزة الجنود الهندوس في كريتر في الخليج الأمامي (الرزميت Regiment). وأصبحت عدن ميناء حُرًّا منذ عام ١٨٥٠. وبافتتاح قناة السويس (١٨٦٨) واستخدام البواخر تطور الميناء بسرعة كبيرة واحتلَّتْ عدن مكانة المخا. وفي عام ١٩٣٧ انتقلت إدارة عدن من الهند إلى وزارة المستعمرات في بريطانيا، وذلك لأن مطالبة الهند بالاستقلال اشتدّت، وتأكدت بريطانيا من أنها ستترك الهند، وكان الهنود يطالبون بعدن أيضاً باعتبارها تابعة لهم.

وقد كانت سياسية هينس، ومن أتى بعده، الاعتماد على الهنود من ناحية العمالة والوظائف.. إلخ، وكانت عدن أشبه بمدينة هندية. ومنذ عام ١٩٣٧ بدأت تلك السياسة في التغيّر. وبدأت بريطانيا تحدُّ من استقدام الهنود وتستقدم بدلاً منهم العرب من المحميّات ومن اليمن وخاصة الحجرية. وكانت تلك المجاميع التي تدخل إلى عدن تبقى فترة محدودة ثم تعود إلى بلادها وقراها لإتمام الزراعة فيها. وتأتي في مواسم فقط إلى عدن. ولكن ذلك تغيّر تماماً بعد عام ١٩٥٤ عندما قررت بريطانيا بناء مصافي البترول في البريقة واستخدمت في بنائها حوالى أحد عشر ألف عامل. كما قامت ببناء آلاف المساكن للقاعدة البريطانية الجديدة وعائلاتهم.. واستخدمت في ذلك أكثر من عشرين ألف عامل بناء كلهم أو جُلّهم أتوا من الشمال وبقوا في عدن وأسّسوا النقابات العماليّة لأول مرة.

وحاولت الدولة العثمانية، في عهد محمد علي باشا، نائبها في الجزيرة العربية، ومصر، والبحر الأحمر، الاحتجاج على احتلال بريطانيا لعدن، ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً يوقف جبروت بريطانيا.

وكانت الدولة العثمانية قد دخلت عدن واليمن ثلاث مرات:

(الأولى) بدخول سليمان باشا الخادم الأرناؤوطي عدن سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م. (والثانية) دخولهم مرة أخرى بعد انسحابهم منها عام ٩٧٥هـ/ ١٥٦٥م وعودتهم مرة أخرى سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م حتى تم الجلاء الثاني بعد خمسين عاماً. (والثالثة) عودتهم سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م، بطلب من حكام تهامة بسبب الفوضى الضاربة أطنابها في اليمن، واقتتال الأئمة طلباً للحكم.

وفي عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، تم الصلح الهام في دعّان بين الإمام يحيى حميد الدين وبين المشير عزّت باشا الألباني، الحاكم التركي والقائد العام في اليمن، وانتهى الخلاف بينهما وهدأت اليمن من الحروب، واستفاد مشايخ

اليمن الأسفل (تعز الحجرية والقماعرة إلى إب) وبدأوا يوسعون نفوذهم، ويجمعون الأموال، ويتّصلون سرًّا بالإنجليز، وقد حاولوا إيجاد إتفاقيات معهم، ولكن الإنجليز لم يكن لهم رغبة في توسيع نطاق نفوذهم وإيجاد دولة أخرى شافعية تناوئ الإمام الزيدي في ذلك الوقت لانشغالها بالحرب العالمية الأولى، ولعدم جدوى مثل تلك الدولة أو الدويلات المتعدّدة المشابهة للمحميات الغربية الضعيفة والمتقاتلة فيما بينها.

وقد قامت تركيا بعد مفاوضات طويلة مع بريطانيا بالاتفاق على الحدود بين اليمن (التابع لتركيا) واليمن (التابع لبريطانيا) وذلك في مارس ١٩١٤، وتخلّت الدولة العثمانية بموجبها عن كل ما لها من حقوق في حضرموت. ومع ذلك بقيت الاتفاقية غير مفعّلة ولا واضحة المعالم، مما جعل الإمام يحيى يعتبرها غير ملزمة له.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) انضمت تركيا إلى ألمانيا وحاربت بريطانيا وفرنسا وروسيا، وكانت بريطانيا تخشى من إعلان خليفة المسلمين الجهاد ضد الإنجليز وهو ما تمّ بالفعل. لهذا حرصت بريطانيا على تحييد الشريف حسين حاكم الحجاز (ومكة) والإمام يحيى، ثم استطاعت أن تضم إلى جانبها الشريف حسين بعد أن وقعت معه العهود والمواثيق بإعطائه كامل جزيرة العرب وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق (ما عدا مواني البصرة والكويت والبحرين وعدن). وفي نفس الوقت قامت بريطانيا باقتسام البلاد العربية والإسلامية مع فرنسا باتفاقية سايكس بيكو، ومع روسيا القيصرية بإعطائها جزءاً من إيران وشمالي العراق والدردنيل والآستانة!! كما قدَّمت لليهود وعد بلفور الشهير عام ١٩١٧. وهكذا كانت الدول العظمى وخاصة بريطانيا تكذب على العرب والمسلمين، وتصدر البيان تلو البيان تدعو فيه العرب والمسلمين إلى تأييدها لأنها تسعى إلى أن ترفل جزيرة العرب في ثياب

الحرية وتستعيد رقيّها العظيم وأنها تحترم الديانة الإسلامية وتجلّها، ويقول جورج الخامس: «ولا شك أن كل مسلم صميم ملأت العقيدة الإسلامية قلبه يربأ بنفسه من أن يُستخفَّ بعقيدته، ويكون ألعوبة في يد دولة أجنبية تجعله قرباناً على مذابح مطامعها الأشعبية». وفي نداء آخر يقول البيان إن تركيا مسلمة بالاسم فقط، أما بريطانيا العظمى فهي مسلمة بالفعل والأخلاق!! وهذا يذكرنا ببيانات لينين الشيوعي المجرم عندما قام بثورته في روسيا عام ١٩١٧ وكان محتاجاً لدعم المسلمين ضد القياصرة وضد إنجلترا التي دعمت بقايا القياصرة (كولكشاك ودينكين وكراينسكي). وفي نوفمبر ١٩١٧ (أي بعد أقل من شهر على ثورته) قال في ندائه المشهور:

«يا مسلمي روسيا.. يا مسلمي الشرق، ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة. إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم. وإن عاداتكم وتقاليدكم حرّة لا يمكن المساس بها. ابنوا حياتكم الحرّة الكريمة المستقلة دون أي معوقات.. واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة». ولتأكيد ذلك، سلَّم مصحف عثمان ﷺ الموجود في بطرسبرج إلى ممثلي المسلمين، كما سلّمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية الإسلامية الهامة التي كانت في حوزة القياصرة. ونجحت الدعاية حتى ظن كثير من المسلمين أن ثورة أكتوبر البلشفية هي منحة من السماء لإنقاذ المسلمين من الاستعمار الأوربي، وأن نظام لينين إنما يقوم على مبادئ القرآن وشريعة الإسلام!!

وهكذا لعب المعسكران بعواطف المسلمين، وللأسف استمرت الأكاذيب والخداع جيلاً بعد جيل والمسلمون لا يتعلمون أبداً!!

ومع ذلك استطاعت الإدارة العثمانية في اليمن بقيادة محمد نديم أن تطرد بريطانيا من المناطق التي احتلتها في المحميات الغربية ودخلت قوات اللواء (الأميرالاي) علي سعيد باشا لحج عام ١٩١٥، وبعدها مباشرة احتل الشيخ

عثمان. ولم تستطع بريطانيا العظمى أن تخرجه من الشيخ عثمان إلا بعد أن وصلتها نجدة من السويس ونجدة فرنسية من جيبوتي. ومع هذا بقيت لحج وبقية المناطق بيده حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٨)، واضطر لإعادتها لبريطانيا بعد انهزام دولته، وبعد أن ماطل القائد العام التركي في اليمن في استلامها منه. وقد أشارت المصادر بأمانة وشجاعة اللواء علي سعيد باشا.

ورفض الإمام يحيى بعد الحرب مطالب بريطانيا بتنفيذ اتفاقيات الحدود، واحتل بالفعل مناطق عديدة مما يسمى المحميات. ولم تدخل معه بريطانيا الحرب إلا في عام ١٩٢٦ وما بعدها باستخدام الطائرات وهو سلاح لم يكن يستطع له دفعاً، مما أدّى به في النهاية إلى توقيع اتفاقية ١١ فبراير عام ١٩٣٤ التي اعترفت بالحدود المؤقتة بينهما، على أن يتم التفاوض فيما بعد. واستغلّت بريطانيا تلك الاتفاقية لتوسيع حدودها تدريجيًّا نحو الشمال.. واستطاعت بريطانيا أن توجد اتفاقيات حماية مع جميع المحميات الغربية والشرقية بدلاً من اتفاقيات الصداقة السابقة (غير الملزمة). ووضعت المحميات الغربية تحت مستشار سياسي آخرهم (تريفاسكس)، وكذلك المحميات الشرقية (آخرهم بوستيد)، وكلاهما تحت هيمنة وإدارة حاكم عدن الذي تغيّر لقبه فيما بعد إلى المندوب السامي.

وطوال فترة الحماية (وخاصة في المحميات الغربية) أهملت بريطانيا التعليم والصحة والإدارة. وأبقت المحميات متخلّفة من جميع النواحي ومنقسمة على نفسها. وكان اهتمام بريطانيا بتأمين عدن وتجارتها الخارجية والداخلية، ولذا اهتمت بتأمين الطرق من هجمات القبائل. وكانت لحج الوحيدة في المحميات الغربية التي حظيت من سلاطينها العبادل بتعليم ديني ومدني وخاصة في بداية الخمسينات، كما أوجدت نظاماً إداريًّا وتشريعيًّا جيداً بالمقارنة مع غيرها.. وفي ذلك الزمن وضعت دستوراً كاملاً هو أول دستور في جزيرة العرب (١٩٥١).

أما المحميات الشرقية فقد استطاعت دولة القعيطي (وهي أكبرها في حضرموت) أن تقيم نظاماً إداريًّا وتعليميًّا وصحيًّا لا بأس به. وقد استخدموا أموالهم من الهند في دعم الدولة. وكذلك فعل السلاطين من آل الكثيري رغم قلة دخلهم وصغر مساحة أرضهم، ولكنهم وجدوا دعم السادة من آل أبي علوي والمشايخ والتجار. وقد اشتهر السيد أبو بكر الكاف الذي جمع ثروة طائلة من سنغافورة وملايو بإقامة المشاريع الضخمة بما فيها طريق بري للسيارات يصل تريم بالشحر (التي كانت الميناء الأول لحضرموت قبل أن تحل المكلا محلها).

ولم تقدّم بريطانيا للمحميات أي مساعدات حقيقية سوى ما كان من مساعدات بريطانيا لحضرموت أثناء المجاعة الرهيبة التي حصلت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة بسبب شُحّ الأمطار وتوقف الإمدادات من الهند وأندونيسيا وماليزيا (الملايو) أثناء الحرب.. وقد قامت بريطانيا بمساعدة حضرموت في هذه المجاعة واستخدمت الطائرات لإلقاء المواد الغذائية في المناطق النائية.

وأما عدن التي كانت محل اهتمام الإنجليز منذ احتلالها عام ١٨٣٩، فقد وجدت اهتماماً بتحصينها عسكريًّا حتى سميت القلعة (Forte)، وذلك لمواجهة أي اعتداء من أي دولة مغيرة. كما وجهت بريطانيا اهتمامها للميناء في التواهي الذي وسّعته ونظّمته عدة مرات وجعلت له إدارة قوية هي إدارة الميناء Aden Port Trust مشكّلة من كبار التجار الأجانب والمهندسين ويرأسهم موظف كبير من الإنجليز.

وسرعان ما بلغت عدن شأوها كميناء عالمي هام حتى وصلت في الخمسينات من القرن العشرين إلى مركز الصدارة بين الموانئ العالمية، وجعلها بعضهم ثاني أكبر ميناء في العالم في عدد السفن الداخلة إليها[١].

---

(١) Noel Brehony : *Yemen Divided*, Taurus Co. London, New York 2011 , p. 5

وبعد أن أمّم مصدق النفط في إيران، قامت بريطانيا ببناء أكبر مصافي للبترول في الشرق الأوسط، وتم ذلك عام ١٩٥٤، وقد صاحب ذلك تطورات كبيرة حيث أصبحت عدن تقدم للسفن كل ما تحتاج من نفط وماء وخدمات، وتجارة ترانزيت.

وفي عام ١٩٥٤ تمت اتفاقية الجلاء من قناة السويس، واضطرت بعدها بريطانيا أن تُجلي قواتها من العراق والأردن وقبرص وكينيا، وصارت عدن هي القاعدة الأهم لبريطانيا في الشرق الأوسط، بل هي أهم قاعدة عسكرية وبحرية وجوية لبريطانيا في العالم خارج المملكة المتحدة.

وأدّى ذلك كله إلى ازدياد السكان زيادة كبيرة متتالية، وإلى قدوم عشرات الآلاف من العمال من الشمال لبناء القاعدة ومساكن الضباط والجند وللعمل في العديد من الشركات التجارية الأجنبية الناجحة، وبدأ تكوين النقابات العمالية.

ويقول توم هيكنبوتم حاكم عدن (١٩٥١ – ١٩٥٥) في كتابه (عدن)[١]:

«إن عدن منذ احتلالها عام ١٨٣٩ وحتى بداية الثلاثينات من القرن العشرين كانت تعجُّ بالموظفين والعمال والجنود الهنود».. وعندما قدم إلى عدن في الثلاثينات من القرن العشرين كان الوضع مزرياً. ولم يكن هناك حقّ التقاعد (المعاش) أو التعويض عن الإصابة أو المرض. والأجور لا تكاد تكفي للطعام والسكن، وأغلب العمال يسكنون في الشوارع والمقاهي، وكانت سلطات صاحب العمل مطلقة.. وحتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) لم يحدث تحسّن في الأحوال المعيشية للعمال وازدادت أزمة السكن حدّة حتى شملت الموظفين وليس العمال فحسب. وقد حدّد هيكنبوتم الحد الأدنى

(١) T. Hickinbotham : *Aden,* London 1958, pp. 182 – 191

للأجور عام ١٩٤٨ (سبعة شلنات). وفي عام ١٩٥٤ وضع نظاماً للتقاعد وحق التداوي، وإجازة سنوية مدفوعة الراتب، وتكونت إدارة للعمل والضمان الاجتماعي. وفي عام ١٩٥٦ تم بناء مساكن للعمال وذوي الدخل المحدود في القلوعة (قرب التواهي وحجيف) بإيجار معقول. ومع هذا فقد كان أغلب العمال في الشركات الأخرى لا يتمتعون بهذه الحقوق. وبدأت الإضرابات العمالية تزداد.. وفي عام ١٩٥٦ كان هناك (٧٢) إضراباً نتج عنها فقدان ٢٠٩,٧٩٠ يوم عمل. وانخفضت الإضرابات بسبب قفل قناة السويس عامي ١٩٥٧ و١٩٥٨ ثم عادت بعد إعادة فتحها.

وشهد عام ١٩٥٦ تجمع سبع نقابات وتكوين مؤتمر عدن للنقابات (Aden Trade Union Congress ATUC) وكان قادته الأساتذة عبد الله عبدالمجيد الأصنج وعلي حسين قاضي وعبده خليل سليمان والسيد زين صادق وغيرهم. وفي عام ١٩٥٧ انضم المؤتمر العمالي إلى الاتحاد الدولي لنقابات لعمال الحرّة. وأقام الأستاذ الأصنج علاقات قوية مع مؤتمر نقابات العمال في بريطانيا ومع حزب العمال نفسه. وبحلول عام ١٩٦٠ تم تسجيل ٧٩ نقابة، ثم قاموا بتجميعها إلى ثمان نقابات كبيرة.

وتم استخدام الإضرابات كسلاح لتحقيق مطالب العمال المحقّة في أكثرها، كما تمّ استخدامها للمطالب الوطنية. وقد نصحت نقابة العمال البريطانية الأصنج وزملاءه بأن يفصلوا بين العمل النقابي البحت وبين العمل السياسي، فتم تكوين حزب الشعب ليقوم بالمهمة السياسية وإن كان كلاهما مرتبطاً بالآخر ارتباطاً وثيقاً. وفي أواخر عام ١٩٦٠ فرضت بريطانيا قانون التحكيم الإجباري قبل اللجوء إلى الإضراب. وذلك لمنع الإضرابات التي شلَّت التجارة في عدن ومصالح بريطانيا والشركات الكبرى. كما مُنع الإضراب منعاً باتًّا لأي هدف سياسي ووطني.

وقد ازداد عدد العمال المنضمّين إلى النقابات، كما زاد عدد العمال في عدن حتى وصلوا عام ١٩٦٢ إلى **٨٠,٨٩٩** عاملاً. وكان نصف العمال تقريباً من الشمال والباقون من المحميات وعدن والصومال وغيرها من المناطق.

لهذا قامت الجبهة الوطنية المتحدة (١٩٥٥ – ١٩٦٠) التي انفصلت عن رابطة أبناء الجنوب بسبب موافقتها على مشروع الانتخاب للمجلس التشريعي عام ١٩٥٥ والذي منع المولود في الشمال من حق الانتخاب، بينما سمح للهندي أو الصومالي أو تابع للكومنولث البريطاني أن ينتخب متى أقام في عدن سنتين فقط.

وجعلت الجبهة الوطنية من أهدافها الأساسية وحدة اليمن شمالاً وجنوباً، وأن كلاً منهما يعتبر مواطناً في المنطقة الأخرى إذا سكن فيها.

وتحولت الجبهة الوطنية المتحدة إلى حزب الشعب الاشتراكي الذي قاد النضال السلمي في عدن بواسطة المظاهرات والإضرابات، وفي مرحة تالية دخل حلبة الصراع العسكري ضد الإنجليز.

أما أقدم الأحزاب الوطنية فهي رابطة أبناء الجنوب (رابطة الجنوب العربي) التي أسسها السيد محمد علي الجفري وسالم عمر الصافي ورشيد الحريري وأحمد عبده حمزة وعلي غانم كليب وعبد الرحمن جرجرة وشيخان الحبشي ومحمد سالم علي وعبد الله باذيب وقحطان الشعبي.. إلخ. وذلك عام ١٩٥١ ودعت لإقامة دولة واحدة للجنوب العربي بأكمله ورفعت شعار: لا استقلال بدون اتحاد ولا اتحاد بدون عمل. ووقفت ضد التجزئة والتشرذم ووجود أكثر من ثلاثين مشيخة وسلطنة (الحقيقة أنها مهزلة). واعتبرت الجنوب العربي من حدود المهرة مع سلطنة عمان إلى البحر الأحمر وحدود اليمن الشمالي وطناً واحداً. وأن الجنوب العربي جزء من الأمة العربية ويسعى إلى الوحدة الكاملة مع الأمة العربية. وأن الوحدة بين الجنوب والشمال سينظر فيها بعد الاستقلال.

واختلفت مع الجمعية العدنية التي قصرت حق المواطنة في عدن للمواليد في عدن وحرمت أبناء المحميات من ذلك. وكانت الجمعية العدنية تُعطي ذلك الحق في المواطنة أيضاً لكل من سكن عدن من أبناء الكومنولث البريطاني سبع سنوات فأكثر.. ولذا وجدت دعماً من بريطانيا التي نادت بهذه السياسة في تلك الفترة، ودَعم هؤلاء الأجانب وخاصة التجار من الهنود والبارسي (الزاردشتيين من بومباي).

وكسبت رابطة الجنوب العربي في تلك الفترة الجماهير في المحميات الغربية والشرقية وكانت تمثل الطيف الوطني بأكمله. ولكن بعد أن وافقت على مشروع الانتخاب للمجلس التشريعي الذي يحرم اليمني الشمالي من حق الانتخاب مهما أقام في عدن خسرت الرابطة شعبيّتها وخاصة في عدن، لأن عدن تعتمد في عروبتها على عشرات الآلاف من العمال والتجار القادمين من الشمال (وخاصة من الحجرية وتعز وما حولها).

وبدأ المؤتمر العمالي والجبهة الوطنية المتّحدة ثم بعد ذلك حزب الشعب يكسبون الشارع، وتخلى كثيرون من أعضاء الرابطة عنها، منهم: محمد سالم علي وعبد الله باذيب وغيرهم، الذين استقالوا منها عام ١٩٥٥، وبقي قحطان الشعبي إلى مرحلة متأخرة عندما ذهب إلى القاهرة واتصل بقريبه فيصل الشعبي الذي انضم لحركة القوميين العرب، فانضم إليه قحطان وكوّنوا مع آخرين ومجموعة من الطلبة في عدن الجبهة القومية التي أعلنت النضال المسلح وسيلة للتحرير، وذلك منذ أحداث ردفان عام ١٩٦٣. وهي ثورة قبلية حدثت مثلها عشرات الثورات، وفي ردفان نفسها، ولكن بريطانيا استطاعت إخضاعها في السابق، ولكنها لم تستطع إخضاعها هذه المرة بسبب الدعم العسكري واللوجستي القادم من الجمهورية اليمنية حيث يوجد ما يقرب من مائة ألف جندي مصري فيها مع الأسلحة الحديثة، والدعم المادي والإعلامي الكامل.

وقد استعرضت هذه المراحل المتتالية وتكوين الأحزاب والحركات السياسية المختلفة وأهدافها وبرامجها في فصول متتالية، وتحدثت عن تكوين الاتحاد (الفيدرالي للجنوب العربي) منذ تكوينه عام ١٩٥٩ بعد أن وضع أسسه هيكنبوتم وتريفاسكس عام ١٩٥٤ وما جرى فيه، وكيف تخلّت عنه بريطانيا في نهاية المطاف. والغريب أن هيكنبوتم حاكم عدن (١٩٥١ – ١٩٥٥) قال إن الحكم في المحميات هو حكم أوتوقراطي[1] وإنه لا بدّ من إدخال تحسينات إدارية على الأنظمة البالية العتيقة في المحميات.. ولكن بريطانيا فشلت في ذلك لأنها كانت تعطي القليل القليل ودائماً في وقت متأخر «Too Little, too Late» كما اعترف بذلك تريفاسكس (المندوب السامي في عدن) في كتابه: «أطياف الكهرمان» *Shades of Amber* وجافن (R. Gavin) *Aden Under British Rule* وتوم ليتل (T. Little) في كتابه *South Arabian Arena of Conflict* وفريد هاليداي (Fred Halliday) في كتابه *Arabia without Sultans* ، وغيرهم كثير.

وكانت أهداف الرابطة واضحة وتدعو لقيام دولة في الجنوب العربي بأكمله، وهو ما سعت إليه بريطانيا في آخر المطاف، ولكن بعد أن حاربت الرابطة وشتّتت رجالها، ونفت السلطان علي وعزلته من الحكم وفعلت من الأفاعيل ما يندى له الجبين.

ثم قامت بريطانيا بالدعوة إلى الاتحاد الفيدرالي وأدخلت فيه عدن بعد تردّد، وعزلت عنه حضرموت والمحميات الشرقية. واضطربت في سياستها اضطراباً كثيراً. وبنت حكومة المحافظين سياستها على إقامة قاعدة ضخمة في عدن وصرفت عليها أكثر من مائة مليون جنيه إسترليني في ذلك الزمان (ما يعادل المليارات اليوم). ولكن عندما قدمت حكومة العمال أدركت أن كلفة

---

(١) T. Hickenbotham : *Aden*, pp. 162 – 164

القاعدة باهظة جداً، وأن الولايات المتحدة الأمريكية كما طردتها من السويس وأذلتها عام ١٩٥٦ وفرضت عليها الانسحاب المهين، ستقوم بإخراجها من منطقة الخليج الغني بالبترول، ومن العراق وإيران.. لهذا رضيت بريطانيا بلعب دور مساند للولايات المتحدة وأن تأخذ نصيبها من هذه الثروات دون أي مواجهة مع أمريكا.. وبما أن أمريكا هي زعيمة العالم الحر وهي صاحبة المصالح الكبرى في الشرق الأوسط، فإن عليها أن تحتفظ بالقواعد العسكرية المناسبة سواء أكانت في ديوجارسيا في المحيط الهندي أو في الأساطيل العائمة أو في مناطق محدّدة من الخليج (البحرين ثم بعد ذلك قطر والعراق.. إلخ.).. وبما أن بريطانيا كانت قد تعهدت لحكومة الاتحاد الفيدرالي بالدعم العسكري والمالي لمدة خمس سنوات بعد الاستقلال (٦٠ مليون جنيه إسترليني) فإن التخلي عن الاتحاد كان نتيجة منطقية بعد أن اشتدّت الثورة وكثرت ضحايا الجنود البريطانيين في عدن وفي مناطق الاتحاد بأكمله.. وحاولت بريطانيا أن توجد بديلاً للاتحاد والاتفاق مع جبهة التحرير (التي قامت محل حزب الشعب) واتصلت بالأصنج والمكاوي، ولكن محاولاتها تلك فشلت بسبب ارتباط جبهة التحرير بمصر عبد الناصر، عدو بريطانيا الأول في المنطقة. وأخيراً وثّقت علاقتها بالجبهة القومية التي كانت على خلاف مع مصر وقادتها، وكانت الجبهة مستعدّة للتنازل عن الالتزامات المالية التي تعهدت بها (ستين مليون جنيه إسترليني)، والتنازل عن جزر كوريا موريا لسلطنة عمان.. والتعهد بعدم قتل أي بريطاني، وأن تفكك بريطانيا القاعدة العسكرية البحرية والجوية والبريّة وأن ترسل المعدات الضخمة إلى حيث تريد بريطانيا دون أن تقوم الجبهة بمهاجمتها. وهكذا سلّمت بريطانيا الجنوب (اليمن العربي) للجبهة القومية.. وهي تعرف خفاياها. وتعرف تماماً أن شلال الدم سينهمر في عدن والجنوب. ولم يكن السير همفري تريفليان آخر مندوب سامي يعتبر ذلك شيئاً سيِّئاً فقد عانى الإنجليز من الوطنيين جميعاً، وآن الأوان للانتقام لدماء الجنود

والسياسيين البريطانيين الذين قضوا حتفهم في عدن والجنوب. كما أن بريطانيا تعرف تفصيلاً الاتجاهات الماركسية العنيفة الموجودة داخل الجبهة القومية، وقد مكّنت بريطانيا لهؤلاء الشيوعيين من الاستيلاء على الجبهة، وطرد قحطان واعتقاله حتى الموت واغتيال فيصل الشعبي.. وتركت لهم الحبل على الغارب لينفّذوا مخططاتهم الإجرامية لتحطيم عدن والجنوب وتشريد أهله ومحاربة الإسلام، تماماً مثلما فعل لينين وستالين في روسيا، وماوتسي تونج في الصين، والشيوعيون في ألبانيا (أنور خوجه) وأوربا الشرقية، ونيريري في تنزانيا، ومنجستو هيلا مريام في الحبشة، وزياد بري في الصومال. ولم يكن ذلك سيئاً على الإطلاق بالنسبة لبريطانيا، ووجود دولة شيوعية مهترئة ملطّخة بالدماء (حتى فيما بين كوادرها الحزبية من الطغمة والزمرة والمنحرفين.. إلخ.) درس لكل دول الخليج التي وعت الدرس، وأخذت استقلالها من بريطانيا منذ عام ١٩٧١ وبدون دماء أو كوارث، وحافظت على مصالح الطرفين الحيوية. واستطاعت تلك المناطق أن تقفز قفزات رائعة بسبب خطواتها المتزنة، وقد كانت عدن والجنوب في الخمسينات والستينات أكثر تقدماً ورقيًّا منها.. وهكذا سلّمت بريطانيا الحكم للجبهة القومية وهي تعلم يقيناً بما سيجري من المذابح، وقد وثّقتُ ذلك كله بعشرات الأدلة.

والله يحفظ بلاد المسلمين جميعاً ويردنا إليه مردًّا جميلاً.

وأتقدم بالشكر الجزيل لأخي وصهري الدكتور أحمد (السقاف) بن محمد البار لمراجعته هذا الجزء الثالث كاملاً ولإعطائي مجموعة من المراجع الهامة.

محمد علي البار

جدّة ٣/ ٤/ ١٤٣٣هـ

٢٥/ ٢/ ٢٠١٢م

مقدمات الاحتلال البريطاني لعدن

العبادل في عدن ولحج

لقد كانت عدن تتبع العبادلة كما شرحناه في الفصل الأخير من الجزء الثاني من كتابنا هذا. وذلك منذ أن قام فضل بن علي السلامي بخلع طاعة الإمام حسين بن قاسم المنصور سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٨م. وقد ذكر القومندان أحمد بن فضل العبدلي (وهو من الأسرة الحاكمة العبدلية اللحجية) في كتابه «هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن»[١] أن الشيخ فضل بن علي السلامي لجأ إلى سلطان يافع السفلى (القارة) سيف بن قحطان فأمدّه بالجيوش حتى انتصر على جند الإمام واستولى على لحج وعدن وذلك سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م.

وذكر أن فضل بن علي السلامي وافق على إعطاء السلطان سيف بن قحطان نصف دخل عدن سنويًّا. وذكر أن الوثائق القديمة بين يافع والعبادل تقرر أنهم جعلوا للسلطان سيف بن قحطان خمسمائة ريال من خراج عدن (وذلك يدلّ على ضآلة هذا الخراج).

ونقل عن شرف الدين حسين بن حسين الرسمي الأهنومي من كتابه «البراهين المضيئة في السيرة المنصورية» (الجزء الثالث): «وفي شهر القعدة الحرام من السنة المذكورة، أي سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣٢م حصل الغدر من العبدلي

(١) القومندان أحمد بن فضل العبدلي: «هدية الزمن» ص ١٤٩ – ١٥٠، طبعة مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

اللعين، وزيّن له الشيطان ولمن معه قتل العامل في لحج، فدخل إليها مع جماعة من أعوانه، وما يخطر ببال ذلك الإقدام، وكان العامل حامل التسهل، ولم يكن فيه تيقّظ واحتزام، فباشروه بضرب السيوف في تلك الساعة. وهذه القضية مشعرة بالغفلة الكليّة، وعدم الحزم والاحتراز. وقيل إنه حال أن باشروه لم يكن معه شيء من السلاح حتى الجنبيّة، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العظيم.. وهؤلاء أهل غدر وعيب من قديم، والعمال في هذه الجهة ما فيهم نباهة ولا حزم. ثم إن العبدلي بعد ذلك توجه إلى عدن فوجد العامل خارج عدن، وكان بينهم وبين العامل موعد للالتقاء، فلم يشعر العامل إلا وهم يخبطونه بالسيوف حتى برد، وكل من كان معه شرد، وما عاد حصل فيما بقي نفع، فاستولَّى على البندر (عدن) وعلى لحج، ولا بالى ولا عرف عاقبة مكره وغدره»[(١)].

ويبدو أن بداية حكم فضل بن علي السلامي على لحج وعدن واستيلاءه عليهما كان سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣٢م، فأرسل الإمام حسين بن قاسم المنصور جيشاً لمحاربته. فلجأ فضل بن علي السلامي إلى سلطان القارة (يافع السفلى) سيف بن قحطان. واستمرت الحرب حتى تم دحر قوات الإمام المنصور بالتعاون بين السلطان سيف بن قحطان وفضل بن علي السلامي وهزموا عامل العدين الشيخ عبد الرب بن وهب العنفي الذي أرسله الإمام لمواجهة السلامي ومن معه وذلك سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٣م. وبعد عدة معارك تم لهما الفوز على قوات الإمام المنصور وذلك سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م واتفقا على أن يكون دخل عدن بينهما مناصفة. وبعد ستة أشهر نقض العبدلي محالفة رفيقه سلطان يافع ودعا نفسه سلطاناً مستقلًّا[(٢)]. وقد أنكر القومندان أحمد فضل العبدلي في

(١) أحمد بن فضل العبدلي، هدية الزمن، المصدر السابق، ص ١٤٢ – ١٤٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩ – ١٥٠، وهو ينقل ذلك عن بليفر (نائب حاكم عدن)، وذكره أيضاً الجرافي في كتابه (المقتطف من تاريخ اليمن)، ص ٢٥١.

«هدية الزمن» أن فضل بن علي السلامي نقض العهد مع سيف بن قحطان سلطان القارة. وقال أن العهد بينهما استمر، وأن الشيخ فضل بن علي توجه في غرة شوال ١١٤٦هـ إلى القارة لإصلاح خلاف بين السلطان سيف وبعض قبائل يافع واصطحب معه ابنه عبد الكريم فضل ونحو ثلاثمائة من العبادل. فلما قربوا من حصن آل عطية المخالفين للسلطان سيف أطلقوا الرصاص على العبادل فقتلوا فضل بن علي السلامي وقيل بل قتلوا النقيب ناصر بهادي. وأيَّد القومندان أن المقتول كان الشيخ فضل بن علي السلامي. فاجتزوا رأسه وأرسلوه إلى الإمام المنصور الذي أعطى كل واحد ممن جاؤوا به (١١) أوقية ذهباً[(١)].

وأكّد القومندان أن المقتول هو فضل بن علي السلامي وأن رأسه دفن في صنعاء وجسده في لحج، وأن الحادثة كانت سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م لا سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م كما ذكر بليفر وغيره[(٢)].

السلطان عبد الكريم بن فضل بن علي السلامي

(١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م – بعد ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م)

تولَّى الحكم في لحج وعدن بعد قتل والده. واتخذ هذه الحادثة المريعة حجة لعدم دفع نصيب السلطان سيف بن قحطان (نصف خراج عدن)، وهذا ما أدّى إلى حروب بين يافع والعبادل. وقيام يافع باحتلال عدن. ولكنه استطاع أن يخرجهم منها. وهو أول من تلقَّب بلقب سلطان من العبادل.

وأرسل إمام صنعاء الحسين بن القاسم إلى الشيخ عبد الرب بن وهب العنفي عامل العدين وبطل الحجرية وأمره بأن يهاجم لحج، فهاجمها وحاصر

(١) هدية الزمن ، المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

عدن لستة أشهر ثم فك الحصار برشوة كبيرة. وقال بعضهم بل رجع منهزماً[١]. وأكد أحمد فضل العبدلي في كتابه «هدية الزمن» أن السلطان عبدالكريم فضل أرسل إلى الإمام الحسين بن القاسم بهدايا قيّمة يحملها إليه السيد العيدروس (منصَّب عدن) والسيد أبو بكر بن محمد[٢]. وقال إن الإمام قبل الهدايا وتحسنت العلاقات بينه وبين عبد الكريم بن فضل. وقد تُوفي العيدروس في صنعاء، ورجع السيد أبو بكر بن محمد من طريق زبيد وقد اشترى حماراً وحشيًّا كان يركبه في لحج فسُمّي راكب الوحش[٣] (وهو من الوهط).

وقد ذكر بليفر أن السلطان عبد الكريم تُوفي سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م ولكن القومندان أحمد فضل العبدلي قال إن ذلك خطأ لأن هناك وثائق تثبت أنه كان حيًّا سنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م[٤]. وانتشر الجدري في لحج سنة ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م – كما يقول بليفر– وقتل ربع سكانها.

وتولَّى بعده ابنه عبد الهادي بن عبد الكريم ثم ابنه الآخر فضل بن عبدالكريم المشهور باسم (أبو هسّاج) الذي عرف بالشجاعة والقوة البدنية. وكانت وفاته سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م.

ثم تولَّى أخوه **أحمد بن عبد الكريم وامتد حكمه ٣٦ سنة (١٢٠٧ – ١٢٤٣هـ/ ١٧٩٢ – ١٨٢٧م) وهو أول من عقد اتفاقية مع الإنجليز، بل دعاهم إلى بلاده** متوهِّماً أنهم سيساعدونه بالمال والسلاح ليكون مسيطراً على

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ١٥٦ – ١٥٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) راكب الوحش من آل السقاف. وهناك رواية أخرى أنه ذهب يحتطب فأكل حماره الأسد، وكان هو من الأولياء فحمل الحطب على ظهر الأسد ودخل به القرية، فسموه راكب الوحش.. والله أعلم بالصواب.
(٤) المصدر السابق، ص ١٥٧.

المشيخات والسلطنات المجاورة التي كانت تشنّ عليه الحروب، كما كانت القبائل المنطوية تحت حكمه تثور ضده.

وفي عهده زار (الحوطة) عاصمة لحج المستر (سولت) وذلك في سنة ١٨٠٩م، ثم زارها القبطان هينس (الذي احتل عدن فيما بعد) سنة ١٨٢٠م. وقد أبدى هذا السلطان الحفاوة والصداقة للإنجليز.

وعندما احتل الإنجليز جزيرة ميون (بريم) لقطع الطريق على خطط نابليون الذي احتل مصر، وقد قاموا بذلك سنة ١٧٩٩م، عانوا من ذلك معاناة شديدة بسبب عدم وجود الماء فيها، وعدم وجود الميرة. وكانت المياه والميرة تجلب إليهم بالقوارب من المخا. وازدادت الأمور سوءاً عندما أضرب أصحاب القوارب عن توريد المياه والميرة لتأخر الإنجليز في دفع أجورهم، وساءت صحة الجنود واعتورتهم الأمراض فاضطرت إنجلترا إلى سحب قواتها من بريم (ميون) من باب المندب، وذلك في شهر سبتمبر ١٧٩٩م. واستقبلتهم عدن بكل حفاوة. وسمح لهم السلطان أحمد عبد الكريم بالبقاء في عدن إلى أن تأتي السفن الكافية من الهند لنقلهم، وبعد أن يستعيد الجنود عافيتهم. ومن منتصف ١٨٠٠م غادرت السفن البريطانية عدن متوجهة إلى الهند، وذلك بعد أن انهزم نابليون في معركة (أبي قير) في مصر وبالتالي زال تهديد فرنسا لطريق الهند (درة التاج البريطاني) إلى حدٍّ بعيد.

وقد امتدح بليفر السلطان أحمد عبد الكريم وقال إن عدن استعادت في أيامه بعض نشاطها التجاري السابق. وقد كان السلطان أحمد عبد الكريم حريصاً على تنمية التجارة في عدن، وبالتالي زيادة دخله من الضرائب منها. وفتح للتجار فروعاً في عدن. واهتم كذلك بتشجيع الفلاحين في لحج على التوسع في الزراعة.

وقال بليفر[١] وجوردن واترفيلد[٢] وجافن[٣] وغيرهم: أن السلطان أحمد عبد الكريم عرض على الإنجليز الدخول في حلف معهم وأن يسمح لهم باستخدام عدن، ولكن حكومة الهند وشركة الهند الشرقية في بومباي اعتذرت عن ذلك في تلك الآونة، وعادت بريطانيا عام ١٨٠٢م ووقعت اتفاقية مع السلطان - وهي أول اتفاقية بين بريطانيا وجنوب اليمن - وسيأتي تفصيلها كاملاً. وقد وصف الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (حاكم الشارقة) في كتابه «الاحتلال البريطاني لعدن» بالتفصيل احتلال بريطانيا لجزيرة ميون سنة ١٧٩٩م وعدّد فيها أسماء السفن وقادتها وعدد الجنود في كل سفينة وأسلحتها وقائدها العام العميد بحري جون بلانكيت. القائد المحلي للحملة كولونيل موراي (Col. Muray). وقد تم الاستيلاء على الجزيرة في مايو ١٧٩٩م ولكنهم أخلوها - كما أسلفنا - في سبتمبر ١٧٩٩م واتجهوا إلى عدن التي بقوا فيها مكرّمين إلى منتصف عام ١٨٠٠م عندما صدرت الأوامر بالتوجه إلى الهند، وبعد أن استرد الجنود صحتهم، وذهبت مخاطر نابليون[٤].

وتتبع الإنجليز الوجود الفرنسي في البحر الأحمر فهاجموه ودمروه وخاصة بعد هزيمة نيلسون لنابليون في معركة أبي قير البحرية المشهورة باسم «الطرف الأغر». وقد ذكر الدكتور سلطان بن محمد القاسمي بالتفصيل دخول القوات البريطانية لعدن سنة ١٧٩٩م واستقبال السلطان أحمد عبد الكريم لهم بالحفاوة وإظهار الصداقة وقام ليفتنانت كولونيل موراي بترتيبات لإنزال الجنود البريطانيين في عدن ثم نقل جميع المعدات ومن بقي من ميون (بريم) إلى عدن.

---

(١) كما ينقله عنه حسن صالح شهاب في كتابه: «العبادل»، ص ١٦.

(٢) Gordon Waterfield: *Sultans of Aden*

(٣) R. Gavin: *Aden Under British Rule*

(٤) د. سلطان محمد القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٤٤ - ٥٥.

وذكر أن سلطان لحج محاط بالأعداء وأن مساندة الإنجليز له ستزيل خوفه من المناوئين والبدو الذين يقطعون الطرق.

واستلم الحاكم في بومبي تقرير كولونيل موراي ورسالة سلطان لحج، وطلب من العميد بلانكيت رأيه في الطلب المقدّم من سلطان لحج والتفاهم معه حول إقامة قاعدة في عدن. ولكن بلانكيت قال إن سلطان لحج لا يملك السلطة المطلقة في أرضه، وأن عدن لا تصلح أن تكون قاعدة بحرية، وأوصى بسحب القوات البريطانية من عدن، واستعمال ميناء المخا للتزود، لما له من ميزات ملاحية، وإقامة مستشفى في مدينة المخا، واستعمال مستودعات الوكالة البريطانية في المخا لتخزين العتاد والمؤن(١).

ولكن حكومة بومبي (شركة الهند الشرقية) رأت في عرض السلطان أحمد عبد الكريم فرصة لا تعوَّض، واعتمدت تقرير الكولونيل موراي وتغاضت عن تقرير العميد بلانكيت الأعلى مرتبة.

قرار حكومة بومبي قاعدة في عدن

وقد قرر مجلس حكومة بومبي بتاريخ ٤ فبراير ١٨٠٠م ما يلي(٢):

الموافقة على تأسيس قاعدة في عدن للاعتبارات التالية:

(١ و٢) أهميتها البحرية التي تقف بالمرصاد للمشروعات الفرنسية في مصر والبحر الأحمر والتي تريد أن تعرقل طريق بريطانيا للهند أو تشكل مخاطر عليه. ورغم أن منافع ميناء عدن لم تكن متوفرة في ذلك الوقت من الناحية التجارية إلا أنه من الممكن قيام تأسيس تجاري في عدن.

---

(١) د. سلطان محمد القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن ، ص ٥٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٧.

(٣) **أهمية الموقع العسكري**: وتثبيت السيطرة البريطانية على الهند ومنع أي محاولات فرنسية في البحر الأحمر أو في جزيرة العرب أو في السويس.

(٤) **أغراضها السياسية** واستخدامها لتثبيت النفوذ البريطاني في الجزيرة العربية وإيجاد طريق مباشر للهنود المسلمين للحج، وبالتالي يرضي المسلمين الذين غضبوا لمقتل تبو سلطان الذي ثار ضد الإنجليز وقاتلهم وكانت له شعبية كبيرة بين الهنود المسلمين.

وأصدر الحاكم في مجلس حكومة بومبي «جي دنكن» مصادقته على إجلاء ما بقي من القوات البريطانية من جزيرة ميون إلى عدن.

في الأول من يناير ١٨٠٠م حدث شجار بين المفرزة في عدن والأهالي وقتل على أثره رجل مدفعية إنجليزي (ولم يذكر ذلك الكولونيل موراي في تقريره لحكومته حتى لا يؤثر ذلك على تقريره بصلاحية عدن كقاعدة بحرية لبريطانيا).

وبعث الحاكم في مجلس حكومة بومبي برسالة إلى سلطان لحج يشكره على كرم الضيافة والمعاملة الحسنة التي لقيها الكولونيل موراي وجنوده. وقد سحب الكولونيل موراي قواته الموجودة في عدن إلى الهند. وأرسلت الحكومة البريطانية في الهند الكابتن ويلسن ليقوم باتصالات ودّية مع مشايخ العرب.

وذهب العميد بلانكيت في ١٥ يونيه ١٨٠٠م إلى جدة للاجتماع بشريف مكة. وطلب منه العميد أن يأمر بالصلاة عبر البلاد العربية لنجاح الجيش العثماني، وأن يكتب رسائل دورية للزعماء العرب بدعم الإنجليز باعتبارهم أصدقاء للمسلمين وحلفاء مخلصين للباب العالي، وهم أنصار لقضية الدين والفضيلة المشتركة، ويتوجب على الجميع أن يقدم لهم المساعدة في أي مكان يوجدون فيه!!

ولكن شريف مكة لم يستجب لطلباته. وأراد بلانكيت أن يهاجم جدة ويضربها بمدافعه، لكن حكومة الهند رفضت ذلك. ولكنها وافقت على تدمير مرفأ السويس الذي أعاد الفرنسيون قواتهم إليه. كما وافقت على ضرب أي مرفأ يكون فيه الفرنسيون.

واستطاع بلانكيت أن يتصل بالوزير العثماني في مصر وأن يستأذنه في إبقاء قواته في جزيرة (كمران) للاحتماء بها شتاءً وإقامة مستشفى عسكري بها. وتم تموين القوة من ميناء اللحيّة.

وكان البحر الأحمر، بشاطئيه، تابعاً للدولة العثمانية، كما كانت اليمن كذلك. وكانت مصر تقوم بدور فعّال في عهد محمد علي باشا نيابة عن الدولة العثمانية. ثم توسع محمد علي باشا ولم يكتف باحتلال البحر الأحمر واليمن والحجاز ونجد بل أراد الوصول إلى سوريا الكبرى، فمنعته بريطانيا. وبقيت مصر في عهد خلفائه مسيطرة على السواحل الشرقية الغربية للبحر الأحمر إلى الصومال. واستغلت بريطانيا ذلك - وخاصة بعد احتلالها لمصر - في طرد الفرنسيين وعدم السماح لهم بإيجاد قواعد لهم في البحر الأحمر.

اتفاقية عام ١٨٠٢ بين حكومة بريطانيا في الهند والسلطان أحمد عبد الكريم

تم توقيع هذه الاتفاقية في ٦ سبتمبر ١٨٠٢م وعرفت باسم **اتفاقية صداقة وتجارة مع السلطان أحمد عبد الكريم سلطان لحج وعدن.**

بعثت الحكومة البريطانية سير هيوم بوفام (Sir Hume Popham) من لندن يحمل عدة رسائل إلى إمام اليمن وشريف مكة وسلطان لحج، تطلب منهم الدخول في حلف. وزار في طريقه مصر واليمن وعدن، وكتب تقارير مطولة عن تلك الموانى والأوضاع السياسية[(١)].

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٦٨.

واجتمع في عدن مع أحمد باصهي حاكم عدن من قِبَلْ السلطان أحمد عبدالكريم واتفقا على معاهدة صداقة وتجارة بين بريطانيا وسلطان لحج، وقام كل منهما بالتوقيع عليها. وننقل نص المعاهدة من عدة كتب[1] والمادة من ١ – ١١ من كتاب السيد حسن صالح شهاب (العبادل) ولم يذكر غيرها.

المادة (١) وافق السلطان على فتح ميناء عدن أمام البضائع التي تحملها السفن البريطانية، مقابل دفع ضريبة اثنين في المائة لمدة عشر سنوات.

(٢) بعد عشر سنوات ترتفع الضريبة إلى (٣) ثلاثة في المائة.

(٣) تدفع ضريبة اثنين في المائة من قيمة البضائع المحمولة من عدن ولمدة عشر سنوات، ثم ترتفع إلى ثلاثة في المائة.

(٤) يقوم التجار من رعايا بريطانيا بأعمال البيع والشراء في الميناء بأنفسهم دون وكيل أو سمسار، إلا إذا رغب أحدهم في ذلك.

(٥) أموال من يتوفى من رعايا بريطانيا في عدن تُسَلّم إلى الوكيل البريطاني بعد تسديد ما عليه من دين لرعيّة السلطان.

(٦) يتم تسجيل من يحمل شهادة من الهند من رعايا بريطانيا في مكتب قاضي عدن والوكيل البريطاني.

(٧) يبذل السلطان كل مساعدة ممكنة لتحصيل ما لدى رعيته من ديون لرعايا بريطانيا.

(٨) إذا حدث نزاع بين رعايا بريطانيا المسجّلين في عدن يحال أمرهم إلى الوكيل البريطاني.

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٦٨ – ٦٩؛ وكتاب حسن صالح شهاب «العبادل»، ص ١٢٣ – ١٢٤؛ وكتاب القومندان أحمد فضل العبدلي «هدية الزمن» طبعة مكتبة الجيل، ص ١٦٤ – ١٦٨.

(٩) كل نزاع بين رعية السلطان ورعية بريطانيا يحلّ حسب القوانين المعمول بها في البلد.

(١٠) يُشعر الوكيل البريطاني بمن يلجأ إلى قاضي عدن أو غيره، من جنود بريطانيا أو رعاياها من غير المسلمين، ويريد اعتناق الإسلام، فإذا لم يصل إلى القاضي ردٌّ من الوكيل بشأنه بعد ثلاثة أيام فيحقّ للقاضي أن يجري ما يراه مناسباً بشأنه.

(١١) وافق السلطان أن يمنح رعايا بريطانيا قطعة من الأرض لتكون مقبرة لهم.

وقد ذكر القومندان أحمد فضل العبدلي في كتابه «هدية الزمن» المعاهدة في ١٧مادة، وهي تختلف في صياغتها وأسلوبها عما ذكره السيد حسن صالح شهاب وإن اتفقت في المعنى.

كما أن الدكتور سلطان بن محمد القاسمي قد ذكر ١٨مادة، وهي تختلف في صياغتها عن شهاب والعبدلي. ويبدو أن كل واحد من هؤلاء يستخدم ترجمة مختلفة عن الأخرى.

وقد أخطأ الدكتور سلطان القاسمي في اسم حاكم عدن والذي وقَّع على الاتفاقية نيابة عن السلطان (بسبب النقل من الإنجليزية) فسمّاه أحمد باصايل وهو في الواقع أحمد باصهي.

وقد ذكر الدكتور القاسمي **المادة ١٣**: يوافق السلطان مقابل مبلغ ... دولار على التنازل عن قطعة أرض في الجانب الغربي من المدينة بطول ... ياردة وعرض ... ياردة من أجل استعمال ولغايات الأمة البريطانية، والتي يمكن للشركة أن تنشئ عليها أي منزل أو ما هو ضروري للقيام بذلك. ويوافق السلطان كذلك على منع إقامة أي بناء مهما كان نوعه ضمن مسافة عشرين ياردة بمواجهة جدار الشركة أو ضمن عشر ياردات من كل جانب.

أما المادة ١٤ فهي عند القاسمي مختلفة تماماً عما هي عليه عند العبدلي، فعند الدكتور القاسمي هي كالتالي:

المادة ١٤: يتم التنازل عن كامل الجزيرة الصغيرة الموجودة غرب الرصيف للأمة البريطانية مقابل مبلغ ... يتم دفعه لدى إقرار هذه المعاهدة بحيث تتمكن من تحصينها والدفاع عن الخليج ضد هجوم من جانب أيٍّ من أعداء السلطان الأوربيين أو الخارجيين.

وهي عند **العبدلي** كالتالي:

الشرط الرابع عشر: للبريطانيين أن يدخلوا المدينة من أي باب، وأن يركبوا الخيل والبغال والحمير وأي حيوان يستحسنون ركوبه بدون احتكار ولا معارضة ولا إهانة.

والسبب يرجع إلى أن السلطان رفض أن يوقع على المادة الرابعة عشرة المتعلقة بحيازة كامل الجزيرة الصغيرة الموجودة غرب الرصيف للأمة البريطانية. ووافق سير هيوم بوفام على حذف هذه المادة. ويكون ما جاء به العبدلي صواباً إذ إن هذه المادة قد حذفت تماماً.

ووقّع السلطان على المعاهدة ووضع ختمه على النسخة العربية، كما وقّع السير هيوم بوفام نيابة عن حكومة بريطانيا ووضع ختمه على النسخة الإنجليزية. وذلك على ظهر السفينة رومني في ميناء عدن في اليوم السادس من سبتمبر ١٨٠٢م (سنة ١٢١٧هـ).

وكانت العلاقة بين السلطان أحمد عبد الكريم وبريطانيا ودية، وخاصة بعد هذه المعاهدة، ولكنها لم تفعّل وبقيت العلاقات التجارية بسيطة بين عدن ورعايا بريطانيا من الهند وغيرها[١].

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ١٧، وهو ينقل ذلك عن الوثائق البريطانية.

وكانت لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قوة هائلة، واستطاع أنصاره أن يحتلوا معظم جزيرة العرب، بل وصلوا إلى حضرموت واحتلوا أجزاء من اليمن، حتى قام محمد علي باشا بمحاربتهم بأوامر من الباب العالي. واستطاع قواده - وخاصة ابنه إبراهيم باشا - أن يستولوا على أراضيهم بعد معارك طاحنة.

وقد أرسل قائد السلفيين في عمان (التي كانوا قد احتلوها) مجموعة من السفن إلى عدن بقيادة الجوشمي سنة ١٨٠٤م وحين وصوله وجد مركباً تجاريًّا هنديًّا من (سُرَّت) (١) وأراد أن يصادر ما فيه من بضائع، ولكن السلطان أحمد عبد الكريم منعه من ذلك وأرسل عسكراً وسفناً لحماية المركب التجاري الهندي. وحاول الجوشمي أن يغري السلطان بالمال، ولكن السلطان رفض وطلب منه مغادرة الميناء. ولاحظ الجوشمي أن للسلطان العبدلي قوة كبيرة في عدن لا يستطيع قهرها وأخذ البلد عنوة، فآثر الانسحاب ومغادرة الميناء(٢).

---

(١) سُرّت (سورت) (Surat) مدينة على الساحل الغربي من الهند، وهي مدينة قديمة وكادت تندثر ثم ظهرت بقوة وانتعشت منذ عام ١٥٢٠ ميلادية، وصارت مركزاً هامًّا للصناعات القطنية والحريرية وتصديرها إلى العالم عن طريق الخليج العربي (الفارسي) وعدن. واحتلها التيموريون (الدولة المغولية). وكان أغلب سكانها من المسلمين، وللحضارم فيها دور ديني وتجاري. ومن أشهر العائلات الحضرمية فيها آل العيدروس وآل الحداد. وقد توفي أخو الإمام عبد الله بن علوي الحداد، السيد حامد، فيها وصديقه الأثير السيد علي بن عبد الله العيدروس صاحب المشهد الشهير ببندر سورت بالهند، ومجموعة من السادة من آل أبي علوي. ورثاهم الإمام عبد الله الحداد وفيها يقول:

لَهَفي على غُرباءِ الدّارِ حين ثوَوْا ... ولم يُطيفوا بهم أهلٌ وعُوّادُ
من آلِ طَهَ وآلِ المُرتضى ومن الزّ ... هراءِ البتولِ لقصرِ المجدِ قد شادُوا

(٢) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ١٧.

ورأى الإنجليز في السلطان أحمد صديقاً لهم وزاره في الحوطة المستر هنري سولت سنة ١٨٠٩م. وقد وصف مشاهداته في عدن ولحج في كتابه (رحلة إلى الحبشة) [١]. وهو أول من وصف صهاريج الطويلة في عدن من الإنجليز. وكانت هذه الصهاريج قد امتلأت بالأتربة وعانت من الإهمال، وقال عنها سولت: «الأعظم روعة من هذه الصهاريج هي تلك الصهاريج المصطفّة بالجهة الشمالية الغربية من المدينة، ثلاثة من هذه الصهاريج قطر الواحد منها ثمانون قدماً وعمقه مناسب لقطره، كلها منحوتة من الصخر الصلد، ومبطنّة بقشرة بيضاء من الجص الممتاز الذي يشبه المرمر إلى حدٍّ بعيد. وقناة عريضة ما يزال في الإمكان تتبُّع أثرها، كانت في الماضي توجِّه المياه المنحدرة من النجد (الجبل) إلى هذه الصهاريج». وكانت زيارته لها إثر امتلائها بماء المطر، فقد وجد بعض صبيان عدن يسبحون في أحد الصهاريج برأس الجرف الذي تنحدر فيه المياه من النجد إلى الصهاريج بأسفله.

وفي طريقه إلى لحج شاهد الأحراج الكثيفة تغطي الأرض حول الطريق (وقد زالت تلك الأحراج بسبب الجفاف). ووصف السلطان أحمد عبد الكريم بقوله: «من الصعب أن تجد إنساناً قنوعاً بحظه من الحياة أعظم من السلطان أحمد. إنه، بقوّته وحسن سيرته، اعتلى مقاماً جليلاً بين سلاطين اليمن» [٢].

ومما ذكره القومندان أحمد العبدلي في (هدية الزمن) في هذه القصة أن سولت لما قدم على السلطان في عاصمته الحوطة أكرمه وتنأول معه الغداء. وقد أشار إليه

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ١٧ – ١٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨ وهو ينقل عن الكابتن هنتر، F. Hunter: *An Account of The British Settlement of Aden* (London), 1968 , p 12، وعن (هدية الزمن) لأحمد فضل العبدلي، ص ١٤٢، وفي طبعة مكتبة الجيل الجديد (٢٠٠٤) (ص١٦٢).

حاكم عدن أبو بكر بأن يتركوا سولت ورفقته لأن من عادتهم شرب الخمر بعد الغداء، فتركه السلطان واعتبر أن ذلك دليل على تسامحه مع النصارى[١].

وفي سنة ١٨٢٠م زاره القبطان هينس في الحوطة. وكان هينس (Hains) مكلفاً من قِبل شركة الهند الشرقية بمسح الشواطئ الجنوبية وخليج عدن للتعرف على موانيها وأيها هو الأفضل لإقامة قاعدة بريطانية فيها. وقد تعلّم القبطان هينس العربية بحيث يستطيع الكلام بها وفهم ما يقال، ولكنه لم يحسنها، ولم يعرف الكتابة بها، وكان يحتاج إلى المترجمين في كل أعماله الرسمية. واستطاع هينس أن يجمع معلومات وافرة عن قبائل الجنوب ونزاعاتهم وطبائعهم وذلك قبل أن تسمح له حكومة بومباي وحكومة عموم الهند البريطانية بالاستيلاء على عدن سنة ١٨٣٩م، كما سيأتي تفصيل ذلك في حينه.

ورغم ما ذكر من قوة السلطان أحمد عبد الكريم وحسن سياسته إلا أنه كان يعاني من عداوة أبناء عمومته آل محسن فضل الذين كانوا ينافسون آل عبدالكريم ويطالبون بالحكم. وعندما هاجمه السلطان عبد الله بن فريد العولقي بجيش يقدر بثمانية آلاف مقاتل لم يستطع مقاتلته، وأعطاه السلطان أحمد عبدالكريم سبعة آلاف ريال (ماريا تريزا الفضيّة التي استمرت في اليمن إلى نهاية عهد الإمام أحمد ابن يحيى حميد الدين وقيام الثورة في أكتوبر ١٩٦٢). وقد حدث هجوم العولقي سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م، وذلك يدل على أن قوات السلطان أحمد بن عبد الكريم لم تكن كبيرة، وكان يعاني من ثورات القبائل التي تحت يده من حين لآخر، كما كان يعاني من هجوم قبائل آل الفضلي الأشداء، وقبائل العولقي الأعنف والأكثر شدّة. ولم يكن له بدٌّ من مصانعتهم وإعطائهم الأموال الكثيرة. ولا شك أن دخل عدن قد زاد عمّا كان عليه في عهد والده وجدِّه حيث كان

(١) هدية الزمن، طبعة مكتبة الجيل الجديد، ص ١٦٢.

الاتفاق مع سلطان يافع سيف بن قحطان على أن يستلم نصف دخل عدن وهو خمسمائة ريال سنويًّا. فمع ازدياد التجارة وتحسّن الوضع في عدن استعادت هذه المدينة التاريخية الهامة بعض أهميتها. وهو أمر قد أجمع عليه مؤرخو تلك الفترة من العرب والإنجليز. كما أن الزراعة توسعت في لحج، واضطر أحمد عبد الكريم أن يدفع للقبائل المغيرة ما يدفع غائلتهم حتى تتم الزراعة على نطاق أوسع بكثير مما كان، فزاد بالتالي دخله وتحسنت حالة مواطني لحج.

وتوفى السلطان أحمد عبد الكريم سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م بعد أن حكم ستًّا وثلاثين سنة (١٢٠٧ – ١٢٤٣هـ/ ١٧٩٢ – ١٨٢٧م) وتعتبر فترة حكمه من أفضل فترات حكم العبادل في لحج وعدن.

وتولَّى بعده أحد أبناء عمومته من آل محسن فضل وهو محسن بن فضل بن محسن بن فضل الذي تمّ في عهده استيلاء الإنجليز على عدن.

ولكننا قبل أن نخوض في قصة احتلال عدن من قبل بريطانيا ومواقف السلطان محسن فضل التي يبدو فيها التناقض والتي جعلت المؤرخين ينقسمون في تقييم تلك المرحلة سواء أكانوا من أبناء اليمن أو من الإنجليز، سنقوم أولاً بدراسة سياسة بريطانيا في البحر الأحمر وخليج عدن ومحاولات استخدام سقطرى بدلاً من عدن وفشلها في ذلك.

وفي تلك الفترة اهتمت بريطانيا بميناء المخا اهتماماً كبيراً وعقدت معاهدة مع الإمام في صنعاء وذلك سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م، وقد حاولت بريطانيا وضع تعديلات فيها فرفض الإمام تلك التعديلات وأدّى ذلك إلى إهمال المعاهدة.

التنافس الأوربي على سواحل البحر الأحمر وعدن

كان التنافس الأوربي شديداً للوصول إلى سواحل البحر الأحمر والخليج العربي (الذي كان يسمى الفارسي) للوصول إلى الهند.

وأول الدول الأوربية وصولاً إلى الهند كانت البرتغال بعد أن عرف فاسكو دي جاما رأس الرجاء الصالح ووصل إلى الهند عن طريق مالندي - كما سبق أن شرحناه في الجزء الأول والجزء الثاني من الكتاب. واستطاع البرتغاليون أن يحتلّوا مناطق ساحلية في الهند مثل جوا وديو وغيرها، كما احتلوا مناطق متعددة من ساحل الخليج العربي وعمان إلى البحرين، وحاولوا احتلال الشحر والمكلا وعدن مراراً ففشلوا. وكان ذلك من أسباب قدوم الأسطول المملوكي لاحتلال عدن واليمن فنجح في احتلال اليمن ولكنه فشل في احتلال عدن. ثم جاءت الدولة العثمانية واستطاعت احتلال عدن سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م بقيادة سليمان باشا الخادم الذي احتلها بمؤامرة دنيئة بعد أن أكرمه حاكمها السلطان عامر بن داود فقتله، بعد أن استضافه على ظهر سفينته، وصلبه على صاريتها، فأدى ذلك إلى معاداة الأتراك والتوجس منهم خيفة في اليمن والهند، كما سبق ذكره. ومع ذلك بقي البحر الأحمر بأكمله بحيرة عثمانية خاصة لا يستطيع الوصول إلى موانيها إلا من تسمح له الدولة العثمانية العليّة.

وقد بدأت بريطانيا تظهر كقوة بحرية بعد البرتغال والإسبان وخاصة بعد هزيمة إسبانيا المدوية في معركة الأرمادا في أغسطس ١٥٨٨م فصارت بريطانيا من بعدها سيدة البحار.

وقامت الملكة إليزابيث الأولى بالسماح بإنشاء شركة الهند الشرقية وذلك في ٣١ ديسمبر ١٦٠٠م وكان الهدف من ذلك بسط سيطرة بريطانيا على تجارة الهند وما جاورها وطرد ما تبقى من النفوذ البرتغالي والتنافس مع النفوذ الهولندي حيث قامت هولندة بإقامة شركة الهند الشرقية الهولندية.

ووصلت السفينة أسينشون (Ascension) إلى عدن بقيادة ألكسندر شاربي (A. Sharpy) في ٨ أبريل ١٦٠٩م حيث استقبله حاكمها العثماني استقبالاً طيباً أول الأمر، ولكن لم يلبث أن وصلته التوجيهات باعتقال شاربي ومن معه ومصادرة حمولة السفينة. ثم أطلقوا سراحه ورحّلوه إلى المخا الميناء الحيوي لليمن آنذاك.

تجارة البنّ وأهمية المخا

ومنذ أن نشر الإمام أبو بكر العيدروس (العدني) شرب القهوة البنيّة (أي من البنّ) انتشر استعمال البنّ وزراعته في اليمن، وكانت المخا هي الميناء الأول لتصديره. وقد اهتم العثمانيون بذلك اهتماماً كبيراً حتى أصبحت المخا أحد أهم الموانئ العالمية. وهي الوحيدة في العالم التي تصدّر البنّ، إذ لم يكن يزرع إلا في اليمن وحدها. ثم انتشرت زراعته بعد ذلك (في القرن التاسع عشر في أماكن متعدّدة مثل أندونيسيا وكينيا والبرازيل والحبشة).

وفي شهر **نوفمبر ١٦١٠م** جاء إلى عدن سير هنري ميدلتون (Sir Henry Middelton) في رحلة تجارية في سفينتين هما «دارلنج» (Darling) و«بيبركورن» (Pepper Corn) وأبقى الأخيرة في عدن وتوجه هو على ظهر (دارلنج) إلى المخا حيث استقبله حاكمها رجب آغا. ولكن حدث سوء تفاهم بين الإنجليز والأتراك وتحوّل إلى معركة سقط فيها ثمانية من الإنجليز قتلى، وساقوه هو مع واحد وثلاثين من رجاله أسرى إلى صنعاء. وفي صنعاء تم إطلاق سراحهم بناء على تعليمات واردة من الآستانة وذلك سنة ١٦١٢م. وبعد مغادرته المخا قام بنهب السفينة الهندية المتواجدة عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي (كان الإنجليز قبل أن يتمكنوا قراصنة البحار).

تجارة البنّ

ذكر جافن في كتابه عدن تحت الحكم البريطاني[١] تاريخ البنّ وتجارته في اليمن وأهميته القصوى، وقال: إن أهل اليمن بدأوا يستعملون قهوة البنّ منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي (ونشر ذلك الإمام العيدروس العدني كما أسلفنا). وفي بداية القرن السادس عشر الميلادي وصلت قهوة البنّ إلى مكة

(١) R. Gavin: *Aden Under The British Rule* (1839–1967), pp 15–18

ومنها إلى القاهرة وسوريا سنة ١٥٣٧م وفتح أول محل للقهوة في اسطمبول سنة ١٥٥٤م. وفي القرن السابع عشر انتشرت القهوة في إيران وأوربا وكانت لندن أول من افتتحت محلات القهوة سنة ١٦٥٠م وتبعتها أمستردام سنة ١٦٦٠م وباريس ١٦٧٠م وفينا سنة ١٦٨٠م. وازداد الطلب على البنّ اليمني (البلد الوحيد في العالم الذي كان يزرعه ويصدِّره) إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر. واندثرت تجارة الكارم (البهارات Spices) في اليمن ومصر منذ القرن السابع عشر لتحل القهوة محلها. واستطاعت تجارة البنّ اليمنية أن تأتي بثروة كبيرة جداً، أكبر مما كانت لتجارة الكارم (البهارات) وغيرها الآتية من آسيا والذاهبة إلى أوربا عبر مصر.

وكان البنّ اليمني يشترى بالذهب والفضة، وبالتالي نمت المخا والحديدة وبيت الفقيه التي كانت تصدر البنّ إلى جدة ومصر، ثم كثرت السفن من كل أنحاء أوربا والولايات المتحدة التي تشتري البنّ اليمني.

واشترت اليمن بأموال البنّ البضائع القطنية والحريرية والمطرزة التي اشتهرت بها سورت في الهند (إقليم جوجرات) (Gujerat). كما كانت تصدر أيضاً الأرز إلى اليمن من إقليم مالبار (جنوب غرب الهند). وكانت السفن لا تحمل البضائع فقط وإنما تحمل الأموال الذهبية والفضية وهذا ما دفع بالقراصنة من كل مكان من أوربا أن يهجموا على باب المندب (البحر الأحمر) والمحيط الهندي بالقرب من سواحل الهند. وكان أشهر هؤلاء القراصنة من الإنجليز وأشهرهم القرصان إيفري (Every) الذي هاجم سفينة كانت حمولتها خمسمائة ألف جنيه ذهباً، وهي أكبر كمية من العملات التي تسرق في ذلك القرن. ولم يكن القراصنة فقط من الإنجليز وإنما شاركهم في ذلك الهولنديون والفرنسيون والدنيماركيون والأمريكيون، وخاصة بعد أن توقفت القرصنة الآتية من جزر الباهاماس وأمريكا الجنوبية وكوبا. وقد تكونت شركة الهند الشرقية الإنجليزية

والهولندية والفرنسية بأموال هؤلاء القراصنة. ولم يتوقفوا عن القرصنة إلا بعد أن كوّنوا الأساطيل واحتلّوا الدول.

وقد استطاعت هولندة أن تزرع البنّ في جاوه. كما استطاعت فرنسا زراعته في جزر الهند الغربية ولكن بقيت بريطانيا والولايات المتحدة تتنافسان على البنّ اليمني إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

ووصلت إلى المخا في نفس العام سفن شركة الهند الشرقية بقيادة جون ساريس (John Saris) ورحّب به الوالي الجديد للمخا الذي أصدر تعليماته بحرية التجارة للأجانب على السواحل اليمنية. والسماح لهم بشراء ما يلزمهم من ميناء المخا وبيع بضائع الهند لأهل المخا.

وفي أبريل سنة **١٦٦٨م** وصل إلى المخا الكابتن أندرو شيلنج (A. Shilling) على ظهر السفينة البريطانية آن رويال (Anne Royal) لإقامة وكالة تجارية تابعة لشركة الهند الشرقية في المخا، بعد أن وافقت الآستانة على ذلك[١].

النشاط الهولندي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية

تم تأسيس شركة الهند الشرقية (The Dutch East Indian Co.) عام ١٦٠٢م وذلك لتأسيس تجارة مع القارة الهندية وشرق آسيا.

وكان أول اتصال لهم ببلاد اليمن قد تم في أغسطس ١٦١٤م عندما قام فان دون بروك (Van Den Broecke) إلى عدن وحاول فتح وكالة تجارية فيها، ولكن حاكم عدن اعتذر عن ذلك، فأبحر بروك إلى الشحر وأقام مع حاكمها اتفاقية تسمح له بفتح وكالة تجارية. ثم وصل عام ١٦٢٠م إلى المخا فوافق

---

(١) هذه المادة كلها والتي تليها هي من كتاب اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، ١٨٦٩ – ١٩١٤م، تأليف أحمد محمد بن بريك (رسالة جامعية) نشر دار الثقافة العربية – الشارقة وجامعة عدن، ٢٠٠١، ص ٣٣ – ٤٤.

حاكمها على فتح وكالة تجارية بشرط موافقة الباب العالي في الآستانة، ولكن لم يأتِ الإذن بذلك، فنقل بعثته التجارية من الشحر وعاد إلى الهند. ورغم عدم فتح وكالة في المخا إلا أن السفن الهولندية كانت تزور المخا للتجارة في البنّ اليمني الذي أخذ شهرة عالمية آنذاك. وقد قام الهولنديون بنقل زراعته إلى جزر الهند الشرقية وجزر الهند الغربية في عام ١٧١٢م وما بعده. وفي عام ١٧٣٨م كانت (جاوة) توفر لهولندا ما تريده من البنّ فأغلقت الشركة الهولندية مكاتبها في المخا واستغنت عن تجارة البن. وزار اليمن والحجاز الرحالة كارستون نيبور الدينماركي (Carsten Niebuhr) سنة ١٧٦٢م وكان مؤلفه عنها وعن الحجاز أهم مرجع لفترة طويلة عن هذه البلاد.

واستعاد الأئمة (من صعدة) حكم اليمن بعد معارك ضارية مع العثمانيين سنة ١٦٣٦م بعد معركة صافيا ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٦م التي انهزم فيها الأتراك أمام قوات الإمام المؤيد محمد بن القاسم. وهو الانسحاب الثاني لهم من اليمن، ولكنهم عادوا سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م واستمروا إلى بداية الحرب العالمية الأولى مع ضعف في سلطتهم. وانتهت سلطتهم تماماً بالهزيمة الكبرى في الحرب العالمية الأولى التي انتهت ١٩١٨م وخرجوا من اليمن خروجاً تامًّا، وانتهت بعد ذلك الدولة العثمانية وورث معظم أراضيها من بلاد العرب بريطانيا التي كانت تسمى العظمى وفرنسا (في سوريا والمغرب العربي).

النشاط الفرنسي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية

أقامت فرنسا الكثير من الشركات التجارية في القرن السابع عشر الميلادي للتجارة مع الهند **وتأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية سنة ١٦٦٤م**. وأقام التجار الفرنسيون علاقات تجارية مع الساحل الشرقي لإفريقيا ومع بعض مواني البحر الأحمر الجنوبية.

ووصلت أول بعثة فرنسية إلى اليمن (**المخا**) **في ٣ يناير ١٧٠٩**م بقيادة دي مارفيل (De Marveille) وتمكن من عقد معاهدة تجارية مع حاكم المخا ومن بنودها أن للفرنسيين الحق في المتاجرة طوال النهار إلا أن عليهم أن يعودوا إلى سفنهم ليلاً، وسمحوا لهم برفع العلم الفرنسي فوق وكالاتهم، وأن تكون نسبة الضرائب ٣ بالمائة من البضائع المباعة، كما سمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية.

وجاءت بعثة أخرى سنة ١٧١١م بقيادة «دي لا لاند» (De La Land) واستدعى الإمام المهدي طبيباً من هذه البعثة لمداواته في صنعاء، ولبّت البعثة الطلب بسرور لأنه يفتح لها المجال. وفي السنة التالية ١٧١٢م دخل إلى اليمن عشرون شخصاً بينهم جرّاح السفينة (ديجلنت) وداوت الإمام حتى شفي تماماً، وبذلك ازدادت التجارة مع فرنسا مما أقلق الباب العالي الذي طلب من الإمام أن يقفل باب التجارة مع الأوربيين وأن تكون التجارة مع مصر فقط (لتصدير البنّ)، ولكن الإمام المهدي لم يوافق على ذلك.

ونشأ خلاف بين اليمن وفرنسا سنة ١٧٣٧م بسبب رفع الضرائب الجمركية في ميناء المخا. وكان حاكم المخا يستدين من التجار الفرنسيين مالاً وبضائع ولم يكن يسدّد ثمنها إلا من الضرائب المفروضة على الفرنسيين، بل تراكمت الديون حتى وصلت إلى مبلغ ٨٢,٠٠٠ ريال (عملة ماريا تريزا وهي عملة فضية). وأرسلت فرنسا أسطولاً مكوناً من أربع سفن حربية بقيادة دي لافار دي جازيير (De Jazier) لإرغام حاكم المخا على دفع الدين، فلما رفض، قام الأسطول بدك المدينة بالمدافع مما اضطر الحاكم إلى المسارعة بدفع الدين، وتخفيض الجمارك من ٣ بالمائة إلى ٢,٥ بالمائة، وقام الإمام بعزل حاكم المخا ومصادرة قصره في صنعاء.

وقد قام الفرنسيون بزراعة البنّ في جزيرة ري يونيان (Re Union) وبالتالي لم تعد لهم حاجة إلى البنّ اليمني، فأغلقوا وكالتهم في المخا سنة **١٧٦٢م مما** جعل الإنجليز ينفردون بتجارة تصدير البنّ من المخا.

النشاط الأمريكي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية

بعد أن استقلّت الولايات المتحدة عن بريطانيا بنت لها أسطولاً تجاريًّا ضخماً. وكان أول ظهور للأمريكيين في البحر الأحمر عندما زار الكابتن جوزف روبنسن المخا على ظهر السفينة «ريكفري» (Recovery) **سنة ١٧٩٦م**.

وأسسوا وكالتهم في المخا سنة **١٨٠٤م**، وأغرم الأمريكيون بالبنّ اليمني فزاد استهلاكه لديهم ولدى غيرهم مما جعل نصيب الأمريكان ثلاثة أرباع المحصول اليمني من البنّ وذلك سنة **١٨٠٩م**، وأدى ذلك إلى رفع سعر البالة من ٥٦ دولاراً إلى ٧٥ دولاراً. واستخدم الأمريكيون طريق رأس الرجاء الصالح لأنه وفّر عليهم نفقات النقل الأخرى. ووصل تشارلز ميلت (Charles Millet) إلى المخا عبر زنجبار سنة **١٨٢٦م** وأفرغ حمولته الضخمة من البضائع القطنية والتبغ والمسامير لدى التجار في المخا وأخذ مقابلها كميات كبيرة من البنّ اليمني.

ودامت منافسة الأمريكيين للإنجليز لمدة نصف قرن، ووصلت إلى ميناء المخا مجموعات كبيرة من التجار الأمريكيين والسفن الأمريكية التي كادت تحتكر البنّ اليمني، ووسّعوا تجارتهم إلى زنجبار ومسقط (وكلاهما كانا تحت حكم آل بو سعيد) ووقعوا اتفاقية معه سنة ١٨٣٣ وقد أدى هذا التوسع الأمريكي إلى قلق بريطانيا، وقد حثّ القنصل البريطاني في مصر المستر كامبل حكومته أن تسرع بامتلاك عدن، وأرسل تقارير عن أهمية عدن للتاج البريطاني وأن ميناء عدن يمكن أن ينافس ميناء المخا، بل ويقضي عليه. وكانت هناك تقارير مماثلة ومتعددة من القبطان هينس الذي كان يجول في البحر الأحمر بحثاً عن ميناء مناسب لاستيلاء بريطانيا عليه.

وذلك كله ما أدّى في النهاية إلى استعمار عدن من قبل الإنجليز، وما حكاية دوريا دولت، السفينة التي اصطدمت بالصخور في غبّة سيلان بالقرب من

عدن وغرقت، وتم إنقاذ ركابها وبضاعتها مقابل مبالغ مالية من بيع البضاعة نفسها لأهل عدن وحاكمها سلطان لحج إلا حجة وعذراً للاستيلاء على عدن. رغم أن السلطان دفع ثمن البضائع التي أخذت ونهبت نقداً، وما زاد عن ذلك اعتبر عليه ديناً. وسيأتي تفصيل ذلك في محله.

العدوان البريطاني على (أبو عريش وكمران)

وقضية السيد محمد بن عقيل القاف

كانت بريطانيا متوجسة من اتصالات فرنسا في اليمن ولحج والمكلا ولذا قامت حكومة الهند (البريطانية) بالكتابة إلى وزير الإمام وسلطان لحج ونقيب المكلا في ٢٠ أغسطس ١٨٠٣م أن يتوقفوا عن مساعدة أيّ سفينة فرنسية تدخل البحر الأحمر لأنها تتعقب التجارة بين الهند والبحر الأحمر. وكان جواب سلطان لحج ونقيب المكلا مرضياً للإنجليز. أما الإمام في اليمن فقد ذكر أن الاتصال مع فرنسا اتصال تجاري بحت، وليس فيه أي عداء لبريطانيا. وقام الدكتور «برنجل» (Dr. Pringle) المقيم البريطاني في المخا بمحاولات شتى لتغيير الموقف اليمني إلا أنه فشل في ذلك.

وقد وصلت الأنباء إلى المقيم البريطاني في المخا الدكتور برنجل أن حاكم أبو عريش قد قام ببيع جزيرة كمران للسيد محمد بن عقيل السقاف[١] الذي اشتراها من حاكم أبي عريش لمصلحة الفرنسيين وذلك من عام ١٨٠٥م، مما أفزع الإنجليز وأغضبهم، فوصل الدكتور برنجل (Pringle) إلى اللحيّة[٢] في

(١) السيد محمد بن عقيل السقاف أقام وأخوه عبد الرحمن عملاً تجارياً في ظفار، وتوسعت تجارتهما حتى أقاما أسطولاً تجاريًّا يستخدم خمسمائة بحار من الموالي. ووصلت قدرتهما التجارية على منافسة شركة الهند الشرقية البريطانية في بعض الأمور التجارية.

(٢) اللحيّة ميناء يمني شمال المخا قريب من جزيرة كمران.

١٨ أكتوبر ١٨٠٥م واجتمع مع الشريف يحيى حاكم أبي عريش وكمران، وناقش معه موضوع شراء الفرنسيين لجزيرة كمران. واعترف الشريف يحيى بأن السيد محمد بن عقيل السقاف قد دخل بالفعل في بعض الترتيبات مع عمه حمود الشريف الموجود في وادي مور. وفوراً ذهب برنجل إلى الشريف حمود الذي أخبره بأن السيد محمد بن عقيل السقاف قد دفع له مبلغ ١٤٠٠٠ (أربعة عشر ألف) دولار وأعطاه ٢٣ مدفعاً من عيارات مختلفة و٦٠٠ قذيفة وكميّة من البارود، دون أن يذكر له شيئاً عن الفرنسيين. ووافق الشريف حمود على أن يكتب للسيد السقاف بإيقاف الصفقة لأنه لا يوافق على إقامة مستوطنات في جزيرة كمران.

وقام برنجل بزيارة الجزيرة وقال إنها أنسب مكان بعد عدن لإقامة مستوطنة بريطانية فيها.

وقامت حكومة الهند بإرسال خطابات تهديد لحاكم المخا وشيخ اللُحيَّة لمنع هذه الصفقة. **وقد اتهمت حكومة الهند (البريطانية) السيد محمد بن عقيل السقاف بعدة اتهامات كالتالي:**

(١) شراء جزيرة كمران من حاكم أبي عريش لحساب فرنسا (١٨٠٥م).

(٢) فقدان السفينة (إيسكس) (Essex) ونهب حمولتها بما قيمته ستين ألف دولار، وحرق السفينة فيما بعد، وقتل قائد السفينة الأمريكية إيسكس (Essex) كابتن أورمي الأمريكي والمستر كارتر الإنجليزي. كما وجدت جثث ستة من الأوربيين على الشاطئ فيما بين الحديدة وكمران.

ولم تعرف حقيقة فقدان هذه السفينة. وكان السيد محمد عقيل السقاف بعيداً عنها متجهاً إلى جزيرة موريشيّس في المحيط الهندي ومقابل الساحل الإفريقي. ويبدو أن هذه الاتهامات ملفقة.

(٣) قيام السيد محمد بن عقيل السقاف بإقامة تحصينات على جزيرة كمران

لصالح الفرنسيين. وهذا كله أدى بحكومة الهند (البريطانية) أن تقوم بإرسال حملات لإلقاء القبض عليه وتحطيم تحصيناته في كمران. وقد خرجت الحملة من ميناء بومبي في ٢٧ يوليه ١٨٠٦م متجهة إلى البحر الأحمر وعلى رأسها المبعوث البريطاني المستر سيتون والذي عليه أن يتفاهم مع حاكم أبي عريش حتى لو اضطر لدفع مبلغ **١٤,٠٠٠** دولار لإعادتها إلى السيد محمد بن عقيل السقاف وإلغاء صفقة بيع جزيرة كمران. وإذا لم يتم ذلك فأن بريطانيا مضطرة إلى احتلال الجزيرة.

وعندما وصلت الحملة البريطانية إلى جزيرة كمران وجدت أن جماعة الشريف حمود حاكم (أبو عريش) قد سبقتها إلى هناك بأمر الإمام سعود بن عبدالعزيز آل سعود على أن تقوم بإزالة التحصينات وإلقاء القبض على السيد محمد بن عقيل السقاف وأخذه مقيّداً إلى الدرعية (ويبدو أن الاتفاق قد تم بين الإنجليز وآل سعود على ذلك مباشرة).

ويبدو أن السيد محمد بن عقيل السقاف قد بلغته الأنباء كاملة، فترك الجزيرة وفرّ منها بعد أن حطم جميع التحصينات التي أقامها، ولم يبق فيها إلا أكواخ المواطنين، وبقايا قلعة تركية ومسجداً.

وقام ديفيد سيتون بتوقيع اتفاقية مع حاكم (أبو عريش) بأن لا يدخل أي فرنسي إلى كمران أو أي ميناء تابع له. وأن السفن الإنجليزية تكون لها حرية الدخول والخروج من وإلى موانئه. **ثم جدّد الاتفاقية التي عقدها بوفام مع سلطان لحج عام ١٨٠٢م وأن يقوم السلطان بتزويد الإنجليز بالبنّ اليمني مقابل المنسوجات الصوفية والذخائر العسكرية**[١].

(١) المادة المتعلقة بكمران والسيد محمد عقيل السقاف مصدرها كتاب الاحتلال البريطاني لعدن للدكتور سلطان القاسمي (ط ٢)، ص ٧١ – ٧٨، وكتاب Gordon Waterfield: (*Sultans of Aden*), John Murray, London 1968.

أما بالنسبة للسيد محمد عقيل السقاف فقد صدرت الأوامر بتاريخ ٦ أغسطس ١٨٠٨م لكريمر (Cramer) قائد السفينة كونكورد (Concord) بإلقاء القبض عليه. واستمرت ملاحقته من قبل السفن الحربية البريطانية. وكتب السيد السقاف لحاكم بومبي بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٨٠٩م يقول فيها إن موضوع احتلاله (أي السيد محمد بن عقيل السقاف) **لجزيرة كمران نيابة عن الفرنسيين غير صحيح، وإن تلك الرواية مزيّفة، وإنه بريء من تلك الاتهامات وقد استقرَّ في وطنه ظفار. ورغم ذلك فقد طاردته حكومة بومبي وصدر الأمر في سبتمبر ١٨١٢م إلى كابتن جميس جيكنز (Captain James Jeakens) قائد الطراد ترينت (Trent) بإلقاء القبض على السيد محمد بن عقيل السقاف ونقله إلى بومبي سجيناً**[١].

ولم يوضح الدكتور القاسمي هل تم اعتقال السيد السقاف بالفعل أم لا؟ ويظهر بعض الغموض في تفاصيل القصة، كما يبدو فيها بعض التناقض. ولكن هذا شأن القضايا التاريخية حيث يختلف الرواة في تفاصيل القصة وروايتهم لها. ولكن الثابت أن السيد محمد بن عقيل السقاف أدار تجارة واسعة أزعجت شركة الهند الشرقية وحكومتها. وكان له نفوذ واتصال بفرنسا، كما استطاع أن يقدم الأموال لحاكم (أبو عريش) الذي تتبعه كمران على أن يشتريها منه، ولكن الصفقة لم تتم بسبب تدخل بريطانيا واستعدادها لدخول المعارك من أجل هذه القضية.

واتجهت فرنسا بعد ذلك إلى إيران وتوجهت قوة فرنسية ضخمة مكونة من اثني عشر ألف رجل ووصل عدد من الضباط الفرنسيين إلى طهران عام ١٨٠٨م وبالتالي البحر الأحمر من أي نشاط عسكري لعدة سنوات.

---

(١) د. سلطان القاسمي، الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٧٨.

بريطانيا في المخا

أعادت بريطانيا تأسيس الوكالة البريطانية في المخا ووضعتها تحت السلطة المباشرة لحكومة بومبي بصورة مطابقة لما هو في البصرة وبغداد. ويقوم الوكيل ضمن واجباته التجارية بجمع الأخبار عن أي نشاط فرنسي في المنطقة.

وتم تعيين الكابتن (ردلاند) (Rudland) من قبل حكومة بومبي لرئاسة بعثة تتقصى الحقائق عن النشاط الفرنسي في البحر الأحمر وجزيرة العرب، وتقوم بتوثيق العلاقات السياسية والتجارية مع الحكام العرب في البحر الأحمر. وقد قام كابتن (ردلاند) بكتابة تقرير مفصل عن الأحوال السياسية والاقتصادية في البحر الأحمر الذي وصل إليه في **١٦ يونيه ١٨٠٩م.**

وتمثل النشاط الفرنسي في المخا بنشاط تجاري محدود. وعندما حاولت الوكالة الفرنسية رفع العلم الفرنسي منعت بريطانيا ذلك وهددت بأنها ستنقل نشاطها إلى عدن بدل المخا إذا رفع العلم الفرنسي.. واستمر الأمر على ذلك إلى ديسمبر ١٨١٦م عندما رفع العلم الفرنسي ثانية، وتغاضت بريطانيا عن ذلك بسبب أرباحها الكبيرة من تجارة البنّ في المخا.

الحملة على المخا

كان المستر رامزي (Ramsy) المقيم في الوكالة البريطانية في المخا قد شحن كمية من البنّ خاصة بشركة الهند الشرقية على السفينة (دريابجي) ولكن المستر رامزي توفى قبل سفر السفينة وذلك في ١٦ يوليه ١٨١٧م.

ووصل (الليفتنانت دومينيستي) قائد الطراد (برنس أوف ويلز) إلى المخا فأنزل قواته في الوكالة البريطانية هناك. وطلب من الناخوذة أن يسرع بالسفر إلى الهند بشحنة البنّ، لكن الناخوذا قال إنه منتظر شحنات أخرى ليحملها معه، فما كان من الليفتانت دومينيستي المتعجرف إلا أن قام بحبس الناخوذة في

الوكالة. وأسرع مالك السفينة إلى حاكم المخا الحاج فتيح فأرسل الحاكم إلى الضابط البريطاني أن يحضر هو والناخوذة إليه فرفض، فأرسل الحاكم من يخرج الناخوذة ومساعده بالقوة من الوكالة، وكرّر الطلب إلى الضابط البريطاني بالحضور إليه. فلما حضر نبّهه على خطإه في حبس الناخوذة ومساعده، كما أخبره أن إنزال مفرزة عسكرية بأجمعها في وسط البلد، وقرعها للطبول وقيامها بالتدريبات، ووضعه للحراس على بوابة المحطة وحرابهم مشرعة، أمر يحدث لأول مرة ولم يسبق أن قام به أحد من الضباط البريطانيين، وأن ذلك من شأنه أن يعرّض الحاكم نفسه لاستياء الإمام عبد الله بن أحمد المهدي الذي خلف والده في الحكم سنة ١٨١٧م. فقام الضابط البريطاني بإنزال العلم البريطاني وحمله معه إلى ظهر سفينة الطراد (برنس أوف ويلز) ورحل يوم ٣١ أغسطس ١٨١٧م.

واحتج إمام اليمن على تصرف الضابط البريطاني برسالة إلى حاكم بومبي في شهر سبتمبر ١٨١٧م، وعندما أصبحت الوكالة خاوية قام بعض أفراد من الشعب بالهجوم على الوكالة البريطانية ونهبها. وقد غضب الإمام لتقصير الحاكم (فتيح) في حمايتها فأمر بعزل الحاكم الحاج فتيح، بل وضعه في السجن مع بعض أتباعه. وبعث برسالة أخرى يعتذر فيها عما حدث للوكالة.

ولما وصل الليفتنانت دومينيستي إلى الهند أثار ضجة كبيرة وأن له الحق في وضع جنوده في السفينة التجارية (دريابجي) رغم أنها كانت ترفع العلم العربي، وأن صاحبها محمد علي خان المقيم في بومبي قد باعها منذ سنة للسيد عبدالرحمن ابن عقيل السقاف، شقيق محمد بن عقيل السقاف المتعاون مع الفرنسيين والمطلوب بريطانيًّا. وادّعى الليفتنانت البريطاني أنه ضُرب وأُهين في المخا، وهو أمر لم يثبت من تقارير الشهود من العرب والأوربيين.

وأحسَّ البريطانيون - بعنجهيتهم - أنهم لا بد أن يؤدبوا أهل اليمن، وطلبوا تسليم حاكم المخا السابق الحاج فتيح وعقابه أمام أهل بلده بواسطة البريطانيين

أنفسهم. وفي حالة رفض هذا الشرط ينبغي قصف مدينة المخا حتى تسوّى مبانيها الحكومية بالأرض. وعارض ذلك المستر برندرجاست Prendergast عضو مجلسة حكومة بومبي. وطالبوا إمام اليمن بمعاقبة الحاكم السابق للمخا الحاج فتيح وسجنه وتقديم تعويض مالي عن البضائع التي نهبت من المحطة.

وقامت الشركة البريطانية بإرسال تجار هنود مسلمين من سورت عام **١٨١٩م** لشراء البنّ اليمني ومعهم مجموعة من السفن الحربية البريطانية للتهديد والحراسة. وهرب أحد بحارة السفينة (أورورا) وهو المدعو جون هنتر إلى المخا واعتنق الإسلام، فطالبت حكومة بومبي الإمام بإرجاع جون هنتر واثنين من البريطانيين اللذين اعتنقا الإسلام سنة ١٨١٠م وهربا إلى المخا.

وردّ الإمام على هذه الرسائل بأن حاكم المخا قد نال جزاءه وفقد منصبه ووضع في الحبس. أما في ما يتعلق بالأشياء التي فقدت من منزل الوكالة، فلم يفقد شيء لا مال ولا بضائع. واستغرب اللهجة الحادة من حكومة بومبي بعد أن تم تسوية القضية. وادعت حكومة الهند أنها لم تتسلّم جواب الإمام هذا. **وفي ٦ يونيه ١٨٢٠م** قرّرت إرسال مبعوث إلى إمام اليمن للتفاوض معه حول المطالب البريطانية مع شطب موضوع الأشخاص الذين اعتنقوا الإسلام لأنه مطلب لا يمكن تلبيته ولا يستطيع إمام اليمن أن يردّ من لجأ إليه مسلماً.

وبعد أن وصل وليام بروس المعيّن مندوباً في تلك المفاوضات في **٢٣ أغسطس ١٨٢٠م** أعلن أن على الإمام أن يرسل مندوباً إليه في سفينته ويقدم الاعتذار ويحصل على التعويض المطلوب.

واستعد حاكم المخا الجديد حسين الفقيه وركَّب بعض المدافع فوق الأبراج المختلفة وقام تجار المخا بإقراض الحكومة للتصدي للإنجليز.

وكان الإمام يماطل في الرد على رسالة (بروس) لأنه كان ينتظر جواباً من

حسن باشا قائد الجيوش المصرية في الحجاز الذي طلب منه الإمام النجدة والمساعدة ضد الإنجليز، لكن محمد علي باشا كان يعتمد في تجارته على شركة الهند الشرقية ولم يُرِدْ إغضابها.

وقام حاكم المخا بإعادة الاتصال بالمستر بروس. وأصرّ بروس على تسليمه الحاج فتيح (الحاكم السابق) ليعاقبه بنفسه، فأخبره السيد حسين الفقيه حاكم المخا أنه لا يملك تلك السلطة وأنه مخول بمرافقته إلى الإمام نفسه الذي سيقرر ذلك الأمر. ولكن بروس رفض ذلك العرض وعاد إلى سفينته (كارون).

وعندما وصلت السفن الحربية الأخرى في ٣ ديسمبر ١٨٢٠م قامت بقصف المخا حتى ارتفعت راية الهدنة في مركز مدفعية اليمنيين، وأبحر قارب (هوري) رافعاً الراية البيضاء وعليه الناخوذة محمد بن راشد العماني، وأخبر بروس أن اليمنيين يطلبون منه مهلة ١٨ يوماً. ولكن بروس أصرّ على تسليم الحاج فتيح لمعاقبته، وإعادة الممتلكات المسروقة وتقديم اعتذار، وأمهلهم نصف ساعة فقط ليأتوا بحاكم المخا الجديد حسين الفقيه وابن الحاج فتيح ليكونا رهينتين، ولما لم يستجيبوا لطلبه خلال نصف ساعة استأنف إطلاق المدافع على المخا. وتوجه الجنود إلى البر يطلقون وابلاً من النيران على جدران الحصن ولم يستطيعوا اقتحامه واضطروا للتراجع بعد أن خسروا عدداً من القتلى والجرحى. واستمرّ القذف من السفن الحربية. وفي الساعة التاسعة مساءً اندلعت ألسنة اللهب في شمال المدينة واستمرت حتى الصباح الباكر.

ومرة أخرى عاد الناخوذة العماني رافعاً الراية البيضاء على قاربه وأخبر بروس أن الشخصين الذين طلبهما كرهائن مريضان، وهم مستعدون لإرسال آخرين بدلاً عنهما. فطالب الإنجليز بتسليم الباش كاتب أو السكرتير الأول وأمير البحر اليمني أو أمير العسكر وأمهلوهم حتى الرابعة مساءً ليعودوا بالرهائن. وقدم حاكم المخا أحد أقربائه (أحمد الفقيه) وأحد أقرباء الإمام (محسن

الشاب) كرهينتين، ووافق بروس ولوملي (قائدا الحملة) على ذلك. وفي اليوم التالي صعد الشابان إلى السفينة كارون كرهينتين. وأخبرا بروس بأن عدداً كبيراً من الأهالي قتلوا وجرحوا نتيجة القصف المتواصل العشوائي على المدينة، وبينهم مجموعة من النساء والأطفال والشيوخ، فأمهلهم أسبوعين لتحقيق مطالبه.

ووصلت رسالة من أحمد باشا حاكم الحجاز إلى الكابتن (بروس) يحتج فيها على تصرّفه، ويبيّن له فيها أن اليمن تابعة للدولة العثمانية، وأنه كان من الواجب الانتظار لا أن يبادر بالهجوم، قبل أن يستلم ردّ الإمام. وردّ بروس بوجوب تحقيق طلباته من اليمن إذا كانت اليمن تابعة للدولة العثمانية..

وطلب التجار في المخا تمديد المهلة، فمدّها خمسة أيام أخرى. وفي ٢٦ ديسمبر ١٨٢٠م بدأ الهجوم من جديد بقصف مدفعي مكثف على الحصن الشمالي، فسقط الحصن بأيدي الإنجليز والجنود الهنود (الباهيين) وفجروا الحصن الشمالي حتى تحوّل إلى كومة أنقاض. وتم إسكات المدفعية اليمنية. وعند غروب شمس ذلك اليوم أبحر القارب وعلى متنه الناخوذة العماني محمد بن راشد يحمل راية الهدنة، وأخبر بروس بأن الأمير فضل الله قدم من صنعا ومعه الحاج فتيح، وأنّه مستعد لتلبية مطالب الإنجليز. وفي ٢٨ ديسمبر سلّم اليمنيون شابين بريطانيين هربا من السفينة (بنارس)، وفي ٢٩ أطلق سراح الرهينتين اليمنيتين لدى الإنجليز. وفي ٣٠ ديسمبر ١٨٢٠م بدأ الإنجليز بقصف الحصن الجنوبي رغم الاستيلاء عليه. وإسكات المدفعية التي عليه واستمرت الحرب إلى ١ يناير ١٨٢١م. وفي اليوم التالي صعد مندوب الإمام الأمير فضل الله إلى السفينة كارون التي يقودها الكابتن بروس ووافق على طلباته بتقديم اعتذار وبمعاقبة الحاج فتيح وأن يستقبل بترحيب واحترام في المدينة (المخا). وكانت خسائر اليمنيين فادحة من النساء والأطفال والشيوخ والأهالي والجنود بينما خسر الإنجليز تسعة أفراد بين ضابط وجندي وبلغ عدد الجرحى ٣١ جندياً وضابطاً.

ولم تتم معاقبة الحاج فتيح فقط بل حاكم المخا الجديد الذي أبدى مقاومة ورفض تنفيذ مطالب بروس المهينة، حيث وضع تحت الحجر هو وممتلكاته بأمر من الإمام لإرضاء الكابتن بروس المتغطرس. وأجلس الحاج فتيح أمام الكابتن بروس والكابتن لوملي وهو في حالة من الفزع طالباً الصفح عنه، فصفح عنه الإنجليز بعد هذا الإذلال له ولليمن شعباً وحكاماً.

وخفّض الإمام الرسوم من ٣ بالمئة إلى **٢,٢٥** بالمئة على البضائع البريطانية. وتم توقيع المعاهدة وخَتْمِها من الجانبين اليمني والإنجليزي في **١٥ يناير ١٨٢١م**. وفي اليوم التالي احتفل الإنجليز ومندوبو الحكومة اليمنية بتوقيع الاتفاقية في حفل عشاء حضره ٢٥٠ شخصاً بينما كانت المخا تئن وتبكي قتلاها وجرحاها.

وتمّ تعيين الليفتنانت روبسون (Rosbon) قائماً بأعمال المقيم في المخا وسمح له بحرس مكون من ثلاثين رجلاً. وقام الطبيب الإنجليزي جيمس فوي (James Foy) بمعالجة الجرحى من اليمنيين. وفي ٢٠ يناير عاد الكابتن بروس إلى السفينة توباز وأبحر عائداً إلى بومبي بعد أن حقَّق جميع مطالبه، وأظهر لأهل اليمن قوة بريطانيا وجبروتها وأنهم لا يستطيعون التصدي لها. **ووصل الكابتن بروس إلى عدن تسبقه أخبار حملته على المخا وما فعله بها، فما كان من السلطان أحمد عبد الكريم (سلطان عدن ولحج) إلا أن تقدم إلى الكابتن بروس** معلناً له أنه يسعده أن يمتلك الإنجليز قطعة من عدن في مقابل مبلغ مالي شهري يدفع له ولحلفائه. **وفي المكلا التي وصلها الكابتن بروس في ١٣ فبراير ١٨٢١م** أبدى نقيبها وحاكمها استعداده للدخول في معاهدة صداقة مع الإنجليز.

وكانت نتائج حملة الكابتن (بروس) سارّة جدًّا للمسؤولين في لندن وبومبي. ووافقت حكومة بومبي على المعاهدة التي أبرمها بروس مع الإمام. وتم رفع الحصار عن موانئ اليمن.

وعندما احتج محمد علي باشا على تصرف الإنجليز في المخا قام الإنجليز باسترضائه بتقديم قرض بالشروط التي ذكرها هو نفسه. وكانت الآستانة أشد غضباً، وجهّزت الدولة العثمانية جيشاً وأرسلته إلى اليمن لترتيب الأوضاع وعزل الأمير فضل الله الذي استسلم لمطالب الإنجليز استسلاماً تامًّا، وعيّن بدلاً منه الأمير جوهر.

ووصلت فرقة من الجيش العثماني إلى المخا ورفعت العلم العثماني وفرضت سيطرتها عليها. وكان المقيم الجديد الكابتن هتشنسون يعزف الموسيقي كل صباح ومساء في الوكالة، وخزّن كمية من الأسلحة في الوكالة التجارية. وقام خلاف حول الضريبة، حيث رأى الإمام أن التخفيض يسري على الإنجليز ولكن الإنجليز أصرّوا على أن يسري على كل من يحمل العلم البريطاني من الهنود وغيرهم.

وعندما قام هتشنسون بمقابلة سلطان لحج في عدن في ٢٠ مارس ١٨٢٢م وطلب إقامة قلعة بريطانية في عدن، اعتذر له السلطان لأنه قد وافق الدولة العثمانية على إقامة حامية لهم مكونة من مائتي جندي. وأن ذلك سيثير خلافاً بين العثمانيين والإنجليز لا تحمد عقباه. وطلبت حكومة الهند من هتشنسون أن يتوقف عن اتصالاته مع سلطان لحج وعدن، وأن ينهي موضوع الخلاف مع الإمام، وأن يوافق على طلبات الإمام. وأنكرت حكومة بومبي للسلطات العثمانية أن يكون لها أي اتصال مع عدن أو نيّة في إقامة قاعدة هناك[1].

وهذا إقرار من حكومة بريطانيا بأن عدن تابعة للدولة العثمانية، ولكن بريطانيا تنكّرت بعد ذلك لهذا القول واعتبرت أن الدولة العثمانية لا سيطرة لها ولا لإمام اليمن على لحج وعدن والمشيخات والسلطنات الجنوبية.

وهدأت الأمور في المخا إلى عام ١٨٢٦م عندما قام المقيم البريطاني في المخا

(١) د. سلطان القاسمي، الاحتلال البريطاني لعدن، ص ١٠٤.

بالمطالبة بسداد ديون لصالح تجار من الهند من مدينة (سورت).. وكانت الأوضاع الاقتصادية في اليمن سيئة، فلم يتمكنوا من دفع الدين. وكتب بذلك إلى حكومة بومبي التي هددت بإقفال الوكالة وإيقاف التجارة وأرسلت مجموعة من السفن الحربية مرة أخرى إلى ميناء المخا. **وقد وصلت هذه السفن الحربية في منتصف شهر فبراير ١٨٢٧م**. ورافقها الكابتن باجنولد (Captain Bagnold) المقيم البريطاني في المخا والذي ذهب إلى بربرة في حملة عسكرية لتأديبها.

وفي **٢٥ فبراير ١٨٢٧م** حدثت مشاجرة بين أحد حراس المقيمية البريطانية الهندي (السباهي) الذي كان سكراناً واعتدى على امرأة في السوق، وبين خادم النقيب التركي الذي غضب لذلك وأدّب الهندي، فقام المقيم البريطاني بسجن خادم النقيب التركي. وتجمهر الناس حول مقر المقيم وأخذوا يقذفونه بالحجارة، فأطلق عليهم مساعد الطبيب ماكل (Mackell) النار وقتل أحد الجنود الأتراك. وتجمع الجنود الأتراك محاصرين لمقر المقيم البريطاني. والأسطول البريطاني يتهدّد البلد. فقام حاكم المخا بإبعاد أحد الأتراك إلى جدة، وأحد اليمنيين إلى صنعاء، ومساعد الطبيب الذي أطلق النار إلى بومبي. ومن ثمّ غادر الأسطول البريطاني ميناء المخا بينما بقيت أحد سفنه تحسّباً لتطور الأوضاع في المخا.

وكان المقيم البريطاني في المخا كابتن باجنولد يشكو من أن التجارة في المخا ليست بيد البريطانيين أو أتباعهم من الهنود، ولكنها بيد الحضارم والتجار العرب الذين سيطروا على التجارة. وذكر أيضاً أن بعض أقساط الديون للهنود من مدينة (سورت) لم تسدّد، فقامت حكومة بومبي بالاتصال بالقنصل البريطاني في مصر الذي عرض موضوع الدين على محمد علي باشا الذي كتب بدوره للإمام في اليمن بتسوية الدين. وبالفعل تمت تسوية قضية الدين بوصول رسالة محمد علي باشا.

بريطانيا في سقطرى[1]

تقع جزيرة سقطرى في المحيط الهندي على بعد ٤٠٠ كيلومتر من الساحل الجنوبي لجزيرة العرب (حضرموت والمهرة)، وعلى بعد ٢٥٠ كيلومتر من رأس جواردفوي (حافون) في الصومال. وكانت جزيرة سقطرى ذات أهمية بالغة في التاريخ القديم، وعرفها المصريون القدماء والهنود واليونان والرومان، ووصفوها وصفاً مذهلاً وتغنّوا بأشجارها: المرّ واللبان والصبر ودم الأخوين والعنبر، (Ambergris) الذي يقذفه الحوت (Whale) من أمعائه، والزباد وهو يستخرج من قط الزباد. وسموها جزيرة السعادة. ولن نخوض ها هنا في تاريخها القديم، ومن أراد التفصيل فليرجع لكتاب «سقطرى الجزيرة السحرية» لكاتب هذه السطور.

وتبلغ مساحتها ٣١٠٠ كيلو متر مربع، وتتبعها عدد من الجزر، هي: جزر عبد الكوري وسمحه ودرسي وسمبويه وصخور فروق وفرعون. وأهم مدنها حديبو العاصمة (تمر ده أو مدينة التمر) وقلنسية ومدينة السوق ودليشة ومنيسة.

والاختلاف في تقدير سكانها كبير جدًّا، فقد تم تقديره عند زيارة القبطان هينس لها بخمسة عشر ألف شخص (سنة ١٨٣٤م) ثم انخفض الرقم بعد مجاعة ووباء إلى تسعة آلاف، وارتفع بعد ذلك عام ١٩٨٤م إلى أربعين ألفاً. ولا

---

(١) مصادر هذا الفصل كتابي: سقطرى الجزيرة السحرية، وقد اعتمدت فيه على مصادر كثيرة جدًّا، منشورات العصر الحديث، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م؛ وكتاب لمحات من تاريخ سقطرى للمؤرخ الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف، دار حضرموت ٢٠٠١؛ وكتاب الدكتور سلطان القاسمي، الاحتلال البريطاني لعدن، ط ٢، الناشر المؤلف، ١٩٩٢.

شك أنهم قد جاوزوا المائة ألف حاليًّا (٢٠١٢م).

وكانت تتبع محافظة عدن منذ أن احتلتها بريطانيا، ثم تحولت أخيراً إلى محافظة المهرة التي ارتبطت بها تاريخيًّا وسكانيًّا، وهي قريبة منها، وكانت منذ أزمنة طويلة تابعة لها.

وخضعت سقطرى لحكم الأئمة في عمان منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي). واستمر الأمر على ذلك بين مدّ وجزر، فتارة تخضع لعمان وتارة للمهرة، وفي أوقات محدودة تبعت حضرموت وعدن (الدولة الطاهرية) والدولة الإمامية القاسمية.

آل بن عفرير في المهرة وسقطرى

ومنذ عام **٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م** حكمها السلطان المهري من عاصمته (قشن)، وبالذات آل سعد بن عفرير لأنهم من أقدم الفروع المهرية استيطاناً في سقطرى وهم ينقسمون إلى:

(١) آل طوعري بن سعد.

(٢) آل عيسى بن سعد.

وقد ظل حكم سقطرى في هاتين العائلتين إلى عام ١٩٦٧م عندما غادرت بريطانيا عدن ومحمياتها وتم إعلان الاستقلال في نوفمبر ١٩٦٧م، وضغط الإنجليز على كل سلاطين وشيوخ عدن ومحمياتها أن يخرجوا من بلادهم ويسلموها للجبهة القومية التي اتفقت معها بريطانيا.

وتعرضت سقطرى للاحتلال البرتغالي (١٥٠٧م) بقيادة دي كونها والبوكيرك ولكن هؤلاء واجهوا مقاومة عنيفة.. وبعد استلامهم للجزيرة وجدوا مقاومة سلبية من سكان سقطرى مسلمين ونصارى، ومنعوا عنهم الميرة. وفي فترة وجيزة مات عدد من البرتغاليين بسبب الجوع والأمراض

والاغتيالات، واضطروا لسحب من بقي منهم عام ١٥١١م. ولم يمانع سكان سقطرى ولا سلطانها بتموين البرتغاليين بالمياه والطعام عندما أتوا بعد ذلك للتموين ودافعين ثمن ما يستهلكونه وتخلّوا تماماً عن فكرة احتلال سقطرى.

وقد زارها عدد من الإنجليز منهم الكابتن كيلنج والكابتن هوكنز (Keeling and Hawkins) وبعدهم جون جوردين (John Jourdain) في أغسطس ١٦٠٩م ثم السير توماس رو (Sir Thomas Roe) في أغسطس ١٦١٥م ثم قام الكابتن هينس (Haines) بزيارة سقطرى عام ١٨٣٤م ومكث فيها إلى عام ١٨٣٥م ومعه بعثة دراسية كاملة. وقد قدّم الليفتنانت ويلستد Wellsted الذي صحبه دراسة شبه متكاملة عن سقطرى، وهي أفضل دراسة إلى زمنه.

وأوضح تقرير ويلستد صلاحيتها لرسو السفن الذاهبة إلى الهند، وإيجاد محطة لتموين السفن بالمياه وبالفحم (Bunkering Station)، وبما أن دخل السلطان ضئيل جدًّا من الجزيرة (في حدود ثلاثمائة ريال فضة) فإنه لن يمانع في بيع الجزيرة.

وأرسلت الحكومة البريطانية الكابتن روس من الأسطول البريطاني الهندي عام ١٨٣٤م ووقع اتفاقية في قشن (عاصمة المهرة) مع السلطان أحمد بن فرتك وابن عمه عامر الطوعري من آل عفرار، وبموجبها يسمح السلطان للسفن البريطانية بالرسوّ في سقطرى والتزوّد بالماء أو الفحم، دون أن يكون لبريطانيا أي سلطة على الجزيرة.

رفض سلطان سقطرى بيعها بأي ثمن

قام الكابتن هينس بإجراء مفاوضات مع السلطان عامر الطوعري في ١٥ نوفمبر ١٨٣٤م. وكان متلهفاً لمحادثة أحمد بن سعيد وعبد الله بن سالم الطوعري

اللذين عرفهما من المرة السابقة، وأبديا نوعاً من الاستعداد للتفاهم. وعندما بدأ اللقاء معهما وصل السلطان عامر وهو رجل أعمى (ضرير) طاعن في السن ويقوده طفل وهو ينادي أين الكابتن هينس؟ فأجابه وحيّاه. وأفصح الكابتن هينس بعد المجاملات عن مهمته، وهي شراء جزيرة سقطرى بمبلغ كبير من المال (عشرة آلاف كراون ألماني = ريال فضي)، وأن الجزيرة غير ذات أهمية للسلطان، ودخلها ضئيل.. فقاطعه السلطان الضرير الطاعن في السن بصوت قوي قائلاً وهو واقف: هل ترغب حكومتك في شراء سقطرى حقًّا؟ إن سقطرى هي هبة الله للآباء والأجداد ولن أفرّط فيها أبداً. والله لو ملأت هذه الغرفة من الأرض إلى السقف بالذهب لما أعطيتك ما يوازي شبراً، وأشار بيده يوضح ما بين إبهامه وخنصره.

وخرج الكابتن هينس ومن معه يجرّون أذيال الخيبة، ولكنهم كانوا معجبين بشجاعة وإصرار هذا الشيخ الفقير والطاعن في السن الذي رفض إغراء المال. وقال للكابتن هينس: «أنت تقوم بخدمة دولتك ولمصلحتها وأنا أقوم بخدمة بلادي وقبيلتي التي أعتبر نفسي أباً لجميع أبنائها ولن أفرط في حقوقهم وبلدهم».

وعرف الكابتن هينس بواسطة مترجمه الملا جعفر أن والدة أحمد بن سعيد ذات نفوذ في الجزيرة والقبيلة، وأنها تريد المال لتزويج ابنها. فذهب السلطان عامر إلى بيت ابن أخيه ومنعه من التحدث للمترجم.

وكتب السلطان عامر وقرابته رسالة إلى الكابتن هينس[1]:

«بعد التحية، نحن عامر الطوعري وعبد الله الطوعري وأحمد بن سعيد (الطوعري) وسعيد بن عامر (الطوعري) سلاطين أو دولات، نعترف باستلام

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ١٢٤.

رسالتكم بالنصح والاجتماع، ولكننا لن نستطيع بيع أي جزء من الجزيرة إلى الإنجليز حتى مقابل مبلغ كبير أو صغير من الدولارات. ولكن، كما اتُّفق سابقاً، فإننا نسمح لكم بأن تحفظوا فحمكم على الجزيرة مقابل دفع أجر عن ذلك». وحاول هينس، كما هو معتاد منه ومن أمثاله من الاستعماريين، الادعاء كذباً وبهتاناً بأن عبد الله بن سالم الطوعري هدّد حياة (طه علي) مسؤول محطة الفحم في جزيرة سقطرى، وأنه هدّد كذلك بحرق الفحم[١].

واعترف هينس في تقريره لحكومة الهند أنه لفّق هذه التهمة وأن الأمير عبدالله بن سالم الطوعري هدّد حياة (طه علي) وكيل لجنة الملاحة التجارية البنغالية، وأن الحكومة البريطانية قد أرسلت جنداً للاستيلاء على الجزيرة وأنه على استعداد للتفاهم مع أي شخص من آل الطوعري يوافق على بيع الجزيرة[٢].

وفي ٢٠ نوفمبر أرسل السلطان عامر الرد التالي على تخرصات وأكاذيب الكابتن هينس[٣]:

«بعد التحية.. استلمنا رسالتكم وفهمنا مضمونها»

«في السنة الماضية جئتم ورغبتم في قياس غُبَّة شعب والقلنسية. وبدلاً من عمل ذلك قايستم كل جزء من الجزيرة من أجل مكان لفحمكم، دون أوامر منّا. وعندما طلبنا منكم أن ترحلوا رفضتم أوامرنا، وقررتم القيام بقياس الجزيرة. وجاء الكابتن (روس) إلى هنا وأراد مكاناً لفحمه. لقد رفعتم أعلاماً دون إذننا، واستأجرتم جمالاً وذهبتم إلى التلال، وبقيتم هناك عدة أيام بدون أوامر (منّا).

---

(١) د. . سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٦ – ١٢٧.

الآن موضوع جديد: كابتن روس أتى إلى هنا وتحدث إلينا عبر طه علي (وكيل لجنة الملاحة البنغالي). لقد أحضر رسالة لنا من الحكومة عن موضوع الفحم للسفن في سقطرى، وبيت للسكنى، الأمر الذي اتفق بموجبه على أن يدفع مقابل ذلك، بشرط أن يستخدم سفن ورجال الجزيرة فقط ويدفع عنها. إذا كنتم تريدون مكاناً فإني لن أعطي إذناً حتى مجيء كابتن روس من أجله.

الآن عن عبد الله الطوعري: تقول إنه انتزع مالاً من طه علي، أحضره أمامي (أي طه علي) ودعه يقول ذلك. لقد رفع طه علي العلم (البريطاني) دون إذني، إننا لن نبيع أو نعطي الجزيرة، لكن سنُبقي على المعاهدة السابقة مع كابتن (روس)، ومؤدّاها أنكم ستدفعون مقابل البيت والقوارب والعمال.. إلخ. إننا جميعاً مسلمون، هناك سلاطين آخرون أعلى منّا: السلطان الخليفة المنصور محمد الثاني بن عبد الحميد بن عثمان.

أنت قلت إننا أهنَّا البريطانيين، إننا لم نفعل ذلك. إن كلماتنا هي الحق انتهت بالتحيات المعتادة».

ورحل الكابتن هينس عن قشن بعد استلامه هذه الرسالة الواضحة الحازمة والتي أفحمت هينس وادعاءه الكاذب.

احتلال جزيرة سقطرى

وصلت الحملة البريطانية المكوَّنة من مجموعة من السفن الحربية إلى سقطرى في ٥ يناير ١٨٣٥م ورسَتْ في ميناء حديبو (تمر ده: مدينة التمر) وهي العاصمة. ووجدوا السفينة «بالينورس» بقيادة الكابتن هينس راسية هناك، هي والسفينة الأمريكية «هيركيوليس» (أي هرقل). وأخبرهم هينس أن محاولات شراء الجزيرة فشلت، فرد (الكابتن لو) أن لديه أوامر باحتلال الجزيرة سواء تم شراؤها أم لم يتم.

وبعد أن هدأت الرياح التي منعت إنزال القوات في ٧ يناير ١٨٣٥م، ورغم ذلك انقلب قاربان وغرق أحد الجنود الهنود (السباهي) وكاد أن يغرق بعض الإنجليز، ولكن الأهالي – لطيبة أنفسهم – أنقذوهم وانتشلوا جميع الرجال وقاموا بسحب القاربين[1].

وأنزل الإنجليز قواتهم ومدافعهم وميرتهم في الأيام التالية مع ذخيرة المدفعية. ولم تستطع السفينة التجارية موريس أن تنزل حمولتها من الفحم – وهي ١٧ طنًّا – بسبب الأمواج العاتية على الشاطئ، ولكن الأهالي استطاعوا بعد ذلك تفريغها وإنزال الفحم.

وكتب الكابتن لو تقريراً لحكومة بومبي جاء فيه: إن القسم الأعظم من المدينة خرائب، وأجر العمال عالٍ: روبية يوميًّا لكل رجل. ولا يوجد بالجزيرة دجاج ولا خضار. ولم يرفع العلم البريطاني على الجزيرة واكتفى برفعه على سارية مؤقتة في المعسكر. وتوقعوا هجوماً من قبل سلطان قشن (المهرة) وهو أيضاً سلطان الجزيرة، ولذا استعدّ الإنجليز لذلك.

---

(١) هذا من الغباء.. ينقذون أعداء جاؤوا لاحتلال بلادهم، ولكنهم لم يكونوا يعلمون بذلك.

وأصيب الجنود بالإرهاق من حفر الخنادق وسوء التغذية، وأدخل عشرة منهم المستشفى الميداني، وانخفضت فاعلية الجنود الهنود بشكل كبير جداً.

وأرسلت حكومة بومبي لقائد الحملة أن يتفاوضوا مع السلطان أو مندوبه، وأن الهدف الوحيد للحكومة البريطانية هو الحصول على مكان مناسب ليكون محطة للملاحة التجارية، وأن الحكومة لم ولن تفكر في احتلال الجزيرة (وهو كذب واضح).

واجتمع السلطان عامر بن سعد الطوعري وشيوخ القبيلة والسيد عقيل ابن أحمد بن عبد الله بن حسين بن الشيخ أبو بكر سالم (الولي المشهور مولى عينات) وجمعوا ما يقارب ١٥٠٠ بندقية فتيل، غير أن عيسى بن مبارك المالك الرئيس للقوارب رفض فكرة محاربة الإنجليز الذين يستطيعون تدمير قواربهم الصغيرة. وأن حياتهم ومعيشتهم ستتأثر، وخاصة أن معيشتهم كلها تأتي من الهند والتجار الهنود. فألغيت فكرة محاربة الإنجليز. وعانى الجنود من أمراض كثيرة حتى أن طبيب الحملة توفى. ولم يستطع الأحياء أن يحفروا قبوراً لزملائهم الموتى بسبب المرض.

لهذا كله، ولعدم جدوى الجزيرة كمحطة للفحم، أخلى الإنجليز الجزيرة ورجعوا إلى بومبي بعد أن أرسلوا لهم من يساعدهم ويحمل الرجال والعتاد إلى ظهر السفن التي أرسلت للإنقاذ. وبذلك انتهت حملة احتلال سقطرى بالفشل الذريع.

وعاد الكابتن روس مرة أخرى للتفاوض مع السلطان عامر بن سعد الطوعري وقال إنه فقط يريد موقعين مع قطعة صغيرة من أرض الجزيرة لإقامة منشآت الفحم والتخزين، فسأل السلطان عن الموقعين وعمّا إذا كان الإنجليز يريدون بناء حصون؟ وأما الموقعين فهما في بندر الدليشة وغبّة شعب، وهي

أماكن لم تكن مسكونة آنذاك. وقال السلطان إنه سيسمح بمكان واحد هو بندر الدليشة فقط ومنعهم من الحصول على أرض أو بناء حصون.

وكتب روس لزعماء المهرة في قشن يخبرهم بأنه عرض ولا يزال يعرض عشرة آلاف كراون ألماني لشراء الجزيرة أو أن يؤجروا سنويًّا كل أو جزء من الجزيرة المذكورة لشركة الهند الشرقية. وقد رد الزعماء الرد التالي:

«إلى كابتن روس هداه الله. وبعد، فقد وصلتنا رسالة مؤرخة في شهر أكتوبر في سفينة الشركة تذكر شراء سقطرى بمبلغ عشرة آلاف كراون ألماني أو استئجارها سنوياً للشركة».

«إننا لن نبيع جزيرة سقطرى الآن وإلى الأبد، ولن نترك منها أي جزء. وحيث الشركة أخذت البلاد بالقوة فسوف لن نعطي سقطرى ولن نبيعها في أي وقت».

«في الاجتماع الأول جاءنا كابتن روس وتباحث معنا، وبعده جاء كابتن هينس، وأخيراً جاءنا كابتن روس، وكل الذين جاؤونا تحدثوا معنا بصورة مختلفة. وكل من جاؤوا قالوا إن الأول لم يكن لديه الصلاحية للتباحث سوى عن التجارة، ونحن لا ندري من نصدق؟ لذلك هذه نتيجة قراراتنا بخصوص سقطرى. ونحن لن نعطيها ولن نبيعها في أي وقت، والسلام.

مؤرخ في شهر جمادى الآخرة ١٢٥١هـ».

ونتيجة لهذا الرفض المستمر أمرت حكومة بومبي بإخلاء الجزيرة من الجنود والمعدات البريطانية. وتم ذلك في ١٦ أكتوبر ١٨٣٥م. وكان هناك ٤٦ رجلاً في قائمة المرضى.. وكلّفت الحملة مبلغ **٨٥,٦٠٤** روبية هندية.

وهكذا باءت حملة سقطرى بالفشل واتجه الكابتن هينس إلى عدن التي كان يراها دائماً هي المحل المناسب لإقامة محطة وقاعدة بريطانية.

وذكر الدكتور سلطان القاسمي[١] أن سلاطين قشن، بعد أن رأوا تقاعس بريطانيا عن تأجير جزيرة سقطرى، أرسلوا إلى مندوبهم في بومبي الشيخ علي ابن سعيد باوزير يعرض جزيرة سقطرى لحكومة بومبي. وبعث الشيخ علي باوزير بالرسالة التالية إلى رئيس سكرتارية حكومة بومبي بتاريخ ٨ ديسمبر وفيها: «إن سبب إرسال هذه الرسالة إليكم هو رسالة وصلتني من السلطان عامر بن سعد الطوعري وأحمد بن سعيد بن عفرير وعبد الله بن سالم بن عفرير زعماء قشن، وهم أصحاب سقطرى، وفحوى هذه الرسالة كما يلي: لا بد وأنك سمعت أن السفن الإنجليزية قدمت إلى هنا، ولكننا في تلك السنين لم يكن لدينا ميل لذلك. وعقب ذلك طلبوا منا السماح لهم ببناء بيوت وإنزال الفحم الحجري، ولكننا سمحنا لهم فقط بإنزال الفحم الحجري.

بعد ذلك جاؤوا بجنودهم إلى سقطرى، وبقوا هناك فترة من الزمن، ثم انصرفوا بكامل إرادتهم ولم نسمع من ذلك الحين أي شيء عن الموضوع.

لذلك فإننا الآن نعيّنك لتقوم نيابة عنّا بكل ما يختصّ بهذا الأمر، لأننا متأكدون من حسن نوايا الحكومة (البريطانية).. وإذا رغبوا في استئجار الجزيرة فسوف نرسل لك رسالة نخولك فيها كامل الصلاحية بما تراه مناسباً عنّا.. هذا ما كتبوه لنا ونحن نطلب ردًّا».

وأبدت الحكومة البريطانية بعض الرغبة ولكن (سير تشارلز مالكوم) مدير البحرية الهندية كتب في ٢٣ فبراير ١٨٣٨م إلى (روبرت جرانت) حاكم بومبي يقول إن جزيرة سقطرى ما عادت تصلح أن تكون مخزناً للفحم بعد أن فشل النقاش مع سلطان قشن، وعدم صلاحية المكان لرسوّ السفن، وبعد تقرير

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، المرجع السابق، ص ١٧٣ – ١٧٤.

الكماندور هينس فإن عدن أصلح مكان بعد أن قام هينس بمسح خليج عدن، وعدن أقرب مسافة ما بين البحر الأحمر والهند، فعدن تبقى الأصلح. لذلك رفض حاكم بومبي العرض المقدم من الشيخ علي باوزير.

وفي عام ١٨٣٨م وافق السلطان على تأجير الجزيرة للحكومة البريطانية لجعلها محطة للفحم، ولكن قرار بريطانيا بالاستيلاء على عدن كان قد صدر (قبل قصة دريا دولت الشهيرة) ولهذا لم تنفذ هذه الاتفاقية في حينها.

وفي عام ١٨٤٤م، اجتاح سقطرى جفاف وقحط شديدين. وعندما زار الملازم مروتندن الجزيرة عام ١٨٤٧م وجد أن عدد السكان قد انخفض من خمسة عشر ألفاً إلى تسعة آلاف فقط. وكان سبب قدوم هذا الضابط ما سمعه من قدوم باخرتين حربيتين فرنسيتين قامتا بفحص الجزء الشرقي من جزيرة سقطرى فتأكد من تلك الأخبار وعرف أنه لم تعقد مع الفرنسيين أي صفقة فاطمأن.

وفي عام ١٨٤٤م أيضاً تعرّضت حديبو (تمر ده) العاصمة لزلزال أدى إلى دمار كبير فيها وقتل عدد من سكانها.

وفي نهاية عام ١٨٤٧م لفت والي عدن (القبطان هينس) نظر المسؤولين في بومباي إلى أن محمد علي باشا كان يزحف بقواته على طول الساحل الصومالي إلى رأس جوردو في (حافون) القريب من جزيرة سقطرى. وعرف أن سفينة تركية زارت سقطرى مما أدى إلى قلق حاكم عدن الإنجليزي.

وفي شهر يناير ١٨٧٦م تلقى والي عدن تعليمات من بومباي أن يتوجه إلى سقطرى وقشن (عاصمة المهرة) على الباخرة الحربية بريتون (Briton). وعقد اتفاقية مع سلطان قشن وسقطرى التزم بموجبها السلطان وورثته بأن لا يسلموا ولا يبيعوا أو يرهنوا لغير الحكومة البريطانية جزيرة سقطرى أو أي أرض تابعة

لها. وذلك مقابل ثلاثة آلاف ريال ومخصص سنوي قدره ٣٦٠ ريالاً.

وفي شهر أبريل من نفس العام (١٨٧٦م) زار سقطرى الكابتن هنتر مساعد الوالي في عدن وسلم نسخاً معتمدة من المعاهدة إلى السلطان سعد المقيم في سقطرى. وفي العام التالي (١٨٧٧م) قام الكابتن هنتر بجولة واسعة داخل الجزيرة. وفي نفس العام قام سلطان المهرة وسقطرى سالم بن عيسى بزيارة مدينة عدن فاستقبل استقبالاً رسميًّا.

وفي عام ١٨٨٠ (فبراير) قام الدكتور بلفور أستاذ علم النبات بجامعة جلاسجو بزيارة سقطرى لدارسة نباتات وحيوانات جزيرة سقطرى. وقد قدم دراسة هامة حول هذا الموضوع. وقدمت حكومة عدن إلى السلطان هدية عبارة عن مدفع ورسالة شكر من والي عدن.

وتزايد عدد العلماء الذين زاروا الجزيرة من أجل نباتاتها النادرة. وفي عام ١٨٨٤م وافق السلطان على أن تقوم بريطانيا بإنشاء فنار في رأس مؤمن (رأس ددرسة) على أن يظل الموقع ملكاً للسلطان. وتم البناء عام ١٨٨٥م.

وقامت بريطانيا بفرض معاهدة حماية مع سلطان سقطرى وذلك في ٢٣ أبريل ١٨٨٦م، وتم تأكيدها والمصادقة عليها في ٢٣ أكتوبر ١٨٨٦م. وكان وقتها سلطان القشن (المهرة) وسقطرى هو السلطان سالم بن حمد.

وفي ٣٠ أكتوبر ١٨٨٦م رفع العلم البريطاني بصورة رسمية. ووصل بعدها في شهر نوفمبر (١٨٨٦م) السير ريتشارد (مساعد أمير البحر) ورفع العلم الإنجليزي في قلنسية.

وفي ٣٠ مايو ١٨٨٧م تحطمت الباخرة الألمانية (أدر) على رأس مؤمن وتمكن الوكلاء المحليون للسفينة من تخليص جزء كبير من حمولتها.

وتكررت الزيارات بين والي عدن وسلطان المهرة وسقطرى وأبرمت معاهدة حماية للمهرة في قشن.

وتكرر تحطم السفن على رأس مؤمن، ولهذا قامت حكومة عدن بإنشاء منار على رأس مؤمن.

عدن في عهد السلطان محسن بن فضل
(١٢٤٣ – ١٢٦٣هـ/ ١٨٢٧ – ١٨٤٧م)

وقصة الاحتلال البريطاني لعدن

بعد وفاة السلطان أحمد بن عبد الكريم الذي امتد حكمه ٣٦ سنة (١٢٠٧ – ١٢٤٣هـ/ ١٧٩٢ – ١٨٢٧م)، تولى الحكم بعده محسن بن فضل بسبب انقطاع ذرية آل عبد الكريم، وانتقل الحكم بذلك إلى آل محسن. فقد كان للشيخ فضل بن علي (أول حاكم للحج وعدن من العبادل) ولدان: هما عبد الكريم ومحسن. ولما قُتل فضل بن علي في يافع تولى ابنه عبد الكريم بن فضل، وأبعد أخاه محسن عن الحكم. ثم تولى أولاد عبد الكريم الحكم (عبد الهادي وفضل وآخرهم أحمد الذي وقَّع أول اتفاقية مع الإنجليز سنة ١٨٠٢م والتي أفضنا في ذكر بنودها). ثم عاد الحكم إلى أولاد محسن بن فضل.

وأول من تولى منهم محسن بن فضل بن محسن بن فضل السلامي (العبدلي) وذلك بعد وفاة السلطان أحمد بن عبد الكريم سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م. واختلف المؤرخون في تقييم هذا السلطان، ووصفه هينس بالمخادع والجشع والمحب للمال والمراوغ، وكلك فعلت معظم المصادر الإنجليزية التي اتهمته بأنه حقير ومراوغ وقرصان(١)(٢)(٣). وذلك كله بناء على وصف الكابتن هينس له في تقاريره إلى حكومة بومبي، بينما كان هينس يكتب له ممجّداً حيناً ومقرّعاً حيناً آخر.

(١) Gordon Water field: *Sultans of Aden*, p. 2

(٢) R. Javin: *Aden Under British Rule* (1839–1967), p. 28

(٣) Tom Little: *South Arabia Arena of Conflict*, p. 10

ومما كتبه في تقريره عن السلطان محسن بن فضل[١]، «إن زعيمها شديد البخل، يكدّس عائداته، ويعبد المال، ويضحّي بأي شيء ليحصل عليه، وهو وافر الثراء، لكنه لا يزيد صناديق ماله باستعمالها، وإنما يدفن السبائك تحت أرض قصره المحصّن في لحج[٢]. وهو يوصف بالقسوة والجشع والخداع، وبكونه غير مضياف. وهذه حقيقة اختبرتها بنفسي، فلا يمكن الوثوق به. وأي وعد شفهي منه لن يقضى ما لم تكن له مصلحة. وقد تبيّن لي من خلال كافة الترتيبات التي أجريتها معه أن من الضروري لإنجازها أن تكون خطيّة».

ويبدو لي من دراسة تاريخ هذا السلطان مع الإنجليز أنه كان حادّ الذكاء، ويعرف كذب الإنجليز ومراوغتهم، وكان محتاجاً إليه كسلفه السلطان أحمد عبد الكريم الذي وقّع معاهدة ١٨٠٢م. وهو مستعدّ تماماً للمضي في هذه المعاهدة التي تفتح عدن للإنجليز كمحطة تموين الفحم، وكمركز تجاري، ولكنه لم يكن مستعدًّا أبداً للتنازل عنها كلية للإنجليز مهما كان الثمن الذي يعرضونه عليه.

وبما أن سياسة بريطانيا قد تغيّرت بالنسبة لعدن حيث إنها لم تعد تريدها فقط محطة للفحم، ومركزاً تجاريًّا هامًّا في طريق الهند، وإنما تريدها مستعمرة تحت ملكيتها التامة، فإن محاولات الكابتن هينس في الاستيلاء على عدن بالخداع والكلام المعسول مع السلطان محسن بن فضل باءت كلها بالفشل، ولذا فإن الكابتن هينس حقد على هذا السلطان الذي رفض أن يبيع عدن وقال (لأن المرء يمكن أن يبيع أمه ولكنه لا يمكن أن يبيع وطنه) توضيحاً للكابتن هينس ولحكومة بومبي أنه غير مستعدّ على الإطلاق لبيع عدن كاملة للإنجليز. وأبدى

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ١٤٤؛ وكتاب واترفيلد: سلاطين عدن، ص ٢.

(٢) هذا من جملة الأكاذيب.

استعداده مراراً لتأجير مواقع منها أو حتى بيع مكان محدد لمحطة الفحم وللوكالة التجارية، وبشرط أن تكون عدن ملكاً لأهلها، وتابعة لسلطان لحج وعدن السلطان العبدلي.

وسنستعرض تفاصيل الاتصالات والمكاتبات مع السلطان محسن فضل الذي هاجمه الكابتن هينس في جميع مراسلاته بشدّة، وعنه أخذت المصادر الإنجليزية، وبالذات الكابتن هينس، فلعب معه نفس لعبته، مما جعل هينس يعترف بشدة ذكائه ومناورته، ولكن هينس اضطر أن يلفّق تُهماً كاذبة عن السلطان وأن يسرق خاتمه بواسطة وكيله ومترجمه الملا جعفر، وأن يزوّر هذا الوكيل والمترجم رسالة مختومة بختم السلطان (المسروق) يبيع فيها عدن للإنجليز. وهو أمر أنكره السلطان محسن فضل وكتب بذلك إلى هينس وإلى حكومة بومبي، بل وحاول كما يدّعي هينس أن يحصل على هذه الوثيقة المزوّرة بالقبض على هينس وأخذها منه عنوة، وهو ما جعل هينس يحصل في النهاية على موافقة حكومة بومبي باحتلال عدن بالقوة.

المحطة التجارية في عدن(١)

قام الكابتن هينس بمقابلة محسن فضل عندما زار عدن في منتصف سنة ١٨٣٥م وتباحث معه حول إقامة محطة تجارية في عدن، فحمّله السلطان رسالة إلى حاكم بومبي يطلب فيها تزويده بالسلاح (ستة مدافع) ومساعدة سفنه في الهجوم على شُقره (ميناء سلطنة الفضلي)، وذلك بسبب الحرب المستعرّة بينهما، وذلك في مقابل السماح لبريطانيا بإقامة محطة تجارية ومحطة للفحم الحجري في عدن مع دفع بريطانيا مبلغاً سنويًّا من المال في مقابل ذلك التأجير.

(١) هذه المادة مستقاة من كتاب الدكتور سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن ص ١٤٥ – ١٤٧.

وفي ٣١ أكتوبر ١٨٣٥م جاء الردُّ من حكومة بومبي إلى الكابتن هينس بأن يرد ردًّا مؤدباً ومجاملاً، ولكن حكومة بومبي لا تستطيع الاستجابة لطلبه المتعلق بمساعدة سفنه في الهجوم على شُقره (ميناء الفضلي) حيث إن ذلك مخالف لسياسة الحكومة البريطانية في عدم التدخل في الشؤون الداخلية للجزيرة العربية. كما اعتذرت حكومة بومبي عن تزويده بالسلاح.

وفي ١٤ ديسمبر ١٨٣٥م استلمت حكومة بومبي ردّ السلطان محسن فضل الذي جاء فيه بأن شروط الاتفاقية التي تمتّ بينه وبين الحكومة البريطانية أن يتمّ تبادل مساعدة كل منهما للآخر، وعلى ذلك الأساس طلب من حكومة بومبي أن ترسل له سفينتين وبعض الذخيرة والبارود (هي الاتفاقية التي عقدت ١٨٠٢م وتم تجديدها بعد ذلك).

وقبلها في ٢١ سبتمبر ١٨٣٥م استلمت حكومة بومباي رسالة من السلطان محسن يقول فيها: «إنني مستعد لأن أنفذّ طلب الحكومة بأن يتم السماح بإقامة محطة تجارية في هذا الحصن (أي عدن). وقد بحثت هذا الموضوع شفهيًّا مع القبطان هينس، وهو سينقله إلى فخامتكم دون شك».

وردّت حكومة بومبي على الرسالة الأولى بالرفض وعلى الثانية بالإهمال وعلى الثالثة بالموافقة على إقامة محطة تجارية في عدن. وأوهمته في رسالة ١٧ ديسمبر بأن العتاد المذكور سوف يتم تسليمه إلى أي شخص يعيّنه السلطان.

قصة السفينة دريا دولت

لقد اشتهرت قصة السفينة دريا دولت واعتمدتها بريطانيا لتبرّر غزوها لعدن واحتلالها إياها. وكان مقرّراً علينا في المدرسة الابتدائية هذه القصة، وأن أهل عدن وما حولها نهبوا أموال وبضائع سفينة هندية تحطمت في البحر قرب عدن (غبّة سيلان) وأنهم أساؤوا معاملة ركابها. وبالتالي قامت بريطانيا باحتلال عدن لتأديب هؤلاء اللصوص!!! وأن عدن كانت قريةً صغيرةً لا يزيد سكانها عن ستمائة شخص وأن احتلال بريطانيا لها حوّلها إلى أهم مدينة في الجزيرة العربية وثاني أو ثالث أهم ميناء في العالم.

وهذه السفينة هي ملك للبيجوم بنت أخت النواب (لقب الحاكم في الهند) لمنطقة الكاراناتيك (تابعة لمدراس). وقد اصطدمت هذه السفينة بالصخور في البحر بالقرب من عدن في منطقة تعرف بغبّة سيلان[١] في ساحل أبين (تابعة لسلطان لحج) في ١٤ رمضان ١٢٥١هـ الموافق ٨ فبراير ١٨٣٧م. وكان فيها بضائع وحجّاج إلى جدّة. فتهافت عليها الأعراب الجياع - كما يقول القومندان[٢] - فنهبوا البضاعة وفرّقوا الجماعة.

وقد ذكرها الدكتور سلطان القاسمي في كتابه الاحتلال البريطاني لعدن بتفصيل وافٍ[٣] قال: «في ظهر اليوم الثامن من فبراير ١٨٣٧م جنحت السفينة

---

(١) الغبّة: ماء عميق، وسيلان هي سيرلانكا اليوم، وربما غرقت فيها من قبل سفينة تجارية من سيلان فسمّيت غبّة سيلان.

(٢) القومندان أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ١٧١ (طبعة مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ٢٠٠٤).

(٣) القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ١٥٤ – ١٥٩.

دريا دولت التابعة لنواب مدراس، والتي كانت ترفع العلم البريطاني، في غبّة سيلان بالقرب من ميناء عدن. وحينما وصل النبأ إلى السلطان محسن بعث بابنه إلى هناك. فاستأجر الناخوذة (ربان السفينة) وتجار السفينة دريا دولت والسيد زين العيدروس (قاضي عدن) قوارب تعود لأشخاص من صور (عُمان) والصومال. واتّفقوا معهم على إنقاذ البضاعة بحيث تقسّم إلى ثلاثة أجزاء متساوية، يُعطى جزء منها للمالك، وجزء ثانٍ لأصحاب القوارب، والجزء المتبقي لابن السلطان محسن إذا هو تولى أمر البضاعة (والحفاظ عليها وتخزينها). ووقع على ذلك الاتفاق كلٌّ من السيد علوي بن زين العيدروس والناخوذة وأنقذت البضاعة». وقد تمّ إنقاذ جميع الركاب بالفعل ولم يمت منهم أحد.

ويقول السيد حسن صالح شهاب في كتابه «العبادل»[١]: وراجت في عدن إشاعة بأن جنوح السفينة كان متعمّداً.. ووصل خبرها إلى الكابتن هينس برسالة بعثها مترجمه ووكيله الملا جعفر. ورفع الكابتن هينس تقريراً مطولاً إلى حكومة بومبي في الهند.

وقد نقل الدكتور سلطان القاسمي تقرير الكابتن هينس الذي رفعه إلى سير تشارلز مالكوم مدير البحرية الهندية بتاريخ ٦ يوليه ١٨٣٧م، وفيه[٢]:

«يشرفني أن أعلمكم أنه لدى وجودي في عدن خلال شهر أبريل (١٨٣٧م) تبيّنت أن البضاعة التي تمّت استعادتها من السفينة المحطّمة «دريا دولت» التي تحمل العلم الإنجليزي والعائدة إلى مدراس كانت مطروحة في السوق بأقل من ثلث ثمنها. لذلك فقد بادرت بإبلاغ سلطان لحج وعدن بأن البضاعة والسفينة بريطانية، وسألته أن يقوم برعاية البضاعة المستعادة حتى تُتَّخذ الترتيبات من قبل السلطات في الهند. أبلغته كذلك بأنني كنتُ مقتنعاً بأن

(١) حسن شهاب، العبادل، ص ٢١.

(٢) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ١٥٤ وما بعدها.

الحكومة البريطانية سوف تحتاج منه إلى توضيح خاص حول سلب وإساءة معاملة الأشخاص المنكوبين. كان جوابه إنه لم يسئ معاملتهم، وأنه لم يستعد أي بضاعة، بل إنه ناشدني زيارته في لحج ليشرح الظروف بكاملها. كان جوابي الرفض (وهو تعنّت واضح ووقاحة من الكابتن هينس) مبيّناً له إن واجبات تحول بيني وبين مثل هذه الزيارة البعيدة. وأنني أردت في المقام الأول أن أشير إلى الغلط الذي تمّ اقتياده إليه، وأن ما كان متوقعاً من حليف صديق كان سلوكاً مختلفاً تماماً.

«عند ذلك أرسل حاكم عدن (الوالي على عدن من قبل السلطان) ليشرح الأمور، وتبيّنت أن كل جزءٍ منها كان باطلاً، وذلك ما أوضحته له (لأن هناك نيّة مبيّتة باستغلال الحادثة لاحتلال عدن). عرض عليّ في آخر الأمر مراسيها وسلسلتها وكوابلها.. إلخ. وذلك ما رفضت تسلُّمه قائلاً بأنه ليست لديّ سلطة للتصرف بهذا الشأن. غير أنني اقترحت مرّة أخرى، إذا كانوا يقدّرون صداقة البريطانيين، أن يقوموا على الأقل بصون البضاعة لمالكيها الحقيقيين الذين سيقومون دون شك بتعويضهم عن التعب والجهد المبذول».

قام **الأدميرال سير تشارلز مالكوم بإرسال رسالة إلى حاكم بومبي سير روبرت جرانت** ومرفقاً بها رسالة الكابتن هينس في ٣١ يوليه ١٨٣٧م، وقال فيها: «**فإن جميع البضائع قد أصبحت غنيمة لسلطان لحج أو شعبه. لقد كان سلوك هذا السلطان سلوك لصّ بربري على طول الخط**».

الواقع والذي يشهد عليه التاريخ البريطاني كله أنه لا يوجد أمة في التاريخ أشدّ مراوغة من هذه الأمة التي أقامت مجدها على اللصوصيّة والقرصنة، فقبل (الأرمادا) كم عانت السفن الإسبانية التي كانت تعود محمّلة بالذهب من أمريكا الوسطى والجنوبية، وكم تعرّضت للسطو والنهب والقرصنة، حتى اضطرت إسبانيا للدخول ضدها في معركة رهيبة هي الأرمادا سنة ١٥٨٨م،

والتي خسرتها إسبانيا وبالتالي ازداد عتوّ الإنجليز.. وماذا فعلوا بالهنود الحمر عندما دخلوا إلى أمريكا الشمالية، وكيف كانوا يكذبون عليهم ثم يبيدونهم، واستخدموا معهم البطانيات لمرضى الجدري وأهدوهم إياها، واستكثروا عليهم القتل بالرصاص. وبما أن أمريكا لم تعرف الجدري من قبل فقد انتشر فيها الجدري وقضى على ملايين الهنود الحمر في حرب بيولوجية قذرة قام بها الإنجليز. وكم أقاموا من مذابح في إفريقيا وآسيا وأستراليا. وقد أبادوا أمماً كاملة من الماوري سكان أستراليا ونيوزيلنده.. وهم كانوا أصحاب تجارة الرقيق في إفريقيا وكانوا سادتها وسدنتها، ولكنهم كما هو معتاد من هؤلاء الأوغاد الذين يتهمون الناس باللصوصية والبربرية، وهم هم أهلها وابن بجدتها. وفي الفصل السابق ذكرنا كيف قام القائد الإنجليزي بالاستيلاء على سفن تجارية من الهند وغيرها في ميناء المخا (وذلك قبل استيلاء بريطانيا على الهند) فالقرصنة هي ما اشتهرت به إنجلترا في تاريخها البحري. ولم تقلع عن ذلك إلا بعد أن أصبحت سيّدة البحار ولها مستعمرات في كل القارات، وهو نوع آخر من القرصنة والنهب.

وسننقل فيما يلي ما ذكره الدكتور سلطان القاسمي في كتابه الاحتلال البريطاني لعدن حول تفصيل قضية السفينة دريا دولت مع بعض التوضيحات المحدودة وبعض التعليقات الخفيفة.

«وفيما يلي، كشف بوقائع متعلقة بفقدان السفينة «ديريا دولت» مع تواقيع النوخذا وآخرين نكبوا معها بعد أن كتبه «كوماندر هينس» وبعث به لمدير البحرية الهندية:

«تعود السفينة «دريا دولت» لأحد وجهاء مدراس (للبيجوم بنت أخت نواب مدراس) تم تأجيرها تحت العلم الإنجليزي للذهاب إلى جدة والعودة منها لحاجي الياس مقابل مبلغ ٨٢٥٠ روبية. كانت

شحنتها تتألف من السكر والحرائر والشالات والأقمشة، وأشياء أخرى، و٦٠٠ زجاجة من عطر الورد وأدوات أخرى؛ أخذنا الفلفل، وزيت جوز الهند والأقمشة مع عدد كبير من الركاب بعضهم كانوا من العلية مع عائلاتهم. وصلنا سالمين إلى كوتشين[١] ونقلنا مزيداً من بالات الأقمشة. ثم أبحرنا متوجهين إلى البحر الأحمر. في الرابع عشر من يناير **الساعة الثالثة صباحاً ارتطمنا بالشاطئ في غبة سيلان**. عند طلوع الفجر كنا محاطين بالبدو من عدن الذين أخذوا قواربنا وصعدوا إلى ظهر السفينة حيث بدأ مشهد السلب وطردت النساء إلى ظهر السفينة بينما تم نهب الصناديق والحقائب، ثم بعد ذلك سمح لهن بالذهاب معي على طوف صنعناه لإنقاذ أنفسنا. عندما اقتربنا من الشاطئ قبض عليّ مع الآخرين حيث تم تغطيسنا عدة مرات تحت الماء، ثم جرّدنا من ملابسنا بالكامل، عوملت النساء بنفس الأسلوب فيما يتعلق بالثياب، لكنهن تعرضن لأشد الإهانات المثيرة للاشمئزاز وتم تفتيشهن بمنتهى الفظاعة للتأكد فيما إذا كنّ قد خبأن أموالاً أو مجوهرات، ولم يحل دون خطف بعض الجميلات منهنّ إلّا تدخل الشيخ (السيد زين العيدروس). وبعد تأكدهم بأنه لم يعد معنا شيء تم طردنا وتوجهنا جميعاً رجالاً ونساءً إلى عدن ونحن عراة[٢]، حيث أعطينا قطعة قماش خشنة تغطي الخصر فقط بمساعي من **الشيخ السيد زين العيدروس**، وكذلك بعض الطعام. لقد كان من حسن الحظ أن بغلة[٣] ترفع العلم الإنكليزي تعود للسيد عبدالله صفر كانت راسية هناك بعد قدومها من بومبي. شعر بالعطف تجاهنا فقدم لنا الطعام ونقلنا إلى المخا.

(١) ميناء مهم في الساحل الغربي للهند فيما يسمى المالليبار.
(٢) هذا كذب واضح، فقد أعطيت النساء ثياباً كاملة، بينما أعطي الرجال (الفوط) وهي الأزر (جمع إزار) وتغطي ما بين السرة إلى الركبة، وهو لباس أهل عدن ولحج.
(٣) البغلة: نوع من السفن التجارية الشراعية.

قبل مغادرة عدن وبعد أن وصل إلى علم السلطان أنني على ظهر البغلة بعث عدداً من البدو حيث صعدوا البغلة وأنزلوني إلى الشاطئ وأجبروني، تحت التهديد بالموت، على توقيع ورقة بأنه لم يسئ معاملتنا. إنني حرصاً على إنقاذ حياتي ولكي أنجو من بين أيديهم اضطررت للتوقيع على شيء ليس بصحيح. (وهذه الادعاءات من الناخوذة تمّت بإغراء وضغط من الكابتن هينس).

وصلتُ إلى المخا سالماً، حيث قابلني القائم بأعمال المعتمد السابق عبدالرسول الذي زودني برجل ليأخذني إلى المعتمد. عند وصولي أمرت بالعودة في الغد، فعلت ذلك، وقد أعطاني دولاراً لشراء طعام لي وللبحارة، وسألني إذا كان لدي شهود لإثبات ما ذكرته، وأخذ إفاداتهم. بعد ذلك أعطاني دولارين آخرين. هذه المبالغ لم تكن كافية لي وللبحارة، وقد اضطررنا أن نشحذ في كثير من الأيام وذلك ما فعلنا حتى قام «دواراكا» البانيان بإطعامنا وتأمين سفرنا إلى جدة لمقابلة قبطان سفينة الحكومة هناك. لدى وصولي إلى جدة كانت السفينة «الفرات» قد غادرت المخا، لذلك فقد عدت مرة ثانية إلى المخا على ظهر السفينة «زكريا» التي عطف قبطانها علي وعلى بعض رجالي، كما قدم لي بعض المعارف ثياباً.

كانت السفينة قيِّمة، وأعتقد أنه كان عليها ما قيمته لكّين[1] من البضائع يشهد على صحة ذلك:

سيد نور الدين حاجي مبارك

حامد بن سالم بقجي حيدر بن عالجي سيد محمد عمر بن عبدالنبي».

(١) اللك = ١٠٠ ألف، وهو مبلغ مبالغ فيه جدًّا. وقد قدّرها هينس باثني عشر ألف ريال فقط. وهذا يوضح أن هؤلاء الشهود كانوا يكذبون تحت إغراء وتهديد الكابتن هينس.

مع بداية شهر أغسطس سنة ١٨٣٧م في بومبي قدمت حكومة الهند كلًّا من مير محمد مستري وسيد طيب بن عبدالنبي وسيد نور الدين بن جمال إلى القاضي «إدوارد إيدن إيليوت» «Edward Eden Elliot» وهو واحد من قضاة ملك بريطانيا في مدينة بومبي، وجاء في شهادة مير محمد مستري بتاريخ ٣ أغسطس ١٨٣٧م أن العرب قد جردوه من ثيابه لدى خروجه من الماء. أما شهادة سيد طيب بن عبد النبي التاجر من سنغافورة فجاء فيها أن العرب قد هاجموه وأخذوا ملابسه. كما ذكر أنه شاهد بضاعة السفينة «دريا دولت» في دار الجمارك، **وقد علم أن ثلث البضاعة ستعطى لمسؤول البضاعة وأن السلطان سيأخذ الباقي. أما سيد نور الدين بن جمال بن كولومبو وهو المسؤول عن السفينة «دريا دولت» من قبل البيجم أحمد دنيا والدة نواب مدراس، فقد ذكر أن العرب** قد أخذوا ألبستهم، كما ذكر أن البضاعة قد قسمت **إلى ثلاثة أنصبة أخذ مسؤول الشحنة أحمد أبو خضر نصيباً واحداً وحاكم عدن** نصيبين، أما اللوازم والمؤن فأخذها سلطان لحج، ورفعت تلك الإفادات إلى «سير روبرت غرانت» حاكم بومبي.

حيازة ميناء عدن مقابل الإهانة (حسب زعمهم)

ما **إن استلم حاكم بومبي «سير روبرت غرانت»** الإفادات السابقة حتى أصدر بعد أيام قلائل وبتاريخ ١٤ **أغسطس ١٨٣٧م مذكرة موقعاً عليها من قبل القائد الأعلى للبحرية جاء فيها:**

«إن الاعتداء المخزي الذي تم ارتكابه من قبل سلطات عدن بحق أشخاص وأموال أفراد يبحرون في ظل العلم البريطاني ولهم الحق في الحماية البريطانية يتطلب إنذاراً فوريًّا وثأريًّا فعالاً. يتوجب إرسال هذه الأوراق إلى حكومة الهند على الفور، وإذا لم يتم لنا الحصول على الاعتذار الكافي فيتوجب علينا طلب الترخيص بفرض مطلبنا».

وبتاريخ **١٧ أغسطس ١٨٣٧م بعث «السير روبرت غرانت» حاكم بومبي برسالة للرئيس «سير جيمس كارناك» «Sir James Carnac» رئيس مجلس إدارة شركة الهند الشرقية يقترح فيها احتلال عدن** ويوضح أهداف وأسباب ذلك الاحتلال:

«وسوف أضيف فقط بأننا إذا لم نجعل من أنفسنا سادة وملاك لعدن فيجب على الأقل ألا نضيع الفرصة الحالية المتاحة لنا، والتي سنحت نتيجة المعاملة الجسيمة والشائنة التي تعرضت لها سفينة تبحر في ظل العلم البريطاني من قبل سلطان تافه في هذا المكان، فنقوم بإذلال ذلك اللص وإجباره على القبول بتأسيس مستودع فحم في مينائه بشروط ميسّرة».

كما أرسل «السير روبرت غرانت» حاكم بومبي بتاريخ ١٧ أغسطس ١٨٣٧م برسالة إلى «سير جون هوبهاوس» «Sir John Hobhouse» رئيس **مجلس الرقابة[(١)]، يرغّب الحكومة البريطانية في احتلال عدن ويعرض الفوائد التي يمكن جنيها من ذلك الموقع،** جاء في الرسالة:

«**إن أحسن ميناء بين بومبي والسويس، والأكثر ملاءمة من جهة الموقع هو عدن**. إنها تقع على مسافة ٦٠ ميلاً من مضايق باب المندب، وفيها مرفآن يدعى أحدهما الخليج الخلفي وهو محمي تماماً من الرياح الموسمية الجنوبية الغربية. مدينة عدن صغيرة، والزعيم التافه الذي لا يزيد عن كونه الحاكم الأفاق في المنقطة يقيم في لحج التي تبعد إلى الداخل مسافة ١٦ ميل تقريباً. والشعب ساخط ويقبلون برغبتهم (كما قيل لي) حكومة أية دولة يمكنها أن تحميهم من الظلم».

---

(١) مجلس أسس في الهند مرتبط بوزارة الخارجية البريطانية للسيطرة على شركة الهند الشرقية.

وبعد أن استعرض «غرانت» حادثة السفينة «دريا دولت» في رسالته «لهوبهاوس» كتب ما يلي:

«إن انتهاكاً بهذه الطبيعة الخطرة يستدعي عقوبة على نفس المستوى. ويستحق السلطان التشهير به كقرصان؛ وإنني أتساءل: **ألا يكون ذلك مبرراً كافياً لاحتلال مدينة ومرفأ عدن والاحتفاظ بها. إن مزايا القدرة على تأمين مرفأ آمن ومستودع للفحم لبواخرنا، وفي فتح جديد لتجارة الجزيرة العربية واضحة وعلى جانب كبير من الأهمية.**

لقد أغلق باشا مصر ميناء المخا الآن؛ وعدن ربما تصبح، مع التشجيع الاقتصادي، سوقاً للقهوة والصمغ وأية منتجات أخرى يتم شحنها من المخا حتى الآن، وبصورة خاصة بسبب وضع مرفأ عدن الممتاز بالمقارنة مع مرفأ المخا المفتوح والسيء.

ولن يكون من الصعب جعل عدن محصنة ضد أي هجوم بغرض السلب؛ وأن الوجود المستمر للبواخر المسلحة في البحر الأحمر مع ما تستطيع إبلاغه من معلومات ونقلها بالسفن يجعل العرب المتفككين في رعب ضخم لدرجة يحدّ فيها من احتمال أن يحاولوا القيام بأية أعمال حربية خطيرة.

قد لا يعجب باشا مصر أن نأخذ عدن؛ على الرغم من أنني لا أرى على أي أساس يمكن أن يبني اعتراضه على ذلك[1]؛ لكنه على ارتباطات وثيقة مع الروس والفرنسيين، بحيث يبدو ذلك لي سبباً إضافيًّا لقيامنا بوضع حدّ لتجاوزاته في ما وراء المضائق».

(١) هناك تعهد سابق من بريطانيا لمحمد علي باشا، باعتباره ممثلاً للدولة العثمانية، أن لا تقوم بريطانيا باحتلال عدن، وأنها لم ولن تفكر في ذلك مطلقاً. والإنجليز أشهر الأمم وأعرقها في الكذب والخداع.

كان «**سير روبرت غرانت**» **حاكم بومبي** يحاول أن يحصل على تفويض من الحاكم العام للهند، فقد بعث سكرتير حكومة بومبي برسالة إلى سكرتير الحاكم العام للهند بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٨٣٧م يطلب منه توجيه إنذار فوري والثأر من السلطان محسن وتفويضه حكومة بومبي بغرض المطالبة بالثأر. كما قدم «سير روبرت غرانت» حاكم بومبي لمجلس حكومة بومبي المنعقد في ٢٣ سبتمبر ١٨٣٧م مذكرة يطلب فيها من المجلس أن يتبنى آراءه حول احتلال عدن. من تلك المذكرة نتبين مدى رغبة بريطانيا الملحة لاحتلال عدن لجعلها مستودعاً للفحم ومحطة بحرية وتجارية. جاء في المذكرة ما يلي:

١- إن تأسيس اتصال شهري مع البحر الأحمر بواسطة السفن البخارية، وتشكيل أسطول صغير من السفن البخارية المسلحة يجعل من الضروري بشكل مطلق أن تكون لنا محطة خاصة بنا على ساحل شبه الجزيرة العربية مثل ما لدينا في الخليج الفارسي؛ وقد قادتني الإهانات التي كانت قد وجهت للعلم البريطاني من قبل سلطان عدن[١] إلى تحقيقات لا تدع مجالاً لأي شك في ذهني بأنه يتوجب علينا **حيازة ميناء عدن**.

٢- أقدم للمجلس تقريراً قصيراً نظمه «**الكابتن هينس**» من البحرية الهندية والذي تجعل معرفته القريبة بساحل شبه الجزيرة العربية لآرائه أكبر قيمة؛ ولكن خوفاً من عدم توفر وقت لنسخ هذه الورقة لكي يتم إرسالها مع الباخرة «أتلانتا»، وحيث إنني أرغب في لفت انتباه المجلس الموقر للمسألة دون تأخير، فسوف أعد خلاصة قصيرة حول المزايا التي تؤمنها عدن كمستودع للفحم وكمحطة بحرية وتجارية.

---

(١) لم توجه أي إهانات من قبل السلطان محسن بن فضل للعلم البريطاني. وهذا كذب صريح.

٣- **رأس عدن عبارة عن نتوء صخري مرتفع** ويكاد أن يكون جزيرة، حيث إن الاتصال مع البر الأصلي **لا يزيد عن شريط ضيق** من الأرض يغطّى بكامله تقريباً أثناء المد الربيعي، وحيث يمكن لحصن واحد وعدد قليل من الرجال الدفاع عنها ضد أي هجوم. تقع قرية عدن على الشاطئ الشرقي، وهي محاطة بمدرج من الجبال الشامخة، معرضة للهجوم من نقطة واحدة فقط لجهة البحر حيث يحتاج الأمر لحصن صغير. توجد جزيرة مقابلة لعدن وتسيطر عليها وهي بطول ١٢٠٠ ياردة وعرض ٧٠٠ ياردة وارتفاع ٤٠٠ قدم (وهي جزيرة صيرة) ويمكن بناء ثكنات لإيواء فصيلة من القوات. هناك بقايا لحوض ما زالت بادية للعيان، وفي الجزء الشمالي حيث تقوم القوارب بالتفريغ كان يوجد رصيف ينتهي هناك وكان عليه موقع مدفعية مؤلف من **٥ أو ٦ مدافع أصبح الآن حطاماً. ماء عدن عذب ومناخها صحي.**

٤- **مرفأ عدن ممتاز**، والخرائب الكبيرة الممتدة تثبت أنها كانت عظيمة الأهمية في وقت من الأوقات. وبإدارة جديدة يمكنها أن تصبح ميناء التصدير للقهوة والصمغ والبهارات من الجزيرة العربية مرة أخرى، كذلك يمكن أن تصبح القناة التي من خلالها يمكن أن تنتشر منتوجات إنكلترا والهند باتجاه المقاطعات الغنية في اليمن وحضرموت. كذلك يمكن للتجارة مع ساحل إفريقيا أن تصب في سوق عدن، **وباشا مصر يعلم تماماً قيمة عدن لدرجة أنه أعرب عن نواياه في إلحاقها بممتلكاته.**

٥- **وكمستودع فحم لا يوجد مكان على الساحل يحمل من المزايا ما تحمله. إنها تتوسط المسافة بين بومبي والسويس، ويمكن للبواخر أن تدخل إلى الخليج الخلفي خلال الليل، وأن تحمل وتفرغ في جميع الفصول بأمان تام.**

٦- **زعيم عدن الحالي رجل قاس وجشع**، مخادع بربري وغير مضياف، والانتهاك الصارخ والمغامر الذي ارتكبه ضد أشخاص وأملاك أناس يتمتعون

بالحماية البريطانية يتطلب عقوبة رادعة؛ لكن «الكابتن هينس» يؤكد لي أنه لو كانت المسألة غير ذلك فإن الزعيم والسكان كانوا وضعوا أنفسهم بسرور تحت سلطة الشركة الموقرة كي **تحميهم من الخضوع لباشا مصر**.

٧- من الضروري الإضافة أن الأمريكيين يبذلون كل جهد للحصول على موطئ قدم على أو بالقرب من مضائق باب المندب، وأن عدن أو جزيرة سقطرة يمكن أن تكون ملائمة لأغراضهم، لكن عدن بشكل خاص - نظراً لأنها تحوز على كل المزايا فضلاً عن غياب المناخ القاتل الذي يطبع سقطرة بطابعه. والأمريكيون، كما يقول «الكابتن هينس»، قد نجحوا فعلاً في عرض بضائعهم القطنية في سوق المخا مقابل ٣ بالمائة في الوقت الذي يتم تقاضي ٧ بالمائة على جميع الأقطان البريطانية، وبذلك فقد تمكنوا من البيع بأسعار أقل من أسعار التجار البريطانيين. لقد احتج «الكابتن هينس» بشكل مناسب جدًّا ضد الظلم الواقع نتيجة للتمييز لدى باشا المخا الذي أبدى أسفه قائلاً بأنه ليس من سلطته تعديل الرسوم. إنني أشير لهذه الحادثة من أجل أن ألفت انتباه المجلس الموقر إليها فقط.

٨- إذا تبنّى المجلس آرائي فإنني أقترح إرسال هذه المذكرة بواسطة «أتلانتا» إلى اللجنة السرية، وأن نطلب الإذن باحتلال رأس عدن. يجب أن ترسل نسخة إلى حكومة الهند، وأملنا واضح أنه نظراً للخطر الناجم عن التأخير، فإن الحاكم العام في المجلس سوف يخوّلنا وضع الخطة موضع التنفيذ فوراً».

كان رد «جيمس فاريش» «James Farish» عضو مجلس حكومة بومبي المؤرخ في ٢٥ سبتمبر **١٨٣٧م على مذكرة حاكم بومبي هو التأكد من عدم الاصطدام مع المصريين، حيث إن ذلك قد يكون ضارًّا لخط السفن البخارية التي تمر في مناطق تحت النفوذ المصري.**

لكن حاكم بومبي «سير روبرت غرانت» قدم مذكرة أخرى رداً على العضو جيمس فاريش بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٨٣٧م جاء فيها:

«يعبّر السيد «فاريش» في مذكرته عن الخشية من أننا قد نصطدم مع إبراهيم باشا ونغضب محمد علي بحيازتنا لذلك الميناء. فإذا ما أخّرنا القيام بذلك ستصبح هذه المسألة هي بدون شك. إذ بعد غزو صنعاء أصبح من الشائع بأن إبراهيم ينوي مهاجمة عدن؛ لكنه لا يملك في الوقت الحالي الحق ولا الحجة كي يعترض على أية إجراءات يمكن أن نعتقد أن من الصواب أن نتخذها بمواجهة زعيم عدن، وأنه سوف يكون عليه أن يتدخل لحماية أي بربري قد يسلب واحدة من سفننا ويعتدي على أشخاص رعايانا على ساحل باب المندب.

وعلى كل حال، إذا سمحنا للعلم المصري أن يرتفع مرة فوق عدن، فسوف نكون تحت رحمة محمد علي باشا».

استطاع «سير روبرت غرانت» أن يقنع جميع أعضاء حكومة بومبي بفكرته المتسلطة، أما رد الحاكم العام للهند فقد جاء أخبث من الجميع وعلى أساسه بنيت الخطة. فبتاريخ ١٦ أكتوبر ١٨٣٧م بعث سكرتير الحاكم العام للهند إلى السكرتير الرئيسي لحكومة بومبي، بالرد التالي:

«رغب إليَّ من قبل صاحب الفخامة حاكم الهند العام في المجلس أن أشعركم باستلام رسالتيكم المؤرختين في ١٥ و٢٧ من الشهر الفائت، الأولى منها تحمل نسخ وثائق تتعلق بغرق سفينة تدعى «دريا دولت» كانت قد أبحرت تحت العلم البريطاني وتحطمت قرب ميناء عدن، حيث نهبت وتعرض بحارتها والمسافرون على متنها لمعاملة سيئة من قبل سلطان ذلك البلد، وتقترح الأعمال التي يجب تبنيها نتيجة ما حدث.

جواباً على ذلك، فقد وجهت للتوضيح أنه من رأي **الحاكم العام في المجلس أنه لن يكون من الملائم أو المناسب الاستيلاء على مدينة عدن والنتوء الصخري البارز لعدن بحجة نهب السفينة «دريا دولت»، حتى لو كان هذا** الانتهاك قد اعتبر خطراً بدرجة كافية، وذلك بسبب الاحتمال في أن يؤدي بنا هذا العمل إلى الصدام مع المصريين أو القوى العربية. إن رأي فخامته في المجلس هو أن تتم أولاً مطالبة سلطان عدن بترضية مقابل هذا الاعتداء. فإذا تمت الاستجابة يمكن إجراء ترتيبات ودية معه بخصوص احتلال هذا الميناء لجعله مستودعاً للفحم والمرفأ كملجأ. فإذا انتهى الأمر بالرفض، يمكن أن نضع في الاعتبار اتخاذ إجراءات إضافية حيث يتم جمع المعلومات، في نفس الوقت، حول الأوضاع السياسية لعدن والبلاد المجاورة».

على أثر ذلك القرار الصادر من الحاكم العام للهند والمتضمن اتخاذ إجراءات جمع المعلومات عن الأوضاع السياسية لعدن وما جاورها لترتيب احتلالها بالقوة إذا رفض السلطان احتلال ميناء عدن بالترتيبات الودية، فقد صدرت الأوامر بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٨٣٧م إلى مدير البحرية الهندية بأن يقوم بإصدار تعليماته «للكوماندر هينس» **بالتوجه إلى عدن** حاملاً رسالة حاكم بومبي إلى **السلطان محسن سلطان لحج وتكليف «كوماندر هينس» بالمطالبة بالحصول على مستودع للفحم في عدن،** جاء ذلك فيما يلي:

«قد أمرت من قبل فخامة الحاكم في المجلس أن أرجو قيامكم بإصدار تعليمات فورية «للكوماندر هينس» من البحرية الهندية كي يهيء نفسه للتوجه إلى عدن على الباخرة «بيرنيس» بغرض تقديم مطالبة سلطان ذلك البلد رسميًّا بالتعويض عن الاعتداءات المرتكبة في الحادثة المشار إليها أعلاه وإعادة الشحنة أو قيمتها.

في حال عدم قيام السلطان بتلبية هذا المطلب العادل يتوجب على «الكوماندر هينس» العودة إلى الإقليم بواسطة الباخرة «بيرنيس» في رحلة عودتها.

يرجى منكم توجيه ذلك الضابط كي يبذل أقصى المحاولات للتوصل إلى تسوية ودية حول هذا المطلب.

من دواعي سرور الحاكم في المجلس كذلك، أن يوجه بأن يوعز «للكوماندر هينس» بأن يحرص على أن يبقي نصب عينيه (أثناء مفاوضاته مع السلطان) الهدف المرغوب فيه بالحصول على الموافقة على تأسيسنا مستودعاً للفحم في عدن».

في بداية ديسمبر ١٨٣٧م ركب «كوماندر هينس» الباخرة «بيرنيس» المتجهة إلى البحر الأحمر على أن تنزله في عدن، **وحمل معه رسالة من حاكم بومبي للسلطان وهدايا له ولأبنائه وللزعماء الآخرين، ورافقه في تلك الرحلة المترجم ملا جعفر**. وصدرت الأوامر للسفينة «كوت» بأن تتوجه إلى عدن فوراً لتقديم العون «لكوماندر هينس»، وكذلك لاستقباله على متنها. وقد صدرت إليه الأوامر قبل رحيله بأن لا يكتفي بالمطالبة برأس عدن كمستودع للفحم فقط، وإنما يطالب بمدينة عدن ومرافئها.

كان «**هوبهاوس» رئيس مجلس الرقابة، هو المكلف بكبح جماح «سير روبرت غرانت» حاكم بومبي حتى لا يجلب الضرر للحكومة البريطانية من جراء تصرفاته الطائشة في مسألة كهذه، فقد كتب «هوبهاوس» «لغرانت» في الأول من ديسمبر ١٨٣٧م حول مسألة عدن ما يلي:**

«وإن الانتقال من مسألة السفن البخارية إلى إثارة الرأي العام، وفيما يتعلق بالمصادقة عليها، فإنني لا أهتم كثيراً بالمسألة حتى يقوموا بشيء يصبح لديكم بموجبه حق قانوني للنزاع» (وهو اعتراف واضح بأن قصة دريا دولت ليست عذراً كافياً لاحتلال عدن).

خطاب السلطان محسن فضل حول قضية السفينة إلى حكومة بومبي:

وصل «كوماندر هينس» إلى عدن واجتمع مع السلطان محسن. وقدم «هينس» طلباته. فكان السلطان محسن ذكياً، أيقن اللعبة التي كانت تلعبها بريطانيا، فقام بتلبية طلبات «هينس» حتى لا يدع له فرصة من خلال موضوع السفينة «دريا دولت» للاستيلاء على عدن. وقد قام السلطان بإرسال رسالة لحكام بومبي تبين مدى الافتراءات التي ابتدعها «كوماندر هينس» حول موضوع حادثة السفينة «دريا دولت»، ومنهياً بذلك موضوع تلك السفينة. جاء في رسالة السلطان المؤرخة بتاريخ ١٥ يناير ١٨٣٨م ما يلي:

«تم استلام خطابكم الذي عهدتم به «للكوماندر هينس»، وعلم مضمون الرسالة الشفهية التي نقلها ذلك الضابط.

وفيما يتعلق بطلبكم حول وجوب إعادتنا للبضائع التي زعم بأنها قد سلبت من مركب تحطم خارج عدن أو دفع ثمنها في حالة ما إذا كان من غير الممكن استعادتها، نودّ القول بأنه طبقاً للمعاهدة الموقعة بيننا وبين حكومتكم فإن أصدقاءنا وأعداءنا، هم كذلك بالنسبة لكم، إننا لم نسلب السفينة كما لم نسلب بضائعها، ويحدث غالباً أنه حينما تتحطم بغلة أو سفينة في أي ميناء، سواء كان يعود للهند أو للجزيرة العربية، فإن البضائع والمتاع وأرواح من عليها تفقد، ولم يتم حتى الآن استلام أي شيء من الحاكم أو زعيم المنطقة.

في اليوم الذي وصلنا فيه نبأ تحطم المركب الذي وقع على مسافة من الشاطئ، فإننا، حرصاً منا على سلامة أرواح من عليها، بعثنا بابننا إلى هناك. لقد استأجر النوخذا والتجار والسيد زين العيدروس بملء رغبتهم قوارب تعود لأشخاص من صور والصومال، واتفقوا معهم على أن يعطوهم ثلث البضاعة التي تم إنقاذها. كما أن قارباً قد أرسل

من جانبنا بغرض إيصال الرجال الموجودين على متنها إلى برّ الأمان حيث تبيّن على كل حال، أنهم قد ذهبوا قبل ذلك، لذلك فقد عاد ولدنا إلى عدن.

كان النوخذا والسيد زين العيدروس قد أخبرا ولدنا بأن البضائع التي يمكن استعادتها يجب أن تقسم إلى ثلاثة أجزاء متساوية، يعطى جزء منها للمالك وجزء ثان لأصحاب القوارب والجزء المتبقى إليه (ولدنا) إذا ما تولى أمر البضاعة.

وقد ردّ لنا بأن عليهما (النوخذا والسيد زين العيدروس) تولي أمر مركبهما وبضائعهما بنفسيهما، وأنه ليس من شأنه التدخل، فردّا على ذلك القول بأن العرض المقدم من قبلهما كان بمحض إرادتهما وليس نابعاً عن أي ضغط. عندها قال ولدنا إنه إذا كانت تلك رغبتهما فيجب عليهما إعطاءه رقعة بهذا المعنى، حيث تمت الكتابة طبقاً لذلك وخُتمت ووُقّعت من قبل علوي ابن السيد زين العيدروس والنوخذا.

لقد جاء «الكوماندر هينس» بالخطاب (المذكور أعلاه)، وطلب إلينا باسم الحكومة أن ندفع مبلغ ١٢٠٠٠ ريال (كراون ألماني). وقد قلنا بأن هذا لن يحدث. وأن مبادئ العدل يجب أن تشكل الأساس في تصرف الفرد. لكنه أجاب بشكل سلبي عندما قلنا بأن هذه الرقعة، (ونعني) المشار إليها أعلاه، قد كتبت من قبل ابن العيدروس ووضع ختمه عليها وأنها تحمل أيضاً علامة النوخذا، فقد قال «الكوماندر هينس» بأنه لا يطلب أي شيء سوى مبلغ الـ ١٢٠٠٠ ريال، فأخبرناه بأنه يتوجب عليه استعادة الجزء الثالث من قسمة البضائع الذي أعطي لنا، وأنه بالنسبة لقاربنا والقارب المستأجر فإننا لن نعصي أوامر الحكومة. لكنه عبّر عن تصميمه على عدم أخذ أي شيء سوى

الـ١٢٠٠٠ ريال، مضيفاً بأنه يمكنه، على كل حال، أن يستلم منا البضائع كما تمت استعادتها مع دفع قيمة ما تبقى.

كان نواخذة القوارب العائدون لصور وأناس آخرون يتوسطون بيننا وبين «الكوماندر هينس» الذي لم يوافق على اقتراحنا وأصر على استعادة مبلغ ١٢٠٠٠ ريال منا، إما بإجراءات محددة أو بإجراءات قسرية.

وقد قلنا بأننا على استعداد لانصياع لأوامر الحكومة (البريطانية) ولكننا سوف نكتب للحكومة ونرسل مندوباً. **وقد رد «الكوماندر هينس» على ذلك بقوله إنه هو نفسه الحكومة.**

بعد ذلك أطعنا أمر الحكومة وسلمنا البضائع التي كانت لدينا مما يعود للسفينة وما سبق أن أعطي لنا على حساب القوارب المستأجرة والجزء الثالث منها الذي كنا قد وعدنا به حيث بلغ **المجموع ٧٨٠٩ ريالاً،** وعندما طلب الباقي أعطيناه (الكوماندر) **كمبيالة بمبلغ ٤١٩١ ريالاً** تستحق بعد عام. إننا لم نكسب شيئاً من المسألة. بعد ذلك تم إعلامنا بأن نيّتكم هي أن ترفعوا العلم البريطاني في عدن والتواهي وممارسة التجارة. وقد سألنا **عند ذلك عن الطريقة، وفيما إذا كانت مماثلة لما كان قائماً بين السلطان أحمد بن عبد الكريم وبين الشركة الموقرة، فأجاب سلباً، وأضاف بأن الأرض يجب أن تكون لنا وأن الموانئ يجب أن تكون للبريطانيين. فليكن معلوماً لسعادتكم يا سيدي أن هناك مثلاً عربياً يقول: دع الجسد يحترق ولا تدع الوطن ينخرق. من الأفضل أن يبيع الواحد أمه على أن يقوم بذلك لأنه يقطع عنه ملاذه ويجرده من كرامته.**

لقد قامت بيننا وبين سعادتكم صداقة ومعاهدات منذ وقت طويل وسوف تستمر كذلك، وطوال ٤٥ عاماً لم نتعرض لأي شر من جانبكم ولا تعرضتم أنتم لشيء مماثل من جانبنا.

إذا كان لسعادتكم أي شأن في عدن سواء لمدة طويلة أو قصيرة، فإن موانئكم وموانئنا نفس الشيء، فنحن وإياكم متماثلان، أصدقاؤنا أصدقاؤكم، وأعداؤنا أعداؤكم، ويجب أن تعيشوا تحت علمكم ونحن نعيش تحت علمنا.. ومثل هذا الترتيب يمكن الدخول فيه، إننا لن نفعل أي شيء سيء لكم ولا أنتم لنا، وكل واحد يمكنه العيش على موارده واسمه.

وإذا ما حاول أعداؤنا الاعتداء علينا، سواء عن طريق البحر أو البر، فسوف نتوكل على الله ثم عليكم، لأن العداوة البادية من القبائل المحيطة بنا سوف تزداد وسوف لن نخشاهم إذا حافظتم على الاتحاد معنا وتصرفتم بالتعاون معنا.

وفيما يتعلق بمبلغ الـ ٤١٩١ ريال فسوف يكون أفضل لو أعدتم جزءاً لأن الكمبيالة لا تنسجم مع مبادئ العدالة».

وهكذا بيّن السلطان محسن حقيقة ما حدث وقدم «لكوماندر هينس» كل المطالب التي أتى من أجلها إلّا عدن.

التعليق على قصة السفينة دريا دولت

(١) يتضح أن قصة غرق السفينة دريا دولت في (غبة سيلان) في ساحل أبْين بالقرب من عدن قد يكون أمراً دبرته بعض العناصر الحريصة على افتعال أزمة تستطيع بواسطتها أن تحتل عدن لحساب حكومة بومبي. وقد كان حرص الكابتن هينس على احتلال عدن شديداً جدًّا، وحماسه لذلك يفوق كل تصور، فهو يراها أفضل ميناء يصلح لرسوّ السفن والتموّن على طول الخط من البحر الأحمر (السويس) إلى الهند. وهي كذلك. ويمكن حمايتها بسهولة لأنها محصّنة طبيعيًّا. ويمكن كذلك أن تحلّ محلّ المخا وتتفوق عليها من الناحية التجارية. كما أن أهمية عدن الإستراتيجية وصدّ أي محاولة من الفرنسيين أو الأمريكان أو

محمد علي باشا في الاقتراب من المصالح البريطانية في الهند وفي البلاد العربية عامل أساسي في الهجوم على عدن واحتلالها.

(٢) **إن حكومة بومبي وحكومة الهند نفسها منقسمة،** فالسير روبرت جرانت حاكم بومبي كان مصرًّا على احتلال عدن لأهميتها البالغة بالنسبة لمستقبل بريطانيا في الهند وفي البلاد العربية وشرق إفريقيا. وقال عنها صراحة: إن أحسن ميناء بين السويس وبومبي هي عدن، وعدّد ميزاتها الكثيرة في رسالته لحاكم الهند (من قبل الحكومة البريطانية في لندن) السير جون هوبهاوس (John Hobhouse) في خطابه المؤرخ ١٧ أغسطس ١٨٣٧م. ولكن الأخير طلب التمهل في الأمر وعدم الاستعجال، ومطالبة سلطان لحج وعدن بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بالسفينة دريا دولت.

وردّ جيمس فاريش (James Farish) على طلبات السير جرانت باحتلال عدن بأن ذلك قد يثير محمد علي باشا وبالتالي يؤثر على خط السفن التجارية التي تمرّ في مناطق تحت النفوذ المصري السويس – جدة – المخا).

(٣) إن حكومة لندن اقتنعت في آخر الأمر بحجج جرانت وهينس وأيدت فكرة احتلال عدن. وكان بالمرستون وزير الخارجية شديد التحمّس لاحتلال عدن. وحذَّر بالفعل محمد علي باشا من التدخل في قضية عدن. وأخبره أن السلطان قد باع عدن بالفعل، وهو أمر لم يحصل سوى بالتزوير.

(٤) **أكد ثلاثة** ممن تولّوا حكم عدن من الإنجليز وصنّفوا كتباً في هذا الموضوع أن قصة دريا دولت مفتعلة. **وأوّلهم سير هيكنبوتم (Sir Hickenbotham) في كتابه عدن** (عمل في عدن منذ سنة ١٩٣١م ثم صار حاكماً لها في عام ١٩٥١م إلى عام ١٩٥٥م). وقد جاء في صفحة (١٢) من الكتاب المذكور أن احتلال عدن سنة ١٨٣٩م بحجة الاستيلاء على بضائع السفينة دريا دولت التي تحمل العلم البريطاني ونهبها من قبل سلطان لحج

وعدن وشعبه، قصة غير محتملة، والواقع أن أهمية موقع عدن لبريطانيا وتسيير سفنها وكونها محطة للتموين وموقعاً تجاريًّا وعسكريًّا مهمًّا في الطريق إلى الهند هو السبب الفعلي لذلك.

وثانيهم هو **جافن** (**R. J. Gavin**) وقد صدر كتابه عام ١٩٧٥م بعنوان: (*Aden Under British Rule* 1839–1967).

وقد ذكر بوضوح أن احتلال عدن كان مقرراً من قِبَل مجموعة محدودة من موظفي حكومة بومبي التابعة لشركة الهند الشرقية، بينما كان يعارضها آخرون في نفس حكومة بومبي وفي حكومة الهند وبالذات المستر هوبهاوس. ولكن المجموعة المتحمسة لاحتلال عدن وهم هينس وغرانت ثم بعد ذلك هوبهاوس وبالمرستون وزير الخارجية البريطاني فرضوا رأيهم على الجميع[١].

وقد ذكر أن احتلال عدن كان متفقاً عليه عند هذه المجموعة قبل حادثة دريا دولت. وقال إن حجة أخذ عدن كميناء ومحطة للسفن التجارية البريطانية والتزود بالفحم حجة غير صحيحة، لأنه يمكن أن تكون عدن محطة للسفن التجارية دون الحاجة لاحتلالها. والسفن البريطانية تتموّن في السويس دون الحاجة لاحتلالها. والموقع التجاري المستقبلي لعدن يمكن أيضاً أن يتحقق دون احتلال عدن، وسلطان لحج حريص جدًّا على إعطاء بريطانيا مكاناً للوكالة التجارية، وحريص على العلاقات الحسنة معها. ولكن هذه المجموعة كانت تنظر إلى موقع عدن لحماية الهند من أي تغلغل من فرنسا في هذه المنطقة، وكذلك تدخل الولايات المتحدة الأمريكية ونشاطها التجاري الذي توسّع في المخا واتصل إلى المكلا والشحر ومسقط. كما كانوا يخشون من توسّع محمد علي باشا وطموحاته في الاستيلاء على كامل جزيرة العرب، وخاصة بعد أن استولى على

(١) R. J. Gavin: *Aden Under British Rule* (1839 – 1967), London, Hurst & Company 1975, pp. 36 – 38.

الحجاز ونجد وعسير واليمن والسودان وأرتيريا وجزء من الحبشة والصومال. وكان يطمع في احتلال عدن والمكلا والشحر ومسقط[(١)].

لهذه الأسباب الحقيقية احتلت بريطانيا عدن وتعلّلت بقصة دريا دولت ورغم ذلك قام سلطان لحج بالموافقة على جمع البضائع من السوق وسلّم ثمنها وهو ٧٨٠٩ ريالات للكابتن هينس، وكتب بالباقي كمبيالة بمبلغ ٤١٩١ ريالاً ستدفع بعد عام. وبذلك لم تعد قصة دريا دولت حجة لاحتلال عدن.

وفي نهاية الفصل (ص ٣٨) قال: «**إن احتلال عدن كان أمراً محرجاً ومربكاً للكثيرين (Embarrassment)، ولكثيرين كانت عدن منفى للموظفين غير المرضي عنهم**»[(٢)].

وثالثهم هو **توم ليتل (Tom Little)** في كتابه (*South Arabia Arena of Conflict*) الذي نشره في عام ١٩٦٨ وقد كان حاكماً لعدن إلى ما قبل الاستقلال. واعتبر أن قصة دريا دولت ليست إلا عذراً لاحتلال عدن (ص ١٠).

وأكد ذلك أيضاً **الكابتن جراهام (J. Graham)** في كتابه: (***Great Britain in the Indian Ocean*** (Oxford,1967). حيث ذكر أن بريطانيا كانت محتاجة إلى مالطة جديدة في الشرق الأوسط وليس مجرد محطة لتخزين الفحم، أو رصيف لترميم وتموين السفن، وأنهم في حاجة إلى قاعدة تأوي إليها سفنهم لتكون على أهبة الاستعداد التام وعلى مقربة من ساحة الصراع إذا قضت أزمة ما بإلحاق الضرر بمصالح بريطانيا وتجارتها الشرقية[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) كما ينقله أحمد محمد بن بريك في كتابه «اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر (١٩٦٩ – ١٩١٤)»، إصدار دار الثقافة العربية الشارقة وجامعة عدن، ص ٧٣ – ٧٤.

وأهم من هؤلاء جميعاً رأي **الحاكم العام للهند (السيد هوبهاوس) (Hobhouse)** وردّه على رسائل روبرت جرانت رئيس حكومة بومبي، وقد قال ما نصّه: «**إنه لن يكون من الملائم أو المناسب الاستيلاء على مدينة عدن والنتوء الصخري البارز لعدن، بحجة نهب السفينة «دريا دولت»**، حتى لو كان هذا الانتهاك قد اعتبر خطراً بدرجة كافية. وذلك بسبب الاحتمال في أن يؤدي بنا هذا إلى الصدام مع المصريين أو القوى العربية».

ولهذا اقترح الحاكم العام للهند أن تتم مطالبة سلطان عدن بترضية مقابل هذا الاعتداء، فإذا تمت الاستجابة يمكن إجراء ترتيبات وديّة معه بخصوص احتلال هذا الميناء. أما إذا رفض فيمكن اتخاذ إجراءات إضافية حيث يتم جمع المعلومات حول الأوضاع السياسية لعدن والبلاد المجاورة. وكان حذراً حتى في حالة رفض السلطان دفع التعويض في الإذن مباشرة باحتلال عدن لأنه يحسب حساب محمد علي باشا والفرنسيين والأمريكيين المنافسين في المنطقة.

وهكذا فشلت خطة هينس وجرانت ومن وافقهما في الهجوم المباشر على عدن بحجة نهب السفينة دريا دولت التي كانت تحمل العلم البريطاني، والتي تحطمت في غُبّة سيلان في ساحل أبْين بالقرب من عدن.

الخطة الجديدة

توجه الكابتن هينس إلى عدن وطالبه بدفع ١٢,٠٠٠ ريال (دولار) كتعويض عن ما حدث للسفينة دريا دولت. وحاول السلطان محسن توضيح موقفه، ولكنه عرف المخطط فاضطر للموافقة على دفع المبلغ. وتم جمع ٧٨٠٩ ريالات واعتبر الباقي ديناً يجب دفعه بعد عام، وكتب كمبيالة بذلك المبلغ المتبقي وهو ٤١٩٠ ريالاً، وبذلك أبطل السلطان حجة دريا دولت في احتلال عدن.

ولم يبق للكابتن هينس سوى الإغراء والمراوغة حتى يكتب السلطان على نفسه صكًّا ببيع عدن للإنجليز وترك له أن يحدّد المبلغ الذي يريده. وقد رفض السلطان ذلك بشدّة. وكتب السلطان برسالة إلى حاكم بومبي السير جرانت يوضح له استعداده لتأجير محطة للفحم لبريطانيا، وسعادته بفتح مكتب للوكالة البريطانية، ولكنه أوضح رفضه التام لتسليم عدن للإنجليز، وقال ما نصه: «فليكن معلوماً لسعادتكم يا سيدي، أن هناك مثلاً عربياً يقول: دع الجسد يحترق ولا تدع الوطن ينخرق. من الأفضل أن يبيع الواحد أمه على أن يقوم بذلك لأنه يقطع عنه ملاذه ويجرّده من كرامته» [(١)].

إذن، رفض السلطان بيع عدن للإنجليز موثق توثيقاً تامًّا ولا يوجد مصدر واحد كتب عن هذه الحقبة أنكر هذه الحقيقة الهامة والناصعة.. الموقف إذن صعب بالنسبة للكابتن هينس وسير جرانت وبالمرستون وكل المجموعة الاستعمارية التي تريد الاستيلاء على عدن استيلاءً تامًّا.

لهذا كان لا بدّ للداهية والحيّة الرقطاء الكابتن هينس (هكذا كتب عنه سلطان لحج وعدن) أن يوجد وسيلة ما للاحتجاج بأن سلطان لحج وعدن قد وافق على بيع عدن ووضع على ذلك ختمه وتوقيعه.

وكان الكابتن هينس لا يتمتع بالذكاء والخداع والكذب فقط، ولكنه يتمتع أيضاً بمعلومات واسعة عن عدن ولحج والمنطقة ومعرفة برجالها وقبائلها وعاداتها، كما أنه قد درس القرآن الكريم دراسة وافية تجعله يستشهد بالقرآن في حديثه مع السلطان وغيره.

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ١٧٠، وقد ذكر هذه الجملة بصيغ مختلفة كل من كتب عن تاريخ عدن في هذه الحقبة، Gordon Waterfield: *Sultans of Aden*; R. Gavin: *Aden Under British Rule*, Hickinbotham: *Aden*; وحسن صالح شهاب: العبادل؛ وTom Little: *South Arabia*، وغيرهم كثير.

الرجال الذين استخدمهم هينس لتحقيق مآربه وخططه الجهنمية

وكان من دهاء الكابتن هينس أنه يستخدم عدداً من الرجال يدينون له بالولاء التام، ويعتبرهم رجاله، ويدافع عنهم في أحلك الظروف، ويمدّهم بالمال والدعم الكامل.

وأول هؤلاء هو **الملا جعفر** (الشيعي) الهندي. وكان وكيلاً لهينس في المخا وأرسله أيضاً إلى الصومال. وكان يتمتع بالذكاء والخداع والكذب والسرقة مثل رئيسه الكابتن هينس. وقد كتب عنه كل من أرّخ لهذه الحقبة من الإنجليز العرب [١] بأنه كان شديد الولاء لهينس. وكان هينس يثق فيه ثقة مطلقة. وبعد أن استولى هينس على عدن سمح له ببيع الخمور وتصنيعها. وكان الاتفاق مع أهل عدن بعدم بيع الخمور إلا للإنجليز. وقد قام بذلك اليهود والفرس (البارسي) وهم المجوس المثنويون الزرادشتيون الذين فرّوا من الفتح الإسلامي لفارس إلى الهند، واستوطنوها، وكانوا هم تجار بومبي وعلاقتهم مع بريطانيا وطيدة. وسيأتي شرح ذلك.

ونتيجة لسماح الكابتن هينس للملا جعفر ببيع الخمور للجميع، جمع بذلك ثروة كبيرة. كما سمح له بالتصرف في كثيرٍ من أمور عدن المالية فأثرى ثراءً فاحشاً. واشتكاه أهل عدن مراراً للكابتن هينس، ولكنه أعطاهم آذاناً صماء.

وعندما زار كراتندون[٢] مساعد هينس لحجاً في يوليه ١٨٤٤م استقبله السلطان محسن بحفاوة، ووصل السيد علوي بن زين العيدروس منصّب عدن

(١) حسن صالح شهاب: العادل، ص ٣٨.

(٢) الكابتن كراتندون (Cruttendon) نائب هينس. وقد اتهموا السلطان محسن بأنه قدّم له غذاء مسموماً. ويبدو أن الطعام كان ملوثاً بالبكتيريا وحدث لكرتندون إسهال وقيء وهو أمر كثير الحدوث للغربيين عند أكلهم الطعام في أثناء سفرهم.

إلى لحج. وأثار السلطان محسن والسيد العيدروس أمام كراتندون اتهام الملا جعفر بالفساد والرشوة وسوء الإدارة في عدن، و(الساحل الصومالي). وقرر كراتندون أن يقدّم الملا جعفر للمحاكمة، غير أن هينس وقف بكل قوة إلى جانب الملا جعفر، ولم يبعث بصور من وثائق المحكمة الخاصة بقضيته إلى بومبي إلا بعد شهرين من تاريخها، وادّعى أن المتهمين للملا جعفر هم من خصومه، وأنه بريء من تهم الفساد الإداري. واعتذر هينس لمساعده كراتندون عن سوء سلوك جعفر معه في المحكمة، وكان هينس نفسه هو رئيس المحكمة في عدن. ولهذا قام بتبرئة صديقه الحميم ورجله الملا جعفر من التهم الموجهة له.

ولم يرضِ ذلك رؤساءه في بومبي وأمروه بعزل الملا جعفر من وظيفته وترحيله إلى بومباي في أول باخرة تتجه إلى الهند.

وقد ذكر **جوردن واترفيلد** في كتابه «سلاطين عدن» الملا جعفر في مواقع متعددة[١] وكان الملا جعفر هو المترجم الرسمي للكابتن هينس وهو الذي يترجم ما بينه وبين سلطان لحج وسلاطين ومشايخ المناطق المجاورة للحج، كما أنه هو الذي يترجم الرسائل ما بين هينس وسلطان لحج وغيره من العربية إلى الإنجليزية والعكس.

وهو الذي أرسل إلى الكابتن هينس أنه بلغه أن أحمد بن السلطان محسن قد أتى بثلاثمائة من رجال القبائل ليختطفوا الكابتن هينس حتى يفرضوا عليه أن يعيد الرسالة (المزورة) التي كتبها السلطان محسن وعليها ختمه. وأن يستعيدوا الختم (الذي سرقه الملا جعفر من السلطان بمساعدة راشد بن عبد الله القاسمي وكيل السلطان وزوج بنت السلطان أحمد السيد ويس الذين رشاهم بمبالغ كبيرة)، وقد كان شاهداً وكاتباً للاتفاقيات بين هينس وسلطان لحج.

(١) G. Waterfield*: Sultans of Aden* interpreter, p 39,43,57,64,89,91,115,222 , kidnapping 46 ,48 , treaty with Lahej 96 , arms to Aden 100, Criticism of Mulla Jaffar 112–118, Charges against Mulla 192 , dismissed 192,235 .

وذكر واترفيلد[١] أن الكولونيل كابون (Capon) الضابط المسؤول عن الأمن في عدن جمع شكاوى متعدّدة من أهالي عدن ضد الملا جعفر، وقام كابون بمحاولة منعه من بيع الخمور في البزار للأهالي مما أغضب هينس. وجعل كابون يرسل بشكاوى السيد علوي بن زين العيدروس وأهالي عدن إلى بومبي. كما ذكر الأهالي والكولونيل كابون أن البلد (أي عدن) كلها في قبضة الملا جعفر والذي اشتهر بالفساد والرشوة وسوء الإدارة[٢].

ويقول واترفيلد إن نكبة هينس واعتقاله سنة ١٨٥٤م في بومباي بواسطة حكومتها واتهامه باختلاس مبالغ كبيرة كان بسبب عدم وجود إثبات في كيفية صرف تلك المبالغ، وأن سلوك صديقه الملا جعفر وسرقاته المتعددة كانت أحد العوامل التي أدّت إلى نكبة هينس وتجريده من وظيفته وإهانته ووضعه في السجن حتى عام ١٨٦٠م. وعندما أطلق سراحه كان رجلاً محطماً. وصدر الأمر بإرساله إلى لندن ولكنه عندما ركب السفينة في بومباي أصيب بالدوسنتاريا المعوية وهو لا يزال في الميناء قبل أن تبحر السفينة، وتوفي في ١٦ يونيه ١٨٦٠م، وعمره ٥٨ عاماً فقط. لقد تحطم الرجل الذي أقام أول مستعمرة في عهد الملكة فيكتوريا، واستولى على عدن واشتهر بالدهاء والذكاء ومعلوماته الواسعة عن جنوب جزيرة بلاد العرب ومعرفته للغتهم وتاريخهم وقبائلهم. لقد مات هذا الرجل ميتة غير مشرّفة، متهماً بالاختلاس وإساءة السلطة رغم أن هذه التهم لم تثبت عليه قطعيًّا، وإن ثبت أنه أخذ ٢٥,٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ روبية من خزينة عدن ولم يستطع أن يوضح كيف صرفها[٣]. وقد ذكر القاسمي أن العجز في خزينة عدن كان **٢٧٨,٩٧١** روبية[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٧ – ١١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) G. Waterfeild: *Sultans of Aden*, p. 226

(٤) القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٤٩٣.

(٢) السيد حسين ويس[1] (السيد محمد حسين ويس) وحسن عبدالله عاطف الخطيب

السيد حسين ويس أصله من (الظبيّات) في شمال الحواشب، انتقل أجداده إلى لحج وسكنوا قرية (سفيان)، وتزوج بنت السلطان محسن بن فضل، ورغم ذلك فقد اتهم بأنه يثير الخلافات بين أبناء السلطان، ويطمع في أن يصل ذات يوم إلى السلطنة.

وقد ذكر واترفيلد في كتابه سلاطين عدن بأنه قد جاء كشاهد على توقيع سلطان لحج اتفاقية التنازل عن عدن مقابل ٨٧٠٠ دولار (ريال) سنويًّا، ومعه شاهد آخر هو الحاج حسين (تاجر من حضرموت عاش في لحج).. ويقول إنه في ذلك الوقت كان لا يزال في صف السلطان محسن (سماه واترفيلد حامد وهؤلاء الغربيون يخطئون كثيراً في الأسماء) ويريد استعادة الأوراق والختم التي أخذها الكابتن هينس. وكان يريد أيضاً أن يأخذ الوكيل البريطاني السابق في المخا **الشيخ طيب** إبراهيم جي (من البنغال في الهند) إلى لحج، ويستخدمه كوسيلة ضغط على هينس حتى يسلّم الوثائق المزوّرة والختم المسروق.

وبعد أن احتل هينس عدن، أرسل السلطان محسن كلًّا من السيد محمد حسين ويس وعبدالله عاطف كوكلاء عنه ليوقعا الاتفاقية مع هينس وذلك في ٢ فبراير ١٨٣٩م. وقد أورد نص الاتفاقية القومندان أحمد فضل العبدلي في «هدية الزمن»، وفيها يتعهد السلطان محسن فضل وأولاده بحماية الطرق وتأمينها، وأنه مسؤول عن أي اعتداء على القوافل الآتية إلى عدن أو الذاهبة

(١) المصدر السابق، وقد ذكرته أيضاً المصادر الإنجليزية باسم حسين ويس. وذكره السيد حسن صالح شهاب في كتابه العبادل باسم السيد محمد حسين ويس، ص ٣٥. وقد ذكره واترفيلد في عدة صفحات من كتابه، ص ٤٥، ٤٧ – ٥٠، ٤٦، ٤٨، ٦٤، ٨٧، ٩٤، ٩٥، ووكيل لبريطانيا، ص ٩٦، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٣، ١٧٤. وموقفه ضد هينس، ص ١٧٦، ١٩٣، ١٩٨.

منها إلى مختلف جهات اليمن والمارة ببلاده. وعلى الحكومة البريطانية أن تدفع المعاشات للفضلي واليافعي والحوشبي وقبائل الأمير، وأن تعطي السلطان محسن بن فضل وأولاده ما تناسلوا معاشاً قدره (٦٥٠٠) ريال ابتداءً من شهر ذي القعدة سنة ١٢٥٤هـ. وأن الأرض من المجراد (خور مكسر) إلى لحج وإلى جميع حدود قبيلة العبادل المعروفة تحت سيطرة السلطان. وعند حدوث أي هجوم على لحج أو على قبائل العبادل أو على عدن أو على عساكر السلطان محسن أو عساكر بريطانيا أن يكونوا يداً واحدة».

وعندما دخل السلطان محسن إلى عدن للمصالحة مع الكابتن هينس (بعد احتلال عدن) كان معه السيد محمد حسين ويس (زوج ابنته) وعبدالله عاطف المسؤول المالي لسلطنة لحج. وقد قام السيد محمد حسين ويس بإثارة الحواشب لأنه من زعمائهم في الأصل، وأثار حرباً بين العبادل والحواشب. وقال عنه الكابتن هينس: «إنه أقوى رجل في الداخل (أي لحج وما حولها) وأصعب شيء هو التعامل معه»[١]. ولكن في ٨ يونيه ١٨٣٨م جاء السيد حسين ويس مع شيوخ الحوشبي واتفق معهم هينس على مبلغ قدره ٣١٤ (كراون ألماني = ريال) لمدة ستة أشهر، وفوقها ستين دولاراً هدية من هينس.

وعيّن هينس كلًّا من السيد محمد حسين ويس كوكيل لدى الحواشب وأعطاه مرتباً شهريًّا مقداره ستين دولاراً كما عين حسن عبدالله عاطف الخطيب وكيلاً بريطانيًّا لدى حكومة لحج مقابل ٤٠ دولاراً في الشهر. مع العلم أن حسن عبدالله عاطف الخطيب هو المسؤول المالي لسلطنة لحج ويتقاضى أجراً على ذلك[٢].

(١) واترفيلد: سلاطين عدن، ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٦.

وقد استطاع هينس أن يجعل السيد محمد حسين ويس وحسن عبدالله الخطيب يثيران أحمد بن السلطان محسن على والده وأن يوقعا بينهما الفتنة. وهذا الدور في إثارة الخلافات دور مشهور للإنجليز. وقد استطاع الكابتن هينس أن يفعل ذلك بكل ذكاء ومهارة. وبدأ الكابتن هينس يتقرّب إلى أحمد ابن السلطان محسن حتى يثير الخلاف بينه وبين أبيه، مع أنه قد اتهمه بأنه هو الذي كان سيقوم باختطافه لأخذ الوثائق، ولولا أن الملا جعفر نبّه هينس لكان هينس وقع في الفخ حسب قولهم[١]. واشتدّ الخلاف بين السلطان محسن وابنه أحمد عندما أراد الذهاب إلى عدن، وحاول السلطان منعه من ذلك، ولكنه أخبر أباه أنه قد استلم المال من هينس ليذهب إليه، وقد استأجر بالفعل مجموعة من الحرس ليصحبوه إلى عدن، ولكن والده كان يعدّ العدّة للهجوم على عدن وأخبره أنه سيعطيه القيادة، فرضي أحمد.

وكان جميع ما يحدث في قصر السلطان محسن يصل أولاً بأول إلى هينس بواسطة جواسيسه ومن بينهم حسن عبد الله عاطف الخطيب، ومن حسين ويس اللذين كانا يوصلان الرسائل إلى هينس بوسائط عدة.

وقد عمل كلٌّ من حسن عبدالله عاطف الخطيب والسيد محمد حسين ويس جهدهما لمنع تجمع القبائل ضد حكومة عدن، واستطاعا أن يقنعا سلطان يافع بعدم المشاركة في الهجوم على عدن لعدم الجدوى، ولأن بريطانيا قوية، ولأنهم سيخسرون ما تعطيهم من أموال، وربما تصيبهم خسائر أخرى كبيرة.

ولكن رغم ذلك كله تجمّع ما يقرب من خمسة عشر إلى عشرين ألف من رجال القبائل للهجوم على عدن. وكان هينس على علم بكل خطوات التجمع، ثم بعد ذلك بكل خطوات الهجوم. ولهذا استطاع أن يهزمهم باستعمال المدفعية استعمالاً جيداً وبالبقاء دائماً على اطلاع تام على خطوات عدوه.

(١) واترفيلد: سلاطين عدن، ص ١٠٢. G. Waterfeild: *Sultans of Aden*, p 102

وبعدما فشل الهجوم الأول (وسيأتي ذكره) فإن سلطان لحج حاول الهجوم الثاني وجمع القبائل. وكان هينس واعياً تماماً لما يجري ويأتيه وكلاؤه بكل الأخبار وهم الملا جعفر وحسن عبدالله عاطف الخطيب والسيد محمد حسين ويس.. وأدرك السلطان محسن أن حسن عبدالله عاطف الخطيب يخونه.

وكان حسن عبدالله عاطف الخطيب يرسل المعلومات باستمرار عن تجمع القبائل ضد الإنجليز، كما كان يعمل باستمرار لتفريق كلمتهم حسب أوامر وتوجيهات الكابتن هينس. وقد استطاع أن يقنع سلطان يافع بأن يرسل مكاتبات السلطان الفضلي التي تتحدث عن الجهاد وقتال الكفار الإنجليز، وإيجاد تحالف بين مشايخ وسلاطين المنطقة للهجوم على هينس واستنقاذ عدن منه. وأرسل سلطان يافع علي غالب تلك الرسائل كلها لهينس بواسطة حسن عبدالله عاطف الخطيب. وهو ما أدّى في آخر الأمر إلى قتل حسن عبدالله عاطف الخطيب ومصادرة أملاكه من قبل السلطان اللحجي محسن فضل.

ولهذا كانت الحملة الثانية أيضاً فاشلة وانتصر فيها هينس لأنه يملك المعلومات ويثير الخصومات بين أعدائه، كما أن أسلحته أقوى بكثير من أسلحتهم، ومعه المدافع والسفن الحربية التي تطلق عياراتها ومدافعها على المهاجمين إذا ما اقتربوا من خور مكسر وعدن، بينما ليس لدى المهاجمين إلا البنادق الفتيل والسيوف.

وقد تمّ إلقاء القبض على مراسلين يحملون رسائل من حسن عبدالله عاطف الخطيب والسيد محمد حسين ويس إلى الكابتن هينس قبيل المعركة وعند بدايتها، وهي توضح خطط المهاجمين لعدن. ولهذا صدر القرار من تجمّع القبائل والسلاطين بقتل هذين الخائنين. ولكن السيد محمد حسين ويس لجأ إلى قبيلته الحواشب التي حمته بينما كان حسن عبدالله عاطف الخطيب بدون حماية فتمَّ قتله ومصادرة أمواله (رغم أنه ينتمي إلى ردفان والضالع). وقام هينس، بعد أن

انتصر، بإعادة أملاك حسن عبدالله عاطف الخطيب إلى ورثته، وأعاد مكانته، وحاول الاقتصاص من قاتليه، وقتل المأمورين وترك الآمر وهو السلطان محسن فضل.

(٤) **اليهود**: استخدم الكابتن هينس يهود عدن في التجسس ومتابعة أخبار سلطان لحج وغيره منذ سنة ١٨٣٥م. وقد وطد علاقته معهم وأشاد بجهودهم في التفاهم معه وإعطائه معلومات قيّمة عن عدن. وبما أنهم كانوا تجاراً ومرابين وينتقلون في المناطق بدون أي صعوبة، وبما أنهم في الأصل عرب يمنيون، اعتنقوا الديانة اليهودية منذ زمن تُبّع الأكبر أبيكرب أسعد في القرن الرابع بعد الميلاد، فإنهم كانوا عرباً يتكلمون العربية إذ هي لغتهم بالإضافة إلى العبرية. وكانوا يكتبون رسائلهم باللغة العبرية بحيث إنها إذا وقعت في يد سلطان لحج أو غيره لا يستطيع أن يفهمها، فإذا وصلت الرسائل إلى عدن أخذها مندوبهم إلى الكابتن هينس وترجمها له إلى الإنكليزية.

وكان اليهود يعملون في عدن في صياغة الذهب والفضة وفي التجارة وبيع الخمور وفي الربا، وقد قال عنهم الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب»: «إن سكان عدن خليط من جنسيات وأديان متعددة. وفيهم مرابون. والمرابون يقولون إنهم من نسل هارون ﷺ». ولا شك أن غالبية يهود اليمن هم من اليمنيين من نسل قحطان حيث تهوّد ملوك اليمن، وأولهم بلقيس التي دخلت اليهودية الحقّة على يد سليمان بن داود عليهما السلام. وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد. ثم انذثر الدين اليهودي في اليمن. ولم يدخلوا فيه إلا في أيام أبيكرب أسعد في القرن الرابع بعد الميلاد. كما أن فيهم بعض اليهود من نسل يعقوب ﷺ، ومنهم مجموعات هربت بعد تحطيم أورشليم في العهد اليوناني ثم الروماني ووصل بعضهم إلى اليمن. كما سبق أن أوضحناه في الجزء الأول من كتابنا هذا (فصل المعابد غير الإسلامية في عدن).

وقد استفاد هينس فائدة جمة من اليهودي مناحيم (Menahim) مدير جمارك عدن والذي كانت صلته بالسلطان محسن وثيقة.

وقد استطاع وكلاء هينس من اليهود وعلى رأسهم مناحيم، والملا جعفر وحسن عبدالله عاطف الخطيب والسيد محمد حسين ويس وآخرون أن يثيروا الفتنة بين صفوف المهاجمين لتخليص عدن من الاحتلال البريطاني. واستطاع عملاؤه أن ينقلوا له الأخبار وما يجري في لحج وأبْين بدقّة متناهية حتى إن هينس كان يعرف ما يدور بينهم من أحاديث سرّية، وكانت كل تحركاتهم العسكرية مفضوحة بالنسبة له. ولذا استطاع التغلب على المقاومة الشرسة التي قام بها سلطان لحج وسلطان الفضلي ومن تعاون معهما في محاولة استرجاع عدن من براثن الكابتن هينس وقواته.

كما استطاع هينس بالمال أن يشتري ولاءات بعض المشايخ. وكانت سياسته الذكية في تفريق المتحالفين (سياسة فرّق تسد). وهي السياسة التي أحسنت استخدامها إنجلترا في كل مستعمراتها، وعلى مدى تاريخها الاستعماري الطويل. ولذا فإنها استطاعت أن تحتل معظم بلدان العالم (خارج أوربا) بأقل قدر ممكن من التضحيات بأبنائها.

وكان من أسباب ثورة أهل عدن ضد الإنجليز سماح الكابتن هينس لصديقه الملا جعفر ببيع الخمور وإعطاء التصاريح بذلك إلى اليهود الذين كانوا يقومون بصناعتها من التمر على نطاق واسع. وقد عثرت الشرطة في عدن على ٥٠٠ جالون من الخمر التي كانت لا تزال في حالة تخمر و١٠٠ جالون معبأة في زجاجات مكسوة بالقش جاهزة للاستعمال. فقام هينس بإتلاف المتخمر، وأما الخمر الجاهزة فاشتراها منهم لاستعمال الجنود الإنجليز.

وكان البارسي (الزرادشتي) كاويجي أيضاً يبيع الخمور ويرشي الملا جعفر ليعطيه التصاريح ببيعها على الأهالي. وهذا ما أغضب السيد زين العيدروس وعلماء الدين الذين اتفقوا مع هينس سابقاً بأن لا تباع الخمور للأهالي وإنما يقتصر استيرادها وصناعتها وبيعها لغير المسلمين.

(٥) **البارسي (الفرس)**: كان الفرس المجوس قد دخلوا عدن واليمن منذ عهد سيف بن ذي يزن بعد مولد النبي ﷺ (بعد عام الفيل). وبدخول باذان حاكم صنعاء تحوّل غالبيتهم إلى الإسلام وصاروا مدافعين عنه.

ولكن تجارة عدن مع الهند استتبعت دخول البانيان (الهندوس) والفرس (الزرادشتيين)، وذلك منذ العهد الإسلامي وخاصة في عهد الرسوليين لاتساع التجارة.

وازداد عدد هؤلاء التجار من الهند: البانيان (الهندوس) والفرس (المجوس الزرادشتيين). وكانت علاقة التجار الفرس من بومباي مع بريطانيا وثيقة جدًّا وساعدوا الإنجليز في عمليات تجسس كثيرة في الهند وغيرها، وبالتالي سمحت لهم إنجلترا بنشاط تجاري واسع حتى اشتكى التجار الإنجليز من منافستهم لهم في ميدان التجارة. وقد عيّن هينس دامجي (Damjee) وكيلاً عنه لجمع تعويضات (دريا دولت). وقام دامجي بإبلاغ هينس بخطة اختطافه. وأرسل ذلك إلى الملا جعفر، واستخدم دامجي كبنك خاص له يأخذ منه الأموال ثم يسددها له. وهو ما أوقع هينس في مشاكل فيما بعد.

وقد استخدمهم هينس بذكاء في ميدان الجاسوسية وجمع الأخبار. وكان منهم وكلاء لهينس رسميًّا. واشتغلوا أيضاً بتجارة الخمور. وكانوا يستوردونها ويبيعونها أساساً للإنجليز ومن معهم في عدن. ثم توسعوا في تجارتها وباعوها للأهالي، وهو ما أثار غضب السيد العيدروس والعلماء.

أكاذيب هينس ومن صدّقه حول عدن عند الاحتلال البريطاني

وكان سكان عدن - حسب تقدير هينس - بعد الاحتلال مباشرة ستمائة شخص فقط، وذلك بسبب هروب السكان إلى الشيخ عثمان ولحج وما جاورهما من المناطق. وكان بين هؤلاء الموجودين في عدن ٢٥٠ يهودي وبينهم أكثر من ١٥٠ صومالي وعدد من البانيان الهندوس. وأما العرب أهل عدن فكانوا قلّة، وهو أمر واضح لأنهم هربوا منها.

وبعد أن انتهت محاولات استعادة عدن عام ١٨٤٤م ازداد السكان حتى وصلوا إلى ١٥,٠٠٠ وهو العدد الحقيقي للسكان في عدن، والذي تذكره السلطات البريطانية على أساس أن الزيادة حصلت بسبب استعمارهم لعدن. وكان من بين هؤلاء أكثر من ألفي يهودي. وهؤلاء جاؤوا من الأرياف ومن صعدة وصنعاء، كما تجمع أعداد من الصومال والهند. وبحلول عام ١٨٥٦م كان سكان عدن قد وصلوا إلى عشرين ألف. وإذا تذكرنا أن سكان عدن في عهد الرسوليين والطاهريين كان يتراوح ما بين خمسين وستين ألف شخص فإننا ندرك على الفور أن عدن لم تصل إلى ما كانت عليه أيام هاتين الدولتين.

وبحلول عام ١٩٠١م وبعد افتتاح قناة السويس (عام ١٨٦٩م) بأكثر من ثلاثين عاماً وصل سكان عدن إلى ٤٤,٠٠٠ نسمة (وهو أقل مما كان أيام الرسوليين والطاهريين).

ومما تقدم يبدو كذب القبطان هينس والكتّاب الإنجليز أن عدن كانت قرية صغيرة مهملة (Derelict) عندما احتلوها وأن سكانها كانوا ستمائة شخص فقط.

وقد اعترف الإنجليز جميعاً بأن عدن في أيام السلطان أحمد عبد الكريم الذي عقد معهم معاهدة صداقة (١٨٠٢م) قد استعادت شيئاً من مجدها الغابر، وأن سكانها قد شارفوا عشرة آلاف شخص، وأن البيوت الحجرية المكونة من دورين قد انتشرت وزادت، وأن عدة وكالات تجارية وبيوت تجارية فتحت لها فروعاً في عدن. وهذا ينفي ببساطة أن سكان عدن كانوا ستمائة شخص فقط أو على تقدير آخر لهينس أيضاً أنهم ١٢٨٩ نسمة.

ولم تتوقف التجارة في عهد خليفة السلطان أحمد عبد الكريم، وهو السلطان محسن فضل، وكان دخله من عدن ١٢,٠٠٠ دولار (ريال فضة = كراون ألماني) سنويًّا، وهو يدل على أن التجارة لم تنتكس في عهده، بل زادت.

وهذا ينفي تماماً ادعاءات هينس ومن اعتمده من الكتّاب.

ولا شك أن عدن لم تبلغ مكانتها السابقة في أيام الصليحيين والزريعيين والأيوبيين والرسوليين والطاهريين، فقد كانت عدن في تلك الأزمنة أكثر الموانئ في العالم تجارة وحركة. وكان دخلها الصافي في أيام الصليحيين مائة ألف دينار ذهباً، يزيد قليلاً أو ينقص. وكان ذلك الدخل كله يذهب سنوياً إلى السيدة بنت أحمد (والتي عرفت باسم الملكة أروى عندما تولت الحكم بعد زوجها). وذلك المبلغ الضخم هو مهرها من زواجها من قريبها، الملك أحمد بن علي الصليحي.

واستمرّ دخل عدن في هذا المستوى العالي مما سبب تنافساً كبيراً للاستيلاء عليها طوال فترات مجدها. ثم انخفض الدخل باكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح والطريق إلى الهند.. وبتحطيمهم لتجارة عدن واشتغالهم بالقرصنة والاستيلاء على السفن التجارية.. ولم يتحسن هذا الوضع باحتلال الدولة العثمانية لعدن لاهتمامهم بزبيد، ثم بعد ذلك بالمخا، كميناء هام للتجارة وتصدير البنّ اليمني الذي لم يكن يزرع إلا في اليمن.. وعندما احتلّها الأئمة من صعدة وصنعاء لم تعد إلى مكانتها السابقة، ولكن وضعها لم يتردّ كثيراً. وفي بداية عهد العبادل وحكمهم لعدن كان دخلها بسيطاً ويقدر بألف ريال (دولار فضة) نصفه للعبدلي ونصفه للسلطان اليافعي سيف بن قحطان.

وتحسّن الوضع في أيام السلطان أحمد بن عبد الكريم وزاد الدخل. ثم استمرَّ في عهد خليفته السلطان محسن فضل حيث كان الدخل يقدّر باثني عشر ألف دولار (ريال فضة = كراون ألماني)، وفي تقدير آخر ذكره الدكتور سلطان القاسمي مبلغ خمسين ألف دولار (ريال فضة) سنويًّا(١).

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ١٨٧، وهو المبلغ الذي عرضه الملا جعفر على السلطان محسن.

مشروع شراء عدن ورفض السلطان محسن فضل ذلك

بعد أن فشلت خطة هينس وجرانت والأدميرال تشارلز مالكوم باحتلال عدن بحجة الاعتداء على السفينة دريا دولت ونهب بضاعتها من قبل السلطان محسن فضل وشعبه، ورفض هوبهاوس حاكم الهند لهذه الحجة، ثم قيام السلطان محسن فضل بدفع التعويض الكامل الذي فرضته بريطانيا وهو اثني عشر ألف دولار (ريال فضة ماريا تريزا)، كان لا بد من محاولة إغراء السلطان ببيع عدن بأي مبلغ يحدّده هو.

وقد رفض السلطان ذلك في العديد من مكاتباته مع الكابتن هينس ومع حكومة بومبي مع ذكر صداقته لبريطانيا واستعداده لتأجير مكان مناسب للتموين بالفحم ومكان آخر للوكالة التجارية البريطانية، واستعداده أيضاً أن يعقد حلفاً ومعاهدة وأن يحارب أعداء بريطانيا بشرط أن تساعده بريطانيا بالقضاء على أعدائه في الداخل. ورفضت بريطانيا هذه الطلبات. وأكد الكابتن هينس وجوب التخلي عن عدن كلية للإنجليز.

وذكر السلطان محسن فضل في خطاباته المتعددة رفضه التام لبيع عدن وقال «إن هناك مثلاً عربيًّا يقول دع الجسد يحترق، ولا تدع الوطن ينخرق. ومن الأفضل أن يبيع الواحد أمه على أن يبيع وطنه».

وفي يوم ٢٩ يناير ١٨٣٨م أرسل أحمد ابن السلطان محسن فضل رسالة إلى هينس قال فيها: «إن كنت ترغب في الحصول على صداقتنا فتعال إلى عدن (كان هينس في سفينته في ميناء عدن). وإن كنت ترغب في الحصول على عدن فإن شعب عدن لا يرغب فيكم، فإنني أقول الصدق، لن يترك أحد بيته إلا ميّتاً. ما أخبرك به راشد (بن عبد الله القاسمي وكيل هينس ورسوله في هذه القضية) يكفي».

وفي ٢ أكتوبر ١٨٣٨م كتب السلطان محسن فضل إلى حاكم بومبي بالرسالة التالية:

«لقد جاء الكوماندر هينز إلى هذا البلد، ثم فكّر في انتزاعه من بين يدي. لقد أريته الأوراق الموجودة في حوزتي والموجهة من قِبَلْ الحكومة البريطانية سواء منها المكتوبة باللغة الإنجليزية أو العربية. ودون أن يبدي أي اعتبار لهذه الوثائق قرّر أن يأخذ أرضي بغير وجه حق. لقد أخبرته بأن هذا لا يمكن أن يتم، وأنه من الخير لي كرجل أن أحترق على أن أسلّم حقّي. كما عقّبت قائلاً أيضاً بأن الحكومة (البريطانية في الهند) لن يرضيها أن تجرّد أحداً من ممتلكاته. عند ذلك غادر المكان.. إنني أسلّم هذه الرسالة في عهدة الكابتن هينس وجعفر، وأنا بانتظار الرد. لقد بعثت لكم قبل ذلك برسالة عن طريق مسقط. هذه المكاتبة الثالثة حول هذا الموضوع. لقد رويت هذه الأحداث لكي تعلموا يا صاحب الفخامة ماذا جرى بيني وبين الكوماندر هينس»(١).

ثلاث رسائل أرسلها السلطان محسن فضل لحكومة بومبي تذكر بوضوح تام رفضه بيع عدن. وهناك العديد من الرسائل منه ومن ابنه أحمد إلى الكابتن هينس ترفض فكرة بيع عدن.

وقد حاول هينس بكافة الوسائل بالترغيب والتهديد الحصول على موافقة السلطان بالتنازل عن عدن ووسَّط في ذلك صديقه المترجم ملا جعفر، والشيخ طيب الوكيل الهندي السابق في المخا والذي كان يحظى باحترام كبير، وهو صديق شخصي لسلطان عدن، وبرشوة عدد كبير من شيوخ القبائل في لحج وما حولها ورشوة بعض رجال السلطان، ومحاولة رشوة السيد علوي بن زين العيدروس منصّب عدن وقاضيها. ولكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل. ولكن السيد علوي بن زين هاجم السيد راشد بن عبدالله القاسمي الوكيل البريطاني في عدن، والملا جعفر المترجم وعميل هينس، ورفض محاولة رشوته. وقال عنهما أنهما كافران لأنهما يعملان في خدمة الكافر ويريدان تسليمه أرض

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن (١٨٣٩)، ص ٢٣١.

المسلمين. ونهر السيد راشد ووصفه بأنه حقير تتحكم فيه طبيعته البهيمية للمكاسب على حساب رجال الدين أتباع النبي ﷺ[١] (ينتسب العيدروس إلى عيسى المهاجر الذي ينتسب إلى الإمام السبط الحسين بن علي كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء، بنت خير البرية).

وكان السلطان محسن فضل يرغب حقًّا في صداقة الإنجليز، ومستعد أن يؤجر لهم مكاناً لرسو السفن وتمويلها بالفحم في المكان الذي حددوه (حجيف وهو رأس الشيخ أحمد العراقي الولي المعروف المشهور بالصياد) كما عرض عليهم مكاناً للوكالة التجارية.

وأعلن استعداده التام لإجراء معاهدات تحالف مع بريطانيا، ولكنه رفض مرات عديدة بيع عدن أو التنازل عنها لصالح بريطانيا. **وفي رسالته المؤرخة ١١ يناير ١٨٣٨م للكابتن هينس قال له:** «ستكون صداقتنا للأبد.. لقد ساعدتموني أيها الأصدقاء القدامى.. **وإذا كان لديكم أية معاهدة مع أحمد بن عبد الكريم** (السلطان السابق والذي وقع اتفاقية عام ١٨٠٢م) **فإني أودّ أن أراها**»[٢]. **وقد زعم هينس أن السلطان أحمد عبد الكريم قد تنازل لهم عن عدن، وهو كذب ومحض افتراء.** ورد هينس برسالة مطوّلة قال فيها إن عدن غير مهمّة للسلطان، وإن ما يأتيه منها هو دخل بسيط، وإن بريطانيا ستعوّضه عن ذلك. ووضع نص معاهدة مقترحة كالتالي[٣].

المادة الأولى: إنه في مقابل دفع.... **دولار، فإن أراضي عدن الممتدة شمالاً حتى خور مكسر بما فيها الجبال.. مع مرافئها، المسماة غبة التواهي وبندر صيرة وبندر دراس** (ضراس) **والجزر الواقعة ضمنها، وكذلك جزيرة صيرة وكافة**

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ١٩٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٨ – ١٨١.

التحصينات الموجودة عليها مع جميع المباني العامة، البوابات أو الخرائب الموجودة عليها، تصبح ملكاً لشركة الهند الشرقية الموقرة إلى الأبد.

المادة الثانية: إنه لدى حيازتهم لعدن يتعهد البريطانيون ألا يعتدوا على أي مسجد أو أي مكان عبادة آخر للمسلمين وألا يمنعوا الاحتفالات لهذا الدين أو أي دين غيره.

المادة الثالثة: يضمن البريطانيون ممارسة كاملة وحرّة لشعائر الدين الإسلامي.

المادة الرابعة: يبقى مسجد الشيخ العيدروس وبقية المساجد المستعملة الآن على حالها ولا يتم هدمها (نفس المادة الثانية والثالثة).

المادة الخامسة: يقدم البريطانيون كل تشجيع ممكن لزيادة عدد السكان، وكذلك تجارة الاستيراد والتصدير.

المادة السادسة: يعتبر السلطان وأسرته كأصدقاء.. ويمكنهم أن يقيموا في عدن إذا رغبوا في ذلك. وبالمقابل يسمح للضباط البريطانيين والتجار بحرية الوصول إلى لحج والإقامة فيها إذا رغبوا في ذلك.

المادة السابعة: يسمح للسفن العائدة للسلطان بالمتاجرة مع إعفائها من الرسوم. ولكن إذا كانت البضاعة عائدة لرعاياه أو لآخرين فيتم دفع كافة الرسوم المترتبة عليها. ويسمح لسفن السلطان برفع العلم البريطاني عليها.

المادة الثامنة: في حال فرار أي بريطاني أو أحد رعايا بريطانيا من عدن إلى أراضي السلطان يجب تسليمه لرجال القانون البريطانيين (أو من يخولون بذلك) عند طلبه. ويتعهد البريطانيون بتنفيذ نفس حكم العدالة عن السلطان.

المادة التاسعة: يمنح السلطان قطعة أرض صغيرة في لحج من أجل دفن رفات أي من الرعايا البريطانيين الذين قد يتوفون هناك.

المادة العاشرة: تقوم سلطات عدن بتزويد كلّ واحد من الرعايا البريطانيين الراغبين بزيارة لحج أو البقاء فيها بجواز سفر. ويمنح نفس الحق لرعايا سلطان لحج وتطبّق نفس الترتيبات من جانبه.

المادة الحادية عشرة: يعتبر قانونياً أن يتنازل رعايا السلطان والرعايا البريطانيون عن ممتلكاتهم الواحد للآخر. ويتم دفع الديون الحقيقية والقانونية من أحد الرعايا للآخر.

المادة الثانية عشرة: يجب أن لا يتعرض أي من الرعايا البريطانيين أو رعايا السلطان للإهانات، إلا أنهم يخضعون لقوانين البلاد التي يقيمون فيها.

المادة الثالثة عشرة: يلزم السلطان نفسه وورثته ببذل كل عون لتحصيل الديون المستحقة للرعايا البريطانيين من رعاياه. والبريطانيون ملزمون كذلك لفعل الشيء نفسه لرعايا السلطان.

المادة الرابعة عشرة: يضمن البريطانيون لرعايا السلطان أي ممتلكات أو عفش موجودة في أرض عدن الآن. وإذا ما احتاجت الحكومة لأي جزء منها لأغراض عامة فيجب التعويض عنها.

المادة الخامسة عشرة: تصبح الأبنية الموجودة عند الممرات لعدن، وكذلك مباني السلطان الأخرى باستثناء منزله، تابعة للبريطانيين.

وقد رفض السلطان هذه الاتفاقية بأسلوب مؤدب وطالب بأن توقع معه اتفاقية مثل الاتفاقية التي تمت سنة ١٨٠٢م مع السلطان أحمد عبد الكريم.

وبعد مراسلات، قال السلطان إنه يفضل الإنجليز على المصريين (محمدعلي باشا)، ولكن هل يقبلون به وببلاده وفق نفس الشروط التي تمت لزعيم سورت في الهند (وقد اتفق معهم على وضع قوات بريطانية لحمايته مقابل ربع دخل البلاد) [١].

---

(١) القاسمي: احتلال عدن، ص ١٨٢.

وطلب من الكابتن هينس البارود ومدفع من مدافع السفينة (كوت)، وذلك بسبب اشتعال الحرب بين السلطان الفضلي وسلطان يافع، وأن على السلطان اللحجي (فضل محسن) أن يحمي بلاده من الأعداء، ولكن هينس اعتذر عن ذلك.

وأرسل السلطان فضل رسالة إلى حاكم بومبي يخبره بأنه قد وافق على إعطاء الكابتن هينس بقعة أرض في التواهي (الشيخ أحمد الصياد) لتكون محطة تموين الفحم. وأكَّد الصداقة بقوله: «أصدقاؤنا أصدقاؤكم، وأعداؤنا أعداؤكم».

وفي رسالة لهينس أخبره السلطان أنه قد سمع أن الكابتن هينس صعد إلى قمة جبل شمسان وأن أهل عدن غاضبون لذلك، وأن الأرض قد انتقلت - دون علمهم - للإنجليز.

وردّ هينس على ذلك بأنه بالفعل صعد على قمة شمسان وأنه تمتع برؤية الآثار، وأن حديث أهل عدن عن التنازل عنها للإنجليز أمر جيّد لأنه سوف يعوّدهم على الحقيقة إذا حدثت[١].

ثم أكّد الكابتن هينس بعدة رسائل للسلطان أنه لم يستلم بعد ردًّا حاسماً من السلطان بشأن التنازل عن عدن. وعلى السلطان أن يقرّر المبلغ الذي يريده «أعطوني جوابكم النهائي نعم أم لا؟ أعطوني وعدكم بالتنازل ممهوراً بخاتمكم مقابل أي مبلغ من المال تعتقدون أنه لازم. ويمكننا بعد ذلك منع انتهاك الآخرين لبلادكم[٢].

ولقد أرسل السلطان محسن فضل برسائل عدة يعرض فيها بقعة (قطعة

(١) القاسمي: احتلال عدن، ص ١٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٦.

أرض) في حجيف (لتكون محطة الفحم وتمويل السفن)، كما عرض عليه قطعة أرض أخرى للوكالة البريطانية التجارية، وفي مقابل ذلك يطلب مالاً وأسلحة. ولكن هينس لم يجد أي ردّ صريح بالتنازل عن عدن كما يريد.. وأن لا بدّ أن تبقى عدن وشعبها من العرب واليهود تحت حكمه. ورفض هينس هذا العرض وسخر منه.

وقد ادعى الكابتين هينس أنه استلم من السلطان محسن فضل رسالة عليها ختمه وتوقيعه وافق فيها على بيع عدن للإنجليز ولكنه لم يحدد المبلغ المطلوب لذلك.

وقد نفى السلطان محسن فضل ذلك نفياً قاطعاً. وأرسل رسالة إلى الشيخ طيب إبراهيم جي (الوكيل السابق لبريطانيا في المخا) وهو أيضاً صديق السلطان. وفيها يذكر السلطان صداقته منذ وقت طويل للإنجليز، وذكر قصة دريا دولت وموقف هينس من القضية (سبق أن شرحنا ذلك).. ثم ذكر أن هينس طلب أن يأخذ عدن وأن السلطان رفض ذلك بشدة وطلب منه أن لا يتكلم في هذا الموضوع ثانيةً. وقال إن هينس قد جاء هذه المرّة وفي نيّته القتال واحتلال عدن بالقوة العسكرية وأخبر حكومته في الهند بالأكاذيب. ثم قال[١]: **«إنه يقول الآن بأن لديه صكًّا في حيازته وعليه خاتمي من أجل عدن. ولكنني أقول: إن ذلك كذب. إنني لم أرسل له رسالة أبداً أو تكلمت عن ذلك. إن كل ذلك محض أكاذيب مخزية. إذا كان لديه مثل ذلك الشيء فليدعني أراه. وإذا كان عليه خاتمي فذلك شاهد ضدي. إذا كان لديه فسوف لن أقول كلمة.. ثم قال: ذلك الرجل** (أي الكابتن هينس) **يرغب في قرارة نفسه بحكم عدن، لكنه لن يتمكن من ذلك حتى يصل السيف إلى حلوقنا».**

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٢٥٣ – ٢٥٤.

وهكذا يظهر كذب الكابتن هينس.. ولهذا اضطر الكابتن هينس أن يرسل الملا جعفر وراشد بن عبد الله وآخرين من عملائه الذين استطاعوا سرقة خاتم السلطان وزوّروا رسالة بالتنازل عن عدن ووضعوا عليها الختم.

وقد ذكر السلطان بعد هذه الحادثة ذلك. وأنهم زوّروا جواباً وسرقوا خاتمه. وقد ادعى الكابتن هينس أن السلطان محسن فضل أرسل ابنه أحمد مع عدد من رجال القبائل، ثم قام أحمد بمراسلة هينس، وطلب منه أن يأتي من سفينته إلى عدن ليتفاوض معه. ولما خرج الكابتن هينس من السفينة لمقابلة أحمد ابن السلطان وجد الملا جعفر يؤشر له ويمنعه من الذهاب لأن هناك مؤامرة لاختطافه، وأخذ الختم والجواب (المزوّر) بالقوة والذي فيه التنازل عن عدن.

وقد كتب هينس لأحمد ابن السلطان محسن فضل رسالة بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٣٨م وفيها يقول: «ماذا جنيتم من التآمر ونوايا الغدر؟. لديّ صكّ التنازل عن الأرض والمرافئ التي احتجناها تحت ختم وتوقيع والدكم. فما هو الصكّ الذي تحملونه الآن لي.. ولا زالت الفرصة سانحة إذا أرسلتم لي رقم المبلغ الذي تمّ تحديده مع راشد (بن عبد الله) والذي أعلمه.. وهذا سوف يبيّن لكم أنني أستطيع أن أنسى وأستطيع أن أصفح». وذكر أنه كان مسلحاً ولا يمكن أن يأخذوا منه الصك والختم إلا بعد معركة دموية، ولكن الله نجّاه من شرّهم ومؤامرتهم[١].

وفي الثلاثين من يناير ١٨٣٨م كتب رسالة للسلطان محسن فضل نفسه تتضمن تحقيره واتهامه وأسرته بالخيانة[٢]. وفي نفس الوقت ترك الباب مفتوحاً لإتمام الصفقة، وقال: إنني لا أستطيع سوى الشعور بالأسف لغياب الوفاء.. ما

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠١.

الذي يمكن أن يكون قد دفع أسرتكم للتفكير في مثل هذه الطريقة المخزية للحصول على الأوراق التي تمّ تبادلها بيننا. هل فكرتم للحظة أنكم بالقبض عليّ كان يمكنكم الحصول عليها[١].. لكنكم أعطيتم المكان (أي عدن) للبريطانيين بموجب خاتمكم. وبعد ذلك حاولت أسرتكم الحصول بواسطة الغدر على جميع الأوراق التي تبودلت!!

وكتب الكابتن هينس بعد ذلك تقريراً لحكومته - وبالذات لسير تشارلز مالكولم - عن هذه الحادثة، وجاء فيه:

«أن المترجم الملا جعفر قد تلقى خبراً من راشد بن عبدالله القاسمي، الذي تلقّى بدوره ذلك الخبر من بدوي لم يسمّه[٢].. وقال له: خذ الحذر.. احترس، وامنع السادة الإنجليز من ملاقاة سيد (ويس) وأحمد (ابن السلطان) اللذان أقسما على القرآن أن يأخذا رئيسك أسيراً وأن ينتزعا منه أوراقه. وقد لا يكتفيان باحتجازه لأنه صلب العزيمة ولأنهم كلاب!!

وفي نهاية التقرير لسير تشارلز مالكولم (الأدميرال البحري) وجه هينس خطاباً إلى سير روبرت جرانت حاكم بومبي يطالب «فخامة حاكم بومبي» باحتلال عدن بعد هذه الإهانة التي قام بها هؤلاء البدو الجهلة المتوحشون. وقال: «إن المعركة للاستيلاء على عدن سهلة وبدون حاجة لقوات كبيرة لذلك الغرض. ثم قال: وأقترح لنفسي بعدم الإضرار بالسكان المساكين لأنهم سيكونون مسرورين من رؤية العلم البريطاني مرفوعاً، ولن يشكلوا أي عائق على الإطلاق في وجه قيامي بتحقيق رغبة الحكومة».

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٢٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٤، وفي رواية واترفيلد لهذه القصة أن البارسي دامجي هو الذي نقل ذلك إلى الملا جعفر.

وقد كتب السير روبرت جرانت (رئيس حكومة بومبي) خطاباً إلى «هوبهاوس» رئيس مجلس الرقابة والمسؤول في حكومة عموم الهند البريطانية خطاباً في ٢٧ فبراير ١٨٣٨م يحثّه على الموافقة على احتلال عدن عسكريًّا. وفيه يقول[1]: «إن عدن لا تقدر بثمن لنا، إنها صحيّة تماماً مع توفير كميات وافرة من المياه العذبة (تأتي من خارج عدن). سوف تكون رائعة كمستودع للفحم خلال جميع فصول السنة. وبنفس مقدار روعتها فهي كذلك كمحطة التقاء السفن المستخدمة في البحر الأحمر، وكميناء حربي حصين، حيث يتاح لنا من خلال ذلك أن نحمي ونستفيد من جميع تجارة البحر الأحمر والخليج الفارسي (العربي) والساحل المقابل والأغنى لمصر. وكما هو شأن جبل طارق فإن عدن ما إن تصبح لنا حتى تكون غير قابلة للاختراق برًّا وبحراً، ومع ذلك فإنني أنظر للموضوع نظرة أوسع وأشمل. فهناك أمتان عظيمتان تتآمران على قوتنا في الشرق. فروسيا نازلة علينا عبر فارس، وفرنسا بوضوح أقل وبسرعة أقل.. إنها نازلة علينا عبر مصر. ولكي تتم مواجهة هذين الغزوين يتوجب علينا إعداد مراكز أمامية بعيدة عن حدودنا بدرجة كبيرة. مراكز يمكننا الدفاع عنها بسهولة. ومن بين تلك المراكز تعتبر المحطات الموجودة في الجزر وأشباه الجزر مرغوبة إلى حدٍّ كبير. وهذه الصفة تنطبق على عدن بالنسبة للغزو عن طريق مصر، وعلى جزيرة خرج في الخليج الفارسي (العربي) بالنسبة للغزو عن طريق فارس. يمكننا الآن أن نحوز كُلًّا من هذين المكانين، وإذا لم تستغلّ المناسبة فربما لن تتكرر أبداً.

وتم إقناع بالمرستون بهذه القضية، فوافق عليها وأيّد جرانت وهينس وتشارلز مالكوم (مدير البحرية في الهند) ودعم فكرة احتلال عدن. وذكر جرانت للمعارضين خطورة محمد علي باشا الذي يريد إنشاء مملكة مستقلة من

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٢١٠ – ٢١١.

مصر وسوريا والجزيرة العربية بأكملها. وإذا استطاع محمد علي باشا أن يضع قدمه هناك في عدن فنصبح تحت رحمته ولن نتمكن من تأسيس أي محطة لنا في عدن إلا أن نكون تحت سيطرته.

وتم إرسال رسائل من بالمرستون وزير الخارجية البريطاني يحذر محمد علي باشا من التدخل في شؤون عدن لأن حاكمها سلطان لحج قد تنازل عنها تنازلاً تامًّا للإنجليز وباعها لهم. فردّ محمد علي باشا أن عدن تابعة لليمن واليمن تابعة للدولة العثمانية، وهو ممثل للدولة العلية في المنطقة. فردَّ عليه القنصل البريطاني في مصر الكولونيل كامبل بأن عدن كانت أرضاً مستقلة عن اليمن منذ فترة طويلة، وأن سلطانها كان له كل الحق في التنازل، وأن صك التنازل عنها بيد حكومة الهند.

وقد وافق بالمرستون على أي إجراء تتخذه حكومة الهند البريطانية لحيازة عدن وجعلها مستعمرة تحت التاج البريطاني. وبدأت بالفعل الترتيبات العسكرية لاحتلال عدن منذ يونيه ١٨٣٨م وقد طالب هينس بقوات تُرعب سلطان لحج ورجاله وتجعلهم يستسلمون. (إذا كان السلطان قد وافق على التنازل عن عدن مقابل مبلغ من المال يعطى له ولخلفه من بعده سنويًّا، فلماذا يحتاج هينس إلى القوة لاحتلالها؟).

ورغم ذلك بقيت المخاوف داخل حكومة الهند من إثارة روسيا وفرنسا وأمريكا ومحمد علي باشا ضد الاحتلال. ولهذا أكّد جيمس فاريش في تقريره على أنه من الأفضل إرسال الكابتن هينس على ظهر السفينة «كوت» لإنجاز المعاهدة مع السلطان محسن فضل دون تأخير، وأن يدفع له أي مبلغ معقول يطلبه. وقد أُعطي هينس مبالغ مالية لتوزيعها على مشايخ القبائل، بالإضافة إلى الهدايا الهامة للسلطان وحاشيته، وأن يقوم الكابتن هينس باسترضاء القبائل المجاورة للحج والاتفاق معهم بمبالغ سنوية محدّدة لهم. وأنه طالما كانت

مصالح بريطانيا مصانة في عدن، فإن حكومة بريطانيا لن تتدخل في أي شجار يقع بين القبائل إلا إذا قبل الطرفان المتنازعان وساطتنا.. وبصورة عامة يجب عدم التدخل في الشؤون الداخلية للحكام المحليين وتركهم يدبرون شؤونهم بأنفسهم (وهذا ما سارت عليه بريطانيا في عدن وما يسمى المحميات).

وكان الناس في عدن يتوقعون إما هجوماً بريطانيًّا على عدن أو هجوماً مصريًّا تابعاً لمحمد علي باشا. وقد وصلت أنباء قطع رأس الشيخ حسين حاكم مخا السابق بأمر إبراهيم باشا وتعليق رأسه على عمود وإرسال خمسين من أهله إلى مصر ليصبحوا عبيداً كما تقول الدعاية التي بثّها أنصار وعملاء بريطانيا في عدن.

وصل الكابتن هينس عدن على متن السفينة الحربية (كوت) في ٢٤ أكتوبر ١٨٣٨م، وأرسل إلى السلطان أنه قد جاء لإتمام معاهدة التنازل عن عدن وتحديد المبلغ المطلوب مقابل ذلك.

وأرسل أحمد بن السلطان محسن البارسي (دامجي) الذي صار وكيلاً لجمارك عدن بعد اليهودي مناحيم، ومعه راشد بن عبد الله القاسمي ليقابلوا هينس، وأنه ممثل لوالده، وأنه لن يتخلّى عن عدن للإنجليز. ورفض هينس رسالة أحمد وأنه لا بدّ أن يحصل على تفويض رسمي ممهور بختم السلطان محسن وإلا فإنه لا يعتبره ممثلاً للسلطان. وأرسل هينس برسائل مستعجلة إلى الهند يشرح الموقف ويطالب بإرسال قوات كافية لاحتلال عدن بالقوة.

وقام هينس بحصار عدن، وأرسل إليه السلطان أحمد بن عبد الله الفضلي، عدو سلطان لحج برسالة في ٦ نوفمبر ١٨٣٨م ويقول له: «إن كنت تريد أن تأخذ البلاد (عدن) فاعلمني بذلك وسوف أُنهي الأمر». وعرض تسليم عدن للإنجليز مباشرة وأن يهاجم هو سلطان لحج من البر وأن يقوم هينس بمهاجمتها من البحر.

وهو موقف مخزٍ بكل المقاييس. وكانت عداوته للعبادل تصل به إلى تسليم عدن للإنجليز. بل حثّ هينس على أن يقوم باحتلالها لأن هؤلاء العبادل كاذبون ورجال أشرار ولا تصدقهم أبداً[١].

وكذلك كانت عداوة العبادل للفضلي تدفعهم إلى الاتفاق مع الإنجليز، وإن كانت الاتفاقات التي أجراها العبادل لا تصل أبداً إلى التنازل عن عدن. وهذا التنافس الشديد إلى حد الحرب بين الإخوة الألداء هو الذي أضاع الأندلس من قبل، وأضاع معظم أراضي المسلمين على مدى التاريخ منذ أيام الغزو المغولي لجنكيز خان لأراضي خوارزم شاه بتشجيع من الخليفة العباسي، ثم بعد ذلك غزو هولاكو لبغداد بتشجيع من ابن العلقمي الشيعي وزير الخليفة العباسي، وهي أدوار متبادلة. ومن قبل سلّم حفيد صلاح الدين القدس للإمبراطور الألماني ليساعده في محاربة ابن عمه (حفيد صلاح الدين أيضاً).

إنها لمأساة عانى منها العالم الإسلامي إلى اليوم. كما أنه عانى من العنف غير المبرر والتمثيل بالجثث، وهو أمر قد حرّمه الإسلام تحريماً تامًّا. فمنذ موقعة كربلاء وجزّ رأس الحسين عليه السلام وإرساله ليزيد، قامت الدولة الأموية بالعديد من المذابح ودكّ الكعبة نفسها على يد الحجاج بن يوسف الثقفي حتى يقضي على ثورة عبدالله بن الزبير ضد عبد الملك بن مروان، وما فعله هشام بن عبدالملك من صلب الإمام زيد بن علي عليه السلام الذي ثار ضد ظلم هشام الطاغية، فكان نصيبه الصلب، ثم بعد ذلك رمى جثته في كناسة الكوفة.

وانتشر بعد ذلك التمثيل بالأعداء وصلبهم، وهو أمر محرّم شرعاً، ولكن الحكومات المختلفة في العهود الإسلامية، لم تتورع عن ذلك أبداً. وقد أوردنا شواهد لذلك من تاريخ اليمن في الجزء الثاني من كتابنا هذا.

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٢٤٩ – ٢٥٠.

لهذه الأسباب مجتمعةً سلَّطَ الله الأعداء على المسلمين الممزقين كل مزق الذين لم يسمعوا نداء ربهم: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦). وكانوا كما قال – مالك بن نبي – لديهم القابلية للاستعمار ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩). فقد كان الإنجليز بالذات أقل قسوة وأكثر عدالة مما فعله المسلمون بإخوانهم على مدى التاريخ الطويل من كربلاء إلى يومنا هذا.. وكانوا يستخدمون الخداع والكذب بصورة ذكية، كما كانوا يستخدمون الرشوة والعملاء.. ولكنهم في تاريخهم الاستعماري للبلاد العربية خاصة، لم يستعملوا العنف دون مبرر، وكانت درجات العنف لا تصل أبداً إلى ما فعله المسلمون، والعرب بالذات في تاريخهم الطويل إلى يومنا هذا.

وفي ١٣ نوفمبر ١٨٣٨م وصل إلى عدن الشيخ طيب إبراهيم جي المندوب السابق لشركة الهند الشرقية في المخا، وصديق السلطان محسن، مبعوثاً من طرف حكومة بومبي لإنهاء الأمور بين السلطان محسن والإنجليز[1]. وردّ السلطان على خطاب الشيخ طيب بأنه صديق للإنجليز وحريص على صداقتهم ولكن هينس يفتري عليه ويدعي كذباً وزوراً أنه وقع اتفاقية للتنازل عن عدن. وهو ينكر ذلك. واستمر هينس في فرض الحصار على عدن من البحر.

ووصلت تعزيزات حربية للكابتن هينس بينما وصل إلى عدن تعزيزات من رجال القبائل وأطلقوا النار على الإنجليز من المدافع التركية القديمة ومن بنادقهم الفتيل، ولكنها لم تجد نفعاً.

وفي ٢٦ نوفمبر ١٨٣٨م وصلت رسالة من السيد علوي بن زين العيدروس أن سكان عدن المسالمين يأتون إليه يبكون. ورد عليه هينس بقوله: «على أحمد ابن السلطان أن يسمح لهم بمغادرة عدن قبل أن يبدأ القتال».

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٢٥٢.

وبالفعل هرب الآلاف من سكان عدن إلى الشيخ عثمان ولحج قبل بدء القتال، ولهذا قال هينس بعد استيلائه على عدن إن سكانها لم يتجاوزوا ستمائة شخص فقط، من بينهم ٢٥٠ يهودي و١٥٠ صومالي وبعض الهندوس والفرس وقليل من العرب، أما المقاتلون فلم يذكرهم هينس وكانوا عدة آلاف.

وأعلن هينس رفض جهود السيد علوي بن زين العيدروس في صنع السلام. واستمر الحصار ومحاولات الهدنة وهينس يرفض أي سلام إلا بتوقيع السلطان على صك التنازل عن عدن[(١)].

وما منع هينس من الهجوم على عدن مباشرة إلا أوامر حكومة بومبي المتكررة بأنه يجب أن يأخذ عدن عن طريق المفاوضات دون مهاجمة البلد إن أمكن. ومع ذلك فقد أرسلت التعزيزات والسفن الحربية والتموينات ومبلغ أربعمائة ألف كراون ألماني (ريال فضة) تكاليف الحملة على عدن[(٢)].

الهجوم على عدن

وبدأت المناوشات منذ بداية شهر يناير ١٨٣٩م وجرح فيها بعض الجنود الإنجليز، ولكن عدن دُمِّرت وجرح ما بين عشرين وثلاثين من العرب المدافعين عنها. ورغم محاولات السلطان محسن فضل بتهدئة الأمور إلا أنه فشل في ذلك.

وكانت القوة العسكرية الإنجليزية مكونة من ثمان سفن عسكرية مختلفة الأحجام والأسلحة و٣٠٠ من المشاة الإنجليز، و٤٠ رجال مدفعية من الإنجليز و٢٥٠ مشاة من الهنود و٦٠ من المدفعية الهنود مع مجموعة من المنهدسين وفنيي الألغام.

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٢٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

وبدأ الهجوم في ١٨ يناير ١٨٣٩م من السفن الحربية ضد قلعة صيرة المحصنة والتي فيها العديد من المدافع القديمة والجنود الذين يستخدمون بنادق الفتيل. وشرعت ثلاث سفن في قصف قلعة وجبل صيرة، وردّت عليها المدفعية من صيرة إلا أنها لم تصب أيًّا من السفن. واستطاعت السفن الإنجليزية بعد معركة عدة ساعات أن تحطم القلعة وأن تستولي عليها(١). وقد استغرب حسن صالح شهاب عدم إصابة المدفعية لأي من السفن البريطانية رغم أنها كانت في مرمى المدفعية (وإن كانت قديمة) وعلّل ذلك بالخيانة وأن هينس استطاع، بواسطة رجاله وخاصة الملا جعفر، أن يرشو هؤلاء العسكر(٢). ثم انطلقت السفن البريطانية تهاجم الساحل (الخليج الأمامي المواجه لصيرة) وانتصرت على الجنود المسلحين بالبنادق الفتيل. وتقدمت القوات البريطانية ونزلت إلى الساحل واحتلته بحلول الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً. واستسلم الجنود الموجودون في صيرة. وكانت خسائر الإنجليز محدودة وعدد القتلى والجرحى ١٥ شخصاً فقط.

أما خسائر العبادل فقد كانت كبيرة قتل منهم ١٣٩ وسقط العديد من الجرحى منهم ٢٥ جراحهم خطرة. وأسر منهم ١٣٩ أسيراً كانوا في جزيرة صيرة وسمح لهم الإنجليز بإبقاء خناجرهم. ولكن حدثت مشادة بعد ذلك أدت إلى جرح وقتل عدد من الإنجليز وقتل عدد كبير من هؤلاء الأسرى.

في الساعة الواحدة بعد الظهر احتلّ الإنجليز مسجد عدن الشهير وكانت إصاباته بالمدافع كبيرة ولكن بقيت منارته. واستخدمه هينس كمقر لجنوده من الهنود الذين دنسوا المسجد وكانوا يطبخون فيه طعامهم. وقد تم تحطيم المسجد

(١) المصدر السابق وكتاب واترفيلد: سلاطين عدن، وكتاب جافين: عدن تحت الحكم البريطاني.

(٢) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٢٩.

بالكامل ما عدا المنارة. وقد شرحنا ذلك كله في الجزء الأول من هذا الكتاب. وهو عمل مخزٍ قام به الكابتن هينس الذي كتب مراراً أنه سيحترم المساجد. وقد انتقده بشدة الضابط الإنجليزي والباحث ويلستد الذي قال: إن ما حدث للجامع بعد الاحتلال كان مؤسفاً وأليماً وقد زاره (ليه) وصعد منارته وشاهد الجنود الهندوس والسيخ منتشرين بين أعمدته وفي أروقته يطبخون ويأكلون.. وقد حطم العساكر - بعداوتهم المعهودة للإسلام - كافة الأضرحة الخشبية الموجودة خارج المسجد واستعملوها مادة للوقود[١].

وهذا هو العمل العدواني الوحيد ضد المساجد الذي قام به الكابتن هينس، وقد ندَّد بهذا العمل بعض الإنجليز كما نقلناه من كلام ولستد.

وقد قام الإنجليز بنقل خمسة وعشرين من المدافعين ممن كانت جراحهم خطيرة إلى سفنهم، وقاموا بمداواتهم.. ومنهم راجح العزيبي (من زعماء قبيلة العزيبة) وعلي بن سلام من أولاد عمومة السلطان محسن بن فضل.

تقارير الإنجليز عن المعركة وبطولة المدافعين

وقد كتب ضابط مجهول اشترك في المعركة تقريراً عنها في صحيفة (Bombay Courier) نشر في ١٦ فبراير ١٨٣٩م جاء فيه: «لقد صمد العرب جيداً. وما كان لأي قوات أوربية أن تستمر ضمن الحصون في ظل مثل هذه الكثافة النارية أكثر مما فعل العرب»[٢].

«ونشرت صحيفة (Bombay Times) تصريحاً لأحد ضباط الحملة الإنجليز في ١٦ فبراير ١٨٣٩م جاء فيه: «ما كان لشيء أن يتحمل النيران التي

---

(١) كما ينقله عبد الله محيرز في كتابه صيرة، ص ٣٥ - ٣٦ عن ولستد: Wellested: *Travels to the City of Caliphs, Travels in Arabia* (1840) , London, pp 387

(٢) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٣٢١ - ٣٢٢.

أطلقت من سفننا، لكن المدافعين أظهروا قدراً لا بأس به من الشجاعة، وما كانوا ليقبلون بتنكيس أعلامهم». ووصف أحد الرجال المدافعين عن جزيرة صيرة وهو يركض ليرفع العلم الممزق، ولكن السفينة (فولاج) أطلقت قذيفة واحدة أردته قتيلاً، وهوى الرجل والسارية والعلم».

وذكرت صحيفة (بومبي كورير) نقلاً عن أحد الضباط الإنجليز: «حرص هؤلاء العرب الشجعان على نقل موتاهم وجرحاهم حتى لو تعرّضوا هم للنار». وقالت صحيفة (بومباي تايمز): «هؤلاء العرب شجعان.. ورغم أن المقاومة لم يكن فيها فائدة، لتفوّق قواتنا وأسلحتنا، إلا أنهم أصرّوا على القتال. إنهم يتحملون الآلام الجسدية ببطولة فائقة. شاهدت ابن أخ السلطان الذي جرح في صيرة، كان ساعده - حتى نصفه تقريباً - قد انفصل عن الرسغ، وكانت ساقه مصابة بجرح غائر مضاعف (كسر مضاعف)، وكانت ساقه ملتهبة بشدّة ومتورّمة، ولكنه كان يرقد وسحنته هادئة ومعبّرة، وألقى نظرة عطف على رفيق جريح كان يعاني سكرات الموت»[(١)].

في يوم ٢٠ يناير ١٨٣٩م أي اليوم التالي للمعركة، تقدم السيد زين العيدروس إلى الميجر بيل وسلّم بضعة بنادق فتيل جمعها الأهالي، وسمح لأربعين من البدو غير المسلحين بالخروج من البوابة الشمالية لعدن. وغنم الإنجليز ثلاثة مدافع نحاسية (تاريخية) وجميلة، وثمن الواحد منها خمسمائة جنيه. وقد أُرسل اثنان منها هديّة للملكة فيكتوريا حيث إن عدن أول مستعمرة تقع في حكم بريطانيا في عهدها.

وقد أرسل هينس تقريره إلى حكومة بومبي معلناً أنه اضطر للقتال

(١) تقرير الموظف الطبي لصحيفة بومبي تايمز في ٢٣/ ٢/ ١٨٣٩م، نقلاً عن د. القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٣٢٥.

(والواقع أنه لم يكن مضطراً لأن المفاوضات كانت مستمرّة، إلا أنه ضاق ذرعاً بالمماطلة من السلطان ورفضه لتوقيع تسليم عدن للإنجليز).

ما بعد المعركة

وبعد المعركة، كتب هينس رسائل لكل من السلطان محسن فضل وأحمد ابنه والزعيم العزيبي والزعيم السلامي، ولمشايخ القبائل الآخرين عارضاً مساعدتهم في علاج الجرحى، والسماح لهم بالتعامل الحرّ والودّي مع مدينة عدن. على إثر ذلك، قام كثير من الأهالي بإرسال الإبل والمؤن. وأرسل هينس إلى الموانئ المختلفة على البحر الأحمر يخبرهم بأن عدن أصبحت ميناءً بريطانيًّا مفتوحاً.

وتمّ تبادل رسائل المجاملة بين السلطان محسن فضل والكابتن هينس. ونصحه الكابتن هينس بعدم التردّد في توقيع الاتفاقية التي عرضها من قبل عليه. وفي ٢ فبراير ١٨٣٩م وقع محمد حسين ويس وحسن بن عبدالله عاطف الخطيب بالنيابة عن السلطان اتفاقية صداقة بين العبدلي والإنجليز. وفي ٤ فبراير ١٨٣٩م تم توقيع معاهدة صداقة بين السلطان محسن وأولاده والإنجليز.

وكان هينس طيلة شهر فبراير ١٨٣٩م منهمكاً في توقيع المعاهدات مع شيوخ القبائل من العزيبة، والسيد محمد جعفر العيدروس، زعيم الوهط، وقبائل السلامي، والعقارب، والزبيري.. إلخ.

وقام هينس بإعفاء التجار من الرسوم الجمركية، وبدأ باستيراد مواد البناء من الهند لبناء ثكنات الجنود ومستشفى أوربي، ومرابض للمدافع ومخازن للمدفعية. وقام هينس بتوزيع الأموال على زعماء لحج ابتداءً من السلطان وأولاده وصهر السلطان محمد حسين ويس وشيوخ القبائل وزعماء المناطق. وقد وصلت مراسلاته وعطائه إلى الشيخ قاسم بن سعيد الشرجبي زعيم (الحجرية) بالقرب من تعز.

وفي ٥ مارس ١٨٣٩م جاء محمد ظبي البان (رئيس قبيلة البان) لمقابلة هينس في عدن فلم يقابله. فخرج غاضباً، وقيل إنه قتل رجلاً أروبيًّا أعزلاً مما أغضب هينس وطالب السلطان محسن بتسليم القاتل. وذهب السلطان محسن إلى عدن ووعد بتسليم القاتل، ولكنه طالب بالمخصصات له ولأسرته ولرؤساء القبائل وأن يعامل كمهراجات الهند. فقال هينس إن هذا من اختصاص حكومة بومبي وعلى السلطان أن يكتب لهم بذلك بواسطة هينس.

قرَّر هينس الذهاب إلى بومبي، وعهد إلى الميجر بيلي بمسؤولياته حتى يعود، وأوصاه بالحذر في تعامله مع السلطات العليا في الهند. وترك له ١٦,٠٠٠ دولار كمصاريف لدوائر عدن. وعيّن علي بن عبدالله القاسمي مأموراً للجمارك، وأمره أن يبدأ بتحصيل الجمارك ابتداءً من أول مايو ١٨٣٩م.

وذهب إلى بومبي ليتفاوض معهم حول المعاشات للسلاطين وشيوخ القبائل. وطلب السلطان الفضلي من هينس عند عودته مدافع وأسلحة، فرفض هينس ذلك وأفهمه أن رغبة بريطانيا هي في السلام مع الجميع.

وكما هو معتاد، فإن القبائل انقسمت، وتحارب الفضلي مع العولقي، والحوشبي مع العبدلي، والعزيبي مع الزبيري، وذلك بمساعي عملاء هينس مثل الملا جعفر ومناحيم اليهودي وغيرهما.

وعلم السلطان محسن أن هينس قد طلب قوات إضافية من الهند، والتي وصلت عندما ذهب قاضي لحج إلى عدن يحمل رسالة من السلطان محسن في ٣٠ مايو ١٨٣٩م، فأسرع القاضي بإخبار السلطان بذلك، فقام السلطان باستخدام أربعمائة من رجال القبائل لحماية لحج.

وبدأ هينس يوقع الاتفاقيات مع المشايخ وسلطان يافع والعوالق ويدفع لهم المعاشات والهدايا. ووقع هينس اتفاقية مع السلطان محسن بالتنازل عن

عدن وأن الأرض من خور مكسر إلى لحج هي تحت سلطة السلطان العبدلي، وذلك في ٦ ربيع الثاني ١٢٥٥هـ الموافق ١٨ يونيه ١٨٣٩م.

محاولات استعادة عدن

الهجوم الأول للعرب على عدن

في ٢٤ يونيه ١٨٣٩م تجمع على بوابة عدن حوالى أربعة آلاف رجل مطالبين بدخول عدن بأسلحتهم للاحتفال بالمولد النبوي، ورفضهم هينس، ولم يسمح لهم بالدخول إلى عدن، ومنع أي شخص يحمل سلاحاً من دخول عدن.

وغرقت قبالة عدن سفينة إنزال الفحم مع ستين كيساً من الفحم. وبدأ التذمّر من علماء عدن لأن اليهود يبيعون الخمر في البزار (السوق) للمسلمين بعد أن سمح لهم بذلك الملا جعفر (بعد أن رشوه بالمال).

وتأخرت الأموال المطلوبة من الهند، فتوقف هينس عن إعطاء المشايخ مرتباتهم وأحالهم على السلطان محسن العبدلي.. ومنهم زعماء العوالق.

وفي ٢٣ أغسطس تجمّع بعض المشايخ لدى السلطان أحمد بن عبدالله الفضلي في شُقره، وانزعج هينس من ذلك وكتب مباشرة إلى بومبي منبِّهاً إلى خطر هجوم مباغت على عدن، وأن الحراس لم يجدوا أي مزايا من وجود بريطانيا فيها. وزرع هينس جواسيسه – وأغلبهم من اليهود – ليكتبوا إليه بكل ما يجري في لحج والفضلي وغيرها. وأراد هينس أن يقطع مرتبات السلطان محسن بن فضل وابنه أحمد لأنهم عرفوا بذلك الاجتماع ولم يمنعوه، وهدَّد باستخدام سفينة حربية تمنع إمداداتهم السنوية من التمور من الوصول إلى شقرة أو بير أحمد أو عدن. وقال في خطابه لحكومة بومبي: «**وسوف أجعل قبيلة الفضلي مشغولة بالمكايد من قبل جيرانهم العوالق وأهل يافع**». وتأكد هينس من موافقة السلطان محسن للاجتماع الذي تم في شقرة عندما أكد له ذلك السيد محمد حسين ويس

(صهر السلطان محسن). فكتب هينس رسالة يحذّر السلطان من مغبة ذلك، وأن أي نقضٍ للعهود من قبل أي مجموعة ستكون من مسؤولية السلطان محسن**!!** وقرر إيقاف مرتبات السلطان وابنه أحمد، وكتب بذلك إلى حكومة بومبي وأرسل إلى السلطان محسن يهدّده ويتوعده ويعلنه أن نتائج نكث العهد ستكون وخيمة عليه وعلى أسرته. وأن القبائل التي تريد أو تفكر في الهجوم على عدن ستلاقي عقوبات رادعة جدًّا. واعتبر السلطان، أو أي أحد من رعاياه يقوم بأعمال سلب أو غيرها، فإن السلطان سيكون مسؤولاً عن ذلك مباشرة. «**وإذا تعدّى أي شيخ على أرض بريطانية فإن ذلك يعني إعلان الحرب بيننا وبينك**».

وتم تبادل الرسائل بدون جدوى بين السلطان محسن والكابتن هينس، ولكن السلطان حاول أن يرضي هينس بأن ألقى القبض على محمد الظّبي البان الذي قتل أوربيًّا عند بوابة عدن، وأنه قد عاقب الثلاثة الذين نهبوا الإبل. وردّ هينس بأنه سيعيد المرتب للسلطان عندما تتم المعاقبة.

واستطاع هينس أن يزرع الخلاف بين السلطان محسن وابنه أحمد حول معاقبة النهّابين. وقد أقرّ هينس في خطابه لحكومة بومبي بأنه قد زرع الخلاف بين السلطان محسن وابنه بواسطة السيد محمد حسين ويس.

وقام هينس بزيارة السلطان أحمد عبدالله الفضلي في شقرة وحاول أن يغريه بأن يستولي على الأراضي الزراعية الخصبة للسلطان محسن بن فضل العبدلي.

وأعاد هينس مرتب أحمد ابن السلطان ورحَّب بقدومه إلى عدن. وغضب السلطان محسن لمعرفته بما يفعل هينس عبر السيد محمد حسين ويس وحسن بن عبدالله عاطف الخطيب. وأرسل رسالة إلى هينس يخبره فيها أنه لم يفعل أي شيء يغيّر صداقته مع الإنجليز وأن السيد محمد حسين ويس وحسن بن عبد الله عاطف الخطيب حدَّثاه بالكثير من الأشياء التي يفعلها هينس (ليوقع بينهم).

وكتب هينس إلى الكولونيل كامبل القنصل العام في مصر ولسكرتير مجلس المديرين في لندن المستر ج. پ. ملفيل (J. P. Melvill) مشوّهاً صورة السلطان محسن، وأن أكبر أبنائه (أحمد) قد تشاجر معه، وأصبحت الأسرة كلها على خلاف معه. وفي بداية شهر أكتوبر ١٨٣٩م وصلت رسائل من بومبي إلى هينس تطلب منه أن يعيد للسلطان محسن كميّة الذرة التي استولى عليها من مخازن السلطان محسن. وأن يعيد له المركبين (شوقي) و(عطية الله) وبنادق الفتيل التي استولى عليها في اجتياحه لعدن. ولكن هينس ذكر ما اعتبره قبائح ومخالفات السلطان محسن وأنه يستحقّ التأديب.

وتلقَّى هينس رسائل من السيد محمد حسين ويس تفيد بأن السلطان قد أرسل يطلب عون الفضلي والقبائل الاخرى المحيطة لمحاولة استعادة عدن. وأرسل هينس توجيهاته إلى السيد محمد حسين ويس بأن يبثّ الفرقة بين الفضلي والعبدلي، وبين العبدلي والقبائل الأخرى.

الاستعدادات التي قام بها السلطان محسن

قام السلطان محسن أولاً بإنهاء الخلافات مع ابنه وبقية أفراد أسرته، ثم جمع أكبر عدد من رجال القبائل اللحجية للهجوم على عدن واستعادتها من يد الكفرة ومغرياً لهم بالمال. وكتب إلى سلطان الفضلي ويافع ومشايخ القبائل الأخرى يحثهم على جهاد الكفار ويعدهم بالأموال والغنائم.

ورفض أهل يافع الانضمام إليه تحت تأثير محمد حسين ويس صهر السلطان وعميل هينس وحسن بن عبد الله عاطف الخطيب المسؤول المالي عند السلطان محسن.. واستطاع هؤلاء العملاء أن يجعلوا قبائل الحواشب والعلويين والضالع وردفان وبعض الصبيحة يبتعدون بأنفسهم عن السلطان محسن في خططه لمحاربة الإنجليز الكفار وتحرير عدن.

وتم اجتماع بين السلطان أحمد بن عبدالله الفضلي والسلطان محسن فضل العبدلي (وهما عدوّان لدودان) في لحج، وأصلحا ما بينهما من خلافات واتفقا على استرجاع عدن من الكفار والإنجليز، كما اتفقا على اقتسام الغنائم ودخل عدن، وذلك في ٨ أكتوبر ١٨٣٩م. وقام محمد حسين ويس وحسن عبدالله عاطف الخطيب بإيصال تلك المعلومات إلى هينس. ولم يكن السلطان محسن يعلم بذلك، فكتب إلى هينس يذكر له صداقته مع الإنجليز وأنه مستمرّ على ذلك. فردّ عليه هينس في **٢٥ أكتوبر** قائلاً: «أشعر من واجبي أن أنبّهك ضد سيرك في مخططاتك العدوانية الحالية. الخداع غير مفيد الآن، لأن كل البلاد تعلم بنواياك.. لذلك دعني أنصحك بالتوقف قبل أن تأتي بالخراب على نفسك وعائلتك وقبل أن تتسبب في موت ربما نصف قبيلتك وبعض أبنائك».

ورد السلطان محسن في **٢٨ أكتوبر ١٨٣٩م** بأن ما سمعه هينس ليس إلا أكاذيب، وأنه مستمر في صداقته مع الإنجليز!!. وعرف السلطان بخيانة حسن عبدالله عاطف الخطيب فقرر قتله. وكان هينس على علم بما يحدث وأن الفضلي قد جمع ثمانمئة رجل، وأن «قوات السلطان محسن ستصل بعد ثمانية أيام وأن الهجوم سيكون عندما يبدأ القمر بالمغيب.. كل تفاصيل الخطة كانت عند هينس بواسطة السيد محمد حسين ويس وغيره من الجواسيس.

بداية الهجوم: كانت ليلة الثالث من نوفمبر ١٨٣٩م هي الليلة المحدّدة للهجوم على عدن. ولذا استعدّ هينس ووضع رجاله وقوّاده على أتم الاستعداد على الجبال وعلى الدرب التركي وعلى جبل حديد، كما وضع لنشاً حربيًّا مزوّداً بمدفع بالقرب من خور مكسر.

ولم يتم الهجوم في ذلك التاريخ، وتأجّل إلى الحادي عشر من نوفمبر. وقد علم هينس بهذه الترتيبات. وعند فجر الإثنين ١١ نوفمبر ١٨٣٩م قام حوالى ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) من رجال القبائل المسلحين بالبنادق الفتيل بمهاجمة

المواقع الأمامية البريطانية، ونجحوا في شق طريق لهم على الدرب التركي (السور فوق الجبل المنصوري والممتد إلى جبل حديد)، ولكنهم صدّوا بالمدفعية البريطانية. فالتف بعض المهاجمين من جهة خور مكسر إلى جبل حديد، لكن واجهتهم مدفعية اللنش البحري الموجود بالقرب من الساحل مع زورق بحري عسكري أرسله الضابط واردن آمر السفينة (Clipper Ariel).. وقامت المدفعية من فوق الجبال بإصلاء المهاجمين بنارها وقذائفها. ونزل إلى البر مجموعة من بحارة سفن حربية مع أسلحتهم ومدافعهم للمساعدة في صدّ المهاجمين.

لهذا باءت الحملة بالفشل وتراجع رجال القبائل حاملين العديد من شهدائهم وجرحاهم ومخلفين ما بين أربعين وخمسين جثة وثمانية جرحى لقربهم من القوات البريطانية. وقام الإنجليز بنقل الجرحى إلى عدن وإسعافهم.

وبلغت الخسائر الإجمالية للمهاجمين مئتان وأربعة قتلى وثمانية وثمانين جريحاً وتسعة أسرى من الجرحى، وقد توفي الجرحى الأسرى في عدن. وتوفي ستة وسبعون من الجرحى المنسحبين بعد ذلك.

وثارت أسئلة كثيرة في بريطانيا والهند عن سبب هذا الهجوم، بينما كان هينس قد أفهمهم من قبل أن السلطان محسن فضل قد تنازل بمحض إرادته عن عدن للإنجليز مقابل راتب سنوي يدفع له ولأسرته ولورثته دائماً أبداً.

وكتب رئيس مجلس المديرين السابق وحاكم بومبي الجديد السير جيمس كارناك (Sir James Carnac) في ٢٦/ ١١/ ١٨٣٩م معارضاً لاحتلال عدن ومطالباً بالتخلي عنها لوجود بديل ولكلفتها العالية، وأنها ستثير محمد علي باشا وغيره، فردّ عليه هوبهاوس برفض ذلك. وكتب أيضاً إلى **بالمرستون** وزير الخارجية يعلمه بذلك، والذي كتب يقول: «إن التخلي عن عدن لن يكون مجدياً. وعلى العكس من ذلك سوف يثبت لنا أنها حيازة على أعلى درجات القيمة ويجب الدفاع عنها مهما كان الثمن». وفي فبراير ١٨٤٠م أنهى هوبهاوس

هذا الجدل مع السير جيمس كارناك، بأن الخارجية البريطانية وجميع المسؤولين الآخرين يرون الاحتفاظ بعدن وعدم التفريط فيها[١].

الهجوم الثاني على عدن

بعد فشل الهجوم الأول على عدن، قام أهل الفضلي بمنع الاتصال بين عدن والداخل ومنع الميرة والطعام الآتي من طريق البر إلى عدن. ورد هينس على ذلك بمنع أي سفينة تذهب إلى شقرة (ميناء الفضلي). وتم إحضار المؤن المطلوبة إلى عدن بواسطة البحر.

وبدأت استعدادات السلطان محسن فضل بإرسال الرسائل إلى سلطان العوالق وسلطان يافع ومشايخ القبائل يحثهم على مشاركته وسلطان الفضلي في الهجوم على عدن وتخليصها من الإنجليز الكفار، وكانت تلك المعلومات تصل إلى هينس أولاً بأول.

ومرة أخرى أرسل السلطان محسن فضل في ٢٨ نوفمبر ١٨٣٩م رسالة إلى هينس يراوغ فيها. وقال إنه حريص على ألا يهاجم الإنجليز رغم أن الفضلي يحثّه على ذلك.. «ليس لدي أي غدر وسوف أبقى هادئاً بسبب ضعفي. الخطأ خطؤكم، فأنتم لم تعطوني القوة. أخبرتكم منذ أشهر بأنه لا يوجد في صدري أي غدر أو زيف»، واقترح خمسة عشر يوماً من السلام لإجراء المفاوضات. ورد هينس بأنه سيرسل رسالته إلى بومبي وينتظر توجيهاتهم.

وتم اجتماع زعماء الفضلي والعبدلي في ١ ديسمبر ١٨٣٩م وطلب سلطان لحج محسن فضل بتأجيل الهجوم إلى نهاية شهر رمضان أي ٨ أو ٩ ديسمبر. وبطبيعة الحال وصلت تلك الأخبار إلى هينس الذي كان شديد التيقظ والمتابعة

---

(١) د. سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٣٩٧ – ٤٠١.

لما يجري بواسطة جواسيسه. واستعد هينس بمدافع جديدة نقلت إلى جبال عدن وجبل المنصوري وجبل حديد والدرب التركي.

وفي ٣ ديسمبر ١٨٣٩م ألقى رجال هينس القبض على غلام يحمل رسائل من السلطان أحمد بن عبدالله الفضلي إلى مجموعة من رجال عدن يقول فيها: «أخبركم الآن بما يلي: ذلك الرجل الكافر، عدوّ محمد ﷺ وعدوّ جميع المسلمين، فإني سوف أقاتله إن شاء الله إلى أن أرى لمن يعطي الله القوة، لأن التوكل عليه وحده. وقد قطعت جميع الطرق إلى عدن ولا يمكن أن يدخلها شيء. إذا رغبتم في الخروج فإن أرض الله واسعة، فاخرجوا إليّ ولا تخافوا.. على مسؤوليتي، ولكني لن أسمح لأحد بالدخول»(١).

في ١٢ ديسمبر ١٨٣٩م وصلت مجموعة من السفن إلى عدن تحمل المؤن ومزيداً من الأسلحة والعتاد للكابتن هينس، ولم يعد هناك أي نقص في الأغذية والمؤن، فقد كان هناك ١٧ سفينة تقوم بإحضار المؤن من أماكن مختلفة. ووصلت سفينة (جوندلير) تحمل ٦٠٠ طن من المؤن من الشحر والمكلا وعلى متنها وكيل شركة الهند الشرقية الشيخ طيب إبراهيم جي الذي جاء بهذه الكمية الكبيرة من المؤن والأغذية.

واستطاع هينس أن يجعل الخلاف يدب بين أعدائه، وذلك بواسطة جواسيسه، واختلف الحواشب (الذين ينتمي إليهم السيد محمد حسين ويس) **وبين العبادل حتى قامت بينهم الحرب. وكذلك أعلن العوالق الحرب على أهل فضل، بينما كان يرابط ألف من رجال العبادل عند الشيخ عثمان.**

وطلب هينس من حكومة بومبي أن تسمح له باحتلال لحج حتى لا يتكرر هجومهم على عدن، ولكن حكومة بومبي لم تسمح له بذلك. وبعدها طلب

---

(١) القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٤٠٦.

إزاحة سلطان لحج محسن فضل وتولية ابنه بدلاً عنه. وعندما سمع السلطان أحمد بذلك كله أعلن تنازله لابنه محسن معللاً ذلك بكبر سنّه ومرضه. وقرر هينس أنه سيهجم على لحج ما لم يأتِ السلطان بنفسه إلى عدن. ولما اعتذر له السيد محمد حسين ويس بمرضه وكِبَر سنِّه وافق على إحضار اثنين من أولاد السلطان كرهائن.. وهو أمر سيؤدي إلى فتنة داخل بيت السلطان.

وفي ٢١ مايو ١٨٤٠م شنّ العبادل ومن معهم من آل الفضلي هجوماً ثانياً على عدن. وكانت طريقتهم في الهجوم مثل سابقتها. «فالقادمون من لحج يتسللون تحت جنح الظلام إلى الساحل الغربي من البرزخ (خور مكسر) أثناء حالة الجزر، ويستديرون حول جبل حديد من جهة الغرب، ويهاجمون من ذروته التحصينات البريطانية داخل المحيط التركي. أما القادمون من بلاد الفضلي (أبْين) فيتقدّمون إلى السور التركي من جهة ساحل أبْين، ويهاجمون تحصينات السور التركي من جهة الشرق. وتمكّن المجاهدون من دخول المعسكر البريطاني بالبرزخ، وأخذ بعض محتوياته، ومن بينها رسالة من حسن عبد الله عاطف الخطيب كشف فيها لهينس عن موعد الهجمات وخطتها. وقد أمر السلطان بإعدامه ومصادرة أملاكه»(١).

وقد وصف القاسمي في كتابه: الاحتلال البريطاني لعدن(٢) تفاصيل أكثر، فقال:

«في حوالي الساعة الثانية وعشرين قبل فجر ٢١ مايو ١٨٤٠م اكتشف قارب المدفعية (البريطاني) التابع للسفينة (Chargers) وجود ألفين من أهل فضل يتبعهم ألفين أو ثلاثة من العبادل والأجعود عند أقصى نهاية الحائط

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٣٥.
(٢) القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٤٢٣.

التركي، يعبرون في مجموعات كبيرة في اتجاه النهاية الشمالية لجزيرة العبيد ويتجهون مباشرة إلى جبل حديد. واستمروا على ذلك وسط نيران كثيفة مصدرها التحصينات (البريطانية) اليسرى من الميدان، والقارب ذو المدافع. وكانت صيحاتهم تسمع بوضوح: هيا إلى عدن.. هيا إلى الجهاد.. وكان قتالهم يتسم بجرأة وجسارة عظيمتين. ونجح العرب في احتلال جبل حديد وأطلقوا منه النيران على البرج والقوارب في الأسفل، بينما هاجم آخرون خيام الضباط التي كانت منصوبة بالقرب من التحصينات اليسرى من الميدان.

استمر الجنود البريطانيون والهنود بإطلاق النيران بصورة جيّدة، وردّ عليها العرب بطريقة ممتازة حتى الساعة الثالثة وخمسة وأربعين دقيقة عندما انسحب العرب من جبل حديد وانضموا إلى أولئك الذين خارج التحصينات. وفجأة انتهت المعركة!!».

لم يشرح القاسمي سبب توقف هجوم العرب ولا سبب نزولهم من جبل حديد بعد أن احتلوه.. ولعل ذلك راجع إلى اكتشاف رسائل حسن عبدالله عاطف الخطيب والسيد محمد حسين ويس وقرار السلطان العبدلي والفضلي قتلهما جزاء خيانتهما. فأما حسن عبدالله عاطف الخطيب فلم تكن له قبيلة تحميه وأدى ذلك فعلاً إلى قتله ومصادرة ممتلكاته. وأما السيد محمد حسين ويس فقام الحواشب (قبيلته) بالدفاع عنه وإنقاذه من براثن الموت، وقامت معركة بين الجانبين مما أدى إلى توقف القتال فجأة ضد الإنجليز والانسحاب بعد أن حقّقوا مكاسب هامة وحقيقية.

ويبدو أن الانفعالات هي التي تتحكم في أمور القبائل. وكان الواجب أن يؤجل موضوع الخونة إلى ما بعد انتهاء المعركة مع الإنجليز أولاً ثم يتم بعد ذلك محاسبة الخونة ومعاقبتهم.

الهجوم الثالث (في ٥ يوليه ١٨٤٠م)

وقد بدأ المهاجمون من القبائل بنفس طريقتهم السابقة. فالقادمون من لحج يتسللون إلى الساحل الغربي من البرزخ أثناء حالة الجزر ويلتفون حول جبل حديد من جهة الغرب ويستولون عليه. أما القادمون من أبْين (الفضلي) فيتقدمون إلى السور التركي من جهة الشرق.

وعندما بدأ الهجوم بالطريقة المعتادة، كان الإنجليز قد وضعوا زوارق حربية في خليج المعلا بمواجهة جبل حديد. ولهذا لما تسلّق رجال القبائل جبل حديد فاجأتهم نيران المدفعية من الزوارق، فاضطروا إلى الإنسحاب والتراجع إلى خور مكسر. واقترب أحد الزوارق العسكرية أثناء حالة المدّ من قنطرة خور مكسر وقصفها، فاضطر المنسحبون من جيش العبادل إلى خوض مستنقعات خور مكسر شرقي القنطرة. وكانت خسائر المهاجمين جسيمة نتيجة لذلك(١).

وذكر سلطان القاسمي(٢) اجتماع الفضلي والعبدلي في لحج لتدارس خيانة حسن عبدالله عاطف الخطيب والسيد محمد حسين ويس. واتفقا على قتلهما جزاء فعلتهما الشنعاء. وكما سبق ذكره فإن السيد محمد حسين ويس استنجد بقبيلته الحواشب الذين قاموا بحراسته في قلعته في مدينة سفيان في لحج. وأما حسن عبدالله عاطف الخطيب فقد اختفى، ولكنهم لاحقوه حتى وجدوه فطعنوه، وهرب منهم. وأخذ السلطان زوجته وابنها، وأودعهما السجن، فسلّم نفسه بعد أن أعطوه الأمان. وما إن خرج، حتى قتله عبيد السلطان ونهبوا منازله (١٦ بيتاً). وأراد العبيد تقطيع جثته ورميها للكلاب، ولكن السادة اعترضوا على ذلك وكفّنوه ودفنوه.

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٣٥ – ٣٦.

(٢) د. سلطان بن محمد القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٤٢٤ – ٤٢٨.

وزادت الكراهية للإنجليز. وتجمع رجال القبائل للانتقام لما أصابهم في محاولاتهم السابقة استرجاع عدن، وأقيمت الصلوات في المساجد للدعاء بالنصر للمسلمين.

وفي ٢٦ يونيه ١٨٤٠م زحف رجال القبائل من العبدلي والفضلي نحو عدن بأعداد بلغت ما بين ستة وسبعة آلاف رجل. وللأسف حدثت مناوشات ونهب في منطقة السلطان حيدرة بن مهدي زعيم قبيلة العقارب، وقامت الحرب بينهم فصدّهم عن حصنه. وقد قتل في تلك المعركة أربعة من العقارب، من بينهم أخو السلطان حيدرة بن مهدي، وأما الجرحى فكانوا كثيرين.

وفي أول يوليه وصلت القوات المتحدة من العبدلي والفضلي إلى مسافة أربعة أميال من الدفاعات الخارجية للإنجليز في عدن. وفي ٤ يوليه عاد جاسوس هينس وأخبره أنهم سيهجمون تلك الليلة عندما يكون البحر جزراً في الصباح الباكر.

وفي الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل لاحظ البريطانيون طوابير العرب تعبر البحر الضحل بين جزيرة العبيد وجبل حديد، وعندما اقتربوا فتحت السفن والقوارب البريطانية نيران مدافعها عليهم، ولكن العرب ثبتوا ووصلوا إلى جبل حديد وفوجئوا بالأبراج التي بناها عليه الكابتن هينس تطلق عليهم وابلاً من نيران المدافع والبنادق، كما استمرت سفينة الاعتراض والزورق الحربي في إطلاق النار عليهم بكثافة.. وواجه رجال القبائل النيران من أربع جهات، ومع ذلك تماسكوا وثبتوا، ووصلوا إلى فرجة بين جبل حديد ورأس علي بن أحمد. واضطروا للتراجع أمام كثافة نيران الإنجليز الذين كانوا في أتم الاستعداد لهذا الهجوم العربي الثالث. وأخذ العرب يخلون شهداءهم وجرحاهم بكل شجاعة، رغم كثافة النيران، مما أدى إلى مضاعفة الخسارة في القتلى والجرحى.

وعندما عرف سلطان الفضلي خسارة العبادل الذين كانوا متقدمين في المعركة، تراجع بعد أن فقد خمسة عشر شهيداً. وما أن طلع فجر يوم ٥ يوليه ١٨٤٠م إلا وقد كان العرب قد انسحبوا من ميدان المعركة حيث تركوا بعض أسلحتهم وجريحاً واحداً فقط لم يستطيعوا إنقاذه. وكانت خسارة العبادل كبيرة حيث استشهد منهم ثلاثمائة وجرح لهم خمسون.

الهجوم البريطاني على الشيخ عثمان

بعد الهزيمة الثالثة في ٥ يوليه ١٨٤٠م واستشهاد عدد كبير من جماعة السلطان محسن فضل، عمّت الفوضى في لحج حيث قام الأهالي بنهب كل بيت من بيوت اليهود باعتبارهم جواسيس لهينس (وهم كذلك) وسبب الهزائم. وأصدر السلطان محسن أمره بمصادرة أملاك كل يهودي أو بانيان (من الهندوس) أو عربي من سكان عدن المقيمين في لحج أو الذين كانت لهم أموال وتجارة في لحج.. وبلغت خسائرهم حوالى **١٥٠,٠٠٠** كراون ألماني (ريال فضة).

وفي العاشر من يوليه أرسل السلطان محسن السيد ناصر بن محيي الدين إلى زعماء عسير يعرض عليهم جميع أمواله ومقتنياته إذا قاموا بفتح عدن، وأرسل سالم بن عبادي إلى الآستانة (القسطنطينية) من أجل المساعدة، ولكن هذا الرسول قتل في الطريق ولم يصل إلى الآستانة.

وبعد شهر من إرسال السيد ناصر إلى زعماء عسير وصل ردّهم بالرفض حيث توجد بينهم وبين الإنجليز معاهدات صداقة، ونصحوه **بأن يكتب إلى زعيمهم الشريف حسين بن علي حيدر الذي تنازل له محمد علي باشا عن المخا، فكتب له ووعده بالمساعدة كما وعد السلطان الفضلي أيضاً بذلك. وقام بتمزيق العلم البريطاني في المخا ومنع إرسال التموينات إلى عدن.**

وبما أن السلطان حيدرة بن مهدي العقربي قد واجه هجوم العبدلي والفضلي عليه في محاولتهم الأخيرة للاستيلاء على عدن، فإنه قد تقدّم إلى هينس يطلب منه السلاح لمواجهة أعدائه المتربّصين به، وهم أيضاً أعداء هينس. وقبل أن يصل المدد من هينس هاجم الفضلي والعبدلي قرية وقلعة بير أحمد التابعة للسلطان حيدرة بن مهدي بسبب تعاونه مع الإنجليز. وتم ذلك في آخر شهر يوليه وأوائل شهر أغسطس ١٨٤٠م.

وتم السلام بين العقربي من جهة والعبدلي والفضلي من جهة أخرى في ١٨ أغسطس ١٨٤٠م وطلبا منه أن يتوسط لدى هينس في اتفاق سلام.

هينس يعقد اتفاقيات سلام مع الفضلي والعولقي والعبدلي

وبالفعل وصل السلطان حيدرة بن مهدي إلى عدن في ٢٠ أغسطس وعرض مقترحات السلام. ورحّب هينس بالسلام مع الفضلي. وكتب الفضلي رسالة لهينس يخبره بأنه قد أوقف التعاون مع السلطان محسن فضل وابنه أحمد. واستمرت الرسائل الوديّة بين عبدالله بن حيدرة الفضلي (ابن عم السلطان أحمد ابن عبد الله الفضلي) والكابتن هينس وتم تبادل الهدايا. وقال هينس إنه يود أن يرى السلطان أحمد بن عبدالله الفضلي في عدن وأن يعترف بأخطائه نحو الإنجليز. والإنجليز لا يريدون الانتقام بل يريدون السلام. ولكن عليه أن يأتي ويبدي ندمه واعترافه بأخطائه العديدة. وذكر عبد الله بن حيدرة الفضلي أن سلطان لحج محسن فضل أغرى ابن عمه بالأموال الضخمة التي بذلها له.

أما وضع السلطان محسن فضل فقد كان حرجاً جدًّا فحليفه الفضلي تخلّى عنه. والحواشب هم ضدّه من الأساس. وأهل الضالع وردفان يريدون الانتقام لمقتل حسن بن عبدالله عاطف الخطيب لأنه ينتمي إليهم. ولم يجد السلطان محسن بُدًّا من الذهاب إلى صهره السيد محمد حسين ويس إلى حصنه في

٥ سبتمبر ١٨٤٠م وطلب منه العفو وذبح عنده الماشية، ملتمسين أن ينسى الماضي (والحكم بإعدامه بسبب خيانته). وطلبوا منه أن يتوسط لدى الحواشب وأهل ردفان. كما طلب منه السلطان أن يتعاون معهم في هجوم أخير على عدن عندما تأتي قوات الشريف حسين بن علي حيدر من المخا. وهو أمر غريب جدًّا، فالسيد محمد حسين ويس متعاون مع هينس ومتهم بالخيانة، فكيف يُطلب منه ذلك. وكان موقفه واضحاً، وهو رفض هذا التعاون بتاتاً.

وأرسل هينس رسائل عديدة إلى حكومة بومبي يطلب إذنها في الهجوم على لحج وإزالة سلطانها محسن فضل، ولكن حكومة بومبي أصرّت على أن يعقد معه معاهدة سلام.

وقد تمَّ حصر عدن من جهة البر ولم يدخل إلا القليل من المؤن عبر الشيخ عثمان لمدة عام كامل (١٨٤٠ – ١٨٤١م).

وفي الأول من أكتوبر ١٨٤١م وصل الأمير ناصر بن عبدالله الفضلي إلى الشيخ عثمان ومعه قوة من الخيالة وراكبي الإبل لمنع قافلة كبيرة أرسلها السيد محمد حسين ويس إلى عدن. وبالفعل أوقفوا القافلة بعد أن أطلقوا عليهم النار. فلما علم هينس بذلك قام بإعداد قوة من أربعمئة إنجليزي مشاة وواحد وثمانين من سلاح المدفعية ومجموعة من الهنود. وفي فجر السادس من أكتوبر ١٨٤١م وصلت القوة إلى بيرسعد (دار سعد) التي تبعد عن نوبة المهدي حيث تجمعت فيها قوات الفضلي وبعض قوات العبدلي. وهاجم هينس الشيخ عثمان. وكانت خسائر العرب كبيرة بين قتلى وجرحى، وأما الإنجليز فقد أصيب اللفتينانت بيلي وأربعة جنود، وتوفى جندي إنجليزي بضربة شمس.. وفي المساء عادت القوة الإنجليزية إلى عدن.

ووصلت الأخبار أن الإنجليز سيهاجمون لحج بقوات كبيرة، فاتصل

السلطان محسن بصهره مرَّة أخرى ليتوسط لدى هينس في إجراء مفاوضات سلام. وبدأت الرسائل بين هينس والسلطان محسن مرة أخرى بواسطة السيد محمد حسين ويس.

وطلب السلطان أحمد بن عبدالله الفضلي من حليفه السابق السلطان محسن فضل أن يذهبا سويًّا إلى عدن بدلاً من الذهاب وحده، فهذا أفضل لهما عند مقابلة هينس.

في ١٨ نوفمبر ١٨٤١م وصل إلى عدن السلطان ناصر بن أبي بكر العولقي زعيم العوالق وبرفقته زعيم دثينة لإظهار الصداقة مع الإنجليز، ففرح هينس بذلك وأكرمهم وأقام لهم الضيافات وقدّم لهم وللمرافقين الهدايا وبعض الأموال، وذلك لأن هذه هي أول مرة يقدم فيها سلطان العوالق وزعيم دثينة إلى عدن.

وفي ٢٣ نوفمبر ١٨٤١م وصلت رسالة من الأمير صالح بن عبد الله الفضلي (أخو السلطان أحمد) لزيارة عدن فرحّب به هينس. وفي ٢٨ نوفمبر وصل إلى عدن الشيخ عوض بن حيدرة من مشايخ الفضلي وقدّم ولاءه للكابتن هينس وطالباً رفع الحصار عن شقرة فوافق هينس على ذلك.

وفي ١ ديسمبر ١٨٤١م ظهر السلطان محسن فضل العبدلي على باب عدن، فاستقبل بكافة مظاهر الاحترام. وبعد أن ارتاح في منزل الملا جعفر، تمّ تبادل الزيارات بينه وبين هينس ودار بينهما عتاب وحوار. **وأبدى السلطان أسفه لما حدث، كما أبدى هينس عفوه عن أخطاء السلطان بشروط، وهي:**

١ – أن يلتمس العفو من بريطانيا علناً حتى يعرف شعبه ذلك.

٢– أن يضع اثنين من أبنائه رهائن. وهي خطة لإيقاع الفتنة في بيت السلطان محسن فضل. ولا يستطيع أن يقدم نائبه وابنه أحمد وكذلك لا يستطيع

أن يقدم أبناء زوجته الأثيرة قدرية. ورغم الموافقة الشكلية على هذا الشرط إلا أن السلطان حاول جاهداً أن يتملص منه وأن يوسط الملا جعفر وغيره، ولكن هينس أصرّ على ذلك حتى جاءت الأوامر من بومبي بعد فترة طويلة بإعفاء السلطان من هذا الشرط القاسي.

٣- أن يعيد الأموال والممتلكات والأراضي العائدة للمندوب البريطاني حسن عبدالله عاطف الخطيب (الخائن والجاسوس والذي كان أيضاً المسؤول المالي في سلطنة لحج) وأن يعيد أملاك التجار من اليهود والبانيان (الهندوس) والعرب التابعين لحكومة عدن والذين صادر ممتلكاتهم السلطان محسن فضل ورجاله.

وأصر هينس على الرهائن. ووسّط السلطان محسن صهره السيد محمد حسين ويس فرفض هينس الوساطة وغضب السيد محمد حسين ويس. ولكن هينس اتهم السيد ويس بالموافقة على قتل حسن عبدالله عاطف الخطيب، ونفى السيد ويس ذلك بشدّة، فأخبره هينس متعمداً بأن السلطان محسن فضل هو الذي أخبره بذلك. فغضب السيد ويس، وهو ما يريده هينس، ونجح في الإيقاع بين السلطان محسن وصهره السيد ويس.

وفي ديسمبر ١٨٤١م عقد السلطان الفضلي اتفاقية مع الحكومة البريطانية وأعيد له معاشه، وتبعه شيخ العقارب. وأما السلطان محسن فضل فلم يستطع أن يلبي شروط هينس وخاصة شرط وضع اثنين من أبنائه رهائن لدى هينس.

وفي شهر يناير ١٨٤٣م وصلت إلى عدن من بومبي قوة سلاح الفرسان التي طلبها هينس ليهدّد بها سلطان لحج. كما جاء الأمر من الهند بإلغاء شرط الرهائن، فتمَّ توقيع معاهدة الصلح في ١١ فبراير ١٨٤٣م. وفي ٢٩ يناير ١٨٤٤م تم توقيع معاهدة صداقة مع بريطانيا، ومن بين شروطها قبول رسوم مرور القوافل التجارية التي تمر في السلطنة العبدلية والذاهبة إلى عدن (رسوم

معتدلة) وإعادة معاش السلطان مقابل التزامه بالسلم وبتأمين الطرق وعدم الاعتداء على القوافل الذاهبة إلى عدن والخارجة منها.

وفي يوليه ١٨٤٤م زار نائب هينس الكولونيل كراتندون لحج فاستقبل بحفاوة. وقدم من عدن السيد علوي بن زين العيدروس واشتكى الجميع من سوء إدارة الملا جعفر والرشاوى التي يجمعها من اليهود والفرس الذين يبيعون الخمور للأهالي، وهو أمر ممنوع باتفاق سابق مع هينس. وعاد كراتندون وقدّم الملا جعفر للمحاكمة فبرّأه هينس، ولكن حكومة بومبي علمت بالتفاصيل وطلبت من هينس أن يرسل صديقه الفاسد والمرتشي الملا جعفر إلى بومبي. فأرسله وعزله من جميع وظائفه في عدن بأمر الحاكم الإداري في بومبي.

وقد حدث في الفترة السابقة بعض الأمور الهامة، وهي **أن الشريف حسين ابن علي حيدر حاكم المخا** وما حولها استجاب بعد فترة طويلة من النداء الذي قدمه السلطان محسن فضل سنة ١٨٤٠م بعد فشل الهجوم الثالث على عدن، **ففي ١٨ سبتمبر ١٨٤٢م تسلّم السلطان محسن رسالة من الشريف حسين يعده بمساعدة عظيمة بعد شهر رمضان** (أي في نوفمبر ١٨٤٢م) **لمحاربة الإنجليز. فعرف هينس بذلك، وكتب للسلطان محسن فضل ينبِّهه ويحذِّره من مغبَّة الخيانة!! وتحرَّك هينس بسرعة وأرسل إلى حكومة بومبي التي تدخَّلت واحتجَّت لدى الباب العالي** (لأن اليمن لا تزال تابعة لها اسميًّا) **كما أرسلوا السفن الحربية ورسائل الاحتجاج إلى الشريف حسين بن علي حيدر الذي أدرك المخاطر، فأعلن تعاونه وصداقته مع الإنجليز. وكان قائد قوات الشريف حسين ابن علي حيدر السيد محمد البار!!**

في الأول من نوفمبر ١٨٤٢م، طلب هينس من حكومته أن تسمح له بغزو لحج إذا ما ركب السلطان رأسه مرة أخرى. ولم يكن السلطان مستعدًّا للقيام بأي عمل ضد الإنجليز بعد أن عرف تراجع الشريف حسين بن علي حيدر

(حاكم المخا) عن وعده بالمساعدة في الهجوم على عدن. واستمرت الرسائل بين هينس والسلطان حيث قام هينس بإخبار السلطان بأنه مطّلع تماماً على كل ما يدور وعلى خفايا التدابير ضد عدن، وأن الإنجليز لا يرغبون في إيذاء السلطان إذا ما ثبت على صداقته للإنجليز ولم يستمع للمغرضين والمحرّضين له على الخيانة والغدر!!..

وهكذا تمت لهينس السيطرة على سلاطين لحج والفضلي والحواشب والعقارب وغيرهم بسبب فرط ذكائه ودهائه واستخدامه الجواسيس ومعرفته تحركات أعدائه، وقدرته على إثارة الفتن والمعارك فيما بينهم، واستخدام المال والهدايا في الوقت المناسب.. واستخدام القوة عند الضرورة. وإبداء المرونة والعفو عند الانتصار وتخاذل العدو، حتى يفرض عليه المزيد من شروطه.

الشريف حسين بن علي حيدر (حاكم المخا) ومحمد علي باشا

كان الشريف حسين بن علي حيدرة حاكماً على عسير وجيزان وكان مركزه في (أبو عريش). وكانت اليمن تابعة اسميًّا للدولة العثمانية كما كانت الحجاز والجزيرة العربية. وقد استطاع محمد علي باشا إخضاع الحجاز ونجد (١٨١١ – ١٨١٨م) وكان إخضاع الدرعية قد تم في شهر سبتمبر ١٨١٨م. واتجه محمد علي باشا بعد ذلك إلى عسير والمخلاف السليماني وتهامة. واستولى محمد علي باشا على (أبو عريش) عاصمة المخلاف السليماني كما استولى على صبيا. وقرّر إعادة البلاد اليمنية إلى الإمام مقابل ثلاثة آلاف قنطار من البنّ اليمني سنويًّا، وقد استلم الإمام البلاد اليمنية التي سيطر عليها محمد علي باشا ما عدا (أبو عريش) التي تمّ تسليمها للشريف علي بن حيدر.

وعندما اتجه محمد علي باشا إلى الشام (سوريا الكبرى) وبدأ يحتلّها، انزعجت الدولة العثمانية التي كان يتصرّف باسمها كما انزعجت بريطانيا وفرنسا لذلك، لأن قوة محمد علي باشا تزايدت إلى حد كبير وظهر أنه يريد إقامة دولة تشمل كل البلاد العربية وتتحدّى النفوذ الغربي كما تتحدى الآستانة. لهذا كله اتجهت قوات محمد علي باشا بعيداً عن اليمن إلى الحجاز وذلك منذ سنة ١٨٣٢م. وأدى ذلك إلى أن تأخرت رواتب الضباط والجنود في الحجاز، كما أدى إلى ثورة عرفت باسم ثورة (تركجة يلمز) واسمه الحقيقي محمد آغا، وقام المتمردون بتنصيبه والياً على الحجاز وأرسل السلطان العثماني بتعيين تركجة يلمز الثائر والياً على الحجاز، نكاية في محمد علي باشا.

وأرسل محمد علي باشا حملة قوية بقيادة أحمد يكن باشا إلى ينبع فاحتلتها ثم احتلت الحملة جدة، وانسحب تركجة يلمز جنوباً إلى القنفذة، ثم اتجه إلى

الحديدة فدخلها في ٢٥ سبتمبر ١٩٣٢م ثم استقرَّ في المخا.

وطاردت قوات محمد علي باشا تركجة يلمز، وضرب قائد محمد علي باشا المدعو أحمد يكن باشا المخا بالمدافع من جهة البحر وحليفه علي بن محتل العسيري من جهة البر فسقطت المخا في ١٣ ديسمبر ١٨٣٣م. ثم سقطت الموانى اليمنية الأخرى وهرب تركجة يلمز، الذي أنقذته بعض السفن البريطانية الموجودة في منياء المخا آنذاك. وأرسل محمد علي باشا والياً جديداً هو إبراهيم يكن باشا الذي اشتهر بقسوته، وسقطت تعز دون مقاومة لحكمه. واستتب الأمر لمحمد علي باشا حتى عام ١٨٤٠م عندما اضطرته حروبه في الشام إلى أن يسحب قواته من اليمن وأن يعرض المخا (الميناء الهام لتصدير البنّ) لمن يدفع الثمن الأعلى. فكان ذلك من نصيب حاكم (أبو عريش) الشريف حسين بن علي حيدر. وقد سلَّم حاكم اليمن إبراهيم يكن باشا تهامة وبالذات المخا إلى الشريف حسين بن علي حيدر في ١٣ مارس ١٨٤٠م.

وكان الشريف حسين بن علي حيدر يحكم جيزان وعاصمته (أبو عريش)، وامتدّ حكمه إلى زيلع (في الصومال الذي احتلته بريطانيا فيما بعد)**، وكان حاكم زيلع نيابة عنه هو السيد سعيد بن محمد البار. كما كان قائد قوات الشريف حسين بن علي، السيد محمد البار** (لعله والد المذكور والي زيلع).

وآل البار من دوعن، في حضرموت، وقد هاجر منهم عدد إلى الحجاز ثم توطنوا مكة والطائف. وعندما حجّ السيد عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبدالرحمن (مولى جلاجل وشيخ الشيخ عبدالله باسودان صاحب المؤلفات الكثيرة ومنها فيض الأسرار في ترجمة عمر البار) توفي في طريق العودة ودفن بالقرب من أبي عريش. وهاجر بعض أولاده إلى أبي عريش واستوطنوها إلى اليوم (١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م)، ومنها انتشروا في أماكن عديدة في المملكة العربية السعودية.. **وقد قام السيد سعيد بن محمد البار حاكم زيلع بالتنازل عن جزيرة**

(إيفات) التي تتحكم في مدخل زيلع إلى بريطانيا وذلك في ٣ سبتمبر ١٨٤٠م[١] لقاء مبلغ من المال زهيد.

وهكذا مدّ الأخطبوط البريطاني نفوذه إلى سواحل البحر الأحمر الغربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية، والتي كانت مصر في عهد محمد علي باشا مسؤولة عنها. ثم استمرت مسؤولية مصر في عهد خلفائه. وبريطانيا التي حققت لنفسها نفوذاً كبيراً في مصر في عهد الخديوي إسماعيل حفيد محمد علي باشا، فإنها استطاعت بواسطة مصر أن تستولي على السودان ومنابع النيل وأجزاء كبيرة من الساحل الغربي الإفريقي، وأن تحول دون توغّل فرنسا في هذه المنطقة.

الشريف إسماعيل بن الحسن بن أحمد (سلطان مكة) وجهاد الإنجليز في عدن ١٨٤٦م

في صيف ١٨٤٦م (شهر شعبان ١٢٦٢هـ) خرج الشريف إسماعيل بن الحسن بن أحمد (سلطان مكة) داعياً لجهاد الإنجليز الكفار في عدن وإخراجهم منها. ووصل إلى لحج، وعسكر في قرية طهرور ومعه أعداد كبيرة من الأغراب وأغلبهم ليس لديهم سلاح إلا السيوف وبضع مئات لديهم البنادق الفتيل.

وكتب السلطان محسن بأخبار الشريف إسماعيل إلى هينس فردّ عليه أنه على تمام الاستعداد لصدّه. وقام السلطان محسن بمصانعة الشريف وفرضوا على أهل لحج قوتاً للجنود المجاهدين في سبيل الله. وكتب الشريف إسماعيل هذا الفرمان للسلطان محسن[٢]:

---

(١) جلال يحيى: التنافس الدولي في شرق إفريقيا، دار المعرفة، القاهر ١٩٥٩، ص ١٣؛ وأحمد محمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، دار الثقافة العربية وجامعة عدن، ص ١٣٨.

(٢) نقلاً عن كتاب القومندان أحمد فضل العبدلي: «هدية الزمن»، ص ١٧٨ – ١٨٠.

«الحمد لله الذي ألّف القلوب بعد التنافر بالبعاد، وجعل المخالطة في الله سبيلاً لا ينقطع في الوداد. والصلاة والسلام على من قال ارحموا عزيز قوم ذلّ وغنيًّا افتقر. وقوله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم ممن كان للإسلام افتخر. أما بعد، اعلموا أيها الناس أزال الله عنا وعنكم الوسواس والباس، أن الله عزَّ وجلَّ قدَّر المقادير حتى ساقنا من أقصى البلاد إلى هذا البلد بقدرة العزيز القدير، فوجب علينا أن نقرّ أولي الفضل والرياسة في أحكامهم المعلومة من غير بخس ولا خساسة، وهو فخر الأمراء المكرمين وارث العز خلفاً بعد سلفه الأوّلين، **السلطان محسن بن فضل** بن محسن بن فضل بن علي بن سلام أدام الله عليهم سجال الفضل والإنعام. ولا يرتاب مريب ولا يشك في هذا الأمر بعيد أو قريب وأن المذكور لا يعارض في سوح بلاده ولا يتجرّأ عليه أحد في رعيته ومواشيه وأتباعه. ومن كان في معاملته وزروع لزاده. وأن المذكور عدوّه عدوّنا وصديقه صديقنا، وبعلم الواقف عليها والناظر إليها. وأن هذا الحكم حسبما اقتضاه الشرع المجيد الذي عليه المدار ويجب أن يؤكد غاية التأكيد، والكف الكريم والختم الفخيم، عليهم الاعتماد من الشريف الإمام العارف بالله فرع الشجرة الزكية وسلالة السلسلة المصطفوية، الغوث الجامع والغيث الهامع معصب لشريعة جده **مولانا الشريف إسماعيل بن مولانا الشريف الحسن ابن مولانا الشريف أحمد سلطان مكة بن مولانا الشريف سعيد سلطان مكة ابن مولانا الشريف سعد سلطان مكة بن مولانا الشريف زيد سلطان مكة بتاريخ شهر شعبان سنة ١٢٦٢هـ**».

وكان الشريف يغري المسلمين بجهاد النصارى في عدن ويعدهم بالفتح المبين والنصر المكين، ويمنيهم بأن الله قد أخجل النصارى وعزّز الموحِّدين. وأن مدافع الإنجليز قد أطفأ الله شرارها ودفعت عن المجاهدين أشرارها. فقصد في جمع من أصحابه عدن فردّهم عنها الإنجليز بالمدافع وقتل منهم جملة قتلى

فعادوا بقلب مكسور وطرف محسور. وسلّط الله على المجاهدين الهواء الأصفر (كوليرا أو الطاعون) ففتك وعقر وقتل فأكثر وفرق وذرذر شذر ومذر، فكانوا يموتون في الطرقات. وأخذتهم المجاعة ودنت عليهم الساعة، فجاع العير والنفير وباعوا سلاحهم بالخبز الفطير، فكان الرجل منهم يبيع بندقه بقرص ذرة يساوي بيستين. فتفرّق من بقي كل اثنين في طريق. وعاد الشريف من حيث أتى بعد أن كان إمام المسلمين وقائد المجاهدين فالقوة الدائمة لله سبحانه وتعالى، وهكذا عاقبة الأوهام لمن يقصرون جهدهم على التنجيم والأحلام.
حدثني (الشيخ عبد العليم بانافع) قال: حدثني والدي الشيخ محمد بن عبد الملك بانافع قال: جاء الشريف إسماعيل صاحب علم الحرف إلى لحج سنة ١٢٦٢هـ، فلما وصل إلى وادي طير قابله العبادل فنزل في طهرور على رمل هنالك، وكان معه جيش من عسير قاصداً الهجوم به على عدن. وكاتب السادة أهل الوهط وأهل الفيوش وأخبرهم بمقاصده فوافقوه على المسير معه إذا كان واثقاً بالنصر، فوعدهم بالنصر وأنه عرف ذلك من علم الحساب وأن مدافع الإنجليز لا تطلق عليهم نيرانها. ومنّاهم بالغنيمة وحاول حمل السلطان محسن على المسير معه إلى عدن فاعتذر. ثم كتب الشريف المذكور لأهل فضل فلاقوه إلى باب عدن، وسرنا نحن معه في آخر الليل من طهرور فوصلنا إلى ساحل البحر بعد شروق الشمس وخضنا في ماء البحر إلى الركب، ومشى الخيالة من أهل فضل أمامنا حتى قفزت خيلهم درب الحريبي. ثم دخلنا نحن وجميع الجيش إلى الباب فأطلق الإنجليز علينا مدافعهم فانهزمنا من حينها إلى الوهط والفيوش، وكان **الطاعون** قد انتشر في جيش الشريف من أول الليل وكنا متوجهين إلى عدن والموت حاصل في العسكر. وبعد الهزيمة تفرقنا شذر مذر فلم يعرف الآخر أين ذهب الأول. أما الشريف ومن بقي من أصحابه فتوجهوا بعد ذلك إلى جهة أبْين. وفي كتاب (مجموع المعاهدات والارتباطات والسندات المختصة بالهند والبلدان المجاورة لها) للمستر اتشيسن بي سي أس السكرتير

الثاني لحكومة الهند ذكر أن الدولة قطعت الراتب الذي للسلطان محسن لاشتراكه في الهجوم على عدن في (١) **أغسطس سنة ١٨٤٦م** توافق سنة **١٢٦٢ هـ** يريد هذه الحادثة، مع أن عسكر البريطانيين رابطوا للدفاع عن عدن تحت جدران القلاع وتركوا حليفهم السلطان محسن بلا معاونة. ولما صالح لسلامة بلاده وصالح رعيته قطعوا راتبه وعدّوه مشتركاً في الهجوم على عدن.

وقد ذكر **السيد حسن صالح شهاب**(١) أن الشريف إسماعيل تقدّم من قرية طهرور في لحج إلى الشيخ عثمان في ٢٧ أغسطس ١٨٤٦م، وتقدّم مع نحو ألفين من أتباعه إلى السور التركي رافعين راية الجهاد، فاستقبلتهم قذائف مدفعية السور، ومدفعية الزوارق البحرية بالبرزخ. فانهزموا، ونجا الشريف بأعجوبة حيث سقطت قذيفة مدفع تحت فرسه، ولكنها لم تنفجر.. وأضعفت الهزيمة إيمان أتباعه بقوته الخارقة. وفي اليوم التالي عقد الشريف اجتماعاً مع قادته نوقشت فيه خطّة الهجوم الثاني، واتفقوا على أن يتم الهجوم بالليل. ولكن قبل أن ينفضّ الاجتماع حدث شجار بين الشريف وشيخ العقارب. وحاول الشريف أن يعتقل العقربي، فانحاز السلطان الفضلي إلى جانب صديقه العقربي، وساعده على الهرب من المعسكر، وحدثت معركة بين بعض المجاهدين، وتفرّق من في المعسكر في اضطراب وعجلة بسبب تفشي وباء الكوليرا والجدري فيه(٢).. وهكذا أخفقت حملة الشريف إسماعيل، ورفع الحصار عن عدن وقطعت بريطانيا معاش كلٍّ من السلطان محسن والسلطان الفضلي لاشتراكهما في الهجوم على عدن مع الشريف إسماعيل.

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٣٩ – ٤٠.

(٢) ذكر القومندان أحمد فضل العبدلي في كتابه «هدية الزمن» أن مرض الطاعون هو الذي انتشر، وكان الناس يطلقون على كل وباء طاعوناً. ولم يذكر الدكتور سلطان القاسمي في كتابه: الاحتلال البريطاني لعدن أي وباء رغم أنه خصص أربع صفحات للشريف إسماعيل (٤٨٣ – ٤٨٦).

وأورد **الدكتور القاسمي تفاصيل أخرى**[١]، منها أن الشريف إسماعيل وصل بتاريخ ١١ أغسطس ١٨٤٦م إلى الفيوش حاملاً رايته الخضراء التي كتب عليها «يا مالك الملك» «نصر من الله وفتح قريب» وأخذت قوته تزيد بانضمام العديد من العبادل وأهل فضل والحواشب. وكان هينس يتلقى أخبارهم عن طريق اليهودي (مناحيم)، واليهودي (شمويل)، وقد عملا من قبل لحساب هينس في التجسس. وقال إن قوات الشريف بلغت ستة آلاف بينما ذكر السيد حسن شهاب أن عدد قواته لم يجاوز ألفين، وكان من بين قواته أبناء السلطان محسن. وأقام قيادته في الشيخ عثمان. وبقية القصة تتّفق مع ما سبق إلا أنه ذكر أن هينس استلم رسالة من الشريف إسماعيل في ٢٥ أغسطس يطلب فيها الاستسلام، وهو ما لم تذكره المصادر الأخرى.. ولكن القاسمي ذكر أن المعارك استمرت إلى ٢٨ أغسطس، ثم انسحب الشريف إسماعيل بعد أن تكبد خسائر في أتباعه، كما خسر الفضلي والعبدلي عدداً من رجالهما.

وفاة السلطان محسن فضل نوفمبر ١٨٤٧م

كانت وفاته في آخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٦٣هـ/ نوفمبر ١٨٤٧م وكان له من الأولاد الذكور تسعة، وهم: أحمد وهو الأكبر والذي تولى الحكم عدة مرات أثناء حياة والده، وهو الذي تولى بعده، وعلي، عبد الله، وفضل، ومحمد عبد الكريم، وعبد الهادي، وعبد القوي، ومنصر، وعدد من الإناث لم تذكر المصادر أسماءهن.

وقد ذكرت المصادر الغربية الإنجليزية السلطان محسن فضل بأقذع الأوصاف بناء على ما كتبه الكابتن هينس، واتهموه بأنه لص وحقير ويعبد المال، ولا عهد له ولا ذمة، وكذاب وأفاق.. إلخ. والواقع أن السلطان محسن

---

(١) د. القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٤٨٣ – ٤٨٦.

فضل كان غير ذلك، وكان ذكيًّا وكان يتعامل مع أشد الناس ذكاء وحقارة ولؤماً وهو الحيّة الرقطاء الكابتن هينس. وقد كان هينس يتميز بمعرفته الواسعة لعادات القبائل في جنوب جزيرة العرب، ويستطيع بسهولة أن يثير النزاعات بينهم، وأن يدبّر المكايد، ويبث العيون وينشر الجواسيس، ولم تكن تحصل شاردة ولا واردة بين صفوف أعدائه إلا وعنده علم عنها بواسطة جواسيسه المنتشرين.

وكان السلطان محسن فضل مثل سلفه أحمد عبد الكريم محتاجاً لصداقة الإنجليز، وكان يظن أنه يستطيع أن يحصل منهم على المال والسلاح، وبالتالي يتم له إخضاع المناوئين له، وخاصة السلطان الفضلي، والسلطان العولقي. وكلاهما لديه قبائل قوية وشرسة، كما أن الحواشب كانوا ضده معظم الوقت، وكان العزّيبة وهم من القبائل اللحجية القوية معه إذا أعطاهم المال، فإذا شحّ المال أو قلّ انقلبوا ضدّه. وهكذا استطاع هينس أن يلعب بهذه المجموعات. ولكن السلطان محسن فضل أثبت دهاء وسياسة، ومقاومة شرسة للإنجليز عندما أرادوا الاستيلاء على عدن استيلاءً تامًّا، بينما كان هو مستعد استعداداً تامًّا لصداقتهم، وإعطائهم محطة لتموين السفن بالفحم، وموقعاً تجاريًّا ممتازاً، وعلاقات وطيدة. ولكن هينس وعتاة الإمبراطورية قرروا الاستيلاء على عدن، فوقف لهم السلطان محسن بالمرصاد، ورفض المغريات والأموال والوعود. ولم يخضع للتهديد والابتزاز. وخاض معارك شرسة ضد الإنجليز الذين احتلوا عدن في يناير ١٨٣٩م. ولكنه لم يسكت واستطاع أن يحول عدوّه اللدود السلطان أحمد عبدالله الفضلي إلى صديق يحارب الإنجليز. وخاض ضد الإنجليز ثلاث معارك مباشرة خسرها جميعاً، ومعركة رابعة بواسطة الشريف إسماعيل. كما حاول إثارة المصريين وشريف المخا ضد الإنجليز، ولكن محاولاته باءت بالفشل، غفر الله له وتقبله في الصالحين لأنه رفض بإباء بيع وطنه وواجه الهزائم من أجل ذلك.

السلطان أحمد محسن فضل(١)

(١٢٦٣ -١٢٦٥هـ/ ١٨٤٧ -١٨٤٩م)

تولّى بعد وفاة والده في ذي الحجة ١٢٦٣هـ/ نوفمبر ١٨٤٧م، وقد كان له دور في حياة والده وولّاه السلطنة بدلاً عنه لفترات محدودة. وقد اتهمه الكابتن هينس بأنه قام بمحاولة اختطافه للحصول على وثيقة التنازل عن عدن التي زوّرها هينس بواسطة عملائه وبالذات الملا جعفر وأخذوا بالخديعة ختم السلطان، وأوصلوه إلى هينس.

ورغم ذلك فقد كان هينس يعتبر أن السلطان أحمد بن محسن أفضل من أبيه ويمكن التفاهم معه. لذلك بادر هينس بعد وفاة السلطان محسن فضل وتولي ابنه أحمد السلطنة بالكتابة إلى رؤسائه في بومبي عن نيته في تشجيع السلطان الجديد، ومساندته في إخضاع القبائل من حوله ليضمن الأمن والاستقرار في المناطق المجاورة لعدن.

ودخل السلطان أحمد عدن في أواخر فبراير ١٨٤٨م لحضور المؤتمر الذي دعا هينس لعقده فيها، فاستقبله هينس شخصيًّا عند باب عدن ورافقه حرس الشرف إلى منزله، وأبدى له من الحفاوة والاحترام ما لم يكن يحصل عليه والده ولا أي سلطان آخر. وفي المؤتمر، ناقش هينس موضوع الرسوم التي يفرضها العبدلي على البضائع المارة في أرضه، وطلب تخفيضها لتنشيط التجارة، وبالتالي سيعوض ذلك نقص الضرائب. كما طلب من السلطان أحمد أن يشجع المزارعين في لحج على زراعة الخضروات والفواكه التي تحتاجها عدن (الإنجليز

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٤١ –٤٢، وأحمد فضل العبدلي، ص ١٨٠ – ١٨١.

والسكان المحليين). وانتهى المؤتمر بتوقيع الاتفاقية بين العبادل الذين حضر منهم مئة وستون شيخاً من مشايخهم، بالإضافة إلى السلطان أحمد وحاشيته، وبين هينس، ووزع عليهم هينس الهدايا وبعض الأموال.

وقام السلطان أحمد بإصلاح النزاع ما بين العزيبة والعقارب، كما قام بحماية طرق القوافل التي تمر بأرضه، واعتبر نفسه مسؤولاً عن أمنها. وطلب من هينس أن يرسل مهندسين لإعادة سور عاصمته الحوطة، وتزويده بمدافع وأن تسلّم معاشات جيرانه من السلاطين المشايخ (ما عدا الفضلي) عن طريقه، وطلب منزلاً خاصًّا به في عدن. فاستجاب هينس لجميع طلباته بعد أن رفعها إلى حكومة بومبي التي وافقت عليها.

وكانت علاقته بالإنجليز قوية. واعتقد أن حكومة هينس ملزمة بموجب الاتفاقية الموقعة معهم في ٩ مارس ١٨٤٨م بأنهم ملزمون بحمايته ضد جيرانه الأقوياء. وبالفعل استطاع أن يوطّد الأمن، ويحسِّنَ التجارة والزراعة خلال فترة حكمه القصيرة، إذ اختطفه الموت بمرض الجدري الذي قضى عليه في ١٨ يناير ١٨٤٩م وهو في أوج سلطانه. ومن آثاره: مسجد الدولة في الحوطة. ولم تزد مدة حكمه عن سنة وشهرين.

السلطان علي بن محسن فضل [١]

(صفر ١٢٦٥ – ربيع الأول ١٢٧٩هـ/ ١٨ يناير ١٨٤٩ – ١٨٦٣م)

تولى بعد أن استقر في الحكم بعد منافسة أخيه عبد الله. جدّد الاتفاقية مع الإنجليز في مايو ١٨٤٩م، ومن بنودها أن يحمي السلطان أملاك وأموال رعايا الإنجليز ويسمح لهم بالدخول إلى لحج للتجارة والسياحة، ويسمح لهم بالحرية الدينية كاملة ما عدا حرق جثث الموتى. ويسلّم المجرمين من رعايا الإنجليز ليحبسوا في عدن، وأن تكون بضائع السلطان معفيَّة من الضرائب، وأن تخفّض الرسوم على البضائع من وإلى عدن إلى ٢ بالمئة فقط، وأن يصغي لمشورة المعتمد الإنجليزي بقدر الإمكان. ووافق السلطان على تزويد مدينة التواهي والسفن الراسية فيها بالمياه من الحسوة. وجرى تنفيذ المشروع بواسطة السيد علوي بن زين العيدروس (منصّب عدن) وشريكه علي أبي بكر. وكانا ينقلان المياه من الحسوة إلى التواهي عبر بحيرة العجم (خليج عدن) بالقوارب. وبما أن الحسوة كانت تابعة للعقارب وليست تابعة للعبادل فقد سعى السيد علوي بن زين العيدروس لإرضاء شيخ العقارب. وعندما رسا قارب السفينة (أوكلان) في الحسوة في شهر مايو ١٨٥٠م اعتقد العقارب أن الإنجليز يريدون احتلال أرضهم فأطلقوا عليهم النيران، فطلب هينس من السلطان علي أن يعزل الشيخ حيدر، شيخ العقارب، ويسلّم القاتل لهينس، فلم يستطع السلطان تنفيذ أيٍّ من هذين الشرطين.. ولهذا جمع السلطان علي بن محسن فضل قبائله وهاجم

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٤٣ – ٤٨، والقومندان أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ١٨١ – ١٨٤.

العقارب في يناير ١٨٥١م (بعد أن قضى على معارضة أخيه عبد الله) وأخذ بير أحمد في هجوم عاصف، واعتقل الشيخ حيدر، ولكنه اضطر لإطلاق سراحه بناء على معارضة زوج شقيقته السيد محمد حسين ويس، ومعارضة سادة الوهط الذين اعترضوا بشدّة على تسليم الشيخ حيدر للكابتن هينس.

وفي مارس ١٨٥١م اغتيل النقيب (مايلن) من جيش عدن، في قرية الوهط. ولجأ القاتل إلى بلاد السلطان الفضلي، فطلب هينس من السلطان علي ابن محسن فضل تسليم القاتل لمحاكمته في عدن. ورغم دفع رشوة لسلطان الفضلي لتسليم الجاني إلا أن الفضلي رفض ذلك، وكتب إلى السلطان علي بن محسن قائلاً: «إن هؤلاء الإفرنج يحتقرون غيرهم من الشعوب. وإن من عادة العرب عدم تسليم المستجير لعدوه. ومن أجل التخلص من مطالبات هينس أعلن الفضلي وفاة الجاني بالسم [1] (وهو أمر غير حقيقي).

وفي يوليه ١٨٥١م قُتل اثنان من بحارة سفينة تجارية، وصلا إلى الساحل بعد غرق سفينتهما. وكان القاتل من قبيلة العزيبة التابعة لسلطان لحج. وتمكن السلطان علي محسن من القبض على الجاني. واقترح هينس أن يقتل الجاني علناً كي يكون عبرة. ولكن السلطان علي رأى أن ذلك سيثير قبيلته العزيبة القوية، ويثير إخوته الطامعين في الحكم ضده.. وكتب هينس إلى بومبي فجاءت الأوامر بمهاجمة لحج وأبْين، وانتظر هينس وصول الإمدادات من الهند، ولكنها لم تصل، ووصل بدلاً منها أمر من لندن في نهاية أغسطس ١٨٥١م يمنعه من الخروج بحامية عدن خارج أسوار عدن.

وفي شهر أكتوبر ١٨٥١م، وصل إلى لحج شخص يدّعي الكرامات ويدعو للجهاد، والتف حوله بعض الناس. فأرسل السلطان علي محسن إلى هينس يخبره بذلك، فقرَّر هينس إعادة العلاقات الطيبة مع السطان علي محسن، والذي قام

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٤٥.

بدوره بإعدام القاتل من العزيبة سرًّا، ودفع الأموال لزعماء العزيبة حتى يتغاضوا عن قتله، وتعهَّد بملاحقة قاتل النقيب (مايلن). **فكتب هينس إلى بومبي بكل التفاصيل وطالب بإعادة معاش السلطان علي محسن الذي قطع من شهر يوليه ١٨٥١م، وأن يزود بمدفع حتى يواجه من ثار من العزيبة، فواجههم السلطان وهزمهم ووضع خمسة من رؤسائهم في السجن وفرَّ أربعون منهم إلى بلاد الفضلي** [١].

وقام هينس بمحاصرة فقم (في البريقة التي كانت تابعة للعقربي) **وشقرة منياء الفضلي، ورفع هينس في نفس الوقت جميع الرسوم الجمركية في عدن وأعلنها ميناء حُرًّا فنمت التجارة في عدن. وبما أن المخا عانت من اضطرابات كثيرة بعد انسحاب محمد علي باشا منها وإعطائها للشريف حسين بن علي حيدر** (حاكم أبي عريش)، **فإن تجارة البنّ اتجهت إلى عدن بدلاً من المخا.**

وازدادت قوة السلطان علي محسن بوصول المؤن والمدافع. وفي يوليه ١٨٥٢م وجّه جيشه مرة أخرى إلى بير أحمد، ولم يسحب جيشه منها إلا بعد أن وافق شيخ العقارب على تحويل نصف دخل جمرك فقم إلى السلطان علي بدلاً من السلطان الفضلي.

وبنى السلطان علي محسن حُصناً في الحسوة. وفي فبراير ١٨٥٣م بنى حصناً آخر في الشيخ عثمان، فتمكن بهذين الحصنين من مراقبة حركة القوافل بين عدن وأرض العقربي وأرض الفضلي. ثم بنى مركزاً في الشيخ عثمان لتحصيل رسوم القوافل من وإلى عدن. وردّ الفضلي على ذلك بقطع الطريق، واتسعت المعارك بين العبدلي من جهة والفضلي والعقربي من جهة أخرى [٢].. **واستطاع العبدلي أن يستميل العوالق الأشداء بعد أن هاجم العوالق وآل الفضلي لحج وقتلوا**

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٤٦.

(٢) حسن صالح شهاب: العبادل.

الشيخ أبو بكر بن ناصر الرويسي واستطاع السلطان علي محسن أن يصدّ هجومهم على الحوطة.

وقد قام السلطان علي محسن بتوسيط السيد محمد بن عبد الرحمن الجفري، الذي كانت له مكانة كبيرة عند العوالق، في إجراء الصلح معهم، واستطاع السيد الجفري أن يوفّق بين السلطان علي محسن العبدلي والسلطان منصّر بن أبي بكر بن مهدي العولقي. ثم بعد ذلك مع سلطان الواحدي هادي بن عبدالله الواحدي. وتم ذلك الصلح سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م.

وكانت حكومة بومبي تراقب تصرفات هينس المالية، ووجدت فروقاً كبيرة في الميزانية ولم يستطع هينس أن يوضح العجز في خزينة عدن مما أدى إلى استدعائه إلى بومبي في مارس ١٨٥٤م حيث تمت محاكمته بعد إعطائه فرصة لتوضيح الفروقات المالية الكبيرة. وذكر واترفيلد في كتابه «سلاطين عدن» أن الفروقات كانت كبيرة وأنه أخذ ما بين ٢٥,٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ روبية [١]، بينما ذكر القاسمي أن الفروقات والعجز في خزينة عدن بلغ ٢٨٧,٩٧١ روبية [٢] ويُعلّل الفرق بأن الاتهام أولاً كان بهذا المبلغ الكبير، ولكن هينس استطاع بعد فترة أن يوجد إثبات لصرف هذه المبالغ ما عدا مبلغ ما بين ٢٥,٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ التي ذكرها واترفيلد الذي كان متعاطفاً جداً مع هينس.

وعند مغادرة هينس لعدن تولى حكمها بشكل مؤقت العميد كلارك الذي اتصل بالسلطان الفضلي سرًّا لتسوية الخلافات، ولكن السلطان الفضلي كان يكره الإنجليز، وكان رده بأن صداقته لن تكون بدون ثمن [٣]. وأرسلت حكومة بومبي اللواء **أوترام** خلفاً لهينس في ١٨٥٤م الذي أوقف في الحال

(١) Waterfeild: *Sultans of Aden*, p 226

(٢) سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ص ٤٩٣.

(٣) سلطان القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن ، ص ٤٧ -٤٨.

التفاوض مع الفضلي. وبقي **أوترام** إلى سنة **١٨٥٦م** ثم جاء بعده وليام كوجلان وحسَّنَ العلاقات معه. وردَّ السلطان على الزيارة في يناير ١٨٥٧م، واستطاع السيد علوي بن زين العيدروس أن يعكّر العلاقات بين **كوجلان** والسلطان علي محسن، وأن يقرّب بين كوجلان والفضلي والعقربي بحيث تم عقد معاهدة صداقة جديدة بين الفضلي وعدن في مارس ١٨٥٧م وصار العيدروس ممثلاً للفضلي في عدن، وقد كان من قبل ممثلاً للعبادل [1].

وتفاقم الخلاف بين السلطان علي وأخيه عبد الله، وأراد الفضلي أن يستغل الفرصة فيهاجم لحج. واستطاع السلطان علي محسن أن يتغلب على خصومه، وأن يزيد الضريبة على الماء العذب الذي يُجلب من الحسوة إلى التواهي مما سبَّب ضرراً للسيد العيدروس (المقاول) والعقربي (صاحب الحسوة)، ولعدن **بسبب زيادة سعر الماء منذ يوليه ١٨٥٧م.**

وهدَّد كوجلان السلطان علي محسن بالهجوم عليه إن لم يلغ الزيادة، ولكن ثورة كبيرة حدثت في الهند جعلت بريطانيا تسحب معظم قواتها من عدن، فاضطر كوجلان إلى إلغاء فكرة هجومه على عدن.

وفي مارس ١٨٥٨م أوقف سلطان لحج قافلة كان فيها رسول من إمام اليمن إلى كوجلان فقطع كوجلان معاش السلطان علي محسن والذي قام بدوره بإرسال قوة إلى الشيخ عثمان لتمنع القوافل من دخول عدن.

وهاجم كوجلان قوات العبادل في الشيخ عثمان (بعد أن أخمدت الثورة في الهند) وواجه مقاومة شرسة لم يكن يتوقعها وترك الفريقان ميدان القتال. **وفي يوليه ١٨٥٨م تم الصلح بين السلطان علي محسن وكوجلان، وتحسنت العلاقات بين السيد علوي زين العيدروس بزواجه من شقيقة السلطان علي محسن. وهكذا**

(١) المصدر السابق، ص ٤٩.

انتهت بفضل العيدروس أزمة العلاقات العبدلية البريطانية، والتي بدأها هو[١].

وفي سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م انتشر الجراد ووباء الكوليرا في اليمن كلها، وكان السلطان علي محسن ممن توفوا بهذا الوباء، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م.

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٥٠.

التنازع على الحكم ثم الاتفاق على فضل محسن
(١٢٨٤ – ١٢٩١هـ/ ١٨٦٨ – ١٨٧٤م)

وكما هو معتاد، تنازع أولاد محسن فضل حول من يخلف أخاهم علي محسن، واتفقت القبائل والأعيان على تولية ابن السلطان المتوفى وهو فضل بن علي وهو شاب. وبعد مناورات كثيرة من أعمامه تنازل الشاب فضل بن علي لعمه عبد الله ابن محسن. ولكن الأمور لم تستقر بسبب منافسة إخوته له. وتولى فضل محسن الحكم بعد مناورات ومشاورات تدخل فيها مندوب حاكم عدن وترجمانه رسّام[1] **وتم الاتفاق على فضل محسن وذلك سنة ١٢٨٤هـ الموافق سنة ١٨٦٨م.**

وفي تلك السنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م تم تمديد قناة لجلب المياه من الشيخ عثمان إلى عدن. وفي السنة التالية حارب فضل محسن فضل الحوشبي وانتصر العبدلي، ثم جاء السلطان علي مانع الحوشبي وصالح السلطان فضل محسن وباعه قريتي زايده والشفعة بمبلغ سبعة آلاف ريال (فضة).

وفي سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م اتصل عبد الله محسن (أخو السلطان) بالأتراك وكاتبهم أيضاً السلطان علي مانع الحوشبي فجاء الأتراك ودخلوا لحج، فأرسلت حكومة عدن قوة من العساكر الهندية والبريطانية مع ثلاثة مدافع، وبعد مفاوضات مع الأتراك أخلوا لحج دون قتال. وكان الحاكم البريطاني (شنيدر) قد أرسل إلى حكومة بومبي فأرسلت بدورها إلى لندن التي احتجت على الآستانة وطالبتها بسحب قواتها، فتمّ سحب القوات بدون قتال.

---

(١) رسّام، عراقي نصراني عمل مع الإنجليز مترجماً وجاسوساً وكانت له مكانة قريبة من مكانة الملا محمد جعفر.

وجهز السلطان فضل محسن حملة لإخضاع الشيخ عبدالله بن حيدرة مهدي العقربي وحاصر بير أحمد.

وقبل ذلك بسنتين ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م سافر السلطان فضل محسن إلى الهند وقابل هناك دوق أدنبره في بمبي، واستقبل هناك استقبالاً حسناً.

وكانت وفاة السلطان فضل سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م ومدحه القومندان أحمد فضل العبدلي في كتابه «هدية الزمن»، وقال إنه قبض على البلاد وأصلحها وأنقذها من مكايد الأعداء العديدين وحوّل خوفها أمناً، وشحّها رخاء[١].

وذكر حسن صالح شهاب[٢] أن قوافل البنّ كانت تمر عبر لحج إلى عدن، وفي عام ١٨٧٠م مرّ من طريق لحج إلى عدن أكثر من ستة آلاف جمل محمّلة بالبنّ، تليها في العدد قوافل القات والحنطة والذرة والدقيق والسمن والعسل والفوّة والورس والصمغ واللبان وأنواع الفواكه والخضروات والأعشاب والحطب. وتعود القوافل من عدن إلى الداخل محملة بالقطن والأقمشة والتوابل والتمر، وأسلاك الحديد والسعوط والتنباك. وكان السلطان يأخذ ضريبة على البضائع الذاهبة إلى عدن والخارجة منها عندما تمر بأرضه، فازداد دخله وعمت الرفاهية في شعبه واتسعت الزراعة في أرضه.

بيع عدن الصغرى (البريقة) للإنجليز ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٩م

كانت شبه جزيرة عدن الصغرى (البريقة) تتبع شيخ العقارب، وكان لهم ميناء في فقم. ولكن عندما ساءت أحوالهم وافق شيخ العقارب عبد الله حيدر على بيع أرضه للإنجليز بعد أن أشيع أن فرنسا كانت تريد شراء الشريط الساحلي. وتمّ البيع بعد مفاوضات على يد السيد علوي بن زين العيدروس

---

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ١٨٤ – ١٩٠.

(٢) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٥٣.

بثمن قدره ثلاثون ألف ريال. ولم يكن السلطان فضل محسن يعلم بتلك الصفقة، وغضب عندما علم بها، على اعتبار أن شيخ العقارب صار ضمن أتباعه، وكان يريد أن يأخذ نصيبه من الصفقة.

قال القومندان أحمد فضل العبدلي في كتابه هدية الزمن(١): «أنه عندما نشأ الخلاف بين السلطان فضل محسن وشيخ العقارب اتصل الشيخ عبد الله حيدرة بالإنجليز وعقد معهم اتفاقية بأن لا يبيع ولا يرهن أي جزء من أرضه إلى غير حكومة بريطانيا إلا بإذنها، وذلك في سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٨م. ونتيجة لذلك اعترفت بريطانيا باستقلاله عن لحج.

ثم قامت بريطانيا بشراء جبل إحسان (البريقة = عدن الصغرى) ولم يبق من الساحل إلا شقة صغيرة كائنة بين خور مكسر والحسوة. **وما عدا ذلك فقد باعه للإنجليز بمبلغ ثلاثين ألف ريال وذلك سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٩م.**

وفي عام ١٨٦٩م تم افتتاح قناة السويس، وتنافست الدول الأوربية على امتلاك مواقع لها في البحر الأحمر وخليج عدن. وكان التنافس بين بريطانيا وفرنسا على أشدّه، فسعت فرنسا إلى محاولة شراء البريقة (عدن الصغرى) من شيخ العقارب عبد الله حيدرة، وأسرعت بريطانيا إلى شرائها منه.

معاهدات الحماية

وكانت معاهدات بريطانيا مع سلاطين ومشايخ الجنوب لا تزيد عن معاهدات صداقة وتأمين الطرق للقوافل من وإلى عدن. ولكن بريطانيا عدّلت سياستها في عهد حاكمها الجديد في عدن كوجلان إلى معاهدات حماية، وبالتالي تمنع بريطانيا أي بيع أو رهن لتلك الأراضي لأي دولة إلا بريطانيا نفسها.

(١) هدية الزمن، ص ١٩٩، وحسن صالح شهاب: «العبادل»، ص ٥٥.

وكانت الدوافع لذلك عديدة:

(أولها) التنافس الأوربي على منطقة جنوب البحر الأحمر وخليج عدن وخاصة من فرنسا، كما دخلت على الخط الولايات المتحدة الأمريكية، وإن كان نشاطها في ذلك الوقت تجاريًّا بحتاً.

(وثانيها) عودة الدولة العثمانية إلى اليمن واحتلالها له من جديد، وتفاهمها مع إمام اليمن بحيث يسيطر على المناطق الزيدية سيطرة تامة (صعدة وما حولها) ويسيطر سيطرة دينية على ما بقي من المناطق. وأما التهائم والموانئ والسواعد فعادت مرة أخرى لسيطرة الدولة العثمانية. وخاصة أنه قد تمّ القضاء على نفوذ محمد علي باشا الذي طمع في سوريا والجزيرة العربية بأكملها وامتدت قواته إلى قرب الأناضول، فتعاونت الدول الغربية الكبرى آنذاك: روسيا وبريطانيا وفرنسا وبروسيا (ألمانيا فيما بعد) والنمسا على هزيمته وجعله يسحب قواته من اليمن وجزيرة العرب.

وكان خوف مشايخ الجنوب من النفوذ العثماني يدفعهم إلى قبول معاهدات الحماية التي تفرضها بريطانيا عليهم[1]. **وكانت بريطانيا تهدف إلى المحافظة على انفرادها بالنفوذ المطلق في عدن والمنطقة المحيطة بها وإبعاد أي نفوذ أجنبي آخر يهدّد مصالحها.**

ولم تكتف بريطانيا بالمناطق المباشرة المحيطة بعدن (العقربي والحوشبي واللحجي والفضلي والعولقي والضالعي، إلخ. وهو ما عُرف فيما بعد باسم المحميات الغربية)، ولكنّها اهتمت بجزيرة سقطرى مرة أخرى (بعد أن تخلّت عنها)، وذلك عندما **وصلها أن فرنسا تتفاوض على استئجار أو شراء سقطرى عام ١٨٤٧م،** وتبيّن عدم حقيقة ذلك. ثُمَّ قيل إن **النمسا ترغب في السيطرة على**

(١) أحمد محمد بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، ص ١٤٥.

سقطرى وجعلها محطة لسفنها عام ١٨٧٠م[١]، ثم طلبت إيطاليا من حكومة الهند البريطانية أن تسمح لها بشراء جزيرة سقطرى عام ١٨٧٤م ولهذا قامت بريطانيا بإعادة احتلالها وعقد معاهدة مع سلطان المهرة في قشن عام ١٨٧٦م وأن يتعهد هو ونسله بأن لا يسمح لأي أمّة أو شركة بشراء أو استئجار سطقرى أو أيٍّ من جزرها إلا لبريطانيا، في مقابل ٣٦٠ ريالاً شهريًّا[٢].

وقامت بريطانيا بعقد معاهدة صداقة وحماية مع القعيطي وساندته في حربه ضد الكسادي وذلك في مايو ١٨٨٢م[٣].

(١) أحمد محمد بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر ، ص ١٤٧ – ١٤٨.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٧ – ١٤٩.
(٣) المصدر السابق، ص ١٤٦.

السلطان فضل بن علي بن محسن فضل
(١٢٩١ – ١٣١٥هـ/ ١٨٧٤ – ١٨٩٨م)

شراء الشيخ عثمان وخور مكسر
(الاتفاقية النهائية في ١٧ ربيع الأول ١٢٩٩هـ/ ٦ فبراير ١٨٨٢م) [(١)]

شرحنا في الجزء الأول من هذا الكتاب هذه المواقع وتكرر ذكرها في هذا الجزء أيضاً. وكانت الشيخ عثمان قرية تتمتع بالمياه الوافرة وكثرة البساتين فيها. وقد سميت كذلك لأن أحد الأولياء، يدعى الشيخ عثمان مقبور فيها. وهو من قبيلة الزبيرة المنتشرة بين (الوهط) التي فيها كثير من السادة آل العيدروس وآل السقاف، والفيوش، وكلاهما في لحج. وقد سكن الشيخ عثمان هذه المنطقة وبنى له مسجداً فيها وزاوية وجاءه التلاميذ، فعرفت المنطقة باسمه منذ القرن الحادي عشر الهجري.

وقد قامت بريطانيا بشراء الشيخ عثمان وخور مكسر والمملاح بمبلغ ٢٥,٠٠٠ ريال. وقد كانت الشيخ عثمان محطة للقوافل الذاهبة إلى عدن والخارجة منها. كما كانت مصدر المياه لمدينة عدن لفترة طويلة من الزمن.

وكانت بعد ذلك متنزهاً لأهل عدن، وبنى الأثرياء منهم بيوتاً محاطة بالبساتين وبرك للسباحة فيها. ثم اتسعت الشيخ عثمان، وبنت حكومة عدن البريطانية كلية عدن على حدودها مع دار سعد عام ١٩٥٤م، وكانت تماثل

(١) أحمد فضل العبدلي (هدية الزمن) ص ٢٠٠ – ٢٠٤؛ وحسن صالح شهاب: «العبادل»، ص ٦٢.

فكتوريا كولج في مصر من حيث قوة تعليمها ومناهجها. وهي الثانوية الحكومية الوحيدة في عدن آنذاك. ولا يدخلها إلا الطلبة المتفوقون من عدن والمحميات.

وتعتبر الشيخ عثمان الآن أكبر مدن عدن لامتدادها برًّا دون عوائق أو جبال.

وقد ذكر السيد حسن صالح شهاب(١) أن الإنجليز اتفقوا سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٧٤م مع محمد محسن عم السلطان فضل بن علي بن محسن بن فضل (الذي تولى بعد وفاة عمه السلطان فضل محسن سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) على شراء منطقة الشيخ عثمان وما جاورها بمبلغ خمسة وعشرين ألف ريال إضافة إلى ١١٠٠ ريال شهريًّا تدفع إلى السلطان، منها ٦٠٠ ريال قيمة مياه من الشيخ عثمان لعدن و٥٠٠ قيمة الملح المستخرج من منطقة المملاح بين قنطرة خور مكسر والشيخ عثمان. واستدعوا السلطان فضل بن علي ليوقع على الاتفاقية ولكنه رفض ذلك، لأن عمه محسن وقَّعها دون إذنه ولا حتى مشاورته، ونتيجة لذلك ساءت العلاقة بين السلطان فضل بن علي وعمه فضل بن محسن. وفي مايو ١٨٨١م قام عمه محمد محسن مرة أخرى بعقد اتفاقية مع حكومة عدن وضعت بلاد الصبيحة تحت حكم سلطان لحج.. واستاء السلطان فضل بن علي من عمه محمد محسن لأنه قام بذلك دون مشاورته، ولأن قبائل الصبيحة شرسين ويقطعون طرق القوافل التجارية، ولا بد من إسكاتهم إما بالحرب أو بالمال، وكلاهما مكلّف لسلطان لحج.

واضطر السلطان فضل بن علي لقبول هذه الاتفاقيات التي أجراها عمه بدون إذنه بعد فترة بسبب الضغط الإنجليزي على توقيعها.

---

(١) السيد حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٦٢.

وقام الإنجليز بإزالة أكواخ القش المنتشرة على سهل المعلا وحول تلال حجيف (محطة التموين بالفحم الحجري للسفن) لأنها تشكل خطراً على دفاعاتهم إذا احترقت، فنقلوا السكان من هذه المنطقة إلى الشيخ عثمان بعيداً عن تحصيناتهم الهامة، وذلك عام ١٨٨١م، واستثنوا من ذلك العمال في منشآتهم لحاجتهم إليهم وبنوا لهم بيوتاً من الحجارة.

وقد ذكر القومندان أحمد فضل العبدلي في كتابه «هدية الزمن» تفاصيل أكثر[١]، وذكر أن الاتفاقية تمت سنة ١٢٩٥هـ على يد محمد محسن عم السلطان فضل بن علي، وقد شرط لنفسه في المعاهدة معاشاً شهريًّا قدره خمسمائة ريال خاصًّا له ولولده من بعده. وقد توفي محمد محسن عم السلطان فضل بن علي في شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٨هـ ١٨٨١م.

وفي عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م وقع السلطان فضل بن علي المعاهدة بعد أن ضغط عليه الإنجليز. وقد وقع المعاهدة السلطان فضل بن علي بن محسن بن فضل العبدلي سلطان لحج ونواحيها، والميجر جنرال فرانسيس لاك والي عدن البريطاني ممثلاً لحكومة الهند (البريطانية).. وقد رضي السلطان فضل محسن (عن نفسه وأعمامه وورثائه وورثائهم وخلفائه وخلفائهم) أن يبيعوا على الدولة البريطانية بمبلغ قدره خمسة وعشرين ألف ريال (**٢٥,٠٠٠**) وزيادة فوق المشاهرة (التي تدفع كل شهر) الحالية ٥٤١ ريالاً مبلغ ١١٠٠ ريال شهريًّا، منها ٦٠٠ ريال في مقابل محصول الماء و٥٠٠ ريال لأجل محصول الملح، ويكون جملة الجميع ١٦٤١ ريال شهريًّا، قد باعوا جميع الأرض الممتدة شمال جزيرة عدن (وذكرت تفصيل المساحات التي تشمل الأرض الممتدة من خور مكسر إلى الشيخ عثمان. وجميع أرض الشيخ عثمان إلى دار سعد التي بقيت بيد

(١) أحمد فضل العبدلي: «هدية الزمن»، ص ٢٠٠- ٢٠٤.

السلطان العبدلي. ويدخل فيها المملاح الممتد من خور مكسر إلى طريق الشيخ عثمان). وبذلك تنتقل الملكية كاملة لهذه الأراضي إلى بريطانيا مؤبداً كقسم من بلدانها. ويتعهد السلطان وأعمامه وورثته بأن لا يقيموا دعوى في أي وقت للمطالبة بهذه الأرض.

وحررت في الشيخ عثمان

يوم **الاثنين ٦ فبراير ١٨٨٢ الموافق ١٧ ربيع الأول ١٢٩٩هـ.**

وبذلك تمَّ التنازل عن الشيخ عثمان والمجراد والمملاح بذلك المبلغ المحدود.

ووقّع العقربي قبل ذلك بيع كامل جزيرة البريقة (عدن الصغرى) شاملة بذلك جبل إحسان وبير أحمد والغدير وفقم، ولم يبق إلا قطعة من الأرض كائنة بين خورمكسر والحسوة كانت لا تزال بيد سلطان لحج وقطعة أخرى ما بين الحسوة وفقم بيد الشيخ عبد الله بن حيدرة. وقام ببيع تلك الأرض للإنجليز الذي استكملوا أخذ الأراضي التي امتدّت من شبه جزيرة عدن إلى شبه جزيرة البريقة وما حولها من الأرض المتصلة بها وذلك سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، كما فرضت على هؤلاء السلاطين والمشايخ معاهدات حماية يتعهدون فيها إلى أبد الآبدين بعدم بيع أو رهن أي جزء من أراضيهم لأي دولة مسلمة أو كافرة إلا بإذن بريطانيا..

وضاق سلطان لحج فضل بن علي بالاتفاقية مع الصبّيحة التي تلزمه بالمحافظة على الأمن وسلامة القوافل التجارية.. وكان الصبيحة يغيرون على القوافل، فطلب من بريطانيا أن تعفيه من تلك المعاهدة التي وقّعها عمه محمد محسن فضل. وبعد معارك متعددة استطاع السلطان أن يتخلّى عن تلك المعاهدة، وأن يقوم مشايخ الصبيحة بالاتفاق مباشرة مع الإنجليز.

وأما **الحواشب** فقد استطاع السلطان فضل بن علي أن يخضعهم بعد عدة معارك حتى استسلم سلطان الحواشب محسن بن علي مانع الحوشبي ووقع على ذلك صكًّا وعهداً بأن يكون تحت إمرة **السلطان فضل بن علي في ٩ ربيع الأول ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م**. ثم قام السلطان فضل بن علي بإعادته إلى مركزه السابق مع الإقرار بالخضوع لتوجيهات السلطان فضل بن علي، وذلك في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٣هـ يوليه ١٨٩٥م[١]. وقد مدح صاحب كتاب «هدية الزمن» السلطان فضل بن علي وأنه أصلح العباد والبلاد وأنه كان يقوم الليل ويرتل القرآن ترتيلاً ويحضر مجالس العلم، وينصف المظلومين. وبنى مدرسة للعلامة الشيخ أحمد بن علي السالمي على نفقته، وأجرى لطلبة العلم نفقاتهم. ومدحه الشعراء والعلماء والسادة في كل أرجاء اليمن إلى حضرموت. وعندما قدم السيد العلامة علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف، شيخ السادة بمكة (بسبب خلافه مع الشريف عون) استقبله السلطان فضل بن علي وأكرمه وطلب منه أن يتولى أمر التدريس فكان يحضرحلقته أكثر من ١٥٠ من طلبة العلم الكبار غير عدد آخر من المبتدئين والعامة وتخرج به علماء وقضاة[٢].

وقد انتقل بعض السادة آل الجفري من يشبم في العوالق إلى لحج حيث صاروا من خاصة السلطان فضل بن علي. وقد كان السيد حسن بن علوي الجفري من كبار السادة الذين لهم المقام العالي في العوالق. وكان جده السيد علوي بن علي خرج من قرية تريس (على بعد ثلاثة أميال غرب سيئون) في حضرموت إلى يشبم واستوطنها هو وذريته. وكان السيد محمد بن علوي الجفري سبباً في إزالة الخلافات بين سلطان العوالق وسلطان لحج وإيجاد الوئام والمودة بدلاً من الخصام والفرقة وتم ذلك سنة ١٢٧٢هـ.

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢١٠ – ٢١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٠.

وقد استوزر السلطان علي محسن السيد محمد بن علوي الجفري وفي سنة ١٢٩٧هـ دعا السلطان فضل بن علي السيد حسن بن علوي الجفري إلى لحج فاستقر بها واستوزره السلطان بقية عمره.

«وكان **السيد حسن بن علوي الجفري** من أكمل الرجال خُلقاً مع زهد وتقى وكرم وسماحة وأدب وظرف، فلا تمل مجالسته ولا محادثته. وكان أخص أخصّاء وأحب أحبّاء وأصدق أصدقاء السلطان فضل بن علي». كما يقول القومندان أحمد بن فضل العبدلي[١]. ويقول أيضاً: «ومع أن السادة آل الجفري من رجال سلطنة لحج الأخيار، فهم أيضاً مناصب أرض العوالق، تصغي القبائل لنصائحهم وتحتكم إليهم، يحبونهم ويتبرّكون بهم، ويتلقّون عنهم آداب وأحكام الشريعة الإسلامية»[٢].

وكان السلطان فضل بن علي على علاقة وطيدة مع بريطانيا وأعطوه لقب سير وكان عند دخوله عدن تضرب المدفعية إحدى عشرة طلقة تحيةً له. **ووافاه الأجل المحتوم في ٦ ذي الحجة سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م**. وتولى بعده ابن عمه السلطان أحمد فضل محسن.

---

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٢٣ – ٢٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٥.

السلطان أحمد بن فضل محسن

(١٣١٥ – ١٣٣٢هـ/ ١٨٩٨ – ١٩١٤)

كان التنافس على السلطنة أمراً معتاداً في لحج، لهذا وسّط السلطان أحمد فضل محمد صالح جعفر – (حفيد الملا جعفر) ترجمان حكومة عدن – في إقناع حكومة عدن بأنه أحق بالسلطة من غيره. لكن محمد صالح جعفر استغل تلك الوساطة في كثرة طلباته من السلطان حتى ضاق به ذرعاً، وقام ضده عندما تولى حكم عدن الوالي الجديد مستر أبود. وكان محمد صالح جعفر، مثل جده الملا جعفر، فاسداً مرتشياً، فأدين بذلك وفصل عن الخدمة في مارس ١٩٠٠م.

وبما أن محمد صالح جعفر كان جاسوساً بريطانيًّا ممتازاً مثل جده، فإن حكومة عدن عانت من عدم وصول الأخبار من المحميات المجاورة بدقة، واضطر الضباط البريطانيون إلى الاستعانة بالسلطان أحمد في معرفة المناطق الداخلية[(١)].. ولجأ محمد صالح جعفر إلى الصبيحة الذين صاهرهم من قبل وتزوج منهم، وحرَّضهم على قطع طريق القوافل، ولكنه فشل في ذلك ليقظة السلطان أحمد فضل محسن.

وقام السلطان أحمد فضل محسن بالسيطرة على تجارة السلاح التي قامت بها فرنسا عن طريق أرض الصبيحة الواسعة الممتدة حتى باب المندب، فعزز الحصون على سواحل الصبيحة ومفارق الطرق، وأخضع البطون القوية من الصبيحة مثل المنصوري والمخدومي والعُطف. واتفق مع حكومة عدن على أن

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٦٦.

لا تدفع معاشاتهم إلا عن طريقه من أجل المحافظة على سلامة الطرق. وقام السلطان باحتكار تجارة السلاح لنفسه بحيث يتم تفريغ السلاح في مرسى العارة أو غيره من المراسي التي بها حاميات. ويقوم وكلاء السلطان بشراء السلاح من الموردين ومن ثم بيعها على تجار السلاح في الداخل، فزاد بذلك دخل السلطان ورجاله(١).

وقويت شوكة السلطان حتى أن الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين طلب معونته في صراعه مع الأتراك فوقف معه وأمدّه بالسلاح الذي كان يُهرَّب عبر (ماويه) التابعة للأتراك. وكان شيخ ماويه محمد ناصر مقبل الصراري باشا قائم مقام القماعرة، مخلصاً في مواجهة التهريب وأقام لذلك عدة حصون عند مفترق الطرق بين لحج والمناطق الداخلية من اليمن. ولم يكن التهريب مقتصراً على السلاح بل كان يشمل التبغ أيضاً، وحاولت شركة التبغ العثمانية أن تتفاهم مع السلطان وإعطائه مبلغاً من المال لقاء منع تهريب التبغ، ولكنه رفض التعاون معها. واحتجّت حكومة عدن على بناء الحصن على حدود أرض الحوشبي. وفي شهر **مارس ١٩٠٠م** أخلى الأتراك الحصن. وقام الشيخ محمد ناصر الصراري بمهاجمة أطراف بلاد الحواشب في **يونيه ١٩٠٠م**، ولكنه عاد مهزوماً إلى ماويه(٢). وفي **خريف عام ١٩٠٠م** عاود الهجوم بقوة من الجيش التركي النظامي، **واحتل الدريجة** من أرض الحواشب فوجهت بريطانيا إنذاراً إلى الباب العالي بسحب هذه القوة، ولما لم تنسحب توجهت قوة بريطانية من عدن ترافقها قوات السلطان أحمد فضل، فانهزم محمد ناصر الصراري الذي انسحب مبكراً من المعركة وترك الأتراك يواجهون الهزيمة. وقامت قوات حكومة عدن بهدم الحصن(٣).

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٦٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٧ – ٦٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٦٨.

وقام أمير الضالع بنصب العلم البريطاني على ما قال إنه من أراضيه التي اغتصبها الأتراك حسب قوله، فاقتلع الأتراك العلم البريطاني ولجأ أمير الضالع إلى حكومة عدن التي شكّلت لجنة مع الأتراك لترسيم الحدود. ولما لم تنجح اللجنة بدأت بريطانيا الاستعداد للحرب وخيّرت الباب العالي بين الانسحاب من الضالع وبين تسليم اليمن - التي كانت أجزاء كبيرة منها تحت حكم الأتراك - للإمام. واضطرت تركيا إلى الانسحاب من الضالع لتواجه الثورات العديدة في اليمن التي يثيرها الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين. وتم رسم الحدود في **مايو ١٩٠٤م** وفي **٢٠ أبريل ١٩٠٥م** صدر أمر الباب العالي بالتوقيع على اتفاقية الحدود[١].

وعقدت بريطانيا معاهدة حماية مع أمير الضالع وتعهد بحماية طرق القوافل المارة بأرضه، وقدمت له معونة مالية وعيّنت ممثلاً سياسيًّا لها هو الكولونيل هارولد جاكوب (جيكب) الذي صار خبيراً بالمحميات الغربية ووضع فيما بعد كتابين أحدهما «ملوك جزيرة العرب» (*Kings of Arabia*) والثاني عطر جزيرة العرب (*Perfume of Arabia*).

وفي سنة **١٣١٩هـ/ ١٩٠٠م** أنعمت بريطانيا على السلطان أحمد فضل محسن بلقب سير. وفي السنة التالية ١٣٢٠هـ/ ١٩٠١م دعوه لحضور حفلة تتويج الملك إدوارد السابع في دلهي بالهند. وفي سنة **١٣٢٦هـ/ ١٩٠٧م** خرج السيد محمد بن علي بن زيد (السقاف) منصّب الوهط على الطاعة، فأخضعته قوة السلطان وعزل من منصبه. وفي العام التالي توفي السيد حسن بن علوي الجفري وخلفه ابنه السيد علوي في جميع مناصبه.

وفي عام **١٣٢٩هـ/ ١٩١١م**، ذهب السلطان أحمد فضل محسن والسلطان

(١) حسن صالح شهاب: العبادل،ص ٦٩.

حسين بن أحمد الفضلي وأمير الضالع شايف بن حسين الحالمي إلى الهند لحضور حفل تتويج الملك جورج الخامس.

وفي أول **محرم ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م**، سافر السلطان أحمد فضل إلى مصر وأنعمت عليه الدولة العثمانية بالنشان المجيدي لتعاونه مع الأتراك في اليمن أيام الحصار البحري الذي فرضته إيطاليا في الحرب الطرابلسية (في ليبيا) حينما سمح السلطان للبريد العثماني والأموال والبضائع أن تمر ببلاده دون رسوم في أثناء تلك الأزمة.

وفي **ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ مارس ١٩١٤م** توفى السلطان أحمد فضل بمرض السكري. وقد مدحه الشعراء وغيرهم، **ومنهم هارولد جيكوب في كتابه «ملوك العرب»** قائلاً: «عندما أجلس معه كنا غالباً نناقش المسائل الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية. وكانت روح الدعابة عنده حادة. إنني أتمنى فقط لو أجد مجالاً هنا يتسع لكتابة قصته»(١).

وقال عنه أحمد فضل العبدلي في كتاب «هدية الزمن»(٢): وفي الحقيقة فالسلطان أحمد فضل من دهاة العرب ورجالاتها، ما عرفه إنسان إلا ملك قلبه.. وخدم القضية العربية خدمات جليلة. وكتب إلى الشريف حسين بن علي، وهو يومئذ في الآستانة أن يسعى لحقن الدماء وإبطال الحرب بين الإمام والأتراك.. وكان بين السلطان أحمد فضل والسيد محمد الإدريسي مواصلة ومناصحة ومناصرة..

«وهو أول من سعى لمد السكة الحديد من عدن إلى لحج وتعز، وأرسل

(١) حسن صالح شهاب: «العبادل»، ص ٦٦.
(٢) أحمد فضل العبدلي: «هدية الزمن»، ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

السيد حسن علوي الجفري إلى مكة سنة (١٣٢٧هـ) إلى الشريف الحسين بن علي ليتوسط لدى الحكومة العثمانية في أن تمنح السلطان أحمد فضل وشركاءَه امتيازاً بمدّ السكة الحديدية إلى تعز وحتى تتصل بالسكة الحديدية التي كانت الحكومة التركية تنوي مدّها من الحديدة إلى صنعاء. ولو تم ذلك لارتبطت اليمن بالسكة الحديدية، وهو ما لم يتم إلى اليوم.

وقد **كتب الشريف حسين بن علي** (شريف مكة) **في مارس ١٩١١م رسالة إلى السلطان أحمد فضل يقول فيها: أخونا المكرم صاحب الفخامة زعيم لحج. هلا خاطبتم الإمام يحيى وأقنعتموه بالعدول عن الإمعان في عدائه للباب العالي، فالغاية واحدة وهي وحدة المسلمين»**[١]. فردّ عليه السلطان أحمد فضل معرباً عن سروره بتقدم القوات التركية إلى عسير، واستعادة السيطرة على صنعاء. ولكنه حذّر من تقدمها نحو المناطق الشمالية (صعدة وما حولها) الخاضعة للإمام. وكتب للإمام يحيى بمضمون رسالة الشريف حسين، وسعى في الصلح حتى تكلّل مسعاه باتفاق الطرفين على معاهدة ١٩١١م. وبعد أن وقَّع الإمام يحيى هذه الاتفاقية أرسل إلى السلطان أحمد رسالة يشكره فيها على جهوده للسلام وأرسل له هدايا من الخيل والأقمشة الحريرية والشيلان الصوفية وبنادق ألمانية (حديثة في ذلك الوقت) [٢].

---

(١) حسن صالح شهاب: «العبادل»، ص ٧١. ومن العجيب أن يطلب الشريف حسين إقناع الإمام يحيى بالعدول عن محاربة الباب العالي. ولم تمضِ بضع سنوات حتى استطاع اللورنس الثعلب البريطاني أن يقنع الشريف حسين بمحاربة الباب العالي والإنضمام إلى بريطانيا في الحرب العالمية الأولى واعدين إياه بملك الجزيرة العربية كلها وسوريا الكبرى والعراق (ما عدا عدن والبصرة والكويت). وقد خدعوه وكذبوا عليه، وفي النهاية أرسلوه إلى قبرص منفيًّا.

(٢) المصدر السابق، ص ٧١.

واتصل قنصل إيطاليا بالسلطان أحمد حين إعلان الحرب بين تركيا وإيطاليا في ٢٩ سبتمبر ١٩١١م والتي احتلت طرابلس الغرب (ليبيا)، وطلب منه أن يبذل قصارى جهده حتى يستفزّ صديقه الإمام ضد الأتراك، فيساعد ذلك على تخفيف ضغط القوات التركية على السيد الإدريسي في عسير، وهو حليف للإيطاليين.

فكتب السلطان أحمد فضل إلى الإمام يحيى بذلك فردّ ساخراً: «إن الإيطاليين يحسبون كل بيضاء شحمة»[١]. وكان موقفه رحمه الله جيّداً مع الأتراك وقت الأزمات. وسيأتي موقفه منهم في أثناء الحرب العالمية حيث رفض إغراءات الإنجليز للإنضمام إليهم ومحاربة الأتراك فوقف على الحياد.

وقد توفي السلطان أحمد فضل في ١٢ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ ١٠ مارس ١٩١٤م، قبل إعلان الحرب العالمية الأولى. وقال عنه صديقه جيكوب: «لو أنه عاش إلى ما بعد ١٩١٤م لكان من المحتمل أن يتمكّن من إقناع القيادة التركية في اليمن بالبقاء على الحياد في الحرب العالمية الأولى (هذا أمر مشكوك فيه جدًّا لأن الباب العالي له سياسات وارتباطات بألمانيا.. والمفرزة التركية في اليمن تابعة لقيادتها في الآستانة). وعلى أية حال فإنه كان سيتمكن من وقف تقدم القوات التركية في اليمن»[٢]. وبفضل صداقته للإمام لم تشارك القوات الإمامية في مهاجمة لحج مع القوات التركية، بل استنكر الإمام يحيى نزول الأتراك إلى لحج[٣].

وكان السلطان أحمد فضل ممن خدموا القضية العربية وكانت لحج في أيامه ملتقى العاملين لخدمة القضية العربية ومنهم العالم المصري المعروف السيد محمد

(١) حسن صالح شهاب: العبادل.

(٢) Jacop: *Kings of Arabia*, p 125، نقلاً عن حسن صالح شهاب: العبادل، ص٧٢.

(٣) المصدر السابق.

الغنيمي التفتازاني، وكان من كبار المجاهدين في سبيل القضية العربية[١].

وقال صديقه جيكوب: «إنه كان كريماً، وخزائنه تستنزفها معوناته لزعماء القبائل وحرصه على استتباب السلام بإعطاء مشايخ الصبيحة المشاغبين رواتب مما اضطره إلى مطالبة حكومة عدن بزيادة راتبه».

وكان شديد التمسك بالعدل والإنصاف. وعندما قتل أحد رجال القبائل يهوديًّا مقيماً في لحج إثر خلاف بينهما، حكم القاضي بالديّة لأهل اليهودي (وهو ما تقوله بعض المذاهب الإسلامية مثل الحنابلة والشافعية) ولكن السلطان أحمد فضل أصرّ على القصاص (وهو ما يقول به المذهب الحنفي) لأن في ذلك ردعاً للمتطاولين وإحقاقاً لأهل الذمة وتثبيتاً للأمن والسلام في المجتمع!! [٢]

مشروع السكة الحديد (عدن – لحج)

كان السلطان عبد الحميد الثاني قد دعا لإقامة سكة حديد الحجاز عام ١٩٠٥م، وتبرع لهذا المشروع المسلمون في كل مكان، وخاصة أثرياء الهند المسلمين. وبالفعل تم تنفيذ خط السكة الحديد من الآستانة (اسطمبول) إلى المدينة المنورة عبر سوريا والأردن وتبوك وخيبر. وكان المأمول أن يصل إلى مكة المكرمة.

وقد سعى السلطان أحمد فضل لإقامة سكة حديد ما بين لحج وعدن ثم ما بين لحج وتعز ومنها إلى الحديدة وصنعاء. وقد استطاع السلطان أحمد فضل أن يقنع شركة (كواجي دينشو) وهو أحد أثرياء الفرس الزرادشتيين (المجوس) الهنود في عدن بهذا المشروع في عام ١٩٠٧م، ووافقت حكومة عدن على هذه الفكرة وكذلك حكومة بومبي البريطانية، ولكن الحكومة البريطانية في لندن لم

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٢٦، (في الهامش).
(٢) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٧٢ – ٧٣.

توافق على ذلك[١].

وقام السلطان أحمد فضل بإرسال السيد حسن علوي الجفري إلى مكة عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٧م ليتوسط الشريف الحسين بن علي لدى الحكومة العثمانية بأن تمنح السلطان أحمد فضل وشركاءه امتيازاً بمد السكة الحديدية من الحوطة (لحج) إلى تعز حيث تتصل بالسكة الحديدية التي تنوي الحكومة (التركية) في اليمن مدّها من الحديدة إلى صنعاء[٢]. وللأسف لم يتم أي شيء من هذا المشروع الهام، وإلى الآن لا توجد سكة حديد في اليمن.

وقد ندمت بريطانيا عندما قامت الحرب العالمية الأولى على رفضها إقامة سكة الحديد لأن قوات تركيا دخلت إلى لحج، وعندما أرسلت حكومة عدن قوات من الشيخ عثمان واجهت الحملة صعوبات شديدة ومات بعض الجنود من شدة الحرّ، وتاه بعضهم في الصحراء، وانغرزت بعض الآليات فيها. ولما علم أصحاب الجمال بالمشاكل سحبوا كثيراً من جمالهم. ولو كانت سكة الحديد موجودة لوجدت قوات سعيد باشا صعوبة في الاستيلاء على لحج والشيخ عثمان.

وتقول الشبكة العنكبوتية (طريق جوجل) [٣] أن التفكير في المشروع بدأ سنة ١٩٠٥م ولكنه لم ينفذ إلا عام ١٩١٦م. ويبدأ الخط الحديدي من المعلا إلى الشيخ عثمان ومنها إلى الحوطة (لحج). وكان الاستخدام أساساً لنقل الجنود البريطانيين من عدن إلى الشيخ عثمان ثم لحج لمواجهة الأتراك هناك.

وأشرفت شركة القطارات لشمال غرب الهند على هذا الخط الذي يبلغ

---

(١) حسن صالح شهاب: «العبادل»، ص ٦٩.

(٢) القومندان أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٣٧.

(٣) Robert Mumford: *Railway magazine*, February 1976, pp 73 – 75, (Indian Outpost in Arabia).

طوله ٢٩ ميلاً، وتكون القطار من عربات درجة أولى ودرجة ثانية للركاب ودرجة ثالثة لنقل المؤن والمواد العسكرية، ثم المواد التجارية فيما بعد، وكان القطار يتسع لسبعين راكباً.

وفي عام ١٩٢٢ مُدَّ القطار إلى الخُداد سبعة أميال شمال لحج الحوطة. وكانت سعة خزانات الزيت (البترول) طنين ونصف وسعة خزان المياه ألفي جالون.

وكانت فكرة مدّ القطار إلى تعز لا تزال قائمة، بل كان هناك اقتراح بإيصال الخط الحديدي اليمني بخط حديد الحجاز (مكة – المدينة – دمشق – اسطمبول).

وكان الجنرال عزت باشا قائد القوات التركية في اليمن بدأ بالخط الحديدي في الحديدة في ٢١ مارس ١٩١١م. ولكن الحرب العالمية التي قامت حالت دون تنفيذ المشروع التركي (الحديدة – صنعاء، والحديدة – تعز).

وكان المهندس المشرف على خط عدن (المعلا – الشيخ عثمان) المستر ماكلين (Maclean) الذي كان يعمل في العراق، وتم استدعاؤه من العراق مرة أخرى عندما أوصلت بريطانيا الخط إلى لحج من الشيخ عثمان والذي قام في المرتين بجمع المواد المطلوبة والعمال من بومبي في الهند.

وقد كانت لهذا الخط المحطات التالية: الخداد (نهاية الخط شمال لحج)، الزايدة (في أرض الحواشب)، الثالوبا Aththa Luba في لحج[١]، فليجه، دار الأمير[٢]، بيرموسي (الشيخ عثمان)، خور مكسر، المعلا: وهي بداية الخط الذي يبلغ طوله ٢٩ ميلاً.

---

(١) لم أعرف هذا الاسم وهكذا كتبه صاحب المقال المستر Robert Mumford.

(٢) كتبت خطأ Danal Amin.

وقد افتتح خط المعلا الشيخ عثمان في ١ يناير ١٩١٦م وطوله سبعة أميال.ثم افتتح خط الشيخ عثمان – لحج (الحوطة) من ١١ فبراير ١٩١٩م وطوله ١٥,٥ ميلاً ومن الحوطة إلى الخداد ٦,٢٥ أميال وافتتح في يناير ١٩٢٠م.

وحولت حكومة الهند البريطانية المسؤولية لهذا الخط من الجهات العسكرية إلى المسؤولية المدنية تحت إشراف المستر أفليك Affleck المهندس المسؤول.

وقد كلَّف هذا الخط الحديدي ٢٧,٥٠٠ جنيه استرليني (ذهباً) تحملت الحكومة الإمبراطورية ٦٠ بالمئة منها. وتحمل الباقي الشركة (كاوجي وغيره). وكانت تكاليف تسيير القطار سنة ١٩٢٠م حوالي ألفي جنيه استرليني شهرياً. وتوقع المهندس أفليك أن تزداد التكاليف إلى ٢٧٠٠ جنيه شهريًّا بينما كان الدخل ثابتاً عند ألفي جنيه. وقد أدى ذلك إلى إيقاف القطار بعد فترة مما أفقد الجمهور والتجار الثقة في القطار، وعادت القوافل (الجمال) تحمل البضائع من عدن إلى لحج والعكس، وكان انتظامها وكلفتها مشجعين للتجار والجمهور.

واقترح كثيرون مدّ الخط للتواهي حتى يمكن لركاب السفن أن ينزلوا إلى عدن والشيخ عثمان ولحج. ولكن التكلفة كانت أكثر من الدخل، فلم يتم ذلك.

وعانى الخط الحديدي من نقص العمال المهرة، ومن هجوم أصحاب الجمال (القبائل) واللصوص عليه مما جعل رئيس البوليس في عدن يطالب بزيادة أفراده لحراسة القطار.

وفي أغسطس ١٩٢٨م قام المقيم البريطاني في عدن (الوالي) بتقديم نصيحته إلى سملا في الهند بأن تكاليف القطار وتسييره أكبر من الدخل الذي يحقّقه، ولذا ينصح بإغلاق هذا الخط.

وابتدأ الأمر بتخفيض الرحلات بين المعلا – الشيخ عثمان – الحوطة –

الخدود إلى رحلة واحدة للذهاب وأخرى للإياب يوميًّا. وذلك منذ ١١ أكتوبر ١٩٢٨م وفي ٣١ مارس ١٩٢٩م تم إيقاف هذا الخط من الشيخ عثمان إلى لحج. وأخيراً في ٢٩ يونيه ١٩٢٩م توقف الخط بالكامل. وفي عام ١٩٣٠م تم تفكيكه نهائيًّا (dismantled).

وهكذا انتهى الخط الحديدي في عدن ولحج نهاية بائسة، ولم يعد للعمل إلى اليوم (٢٠١٢م). ولا يبدو في المستقبل المنظور إيجاد خطوط حديدية في أي جزء من أجزاء اليمن رغم وجود محادثات واتفاقات على ذلك.

الإمام والأتراك

اتفاقية دعّان بين الأتراك والإمام يحيى حميد الدين

اتفاقية دعّان بين الأتراك والإمام يحيى حميد الدين

(١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)

نذكر هذه الاتفاقية ها هنا لأنها أتاحت للقوات التركية عام ١٩١٤م غزو لحج واحتلالها. وقد تمت هذه الاتفاقية في عهد السلطان أحمد فضل محسن الذي كانت علاقته جيّدة مع الإمام يحيى.. وقد كتب إليه الشريف حسين بن علي أمير مكة يرجوه أن يتوسط لدى الإمام يحيى ويخفّف من معاداته لدولة الخلافة الإسلامية، فإن الغاية واحدة هي وحدة المسلمين، وذلك عام ١٩١١م، فنهض السلطان أحمد فضل في هذه المهمة.. وكان الإمام يحيى يريد الصلح، وكذلك القائد التركي الجديد فأدى ذلك إلى الصلح المشهور بصلح دعّان.

وكانت الدولة العثمانية - كما أشرنا من قبل (الجزء الثاني من هذا الكتاب)- قد دخلت اليمن على ثلاث مراحل: **(الأولى)** بدخول سليمان باشا الخادم الأرناؤوطي عدن سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، ثم احتلالهم لليمن كلها. **(الثانية)** دخولهم اليمن بعد انسحابهم منها (ما عدا التهائم) سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م وعودتهم سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م حتى تم الجلاء الثاني سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٦م. **(الثالثة)** عودة الأتراك إلى اليمن سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م بطلب من حكام تهامة، وبسبب الفوضى الضاربة أطنابها في اليمن واقتتال الأئمة فيما بينهم طلباً للحكم. وبقيت تركيا في اليمن حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م،

التي انهزمت فيها، وسلّمت اليمن للإمام يحيى. وفي عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م تم الصلح الهام في دعّان بين الإمام يحيى وبين المشير عزّت باشا الألباني، الحاكم التركي، والقائد العام في اليمن.

وسبب هذا الصلح أن قوات الإمام يحيى - حميد الدين - الذي تولى الحكم بعد وفاة والده (ربيع الثاني ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م) استطاعت أن تستولي على صنعاء سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م فأرسلت الدولة العثمانية القائد أحمد فيضي باشا، الذي تولى أمر اليمن من قبل، بجيش كثيف وحديث، فأعادوا احتلال صنعاء، وهرب الإمام إلى شهارة، فتبعه أحمد فيضي الذي انهزم هزيمة منكرة في تلك الجبال. فأرسلت الدولة العثمانية المشير عزّت باشا مندوباً مفوّضاً في عقد صلح مع الإمام..

وقد سعى في ذلك الصلح كثيرون، ومنهم الشريف حسين بن علي (شريف مكة) والسلطان أحمد فضل محسن، وذلك لتجنّب وقوع اليمن فريسة للاستعمار الأوربي المتربص بها، وكان التنافس بين إيطاليا وبريطانيا في تلك الفترة على أشدّه.

وانتهت المفاوضات بعقد اتفاقية دعّان التي حضر مفاوضاتها ووقع عليها كُلٌّ من الإمام يحيى حميد الدين وعزت باشا، وصدّقت عليها الدولة العثمانية، وبدأ فيها تعاون هام بين الإمام يحيى والدولة العثمانية. وإليك نصّ الاتفاقية:

نص اتفاقية دعان [1]

١- ينتخب الإمام حكاماً لمذهب الزيدية وتبلِّغ الولاية ذلك وهذه تخبر الآستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب.

٢- تشكل محكمة استئنافية للنظر في الشكاوى التي يعرضها الإمام.

(١) أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ (ط ٥، ١٩٩٠)، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

٣- يكون مركز هذه المحكمة صنعاء وينتخب الإمام رئيسها وأعضاءها وتصدق على تعيينهم الحكومة.

٤- يرسل الحكم بالقصاص إلى الآستانة للتصديق عليه من المشيخة وصدور الإرادة السنية به وذلك بعد أن يسعى الحاكم في التراضي ولا يفلح، ولا ينفذ الحكم إلا بعد التصديق وصدور الإرادة بشرط أن لا تتجاوز أربعة أشهر.

٥- إذا أساء أحد المأمورين (الحكام والعمال) الاستعمال في الوظيفة يحق للإمام أن يبين ذلك للولاية.

٦- **يحق للحكومة أن تعيّن حكاماً للشرع من غير اليمانيين في البلاد التي يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي.**

٧- **تتشكل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيدية للنظر في دعاوى المذاهب المختلفة.**

٨- تعين **الحكومة** (١) محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السيارة التي تتجول في القرى لفصل الدعاوى الشرعية وذلك دفعاً للمشقات التي يتكبدها أرباب المصالح في الذهاب والإياب إلى مراكز الحكومة.

٩- تكون مسائل الأوقاف والوصايا منوطة بالإمام.

١٠- الحكومة تنصب الحكام للشافعية والحنفية فيما عدا الجبال.

١١- صدور عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف للضرائب الأميرية التي سلفت.

١٢- عدم جباية التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من أهالي أرحب وخولان لفقرهم وخراب بلادهم على شرط أن يحافظوا على صداقتهم وارتباطهم التام بالحكومة.

---

(١) حيثما ورد لفظ الحكومة، فالمقصود به «الحكومة التركية في اليمن».

١٣- تؤخذ التكاليف الأميرية باسم الشرع.

١٤- إذا حصلت الشكوى من جباة الأموال الأميرية لحكام الشرع أو للحكومة فعلى هذه أن تشترك مع الحكام في التحقيق وتنفيذ الحكم الذي تحكم به عليهم.

١٥- يحق للزيدية تقديم الهدايا للإمام إما توًّا وإما بواسطة مشايخ الدولة والحكام.

١٦- على الإمام أن يسلم عشر حاصلاته للحكومة.

١٧- عدم جباية الأموال الأميرية من (جبل الشرق) لمدة عشر سنوات.

١٨- يخلي الإمام سبيل الرهائن الموجودين عنده من أهالي صنعاء وما جاورها وحراز وعمران.

١٩- يمكن لمأموري الحكومة وأتباع الإمام أن يتجولوا في أنحاء اليمن بشرط أن لا يخلوا بالسكينة والأمن.

٢٠- يجب على الفريقين أن لا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور الفرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط.

وتوضح هذه الاتفاقية تقسيم اليمن إلى المناطق التالية [١].

١- من حدود عمران إلى صعدة للإمام يحيى خالصاً.

٢- من عمران إلى سمارة للدولة التركية والحضرة الإمامية مشتركاً.

٣- من سمارة إلى الراهدة وجميع منطقة تهامة للدولة التركية خالصة.

وكان التقسيم مبنيًّا على التقسيم المذهبي، فإن كان عدد الزيود يزيد على النصف من مجموع السكان، فإن للإمام أن يرشح حاكماً إداريًّا من قِبَلِه ويكون

---

(١) مقدمة زيد بن علي الوزير على تحقيقه لكتاب زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء، منشورات دار العصر الحديث، ١٩٩٨م، بيروت، ص ٤٩ – ٥١.

خاضعاً للمذهب الزيدي، وإن كان غالبية السكان من المذهب الشافعي أو الحنفي فإن الإدارة التركية هي التي تمثّلهم. وأما الأماكن المختلطة فإن القضاء يحكم بالمذهب الزيدي للزيود وبالمذهب الشافعي للشافعية.

وقد جرى التعامل بعد مؤتمر «دعّان» بين «الحضرة»، ويمثلها الإمام، وبين «الدولة»، ويمثّلها القائد التركي. وقد ألغت اتفاقية الدعّان أي تعبير يُستوحى منه وجود دولة غير الدولة العثمانية.

ورغم وجود تاريخ حربي طويل بين الأئمة والدولة العثمانية، إلا أن الأئمة ظلّوا يعترفون، ولو إسميًّا، للخلافة العثمانية بالحكم. وعندما أرسل السلطان العثماني خطاباً إلى الإمام المطهّر سنة ٩٥٧هـ وفيه مدح للإمام من جهة، وتهديد له من جهة أخرى، أجاب المطهّر بإعلان الطاعة للخليفة العثماني، «ولكن الولاة الأتراك ظلمونا ورمونا بمدافع لا يُرمى بها إلا الذين يعبدون الأصنام»، وأنكر أنه بدأ الحرب مع عساكر الدولة العليّة، بل هم الذي اعتدوا عليهم في أرضهم، وبالتالي لم يمكنهم إلا الدفاع عن أنفسهم ونسائهم وأطفالهم وشيوخهم. وأنه أراد أن يكتب للسلطان، ولكن هؤلاء القادة من الجيش التركي حالوا بينه وبين ذلك. «إلا أن هؤلاء الذين بلونا سدّوا وقطّعوا من التواصل أوصالاً، وقعدوا لرسلنا كل مرصد.. وصدّوهم عن الوصول إلى أبوابكم العالية» (١).

وبذلك تم الصلح بين الفريقين في عام ٩٦٢هـ: بين الوالي الجديد مصطفى النشار وبين الإمام المطهر.. وهكذا يبدو واضحاً أن الأئمة الزيود لم ينكروا الولاية العامة للدولة العثمانية، وإنما أنكروا ظلمهم وتدخّلهم في الشؤون الداخلية للبلد. وكانت قبضة الأتراك تشتدّ حيناً وتختفي حيناً، ولكنها لم يتمّ زوالها بالمرّة إلا في فترات محدودة إلى أن انتهت سيطرة الدولة العثمانية على البلاد

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن، ص ١٥٩ – ١٦٢، وهو ينقل نص الخطابات عن البرق اليماني للنهرواني، ص ٢٦ و٢٧.

العربية بالهزيمة الكبرى في الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م.

وعلى أساس اتفاق «الدعّان» انتهى الخلاف بين الإمام يحيى حميد الدين وبين القيادة العثمانية في اليمن لمدة عشرة أعوام على الأقل [١].

وأدّى هذا الاتفاق إلى استفادة مشايخ اليمن الأسفل (تعز والحجرية والقماعرة) وبدأوا يوسعون نفوذهم، ويجمعون الأموال باسم الدولة التركية، ويتّصلون سرًّا بالإنجليز. وبقي الأتراك هم الذين يمثلون وحدة اليمن الزيدي والشافعي، فالإمام يحيى قد اعترف لهم بالسيادة على اليمن بأكملها مع إعطائه حق حكم المناطق الزيدية. بينما تبقى المناطق الشافعية تحت حكم مشايخ متعددين تُنصِّبهم الإدارة التركية. وفي المناطق المختلطة يكون القضاء زيديًّا للزيود وشافعيًّا للشوافع.

وكان الأتراك، كما يقول زيد الوزير، هم الذين يمثّلون وحدة اليمن، من خلال احتفاظهم المباشر بالإشراف الرسمي على اليمن حتى على ذلك الجزء المستقل من «الشمال الأعلى»، لأن الإمام نفسه قد قبل بسلطة الخليفة التركي الإسمية عليها [٢].

وقد أحسَّ المشايخ في اليمن الأسفل بعد اتفاقية «الدّعان» أن يد الإمام تراخت عنهم، ولكنهم مع ذلك لم يقطعوا صلتهم به نهائيًّا[٣] رغم أن الإمام طالبهم بالزكاة وعشر المحاصيل الزراعية باعتباره الإمام الديني الشرعي لكل اليمن وذلك سنة ١٩١٢م [٤].

---

(١) مقدمة زيد الوزير لكتاب «زورق الحلوى»، ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣ – ٥٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٦.

(٤) أحمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، ص ٣٤٢.

وعندما هدأ الصراع بين الإمام والأتراك بدأ الصراع بين القبائل الشمالية فيما بينها، لأنها لا تستطيع أن تبقى دون صراع وقتال. وكان الإمام يعمد على السيطرة على هذه القبائل بنفوذه الروحي أكثر من نفوذه العسكري.

الشريف محمد بن علي الإدريسي

الأدارسة في المخلاف السليماني

ينتمي السادة الأدارسة إلى أحمد بن إدريس المغربي، وقد ولد بالقيروان وتلقى علومه هناك على يد بعض أقطابها في المغرب كالتبازي والمجيدري، **وفي سنة ١٢١٤هـ انتقل إلى مكة حيث تفرغ للعبادة ودراسة علوم القرآن والسنة، وقد لمع اسمه من خلال ما قام به من مناظرات مع علماء (مكة)، وكان يسلك فيها مسلك الشاذلية، كما أشار إلى ذلك أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) تحت عنوان: (أحمد بن إدريس والتصوّف)** [(١)].

وفي سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م انتقل إلى مدينة (صبيا) في المخلاف السليماني (جيزان) وبقي بها إلى أن مات سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م بعد أن أصبح الزعيم الديني في البلد.

وقام بالزعامة بعد وفاته ولده الأكبر السيد محمد بن أحمد الإدريسي المتوفى سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٧م ثم ابنه علي المتوفى سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م. وكانت زعامة هؤلاء مجرد زعامة دينية تقوم على أساس الفتوى والوعظ ونشر التصوف.

وبعد موت علي بن محمد قام ولده محمد بن علي، الذي تلقّى العلم بالأزهر الشريف وأجازه كثير من علماء (مصر) و(المغرب)، وعاد بعد سماعه خبر وفاة

---

(١) أمين الريحاني: (ملوك العرب) ، ص ٢٧٨ نقلاً عن أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ط ١، وعن شرف الدين ننقل النبذة المختارة، ص ٢٦٦ – ٢٦٨.

والده إلى صبيا. وقد ترجم له الوشلي في كتابه (نشر الثناء الحسن) حيث قال:

«ولما استقر بصبيا قام يدعو الناس إلى الله وإقامة الشريعة، فانجذبت إليه قلوب الخلق من كل بلد. وكانت البلاد قد ملئت جوراً وظلماً، وكان يرد إليه كل يومٍ نحو أربعة أو خمسة آلاف شخص، ثم إذا صلوا معه المغرب والعشاء قعد معهم في محلٍّ واسع، فأخذ يعظهم ويذكرهم ويعلمهم الأمور الدينية إلى أن يمضي من الليل أكثره».

وكان خلال إقامته بمصر على اتصال دائم بالحكومة الإيطالية على يد بعض موظفي سفارتها بالقاهرة، كما كان على اتصالٍ ببعض المسؤولين الإيطاليين في مستعمرة إريتريا أيضاً. ووصفه بعض معاصريه بأنّه كان يحمل طموحاً ملتهباً، وكان عداؤه الشديد للأتراك هو الذي حمله على الاستعانة بالحكومة الإيطالية التي وعدته بالوقوف إلى جانبه عندما يتهيأ له الأخذ بزمام الموقف في (صبيا).

ولهذا، فقد بقي متحيناً الفرص التي يتمكن فيها من إثبات مكانته كزعيم على البلاد، حتى كانت الحرب بين قبيلتي (صبيا) و**(الجعافرة) سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م**، وفيها بذل وساطته **وتمكن من إخماد الحرب بين القبيلتين بطريقة الصلح والتفويض، وبعدها بُويع إماماً على المخلاف، وقد تمكن من إخضاع من تخلف عن البيعة من زعماء القبائل وإدخالهم تحت نفوذه بالقوة**، كالهوداني صاحب (ضمد) وأحمد شريف الخواجى صاحب (صبيا)، **وانتشرت صولته إلى (جيزان)**، و(النضير) و(شِدا) و(ضيعة ابن غلفان) مما يلي (رازح) ثم إلى حدود (فلله) حيث قصدها بنفسه واحتلها على رأس حملةٍ قبائلية.

وقد استفاد الشريف الإدريسي من تذمر بعض القبائل من اتفاقية «دعّان» فأثار حملة ضد الإمام يحيى، واستطاع أن يحتلّ بعض المناطق مما أقلق الإمام، فأرسل قواته لمحاربة الإدريسي، وأمدته القوات التركية بالسلاح والرجال. واستمرت المناوشات بين الإدريسي والإمام يحيى حتى عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م عندما احتلت القوات اليمنية جبل «حُرُم» وقلعة «رزاح» وقلعة

«غمار» التي كانت ترابط فيها قوات الإدريسي.

واستغل الإمام يحيى تحالف الإدريسي مع دولة كافرة هي إيطاليا، فشنَّ حملة دعائية قوية ضده. وكانت إيطاليا قد احتلّت طرابلس الغرب (ليبيا) في ٢٩ سبتمبر ١٩١١م فحاربتهم الدولة العثمانية. وأرادت إيطاليا أن تشغل الأتراك في اليمن فاتفقت مع الشريف الإدريسي وأمدّته بالسلاح والمال. ولكن الشريف واجه صعوبات جمّة بسبب تحالفه مع كافر.

وتوجهت القوات التركيّة في محاربة الإدريسي في تهامة وأمرت متصرّفها في «الحُديدة» القاضي محمد راغب بتجهيز حملة على الإدريسي أبحرت من ميناء الحديدة إلى ميناء جيزان. كما توجهت قوات أخرى من الساحل بقيادة سعيد باشا، ثم قوات تركية ثالثة من جهة (أبها) بقيادة (متصرّف عسير)، وتلتها قوات الشريف حسين بن عون من جهة الشمال والغرب.

وقام الأسطول الإيطالي بضرب المواقع التركية في (اللحيّة) و(ميدي) مما جعل القوات التركيّة تتراجع إلى الجبال. واستطاعت قوات الإدريسي بواسطة الدعم الإيطالي القوي أن تحتل عبس وميدي وحرض وجزيرة فرسان[١].

واستمرت الحرب بين قوات الإدريسي تساندها إيطاليا وبين قوات الأتراك والإمام يحيى حتى جاءت الحرب العالمية الأولى. فاتصلت بريطانيا بالإدريسي واتصل بها وقام بينهما تحالف وعقد معاهدة ٣٠ أبريل ١٩١٥م، وأمدوه بالمال والسلاح[٢]. بينما رفض الإمام أن يحارب الأتراك رغم الصلات المتكررة من الإنجليز ومن السلطان أحمد فضل محسن للانضمام إلى بريطانيا، ولكن الإمام أعلن موقفه الحيادي.

---

(١) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ط ٥، ص ٢٦٨.

(٢) د. فاروق عثمان أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين (١٩١٩ – ١٩٣٩)، دار المعارف، القاهرة، ص ٦٢. وجعلت هذه المعاهدة بريطانيا تتدخل مباشرة في شؤون اليمن بالإضافة إلى تدخلها في عدن وما يعرف بالمحميات.

احتلال بريطانيا للحديدة ودعم السنوسي الإدريسي

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى في أغسطس ١٩١٤م انضمت إليها تركيا في أكتوبر من نفس العام (١٩١٤م) وبذلك وقفت مباشرة ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا مع ألمانيا والنمسا. وبما أن السنوسي في حرب مشتعلة مع الأتراك فإنه من الطبيعي أن يتصل بالإنجليز في عدن وأن يتصلوا به. وقام الكولونيل جيكوب بهذه الاتصالات..

وأمدّت بريطانيا الشريف الإدريسي بكميات وافرة من الأسلحة والأموال، وهاجمت بحراً الموانئ اليمنية الحديدة واللحيّة والمخا والصليف. وأشارت إليه بالهجوم على هذه المناطق برًّا. وعقدت مع الإدريسي **معاهدة في أبريل ١٩١٥م** تتضمّن التزام الإدريسي بشنِّ حرب ضد الأتراك ومضايقتهم بأقصى قوته، والعمل على توسيع رقعة إمارته. كما مكّنته من احتلال عسير إثر الجلاء التركي عنها[١]. ولم يكن الإدريسي في حاجة إلى من يحثّه على محاربة الأتراك، فقد حاربهم من قبل واشتدّ في حربهم، وحالف الإيطاليين الذين احتلوا طرابلس الغرب (ليبيا) والتي كان يحكم فيها أبناء عمومته الأدارسة، وكان عداؤه للأتراك يفوق كل وصف، ولا يحتاج إلى أن يحثه الإنجليز على حربهم، بل كان أقصى مراده دعمهم له بالسلاح والمال والمدد العسكري حين الحاجة إليه.

احتلال الحديدة

قامت بريطانيا باحتلال الحديدة واللحية **في مطلع ١٩١٩م عقب جلاء العثمانيين عنها**، حسب اتفاقية مودروس (Mudrus) في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م والتي تقضي باستلام المناطق التي كانت تحت الحكم التركي في اليمن (وغيرها) للمنتصر وهو بريطانيا. ونظراً لأن الحديدة كانت من بين المدن اليمنية التي كان

---

(١) أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٢٦٩.

الإمام يحيى قد اتفق على تسلمها من العثمانيين، فإن الإمام يحيى فوجئ باحتلال بريطانيا لها. وقد احتجَّ الإمام على ذلك وأرسل رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني في عدن والذي ردّ عيه قائلاً: «إننا دخلنا الحديدة لحفظ الأمن والنظام فيها. وسنعيدها إليكم[١]. وهذا اعتراف مهم من بريطانيا استفاد منه الإمام يحيى استفادة تامة في المطالبة بالحديدة.

ولكن بريطانيا، التي تنكث بوعودها عندما ترى مصلحة في ذلك، قامت بتسليم ميناء الحديدة إلى الشريف الإدريسي في ٣١ يناير ١٩٢١م[٢]. واحتالت لذلك بجمع تجار الحديدة ورجالاتها وأظهرت أنها تعطيهم الحق لمن ينضمّون، فأجمع أهل الحديدة على رغبتهم في الانضمام للدولة العثمانية (التي شجعت التجارة وحسّنت وضع الحديدة). فقال الإنجليز: إن ذلك مستحيل بعد انهزام تركيا في الحرب العالمية. فقالوا: نريد الانضمام إلى مصر التي كانت تحكم اليمن أيام محمد علي باشا (والذي شجع التجارة أيضاً وأقام إصلاحات عديدة فيها). فقال الإنجليز: إن ذلك أيضاً مستحيل. وضغطوا عليهم بأن يسلموا الحديدة للشريف الإدريسي، وعندما عارض بعض التجار بشدة، حبسهم الإدريسي ثم نفاهم إلى جيزان، ولم يطلق سراحهم إلا بفدية مالية. وهدّد الإدريسي أهل الحديدة بأنه سيسلط عليهم قبائل القحري وقبائل الزرانيق القوية إذا رفضوا حكمه، فاضطروا لذلك أن يقبلوه[٣].

وقد طالب أهل الحديدة بريطانيا بدفع تعويضات عن الخسائر الناتجة عن ضرب الأسطول البريطاني لها، فاعتذرت بريطانيا عن ذلك وأحالتهم على الإدريسي الذي سلمته الحديدة. وبطبيعة الحال رفض الإدريسي تسليم

(١) فاروق عثمان أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية، ص ٦٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.
(٣) المصدر السابق.

التعويض لعدم قدرته المالية وحاجته هو نفسه للمال[(١)].

وهكذا مكّنت بريطانيا الإدريسي أن يستولي على الحديدة واللحيّة وميدي وغيرها. وجعلت ذلك ورقة لتساوم الإمام يحيى الذي هجم على الضالع والمناطق الجنوبية الأخرى، واحتل الضالع والشعيب والأجعود في أعقاب تسليم بريطانيا للحديدة في ٣١ يناير ١٩٢١م للشريف الإدريسي، ولم يخرج منها إلا عندما استخدمت بريطانيا السلاح الجوي وضربت المناطق التي يحكمها الإمام بالطائرات (١٩٢٦ – ١٩٢٨م)[(٢)].

وقد استطاع الإمام أن يسترد الحديدة في أبريل ١٩٢٥م دون أي مساعدة من بريطانيا[(٣)].

وقد قام الإدريسي باحتلال عسير التي كان يحلم بحكمها إثر الجلاء التركي عنها، ولكنه واجه مقاومة شرسة من آل عائض بزعامة حسن بن محمد عائض انتهت بانسحاب جنود الإدريسي من (أبها) إلى منطقة (الشعبين). وكان الشريف حسين بن عون شريف مكة يقف إلى جانب آل عائض وغيرهم بالمال والسلاح ضد الإدريسي الذي كان يعتبره منافسه الثاني في المنطقة بعد آل سعود[(٤)].

جلاء الأدارسة عن تهامة[(٥)]

كانت معاهدة الإدريسي مع بريطانيا في أبريل ١٩١٥م قد أتاحت له احتلال تهامة اليمن وتهديد تركيا وإشغالها في حرب ضروس داخل اليمن.. ولكنها في نفس الوقت أعطت بريطانيا حقّ التدخل باعتبار إمارة الإدريسي

(١) فاروق عثمان أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية، ص ٨٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١٠٣.
(٣) المصدر السابق، ص ٩١.
(٤) أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٢٦٩.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

محميّة بريطانية، كانت تدار من عدن.

ودبّ الخلاف بين أولاد الشريف محمد بن علي الإدريسي وهم علي والحسن (وذلك بعد وفاة والدهم في ٢٠ مارس ١٩٢٣ وحل محله ابنه علي) واستفادت اليمن (قوات الإمام) من هذا الخلاف. وزحفت القوات المشتركة على جميع المناطق الساحلية (تهامة) التي كان الإدريسي قد احتلها بمساعدة الإنجليز واستطاعت هذه القوات استعادة الحديدة وجميع تهامة اليمن عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م. ولم تكتف بذلك بل هجمت على أرض الإدريسي الأصلية كصامتة (صامدة) وأبي عريش واحتلتها بالفعل بسبب تخلّي الشريف الحازمي، وهو أحد كبار قواد الإدريسي، عنه وانضمامه إلى الإمام[١]. وحاول الإدريسي التفاهم مع الإمام على أن يقتصر على مواقعه الأصلية في صبيا وأبي عريش ولكن الإمام رفض ذلك[٢].

وفي نفس الوقت واجه الإدريسي هجوماً سعوديًّا قام به الملك عبد العزيز رحمه الله بواسطة أنصاره. واضطر الإدريسي إلى توقيع معاهدة مكة في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦م، وتتضمن دخول إمارة الأدارسة (صبيا ومنطقة أبي عريش) تحت الحماية السعودية. وإليك نص المعاهدة التي وافق عليها أيضاً الإمام يحيى حميد الدين:

«رغبةً في توحيد الكلمة، وحفظاً لكيان البلاد العربية، وتقوية للرابطة بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسين بن علي الإدريسي على عقد المعاهدة الآتية:

(١) فاروق عثمان أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين، ص ٨٩.
(٢) المصدر السابق.

المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضّحة في اتفاقية ١٠ صفر عام ١٣٣٩هـ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعةً للأدارسة في ذلك التاريخ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة.

المادة الثانية: لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة، وكذا لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلّا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة: لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب وإبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة: لا يجوز لإمام عسير التنازل عن أي جزءٍ من أراضي عسير المبيّنة في المادة الأولى.

المادة الخامسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الأراضي المبيّنة في المادة الأولى مدة حياته ومَن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل الحلّ والعقد التابعين لإمامته.

المادة السادسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شؤون عشائرها من نصبٍ وعزلٍ وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير، على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين.

المادة السابعة: يتعهد ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بدفع كل تعدٍّ داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبيّنة في المادة الأولى، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة.

المادة الثامنة: يتعهّد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة: تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة: دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورةٍ لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشرة: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة (مكة المكرمة).

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦م».

إمام عسير	**ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها**
الحسن بن علي الإدريسي	**عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود**

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف خادم الإسلام

أحمد الشريف السنوسي

وهكذا انتهى حكم الشريف الإدريسي على تهامة اليمن وموانئها الهامة، واستعادها الإمام يحيى منه بعد أن تحالف الشريف أولاً مع الإيطاليين لمحاربة الأتراك (١٩١١م)، ثم بعد ذلك مع الإنجليز (١٩١٥م). ورغم أن الإنجليز دعموه وسلموه الحديدة (١٩٢١م) إلا أنهم تخلّوا عن مساعدته في حروبه الشرسة مع الإمام يحيى، ووقفوا على الحياد. وقد استعاد الإمام يحيى كل أراضي تهامة وموانيها عام ١٩٢٥م، بل قام الإمام بمهاجمة الأراضي الأصلية للإدريسي في صبيا وأبي عريش التي اعتبرها الإمام يحيى جزءاً من أراضي أجداده، ولم يقبل من الإدريسي أن يبقى فيها حاكماً بعد أن عرض عليه الإدريسي اتفاقاً يشبه اتفاق الحماية الذي عقده في السنة التالية، مضطراً، مع الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله. واستطاع الملك عبد العزيز بحكمته ورجال دولته أن يستولي فيما بعد على هذه المناطق كلها شاملة عسير وجيزان، وأن يوحّد معظم أرجاء جزيرة العرب تحت راية التوحيد.

الأوضاع السياسية في اليمن
قبيل الحرب العالمية الأولى

تحدثنا في الفصل السابق عن اتفاقية (دعّان) التي تمت بين الأتراك والإمام حميد الدين عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وهي تمهد لما حدث بعدها من أحداث وتوضح موقف الإمام يحيى من الحرب الدائرة بين الإنجليز والعثمانيين في الحرب العالمية الأولى. كما تطرقنا بعد ذلك إلى الشريف محمد بن علي الإدريسي الذي أقام دولة الأدارسة في المخلاف السليماني (في صبيا وأبي عريش) وما تبع ذلك من حروب شعواء بينه وبين الأتراك وبينه وبين الإمام يحيى. واستعانته بالإيطاليين أولاً ثم الإنجليز ثانياً أثناء الحرب العالمية الأولى. وانحسار دولته بقيام دولة الملك عبد العزيز وسيطرته على الحجاز وعسير بما مهّد لقيام المملكة العربية السعودية، التي بسطت سيطرتها على معظم أجزاء الجزيرة العربية، واستطاع الملك عبد العزيز رحمه الله توحيدها بعد فترة طويلة من التفرّق والتمزّق.

اتفاقية الحدود

وسنستعرض ها هنا **اتفاقية الحدود بين منطقتي النفوذ البريطانية والعثمانية في اليمن والتي تمت في مارس ١٩١٤م قبل الحرب العالمية الأولى:**

لقد تمت مباحثات عدة حول الحدود بين الدولة العثمانية وحكومة عدن. وذكرنا ما حدث من معارك بين شيخ ماوية محمد ناصر مقبل الصراري (باشا) قائمقام القماعرة التابع للأتراك وبين الحواشب وغيرهم سنة ١٩٠٠م ثم بعد ذلك مع أمير الضالع. واضطرت تركيا أن تنسحب من الضالع لتواجه الثورات العديدة التي كان يثيرها الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين (والد الإمام

يحيى). واستمرت المفاوضات مع الإنجليز لترسيم الحدود عندما تم التوقيع المبدئي عليها في مايو ١٩٠٤م ثم جاء التصديق عليها من الباب العالي في ٢٠ أبريل ١٩٠٥م[١]. وبهذه الاتفاقية تمكّنت بريطانيا من السيطرة على الضالع ويافع العليا والعوالق العليا وبيحان كما أن الباب العالي التزم بعدم التدخل في حضرموت[٢].

والواقع أن العثمانيين لم ينفذوا الاتفاقية بحذافيرها، بل استمرت مسألة تحديد الحدود بين الطرفين معلقة[٣] حتى تمت الاتفاقية التي وقعت في ٩ مارس ١٩١٤م بين السير إدوارد جراي (وزير الخارجية البريطاني) وإبراهيم حقي باشا (وزير الخارجية التركي) وذلك قبل اندلاع الحرب العالمية ببضعة أشهر فقط.

وقد اضطر المقيم السياسي في عدن لإرسال كتيبة بريطانية وفرقة من المشاة الهنود للإقامة في إمارة دثينة. كما أبدت حكومة الهند البريطانية تخوفها من التغلغل العثماني المستمر في شؤون مشيخات الجنوب المرتبط باتفاقيات صداقة وحماية مع بريطانيا[٤].

وقد أوضح الميجر جنرال دي براث (De Brath) المقيم السياسي في عدن (١٩٠٦-١٩١٠م) لحكومة الهند أهمية تدعيم حامية عدن لمواجهة مؤامرات العثمانيين التي تهدف إلى بسط سيطرتهم على جنوب اليمن، وتهديد القاعدة البريطانية في عدن[٥].

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٦٩.

(٢) R. J. Gavin: *Aden under British Rule*, pp 224-225

(٣) أحمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(٥) المصدر السابق نقلاً Confidential (Report) Aden Policy by Sir Lee Wamer and Sir Hugh Bamers, 5*th* September, 1906

وقد حاول العثمانيون استقطاب قبائل الجنوب باسم الجهاد في سبيل الله ضد الكفار الذين احتلوا أرض المسلمين في جنوب اليمن.

ولا شك أن النفوذ العثماني كان أقوى من النفوذ البريطاني في جزيرة العرب، فالدولة العثمانية هي الحاكم الرسمي والإسمي للجزيرة العربية بأكملها، ما عدا بعض الموانئ التي احتلتها بريطانيا مثل عدن والبصرة والكويت والبحرين أو ارتبطت معها بمعاهدات حماية مثل مسقط وعمان وسقطرى واحتلت بريم وكمران.

وقد جاء في التقرير الذي رفعه السير بارنز (Sir Barnes) عن السياسة المتبعة في عدن (المحرر ٥ سبتمبر ١٩٠٦م) أن حكومة الهند البريطانية وافقت على ما أبداه المقيم السياسي البريطاني في عدن (المستر دي براث) من ناحية تعزيزات القوات البريطانية هناك حفاظاً على مكانة بريطانيا ونفوذها إزاء المنافسة العثمانية، كما وافقت حكومة الهند على إبقاء الحامية البريطانية في دثينة والتي تتميز بمناخها الصحي، وكونها مركز مراقبة للطرق الداخلية والمؤدية إلى عدن[(١)].

وأشار التقرير إلى أنه طالما كان البريطانيون في حالة سلام مع العثمانيين، فليست هناك حاجة لحامية بريطانية في دثينة. أما لو قامت الحرب فإن ألف مقاتل بريطاني لن يستطيعوا أن يؤمنوا الحصول على المؤن من مناطق تسيطر عليها القوات العثمانية. وكذلك لا تستطيع الحامية في دثينة أن تمنع تهريب الأسلحة عبر منطقة واسعة ممتدة إلى البحر الأحمر وخليج عدن[(٢)].

وفي أواخر سنة ١٩٠٦م صدرت أوامر من وزير الخارجية البريطاني تطلب سحب القوات البريطانية من منطقة الضالع، مع وقف جميع العمليات العسكرية خارج نطاق عشرة أميال من عدن، إلا بعد أخذ موافقة وزارة

---

(١) أحمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، ص ٣٣٩ – ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٠.

الخارجية البريطانية، وطلب سحب الوكيل السياسي (Political Agent) في الضالع في الوقت الذي يراه رئيس حكومة الهند البريطاني. وأمر بعدم توقيع أي اتفاقية جديدة. أما مسألة الحدود فإنها ستحلّ عبر المفاوضات الدبلوماسية بين لندن والآستانة (اسطمبول) [١].

وبما أن العثمانيين واجهوا ثورات عديدة في البلقان واليونان وغيرها من المناطق في أوربا والشام. كما أن ثورة الإمام في داخل اليمن أدّت إلى أن تركّز الدولة العثمانية جهودها بعيداً عن الحدود مع بريطانيا في جنوب اليمن[٢]. وبالتالي تركت لبريطانيا، مضطرة، حرية الحركة في الجنوب لدى المشيخات والسلطنات المختلفة.

ولا شك أن صلح دعّان الذي تمَّ توقيعه بين الإمام يحيى ومحمود نديم، الوالي التركي، عام ١٩١١م أدّى إلى تغيّر سياسة الإمام يحيى حيث إنه في يناير ١٩١٢م أرسل رسائله وبعثاته إلى سلاطين الحواشب ويافع السفلى وعلوي وغيرهم يطالبهم بالاعتراف بسلطته الدينية، ومن ثمَّ عليهم دفع زكاة الزروع (عشرة في المائة من الأرض التي تسقى بماء السماء ونصف العشر في الأرض التي تسقى بجهد) [٣]. وأوضح الإمام يحيى برنامجه السلمي الذي يدعو إلى وحدة المسلمين، واستعادة حقوق أسلافه في هذه المنطقة..

ورغم ذلك فإن بريطانيا العثمانية سارت في طريق المفاوضات حول الحدود، وكان ممثل بريطانيا السير إدوارد جراي وممثل الأتراك إبراهيم حقي باشا. وبعد مفاوضات طويلة تم **الاتفاق في ٩ مارس ١٩١٤م على تحديد الحدود**. وقد جاء فيها[٤]:

---

(١) R. J. Gavin: *Aden Under British Rule* 1839–1967, pp 233, pp 239 - 241

(٢) أحمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، للمصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٤) أحمد بن بريك، اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر (١٨٦٩-١٩١٤)، ص ٣٤٤- ٣٤٦.

(أولاً) الموافقة على البروتوكولات السابقة عام ١٩٠٣ و١٩٠٤ و١٩٠٥م.

(ثانياً) وافق الطرفان على أنه، إثباتاً لما تعهدوا به في القسم الأول من البروتوكول المؤرخ في ٢٠ أبريل ١٩٠٥م، يصرح سلطان العثمانيّين بأنه لن يتنازل بأيّ وجه من الوجوه عن الأراضي التي تبلغ مساحتها ٥٥٠ ميلاً مربعاً، والملاصقة لجبل نعمان وحصن مراد والواقعة ضمن حدود مقاطعة الصبيحة القديمة.

(ثالثاً): وافق الطرفان على أن تكون حدود الأراضي العثمانية تتبع خطاً مستقيماً يبدأ من أكمة «الشوب» متجهاً نحو الشمال الشرقي نحو الصحراء للربع الخالي بانحراف ٤٥ درجة. وهذا الخط يلتقي في الربع الخالي على الخط الموازي لدرجة ٢٠ من الخط المستقيم المتجه مباشرة نحو الجنوب والمبتدئ من نقطة واقعة على الشاطئ من خليج عجير فاصلاً الأراضي العثمانية من سنجق نجد وأرض قطر، وفقاً للمادة الثانية من الاتفاقية الإنجليزية العثمانية الخاصة بالخليج «الفارسي» والمناطق المجاورة له والمؤرخة في ٢٩ يوليه ١٩١٣م.

(رابعاً): تخلّت الدولة العثمانية عن كل ما لها من حقوق ومطالب في حضرموت[١]. وبعد التوقيع على هذه المعاهدة تم التصديق عليها في لندن في ٣ يونيه ١٩١٤م (أي قبل إعلان الحرب العالمية بشهرين فقط)، وفيها اعتراف واضح بحماية بريطانيا للمحميات التسع، كما أنها تخلّت عن أي مطالبة بحضرموت.

وبطبيعة الحال فإن أهل اليمن أصحاب الأرض لم يستشاروا في ذلك، وبالتالي فإن هذه الاتفاقية لا تلزمهم بأي حال من الأحوال، وكتب الإمام يحيى بأنه لا يعترف بهذه المعاهدة.

---

(١) فاروق أباظة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٨٣٩ – ١٩١٨)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٥٥٥.

وقد كتب الصدر الأعظم سعيد حليم باشا في إحدى رسائله الرسمية قائلاً: «إن المفاوضات التي تجري بين الدول الأوربية حول الأمور التي تتعلق ببلادنا تخلُّ بحقوق سيادتنا إخلالاً كليًّا. ولذلك يجب علينا ألا نبتلع نتائج تلك المفاوضات بل يجب علينا أن نتجاهلها تماماً»(1) (ولا يستطيع واقعيًّا تجاهلها).

وكانت الدول الأوربية قد بدأت في اقتسام تركة الرجل المريض (الدولة العثمانية)، والاتفاق على ذلك الاقتسام حتى لا تقوم الحرب بينهم من أجل التنازع على تلك التركة!! وهذا ما أشار إليه ساطع الحصري في كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية» حيث قال: «إن أسس اقتسام البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية كانت قد تقرّرت قبل الحرب العالمية الأولى، تحت علم الحكومة العثمانية نفسها»(2).

محاولات بريطانيا وتركيا كسب الزعماء العرب

ارتابت بريطانيا من الاستعدادات الحربية التي قام بها الأتراك على سواحل الجزيرة العربية عام ١٩١٤م بعد أن تم التقارب بين الأتراك والألمان. وكان التعاون الألماني التركي قد توج بمعاهدة سرية دفاعية بين الطرفين في ٢ أغسطس ١٩١٤م، وهو نفس اليوم الذي أعلنت فيه ألمانيا الحرب على روسيا.

وقد تنبأ سلطان لحج السلطان أحمد فضل الذي توفى عام ١٩١٤م قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، بأن الحرب ستقوم بين بريطانيا وألمانيا وأن الدولة العثمانية ستنضم إلى ألمانيا بناء على معلومات وردته من التعاون الألماني التركي

(١) فاروق أباظة: الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢ – ١٩١٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٣٤٨.

(٢) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٠، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

الوثيق وبداية ظهور نُذر الحرب العالمية التي كان يشرحها له جيكوب وأمثاله من أصدقائه الإنجليز[١].

دخول بريطانيا الحرب ضد تركيا (نوفمبر ١٩١٤م)

أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على الدولة العثمانية في ٥ نوفمبر ١٩١٤م لأن تركيا هاجمت روسيا وأعلنت عليها الحرب في ٣١ أكتوبر ١٩١٤م، فردت تركيا بإعلان الحرب على هاتين الدولتين في ١١ نوفمبر ١٩١٤م وأعلنت انضمامها إلى ألمانيا. وكانت الدولة العثمانية تستطيع أن تهدد المصالح البريطانية بفضل استيلائها على الشام والعراق، وأهم هذه المصالح: قناة السويس، والخليج العربي (الذي كان يدعى الفارسي) حيث تقع آبار النفط الهامة التابعة للشركة الإنجليزية الفارسية. وكان العثمانيون يسيطرون على العديد من سواحل البحر الأحمر وبالتالي كان يمكنهم أن يبثّوا الألغام لتدمير البواخر البريطانية التي تمرُّ عبره[٢].

وكان أكثر ما تخافه بريطانيا هو إعلان خليفة المسلمين الجهاد ضد الكفار وخاصة إذا أيّده في ذلك شريف مكة، فإن ذلك سيؤدي إلى إثارة القلاقل في الهند وغيرها، وإلى خروج الآلاف المؤلفة من المسلمين المنضوين تحت العلم البريطاني والذين يحاربون ألمانيا بسببه[٣].

لهذا حرصت بريطانيا حرصاً شديداً على تحييد الشريف حسين أولاً ثم استقطابه إلى صفّها ثانياً، وقد نجحت في ذلك أيما نجاح بحيث أعلن الشريف حسين الحرب على دولة الخلافة الإسلامية سنة ١٩١٦م وانضم إلى بريطانيا ضد دولة الخلافة!!

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٤٢.
(٢) أحمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، ص ٣٤٨.
(٣) المصدر السابق.

لهذا كله كانت بريطانيا والدولة العثمانية تتنافسان على استقطاب الزعامات العربية. وكان الشريف حسين في أول الأمر محسوباً على الدولة العثمانية ويمكنه أن يجمع قبائل الحجاز لتحارب في صف الدولة العثمانية، ولو تم ذلك لاستطاعت تركيا أن تهاجم قناة السويس، وظهرها آمن.

أما الشريف الإدريسي فكان منذ البداية معادياً للأتراك ومحارباً لهم من قبل الحرب العالمية الأولى وبالتالي فلا أمل يُرجى في استمالته إلى الجانب التركي. ولهذا استطاعت بريطانيا أن تغريه بالانضمام إليها وساعدته في احتلال الحديدة وتهامة اليمن.

ويعتبر الإمام يحيى مفتاح الموقف في اليمن، فحاولت بريطانيا عن طريق صديقها السلطان أحمد بن فضل الذي أحسَّ بنذر الحرب القادمة قبل أن تقع أن يراسل الإمام يحيى ويحذره من مغبّة التحالف مع الأتراك ويشرح له فوائد الاتصال بالإنجليز. وقام خليفته من بعده علي بن أحمد بتأكيد ذلك للإمام يحيى، ولكن الإمام أخبره أن موقفه أن يكون على الحياد في تلك الحرب.

وقد حاولت الدولة العثمانية استمالة السلطان علي بن أحمد ولما فشلت وافقت على الهجوم على لحج بقيادة الأميرالاي علي سعيد باشا، واحتلال أرضه.

وكان موقف الإمام يحيى مناصراً للأتراك بعد اتفاقية دعّان، رغم أنه لم يشترك في الحرب فعليًّا ضد الإنجليز، وعارض الاستيلاء على لحج بسبب علاقاته الوطيدة مع سلطان لحج أحمد فضل وخليفته السلطان علي بن أحمد. ولم يرضَ أن يرتمي في أحضان الإنجليز وهو رافع راية الجهاد ضد الكفار، ويعتبر أن المشيخات والسلطنات في الجنوب كلها أراضٍ يمنية كانت تحت حكم الأئمة منذ زمن طويل.

وأما في الجزيرة العربية فكان موقف ابن الرشيد (حائل) والمنافس لآل

سعود موالياً للدولة العثمانية، بينما كان خصمه السعودي معادياً للأتراك للتاريخ الطويل من المعاداة بينهما (وما فعله محمد علي باشا بالدولة السعودية).

ونتيجة لذلك فقد كان الشريف الإدريسي أول من لبّى دعوة الإنجليز فحالفهم في ١٣ أبريل سنة ١٩١٥م، وتلاه ابن سعود في ديسمبر ١٩٠٥م، وكان ثالثهم الشريف حسين الذي عقد حلفاً مع الإنجليز في يناير ١٩١٩م. وبذلك أمَّنت بريطانيا العظمى الجبهة العربية بكاملها ما عدا اليمن[١].

الموقف في اليمن

كانت اليمن من الناحية الرسميّة تابعة للدولة العثمانية ومرتبطة بها (ما عدا المناطق التي احتلتها بريطانيا أو عقدت معها اتفاقيات حماية وصداقة). وكانت للدولة العثمانية قوات عسكرية ترابط في صنعاء والحديدة وتهامة كما كان لها أنصارها في اليمن الأسفل (تعز والحجرية وأب.. إلخ).

وكان في اليمن قبيل إعلان الحرب العالمية الأولى أربع قوى متنافسة هي:

(١) قوة العثمانيين في صنعاء وتهامة. (٢) قوة الإمام يحيى في شهارة وصعدة وما حولها، وهو حليف للأتراك بعد معاهدة الدعّان. (٣) قوة الإدريسي في عسير وصبيا وأبي عريش وهو معاد للأتراك. (٤) قوة بريطانيا في عدن وما حولها مما يُسمى المحميات.

وقد قامت حكومة الآستانة قبل دخولها الحرب بثلاثة أشهر بإرسال كميات كبيرة من السلاح إلى صنعاء بطريق البحر، كما أرسلت عدداً كبيراً من الضباط. وقد ذكر القومندان أحمد فضل العبدلي[٢] أن السلطان علي بن أحمد

---

(١) أحمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، ص ٣٥٣.

(٢) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٤٢.

محسن قال: «كنا قد شعرنا قبل ذلك (أي قبل دخول الأتراك الحرب العالمية) بحركة غير اعتيادية في ولاية اليمن، وأن عدداً من الضباط يصلون من جهة القسطنطينية إلى الحديدة ومعهم ذخائر كثيرة لليمن، مما دلنا على أن الأتراك ينوون الانضمام في صف ألمانيا في هذه الحرب. وفي الشهر المذكور (القعدة ١٣٣٢هـ) بلغنا أن ضباطاً من دائرة أركان الحرب مع بعض مشايخ اليمن طافوا الحدود، وأن والي اليمن (محمود نديم) أنفذ إلى جهة لحج من يستطلع الأخبار ويكشف الأحوال، وأنه التقى بالإمام يحيى للمذاكرة، وتم الاتفاق على ما يرام، وأن الإمام بذل مساعدته لحماية حدود ولاية اليمن، وأن الوالي (محمود نديم) أشار عليه بتقوية (موقع) الشيخ سعيد».

و«الشيخ سعيد» هي موقع حصين ومنطقة جبلية في باب المندب، ترتفع ثلاثة آلاف قدم عن سطح البحر وتشرف على مدخل البحر الأحمر، وتراقب جميع السفن الداخلة والخارجة من باب المندب[(١)].

وقال **السلطان علي بن أحمد**: «وبلغنا أن المشايخ أحمد نعمان ومحمد ناصر والسيد أحمد باشا تعهدوا بحماية الحدود، وأنهم لا يطلبون من الدولة إلا سلاحاً وذخيرة، وإنما فعلوا ذلك لعدم رغبتهم في أن ترسل لهم الدولة عساكر أتراكاً في بلادهم».

وأرسل السلطان علي بن أحمد تقريراً بذلك كله إلى والي عدن.

---

(١) كان اليونانيون والرومان يسمون قرية الشيخ سعيد (أوكليس Ocelis). كما سموا جزيرة ميون جزيرة (ديودوروس Diodorus) والتي سماها الرومان (بريم Perim) وهو الاسم الذي استخدمه الأوربيون لها.

الحرب العالمية الأولى ودخول الأتراك إلى لحج

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م

لقد كان التنافس الأوربي على المستعمرات سبباً لحروب كثيرة بين الأوربيين أنفسهم، وأهمها الحرب بين الإسبان والإنجليز التي انتهت بهزيمة الإسبان في معركة الأرمادا البحرية الشهيرة في عهد الملكة إليزابث الأولى التي ابتدأ في عهدها الاستعمار البريطاني وتكوين شركة الهند الشرقية سنة ١٦٠٠م ثم التنافس بينها وبين هولندا، ثم بينها وبين فرنسا والحروب النابليونية المدمرة، ودخول روسيا على الخط، واستعمارها للمناطق الإسلامية في القوقاس والتركستان وامتدادها إلى إيران وأفغانستان. وبقيت ألمانيا وإيطاليا أقل تلك الدول حظًّا في المستعمرات (ما عدا مستعمرات محدودة في إفريقيا). وكان الأوربيون شديدو التعصب لقومياتهم المتعددة. وكانت الدولة العثمانية منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي تعاني من الضعف في أوربا وتقتطع منها روسيا أراضي كثيرة ما بين فترة وأخرى. وكذلك فعلت الدول الأوربية الأخرى.

وفي بداية القرن العشرين واجه السلطان عبد الحميد الثاني المؤامرات من داخل القصر والجيش بسبب جمعية جون ترك (تركيا الفتاة) التي تسلّل إليها اليهود وعاقبوه على رفضه السماح لليهود دخول فلسطين وبناء مستعمرات فيها، ورفض السلطان عبد الحميد كل عروض هرتزل وأثرياء اليهود بملايين الجنيهات الذهبية التي كان في أشدّ الحاجة إليها، فدبّروا له مع الدول الأوربية الأخرى، وخاصة بريطانيا، الثورات الداخلية حتى أطاحوا به عام ١٩٠٩م، وأقاموا بدلاً منه أخاه محمد رشاد الذي لم يكن يتمتع بالدهاء وحسن السياسة مثل أخيه الأكبر.

وأقامت تركيا علاقات وطيدة مع ألمانيا. وقد قال طلعت باشا رئيس جمعية جون ترك في مذكراته إنه وافق على معاهدة مع ألمانيا تقتضي الدخول معها في حربها وسلمها، وإنه لم يكن يتوقع حدوث أي حرب بين ألمانيا وأعدائها، ولكن ألمانيا كانت تتوقع هذه الحرب وتعدّ لها عدّتها وتبحث عن الأنصار والحلفاء.

وفي ٢٨ يونيه ١٩١٤م اغتيل الأرشيدوق فرانسيس فرديناد ولي عهد النمسا في سيراييفو (البوسنة) وقتله صربي متعصب. والنمسا وألمانيا حلفاء ومن أصل واحد ويكادون يكونون أمة واحدة. وغضبت النمسا لذلك، فدخلت في حرب ضد الصرب الذين كانوا بدورهم متحالفين مع الإنجليز والفرنسيين والروس.

وكانت هذه الحادثة هي التي أشعلت فتيل الحرب العالمية الأولى والتي كانت متوقعة على أي حال.

ودخلت ألمانيا والنمسا والمجر في الأول من أغسطس ١٩١٤م وتبعتها الدولة العثمانية ٣١ أكتوبر ١٩١٤م وانضمت إليها عدد من الدول. وعُرفت هذه المجموعة بدول المحور أو الوسط. بينما كانت بريطانيا وفرنسا وروسيا (وتبعتها دول أخرى كثيرة من آخرها الولايات المتحدة في أبريل ١٩١٧م) في صفّ آخر مواجه لألمانيا. وعرفت هذه المجموعة باسم دول الحلفاء.

ولم يكن للدولة العثمانية أي علاقة بهذه الحرب. وكان الأجدر بها، وهي تكاد تحتضر، أن تبتعد عن هذه المعارك بين الأوربيين المتنافسين على المستعمرات وعلى اقتطاع أجزاء واسعة من الإمبراطورية العثمانية (الرجل المريض في أوربا).

وكانت روسيا القيصرية تتطلع إلى استعادة القسطنطينية (عاصمة للدولة الأرثوذكسية) وحروبها مع العثمانيين طويلة جداً. وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى كان في جيوش القيصر نيقولا الثاني مليون وخمسمائة ألف جندي مسلم

أجبروا على محاربة إخوانهم الأتراك، وليساهموا في إزالة دولة الخلافة الإسلامية العثمانية إلى الأبد من على وجه الأرض[١].

وكان في جيوش الإمبراطورية البريطانية أعداد مماثلة من المسلمين، وخاصة من الهند، تحارب الدولة العثمانية. والشيء ذاته يقال عن فرنسا التي كانت قد استعمرت الجزائر والمغرب وموريتانيا وتونس والسنغال.. وكان المسلمون يشكّلون نسبة كبيرة من جنودها، واستمع إلى نداء **جورج الخامس وإمبراطور الهند الذي صدر في ١٣ فبراير (شباط) ١٩١٥م**[٢] يوضح لك مدى الاستخفاف بالمسلمين والضحك عليهم ليحاربوا دولتهم (على ما فيها من ظلم وفساد):

«**إلى أصدقائنا سكان بلاد العرب**: قد علمتم أننا معشر الإنجليز لم نخض غمار هذه الحرب الطاحنة ضد ألمانيا إلا لأنها اعتدت على الممالك الصغيرة المتاخمة لها، وهاجمتها لغير ما ذنب (قام صربي متعصب بقتل ولي عهد النمسا) مع أن ألمانيا نفسها كفلت ضمان استقلال تلك الممالك بالعهود والمواثيق الأكيدة. ولا يغيب عن بالكم أن ألمانيا، لما اكتنفتها الأخطار وأحاطت بها الأزمات، احتالت بدهائها على الحكومة التركية لتأخذ بناصرها وتشدّ أزرها. وقد استطاعت أن تصل إلى مآربها بفضل المبالغ الطائلة من الأموال والأماني الكاذبة، **وكانت ترمي بذلك إلى الحصول على أمر بالجهاد من سلطان تركيا ضدنا وضد حلفائنا لأن رايتنا تظلّ بالملايين العديدة من المسلمين الذين انضم إلى جيوشنا الآلاف المؤلفة منهم، وأصبحوا يحاربون معنا الألمان جنباً إلى جنب.. وهي ترجو من وراء ذلك أن ينقلب المسلمون ويكونوا علينا لا لنا.**

«**ولا شك أن كل مسلم صميم، ملأت العقيدة الإسلامية قلبه، يربأ بنفسه**

---

(١) شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي.

(٢) المسلمون في الاتحاد السوفييتي لمحمد علي البار، ج١/ ٢٠.

من أن يستخفَّ بعقيدته ويكون ألعوبة في يد دولة أجنبية تجعله قرباناً على مذابح مطامعها الأشعبية!!.

«وليس جميع المسلمين من رعايا بريطانيا العظمى وفرنسا والروسية وحليفاتها وحدهم قد أظهروا آيات الإخلاص والولاء بإرسال زهرة شبانهم لمساعدتنا في ميدان القتال ضد تركيا وغيرها، بل إن الطبقة الرشيدة من الأتراك سخطت على سوء سلوك تركيا إلى هذا الحد..

«إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وإمبراطور الهند قررت أنه عند انتهاء الحرب ستجعل من شرائط الصلح ومواده الرئيسية أن تكون شبه جزيرة العرب ترفل في ثياب الحريّة وتستعيد رقيّها القديم ونضرتها الأولى. بربكم أفلم يكفكم ذلك؟»..

«لا يداخلكم ريب من جانبنا وترقبوا سنوح الفرصة المناسبة فهي آتية لا ريب فيها، وعندها تخلعون عنكم رداء الظلم وتنفضون عنكم غبار الاستبداد. وإنا لا نألو جهداً في مد المساعدة إليكم. كما إنا نعدكم، وعداً صادقاً، بأنكم ستصيرون - بحول الله وقوّته - أمة متمتعة بكل معاني الاستقلال.

«أنتم على شوق إلى معرفة نوايانا من جهة دينكم الكريم. ألا فاعلموا أن الديانة الإسلامية قد احترمها الإنجليز أجل احترام، وأكبرتها كل الإكبار. والتاريخ شاهد على صدق ما نقول».

«ملك بريطانيا وإمبراطور الهند جورج الخامس»[1]

وقد استطاعت بريطانيا أن تغري الشريف الحسين بن عون في الانضمام إليها، وأرسلت له اللورنس (Lawrence of Arabia) وأمدته بالمال والسلاح

---

(١) محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفييتي، ج١/ ٢٠ - ٢١.

حتى دخل الحرب في صفّها ضد الدولة العثمانية، ووقعت معه العهود والمواثيق بأن تعطيه كل جزيرة العرب (ما عدا ميناء عدن والبصرة والكويت) وكل سوريا الكبرى بما فيها فلسطين وكل العراق. ودخل الشريف حسين الحرب في يناير ١٩١٦م ضد دولة الخلافة بعد فترة تردد. وفي نفس الوقت قامت بريطانيا بإعطاء اليهود أرض فلسطين عبر وعد بلفور عام ١٩١٧م، كما اتفقت مع روسيا القيصرية بإعطائها إيران وشمال العراق وأراضي الأناضول، واتفقت مع فرنسا (اتفاق سايكس بيكو) على اقتسام بلاد العرب فتأخذ فرنسا سوريا ولبنان وتأخذ بريطانيا فلسطين والأردن والعراق.

وقد استطاع الجيش العربي أن يهزم الدولة العثمانية في معركة (العقبة) التي أدّت في النهاية إلى دخول جيش اللنبي القائد البريطاني إلى دمشق، وأن يقف على قبر صلاح الدين ليقول له: «قم يا صلاح الدين!! الآن انتهت الحروب الصليبية».. ودقّت الأجراس في كل كنائس أوربا بما فيها ألمانيا عدوة الإنجليز وحليفة الأتراك احتفاءً وفرحاً بدخول جيش اللنبي (أورشليم) وارتفاع علم الصليب عليها (العلم البريطاني به عدة صلبان متقاطعة).

وفي شهر ذي القعدة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م أبلغ الجنرال شو (والي عدن) السلطان علي بن أحمد بن علي، أنه من سوء الحظ أصبحت دولة بريطانيا العظمى في حالة حرب مع دولة تركيا. وأصدرت حكومة عدن منشوراً وعدت فيه العرب بالمحافظة على حرمة البلاد المقدسة وحريتها(١).

واستاء السلطان علي بن أحمد بن علي من هذا النبأ وتعجَّب من مسلك الأتراك، كما سرَّه وعد بريطانيا العظمى باحترام حرية الحرمين الشريفين. واعتبر السيد عبد الله العيدروس منصّب عدن بريطانيا أخلص الأصدقاء

(١) القومندان أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٤١.

للمسلمين وحكمهم أعدل حكم[١].

وقد حاول الأتراك أن يستميلوا مشايخ وسلاطين الجنوب وعلى رأسهم السلطان علي بن أحمد، وكتب الإمام يحيى إلى السلطان علي بذلك وأن الأتراك سيفون بوعدهم له. وكان السلطان علي قد كتب قبل ذلك إلى الإمام يحيى بأن الدولة العثمانية خاطرت بكيانها بسبب دخولها هذه الحرب. وأن معظم أهل الإسلام يكرهون ذلك لأن مصالح الإسلام والمسلمين مرتبطة بمصالح بريطانيا العظمى وحلفائها، وعلى الأقل فليس للمسلمين في هذه الحرب ناقة ولا جمل[٢].

وكان السلطان علي بن أحمد يسعى جاهداً لأن يَنْضَمَّ أهل اليمن جنوباً وشمالاً لبريطانيا العظمى، لاعتقاده الجازم أنها ستنتصر، وأن تركيا وألمانيا ستخسر، وفاتح السلطان مشايخ اليمن الأسفل المنتمين لدولة تركيا بذلك، ومنهم الباشا محمد ناصر مقبل الصراري قائمقام القماعرة والشيخ أحمد نعمان زعيم الحجرية والقاضي عبد الرحمن والشيخ قائد صالح والشيخ صالح الطيري باشا والسلطان علي مانع الحوشبي، بالانضمام إلى بريطانيا وسعى في ذلك جهده، بل كان سعيه في ذلك أكثر من سعي الضباط البريطانيين أنفسهم الذين اعترفوا فيما بعد بجهوده في سبيل نصرتهم[٣].

وقد أرسل والي اليمن التركي محمود نديم وقائد القوات التركية اللواء علي سعيد باشا الخطاب التالي إلى السلطان علي بن أحمد لاستمالته إلى صفهم[٤]:

(١) فاروق عثمان أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين، ص ٦١.
(٢) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٤٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٣ – ٢٤٤.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمير الأمراء الكرام.. ذو المجد والاحتشام.. مُحبّنا العزيز
السلطان علي بن أحمد المحترم حفظه الله

من بعد السلام ورحمة الله على الدوام

«نبدي قبلاً، صدر إلى جنابكم كتاب حضرة الإمام الهمام حفظه الله مع كتاب من طرف حضرة العلامة الفاضل القاضي لواء تعز عبد الرحمن أفندي عن أمرنا. وبهما موضح المرام والحقائق. وبهذه الدفعة صار إعزام القاضي المومأ إليه، وبمعيّته رؤساء مجاهدي لواء تعز، وهم محمد ناصر باشا قائم مقام القماعرة، وأحمد نعمان بك قائم مقام الحجرية، ووكيل قائم مقام قعطبة الشيخ قايد صالح، وشيخ مشايخ قضاء رداع صالح طيري باشا لأجل الاتفاق والمذاكرة مع حضرتكم بما يرضي الله ورسوله، وإعزاز دين الإسلام واتحاد الكلمة. وقد أعطيناهم التعليمات اللازمة بهذا الشأن. نرجو من ديانتكم وديانة كافة إخواننا أمراء لحج وجميع عائلتكم الكريمة البدار لنصرة الدين الحنيف، وإن أردتم التشريف لتسريع وإكمال الأمور بهذا الطرف للمذاكرة من الرأس نكون لحضرتكم من الشاكرين. والله يحفظكم، ويوفقنا جميعاً لما فيه الرضا، ودمتم فوق ما دمتم».

١٤ جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ/ الموافق ١٦ نيسان ١٩١٣م

والي اليمن **محمود نديم** قومندان الحركات العسكرية: **أميرالاي علي سعيد (باشا)**

وقالوا للسلطان إنهم سيسلمون له عدن بعد فتحها وطرد الإنجليز منها. وقالوا إن الأسطول الألماني سيهاجم عدن من البحر يوم يهاجمها الأتراك من البرّ وإن طائرات الألمان ستصل وتدكّ عدن دكًّا.

وقابل القوم محسن فضل العبدلي نيابة عن السلطان وتبين له أنهم يحلمون، ولكن **مشايخ الشافعية لا يريدون محاربة الإنجليز لولا أن الأتراك ساقوهم إليها. وقال له بعضهم إن اللواء علي سعيد باشا هو الذي أشار بمهاجمة لحج والاستيلاء عليها لأنه خشي أن لا تكفي الحاصلات في اليمن للجنود المحصورين هناك، فرأى أن يستولي على لحج المشهورة بكثرة حبوبها وأرزاقها لسدّ حاجة الجنود وعائلاتهم.**

ورفض الإمام إغراءات الإنجليز بالإنضمام إليهم، وقال إنه مرتبط بمعاهدة (دعّان) ولكنه سيقف على الحياد ما أمكنه ذلك. وعارض بشدّة احتلال لحج. وقد ضبط الإمام يحيى جانب الأمن في بلاد اليمن وخاصة شمالها، وقام بعدة مهام بصفته مفوضاً من طرف الخليفة، وهي خدمة ثمينة للأتراك مكنتهم من أن يتفرغوا لمحاربة أعدائهم[١].

وعرف الأتراك موقف السلطان علي بن أحمد المهالىء للإنجليز والرافض التعاون معهم، بل بلغهم أنه أمدّ الإنجليز في عدن بمبلغ خمسين ألف ريال (وهو أمر مشكوك فيه)، **وقرّر الأتراك الهجوم على لحج وإزالة هذا المتعاون مع الإنجليز إلى آخر رمق. ونصح السلطان العديد من أصدقائه بأن لا يواجه قوة الأتراك الضخمة فإنهم سيسحقونه، إلا إذا كان واثقاً من نصرة بريطانيا له بالجنود والعتاد.** ولكن بريطانيا التي اعتمد عليها السلطان علي بن أحمد تخلّت عنه، لأن قواتها في عدن نفسها قد سُحب جزء كبير منها ليحارب في الصومال وأماكن أخرى.

وحشد السلطان نحو ألفي مقاتل. وأرسلت حكومة عدن فرقة صغيرة من عسكرها الخيالة (Aden Troop) تحت قيادة السردار ملك داد خان الهندي،

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٦.

ثم سحبتهم إلى الحوطة (عاصمة لحج)، وأبقوا من طرفهم نفراً للمخابرة بالهاتف[(١)].

واتصل السلطان علي بن صالح الحوشبي بحكومة عدن فأعطوه قليلاً من البنادق، فيئس من نصرة حكومة عدن. وتلقى رسالة من علي سعيد باشا يدعوه إلى الرجوع إلى المسيمير ويعده بأرض زائدة (وهي أرض تابعة للحوشبي أخذها السلطان العبدلي) **فرجع الحوشبي إلى الأتراك.**

وهجم الأتراك بقوة نظامية بنحو ألفين وثلاثمئة (أتراكاً وشواماً) وبنحو ستة آلاف من المجاهدين (أي من العرب) حسب قول أحمد فضل العبدلي في هدية الزمن[(٢)]، وحوالي ثلاثة آلاف حسب قول جيكوب في كتابه ملوك جزيرة العرب[(٣)].

وقد ذكر أحمد فضل العبدلي القوات التركية بالتفصيل كالآتي:

(١) فرقة تحت قيادة القائمقام محمد ناصر مقبل الصراري باشا (قضاء القماعرة).

(٢) قيادة السيد أحمد باشا، وهم قبائل تعز وصير.

(٣) قيادة عبد الله بن يحيى، وهم قبائل الضباب وجبل حبشي.

(٤) قيادة القائمقام يوسف حسن، وهم قبائل قضاء العُدين.

(٥) قيادة القائمقام الياس بك، وهم قبائل إب وجبله ونحوهما.

(٦) قيادة القائمقام عبد القادر نعمان، وهم قبائل الحجرية.

(٧) قيادة السلطان علي مانع الحوشبي وهم قبائل الحواشب.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٣) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٧٨.

ومع القوة النظامية مجموعة كبيرة من المدافع (سريعة الطلقات وهاونات) وماترليوز (ماشنجن). وذكر الكولونيل جيكوب في كتابه «ملوك جزيرة العرب» عن القائد التركي رؤوف بك الذي أسره جيكوب في المعركة أن عدد المدافع التي وصلت لحج ١٥ مدفعاً لم يستخدموا منها في المعركة سوى ستة. واستمر القتال حول العاصمة الحوطة وانتصر الأتراك وخرج السلطان علي بن أحمد من الحوطة قبل الفجر، فمرّ بكمين من الهنود (جيش عدن) ظنّوه من الأعداء فأطلقوا عليه النار وقتلوا فرسه وأصيب هو بسبع رصاصات، فأعيد مجروحاً إلى القصر، وبقي فيه إلى ما بعد شروق الشمس (٦ يوليه ١٩١٥م)، وأخرجه من بقي من العسكر محمولاً على الأكتاف. وكان الأتراك ومن معهم يطلقون عليهم النار فأصابوا بعض الذين يحملونه بجروح، وساروا به على تلك الحالة إلى قرب (الرباط) قرب دار سعد حيث التقته سيارة حملته إلى عدن.. وهذا يعني أن جنود عدن لم يبق منهم أحد بعد شروق شمس السادس من يوليه عام ١٩١٥م.

ويقول جيكوب في كتابه «ملوك جزيرة العرب» (*Kings of Arabia*) **«إن السلطان علي بن أحمد ذهب ضحية جمودنا»**. وذلك أن حكومة عدن لم تهتم باستعادة ما سحب من جيش عدن إلى الصومال. وكان المفروض أن يأتي المدد قبل نزول الأتراك إلى ماويه[1]. **ومات السلطان علي بن أحمد في عدن، وخذلته بريطانيا العظمى التي كان يتغنّى بمجدها ويدعو لها!! وكانت وفاة السلطان في ١٥ يوليه ١٩١٥م الموافق الأول من رمضان ١٣٣٣هـ ، فنصَّبَ الإنجليز ابن عمه السلطان عبد الكريم فضل بن علي سلطاناً على لحج رغم أن لحج كانت في قبضة الأميرالاي** (اللواء) **علي سعيد باشا وقواته**. وقد عرض اللواء علي سعيد

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٧٨. وماويه هي مركز القماعرة ورئيسها محمد ناصر مقبل الصراري.

باشا على سلطان الحواشب علي بن مانع حكم لحج فاعتذر عن ذلك، وبقيت لحج تحت الحكم المباشر للأتراك[١]. وبقي السلطان عبد الكريم فضل في عدن إلى انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٨م).

وكان حاكم عدن (اللواء ستيوارت) يوجه رسائل إلى المشيخات يهاجم فيها الأتراك ويفنّد سياستهم ويسانده في ذلك عبد الكريم فضل السلطان المعيّن في عدن واللاجئ فيها. ومثال ذلك هذه الرسالة[٢]:

«نعلمكم أنه لا ينبغي عليكم أن تجيبوا على كتاب سعيد باشا، **فالأتراك مسلمون بالاسم[٣]، ولكن أعمالهم تدلّ على عدم احترامهم للشريعة. فهذه الحرب ليست حرباً دينية. وكيف جاز للترك أن تشترك مع ألمانيا لتحارب ملك الإنجليز الذي يحكم على أكثر المسلمين الموجودين تحت أي ملك من ملوك الدنيا، وبعد ذلك تعلن الجهاد. فدولة إنجلترا هي أعظم صديقة للمسلمين، والباشا يعلم هذا. ولقد كذب في قوله إن الإنجليز كفّار[٤] وهو يعلم أنه كاذب في ذلك؟!!** وكلما ذكره هو على سبيل السياسة فقط. **فأصدقاؤنا في البرّ يعلمون بأعمال الترك. فهل قد عاملت الأتراك العرب برأفة. ألم يستحلّوا نساءهم وأطفالهم وارتكبوا الشهوات التي لا ينبغي تسميتها؟[٥]. فالناس الذين يدّعون الإسلام، ينبغي لهم أولاً أن يظهروا أنهم مسلمون في سلوكهم ومعاملتهم. فنحن لم نطلب منكم أن تتركوا راية الرسول أو تنضموا إلى راية الصليب، بل نقول إن الدولة الإنجليزية هي أحسن دولة تسمح لكل أمة أن تعبد الله وحده**

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٠.

(٣) الأتراك مسلمون بالاسم والإنجليز مسلمون بالفعل!!؟

(٤) يا سلام: من قال إن الإنجليز كفّار. إنهم أئمة الإسلام؟!! يا للسخرية.

(٥) هذا كذب وافتراء والإنجليز لا يتورّعون أبداً عن الكذب والافتراء.

بالطريقة التي تعبده بها. فأيهم أحسن: الذين يسيئون معاملة المسلمين ويدّعون أنهم مسلمون أو الذين يعاملونهم بأمانة وشفقة ويحترمون مذاهبهم، ويعترفون في أثناء ذلك أنهم نصارى. فسعيد باشا يستشهد بالقرآن بتفريط (أي كثيراً)، ولكنه هل يتّبع أحكامه. فالمذكور يتفوّه بصراط الله، ولكنه هل يسلك تلك الطريق. ويتكلم بتطهير البلاد من الكفرة، فالقوة كلها بيد الله يعزُّ من يشاء ويذلّ من يشاء. فالفوز حاصل معنا في جميع المراكز لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أرشد ومنح الإنجليز ما هم فيه، وسيديم لهم ذلك، لا يخشون بأساً قط. ودمتم محروسين».

وهكذا حاولت بريطانيا، بكل قوتها، أن تجتذب إليها جماهير المسلمين في كل مكان وبالذات في الجزيرة العربية، وأرسلت مندوبيها إلى الشريف حسين (شريف مكة) الذي ساءت علاقته مع الدولة العثمانية، رغم بقائه على الولاء لها تغريه بكل الوسائل والأكاذيب والوعود بإقامة دولة عربية باذخة تشمل العراق وسوريا الكبرى (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين) وكل الجزيرة العربية (ما عدا بعض الموانئ مثل عدن والبصرة والكويت) ووقّعت معه المعاهدات والمواثيق. وهي كلها مواثيق ومعاهدات لا تساوي ثمن الورق الذي كتبت عليه، لأن بريطانيا كانت عازمة منذ البداية على خرق تلك المواثيق (كما سبق أن أوضحناه). ولم يكن الشريف الإدريسي يحتاج إلى من يحثّه على حرب تركيا، فقد كان عدوًّا لدوداً لها من قبل أن تبدأ الحرب العالمية، ووقّعت معه اتفاقية معاهدة رتّبها معه الكولونيل جيكوب نائب الحاكم البريطاني في عدن ومنسق العمليات في المحميات الغربية والمسؤول عنها.

ورأت بريطانيا، تدعيماً لمركزها، ضرورة الاتصال بالإمام يحيى واستجلاب مودته، فأرسلت وفداً إلى صنعاء برئاسة الكولونيل جيكوب ومعه كتاب من ملك بريطانيا. واستعانوا على ذلك برسائل من الشريف حسين (شريف

الحجاز) والسلطان علي بن أحمد (سلطان لحج) تدعوه للتحالف مع بريطانيا[١]. ولكن الإمام يحيى أعلن أنه لن ينضم إلى بريطانيا ضد الدولة العثمانية التي قد وقّع معها اتفاقية الدعّان (١٩١١م) وأن علاقته بتركيا وديّة للغاية، ولكنه لن يشترك في الحرب ضد بريطانيا، وأعلن رأيه بصراحة ضد احتلال لحج من قبل القوات التركية (علي سعيد باشا) [٢].

وعندما ذهب الكولونيل جيكوب إلى اليمن أحدقت به قبيلة (القُحرى) في (باجل) ولم تطلق القبيلة سراحه إلا بعد شهر، كما روى الواسعي.. وكان غرض القبيلة أن تحول بين الوفد البريطاني وبين الإمام من توقيع أي اتفاق يعود على البلاد بالسوء والضرر. وذلك رغم تهديدات بريطانيا وقواتها الموجودة في الحديدة لهذه القبيلة.

وأرسل الإمام يحيى بعض الجنود مع الوالي التركي محمود نديم لغرض إطلاق جيكوب ومجموعته، فأطلقت القبيلة سراحه بشرط أن يرجعوا إلى الحديدة دون مقابلة الإمام. وأرسلت القبيلة معهم ألفين من رجالها حتى أوصلتهم إلى الحديدة[٣].

وحاولت بريطانيا الاتصال بالقائمقام محمد ناصر مقبل الصراري باشا قائمقام القماعرة، واتصل هو بها مع مجموعة من زعماء ومشايخ اليمن الأسفل (تعز والحجرية)، وتفاوض مع بريطانيا على إقامة دولة شافعية مستقلّة، وترتبط بمعاهدات صداقة مع بريطانيا. ولكن بريطانيا في عدن لم تحبّذ ذلك لعلمها بأن كل شيخ سيحاول إقامة مشيخته الخاصة به، وسيتحاربون فيما بينهم، كما هو

---

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٤٢، وأحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، (ط ٥)، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أحمد شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٢٦٩.

معتاد وظاهر في قبائل وسلطنات لحج والضالع والفضلي ويافع.. إلخ. ففضّلت بريطانيا عدم المغامرة في ذلك الوقت الحرج بإدخال نفسها في معارك مباشرة مع تركيا والإمام في اليمن الأسفل بينما قواتها الموجودة في عدن لا تكاد تكفي لحماية المستعمرة، لأن حكومة لندن أرسلت نصف قوات حامية عدن إلى الصومال لمحاربة إيطاليا التي استولت عليه.. لهذا كله عاد محمد ناصر مقبل الصراري والشيخ أحمد نعمان وغيرهم من زعماء اليمن الأسفل وفضّلوا التعاون مع تركيا. وقال عنهم الكولونيل جيكوب في كتابه «ملوك جزيرة العرب» «أنهم يدورون مع الزجاجة حيث دارت» ونقل كلام الأمير نصر مانع الحوشبي (أخذ السلطان علي مانع الحوشبي) **الذي انضم إلى الأتراك بعد فشل محاولته الاتصال ببريطانيا في عدن في إيجاد قوة كافية تحميه من الأتراك «أينما دارت الزجاجة درنا»**. ونقل عنه قوله «**كنادر** (أحذية) **الأتراك أقوى من طائرات الإنجليز**»(١). وقد علّق على ذلك أحمد فضل العبدلي صديق الإنجليز وصديق جيكوب نفسه، في كتابه «هدية الزمن» بأن هذا التعليق من جيكوب لا يليق لأن بريطانيا هي التي خذلتهم، وخذلت الأمير الحوشبي، ولم ترسل معه قوة كافية من الجنود، تحميه ضد الهجوم التركي المتوقع(٢).

ورغم ذلك استمر السلطان عبد الكريم فضل وحاكم عدن في إرسال الرسائل إلى المشيخات والسلطنات في الجنوب يحثّهم على مقاومة الأتراك. وفي شهر ذي الحجة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م وردت قصيدة بالشعر الحميني (النبطي، العامي) من السلطان عبدالله بن علي اليافعي يقول إن بريطانيا تخلّت عنهم وتركتهم للقوات التركية المتفوقة، ولكنه يتوقع أن ينهزم الأتراك ومن معهم(٣):

---

(١) كما ينقله عنه أحمد فضل العبدلي في كتاب «هدية الزمن»، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٩ – ٢٧٣.

وجيش الترك بيحمـل ويرفـع ويرجـع ماويـه مقطـوع الآذانْ

وماويه هي مقرّ محمد ناصر مقبل باشا شيخ القماعرة ومقرّ القوات التركية في اليمن الأسفل. ثم يقول:

وخصمي ما معه شيء قوم تُبَّـع ولا ربّك وهبْ لـه عقـل لقـمانْ

وعاد الشمس با تشرق وتطلـع وبا يـدفأ الـذي في الحيـد بـردانْ

وخصمه هو الأتراك ومن معهم، ولا معهم قوم تُبَّع الذين اشتهروا بالبأس والقوة وفتحوا العالم القديم (حسب قول الأخباريين). ثم يقول «وعاد الشمس با تشرق وتطلع» لأنه اعتبر حكم الأتراك ظلام وزوالهم نور. «وبا يدفأ الذي في الحيد (وهو الجبل العالي) بردان». وذلك بعودة السلاطين إلى حكمهم تحت حماية بريطانيا.

ولما علم بذلك **الجنرال ويلتن** (قائد الجيوش البريطانية في عدن) **أرسل منشوراً مؤرخاً في ١٦ مايو ١٩١٦م جاء فيه:**

«**إنه ليس لضعفنا امتنعنا عن حرب الأتراك الذين في لحج،** ولكن مملكة الدولة الإنجليزية واسعة جدًّا، ويلزمنا معاملة الميادين التي فيها العدوّ واحداً بعد آخر بالتعاقب، بحسب الخطط التي رسمتها الدولة فنحن قد استولينا على أرض الكمرون وعلى الجزائر الكائنة في بحر الأوقيانوس (المحيط الهادي) وعلى إفريقيا الجنوبية الغربية، والآن نحارب الجرمن (الألمان) في إفريقيا الشرقية. وعندما يُنجز عملنا هناك، وسينتهي ذلك في مدة أشهر قليلة، بعد ذلك سيأتي الوقت الذي نفكر فيه بمصير الأتراك في أرض العرب. وعلى كل حال فلن تكون الموقعة الفاصلة في أرض العرب، بل هي في فرنسا»[1].

وندّدت بعض الصحف البريطانية، ومنها جريدة **لندن ديلي تايمس**

(١) أحمد فضل العبدلي، هدية الزمن، ص ٢٦٥ – ٢٦٦.

(London Daily Times) بتاريخ ٢٥ و٢٦ يوليه ١٩١٧م بتقاعس بريطانيا عن حماية لحج وما حولها، ونشرت ذلك تحت عنوان «أرض حماية لم تحمَ»(١).

وقالت الصحيفة: إننا انسحبنا من لحج وما حولها (محمية عدن والقريبة منها) وتركنا جيش العدو (الضعيف) يجوس الأرض كيف يشاء في أرض قبائل مشمولة بحمايتنا (حكومة عدن). وتخلينا عنهم، واستولى الأتراك على الشيخ عثمان الواقعة على مسافة سبعة أميال فقط من ميناء وحصن عدن. وفي تلك الأثناء قاتل سلطان لحج الغيور لمصلحة الدولة البريطانية، وتخرّب جانب من عاصمته الصغيرة (الحوطة) وقُتل بسببنا. وبعد مدة طردنا الأتراك من الشيخ عثمان، ولكننا تركناهم في لحج وما حولها يهدّدون بندر عدن(٢). وقالت: لولا معارضة اللورد مورلي في مد سكة حديدية ضيقة إلى مسافة ستين ميلاً (الواقع ٢٩ ميلاً) في بر عدن لأمكن منع العدو من احتلال أرض الحماية»(٣).

ورغم احتلال الأميرالاي علي سعيد باشا لحج بل ووصوله إلى الشيخ عثمان في بداية الحرب، واستعادتها بريطانيا بعد أن أرسل الجنرال مكسويل قوة من مصر قوامها فرقة هندية، وأرسلت فرنسا ثمانمئة جندي من جيبوتي في أبريل ١٩١٦م(٤) القريبة جداً من عدن (سبعة أميال فقط)، **وقد احتلّ سعيد باشا مدينة الشيخ عثمان إلا أنه لم يهاجم عدن للأسباب التالية:**

(١) **أن عدن حصينة** وتحتاج إلى قوة أكبر من القوات الموجودة لديه. وأن بريطانيا لا يمكن أن تتخلى عن عدن وسترسل بوارجها وقواتها لاستنقاذها على

(١) أحمد فضل العبدلي، هدية الزمن، ص ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٧. وكانت المعارضة للسكة الحديد سنة ١٩٠٦.

(٤) فاروق عثمان أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين، ص ٦٢، وذكر أن ذلك تم في أبريل ١٩١٥م وهو غير صحيح لأن سعيد باشا لم يحتل لحج إلا في ٦ يوليه ١٩١٥م ولم يحتل الشيخ عثمان إلا بعد ذلك.

فرض استيلائه عليها.

(٢) أن بريطانيا استطاعت استعادة الشيخ عثمان بسبب وصول قوات إضافية من الهند ومن السويس.

(٣) أن الاستيلاء على عدن سيؤدي إلى حصار عدن وجميع الموانئ البحرية اليمنية بحيث تنفد المؤن والأقوات والذخائر.

لهذا كله، لم يمنع دخول القوافل إلى عدن إلا لفترة وجيزة جدًّا، ولكنه فرض عليها ضرائب استفاد منها في تمويل حملته. وكان يخرج من عدن بضائع يصل جانب منها إلى الأتراك في لحج[١].

(٤) اضطر الأميرالاي علي سعيد باشا أن يعيد القبائل التي كانت معه من اليمن الأسفل والحواشب إلى بلادهم لأنهم يستنزفون الأرزاق التي معه، والتي لم تعد تكف إلا لقواته النظامية، ولم تمده صنعاء، (محمود نديم حاكم اليمن التركي) **بالميرة لاحتياجها لها. وقواته النظامية فيما بين ألفين إلى ثلاثة ولا تكفي للهجوم على عدن.**

(٥) لم يكن الاستيلاء على لحج يهدف إلى شيء أكثر من الضغط على الإنجليز حتى لا يحاصروا المواني اليمنيّة. واكتفى علي سعيد باشا باحتلال أرضها الخصبة وحرمان الإنجليز في عدن من المصدر الأول الذي يمدّهم بالمواد الغذائية. وقد قام الجنرال علي سعيد باشا بالسماح بدخول القوافل من لحج إلى عدن بعد دفع ضرائب مجزية له. وبالتالي جعل الإنجليز يفكرون مرتين قبل القيام بالحصار البحري على المواني اليمنية.

لقد أدى احتلال سهل لحج الخصيب وقطع طرق المواصلات التجارية البرية إلى إرغام الإنجليز على تبادل المنافع، وبالتالي تمويل الحرب التركية في

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٦٨.

اليمن بصورة عامة وفي لحج بصورة خاصة، حتى قال الجنرال ستيوارت حاكم عدن، وهو يشهد بكفاءة خصمه علي سعيد باشا وإدارته الجيّدة للحرب «لقد تمكن سعيد باشا من أن يجعل الحرب تموّن الحرب»[١].

وكان الأميرالاي (اللواء) علي سعيد باشا يتابع أخبار الحرب العالمية بدقَّة، وتصله أخبار هزائم ألمانيا وتركيا أولاً بأول. قال العبدلي: «**ولما توالت الأخبار بانهزام الجنود العثمانية في ميدان العراق وميادين الشام، وإخفاق ألمانيا وحلفائها، كان علي سعيد باشا يتلقّى أخباراً صحيحة بهذا الخصوص، فتمكن في فؤاد** (الأميرالاي) **علي سعيد باشا الإيمان بسوء خاتمة دولته، حتى قال يوماً لبعض أصدقائه، وقد مضى عامان من أعوام الحرب: «انقطع الآن رجائي بنصر ألمانيا. وقد وَجَدَتْ بريطانيا القوّة الكافية لأن تحشد جيوشها في ميدان فرنسا»**[٢].

وعانى القائد التركي في لحج من انتشار الأمراض والحمّيّات في قواته التي أفنت منهم عدداً كبيراً[٣]. ومع هذا لم تقم القوات البريطانية في عدن بمهاجمة قوّات اللواء علي سعيد باشا المنهكة.

وعندما علم الإمام يحيى بمجريات الحرب، وعرف أيضاً هزائم الألمان والأتراك، اتصل بالإنجليز، بعد أن وصلته رسائل متعدّدة من والي عدن وقائد قواتها العسكرية الجنرال ستيوارت، وأرسل مندوباً سريًّا هو عبد الواحد الخولاني إلى عدن يفاوض الإنجليز، ولكن هذه المفاوضات السريّة لم تصل إلى أي اتفاق[٤]**، لأن الإمام كان يشترط الاعتراف به حاكماً مطلقاً على اليمن بأكمله**

---

(١) مجلد الوثائق البريطانية رقم FO 371/4/4144، كما ينقله عنها السيد زيد الوزير في مقدمته لكتاب «زورق الحلوى»، ص ٦٦.

(٢) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٦٧ – ٢٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٤) السيد زيد بن علي الوزير، مقدمة كتاب زورق الحلوى، ص ٦٦ – ٦٧.

باستثناء عدن ولحج. وقد وافقت بريطانيا على شروطه الأخرى بما فيها عشرة آلاف جنيه يتقاضاها شهريًّا كمرتب له ولأتباعه بدلاً من تلك التي كان يتقاضاها من الأتراك.. وبما أن ميزان القوة مال لصالح بريطانيا فإن بريطانيا قررت الاستغناء عن الإمام والاتفاق معه، وأخذت تماطله.. ولهذه الأسباب ظل الإمام حليفاً وصديقاً بالضرورة مع الأتراك[١].

وأحسّ المشايخ في اليمن الأسفل بذلك، فبدأوا يتصلون بحاكم عدن الجنرال ستيوارت وسلطان لحج عبد الكريم فضل الموجود في عدن. ولما أحست تركيا بذلك اتخذت سلسلة من الإجراءات القاسية ضدهم التي أدت إلى مزيد التذمر منهم. ومن ذلك أن الأتراك سجنوا أولاد باشا العدين. ولهذا اتجه الشيخ محمد حسان الصوفي إلى إقامة دولة مستقلة عن الأتراك على غرار دولة الإدريسي، فثار واستولى على بعض المناطق المجاورة لتعز، فأخمد الأتراك ثورته بالقوة. ومنعوا باشا العدين من التطلع إلى إقامة دويلة تتبعه[٢].

محمود نديم الوالي التركي على اليمن

كانت علاقة الوالي التركي على اليمن تختلف عن ولاية كثير ممن سبقه من الأتراك. **وأقام علاقة تعاون حقيقية مع الإمام يحيى حميد الدين، مع احترام متبادل تطور إلى صداقة ومودّة حقيقية، حتى إنه انضم إلى الإمام يحيى بعد انتهاء الحرب كمستشار، ورفض العودة إلى بلده.**

وقد أدرك محمود نديم أن هزيمة الأتراك ستترك فراغاً سياسيًّا كبيراً في اليمن الأسفل. فهذه المنطقة قد تنازل عنها الإمام بموجب اتفاقية «الدعّان» للأتراك، وكان مشايخها مُقرّين بأنهم من رعايا دولة الخلافة الإسلامية. وبما أن

(١) السيد زيد بن علي الوزير، مقدمة كتاب زورق الحلوى، ص ٦٦ – ٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٨ – ٦٩.

الأتراك كانوا في حرب مع الإنجليز، وكان الإمام حياديًّا، وكان المشايخ يتقرّبون سرًّا من الإنجليز ويسعون إلى طلب الحماية، فإن مجرد سقوط الخلافة العثمانية في الحرب يعني نقل تبعية اليمن الأسفل إلى الإنجليز، أي للعدو المنتصر الذي من حقه الاستيلاء على أرض المنهزم[١].

وكان محمود نديم شديد التدين ولا يريد أن تقع أي أرض يمنية (أخرى) بيد الإنجليز. وقد امتلأت الوثائق البريطانية بالشكوى، منه حتى ذكر بعضها أن بريطانيا لن يقرّ لها قرار ما دام محمود نديم في صنعاء مستشاراً للإمام[٢].

وعندما انهزمت تركيا قرر محمود نديم أن يبقى مستشاراً للإمام مع مجموعة من جنده وضباطه ورجاله.

وقد قام محمود نديم، عندما أحسّ بهزيمة دولته، بإعطاء الإمام قيادة عسكرية مستقلّة متجاوزاً بهذه الخطوة اتفاقية «الدعّان» نفسها التي تحصر دول الإمام في الجانب الديني والمحاكم الشرعية.

وبالفعل أعطى للإمام صلاحيات واسعة، ليس في منطقته الأصلية (شهارة وصعدة) بل في صنعاء وتهامة واليمن الأسفل، وذلك منذ أن انضم الشريف حسين في يناير ١٩١٦م إلى صف الإنجليز، فانقطع بذلك المدد للقوات التركية من الشمال (الحجاز)، كما انقطع عنها من الغرب حيث الإدريسي قد استولى بمساعدة الإنجليز على الحديدة وتهامة، كما انقطع المدد من الجنوب حيث الإنجليز.

وقام **محمود نديم بتحويل الإدارة كلها من يد الأتراك إلى يد الإمام عندما تهاوى الموقف في المرحلة الأخيرة من الحرب، وأبلغ الإنجليز في عدن ولندن**

---

(١) زيد الوزير: مقدمة «زورق الحلوى»، ص ٧١.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٢.

بذلك معترفاً بوجود حكومة يمنية شرعية تحكم اليمن بأكمله (ما عدا المناطق الجنوبية التي ارتبطت مع الإنجليز بمعاهدات حماية).

وبهذه الطريقة أنقذ «اليمن الأسفل (تعز والحجرية وإب والعدين وما حولها) **من أن تقع بيد الإنجليز، كما ضرب المشايخ هناك ضربة قوية حيث لم تعد هناك شرعية أخرى غير شرعية الإمام. ودخل الإمام «الروضة» وصنعاء رسميًّا واستقبله أمراء الحكومة العثمانية وقادتها والسادة والعلماء والأعيان والشعب استقبالاً حافلاً في ١٧ ذي القعدة ١٣٣٦هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٩١٨م**[١].

وأشار على الإمام أن يتصل بمشائخ اليمن الأسفل لإيجاد صلات قوية معهم. وانتدب القاضي علي عبدالله الأكوع، عامل الأتراك على قضاء بريم، «لاستصلاح أعيان البلاد التعزيّة والوصول بهم إليه»[٢]. **ولم تنته الحرب إلا والإمام في وضع رئيس الدولة الفعلي.**

وعقدت الهدنة بين الدولة العثمانية والحلفاء في ٢٥ محرم ١٣٢٧هـ/ ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م (اتفاقية مودروس) (Mudrus). وصدرت أوامر القسطنطينية (الآستانة) إلى كل قواتها في سائر الإمبرطورية المنهارة بالتسليم إلى أقرب نقطة معادية. وكان الإنجليز قد منعوا كافة الاتصالات المباشرة بين الآستانة (القسطنطينية) وبين قياداتها إلا عن طريقهم. فرفض محمود نديم هذه الأوامر لأنها صادرة من لندن، وليست من حكومته، حتى يستكمل ترتيبات أوضاع الإمام يحيى كحاكم شرعي لليمن، بل ودعا القوات التركية إلى تسليم نفسها للإمام[٣].

(١) زيد الوزير: مقدمة كتاب زورق الحلوى، ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق، نقلاً عن زبارة: نزهة النظر، ص ٣٤٧ – ٣٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٥. وقد انضم محمود نديم نفسه إلى الإمام كمستشار له، بعد انتهاء الحرب، ومعه مجموعة من الضباط والجنود الأتـراك الـذين فـضّلوا خدمـة=

وبما أن من شروط التسليم في الحرب أن يستسلم العسكر ويسلموا جميع أسلحتهم ومعداتهم للعدو المنتصر، فكان على محمود نديم أن يسلم هذه الأسلحة والمعدات للإنجليز، ولكن محمود نديم كان يعتذر للإنجليز الذين كانوا يضغطون عليه بالإسراع بتسليم الجنود والمعدات، بالديون التركية التي يجب عليه أن يسدّدها للإمام. وأن على الإنجليز إذا أرادوا أن يتمّ الجلاء التركي بسرعة، فعليهم أن يسدّدوا الديون للإمام، وإلا فالأسلحة التركية ستسلم للإمام مقابل ما لديهم من ديون.

وبهذه المناورة الذكية من محمود نديم، وجد الإنجليز المنتصرون أنفسهم مطالبين بدفع أضرار الحرب عن المنهزمين، وهو عُرف لم يحدث من قبل قط. وقد أتعب محمود نديم الإنجليز في متاهات سياسية، ونقاش طويل وزمن أطول، حتى جعل الجنرال استيوارت (حاكم عدن والقائد العام) يعيش في عصبية ظهرت في رسائله إلى وزارة الخارجية(١).

وللرد على هذه المناورات التي قام بها محمود نديم، قام الإنجليز باحتلال الحديدة ومن ثمَّ تسليمها للشريف الإدريسي العدو الأول للأتراك. ولكن محمود نديم أصرَّ على موقفه، وتمكن في النهاية من توفير المعدّات التركية الكبيرة للإمام يحيى والحكومة اليمنية التي لم تشترك رسميًّا في الحرب والتي أعلنت الحياد. ولم يشذّ عن ذلك إلا قوات علي سعيد باشا في لحج الذي سلم قواته وأسلحته للإنجليز، وسنشرح أسباب ذلك فيما بعد.

وقد قام الإمام، بقواته الجديدة وأسلحته التي وهبها له محمود نديم،

= اليمن التي استوطنوها وأجبوها على العودة إلى بلادهم عبر بريطانيا التي يجب الاستسلام لها أولاً. وواجه الإمام بعد ذلك الإدريسي في منطقة جيزان وعسير، كما واجه بريطانيا في الجنوب.

(١) زيد الوزير: مقدمة «زورق الحلوى»، مصدر سابق، ص ٧٥ – ٧٦.

بمهاجمة الضالع لكي يضغط على الإنجليز في التخلّي عن الحديدة، فانسحب الإنجليز من الحديدة وسلموها للإدريسي. وقد قام الإمام يحيى بعد ذلك باستردادها بعد معارك ضارية مع الإدريسي الذي أمكن التغلب عليه بسبب مواجهته لقوات الملك عبد العزيز بن سعود وقوات عسير التي هجمت عليه من الشمال.

وحاول الإنجليز أن يلعبوا بورقة اليمن الشافعي (اليمن الأسفل) ويستدرجوا المشايخ إلى صفوفهم. ولعب الإنجليز على وتر أطماع المشايخ الذين يحلم كل واحد منهم بمقاطعته ومشيخته المستقلة!!

وكان الإنجليز متردّدين في موقفهم في إقامة دولة شافعية تحت حمايتهم، ولكن السلطان عبد الكريم فضل أقنعهم بضم الجزء الشافعي إلى الجزء الزيدي تحت حكم الإمام. وأن مشايخ اليمن الأسفل لا يستطيعون أن يقيموا دولة وسيكلّفون بريطانيا عناءً كبيراً في ترويضهم، وتكلفة مالية ضخمة في استمالتهم، فوافق المعتمد البريطاني في عدن على ذلك، وخاصة أن مجموعة من الإنجليز في عدن ولندن كانوا يرون هذا الرأي[١].

وكان السلطان عبد الكريم فضل ومستشاره محسن فضل العبدلي ضد إقامة دولة للشوافع في اليمن الأسفل، ومن المؤيدين لإقامة دولة واحدة لليمن الزيدي والشافعي. ولولا ما قاما به في هذا الصدد لكان اليمن الأسفل (الشافعي) دولة مستقلة أو عدة مشيخات مثلما كان في الجنوب المرتبط مع بريطانيا بمعاهدات حماية.

وقال أحمد فضل العبدلي في كتابه «هدية الزمن» مشيداً بهذه الخطوة التي قام بها أخواه السلطان عبد الكريم فضل ومستشاره محسن فضل: «ولولا ما

---

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٧٧.

قاما به من الجهود الجديّة، كما يعلمه عارفو الحقائق من المشتغلين بالقضية العربية، وعلى الخصوص قضية اليمن، لكانت للشوافع اليوم دولة في اليمن على رأسها ملك مستقل[١]، وتفصيل ذلك عند الذين ساهموا في قضية اليمن.

وحَّد الله صفوف الجميع وقضى على أسباب الفرقة، وألهم القائمين بالأمر في سائر أنحاء اليمن بالعدل والسوية بين الجميع، بلا فارق بين سُنّي وشيعي، أو شافعي وزيدي، أو تهامي وجبلي»[٢].

الجنرال (الأميرالاي) علي سعيد باشا قائدة حملة لحج

أشاد الجميع، بما فيهم الإنجليز، بأمانة وإخلاص الجنرال علي سعيد باشا القائد التركي الذي قاد الحملة على لحج والتي ذكرنا دوافعه لذلك، والتي عارضها بشدّة الإمام يحيى حميد الدين للصلات القوية التي كانت بينه وبين سلاطين لحج.

وقد كان الجنرال متحمساً لاحتلالها كضرورة «اقتصادية»، وبما أن الإمام يحيى كان معارضاً لهذه الحملة فإنه لم يمدّها لا بالمال ولا بالعدة ولا بالعتاد عندما احتاج الجنرال علي سعيد باشا لذلك. وللأسف أيّده في ذلك الوالي التركي على اليمن محمود نديم وقائد الفيلق اللواء أحمد توفيق (وهو القائد العام في اليمن) مما سبب حزازة وألماً في نفسية القائد الشجاع المتمرس علي سعيد باشا.

وعندما استسلمت القوات التركية في العالم أجمع للمنتصرين، رفض والي اليمن محمود نديم وقائد جيوشه أحمد توفيق تسليم الأرض والسلاح

---

(١) في الغالب ستكون عدة مشيخات وسلطنات متناحرة يلعب بها الإنجليز، كما حدث في الجنوب.

(٢) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٧٧.

للمنتصرين. وقد ذكرنا دور الوالي محمود نديم المجيد، وكيف استطاع قبيل انتهاء الحرب تحويل السلطة من الدولة العثمانية إلى الإمام يحيى في اليمن الأسفل الذي كانت تحكمه تركيا مباشرة، وكان مشايخه يتطلعون ويتلهّفون للانضمام للمعسكر البريطاني ليبقوا تحت لوائه وحمايته لتحقيق مآربهم الشخصية الضيّقة. كما استطاع محمود نديم أن يعطي السلاح والعتاد للإمام بحجة الديون التي أخذها منه للمجهود الحربي، وبالتالي كان على بريطانيا أن تسدّد هذه الديون إذا أرادت السلاح والعتاد، أو أن تسمح له بتسليم السلاح والعتاد للإمام مقابل ديونه. ورضخت بريطانيا لهذا الأمر بعد مداولات مضنية مع محمود نديم الذي أثبت مهارة سياسية بارعة وإيماناً قويًّا بعدم تسليم أرض المسلمين وعتادهم للكفار الإنجليز.

ولكن رأي الجنرال علي سعيد باشا كان مختلفاً للأسباب التالية:

(١) **أن الإمام يحيى وقف ضده** في حملته على لحج ومنع عنه أي دعم عندما احتاج لذلك.

(٢) أن قواته احتاجت للطعام ورفض محمود نديم وقائد قواته أن يرسلا له أي دعم مالي أو عسكري أو تموين. مع اعتقاده الجازم أنه كان يمكنهما ذلك.

وقد اضطر الجنرال في آخر الحرب أن يكتب إلى قائمقام الحجرية عبد الوهاب نعمان الخطاب التالي[1]:

«نفيدكم مع الأسف، أن الدولة العلية وخلفاءها قد تحقق انكسارهم، وأن الألمان عقدوا الهدنة وتوقفت الحرب العمومية. والسبب الوحيد لهذا الانكسار هو أن إخواننا العرب، أهل الحجاز وفلسطين وسورية والعراق قاموا على حكومتنا السنيّة بالحرب. واشتركوا مع العدو فعلاً. وقد قبلت دولتنا اضطراراً

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٨١ – ٢٨٢، وعنده نص الخطاب بالتركية في الملحق وها هنا ترجمته.

سرعة إخراج عساكرها من اليمن وعسير والحجاز وفلسطين وسورية والعراق، كما هو في شروط الهدنة. وبما أن حكومتنا قد أعطت الحكم القطعي بذلك، فنحن مجبورون على ترك تربة اليمن المقدس وأهله، إخواننا المجاهدين المحترمين الذين اشتركوا معنا منذ أزيد من أربع سنين، وإن كنا نفدي بأرواحنا ودمائنا في سبيل المحافظة على تلك التربة المقدسة. ولكن من حيث إن حضرة الإمام مخالف للأمر (أي أمر التسليم العسكري للإنجليز) ولسرده بعض الأسباب ابتدأت المخابرة مع دار السعادة (أي حاكم عدن) في هذا الباب وستكون الحركة ضرورية بموجب الأوامر الصادرة، والجواب الذي سيؤخذ.

«فإذا نحن تركنا اليمن المقدس فإنّا نتمنى لإخواننا في الدين الاتحاد والاتفاق التام وأن لا يقبلوا تولية النصارى قطعيًّا، لنكون على الدوام بحسن فعلهم، ولو سمعاً. وقد امتننت لبيانكم من أنكم ستعاونوننا وستخدموننا.

«**أما والي اليمن وقومندانها** (أي القائد العام اللواء أحمد توفيق) **فمن يوم وصولهم إلى منطقتنا لإدارة وإعاشة عساكرنا، بحصرهم عموم التحصيلات والقروض لنفوسهم النفيسة، وتعقّبوا المسلك الذي يهدّد بمجاعة منطقتي، ولكنكم ستجعلونني ممتنًّا للغاية فيما إذا عاونتمونا بخمسة أو ستة آلاف ريال.** وسأرسل لكم حالاً سنداً مخصوصاً بذلك، لأن ضباطنا وعساكرنا متضايقون وفي حاجة إلى الدرجة النهائية.

وهؤلاء (هم) أبناء العثمانيين الذين دافعوا عن هذا اليمن المقدّس بدمائهم وأرواحهم، وقد أصبحوا اليوم معرّضين للأمراض والجوع والعُري، فإذا قدّمتم لهم خيراً ليكون نهاية خدمتكم، فسيسطّر اسمكم جليًّا في التاريخ. وإذا لم تقدروا على هذه المعاونة فأكتفي أن أقابلكم بالشكر لخدماتكم التي قد بذلتموها نحونا إلى الآن ودمتم.

حرر في ٤ أكتوبر ١٩١٨».

وقد قام الشيخ عبد الوهاب نعمان بهذه المكرمة وأمدّ القائد المنهزمة دولته بالمال. ويتضح من خطاب الجنرال علي سعيد باشا الآتي:

(أ) حرصه على توضيح موقفه قبل أن يسلم سلاحه للإنجليز.

(ب) حرصه على توضيح موقف الإمام ومحمود نديم والقائد العام أحمد توفيق ورفضهم مساعدته، حتى وصل الحال بجنوده إلى الجوع والعُري والمرض، وحتى اضطر إلى طلب المعونة المالية من عبد الوهاب نعمان.

(ج) حرصه الشديد على وحدة اليمن وأن لا يستسلم اليمن الأسفل (الشافعي) لرغبات الإنجليز، وأن يبقوا يداً واحدة مع الإمام، رغم ما أصابه وجنوده من مواقفه. وهو موقف يُحمد عليه الجنرال ويوضح مدى التزامه وحبّه لليمن. وقد تزوج في لحج من إحدى الصوماليات وكان متعلقاً بلحج واليمن.

(٣) قام الجنرال علي سعيد باشا بمطالبة الوالي محمود نديم والقائد العام أحمد توفيق بإرسال من يريانه لاستلام الأراضي الواسعة الممتدة من الشيخ سعيد على باب المندب (قرية أوكليس القديمة) **إلى أبواب عدن والشيخ عثمان. ولكن الجنرال أحمد توفيق والوالي محمود نديم لم يرسلا أحداً، بل أرسلا تهديدات واتهامات لعلي سعيد باشا بأنه يريد تسليم لحج للإنجليز. وقد أعلن لهم مراراً أنه حسب الأوامر الآتية من الباب العالي وشروط الهدنة فسيسلم سلاحه للإنجليز. وطلب منهم أن يبادروا باستلام الأرض المحررة فلم يبادروا. وقد أورد القومندان أحمد فضل العبدلي رسائل عديدة متبادلة بين** (الأميرالاي) **علي سعيد باشا والقائد العام التركي أحمد توفيق والوالي محمود نديم وصلت إلى حدّ المهاترة وتبادل التهم بين الفريقين.**

(٤) قام الجنرال علي سعيد باشا بتسليم نفسه وقواته وأسلحته للإنجليز حسب أوامر الدولة العليّة وقيادته العليا في الآستانة وشروط الهدنة. واستعادت بريطانيا الأرض اللحجية وما حولها التي احتلها الجنرال سعيد باشا، والتي

رفض القائد العام أحمد توفيق والوالي محمود نديم تسلّمها لعلمهم بأن الإنجليز سيأخذونها بالقوة وينزلون بهم ضربة موجعة جدًّا إذا رفضوا تسليمها.

ولا شك أن موقف الجنرال علي سعيد باشا موقف سليم عسكريًّا وسياسيًّا. وقد أشاد الجميع بأمانته وصدقه وكفاءته العسكرية.. حتى إن أعداءه الإنجليز أشادوا بكفاءته. وفرض الحصار على الإنجليز في عدن، حتى «جعل الحرب تموّن الحرب» كما قال خصمه اللدود استيوارت (القائد العام في عدن ثم واليها وحاكمها). **فلحج أصلاً أرض خسرها الإنجليز وكسبها الأتراك في معركة حربية. ولا شك أن الإنجليز بعد هزيمة الدولة العثمانية سيستردّونها بالقوة وبخسائر كبيرة لقواته. وقد رأى الجنرال علي سعيد باشا أنه من الخير له ولقواته أن يسلمها منتصراً خيراً من أن يستلموها منه بعد هزيمته، وخاصة أن قواته كانت تعاني من الجوع والمرض والعُري بسبب تقاعس القيادة في اليمن عن أن تمدّه بأي عتاد أو مؤونة أو طعام.**

(٥) لم يكن في وسع الجنرال سعيد باشا، وهو العسكري المنضبط، أن يعصي أوامر الآستانة (القسطنطينية) **وهو يأمل أن يعود إليها ويشارك في إعادة بنائها مرة أخرى**[١].

وقد لام كثيرون الجنرال علي سعيد باشا على استسلامه رغم صعوبة موقفه، والأسباب التي شرحها بنفسه، والتي تقدم ذكرها. وذكر بعضهم أنه كان في وسعه أن ينضم إلى القوات التركية الموجودة في إب والشيخ سعيد وغيرها[٢]، ولكنه لم يفعل ذلك. واعتبر بعضهم ذلك رضاءً مبطّناً بعودة الجنوب المحرَّر إلى الاستعمار، وهو أمر غير صحيح بسبب الظروف التي عاشها. وكان الإمام يحيى نفسه معترفاً بكون لحج وعدن مستقلة عنه.

---

(١) زيد بن علي الوزير: مقدمة كتاب (زورق الحلوى)، ص ٧٦ – ٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٨.

ورغم جهود محمود نديم في تسليم اليمن الأسفل (الشافعي) للإمام يحيى إلا أن مشايخ تلك المنطقة آثروا، بدعم من الإنجليز بعد انتهاء الحرب، أن يقوموا بثورتهم، رغم أن بعضهم بقي مخلصاً لوحدة اليمن وآثر البقاء تحت حكم الإمام يحيى حميد الدين بدلاً من تمزيق اليمن إلى شافعي (ممزق أيضاً إلى مشيخات يحكمها الإنجليز وراء ستار معاهدات الحماية) وزيدي يحكمه الإمام يحيى.

والواقع أن المعركة لم تكن مذهبية قط بل هناك مجموعة من المشايخ يريدون مقاطعاتهم وإماراتهم وسلطناتهم أُسوة بما هو موجود في الجنوب، ويتفرّغون فيه لمحاربة بعضهم بعضاً، ونهب ما يستطيعون من الأموال والأرزاق.

يقول **جيكوب في كتابه «ملوك جزيرة العرب»**[(١)]: ليس هناك من صدع واضح المعالم بين المذهبين الشافعي والزيدي، فكل من هم تحت حمايتنا الآن، كانوا في وقت مضى نواباً للإمام. وكما قال لي مرة المرحوم السيد «أحمد فضل» سلطان لحج – وهو شخصيًّا من الدعاة إلى إقامة علاقات صداقة مع الإمام، الذي ارتبط معه بتحالف في السنوات الأخيرة – إنه برغم الفوارق المذهبية بين الشافعي والزيدي، فيجب أن نتذكر أن مذهباً وعقيدة واحدة هي «الشهادة» تربطنا جميعاً وتوحدنا. كما أن «السيد أحمد فضل» و«المرحوم علي بن أحمد» سلطاني «لحج» كانا مؤيدين للإمام، بينما كان آخرون يتقربون من الحاكم الزيدي بسرور، وذلك برغم تحيّزهم المذهبي عن النظرية الزيدية. وربما كان ذلك بدافع الخوف من سيطرته وهيمنته القادمة، إذ إننا منذ أن أخلينا المناطق النائية، خفّ اهتمام العرب بنا، وربما كان الطمع بالمال هو السبب. ولكن مهما كان الدافع تبقى حقيقة إمكانية التقارب مع الإمام ماثلة وحاضرة. **والسبب**

---

(١) جيكوب: ملوك جزيرة العرب. نقلاً عن زيد الوزير في مقدمة كتاب «زورق الحلوى»، ص ٨٥ – ٨٦.

الرئيسي كما أراه هو غياب التديّن الحقيقي من اليمن، وحلول حقيقة التكيّف في الدين مكانه..

«**كان الأمير شايف أمير الضالع وابنه الأمير الحالي نصر والسلطان صالح ابن عمر سلطان يافع العليا وقبائل ردفان.. كانوا جميعاً في فترة ما يتقرّبون من الزيديين.. والقاضي عتيق يبحث عن الربح القذر ويخور أمام السلطان**».

وقد ذكر زيد بن علي الوزير في مقدمة كتاب «زورق الحلوى»[١] أن أصول كثير من القبائل في الجنوب (المرتبط مع بريطانيا بمعاهدات) هو من قبائل الشمال الزيدية. وكان الإمام يكاتبهم بهذه الطريقة نفسها ليجتذبهم. ولكن القومندان أحمد فضل العبدلي أنكر ذلك في كتابه «هدية الزمن». والواقع أن القبائل الشمالية ترجع إلى همدان وكهلان، بينما ترجع القبائل الجنوبية كلها بما فيها (تعز وما حولها) إلى حمير. والصراع بين الفريقين مستمر منذ أيام الدولة السبئية إلى قيام الدولة الحميرية وإلى اليوم!!. وهو صراع قبلي مقيت لا يرجع إلى دين ولا إلى عقل. وكل المناطق الشمالية من قبائل حاشد وبكيل وأرحب ويام ومذحج والأزد ترجع إلى همدان وكهلان بينما ترجع قبائل الحجرية وتعز وإب ويافع والضالع والعوالق والفضلي ولحج.. إلخ، إلى حمير. رغم ذلك، فإن كل قبيلة من قبائل الشمال تحارب أختها، وكذلك قبائل الجنوب المنتسبين إلى حمير، فكم من حروب كانت بين الفضلي والعولقي والعبدلي، حتى إن دخول الإنجليز كان بسبب هذه الحروب.. وكان العبدلي أحمد عبد الكريم أول من عرض على الإنجليز معاهدة صداقة متوهماً أن الإنجليز سيمدّونه بالسلاح ليضرب الفضلي والعولقي. وقد تمّت أول اتفاقية صداقة سنة ١٨٠٢م كما تقدم معنا. ثم جاء محسن فضل بن محسن فضل وعرض على الإنجليز صداقته وطلب منهم المدافع والأسلحة حتى يحارب الفضلي والعولقي فرفض الإنجليز ذلك

---

(١) زيد الوزير: مقدمة كتاب «زورق الحلوى»، ص ٨٦ – ٨٧.

حتى يسلّمهم عدن.. وفي بداية معركة احتلال عدن في يناير ١٨٣٩م بادر السلطان الفضلي بالاتصال بالكابتن هينس يعرض عليه خدماته، وأن يقيم حلفاً معه فيهاجم عدن من البر بينما يهاجمها هينس من البحر. ولكن هينس رفض هذا العرض لثقته بأنه يستطيع أن يحتلَّ عدن دون مساعدة الفضلي أو غيره. والخلاصة أن هؤلاء القوم ولاءهم الأول قبلي بحت، ومصلحي لأنفسهم، وأسرهم وعائلاتهم، وقبائلهم. ولا توجد لديهم أي قدرة على فهم الإسلام الصحيح الذي يتغنّون به، وقد يحاربون المحتلّ الإنجليزي الكافر بسببه، إذا رأوا مصلحة في ذلك. أما إذا رأوا المصلحة عند الإنجليز فسرعان ما يتولونهم، ويلزمون أنفسهم وذرراريهم وأمتهم بذلك**!!**.

كيف تم إبلاغ الجنرال علي سعيد باشا بانتهاء الحرب

وإقامة الهدنة واتفاقية مودروس (Mudrus) في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م

أرسل الجنرال ستيوارت قائد القوات البريطانية في عدن وحاكمها رسميًّا إلى الجنرال علي سعيد باشا يخبره بالهدنة وانتهاء الحرب ولكن الرسول (عبدالله ابن علي البان) لم يصل إلى الجنرال سعيد باشا إلا في اليوم التالي بسبب احتجاز الأتراك له.

وفي نفس الوقت كان اللفتنانت كولونيل (هوم) أمير ميون (بريم) قد أبلغ قومندان (قائد) باب المندب التركي حقي بك بالآتي:

سيدي العزيز.

إذا كنتم إلى الآن لم تأخذوا خبراً، فإني أفيدكم أنه بناء على أمر الحكومة الإنجليزية المؤرخ ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م صار التبليغ من رئيس قومندان البحرية (الأدميرال) في البحر الأبيض (المتوسط) في ٣١ أكتوبر ١٩١٨م ومضمونه: إن الهدنة عقدت بين الدولة العثمانية ودولة الإنجليز وحلفائها. وقد أعلنت الكيفية إلى جميع الجهات بتوقيف المحاربة. ونظراً لأحكام هذا التلغراف، فإن

الصلح سيكون في أقرب وقت، حسب ظني.. وإني أعرض هذا التلغراف مع إبرازي الود الصميم لكم، وإنني بكل سرور سأقبل كل من يرغب الوصول من ضباطكم إلى ميون بالصورة الوديّة، وسيعاملون أحسن معاملة.

وتفضلوا بقبول فائق احترامي.

صديقكم القائمقام هوم

وقد رفع قومندان باب المندب هذه البرقية إلى الجنرال علي سعيد باشا، فرد الجنرال على كلا الرسالتين بالشكر للدعوة لزيارة ميون (بريم)، وأنه قد سمح لمن يرغب من الضباط الأتراك بذلك، متمنياً إجراء صلح شريف بين الطرفين (تركيا وإنجلترا). وأرسل الجنرال علي سعيد باشا هذه البلاغات إلى الوالي محمود نديم وإلى الجنرال أحمد توفيق القائد العام التركي. وقد ارتابا في صحة هذه الأخبار واعتبراها خديعة من الإنجليز[١] ولا ينبغي التعويل عليها. ويحتمل أن تكون غالباً مصطنعة من طرف العدو الذي يعمل لإحداث الثورة في اليمن حتى يتيسر له استرداد لحج، فكان يجب تكذيبه وردّه ما لم يصل الأمر من مركز سلطتنا. وأنتم بالعكس أشغلتم الأفكار ونسيتم أن من يتواجهون في المناطق المحايدة هم مندوبو الأمة من الطرفين فقط. فمساعدتكم بوصول أركان وأمراء الإنجليز إلى نقطة صبر، وحتى دخولكم عدن بخلاف أمرنا مع أركان حربكم وياوركم (مساعدكم). وزعمكم صحة الأقوال التي سمعتموها من قائد العدو، وإلقاء معيتكم في الخوف والتشويش، واقتراحاتكم غير الصائبة على من هو فوقكم، كل هذا لا يأتلف بأي صورة مع المبادئ العسكرية بالخصوص مع القيادة. وقد وصل الإشعار بعينه إلى منطقة تهامة وأجيب عليه حتى من أحد اليوزباشية (أي ضابط صغير برتبة نقيب) جواباً يليق بالعسكري. وكما هو واقع في سائر المناطق المعسكر بها فيلقنا، وكذلك الأفراد

---

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٧٩ – ٢٨٠.

والضباط والأمراء في لحج يحبون وطنهم، وبمدافعاتهم الفعّالة، وتضحياتهم المستمرّة، أثبتوا أنهم لا يقبلون الإهانة. وإني مقتنع بأنهم لا يتقهقرون شبراً عن خطواتهم التي تقدموها. وأنهم ليسوا من أولئك السذّج الذين تنطلي عليهم حيل العدو، فليس هناك ما يوجب إنزال عيالهم وعائلاتهم المتفرقة في مختلف البلاد إلى السواحل بهذه السرعة، فأنا والوالي والركن الأعظم للإسلام، وهو حضرة الإمام الذي اتفق مع الحكومة، موجودون هنا ونحن نعتبرهم أولادنا ونحن المسؤولون عنهم ماديًّا وأدبيًّا إذا وقع حال مثل ذلك، لا سمح الله. أما الضباط الآن فليس لهم أن يفكروا في غير العدو الذي أمامهم ووطنهم وواجباتهم العسكرية. حافظوا على ثباتكم كما أمرناكم قبلاً، فأنتم وحدكم المسؤولون مادياً ومعنوياً عن العواقب الوخيمة التي تنتج إذا فعلتم شيئاً من ذات أنفسكم بدون أن نأمركم. وبناء على الأمر الصريح القطعي الذي سيصل من حكومتنا بالشفرة[(١)].

وهو هجوم عنيف على الجنرال علي سعيد باشا الذي ردّ عليه باتهام القائد العام أحمد توفيق بأنه رفض أن يمدّ القوات الموجودة في لحج بالمؤن والطعام أو المال، وأنهم أخذوا هذه الأموال لأنفسهم وتركوا جنوده يتضورون جوعاً ويعانون الأمراض والمسغبة، وأن كثيراً منهم عراة!! ثم قال لهم تفضلوا واستلموا باب المندب ولحج والأرض التي حررها الجنود الأشاوس الأبطال والمجاهدون الأحرار من رجال القبائل.. واستمرت الإتهامات المتبادلة.

وأرسل قائد الجيش التركي أحمد توفيق رسالة من الإمام يحيى يشير فيها إلى ما جاء في خطاب القائد الأميرالاي علي سعيد باشا من الهدنة وانتهاء الحرب.. وأن الإمام بعد التشاور مع محمود نديم والقومندان أحمد توفيق باشا يقول: «حصل معنا تصميم على القتال حتى المهات من دون خوف ولا مراقبة

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٨٣ – ٢٨٤.

لغير الله»[١]. وهو موقف غير مفهوم من الإمام يحيى الذي اعترف باستقلال لحج عن مملكته منذ أيام السلطان أحمد فضل محسن ثم السلطان علي بن أحمد بن علي محسن.

وأرسل أيضاً بعض الموظفين وتجار لواء تعز إلى الجنرال علي سعيد باشا مظهرين استياءهم من تغيّر الحالة وتبديل الحكم العثماني في اليمن وتخوفهم من سوء المصير وتشككهم في الأخبار المتناقلة بانتهاء الحرب وحدوث الصلح[٢].

وكان الجنرال علي سعيد باشا على يقين تام من أخبار انتهاء الحرب بهزيمة تركيا وألمانيا وانتصار الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا، لأنه كان متابعاً بدقّة لأحداثها، ومنذ نهاية عام ١٩١٦م شعر بأن الهزيمة ستلحق ببلاده، وبقي عاملاً جهده على تثبيت موقفه في لحج، وطلب المساعدة والمؤن من قيادته، ثم الطلب منهم بتسلم الأراضي قبل أن يتسلمها الإنجليز منه بعد انتهاء الحرب، ولكن قيادته رفضت التسلم وطلبت منه الثبات، واتهمته بالخور والجبن، ثم بعد ذلك بالخيانة، وهو أمر مؤلم لرجل نظيف وأمين وعسكري من الطراز الأول، كما شهد بذلك الأصدقاء والأعداء. لهذا كانت لهجته مليئة بالمرارة عند مخاطبته قيادته ثم بالهجوم عليهم.

ولهذا قرر تسليم نفسه وأسلحته للعدو وهي بريطانيا. وكان التسليم في شهر ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٩٢١م[٣]، حسب الأصول العسكرية. وقال إن الحرب قد انتهت بينه وبين الإنجليز وإن وظيفته قد ختمت في اليمن فلا يقبل

---

(١) أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٦ – ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٨. حيث ذكر أن الجنود والضباط باعوا جميع الحبوب المخزونة، وباع الضباط أسلحتهم وأثاثهم بأبخس الأثمان، حتى إن السيف بيع بخمسة قروش مصرية. واستلم الجنرال البريطاني (بتي) لحجاً، وعسكر في أم القضع.

أن يبقى محارباً في اليمن بدون إذن واضح من دولته في الآستانة. وسخر من القيادة التركية في صنعاء التي جبنت حتى عن تسلم الأراضي المحررة و«هي قلعة باب المندب، والشيخ سعيد، وسواحل المخا، وذباب (قرية شمال باب المندب)، ولحج والصبيحة، والحواشب، والضالع، ويافع العليا والسفلى، وبلاد الفضلي»، وهي أوسع من لواء تعز نفسه. ونحن محافظون عليها إلى الآن ونطلب تسلمكم إياها قبل أن نضطر لتسليمها إلى الإنجليز». فلم يرد القائد العام إلا بالثبات وسماع الأوامر والبقاء في مكانه!! وهو أمر مستحيل بالنسبة للجنرال علي سعيد باشا بعد أن عرف حقيقة الأمر وأن بلاده انهزمت، وبعد أن عانى من القيادة في صنعاء ما عانى وأذاقته وجنوده الويل.

وبهذا اختتمت حياة هذا الجنرال المجاهد في اليمن وعاد إلى مصر ومنها إلى تركيا.

خطط السياسات البريطانية في اليمن
في أثناء الحرب العالمية الأولى

خطط السياسة البريطانية في أثناء الحرب العالمية الأولى للجنوب

عندما اتضح للإنجليز توسع الأتراك في اليمن ووصولهم الفعلي إلى لحج في يوليه ١٩١٥م بقيادة الجنرال علي سعيد باشا، بل واستيلائه على الشيخ عثمان، حدّدت سياستها باسترجاع الشيخ عثمان أولاً. وقد تم ذلك في أبريل ١٩١٦م، وذلك بعد أن أرسل الجنرال ماكسويل فرقة هندية مع ضباطهم البريطانيين، وأرسلت فرنسا حليفة بريطانيا في هذه الحرب ثمانمئة جندي من جيبوتي. وبهذه القوّة تم استعادة الشيخ عثمان. ومع ذلك لم تقم بريطانيا بمحاولات جادة لاستعادة لحج وما حولها. وبقيت قوات الجنرال علي سعيد باشا في مناوشات محدودة ضد القوات البريطانية، وكذلك فعلت القوات البريطانية المحدودة في عدن. وذلك لانشغال قوات البلدين في ميادين أخرى أهم وأكبر، وهي التي ستحدّد اتجاه النصر لهذا الفريق أو ذاك.. ولا شك أن لحج واليمن بأكملها يمكن أن تسقط بيد المنتصر في تلك الميادين..

وبما أن ميادين القتال الأخرى اتجهت إلى انتصار الحلفاء منذ عام ١٩١٦م (أي بعد عامين من بداية الحرب) فإن الضباط والساسة في عدن بدأوا يرسمون الخطوط لسياستهم في المنطقة ورفعها إلى حكومة عموم الهند وحكومة لندن لتقرر ما هو المطلوب بشأنها.

وقد شرحنا في الفصل السابق كيف حاول حكام السلطنات، المرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات حماية، أن يتّصلوا ببريطانيا لتحميهم، ومنهم السلطان علي ابن صالح الحوشبي فأعطوه بعض البنادق فقط، ورفضوا أن يلتزموا بمعاهداتهم معه. وكذلك فعلوا مع بقية السلاطين بما في ذلك سلطان لحج علي ابن أحمد المتمسك بالإنجليز، والرافض التعاون مع الأتراك. ولم يرسلوا له إلا فرقة صغيرة من الخيالة (Aden troop) بقيادة السردار ملك داود خان الهندي، ثم قاموا بسحبها إلى الحوطة عاصمة لحج، عندما أقبل عليهم الجنرال سعيد باشا بجنده الكثيف. وقُتل السلطان العبدلي علي بن أحمد بسبب تخلي الإنجليز عنه، كما اعترف بذلك الإنجليز أنفسهم، وصحافتهم، وكل من كتب منهم في هذا الموضوع. وذهب ضحية اعتماده على وعود بريطانيا بالحماية والدعم، وهي وعود برق خُلَّبْ.

كما حاول حاكم ماويه القائمقام محمد ناصر مقبل الصراري باشا (قضاء القماعرة) ورجال قبائل تعز ومشايخها وآل نعمان في الحجرية وكل المناطق الشافعية في اليمن الأسفل أن يتصلوا ببريطانيا، وذهب بعضهم إلى عدن سرًّا، وتفاوضوا مع الإنجليز على أن يكوّنوا دولة شافعية مستقلّة عن الأتراك والإمام، وترتبط مع بريطانيا بمعاهدات صداقة. إلا أن الإنجليز - في بداية الحرب العالمية الأولى - لم يريدوا الالتزام. وكانت آراؤهم مختلفة في الطريقة التي يتعاملون بها مع أهالي اليمن الأسفل (اليمن الشافعي الواقع تحت حكم الأتراك فعلاً والإمام إسماً). ولم تكن لديهم القوات الكافية لحماية لحج والشيخ عثمان، لأن بريطانيا سحبت القوات من عدن لتقاتل في الصومال ضد إيطاليا. والمعارك في الميادين الأخرى مشتعلة وبريطانيا محتاجة لكل جنودها في تلك الآونة. ولهذا ذكر الجنرال ويلتن قائد الجيوش البريطانية في عدن في منشوره الصادر في ١٦ مايو ١٩١٦م:

«إنه ليس لضعفنا امتنعنا عن حرب الأتراك الذين في لحج، ولكن مملكة

الدولة الإنجليزية واسعة جداً، ويلزمنا معاملة الميادين التي فيها العدو واحداً بعد آخر بالتعاقب، بحسب الخطط التي رسمتها الدولة» إلى آخر البيان الذي ذكرنا نصّه في الفصل السابق.

لهذا كله رجع زعماء المناطق الشافعية مثل القائمقام محمد ناصر مقبل الصراري باشا والشيخ أحمد نعمان وغيرهم بخُفّي حنين، إذ لم يجدوا دعماً حقيقيًّا من بريطانيا. ولذا لم يكن لديهم وسيلة أخرى سوى الانضمام إلى الجيش التركي بقيادة الجنرال سعيد باشا الذي هجم على لحج، وخاصة أنهم موظّفون رسميون لدى الدولة اليمنية التركيّة ولهم حكمهم الذاتي المحلّي، ويتمتعون بصلاحيات كبيرة.

وبالفعل استطاع سعيد باشا أن يحرّر المناطق التي ارتبطت مع بريطانيا بمعاهدات صداقة وحماية من الشيخ سعيد المطلة على باب المندب والقريبة من بريم (ميون) الجزيرة التي احتلتها بريطانيا منذ فترة طويلة، وقلعة باب المندب ولحج والصبيحة والحواشب والضالع ويافع العليا والسفلى. وهي، كما قال الجنرال سعيد باشا في خطابه للقائد العام التركي في اليمن، أوسع من لواء تعز نفسه. وقد رفضت قيادته استلامها منه بعد انتهاء الحرب العام ١٩١٨م.

لهذا نورد فيما يأتي تقارير وضعها المسؤولون في عدن عام ١٩١٦م حول سياستهم في هذه المنطقة من العالم وقد رفعوها إلى حكومة عموم الهند التي كانوا يتبعونها.

تقارير المسؤولين في عدن عام ١٩١٦م[١]

وقد رفع البريجادير جنرال القائد العام لعدن وحاكم عدن والتون (W. Walton) تقريره إلى سكرتير حكومة الهند (القسم الخارجي)، وصورة

---

(١) فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية (١٩١٩ – ١٩٣٩)، الملاحق، ص ١٦٢ – ١٨٤. وقد أخطأ في أسماء المناطق نتيجة الترجمة من الإنجليزية.

منه إلى رئيس الأركان العامة بالهند، وسكرتير الدولة والمندوب السامي بالقاهرة. وموقّع في ١٣ مايو ١٩١٦م.

وقد أرفق في تقريره المرفوع تقرير الكولونيل ووهوب ضابط المخابرات السياسي والعسكري بعدن، وتقرير الليفتنانت كولونيل هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم السياسي (حاكم عدن والمحميات). وقد اختلفا في تقييم الوضع السياسي والعسكري، وما ينبغي عمله.

تقرير ووهوب:

ففي تقرير ووهوب (ضابط المخابرات السياسي والعسكري بعدن) استعراض لمعاهدات الصداقة والحماية منذ أن احتلت بريطانيا عدن عام ١٨٣٩م، واستعراض لتدخل الأتراك في اليمن منذ سنة ١٨٤٠م. ولم تتدخل تركيا عام ١٨٧٢م مع القبائل والسلطنات والمشيخات التي عقدت مع بريطانيا معاهدات صداقة أو حماية. وعقدت محادثات عن الحدود منذ عام ١٩٠١ إلى عام ١٩٠٥م، ثم محادثات أخرى مطوّلة في مارس ١٩١٤م (قبيل إعلان الحرب العالمية ببضعة أشهر) ثم وقع الجانبان معاهدة ترسيم الحدود المؤقتة بينهما والتي لم تحترم على أية حال.

وقرر الكولونيل ووهوب أن تلك الحدود غير كافية لأنها تتجاهل الاعتبارات العسكرية، ولا تتمتع بميزات دفاع طبيعية إلا في موقع واحد قرب الضالع حيث حُرمت بريطانيا من المرتفعات التي تسيطر على الحدود. ولهذا فيقترح احتلال ماوية (شمال الضالع)، والهضبة المرتفعة إلى الشمال. فذلك «سيغيّر الوضع كلّية لصالحنا».

وإذا ما استمر الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى في اليمن، فالواجب قيام واستمرار حاجز من القبائل، وحدود آمنة تشمل المرتفعات وتضمن سلامة الوصول إلى عدن.

أما إذا انسحب الأتراك بعد الحرب من اليمن (وهو ما حدث فعلاً) **فإن بريطانيا العظمى لن تسمح لأي دولة أوربية بغزو اليمن. وستعمل بريطانيا من جانبها على فرض نوع من الحماية على كل المنطقة، علماً بأن الجزء الأكبر سيبقى مستقلًّا، وتحت إدارة عربية. ولا بد من رقابة جميع الموانئ اليمنية، وأن تكون مفتوحة لنا وللتجارة.** ثم وضع الحدّ الشمالي لليمن الواقع في ذلك الوقت تحت الإدارة التركية.. ويبلغ امتداد الحدود مئتي ميل طولاً من الشمال إلى الجنوب ومئة وعشرين ميلاً عرضاً. أما ناحية تهامة (السهل الساحلي) فيمتد طولاً ثلاثين ميلاً (بيت الفقيه، زبيد وحيس) وترتفع تدريجيًّا إلى المناطق المترفعة، حتى تصل إلى قمم جبال ما بين ثلاثة آلاف وعشرة آلاف قدم تتخللها وديان خصبة تُروى من ينابيع لا تنضب.

وانتهى من تقسيم اليمن إلى يمن شافعي ويمن زيدي بخط حدود رسمها هو وأساتذته دهاقنة السياسة البريطانيين. وحدَّد خطوط التجارة الشمالية والجنوبية. واقترح إيجاد خط حديدي من عدن إلى غرب تهامة (الحديدة) ويصل عدن بوادي تُبن في انحدار تدريجي، ووفرة في إمدادات المياه والزراعة، ومواقع صالحة لإقامة معسكرات (بريطانية) في الأماكن القريبة مباشرة حيث المناخ المعتدل.

ومهما كانت الحكومة المشكّلة في اليمن، فمن الضروري الاحتفاظ بنطاق قبلي مستقلّ تماماً عن صنعاء، ويكون هذا النطاق القبلي تحت النفوذ البريطاني ويشتمل على تعز وملحقاتها. كما يجب أن تمتدّ إلى الحدود الحالية اللحجية إلى بضع المواقع على البحر الأحمر (شمال المخا).

ويؤكد أهمية جعل تعز ومرتفعاتها والحجرية وماوية كلها تحت النفوذ البريطاني، وأن تكون مستقلّة تماماً عن حكم الأئمة في صنعاء.

كما يؤكد أهمية احتلال الحديدة أو أحد موانئ البحر الأحمر التي تخدم مناطق زراعة البنّ في جبل «حراز» و«ريمه» وغيرهما. والسيطرة على تجارة زبيد ومدن تهامة الأخرى.

وبالنسبة للسكك الحديدية فقد درس الأتراك إنشاءها لربط الحديدة بصنعاء وتعز.. ومن تعز إلى لحج وعدن.. «ولا يمكن تجاهل المسؤوليات الملقاة على عاتقنا تجاه محميتنا».

ويقول: «وإن تبنّي هذه السياسة سوف يتسبّب عنه في البداية استخدام قوات لها وزنها ويجب تنفيذها دون تأخير أو توانٍ عقب جلاء الأتراك، وإلا عمّتْ الفوضى البلاد، أو ينتهز الإمام (يحيى) الفرصة ويسبقنا إلى احتلال «ماوية» و«تعز». ولذلك يجب وضع الترتيبات الضرورية السياسية والعسكرية في الاعتبار في الحال، لتأكيد التقدم في اللحظة المناسبة».

ويقترح استخدام فرق عسكرية من رجال القبائل في الجنوب وتعز والحجرية، فهم مقاتلون أشداء وقد جرَّبتهم بريطانيا، ويحتاجون إلى تدريب والتزام بالنظام، وهو أمر ممكن، وقد حدث بالفعل. ولا شك أنهم أفضل من جلب قوات هندية تحارب الأهالي، فذلك سيشكّل احتجاجاً قويًّا من الأهالي والقبائل، وسيؤدي إلى مقاومة. وعلى أية حال فإن القوات الهندية لا يمكن الاعتماد عليها في مثل هذه الحالات. وسوف تكتفي بريطانيا برجال القبائل الأشداء يقودهم ويدرّبهم ضباط بريطانيون.

انتهى تقرير ووهوب ضابط المخابرات والسياسي والعسكري بعدن[1].

(١) فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية، ملحق (١)، ص ١٧٠ – ١٧٥.

تقرير هارولد جاكوب[1]

وأما تقرير الليفتنانت كولونيل هارولد جاكوب، المساعد الأول للقيم السياسي والأكثر خبرة في المنطقة، فقد ذكر أن بريطانيا اعتمدت على خُطة سياسية في إشغال الأتراك حتى لا تحتاج عدن والمحميات إلى قوات مطلوبة لميادين القتال الأخرى. فذكر أن الاتفاق مع الإدريسي في ٣٠ أبريل ١٩١٥م شغل الأتراك، وأوقف زحفهم على لحج. كما أبرم شيخ ماوية (محمد ناصر مقبل الصراري) في ١٩ فبراير ١٩١٥م اتفاقاً مع بريطانيا، ومنعته حكومة عدن من المشاركة ضد القوات التركية خشية هجوم انتقامي كاسح على لحج من قبل الأتراك. وكان موقفه وديًّا حيث عزل أمير الضالع وأحلّ محله أحد أقاربه ثم رحل إلى ماوية. وماوية لن تقود الهجوم على لحج. وتمكَّن من مخادعة الأتراك، وأيَّد حركةً ضدهم في هضبة الضالع.

واستطاع العملاء أن يثيروا خلافاً بين الإمام يحيى والأتراك. وأن الإمام سيقف على الحياد ولن يشترك في الحرب ضد بريطانيا، ولكنه من المستحيل عليه أن يقف مع العبدلي ضد الأتراك، رغم أنه احتج عليهم عند احتلالهم للحج لوجود علاقات صداقة قوية بينه وبين العبدلي.

«ولو نجحت هذه المعايير السياسيّة نكون قد حاربنا الأتراك بمن ناب عنَّا وبطريقة اقتصادية للغاية».

«وعندما يخرج الأتراك (بعد نهاية الحرب العالمية) سيكون للحدود ظلٌّ من الماضي وستعمُّ الفوضى، فالأتراك في الوقت الحاضر مثل سدّادة زجاجة البيرة، فعندما تنزع السدّادة يتصاعد زبد البيرة. وستكون ديمقراطية (فردية) العرب مما يزيد الأمر صعوبة، فالعربي يفتقر إلى الالتحام مع غيره».

---

(١) المصدر السابق، ملحق (٢)، ص ١٧٦ – ١٨٤.

وتحدث عن عزلة اليمن، وكل قبيلة ولاءَها لنفسها، ويمكن تقسيمهم إلى شافعيين وزيديين، وبالتالي الاستفادة من هذا التقسيم الموجود أصلاً. وإلى أهل الجبال وأهل السهول.. ويمكن شراء القبائل، ثم يُعاد شراؤها بين مختلف الأطراف المتصارعة (وهو ما حدث بعد سقوط الإمامة فكانت القبيلة تجمهر، أي تصير جمهورية بالنهار، ثم تستلم المال فتصير ملكية في الليل).

«فلو ذهب الأتراك فسيبتهج العرب لاستعادة استقلالهم. ولكن هل سيرحّبون بإشرافنا؟». وذكر أن الإمام يعارض حكم الأتراك لأنه يعتقد أن اليمن ملك أسلافه، واحتجَّ على الغارة على لحج، لأنه يعتبر لحج جزءاً من أملاكه السابقة!!

«وعندما أفهمنا الإمام أننا (أي الإنجليز) لا نبحث عن أملاك شاسعة في اليمن وطلبنا منه أن ينضمّ إلينا.. فإنه اتّخذ من هجومنا على (قرية) الشيخ سعيد دليلاً يكذّب به تأكيدنا. وأننا نسطو على أرض هي له وحده، ولا يستطيع أن يصدّق عدم وجود نوايا خفيّة وراء التماس صداقته»..

«ولا بد من حدود جديدة، على أن نُبقي الإمام بقدر المستطاع داخل منطقة معيّنة ومحدّدة».

وعارض بوضوح اقتراح الكولونيل ووهوب باحتلال تعز لأن هذه المناطق ستكلّف بريطانيا عسكريًّا واقتصاديًّا عبئاً كبيراً جدًّا، وسيثور الناس ضدنا إذا بدأنا بالتدخل في شؤون بلدهم، وسنواجه مصاعب لا حصر لها. واقترح أن يستولي الإمام على تعز وما حولها بشرط ألا نسمح له بالتقدم جنوباً.

«ولهذا السبب فإنني لا أوصي بالغزو العسكري للبلاد (أي تعز والحجرية وماوية.. إلخ) وأعتقد في إمكانية نجاح حكمنا لهم بالإنابة. إننا يمكن أن نسيطر على تعز ونواحي شورمان؟ (لعلها شمير) وكامرا؟ والحجرية، وفي الحقيقة كل الجهات الواقعة جنوبي الشيخ سعيد، إلا أن هذه المنطقة يجب

اعتبارها منطقة نفوذ لا تسمح بتدخل أي قوة أجنبية، كما تنصُّ المعاهدة الحاليّة على عدم التفريط أو بيع الأراضي التي بمقتضى المرتبات المدفوعة تدخل ضمن دائرة النفوذ البريطاني (أي ضمن معاهدات الحماية). وكان شيخ ماوية يحكم تعز وماوية باسم النفوذ التركي، وكذلك كان أحمد نعمان يحكم الحجرية باسمهم وعلينا أن نحذو حذوهم».

وطالب بمدّ خط حديدي إلى تعز باعتباره أحسن الوسائل للوصول بسرعة إلى هذه المناطق. «وهناك أساليب عدة لبسط نفوذنا الواسع ولضمان سيطرتنا على هذه المنطقة الجديدة.. وتشمل التجنيد والضرائب وافتتاح مدرسة لأبناء المشايخ».. واستبعد أي فكرة شخصية لتوسع أحد المشايخ. واعترف بأن أصعب مشكلة هي كسب جانب الإمام. وأفضل حل أن نضع على منطقة تعز واحداً من المعروف عنه معادة الزيود والأتراك.

وأما المعاهدات القائمة مع رجال المحميات العرب، فالواجب إما أن نحتفظ بها أو تجاهلها.. لقد ظل أكثر العرب تحت نفوذنا محايدين ولم يحاربوا الأتراك. وطالب بتعديل بعض الاتفاقيات وخاصة مع الحوشبي والأميري، فكلاهما قاتل مع الأتراك.

وطالب أن تكون البيضاء تحت نفوذ بريطانيا، وبطبيعة الحال يجب أن تكون حضرموت والواحدي والمهرة وسقطرى تحت النفوذ البريطاني. وأظهر اهتماماً بالمكلا كميناء مهم للقعيطي الذي يجب دعمه، وأن نوجه كل أموالنا ومؤازرتنا له لأن الكثيري يجمع الأموال من جاوه وسنغافوره ويساعده في ذلك كثيرون منهم سادة حضرموت.

وكرَّر أهمية إنشاء الخط الحديدي والتجنيد وإقامة معهد لأبناء المشايخ وأن الإمام سيضطر إلى الإنصات إلى اتصالاتنا كي نعيش جميعاً في هدوء وحُسن

جوار. رغم أن الإمام سيستمر في التآمر ضدَّنا، وسيستمر حتى لو احتلينا البلاد بأكملها بالقوة.. بل إن هذا الأسلوب الأخير سيزيد من مقاومة العرب ضدنا ومحاربتهم لنا.

«ولهذا السبب، فإنني أعتقد أن إضافة أراضي جديدة يجب أن يُستبعد كموضع له خطورته. وقال إن ميناء الحديدة يمكن أن يبقى بيد بريطانيا ثم تتنازل عنه إلى الإمام، في مقابل التهدئة وإيجاد علاقات وئام مع عدن ومحمياتها!!».

توقيع/ هارولد جاكوب

المساعد الأول للمقيم السياسي

عدن ١٠ مايو ١٩١٦م

وقد أوضحنا في الفصل السابق أن تركيا – وبالذات محمود نديم الوالي التركي على اليمن – قد قام بدور هام جدًّا في إفشال مخططات بريطانيا في فصل اليمن الأسفل (الشافعي) عن شمال اليمن (الزيدي)، وفي إخضاع تهامة للإمام ما عدا الحديدة التي بقيت بيد الإنجليز ثم بيد الإدريسي ثم تخلّوا عنها تماماً للإمام.

وقد استطاع الإمام يحيى أن يُخضع بسهولة التمرد الذي حدث في تعز وماوية والحجرية وأعاد بذلك المناطق الشافعية إلى المناطق الزيدية مع إعطائهم نوعاً من الحكم الذاتي، وبذلك توحّدت أجزاء هامة من اليمن. وفشل مخطط بريطانيا في تقسيمها.

وقد قام محمود نديم بتحويل الإدارة وأجهزة الدولة كلها إلى الإمام يحيى عندما تهاوى الموقف وانهزمت الدولة العثمانية. وأبلغ الإنجليز في عدن ولندن

بذلك معترفاً بوجود حكومة يمنية شرعية تحكم اليمن بأكمله (ما عدا المحميات البريطانية وعدن).

وبهذه الطريقة أنقذ اليمن الأسفل الشافعي (تعز والحجرية وماوية والعدين.. إلخ) من أن تقع بيد الإنجليز.. وكانت شروط الحرب أن يسلِّم المنهزم أسلحته وأراضيه إلى المنتصر، ولكن بما أن الإمام كان محايداً ولم يدخل الحرب ضد بريطانيا، وقد أعلن حياده من قبل، فإن استلامه للمناطق التي كانت تحكمها تركيا مباشرة أنزل ضربة قاضية بمخططات بريطانيا في استلام المناطق الشافعية مما يسمى اليمن الأسفل. وكذلك ضرب محمود نديم بهذه الخطوة مؤامرات مشايخ اليمن الأسفل وسعيهم لإقامة دويلاتهم الصغيرة المتعددة (على غرار السلطنات والمشيخات في الجنوب والتي تربطها ببريطانيا معاهدات حماية).. وأشار محمود نديم على الإمام بإيجاد صلات قوية مع مشايخ اليمن الأسفل، وانتدب الإمام القاضي علي عبد الله الأكوع عامل الأتراك على قضاء بريم «لاستصلاح أعيان البلاد التعزيّة». ولم تنته الحرب إلا والإمام يحيى في وضع رئيس الدولة لليمن الأعلى واليمن الأسفل (الزيدي والشافعي).

وكما أسلفنا، سلّم محمود نديم أسلحته الهامة جدًّا للإمام مقابل ديون على الدولة التركية أخذتها من الإمام، وبذلك فوَّت على بريطانيا استلام تلك الأسلحة من جهة، ومن الجهة الثانية أعطى الإمام قوة حقيقية في وجه أي شخص يفكر في التمرد.

وهو ما حدث بالفعل حيث تمرَّدت المناطق التعزيّة (اليمن الأسفل) عام ١٩١٩م، فوجَّه لها الإمام يحيى قواته بقيادة الأمير علي بن عبد الله الوزير الذي دخل في حروب متعدّدة، وصفها بتفصيل كتاب «زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء»، تأليف حمود بن محمد بن أحمد (الدولة) وتحقيق زيد ابن علي الوزير.

وقد استمرت هذه المعارك من عام ١٩١٩م حتى عام ١٩٢١م ورغم أن أغلبها كان مجرد مناوشات إلا أن وقائع هامة حدثت ومنها الاستيلاء على تعز وعلى العدين وعلى منطقة المقاطرة، وهي آخرها سقوطاً.

وهذا يدلّ على أن المخطّط البريطاني في إشعال نار الفتنة كان مستمرًّا، ولولا الخطط المناوئة التي قام بها الوالي التركي الشجاع الذي صار مستشاراً للإمام ومنضوياً تحت لوائه، لما استطاع الإمام أن يعيد اليمن الأسفل ويوحّد اليمن، ولبقيت مناطق اليمن الأسفل مجموعة من الولايات المتحاربة المتقاتلة على النفوذ والتي ترتبط مع بريطانيا بمعاهدات حماية.

ومما ساعد أيضاً في سقوط المناطق الشافعية بيد الإمام، أن كثيراً من المسؤولين البريطانيين، في عدن والهند ولندن، أدركوا أن المناطق الشافعيّة ستكلّفهم الكثير من المال والرجال. وأن مناطقهم ستتحول إلى الفوضى ما لم تتدخل قوات بريطانية كثيفة، وهو أمر ترفضه الإدارة البريطانية. وقد نصحهم السلطان عبد الكريم فضل بأن يتركوا اليمن الأسفل (الشافعي) للإمام، وأن يتفاهموا مع الإمام، وسيكون ذلك أيسر من التفاهم مع مجموعة من المشايخ، وكل واحد منهم يكيد ويحارب الآخر. والمعركة ليست دينية أو مذهبية (شوافع وزيود). ويعترف هارولد جيكوب في كتابه «ملوك جزيرة العرب» (ص ٨٥ – ٨٦) بأنه لا توجد فروق كبيرة بين الشافعي والزيدي، وأن المناطق الشافعية المرتبطة مع بريطانيا بالحماية، كانت سابقاً تحت حكم الإمام. وكان هؤلاء المشايخ والسلاطين نواباً للإمام. ونقل عن السلطان أحمد فضل العبدلي أنه برغم الفوارق المذهبيّة بين الشافعي والزيدي فيجب أن نتذكر أن مذهباً واحداً وعقيدةً واحدةً هي «الشهادة» تربطنا جميعاً وتوحّدنا.. ويقرّر جيكوب أن المصالح، لا الدين هي التي توجه المشايخ والسلاطين في علاقاتهم، وبالتالي يمكن أن تتقرب القبائل الشافعية إلى الزيود، إذا كان لهم في ذلك مصلحة، والعكس صحيح.

وهكذا انتهت السياسة البريطانية إلى ترك اليمن الأسفل الشافعي للإمام الذي احتلّها بدون عناء كبير، ولأهميتها جعل مقرّ ابنه أحمد (ولي العهد) في تعز، ثم لما صار أحمد إماماً جعل مقر إقامته في تعز في معظم الأوقات. وكان ينتقل ما بين صنعاء وتعز والمناطق الأخرى.

وقد قامت بريطانيا - كما أسلفنا - بمحالفة الإدريسي، وعقدت معه معاهدة حماية في ٣٠ أبريل ١٩١٥م، وأمدوه بالمال والسلاح ليحارب الأتراك، **واحتلّ الحديدة.** ولكن الأتراك استعادوها منه. وفي مطلع ١٩١٩م قامت بريطانيا - عقب جلاء الأتراك - باحتلالها وسلمتها للشريف الإدريسي في ٣١ يناير ١٩٢١م حتى تضغط على الإمام يحيى وتوقف مطالبته بالجنوب المحتل. وقد استطاع الإمام يحيى أن يستردها في أبريل ١٩٢٥م مع المناطق الأخرى من تهامة، وبعد أن قضى ابنه أحمد على ثورة الزرانيق الذين يعيشون بالقرب منها.

الإمام يحيى يحتلّ الضالع، والهجوم البريطاني بالطائرات عام ١٩٢٨م

وبدأ الإمام يحيى بالهجوم على الضالع واحتلها بالفعل، وذلك ما أدى ببريطانيا أن ترفع دعمها للإدريسي في مقابل أن يرتفع الإمام عن الضالع[١]. وبالفعل استعاد الإمام الحديدة من الإدريسي الذي انتهت دولته على يد الملك عبد العزيز آل سعود والذي استعاد منه أبو عريش وما حولها. وذلك منذ أكتوبر ١٩٢٦م.

ولكن الإمام يحيى لم يرتفع عن الضالع، وعندها قامت السلطات البريطانية بتوجيه إنذاراتها بأنها ستقصف المنطقة بالطائرات الحربيّة باعتبار الضالع من المناطق التي تشملها الحماية، وابتدأت ذلك من ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦هـ/ ٨ فبراير ١٩٢٨[٢].

---

(١) أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ط ٥، ١٩٩٠، ص ٢٩٦ - ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق.

وبعد يومين قام سرب من قاذفات القنابل بقصف مدينتي قعطبة والضالع، كما قام سرب آخر بإلقاء القنابل على مدينة تعز وماوية وبريم وذمار وأنزلت بالسكان الآمنين خسائر فادحة في الأموال والأرواح[١].

واضطر الإمام إلى أن يسحب على الفور المراكز العسكرية في مدينة الضالع وما حولها[٢]. وعرض على بريطانيا الدخول معها في محادثات غير رسميّة حول الجنوب. وذهب الجنرال كروفورد إلى صنعاء على أساس إنشاء علاقات تجارية مع صنعاء، وكتب تقريراً إلى حكومته جاء فيه: «إنني اعتقد بفائدة المقابلات الشخصيّة وأراها أفضل وسيلة للتفاهم»..[٣] ويقول «وكانت عدن المحمية قديماً تابعة لليمن، ولم يعترف أحد من أئمة اليمن للترك بملكيتها لها (أي المحمية) أو لعدن. ولم تكن عدن من أملاك الحكومة التركية فتهبها لمن تشاء. ولذلك كان الإمام ينتظر بفارغ الصبر إعادة المقاطعة الجنوبية له. ولكنه لما خاب ظنّه في الحكومة البريطانية عام ١٩٢٠م احتل بعض أجزاء المقاطعة (أي المحميات). وظنّ أنه سينال مطالبه بصورة عادلة. ولما جاءته بعثة كليتون كان يرجو أن تزول الخلافات بطرق ودية، إلى أن أفهمته البعثة أن البريطانيين يريدون موقعاً حربيًّا في الضالع.. ففشلت بعثة كليتون»[٤].

بعثة كلايتون (كليتون) عام ١٩٢٦م

استطاع الإمام يحيى أن يوطد مركزه في اليمن كلها، فقد سيطر تماماً على اليمن الأسفل الشافعي منذ أن احتلها علي بن عبدالله الوزير (١٩١٩ – ١٩٢١م) كما تمكن من احتلال الحديدة واستعادها من الإدريسي في أبريل

(١) أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

١٩٢٥م، ودانت له تهامة بأكملها، بعد أن أخضع ابنه سيف الإسلام أحمد (ولي العهد) قبائل الزرانيق الشديدة البأس.

وبدأ الإمام يحيى باحتلال الضالع عام ١٩٢٦م كما أنه وطّد علاقته بإيطاليا التي أمدته بالمساعدات المدنية (وبناء مستشفى) والعسكرية. لهذا قامت بريطانيا في ربيع ١٩٢٦م بإرسال السير جلبرت كلايتون (Sir Gilbert Clayton) إلى صنعاء للتفاوض مع الإمام يحيى من أجل حلّ مشكلات الحدود (وقد اختارت الحكومة البريطانية كلايتون لنجاحه في إيجاد اتفاق مع الملك عبد العزيز آل سعود لحلّ مشكلات الحدود مع العراق وشرق الأردن[١]. غير أن المفاوضات فشلت بسبب إصرار الإمام على أحقيّته في أراضي المحميات التسع باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من اليمن. وبما أنه وأجداده لم يعترفوا قط بالمعاهدات التي عقدها البريطانيون مع سلاطين وشيوخ المحميات التسع، ولم يعترفوا باتفاقية الحدود مع تركيا وبريطانيا في مارس ١٩١٤م، فإن هذه الأراضي تظل يمنيّة ويجب أن تعود لليمن[٢].

وقد ترتَّب على فشل بعثة كلايتون تشدّد الجانبين البريطاني واليمني وخاصة بعد أن تقرَّب الإمام يحيى لإيطاليا وعقد معها معاهدة صداقة وتجارة[٣]. فقد ظهر اتجاه آخر يطالب بعدم التشدّد مع الإمام بشرط أن لا تمسّ المصالح البريطانية الأساسية، وما دامت بريطانيا تحتل عدن وبريم فلا يمكن أن يهدّد الإمام طريق المواصلات في الإمبراطورية. وطالب بعضهم[٤] بأن تتخلى

---

(١) R. Gavin: *Aden Under the British Rule* 1839–1967, pp 272

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٢ – ٢٧٣.

(٣) د. فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية، ص ٩٥.

(٤) صحيفة التايمز البريطانية اللندنية، العدد ١٥٠٦٤ في ١٣ أغسطس ١٩٢٦م، نقلاً عن فاروق أباظة (المصدر السابق)، ص ٩٦.

بريطانيا عن هذه المحميات التي تكلف بريطانيا مبالغ كبيرة بدون فائدة تذكر.

والغريب حقاً أن «هارولد جيكوب» المساعد الأول للمقيم السياسي البريطاني في عدن نادى بهذا الرأي في كتابه ملوك العرب(*Kings of Arabia*) الصادر عام ١٩٢٣م[١]، ويقول ما نصه: «إن مصالح إنجلترا في هذا الإقليم يمكن أن ترتكز في تدعيم موقفنا في عدن، وترك الداخل يتطور في خط عربي، وأن إنجلترا يمكنها أن تنجح في بسط نفوذها بإنجاح تجارتها في المنطقة»..

ودعا إلى أن تكون سياسة بريطانيا في اليمن «إلى العمل دون إثبات وجودنا.. والربح دون الاستيلاء، والتطوع بدون السيطرة. فوقت تدخلنا قد مضى.. فعدن فقط هي الأراضي البريطانية، وهي معزولة في ركن واحد. لذلك فإن تجزئة الداخل لا تهمنا كثيراً»[٢].

ولا شك أن هذا الرأي على وجاهته لم يؤخذ به في الدوائر البريطانية، وظلّت المحميات مهمة جدًّا بالنسبة لحكومة عدن البريطانية، بل واستمرت في التوسع من المحميات التسع إلى عشرات المناطق المحميّة.

وكان توقيع الإمام معاهدة صداقة مع إيطاليا في ٢ سبتمبر ١٩٢٦م أحد العوامل التي جعلت بريطانيا تتشدّد في موضوع المحميات. وقد قوبلت البعثة الإيطالية التي يرأسها حاكم أسمرة غاسباريني استقبالاً حافلاً في صنعاء. وكان الإمام يرى في ذلك وسيلة ضغط على بريطانيا لتحقّق مطالبه العادلة سلماً أم حرباً. ولكن إيطاليا لم تمدّه بالسلاح المطلوب وهو السلاح الجوي، أو على الأقل المدافع المضادة للطائرات.. ورغم ذلك فقد حظيت إيطاليا بالنفوذ في

---

(١) Harold Jacob: *Kings of Arabia*, p 245، نقلاً عن فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية، ص ٩٦ – ٩٧.

(٢) المصدر السابق.

اليمن طوال العهد الإمامي (الإمام يحيى ثم ابنه الإمام أحمد) بل إلى قيام الثورة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م[١].

ويقول جافن[٢] إن الجانبين البريطاني والإيطالي كانا على دراية تامة بمصالح دولتيهما في البحر الأحمر. وأعلن نائب وزير الدولة لشؤون المستعمرات في مجلس اللوردات أن المعاهدة الإيطالية اليمنية لم تؤثر على مفاوضات الحكومة البريطانية مع الإمام يحيى. وأن هناك اختلافاً كبيراً في وجهات النظر بين بريطانيا وإيطاليا، ولكن ليس هناك خوف من تعرّض المصالح البريطانية القانونية إلى أي معاكسات من قبل السياسة الإيطالية في البحر الأحمر[٣].

ولكن يبدو أن الاتفاقية الإيطالية اليمنية أدَّت إلى تشدّد بريطانيا في رفض مطالب الإمام بالمحميات التسع التي يراها أراض يمينية استولت عليها بريطانيا ويجب أن تعود إلى حكم الإمام باعتبارها جزءاً من أراضيه. وحذّرته من مهاجمة تلك الأراضي لأنه سيواجه بالقوة المدمرة. وقد ساعد بريطانيا في هذا الموقف المتشدد سلاطين المحميات الذين أعربوا عن رفضهم لحكم الإمام ورغبتهم في أن يبقوا تحت الحماية البريطانية مع حرّيتهم الكاملة في التصرف في شؤونهم الداخلية، والتي كانت بريطانيا تسمح بها، ولا تتدخل إلا في حالات محدودة تمسُّ الأمن أو تمس مصالح بريطانيا مباشرة.

وعندما احتلت قوات الإمام أراضي آل قطيب أساؤوا معاملتهم، مما أدى بأن يكتب شيخ قطيب الشيخ حسن وزعماء آل قطيب إلى الحاكم البريطاني في

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٢) R. Gavin: *Aden Under the British Rule* 1839–1967, p 294.

(٣) *Survey of International Affairs*, 1928, pp 313–314، نقلاً عن فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية، ص ١٠٢.

عدن يوضح له أن آل قطيب متمسّكون بمعاهدة الحماية مع بريطانيا، وأن على بريطانيا أن تحميهم من حكم الإمام!! [(١)]

وقامت بريطانيا في ربيع الثاني ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م بإلقاء منشورات تهدّد القوات الإمامية بأن أي اعتداء سيواجه بالحرب وهو ما حدث في ٨ فبراير ١٩٢٨م عندما هاجم فريق من جيش الإمام بلاد آل قطيب واختطفوا الشيخ عبدالله مقبل، فأمطرتهم الطائرات البريطانية بقنابلها بعد إنذار لمدة ٢٤ ساعة[(٢)].

وقد تمَّتْ عدة هجمات بريطانية عام ١٩٢٨م على المدن اليمنية وبالذات قعطبة والضالع وتعز نفسها في هجمات متفرقة. وفي كل مرة تنذر الأهالي بأن يرتفعوا ويهربوا خلال ٢٤ ساعة تم تمطرهم بنيرانها.

ومن أمثلة هذه المنشورات، المنشور الذي ألقته الطائرات البريطانية في ١٧ مارس ١٩٢٨م (٢٥ رمضان ١٣٤٦هـ) وفيه تثير النعرة الطائفية وتلعب على وتر التفرقة بين الشوافع والزيود. يقول المنشور الذي أمضاه الجنرال ستيوارت حاكم عدن:

«إلى أهل المذهب الشافعي في اليمن وفي المحمية البريطانية، بعد السلام[(٣)]:

أولاً: لقد علمتم أنه بناء على انتهاك حرمة المحمية البريطانية من الإمام والزيود وتعدّيهم عليها أُجبرنا على إلقاء القنابل الحامية عل الزيود.

ثانياً: بما أن هذه الحاميات أقامت نفسها بينكم، فلعلّكم قاسيتم من تأثير هذه القذائف ما قاسيتم. فذلك ذنب الزيود لا ذنبنا، حسبما قد علمتم بذلك بدون شك.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٣، وأحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٣١٦ – ٣١٧.

(٢) العبدلي: هدية الزمن، ص ٣٢٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٢٤.

ثالثاً: كل محلّ ليس فيه حامية زيدية لن يصير عليه رمي بالقذائف من طائراتنا إلا إذا أعان سكان هذا المحل الزيود بأي وجه من الوجوه.

رابعاً: لكي تعيّدوا (أي تحتفلون بعيد الفطر) في أمان، نعلمكم أن طائراتنا لن ترمي القذائف في أيام العيد وذلك بتاريخ ٢٩، ٣٠ رمضان وتاريخ ١ و٢ شوال ١٣٤٦هـ الموافق ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ مارس ١٩٢٨م إلا إذا حصل شيء من الزيود يؤدي إلى لزوم الضرب. فإذا حصل رمي بالقذائف في تلك الأيام ستعرفون أن الزيود هم المسؤولون.

خامساً: وبما أن طائراتنا ستطير في تلك الأيام. ولكن لما لم يحصل شيء من الزيود، كما ذكرنا أعلاه، فإن طيرانها سيكون للكشف لا لرمي القنابل. والسلام».

وهو بيان مغرض وحقير يثير النعرات الطائفية بشكل مقزّز. ومع ذلك تتظاهر بحماية السكان وأنها لا تضرب بالطائرات إلا هؤلاء الزيود المجرمين!! أو من يتعاون معهم. ولكن إذا أصابتكم الطائرات وقُتلتم وجُرحتم وأصيب أطفالكم ونساؤكم فإن ذلك بسبب وجود الزيود، ولا ذنب على بريطانيا، بل ولا لوم.

ومع ذلك فإن بريطانيا، نتيجة عطفها عليكم ومحبتها لكم، ستتوقف عن الضرب في أيام العيد، ولكن الطائرات ستستمر في تحليقها وإرعابكم وإذا أمطرتكم بالقنابل فإن ذلك سببه أن الزيود قد تحركوا (حتى لو لم تروا ذلك).

وهو موقف شائن وحقير من بريطانيا العظمى التي تعرف أن قوات الإمام لا تستطيع أن تردّ عليها لعدم وجود طائرات معها، بل ولا حتى مدافع مضادة للطائرات. وقد رفضت إيطاليا، بل وروسيا فيما بعد (في تلك الفترة) إمدادها بهذا السلاح حفاظاً على مصالحها مع بريطانيا العظمى الدولة الاستعمارية الأولى في العالم وصاحبة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس في ذلك الزمان.

واضطر الإمام يحيى إلى طلب هدنة لمدة شهر للتفاوض ثم تمديد هذه الهدنة. وذهب إلى تعز السلطان عبد الكريم فضل سلطان لحج، والميجور فاول مساعد المقيم السياسي في عدن، والسيد علوي بن حسن الجفري مستشار السلطان وذلك في ١٢ أبريل ١٩٢٨م وانتهت المفاوضات باقتراح قدمه الجانب البريطاني بالاعتراف باستقلال اليمن مقابل اعترافه بحدود محمية عدن على نحو ما كانت عليه (Status Co)، مع تقديم بريطانيا بعض المساعدات للإمام. واشترطت المفاوضات أن يُخلي الإمام الضالع قبل العشرين من يونيه ١٩٢٨م[١].

وقد أصدر الميجر فاول منشوراً وزَّعه على جميع السلاطين والشيوخ في المحميات التسع في يونيه ١٩٢٨م يوضح لهم مجريات الأمور وسير المفاوضات.. قاصداً بذلك إحراج الإمام وأنه يرفض إخلاء الضالع مقابل خطوات هامة تقدمها بريطانيا من أجل السلام[٢].

وقد وصف محمود مصطفى[٣] عمليات القصف البريطانية قائلاً: «طلب البريطانيون من الإمام أن يتخلّى لهم عن الضالع وجليلة وقطعبة». وألقوا بعض المناشير على تعز وماوية وإبّ، يهددونهم بأنهم سيلقون عليهم قنابل إذا لم يستجب الإمام لتلك المطالب. ولما لم تخلِ قوات الإمام هذه الأماكن جاءت أسراب الطائرات وضربت كل هذه المدن.. وكانت الخسارة جسيمة. ففي تعز وحدها جرح وقتل نحو ثلاثمئة شخص معظمهم من النساء والأطفال. وفي بريم قتلت امرأتين ورجلين. وفي قرية النادرة امرأتين. وفي قرية شهاب (قريب

---

(١) فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية، ص ١٠٧، ١٠٨، وأحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نزيه العظم: رحلة في البلاد العربية السعيدة، ج ١، ص ٢٩٥ – ٢٩٦.

ماوية) قتلت الطائرات ولدين. وكانت الطائرات تمطر الناس في الطرقات العامة وفي مناطق لم يشملها الإنذار. وهدّمت القنابل كثيراً من المنازل والدور.. إن أهالي اليمن من أقصاه إلى أقصاه جزعوا جزعاً عظيماً من الطائرات، وكانوا، حين يرونها، يعدون أمامها ذات اليمين وذات الشمال، واستولى الخوف والذعر على قلوبهم ونفوسهم».

وللأسف، عبَّر أحمد فضل العبدلي في كتابه «هدية الزمن» أن هذه الغارات ساعدت أمراء المحميات على دخول أراضيهم وطرد الحاميات الإمامية. وأن هؤلاء الأمراء شاركوا الإنجليز في زحفهم على هذه الحاميات واستردادها. وأشار إلى أن استخدام الطائرات التي أثارت الرعب قصَّرت أمد القتال والمعارك وأعادت للبلاد الأمن والطمأنينة!! وكان الجنود الزيدية يقولون: «نحن لا نحارب من في الأرض ومن في السماء!!» [1].

واضطر الإمام إلى أن يسحب قواته إلى ما وراء خط الحدود السابق. وبدأت المفاوضات التي طال زمنها ولكنها انتهت بمعاهدة الصداقة والتعاون الموقّعة في ١١ فبراير ١٩٣٤م والتي وقّعها محمّد راغب بن رفيق نائباً عن الإمام والسير برنارد رايلي (والي عدن) نائباً عن ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا وقيصر الهند. وهي مكونة من سبع مواد. أولها اعتراف بريطانيا باستقلال جلالة ملك اليمن ومملكته استقلالاً تامًّا، وثانيها أن يسود السلم والصداقة بين المتعاهدين. وثالثها أن تبقى الحدود على ما هي عليه (Status Co) حتى يؤجل البت فيها. والرابعة تسهيل التجارة والتنقل بينهما. والخامسة تفاصيل ذلك. والسادسة أن هذه المعاهدة ستكون أساساً لما بعدها. والسابعة الإسراع بالتصديق عليها. وإليك نصّ هذه المعاهدة:

(١) أحمد فضل العبدلي هدية الزمن، ص ٣٢٦ – ٣٢٨.

المعاهدة البريطانية اليمنية

«معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل»

(١١ فبراير ١٩٣٤م)[١]

بما أن لجلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند من جهة، ولجلالة ملك اليمن حضرة الإمام من الجهة الأخرى، رغبة في الوصول إلى معاهدة على أساس الصداقة والتعاون لمنفعة الفريقين، قد قرروا عقد هذه المعاهدة وعيّنا بصفة المندوبين المفوضين:

- جلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند، عن بريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية: حضرة صاحب السعادة اللفتينانت كولونيل برنارد راودون رايلي... المحترم.

عن الهند، كذلك، حضرة صاحب السعادة اللفتينانت كولونيل برنارد راودون رايلي... المحترم.

- جلالة ملك اليمن حضرة الإمام. صاحب السعادة القاضي محمد راغب ابن رفيق حفظه الله.

اللذان بعد تبليغ أوراق تفويضهما وتحقيق صحتها على شكل حسن، اتفقا على ما يأتي:-

المادة الأولى: يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند باستقلال جلالة ملك اليمن حضرة الإمام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً في جميع الأمور مهما كان نوعها.

---

(١) -Hurewitz, J.C.: *Diplomacy in the Near and Middle East,* Vol. 2 , pp 196 – 197
-Reilly, B: *Aden and the Yemen,* pp. 72 – 74

المادة الثانية: يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من كل الوجوه.

المادة الثالثة: يؤجل البت في مسألة الحدود الجنوبية اليمنية إلى أن تتم مفاوضات تجري بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل بدون إحداث أي منازعة أو مخالفة. وإلى أن تتم المفاوضات المشار إليها في الفقرة السالفة الذكر فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود في تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة، ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أي تعدٍّ من قواتهما في الحدود المذكورة وأي تدخل من أتباعهما أو من جانبهما في تلك الحدود في شؤون الأهالي القاطنين في الجانب الآخر من الحدود المذكورة.

المادة الرابعة: سيعقد الفريقان المتعاهدان الساميان، بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة، ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور التجارية والاقتصادية على أساس المبادئ الدولية العامة مع التراضي والموافقة بينهما.

المادة الخامسة:

١- رعايا كل من الفريقين المتعاهدين الساميين الذين يقصدون التجارة في بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التي يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية.

٢- كذلك سفن كل من الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتها تتمتع في موانئ الفريق الآخر بنفس المعاملة التي تتمتع بها الدولة الأكثر رعاية وشحناتها، ويعامل ركاب تلك السفن في موانئ بلاد الفريق الآخر بنفس ما يعامل به من كان في سفن الدولة الأكثر رعاية هناك.

٣- والغرض بهذه المادة يتعلق بجلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا

والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند:

أ- لفظة (بلاد) ينبغي أن يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى المتحدة وأيرلندا الشمالية والهند وجميع مستعمرات جلالته والبلاد المحمية وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته في المملكة المتحدة.

ب- لفظة (رعايا) ينبغي أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا وجميع أهالي البلاد تحت حماية جلالته وكذلك جميع الشركات المؤسسة في أي بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته.

ج- لفظة (سفن) ينبغي أن يعد معناها جميع السفن التجارية المسجلة في أي بلد من بلاد أنحاء الشعوب البريطانية.

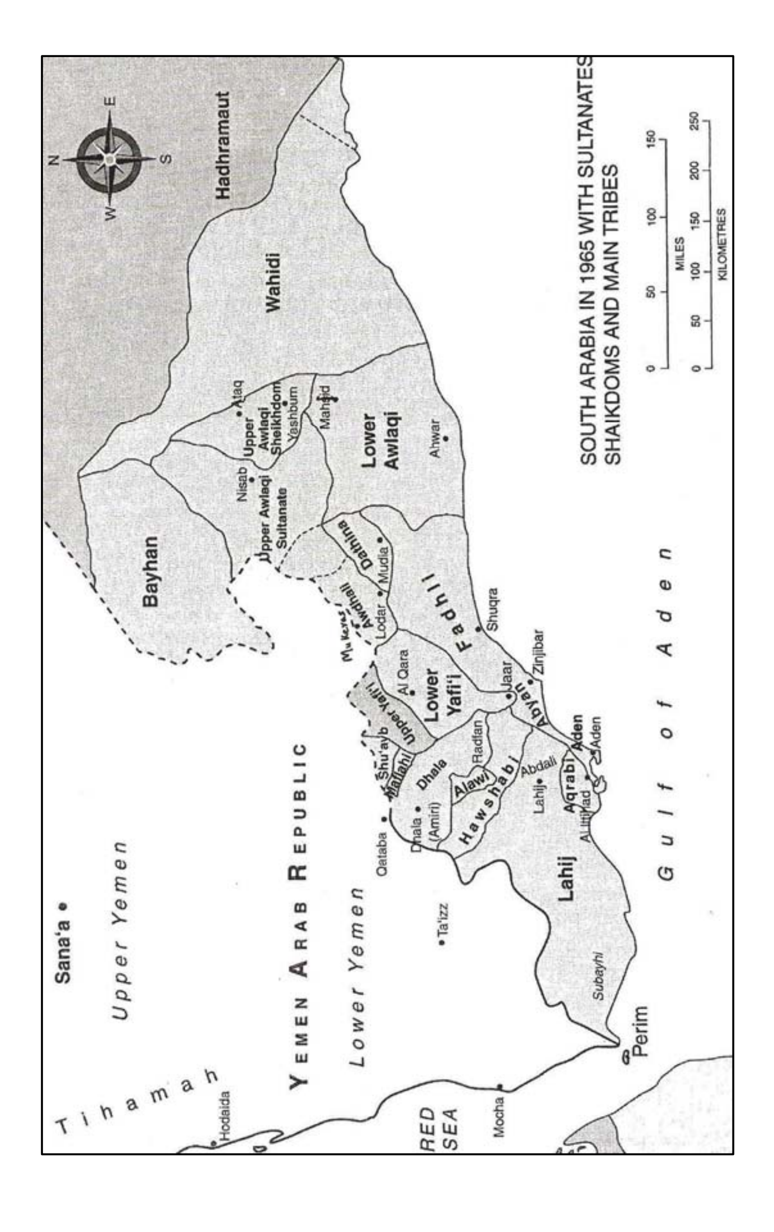
المادة السادسة: هذه المعاهدة تكون أساساً لكل ما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين المتعاهدين الساميين حالاً واستقبالاً في معنى تقوية الوداد والصداقة. ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان بعدم إعطاء المساعدة والمسامحة لأي حركة ضد الوداد والاتفاق القائم الصميم بينهما.

المادة السابعة: يصادق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع، وتتبادل حجج التصديق في صنعاء، ويعمل بها من تاريخ تبادل حجج التصديق، وفيما بعد تبقى معمولاً بها لمدة أربعين سنة. وتقريراً لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار إليهما إمضاءهما على المعاهدة الحاضرة ووضعا ختومهما عليهما، وقد نظمت هذه المعاهدة نسختين باللغة الإنجليزية والعربية. وإذا نشأت شكوك في تفسير شيء من هذه المواد فالفريقان المتعاهدان الساميان يعتمدان النص العربي. وحررت في صنعاء اليمن في يوم ٢٦ من شهر شوال سنة ١٣٥٢ للهجرة يقابله يوم ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ للميلاد.

محمد راغب بن رفيق **برنارد راودون رايلي**

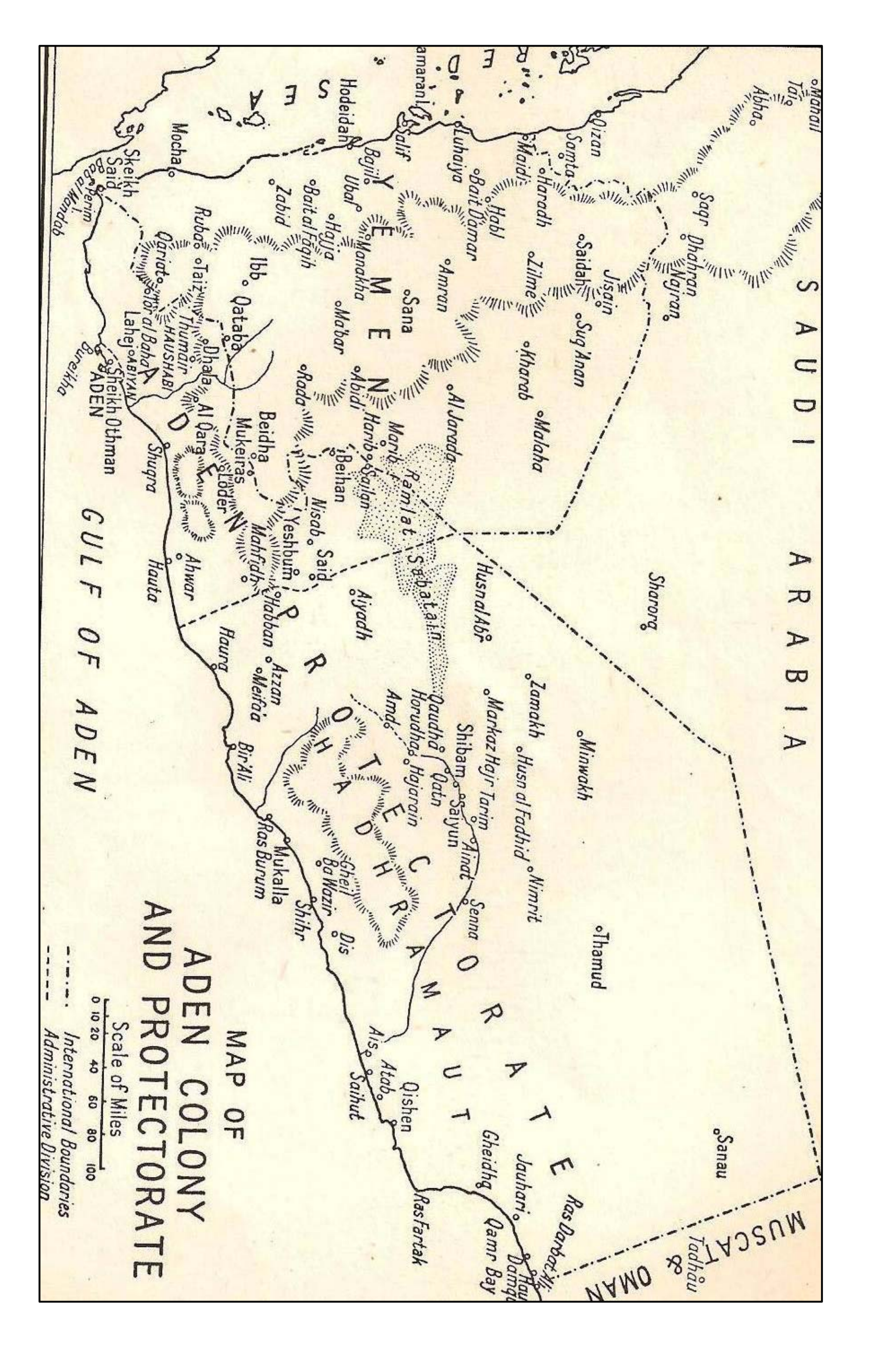
المحميَّات الغربية والشرقية

(١) المحميَّات الغربية



خريطة المحميّات الغربية

توضح الخريطة المحمّيات الشرقية والغربية مع اليمن الشمالية عام ١٩٥٥م.



خريطة المحميَّات الشرقية والغربية واليمن



خريطة اليمن الديمقراطية الشعبية

توضح الخريطة حضرموت، المحافظة الخامسة، وشبوة المحافظة الرابعة، والمهرة المحافظة السادسة، أي التي كانت تُدعى المحميّات الشرقية

المحميَّات التسع المجاورة لعدن (المحميَّات الغربية)

(١) سلطنة لحج.

(٢) سلطنة (مشيخة) العقارب (العقربي).

(٣) سلطنة الحوشبي.

(٤) سلطنة الفضلي.

(٥) مشيخة العلوي.

(٦) إمارة الضالع.

(٧) العولقي.

أ- السلطنة العليا.

ب- السلطنة السفلى.

ج- المشيخة.

(٨) العوذلي.

(٩) اليافعي.

وازدادت هذه المشيخات والسلطنات حتى بلغت ٣١، فعلى سبيل المثال تنقسم يافع إلى يافع العليا ويافع السفلى وخمس مشيخات صغيرة: الأبعوس، المفلحي، الحضرمي، والضبّي والموسطي.

وهناك الضالع وردفان والشعيبي والقطيبي ودثينة (وهي تجمع قبائل لها رئيس ينتخب من بين القبائل كل سنة ولهذا تسمى من باب السخرية جمهورية دثينة). ثم هناك بيحان.

المحميَّات (السلطنات) **الشرقية**

(١) الواحدي، وفيها سلطنات عزّان وبالحاف وبير علي، ومنطقة شبوة المدينة التاريخية التي كانت عاصمة دولة حضرموت القديمة (قبل الإسلام) والمليئة بالآثار والغنيّة بالبترول.

(٢) الدولة القعيطية: وهي أوسع تلك السلطنات وأكثرها تقدماً، وسيأتي الحديث عنها.

(٣) الدولة الكثيرية: ولها تاريخ سابق ودولة قوية قبل دخول البرتغاليين الذين انهزموا على يدها. ثم قامت من جديد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

(٤) دولة المهرة وعاصمتها قشن وتتبعها سقطرى وجزرها الصغيرة.

جزر استولت عليها بريطانيا وجعلتها تابعة لعدن مباشرة

(١) بريم (ميون) (Perim).

(٢) كمران (قمران).

(٣) جزر كوريا موريا، وألحقتها بسلطنة عمان قبل الاستقلال (خمس جزر).

ويقول توم لتيل في كتابه «الجنوب العربي: مسرح الصراع»[١] (*South Arabia*: *Arena of Conflict*) إن عدد اتفاقيات الحماية المهمة هي ٣١ اتفاقية آخرها تلك التي وقّعها شيخ الأبعوس في يافع العليا سنة ١٩٥٤م. وفي ذلك الوقت كانت هناك ما لا يقل عن تسعين اتفاقية مع هؤلاء المشايخ والسلاطين والإمارات (وهي كلها مماثلة لمساحة بريطانيا).

ومع ذلك، فكما يقول السير برنار رايلي (أحد حكام عدن والمحميَّات) في مقدمته لكتاب السير توم هيكنبوتم (عدن): إن سياسة بريطانيا كانت عدم التدخل في الشؤون الداخلية للمحميات، وترك الحكام المحليين يدبرون شؤونهم، وحتى في صراعاتهم المحلية، لم تكن بريطانيا تتدخل إلا حينما تقتضي مصلحتها ذلك.

---

(١) Tom Little: *South Arabia: Arena of Conflict*, Fredrick Praeger (Publisher) New York, London 1968 , pp15–16

وقد مرّت هذه الاتفاقيات مع المحميَّات بثلاث مراحل:

(١) مرحلة ما يسمى اتفاقيات الصداقة، وأساسها تأمين الطرق والأمن للقوافل الذاهبة إلى عدن والخارجة منها، وإيجاد نوع من التدخل اليسير جدًّا في شؤون المشيخة أو السلطنة عندما تقتضي الضرورة. وكانت بريطانيا تعتمد أساساً على ما تدفعه شهريًّا أو سنويًّا لهؤلاء المشايخ أو السلاطين.. وهي مبالغ حقيرة جدًّا لا تزيد عن خمسين ريال شهريًّا في معظم حالات المشايخ، ولا تزيد عن ألف وستمئة ريال للسلاطين المهمين، بالإضافة إلى الهدايا من حين لآخر، مع بضعة بنادق وكمية من الرصاص. وكان سلطان لحج هو الموكل في الفترات الأولى بتقسيم تلك المشاهرات والهدايا حتى يتقوى نفوذه. وقد أعطته بريطانيا في بعض الأحايين بضعة مدافع ليتم إخضاع القبائل العنيفة والتي كانت تقطع الطرق، مثل الصبّيحة والعقربي والحوشبي، كما شرحناه في فصول سابقة.

(٢) مرحلة اتفاقيات ومعاهدات الحماية: وهي التي بدأها كوجلان بعد وصول الأتراك إلى اليمن عام ١٨٤٩م وبداية تدخلهم في شؤون لحج وما حولها. وذلك في عهد فضل محسن(١٨٦٨ – ١٨٧٤م) ودخولهم إلى الحوطة، عاصمة لحج لمساندة عبد الله محسن أخو السلطان الذي نازع أخاه في السلطة، وتدخلهم إلى جانب الحوشبي والعقربي والفضلي مما دفع بريطانيا للاحتجاج بشدّة لدى الباب العالي (اسطمبول). وكانت الدولة العثمانية تواجه حروباً متعددة في البلقان وأوربا، وتعتمد إلى حدٍّ كبير على صداقة بريطانيا، فسارعت إلى سحب قواتها[١].

---

(١) وما يذكره بعض الكتاب من أن السلطان عبد الحميد الثاني قد وافق على إعطاء بريطانيا عدن واحتلالها وما حولها، أمر لا صحة له مطلقاً. وقد احتج محمد علي باشا ممثل الدولة العثمانية في الجزيرة العربية على احتلال عدن، وسعى لاستعادتها من بريطانيا.

وفي الوقت نفسه تم افتتاح قناة السويس ١٨٦٩م وبدأت الدول الأوربية تتطلع إلى مواقع لها في البحر الأحمر وخليج عدن، مما أدى إلى إسراع بريطانيا في إيجاد معاهدات الحماية التي تمنع أي اتصال مع أي دولة أجنبية إلا بإذن بريطانيا، كما تمنع تأجير أو رهن أو بيع أي جزء من أراضي السلطان أو المشيخة لأي دولة سوى بريطانيا العظمى، وتفرض بريطانيا حمايتها لهذه المشيخة والسلطنة، وتحميها من أي تدخل خارجي أو من أي سلطان أو شيخ مجاور لها، وذلك مقابل مبلغ محدد من المال تعطيه للشيخ شهريًّا أو سنويًّا. ويمتنع السلطان أو الشيخ عن أي عمل يخلّ بالأمن في منطقته، كما يتعهد بإخضاع ومعاقبة أي قبيلة أو فرع من قبيلة تخلّ بأمن الطرق. وفي كثير من الأحيان تقوم بريطانيا بوضع حامية صغيرة من الجنود المحليين يرأسها ضابط بريطاني لضبط الأمور. وعندما يعارض أي شيخ أو سلطان سياستها، فإنها تقوم باستبداله بأحد أقاربه المتطلّعين إلى السلطة، وتدعمه بالمال والسلاح، وفي حالات قليلة معدودة تدعمه أيضاً بالرجال.

ومن النادر جدًّا أن تتدخل بريطانيا في الشؤون الداخلية البحتة، وإذا كان الصراع بين الإخوة أو أولاد العم لا يؤثر على أمن الطرق ومصالح بريطانيا، فإنها تتركهم يحلّون مشاكلهم بأنفسهم.

(٣) مرحلة الاستشارة: وتبدأ فعليًّا منذ عام ١٩٣٧م عندما تحولت عدن من مستعمرة تابعة لحكومة بومبي في الهند إلى مستعمرة تابعة للتاج البريطاني في وزارة المستعمرات في لندن. وهناك عدة أسباب لذلك. (منها) أن حركة المطالبة باستقلال الهند أصبحت جاهزة قوية يترأسها المهاتما غاندي وجواهر لال نهرو ومحمد علي جناح. و(ثانيها) أن عدن ومحمياتها والجزر التابعة قد توسعت كثيراً، والإدارة فيها مقسّمة إلى ما يتبع حكومة بومبي (شركة الهند الشرقية) وإلى ما يتبع حكومة عموم الهند، وإلى ما يتبع بريطانيا مباشرة (البحرية الملكية

البريطانية والقوات الجوية الملكية Royal Air Force). و(ثالثها) أن المسؤوليات المالية عن عدن ومحمياتها وجزرها مقسّمة بين أطراف عدّة، مما أدى إلى تعقيد هذه المسائل. و(رابعها) زيادة أهمية عدن منذ الحرب العالمية الأولى، وما يتبعها من تدخلات إيطالية (بدلاً من فرنسية هذه المرّة). وبداية نُذر الحرب العالمية الثانية، فكان لا بد أن تتحول عدن إلى التاج البريطاني مباشرة تحت إدارة وزارة المستعمرات في لندن لأهميتها البالغة. وكان العرب من أهل عدن يخشون أن تصبح عدن مدينة هندية، وخاصة أن الجالية الهندية كبيرة فيها، فطالبوا بأن تكون عدن تابعة للتاج البريطاني وتحكم من وزارة المستعمرات في لندن(١).

وحتى تحكم بريطانيا قبضتها على المحميَّات أيضاً، بدأت بفرض معاهدات جديدة تفرض فيها وجود مستشار بريطاني أو ضابط محلي تابع للمستشار في المشيخات الصغيرة يشير على السلطان أو الشيخ بما يفعله. ولم تكن هذه الاستشارات اختيارية، بل هي إجبارية على السلطان أو الشيخ أن ينفّذها، وإلا فإنّ ابن عمه أو أخاه أو قريبه أو حتى من القبيلة المنافسة مستعد أن يستولي على السلطة أو المشيخة بمساعدة الإنجليز. وقد ألزمت اتفاقيات الاستشارة هذه هؤلاء الحكام بالتعاون كاملاً مع المندوب البريطاني وبقبول نصائحه دون أي تردد(٢).

وكان الجهاز الإداري في عدن والمحميَّات يقوم على الآتي:

---

(١) ذكر جافن في كتابه «عدن تحت الحكم البريطاني»، ص ١٩٤، أن ٥٠ بالمئة من سكان عدن كانوا من الهنود (الهندوس) حتى نهاية القرن التاسع عشر. وكانوا قبل ذلك ما يقرب من ٦٠ بالمئة من السكان. وأما العرب (من أهل عدن والمحميَّات والشمال) فكانوا أقل من ٢٥ بالمئة من السكان إلى سنة ١٨٥٠م، ثم صاروا نصف السكان في بداية القرن العشرين ثم ازدادوا مع الحاجة للعمال من الشمال بعد ١٩٥٠م.

(٢) فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية (١٩١٩ – ١٩٣٩)، ص ٥١ – ٥٢.

(١) الوالي (الحاكم) لعدن. وقد كان اسمه المقيم الأساسي ثم الوالي ثم المندوب السامي.

والوالي هو نائب الملك، ورئيس الإدارة المدنية وقائد الجيش الأعلى في المستعمرة وفي المحميَّات، ولهذا كان معظم حكام عدن من القطاع العسكري ابتداء من الكابتن هينس (من البحرية الهندية التابعة لشركة الهند الشرقية) مروراً بالعميد كلارك والعميد أوترام والعميد كوجلان وعدد من الجنرالات ومن بينهم السير برنارد رايلي اللفتينانت كولونيل أحد الحكام المشهورين بالخبرة الواسعة في شؤون عدن ومحمياتها واليمن.

أما بالنسبة للمحميات، فإن الوالي هو أيضاً الحاكم العام لهذه المحميَّات والقائد العام لجيوشها (الصغيرة). ويأتي بعد الوالي مباشرة، في هذا الجهاز الإداري، السكرتير العام للحكومة (كاتب الدولة أو الوزير الأول) وهو الذي ينوب عن الوالي أثناء غيابه، كما أنه العمود الفقري للجهاز الإداري، إذ إليه تقدّم كافة الأمور قبل عرضها على الوالي، ومنه تصدر الأوامر بصددها بعد عرضها على الوالي[1].

وبالنسبة لأمور المحميَّات فإنها منوطة بشخصين يقعان مباشرة تحت إمرة حاكم عدن، وهما:

(١) المعتمد البريطاني في المحمية الغربية وهو نفسه المستشار المقيم.

(٢) المعتمد البريطاني والمستشار المقيم في المحميَّات الشرقية.

المعتمد البريطاني في المنطقة الغربية

كان اهتمام بريطانيا منصبًّا على المحميَّات الغربية لقربها من عدن ولتأمين

(١) عبد الله أحمد الثور: وثائق يمنية: الجنوب اليمني، ص ١٢١.

الطرق لها. وللحفاظ على أمن المستعمرة وتموينها كان لا بد منذ اليوم الأول لاستعمارها (يناير ١٨٣٩م) أن تؤمن القوافل التي تأتي بالمؤن والمواد الغذائية من الداخل إلى عدن، كما تؤمن القوافل الخارجة من عدن والحاملة البضائع إلى الداخل وإلى اليمن كلها.. وقد أوضحنا في الفصول السابقة اهتمام الكابتن هينس بأن تكون عدن المركز التجاري الأول في جنوب الجزيرة العربية، وأن تحلّ محلّ المخا. وبالفعل أصبحت عدن هي المركز التجاري، ليس في جنوب الجزيرة العربية، بل في كل الجزيرة العربية منذ العقود الأخيرة للقرن التاسع عشر وخاصة بعد افتتاح قناة السويس (١٨٦٩م). وكان اهتمام بريطانيا بالجزر (بريم في مدخل البحر الأحمر وسقطرى في المحيط الهندي [جنوب المهرة] وجزر كوريا موريا في جنوب ظفار التابعة لسلطنة عمان) راجعاً إلى موقعها الاستراتيجي في طريق عدن والهند، وكان لا بد من حمايتها من أي تدخُّل أجنبي، ولهذا ألحقت مباشرة بالمستعمرة التي تحكمها حكماً مباشراً من عدن.

كانت الحالة في المناطق الجبلية الوعرة من المحميَّات الغربية في حالة فوضى عارمة، ولم يكن يخضعها إلا وجود القوات الجوية الملكية البريطانية التي صارت هي المسؤولة عسكريًّا عن المحميَّات وعدن منذ عام ١٩٢٨م. وقد نجح هذا السلاح الرهيب في إخضاع القبائل بل والإمام نفسه.

ولم يكن للمحميات الغربية أي تنظيم إداري، ما عدا لحج التي وجد فيها شبه تنظيم حيث يحكم السلطان مباشرة ولكن له مجلس استشاري من شيوخ القبائل وأفراد أسرته. وكان في لحج جهاز تعليمي ديني وجهاز قضائي شرعي، وإن كانت جميعها تحت سيطرة السلطان مباشرة. وأما المناطق البعيدة حتى في لحج نفسها مثل الصبّيحة التي أصبحت خاضعة للحج وقبائل العزيبة، فإنهم كانوا يحكمون غالباً باسم العُرف القبلي الذي قد يتفق مع الشرع أحياناً، ولكنه في أغلب الأحيان يختلف عنه.

وقد كانت المحميَّات الغربية بصورة عامة تفتقر إلى التنظيم الإداري، وكانت المحميَّات الشرقية، خاصة حضرموت، أرقى منها بكثير[١].

وللمعتمد البريطاني في المحميَّات الغربية خمسة مساعدين[٢] ويشرفون على المناطق الإدارية الخمس التي أوجدتها بريطانيا منذ عام ١٩٣٧م وهي:

(١) المنطقة الجنوبية الشرقية، وقاعدتها (أحور) **في بلاد العوالق السفلى.**

(٢) المنطقة الجنوبية الغربية: وقاعدتها زنجبار. وهي عاصمة بلاد الفضلي. وتدخل ضمن هذه المنطقة بلاد الفضلي كلها، ودثينة، وبلاد يافع بني قاصد.

(٣) المنطقة الشمالية الشرقية: وقاعدتها بيحان (القصب). وتدخل ضمن إدارتها بلاد بيحان والعوالق العليا.

(٤) منقطة الصبيحة (معظمها) **وبلاد الحواشب ولحج وقاعدتها الحوطة.**

(٥) المنطقة الشمالية الغربية: وقاعدتها الضالع. وتدخل ضمن إدارتها بلاد الضالع وردفان وبلاد العلوي وبلاد الأميري وبلاد يافع العليا (المحرّم دخولها على ضباط حكومة عدن).

ونجد على رأس كل منطقة إدارية ضابط سياسي بريطاني ويساعده واحد أو اثنان من المساعدين العرب (مساعد ضابط سياسي)، وكاتب، ومحاسب، وضابط عربي من الحرس الحكومي، وقاضي شرعي وقاضي عُرفي (عُرف القبائل)، وعامل لاسلكي. ويطّلع الضابط البريطاني على كافة الأحكام، حتى الشرعية منها التي يصدرها القضاة. وباستطاعة المتداعين استئناف الأحكام لديه. ويمكن أيضاً أن ترجع إلى المعتمد والمستشار السياسي البريطاني لكل المنطقة الغربية، فهو الحاكم الأعلى الحقيقي لهذه المحميَّات. ويمكن أن ترفع القضايا إلى حكومة عدن وقضاتها، وهو أمر لم يُعرف أنه حدث.

(١) عبد الله أحمد الثور: وثائق يمنية الجنوب اليمني، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق.

وكانت بريطانيا تحرص تماماً على عدم التدخل في الأمور التافهة، والأمور اليومية وتتركها بيد أهل المنطقة. وإن كانت بدأت في تنظيم الأمور تنظيماً بدائيًّا بدلاً من الفوضى الضاربة أطنابها في معظم أرجاء المحميَّات الغربية.

وتدفع وزارة المستعمرات في لندن نفقات هذه الإدارات. وتخصص لكل ضابط سياسي مبلغاً من المال يصرفه كما يراه مناسباً في الخدمات الاستخبارية، وشراء الذمم، واسترضاء رؤساء القبائل والسلاطين (بمعرفة الوالي في عدن الذي يعتبر القائد الأعلى للقوات المسلحة والحاكم الأعلى لكل المنطقة). وقد بنت الحكومة بيوتاً تعتبر جميلة بالمقارنة مع بيوت شيوخ القبائل لكل الضباط السياسيين ولمساعديهم.

وبقرب الدار المعدّة للضابط السياسي يقع معسكر الحرس الحكومي، وبيت القضاء والمساعدون والكتبة. وهناك أماكن خاصّة بالمحاكم الشرعية التي تقوم بعقود النكاح والطلاق والمواريث وبعض القضايا الأخرى. ويرفع الضابط السياسي العلم البريطاني على منزله.

ويقول توم ليتل في كتابه: «الجنوب العربي مسرح الصراع»[1]: إن معاهدات الحماية ومعاهدات الاستشارة تحمل كل مميزات السياسة البريطانية في التوفيق بين المتناقضات. وكانت بريطانيا لا تزال مصرّة على عدم الحكم المباشر في المحميَّات إلا عند الضرورة. واعتمدت في ذلك على الشيخ أو السلطان أو الأمير الموجود في منطقته. وطالما كان مطيعاً للتوجيهات من المعتمد البريطاني، وينفذ استشاراته التي لم تكن تتدخل كثيراً في شؤونه الداخلية، فإن هذا السلطان أو الشيخ يبقى رئيساً لمنطقته أو قبيلته. وهو أمر لم تعتده هذه القبائل. حيث إن مجلس شيوخ القبيلة كان يقرر صلاحية هذا السلطان أو الأمير من عدمه إذا رأوا منه استبداداً أو استئثاراً بالأموال والمصالح أو إذا كان ضعيفاً، وكانوا يستبدلونه بأحد أقاربه

(١) Tom Little: *South Arabia, Arena of Conflict*, pp 26 – 27

ممن يتوسمون فيه الصلاح لهذا المنصب. ولكن بريطانيا كانت تمنع ذلك طالما أن السلطان أو الأمير أو الشيخ ينفذ أوامر المعتمد السياسي البريطاني، ولو كانت تلك الأوامر ليست في مصلحة قبيلته ومنطقته. وقال: إن النظام القبلي لدى هذه المناطق يمنع إلى حد كبير من استئثار السلطان أو الأمير بالسلطة، وهو نوع من الديمقراطية البدائية التي قضت عليها بريطانيا العظمى رافعة الديمقراطية**!!** وكانت بريطانيا تقف مع السلطان أو الأمير أو الشيخ وتقوم بمعاقبة الشيخ المعترض على السلطان أو الأمير بدك منزله وأحياناً مصادرة أرضه(١). ويستشهد بقصة أوردها **هيكنبوتم في كتابه عدن** عن أحد الشيوخ الذي عارض شريف بيحان فطالبته عدن بدفع تعويض مالي كبير للسلطان، فلما لم يستطع الدفع دكّت منزله (قلعة صغيرة) وصادرت بعض ممتلكاته، وقامت الطائرة البريطانية العسكرية التابعة لسلاح الجوي الملكي البريطاني بدك معقله(٢). وقال توم ليتل إن القصة حدثت في بيحان بينما قال هيكنبوتم أنها حدثت في مكيراس في سلطنة العوذلي وأن قصة مماثلة حدثت في بيحان(٣).

وقد علَّل توم ليتل هذا الموقف الشديد بأن شريف بيحان قد وافق على معاهدة الحماية والاستشارة، بينما رفض تلك المعاهدة كلٌّ من شيخي مصعبين وبلحارث، مما جعل بريطانيا تمدّه بالقوة العسكرية اللازمة لفرض سيطرته على هذه المنطقة بكاملها. وقد قامت بريطانيا عام ١٩٠٣م بتفويضه عن قبائل بلحارث ومصعبين ليقوم بتوقيع معاهدة حماية واستشارة نيابة عنهما، مما اضطر شيخا هاتين القبيلتين إلى اللجوء إلى اليمن ثم إلى السعودية(٤).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) Tom Hickinbothm: *Aden*, London & Constable Company, 1958 p 53

(٣) المصدر السابق، ص ٥٢ – ٥٣.

(٤) توم ليتل: الجنوب العربي مسرح الصراعات، المصدر السابق، ص ٢٧.

وهناك أمثلة عديدة من أمراء ومشايخ المناطق الذين طردتهم بريطانيا من مناصبهم لأنهم لم يقبلوا توقيع معاهدات الحماية والاستشارة أو لأنهم رفضوا الانصياع لهذه النصائح الإجبارية!! ويذكر توم ليتل[(١)] أمثلة على ذلك الأمير حيدرة أمير الضالع الذي أحبّته قبائله، ولكن بريطانيا استبدلته بقريبه الأكثر انصياعاً الأمير شعفل. ومنهم الأمير محمد بن عيدروس في يافع السفلى الذي حاربته بريطانيا.

وكانت بريطانيا تقوم بالعقوبات الجماعية لفروع القبائل التي تقوم بالإغارة ونهب البضائع المتجهة إلى عدن وتقطع طريق القوافل، عندما تواجه صعوبات مالية أو عندما يحدث بينها وبين أمير المنطقة أو شيخها خلاف حاد. وكان سلاح الجو الملكي البريطاني فعّالاً جداً في إخضاع تلك القبائل الشرسة حيث يدمّر منازلها بعد أن يعطيهم إنذاراً لسحب النساء والأطفال. وتقوم قوات السلطنة أو الإمارة أو المشيخة والتي يرأسها في الغالب ضابط بريطاني بإكمال الباقي حتى تخضع تلك القبيلة وتتعهد بأمن الطرق والموافقة على معاهدات الاستشارة والحماية. كانت القواعد الملكية الجوية البريطانية عنصراً فعالاً في القضاء على حوادث قطع الطريق والثورات المتعددة[(٢)].

واستمرت هذه السياسة في كافة أرجاء المحميَّات الشرقية والغربية على السواء إلى بداية الخمسينات من القرن العشرين. وإن كانت الدوافع للثورة وقطع الطرق أصبحت سياسية بالإضافة إلى العوامل القبلية والاقتصادية.

وكان أشهر معتمد بريطاني في المنطقة الغربية الميجور سيجر الذي كان يعرف المنطقة معرفة جيدة وعمل بالمخابرات البريطانية كما عمل في القوات

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧ – ٢٨.

(٢) المصدر السابق.

المسلحة. ثم جاء بعده تريفاسكس وكان على دراية واسعة بالقبائل وصراعاتهم. ثم تولى منصب المندوب السامي في عدن (والمحميَّات).

زيارات السلاطين لعدن

وكانت حكومة عدن ترتب لسلاطين ومشايخ المحميَّات أن يزوروا عدن مرة كل سنة مع حاشيتهم، وتستضيفهم حكومة عدن وتعطي لهم مبلغاً من المال مع الهدايا العينية من الشالات (جمع شال) والأقمشة والبنادق والرصاص. وفي اليوم الثاني من الزيارة يقابل المعتمد البريطاني في دار الاعتماد، ويبحث معه جميع النقاط الهامة المتعلّقة بشؤون بلاده قبل عرضها على الوالي (حاكم عدن). وفي اليوم التالي يزور الوالي ومعه المعتمد البريطاني، والضابط السياسي المختص بمنطقته. وعند وصول الزائر إلى مقر الحكومة تطلق له المدافع عدداً من الطلقات ما بين ٣ إلى ١١ حسب أهميته ومرتبته، ثم يقوم البوليس المسلح بتقديم التحية العسكرية له. ويقابل الوالي بلباس القائد الأعلى للقوات المسلحة. ويستعرض مع الوالي أحوال بلاد الزائر ويستمع إلى طلباته واقتراحاته وشكواه، إن كان لديه شكوى معيّنة، ويقابل بكل ترحاب واهتمام. وقد ساعدت هذه الزيارات السنوية على توطيد أقدام بريطانيا في المحميَّات، وعلى قيام صداقة بين هؤلاء الحكام المحليين والحكومة البريطانية. وبالتالي قلّتْ الحاجة إلى العمليات العسكرية وخاصة عمليات سلاح الجو الملكي البريطاني (RAF)[١].

القوات المسلحة في المحميَّات الغربية

اعتمدت بريطانيا في ضبط الأمور في المحميَّات الغربية من الناحية العسكرية على:

(١) عبد الله أحمد النور: الجنوب اليمني، وثائق يمنية، ص ١٢٨.

(١) القوات الجوية الملكية البريطانية (Royal Air Force (RAF [١].

وقد كانت هذه القوات فعالة جدًّا منذ أن أدخلتها بريطانيا في الحرب العالمية الأولى واستخدمتها ضد الإمام يحيى عندما استولى على الضالع، وهاجمت المناطق في البيضاء والضالع إلى تعز واضطرت الإمام يحيى مراراً إلى الانسحاب من المناطق التي احتلها. ومنذ عام ١٩٢٦ – ١٩٢٨م شهدت المنطقة طلعات كثيرة للقوات الجوية الملكية البريطانية وبما أن الإمام لم يكن يملك أي طائرات أو مضادات للطائرات فإن فعل هذه الطائرات كان مرعباً للغاية مما اضطر الإمام مراراً إلى طلب الهدنة، وإلى توقيع معاهدة الصلح سنة ١٩٣٤م التي تقدم الحديث عنها. وعملت القوات الجوية في مسح الأراضي الشاسعة في المحميَّات وبالتالي معرفة تحركات المناوئين للسلطة، وكانت القوات الجوية الملكية RAF فعالة جدًّا في إخضاع القبائل المناوئة أو تلك القبائل التي تتمرد أو القبائل التي تقطع الطريق. وامتد عملها في المحميَّات الشرقية والغربية، وإن كان أغلب عملها في المحميَّات الغربية.

(٢) قوات الليوي (Levies) وهي قوات من رجال البادية الأشداء أخذتهم بريطانيا من مناطقهم ونقلتهم إلى عدن ودربتهم تدريباً جيداً على النظام والأسلحة الحديثة. واستفادت من شجاعتهم ومهارتهم في إطلاق النار، وبدلاً من البنادق الفتيل التي كانوا يستخدمونها، وجدوا البنادق والأسلحة الحديثة..

---

(١) المصدر السابق وهيكنبوتم في كتابه عدن، ص ١٠٠ – ١٠٥؛ وقد تحدث بإسهاب عن الدور الطلائعي للقوات الجوية ومعرفتها للتحركات على الحدود الممتدة ٧٠٠ ميل والأراضي الجبلية الوعرة التي يصعب الوصول إليها. وقد ساعد في ذلك مراكز محددة لضباط اللاسلكي في الأماكن الاستراتيجية لمتابعة تحركات القبائل في المحميَّات وقوات الإمام على الحدود، كما أن الطائرات تستخدم لنقل الجنود في أسرع وقت ممكن.

وكان مقرّهم أولاً في الشيخ عثمان، ثم انتقلوا إلى داخل كريتر في الطريق المؤدي إلى الخساف وباب عدن. وموقعهم ما بين مسجد أبان وباب عدن. وكان عددهم عدة آلاف زادوا مع مرور الأيام. وتدرّب ضباطهم تدريباً حديثاً، وأرسل بعضهم إلى بريطانيا لمزيد من التدريب فيما بعد الحرب العالمية الثانية. وصاروا هم نواة جيش اتحاد الجنوب العربي في الخمسينات. وتحول كثير منهم إلى الجبهة القومية وإلى جبهة التحرير وكانوا قبيل الاستقلال شوكة خطيرة في جنب الاستعمار البريطاني وذلك ما عجّل بانسحابهم من عدن في نوفمبر ١٩٦٧م وتسليمهم عدن وجميع المحميَّات للجبهة القومية بشكل متسارع جدًّا، ونصيحتهم لجميع السلاطين بالهرب بعد أن تخلوا عن جميع مواثيقهم وحمايتهم لهم. وسيأتي تفضيل ذلك في حينه.

وكانت قوات الليوي (Levies) Aden Protectorate التي شُكّلتْ عام ١٩٣٤م عاملاً فعّالاً في ضبط الأمور والثورات في المحميَّات الغربية[١]. وكان لهؤلاء ضباط من نفس قبائلهم (وكثر منهم من العوالق والعوذلي ودثينة) ويرأسهم ضابط بريطاني[٢].

وذكر عبد الله الثور[٣] المجموعات العسكرية التالية:

---

(١) Tom Little: *South Arabia, Arena of Conflict*, pp 21

(٢) ذكر هينبوتم في كتابه عدن، ص ٩٩، أن هذه القوات تكونت بعد الحرب العالمية مباشرة، وقد كونها وأشرف عليها اللفتينانت كولونيل (العميد) ليك Lake الذي تولى حكم عدن أيضاً. وسُمّيت أول الأمر «فرقة مشاة اليمن» ثم تغير الاسم لأن ذلك يعني اعترافاً بأن الجنوب جزء من اليمن. وكان قوادها معارين من القوات الجوية الملكية. وكانت واجباتهم في الأغلب في المحميَّات الغربية مثل حرس الحكومة وأحياناً في عدن نفسها.

(٣) عبد الله أحمد الثور، وثائق يمنية، ص ١٢٩ – ١٣٠.

(١) جيش محمية عدن: يتألف هذا الجيش من نحو مئة وعشرة رجال من قبائل المحميَّات. وهو تابع لقيادة القوات الجويّة الملكيّة البريطانية وهي التي تدفع نفقاته. والمقصود من هذا الجيش حماية مطار عدن الرئيسي ومحطات الطيران في الداخل، وفي الجزر مثل سقطرى، وفي الريان في المكلا. ويشرف على تدريبه ويقوده ضباط بريطانيون. ولا يشترك في الحملات التأديبية في المحميَّات إلا فيما نذر.

(٢) حرس الحكومة[1]: تتألف هذه القوة من حوالى ألف وخمسمئة رجل، ومهمتها الأولى المحافظة على الأمن داخل المحمية والقيام بالأعمال التأديبية ضد القبائل التي تعاكس الحكومة وتتعدّى على الطرق والقوافل. ومركزها الرئيس في الشيخ عثمان في عدن، وقائدها بريطاني ويساعده اثنان من الضباط البريطانيين. وتتوزع هذه القوات في المحميَّات الغربية في طور الباحة وأم رجاع وغيرها من بلاد الصبيحة، وشقرة ودرجاج من بلاد الفضلي، وأحور في العوالق السفلى والمصانع في يافع (بني قاصد)، وفي الصفراء في الضالع، وفي بلاد الحسين (أهل حسنة) ودثينة، وفي بيحان. وتقوم وزارة المستعمرات البريطانية بدفع نصف المصاريف (ولم يذكر من يدفع النصف الباقي أهي

(١) عبد الله الثور: المصدر السابق، ص ١٢٩. وذكر هيكنبوتم في كتابه عدن أن الذي كوّن هذا الحرس الممتاز تدريباً وعملاً هو اللورد بلهافن (Belhaven) عندما كان الضابط السياسي في المحميَّات ونتيجة مثابرته وإصراره على تكوين هذا الحرس على نفقة حكومة صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا. وقد تمّ تدريبهم وتسليحهم تدريباً عالياً. وقد قاموا بالمهمات الصعبة في المناطق الجبلية الوعرة وفي الحدود مع اليمن وقدموا خدمات كبيرة جدًّا. وكانوا دائماً مستعدين للقتال بروح مرحة وكأنهم في رحلة. وقدموا حياتهم في كثير من المعارك، كما جرح الكثير منهم. ومع هذا فإن حكومة بريطانيا لم تكافئهم بما يستحقون. لقد كتب عنهم اللورد بلهافن في مذكراته الكثير وأشاد بهم وبشجاعتهم وروحهم العالية (كتاب عدن، ص ٩٨ – ٩٩).

السلطنات والمشيخات أم حكومة عدن؟). ويتقاضى الجندي ٤٠ روبية (هندية) شهريًّا، والضابط نحو ١٢٠ روبية (تتغير الرواتب بحسب الزمن).

(٣) حرس القبيلة: تكوّن سنة ١٩٣٥م كقوات داخلية خاصة ببعض أمراء المحميَّات، ومهمتها المحافظة على الأمن الداخلي، داخل الإمارة التابعة لها. ويشرف عليها ضباط من العرب المحليين الذين سبق تدريبهم في جيش محمية عدن. وتقوم حكومة عدن بدفع الرواتب والمصاريف بينما يقوم السلطان أو الأمير أو الشيخ الذي تنتمي إلى بلاده هذه القوة بتقديم الأطعمة اللازمة لها. أما الألبسة والأسلحة فتقدمها وزارة المستعمرات البريطانية. ولهذا ليس باستطاعة أي سلطان أو أمير أن يستخدم هذه القوات بدون موافقة القائد البريطاني الموجود في المنطقة[١].

والسلطنات والمشيخات التي بها حرس قبلي هي: الضالع والفضلي والحواشب والعوالق السفلى ومشيخة المفلحي (من يافع) وبني قاصد (من يافع) والسقالدة (يافع؟) وإمارة بيحان. وقد شجعت الحكومة البريطانية تكوين الحرس القبلي منذ ١٩٣٧م كما يقول هيكنبوتم في كتابه عدن[٢] وقامت بدفع التكاليف.

جيش لحج النظامي

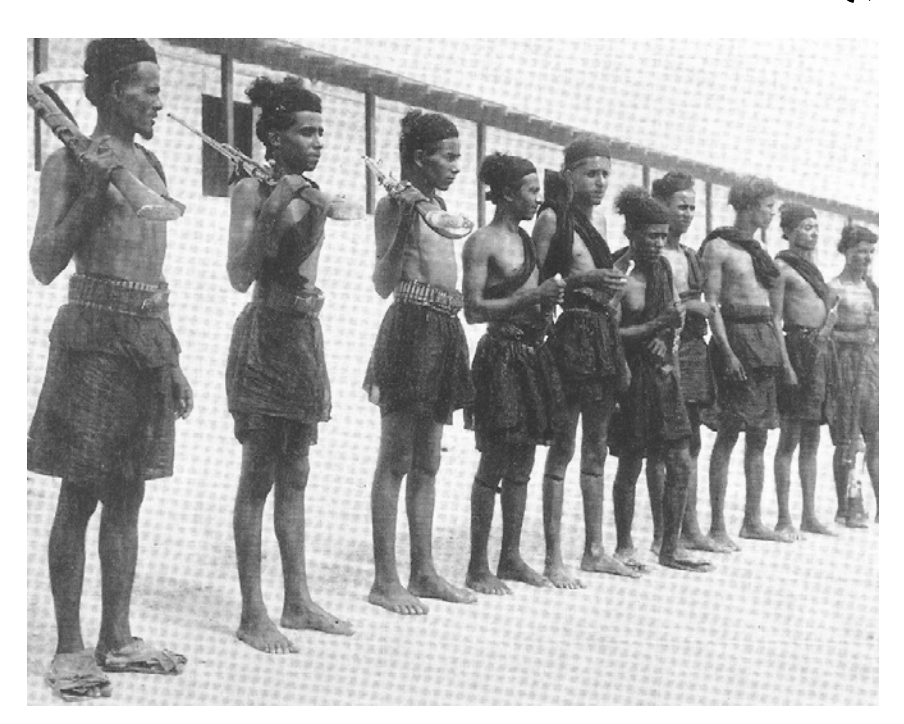
تميزت لحج بأن لديها جيشاً نظاميًّا منذ فترة مبكرة قبل دخول الإنجليز إلى عدن. واستمرّت هذه القوات بعد احتلال عدن وبعد توقيع معاهدات الحماية والاستشارة. وتتشكل من حوالي ألف جندي وتخضع لأوامر سلطان لحج الذي يقوم بدفع رواتبها ومؤونتها. ويقود هذه القوة ضباط تدرّبوا في جيش

(١) عبد الله الثور: المصدر السابق.

(٢) T. Hickinbothom: *Aden*, p 96

محميّة عدن. وتبيع حكومة عدن الأسلحة المطلوبة بأسعار رمزية مخففة ولا يستعمل السلطان هذه القوة التأديبية إلا بعد إعلام المعتمد البريطاني لمحمية عدن الغربية. ولهذا الجيش قوة وأسلحة رشاشة ومخابرات لاسلكية وله محطات لا سلكية في لحج وكرش وخور والعميرة.

وتتبع هذا الجيش قوة أخرى هي قوة الهجانة مثل حرس الحدود وتستخدم الجمال.



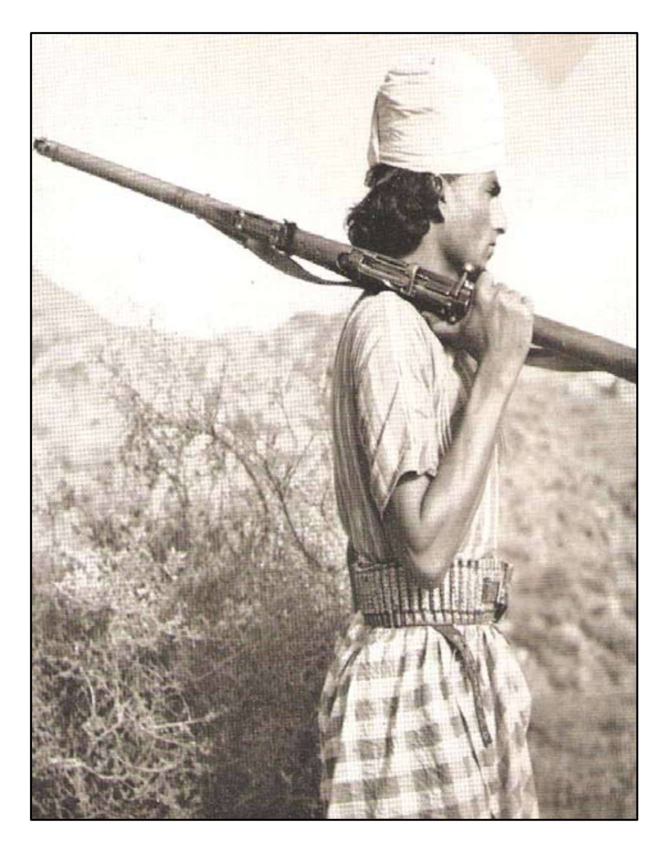
صورة معبّرة لمجموعة من البدو ورجال القبائل يصطفون ليختار منهم الضابط الإنجليزي رجال حرس القبائل (ويماثله في المنطقة الشرقية جيش البادية). إنهم رجال يتمتعون باللياقة البدنية ولا أحد يدانيهم في إصابة الهدف. أخذت هذه الصورة في بداية الخمسينات من القرن العشرين.



صورة لمجموعة مشابهة للصورة السابقة بعد أن انخرطوا في حرس الحكومة والحرس القبلي. وترى قائدهم العربي بعد أن تدرب في قوات الليوي (Aden Protectorate Levies)، وقد تميّزوا بالنظام والدقة. أما مهارتهم القتالية فتشهد لهم المعارك التي خاضوها منذ العشرينات من القرن العشرين. وشهد لهم البريطانيون بعد أن دربوهم بقدرتهم على إسقاط الطائرات الإيطالية المغيرة على عدن عام ١٩٤١م بعد أن دخلت إيطاليا الحرب العالمية الثانية ضد بريطانيا والحلفاء، وأخذت تغير على عدن. واضطرت بريطانيا لسحب معظم قواتها من عدن وتركت عدن دون حماية جوية، ولكن قوات الليوي استطاعت أن تسقط بعض الطائرات الإيطالية المغيرة. وكانت قوات بريطانيا (كما في الحرب العالمية الأولى) قد سحبت إلى الصومال حيث هاجم موسوليني الإنجليز في بربرة وما حولها. وأكمل احتلال الصومال (الإيطالي ومعظم أراضي الصومال) واحتلال أرتيريا والحبشة.

وخاض هؤلاء حرباً شرسة، حتى قامت بريطانيا بطلب من سكان عدن وما حولها أن يتبرعوا لشراء طائرة عسكرية تُسمى هريكن (Hurricane) أي العاصفة، وجمع أهل عدن نصف ثمنها، ثم قامت بريطانيا العظمى بإكمال ثمنها مع طائرة أخرى مماثلة. ومنذ وصول الطائرتين توقفت الغارات الجوية الإيطالية.

وقام السيد مستر حمود الذي كان أحد المتبرعين لشراء الطائرة ببناء دار للسينما في عدن أسماها (هريكن) وحققت له مكاسب خيالية لأنه كان يستورد الأفلام المصرية وأشهرها عنتر وعبلة ومغامرات عنتر وعبلة والتي استمرت فترة طويلة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.



أحد حراس القبيلة أثناء قيامه بالحراسة.



الحرس القبلي:
قائد المجموعة المكونة من ستة أفراد التي تحرس هيكنبوتم ثم أثناء ذهابه للمحميات.

صورتان: الأولى: لأحد أفراد الحرس القبلي في بداية الخمسينات من القرن العشرين. والثانية: لقائد مجموعة حرس حاكم عدن والمحميَّات المكوَّنة من ستة أفراد. وقد اختارهم من الحرس القبلي. والحاكم في هذه الحالة هو السير هيكنبوتم.
والصور من كتابه (عدن).

التعليم والصحة في المحميَّات الغربية

تتفق جميع المصادر الإنجليزية نفسها(١) على أن بريطانيا ممثلة في حكومة عدن، كان اهتمامها الأول والأخير بتأمين الطرق وتأمين المنطقة المحاذية لعدن وتأمين التموين والتجارة في عدن. وما عدا ذلك فلم يكن له أي قدر من الاهتمام منذ أن دخلت بريطانيا إلى المنطقة واحتلت عدن سنة ١٨٣٩م. وكانت معاهدات الصداقة أولاً تهدف إلى حماية عدن وحماية طرق تموينها. ثمّ لما فتحت قناة السويس وبدأت الدول الأوربية وخاصة فرنسا تتطلع إلى إيجاد مواقع قدم لها في البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي، قامت بريطانيا بإيجاد معاهدات حماية. وكان لوصول الأتراك إلى اليمن للمرة الثالثة سنة ١٨٤٩م وما تبع ذلك من توسع جنوباً حتى وصلت إلى لحج، دافعاً لبريطانيا لتكثيف معاهدات الحماية. كما عقدت مع الباب العالي في اسطمبول محادثات أدت لمحاولة ترسيم الحدود المتسعة والبالغة ٧٠٠ ميل وعبر مناطق شديدة الوعورة. وقد بدأ التحديد لهذه الحدود من الغرب من جهة الشيخ سعيد على باب المندب والقريبة من جزيرة بريم (ميون) والتي سمّاها صاحب رحلة إلى البحر الأحمر في القرن الأول بعد الميلاد قرية أوقليس (Ocelis). ثم اتجهت بعد ذلك شرقاً حتى وصلت إلى جبال يافع التي يصل ارتفاعها إلى ستة آلاف قدم والتي لم يدخلها الأتراك ولا الإنجليز، فتوقفت عندها واستغرقت المحادثات أربع سنوات ونيف منذ عام ١٩٠١م إلى عام ١٩٠٥م. وقد استخدمت هذه الحدود

---

(١) Gavin R.: *Aden Under British Rule*, p 287 -Hickinbotham: *Aden* -Tom Little: *Arena Of conflict* - Trevaskis: *Shades of Amber*, etc.

والخرائط التي تمّت في إكمال الحدود بين تركيا وبريطانيا والتي تمت في مارس ١٩٠٤م، وتم التوقيع عليها كما قد شرحناه في فصول سابقة.

بقيت المحميَّات الغربية بصورة عامة بدون أي عناية من الناحية الصحية فلم تُقم بها بريطانيا أي مستشفيات إلى الحرب العالمية الثانية. وبقي التعليم محصوراً على التعليم الديني والكتاتيب والمساجد وتحفيظ القرآن واللغة العربية والفقه، وأكثر من يقوم به السادة وأغلبهم من حضرموت، وبالذات من تريم، فهناك السادة آل الجفري في العوالق، وفي الوهط في لحج السادة آل السقاف وآل العيدروس، وفي يافع السادة آل الشيخ أبو بكر، وهكذا في كل مناطق المحميَّات الغربية مع وجود علماء من نفس أهل المنطقة أو من المناطق الشافعية مثل زبيد وبيت الفقيه وتعز وغيرها.

وكانت لحج أهم هذه السلطنات وقد اهتم حكامها باستقدام العلماء. وقد قدم إليهم نقيب السادة في مكة بعد أن اختلف مع الشريف عون. ورحب به السلطان وأكرم وفادته وولاه التدريس واستفاد منه المئات. وتحدث الناس جميعاً في لحج وغيرها عن علوم السيد علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف. وقد استقبله السلطان فضل بن علي عند قدومه إلى لحج في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٣هـ/ يوليه ١٨٩٥م ولكن لم تظهر في لحج مدارس حديثة إلا في فترة متأخرة. وفيها مدرسة ابتدائية منظمة يديرها أستاذ مصري ويساعده خمسة آخرون من مصر أيضاً ونحو عشرة من الأساتذة العبادل.

وفي الوهط والحمراء والمجحفة في كل واحدة منها مدرسة ابتدائية. وفي طور الباحة وأم فرشة (الصبيحة) فيها مدرستان ابتدائيتان. والشيء ذاته يقال عن بلاد الحواشب والضالع ويافع وبلاد العواذل وبلاد الفضلي.. ولكن كل هذه المدارس الابتدائية لم تظهر إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

وإذا كانت عدن نفسها لم تظهر فيها سوى مدارس ابتدائية، ثم بعد الحرب

العالمية الثانية مدرسة متوسطة واحدة ومدرسة ثانوية واحدة. وهذه هي المدارس الحكومية. أما الأهلية فكانت عديدة مثل مدرسة بازرعة (متوسطة وابتدائية)، والفلاح (ابتدائية)، ومدرسة المعهد التجاري. وهناك مدارس لليهود (للذكور وللإناث). ومدرسة للهندوس، وهكذا. ومدرسة البادري وهي مدرسة تابعة للكنيسة الكاثوليكية وهي من الابتدائية إلى الثانوية.

لهذا كله لم توجد مدارس متوسطة أو ثانوية في المحميَّات الغربية طوال العهد الاستعماري الذي يتشدق بأنه نشر العلم والحضارة... إلخ. وكان عدد الطلبة في عدن أقل من ألف، أكثر من نصفهم من الهندوس واليهود وذلك طول فترة الثلاثينات من القرن العشرين (١).

ولم توجد في المنطقة (المحميَّات الغربية) سوى عدد ضئيل من المستشفيات الصغيرة ومجموعة لا بأس بها من الوحدات الصحية يقوم بها المساعدون الصحيون وهم من الأهالي الذين تم تدريبهم. وهذه المستشفيات المحدودة لم تظهر إلى الوجود إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وحتى عام ١٩٣٦م لم يكن هناك سوى مستشفى حكومي واحد في عدن يعمل فيه طبيبان فقط ومستشفى الإرسالية في الشيخ عثمان وعيادة في لحج (٢).

وأقامت بريطانيا لأبناء السلاطين والأمراء والمشايخ مدرسة في جبل حديد في عدن، وهي مدرسة داخلية تستعملهم كرهائن بحيث لا يتحرك آباؤهم ضد بريطانيا. وفي نفس الوقت تعلمهم المرحلة الابتدائية والمتوسطة فقط. فأين هذا التعليم الذي نشرته بريطانيا في المنطقة (المحميَّات الغربية). وقد أسست مدرسة جبل حديد سنة ١٩٣٤م وعدد طلابها كانوا في حدود سبعين طالباً فقط.

---

(١) Gavin: *Aden Under British Rule*, p 287

(٢) المصدر السابق.

وقد حاول السلطان أحمد فضل العبدلي أن يقيم سكة حديد بالتعاون مع شركة كواجي دينشو عام ١٩٠٧م ولكنه فشل في ذلك بسبب معارضة بريطانيا لهذا المشروع مع أنه كان سيفيدها أكثر في نقل قواتها إلى لحج والمحميَّات بسرعة عند الأزمات، كما حصل عند دخول سعيد باشا إلى لحج عام ١٩١٥م. ولهذا اضطرت بريطانيا إلى إقامة خط السكة الحديد من عدن عام ١٩١٦م وبالذات من المعلا حتى وصل إلى الخداد وشمال لحج (وله أربع محطات رئيسية)، ولكنها وجدت بعد انتهاء الحرب أن كلفة الخط الحديدي أكثر من دخله. وبالتالي أوقفته نهائيًّا عام ١٩٢٩م.

وأما خطوط المواصلات الأخرى فلم توجد سوى طرق ترابية وعرة[١]. وكانت بريطانيا تستخدم الطيران الحربي في الأغراض المدنية لنقل الموظفين المهمّين ولنقل الجنود بطبيعة الحال وللمراقبة والتجسس... إلخ.

وكانت هناك خطوط لاسلكي للجيش والقوات المسلحة للمسائل العسكرية فقط، فلم تكن هناك مراكز للتلغراف (البرقيات) بل كانت تصل إلى عدن أولاً ثم ترسل بالسيارات إلى لحج وغيرها.

وخلاصة الأمر أن المحميَّات الغربية لم تشهد أي تقدم أو إصلاحات أو تعليم أو خدمات صحيّة أو اتصالات تلغرافية وبريديّة أو مواصلات طوال مائة عام (من سنة ١٨٣٩م إلى سنة ١٩٣٩م). ثم بدأت بعد الحرب العالمية الثانية إصلاحات طفيفة جدًّا. وتسارعت خطاها نسبيًّا بعد قرار بريطانيا تجميع المحميَّات الغربية أولاً في دولة الاتحاد وذلك منذ عام ١٩٥٣م ولكن الأمور كانت قد تطورت بشكل كبير في البلاد العربية وقامت ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢م

---

(١) لم توجد في المحميَّات الغربية أي طرق مسفلتة إلا في الخمسينات من القرن العشرين. وعند الاستقلال لم يكن في المحميَّات الغربية سوى خمسين ميلاً (٨٠ كيلومتراً) من الطرق المسفلتة، وباقي الطرق في الجبال والصحارى من التراب فقط.

في مصر، وتبعتها ثورات وحركات قومية وحدوية قوية في مصر والعراق واليمن. واتّحدت مصر مع سوريا، ثم مع اليمن!! وظهر الترانزستر ومحطة صوت العرب وأحمد سعيد الذي ألهب الجماهير، وخاصة في اليمن جنوباً وشمالاً. وكان الرجل الأمي يشتري الترانزستر ويطلب من البائع أن يضع الشوكة على محطة صوت العرب، فلا يسمع غيرها.. وسيأتي تفصيل ذلك في حينه.

التطور في السلطنة العبدلية

تعتبر لحج في المحميَّات الغربية أكثرها تقدماً، فقد شهدت منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى تقدماً في عدة مجالات، منها التعليمية. فقد حرص حكام لحج على استقدام العلماء وانتشار الدروس التعليمية في المساجد والمدارس. ثم ظهرت المدارس الحديثة، وطلب السلطان المدرسين من مصر التي قدّمت جزءاً كبيراً من مرتباتهم[1].

وتقدمت الزراعة في لحج. وقام القومندان أحمد فضل العبدلي الشاعر والمؤرخ والأديب والقائد العسكري بجلب أنواع من الفواكه والأشجار من الهند وزرعها في بستان الحسيني المشهور. وكان يعتبر من أكبر البساتين وأنزهها في جنوب الجزيرة العربية. وقامت مشاريع زراعية عدة قبل ظهور مشروع القطن في أبْين ثم في لحج.

وظهرت أول مدرسة ابتدائية حديثة في لحج بعد الحرب العالمية الأولى، ثم ظهرت عدة مدارس ابتدائية (واحدة في الوهط وواحدة في الحمراء وواحدة في المجحفة) وذلك بعد الحرب العالمية الثانية. وظهرت في كل سلطنة من سلطنات المحميَّات الغربية مدرسة ابتدائية بسيطة وذلك بعد الحرب العالمية الثانية.

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ٩٧.

التطورات الإدارية في لحج

كانت لحج تحكم بواسطة السلطان الذي تختاره الأسرة وشيوخ القبائل. وله مجلس استشاري. وعند وفاة السلطان عبد الكريم فضل (١٩١٨ – ١٩٤٧م) كان ابنه الأصغر علي عبد الكريم فضل هو الذي يدير شؤون السلطنة. ورغم صغر سنه فقد أدارها باقتدار. وتولى علي عبد الكريم إدارة المعارف وطورها. وكانت لحج أول بلد في المحميَّات وربما في شبه جزيرة العرب توفد إليها بعثة تعليمية من مصر. ونشطت فيها الحركة الأدبية والنقدية وكان رائدها القومندان أحمد فضل العبدلي.

وتولى الابن الأكبر فضل عبد الكريم فضل السلطنة بعد وفاة والده. ولكن تصريف كثير من الأمور بيد أخيه الأصغر علي عبد الكريم. ووافق الأمراء من العبادل وشيوخ القبائل والأعيان على تولية فضل عبد الكريم بشروط ستة أهمها: (١) أن السلطان يحكم ولا يتصرف في شؤون السلطنة الإدارية. (٢) ليس من حق السلطان تعيين ولي عهد له. (٣) أن يكون للسلطنة مجلس شورى مؤلف من ثلاثة من كبار الأمراء ومجلس تنفيذي من رؤساء الإدارات ومجلس تشريعي من الأمراء والقبائل والأعيان[(١)].

وكانت بريطانيا تتدخل في اختيار السلطان، ولكنها هذه المرّة تركت الأمور للعبادل يرتّبون ويختارون سلطانهم.

لكن السلطان فضل عبد الكريم تنكّر لهذه الشروط، وقام بدلاً من ذلك بإعادة الأراضي التي كان اغتصبها والده وأرجعها إلى أصحابها، وألغى ما تبقّى من عهد والده من الاحتكارات كاحتكار بيع التبغ وزيت السمسم والسمك وغيره، ثم ألَّف لجنة لتنظيم عملية الريّ، وكسب بذلك رضا فئات من الشعب.

---

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ١٠٠.

وكان للأمير علي عبد الكريم نفوذ في نادي الشعب اللحجي منذ تأسيسه في عهد والده. وكان رئيس النادي وأعضاء إدارته من أنصاره. وأرسل رئيس النادي وأعضاؤه إلى السلطان فضل يطلبون منه تعيين الأمير علي ممثلاً للشعب في المجلس الاستشاري والمجلس التنفيذي. وطالب أعضاء النادي والمثقفون بالدستور، فوعدهم السلطان بذلك. وقام الأمير علي بإدارة شؤون السلطنة عندما غاب عنها السلطان منذ شهر ديسمبر ١٩٤٧م حتى فبراير ١٩٤٨م وحتى بعد عودته ترك الأمور لأخيه وعاد إلى خلوته. وكان علي عبد الكريم هو الحاكم الفعلي في لحج حتى نهاية عام ١٩٥٠م[١].

وفي سنة ١٩٤٩م تأسس نادي الشباب اللحجي في الشيخ عثمان، وانتخب عبد الله عمر الباان رئيساً وعمر سالم طرموم أميناً للنادي. وانتقدوا حكومة لحج في الصحف العدنية. وكان للسلطان فضل بن علي نوبات هستيرية وهاجم حفل زواج شقيقه علي عبد الكريم من ابنة الأمير أحمد مهدي. وقطع الكهرباء وأمر شقيقه بالخروج إلى عدن. وذكر لفتاة الجزيرة أنه قد علم بمؤامرة لاغتياله وشقيقه في ليلة الاحتفال بالزفاف. وقال إنه لولا أنه أوقف الاحتفال لذهب ضحيته كثيرون بما فيهم الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين إمام اليمن الذي كان مدعوًّا للحفل. وهرب الجميع إلى عدن بما فيهم النساء المدعوات اللاتي وصلن إلى عدن حاسرات سافرات بسبب الرعب الذي أحدثه[٢]. ولا أحد يعرف وجه الحقيقة، وهل كانت هناك مؤامرة حقيقية أم لا؟ وقد زعم بعضهم أن الأمير علي نفسه كان ضالعاً في المؤامرة[٣]. وقد قام السلطان فضل بالاستيلاء على أراضي أخيه ولم يكن يرسل له شيء من ريعها إلا ما يفي بمعيشته في عدن كلاجئ[٤].

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ١٠٢ – ١٠٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١٠٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق، ص ١٠٥.

وبعد خروج الأمراء من لحج أمر السلطان بتشكيل لجنة لوضع الدستور يرأسها الشيخ علي العقربي. وانتهت اللجنة من وضع الدستور في مارس ١٩٥١م وبعث السلطان منه نسخاً إلى حكومة عدن والأمراء في عدن، وعيّن عدداً منهم في المجلس التشريعي.

ورفض الأمراء التعاون بحجة أن الدستور لم يعرض على الشعب اللحجي لمناقشة إقراره. فأمر السلطان بافتتاح المجلس التشريعي بعد أن اختار رجال القبائل الشيخ محمد علي العقربي رئيساً له. وافتتح المجلس في ٣١/ ٥/ ١٩٥١م.

ورغم ذلك، فقد زادت الأحوال سوءًا. وقام السلطان العقيم بتكرار زواجه لعله ينجب طفلاً يكون وليًّا للعهد ويحرم أخاه علي من الولاية. وراجت إشاعة في لحج مضمونها أن الأمراء قد ولوا الأمير فضل بن أحمد سلطاناً على لحج وقاموا بعزل فضل عبد الكريم وذلك في ٢١ سبتمبر ١٩٥١م. وتبيّن بعد ذلك أنها إشاعة كاذبة، لكنها كانت كافية لإثارة غضب السلطان واعتقل بعض الأمراء وبالذات أحمد مهدي وعمه حسن بن علي ثم قام بقتلهما في إحدى نوباته الهستيرية. ولما علمت حكومة عدن بذلك أرسلت قاضي المحكمة ليحقق في ذلك، ففر السلطان عبد الكريم فضل إلى تعز وذلك في ٢٠ أبريل ١٩٥٢م. وقررت حكومة عدن تأسيس مجلس وصاية مكون من الأمير فضل بن أحمد والأمير علي عبد الكريم والسيد حسن جعفر قاضي لحج والشيخ درويش العزيبي، وستبقى قوات جيش محمية عدن في لحج إلى أن يرفع المفتش العام لقوات لحج قراراً بأن قوات الدولة قادرة على ضبط الأمن الداخلي[١].

(١) حسن صالح شهاب: العبادل، ص ١٠٨.

السلطان علي عبد الكريم فضل
(١٩٥٢ – ١٩٥٨م)

انتخب السلطان علي عبد الكريم في ٥ يونيه ١٩٥٢م سلطاناً على لحج وهو الوحيد بين سلاطين المحميَّات الذي درس إلى نهاية المرحلة الثانوية وتخرج من مدارس فيكتوريا كوليج في مصر. وكانت ثقافته واسعة ودرايته بالشؤون السياسية جيدة، ولغته الإنجليزية ممتازة.

ورغم صداقته للمسؤولين البريطانيين في عدن وخاصة تريفاسكس المندوب السياسي للمحميات الغربية (ثم المندوب السامي حاكم عدن والمحميَّات) إلا أنه كان الوحيد الذي يعارض سياسة بريطانيا. وكان متعاوناً أشد التعاون مع السيد محمد علي الجفري رئيس رابطة أبناء الجنوب التي تنادي باستقلال الجنوب العربي وتوحيده. بل كان كما يقال أحد مؤسِّسيها في السر. وقال عنه جافن (وهو مسؤول بريطاني وصاحب كتاب «عدن تحت الحكم البريطاني») بأنه شديد الارتباط برابطة أبناء الجنوب وسياستها الداعية إلى الاستقلال وتوحيد الجنوب العربي كله بما فيه عدن والمحميَّات الشرقية والغربية في دولة واحدة مستقلة، وهو ما كانت ترفضه السياسة البريطانية آنذاك. وكان السلطان علي معجباً بجمال عبد الناصر ويظهر ذلك أمام المسؤولين الإنجليز. وقد جعل المدرسين في مدارس لحج من المصريين وهو أمر خطير ترفضه بريطانيا لأنهم يعلمون الطلبة الثورة ضد الإنجليز!! [١]

---

(١) Gavin R.: *Aden Under British Rule*, p 339 – 340

وقال عنه تريفاسكس[١]، إنه ذكي وسيم مثقف ولكنه ذو شعورٍ وطني دافق. وقد وقع على اتفاقية الاستشارة مكرهاً حتى يتولّى الحكم بعد أخيه، ولكنه تملّص منها في الواقع ممّا أدّى في النهاية إلى عزله وتولية ابن عمه بدلاً عنه[٢]. وقال عنه إنه أكبر من أن يكون سلطاناً للحج وحدها وإن طموحه أن يكون رئيساً للجنوب العربي بأكمله. وقال لتريفاسكس: إنه وطني وأنه يفضل النظام الجمهوري (وهذا يدحض الاتهامات بأنه كان يسعى لحكم اتحاد الجنوب العربي). وقال إن المحميَّات بدون عدن لا شيء وعدن بدون المحميَّات بلدة كوسموبولتانية (مجمع الأمم) وليس لها هوية، ولذا لا يمكن أن تفصل عدن عن الجنوب (المحميَّات) ولا المحميَّات عن عدن. وهو أمر كانت ترفضه بريطانيا آنذاك.

وقد أيد السلطان علي العديد من الثورات القبلية ضد بريطانيا سرًّا، وإن كانت الإدارة البريطانية قد علمت بتعاطفه مع هذه الثورات. ووقف السلطان أيضاً ضد المشروع الهزيل الذي قدمه هيكنبوتم (الاتحاد الفيدرالي) والذي يجعل السلطة كلها في يد بريطانيا وتكون عدن خارجة عن هذا الاتحاد (عام ١٩٥٤م).

وقد عارض المشروع الإمام أحمد حميد الدين بقوة، كما عارضه السلاطين والمشايخ في المحميَّات الغربية، خوفاً من ذهاب سلطاتهم المنقوصة أصلاً. ثم اضطروا للموافقة على المشروع بعد ذلك عندما أعادت صياغته بريطانيا عام ١٩٥٩م.

وعلى كل حال فإن ارتباط السلطان علي بالرابطة وبالحركة الوطنية جعلته يضحي بسلطنته، والتي لم يكن يراها تكفي لطموحه. كما كان بالفعل وطنيًّا دفع ببلده إلى مواجهة الإنجليز بأساليب متعددة.

---

(١) Trevaskis K.: *Shades of Amber*, pp 22,37 – 38,90 – 93,119 – 122

(٢) المصدر السابق.

النص الكامل للدستور اللحجي (١٩٥٠م) [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

نحن فضل عبد الكريم سلطان لحج برعاية الله تعالى.

بناءً على وعدنا الأكيد لشعبنا العزيز بوضع نظام دستوري للبلاد تتمشى على مقتضاه، ولما كان وعدنا هذا مبنيًّا على إيماننا العميق بحقوق الشعب وضرورة مشاركته لنا في تحمل الأعباء، وأحقيته في حكم نفسه بنفسه.

ونظراً لحرصنا الشديد على مصالح شعبنا، ورغبتنا الدائبة في أن تجري الأمور في مجاريها الطبيعية، مع عدم تجاهل الأوضاع الصحيحة للحكم العادل وتمكين الفرد العادي من مزاولة حقوقه الطبيعية.

ولما كنا، منذ أن تولينا السلطنة ونحن نهدف إلى تهيئة الشعب ليقوم برسالته، ونبذل الجهد فيما يعود على البلاد بالصالح العام والخير الوافر، وبناء على ما رفعته إلينا اللجنة التمهيدية، ثم الجمعية العامة (المؤسستان لدراسة مشروع الدستور المعروض علينا وإقراره) وموافقتهما على ذلك، مع الملاحظات التي قد أدرجت فيه بناءً على توصياتهما.

ولما كنا، نؤمن بأن البلاد لن تتطور تطوّراً مفيداً ذا أثر فعال منتج، ولن تنهض نهضة راسخة القواعد ما لم تظفر بنظام أساسي، تسجل فيه الحقوق والواجبات، وتحدد الاختصاصات، ويتساوى به الناس في الفرص المتاحة.

---

(١) نقلاً عن كتاب العبادل للسيد حسن صالح شهاب (١٠٩ – ١١٨). وهو دستور متقدم واضح المعالم مستمد من الشريعة الإسلامية، وقد حدَّد صلاحيات السلطان والشعب ومجلس المديرين (السلطة التنفيذية) والمجلس التشريعي (السلطة التشريعية) والسلطة القضائية ومالية السلطنة وأحكام عامة.

ولما كنا نقدر الأمانة التي وضعها الله في أعناقنا، ونحب كل عمل يعود خيره على العباد والبلاد، أمرنا بما هو آت:

الباب الأول: السلطنة اللحجية ونظام الحكم فيها

المادة (١): سلطنة لحج: سلطنة عربية إسلامية، ويطلق عليها «سلطنة لحج».

المادة (٢): دين السلطنة الرسمي (الإسلام) وعلى هداه تسن القوانين.

المادة (٣): اللغة العربية هي اللغة الرسميّة للسلطنة.

الباب الثاني: الحقوق والواجبات

المادة (٤): اللحجيون لدى الشريعة والقانون سواسية لا فرق بينهم في التمتع بكافة الحقوق وفيما عليهم من التكاليف.

المادة (٥): الحرية الشخصية مكفولة، ولكل إنسان أن يعبر عن فكره بالقول أو الكتابة أو غير ذلك في حدود الشريعة والقانون.

المادة (٦): الصحافة حرة في حدود القانون، والرقابة على الصحف محظورة، وإنذار الصحف، أو وقفها، أو إلغاؤها بالطريق الإداري محظور كذلك إلا إذا كان ذلك ضروريًّا لوقاية النظام الإسلامي أو الاجتماعي.

المادة (٧): لا يجوز القبض على أي إنسان ولا حبسه إلا وفق أحكام الشريعة والقوانين.

المادة (٨): للمنازل حرمة فلا يجوز دخولها إلا في الأحوال المبينة في القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه.

المادة (٩): لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون أو نص شرعي، ولا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لصدور القانون الذي ينص عليها.

المادة (١٠): للملكية حرمة، فلا ينزع عن أحد ملكه، إلا بسبب المنفعة العامة في الأحوال المبينة في القانون، وبالكيفية المنصوص عليها فيه، ويشترط تعويضه عنه تعويضاً عادلاً.

المادة (١١): تحمي السلطنة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد على ألا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الآداب.

المادة (١٢): حرية التعليم، ما لم يخل بالنظام العام، والآداب العامة.

المادة (١٣): للحجيين الحق في تكوين الجمعيات والأندية بترخيص بعد معرفة الأهداف، وتمنع هذه الجمعيات إذا تبيّن إخلالها بالآداب والأمن والعام وسلامة السلطنة.

المادة (١٤): لكل فرد يرى أنه نزل به ظلم أن يرفع شكواه لدى الإدارة المسؤولة.

الباب الثالث: السلطات – أحكام عامة

المادة (١٥): جميع السلطات مصدرها الشعب، واستعمالها يكون على النحو المبيّن بهذا الدستور.

المادة (١٦): السلطة التشريعية يتولاها السلطان بالاشتراك مع المجلس التشريعي.

المادة (١٧): لا يصدر قانون إلا إذا أقره المجلس التشريعي وصدق عليه السلطان.

المادة (١٨): تكون القوانين نافذة في جميع السلطنة بإصدارها من جانب السلطان، ويستفاد الإصدار من حين نشرها، ويعتبر القانون نافذاً بعد ثلاثين يوماً من حين إصداره. ويجوز قصر هذه المدة بنص صريح في تلك القوانين.

المادة (١٩): أحكام هذه القوانين لا تسري إلا على ما يقع بعد تاريخ النفاذ ولا يترتب عليها أثر فيما وقع قبله.

المادة (٢٠): القوانين الصادرة والمعمول بها سابقاً تكون سارية حتى صدور قانون وأحكام عامة بإلغائها.

المادة (٢١): للسلطان والمجلس التشريعي حق اقتراح القوانين.

المادة (٢٢): السلطة التنفيذية يتولاها السلطان.

المادة (٢٣): السلطة القضائية تتولاها المحاكم على اختلاف أنواعها ودرجاتها وتنفذ جميع الأحكام باسم السلطان.

الفصل الثاني:

الفرع الأول: السلطان

المادة (٢٤): السلطان هو رئيس السلطنة الأعلى، وذاته مصونة لا تمس.

المادة (٢٥): السلطان يصدق على القوانين ويصدرها.

المادة (٢٦): إذا لم يرَ السلطان التصديق على مشروع قانون أقره المجلس التشريعي، أعاده في مدى شهر لإعادة النظر فيه، فإن وافق عليه ثلاثة أرباع أعضاء المجلس التشريعي مرة أخرى، صار له حكم القانون، وأصدر، وإن كانت الأغلبية أقل من ثلاثة أرباع الأعضاء امتنع النظر فيه، في دور الانعقاد نفسه (يعني في نفس السنة)، فإن عاد المجلس في دور انعقاد آخر إلى إقرار ذلك المشروع بأغلبية الآراء المطلقة صار له حكم القانون وأصدر.

المادة (٢٧): السلطان يضع اللوائح اللازمة لوضع القوانين بما ليس فيه تعديل أو تعطيل لها أو إعفاء من تنفيذها.

المادة (٢٨): للسلطان الحق في حل المجلس التشريعي مع بيان أسباب الحل بالتفصيل.

المادة (٢٩): للسلطان، عند الضرورة، أن يدعو المجلس التشريعي لاجتماع غير عادي، وهو يدعوه أيضاً متى طلب ذلك بعريضة تقدمها الأقلية، وليس للمجلس أن يبحث في الدورة غير العادية إلا الأمور التي صدرت الدعوة لأجلها، ويعلن السلطان فض الاجتماع غير العادي.

المادة (٣٠): إذا حدث فيما بين أدوار انعقاد المجلس ما يوجب الإسراع إلى اتخاذ تدابير لا تحتمل التأخير، فللسلطان أن يصدر في شأنها مراسيم تكون لها

قوة القانون، بشرط ألا تكون مخالفة للدستور، وتعرض على المجلس عند أول اجتماع له.

المادة (٣١): السلطان يفتتح دورة الانعقاد العادي للمجلس التشريعي.

المادة (٣٢): السلطان يرتب المصالح العامة، ويولي ويعزل الموظفين، على الوجه المبين في القوانين.

المادة (٣٣): السلطان هو القائد الأعلى للجيش.

المادة (٣٤): السلطان يتولى سلطته بواسطة رؤساء إداراته.

المادة (٣٥): السلطان يعين المديرين ويقيلهم.

المادة (٣٦): قبل أن يباشر السلطان سلطته يحلف أمام المجلس التشريعي الحلف الآتي: (أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور، وقوانين الشعب اللحجي، وأحافظ على استقلال الوطن، وسلامة أرضه).

المادة (٣٧):

أ) ليس للسلطان ولا لأحد من أولاد محسن فضل حق تعيين ولي عهد للسلطنة، وإنما ذلك من اختصاص المجلس التشريعي وحده الذي هو ممثل للشعب.

ب) في حالة عدم وجود من يخلف السلطان يجتمع المجلس التشريعي بحكم القانون فوراً لاختيار السلطان، ويشترط لصحته حضور ثلاثة أرباع أعضائه، فإذا لم يتسن له الاختيار عقد جلسة أخرى خلال أربع وعشرين ساعة، ويكون الاجتماع صحيحاً أيًّا كان عدد الأعضاء الحاضرين، ويكون الاختيار بالأغلبية النسبية.

المادة (٣٨): من وقت وفاة السلطان إلى أن يؤدي من يخلفه اليمين تكون سلطات السلطان الدستورية في يد نائبه أثناء مرضه، وفي حالة عدم تعيين نائب تكون بيد رئيس المديرين.

الفرع الثاني: المديرون

المادة (٣٩): مجلس المديرين هو المهيمن على مصالح السلطنة ويطلق عليه (مجلس المديرين).

المادة (٤٠): المديرون مسؤولون متضامنون لدى السلطان والمجلس التشريعي عن عمل إدارة البلاد العامة، وكل مدير مسؤول عن أعمال إدارته.

المادة (٤١): أوامر السلطان شفهية أو كتابية لا تخلي المديرين من المسؤولية بحال.

المادة (٤٢): للمديرين أن يحضروا جلسات المجلس التشريعي، ولهم الحق في الكلام إذا طلبوا ذلك، ولا يكون لهم رأي في التصويت، إلا إذا كانوا أعضاء فيه، ولهم أن ينيبوا عنهم من يختارونه من كبار موظفيهم، وللمجلس أن يحتم على المديرين حضور جلساته.

المادة (٤٣): للمجلس التشريعي حق اتهام المديرين فيما يقع منهم من الجرائم في تأدية واجبهم، ولا يصدر قرار الاتهام إلا بأغلبية ثلثي الأعضاء، ويعيّن المجلس التشريعي من أعضائه من يتولى تأييد الاتهام أمام محكمة خاصة.

المادة (٤٤): المحكمة الخاصة هي التي لها الحق في محاكمة المديرين فقط وتتكوّن من تسعة أعضاء يرأسهم أحدهم، وهم:

ـ المستشار القضائي، رئيس المحكمة الكلية، اثنان من قضاة المحكمة الكلية، وخمسة من أعيان البلاد ورجالاتها ومن غير أعضاء المجلس التشريعي، وتصدر الأحكام فيه بأغلبية ستة أصوات.

المادة (٤٥): المدير الذي يتهمه المجلس التشريعي يوقف عن العمل إلى أن يقضي المجلس التأديبي في أمره.

المادة (٤٦): في حالة صدور حكم ببراءة المدير المتهم، فللمذكور الحق في تقديم دعوى رد اعتبار وتعويض أمام المحكمة الخاصة.

الفصل الثالث: المجلس التشريعي

المادة (٤٧): نظراً لعدم تعود البلاد على النظام النيابي، فإن عضوية المجلس التشريعي تكون بالتعيين من قبل السلطان لمدة سنتين، وإذا ما رؤي بعد ذلك صلاحية التحول إلى نظام الانتخاب، يضاف إلى الدستور ما يفيد ذلك على الوجه الصالح.

المادة (٤٨): يتكوّن المجلس التشريعي من واحد وعشرين عضواً، ويلاحظ في التعيين تمثيل كافة طبقات الشعب، من أمراء وأعيان، وقبائل، وعامة الشعب.

المادة (٤٩): يعيّن السلطان رئيساً للمجلس لكل سنة، وينتخب المجلس وكيلاً للرئيس، وفي حالة غياب الرئيس والوكيل ينتخب رئيس للجلسة.

المادة (٥٠): مدة المجلس التشريعي سنتان من حين صدور أمر السلطان بالتعيين.

المادة (٥١): إذا أمر السلطان بحل المجلس التشريعي يجب تعيين المجلس الجديد في مدة لا تزيد عن شهر.

المادة (٥٢): تبدأ الدورة التشريعية للمجلس في أول خميس من شهر رجب من كل عام، فإن وافق عطلة رسمية ففي الخميس التالي.

المادة (٥٣): يجتمع المجلس التشريعي كل شهر مرتين.

المادة (٥٤): تعطى الآراء بالتصويت الشفوي.

المادة (٥٥): لا يجوز حل المجلس الجديد من أجل أمر، قد حل المجلس التشريعي السابق من أجله.

المادة (٥٦): مركز المجلس التشريعي (الحوطة).

المادة (٥٧): عضو المجلس التشريعي ينوب عن الأمة كلها، فلا يجوز لمن يمثلهم ولا السلطة التي تعينه توكيله بأمر على سبيل الإلزام.

المادة (٥٨): قبل أن يتولى أعضاء المجلس التشريعي عملهم، يقسمون أن يكونوا مخلصين للوطن وللسلطان، ومطيعين للدستور ولقوانين البلاد، وأن يؤدوا عملهم بالذمة والصدق، وتكون تأدية اليمين في المجلس علناً بقاعة الجلسة.

المادة (٥٩): جلسات المجلس التشريعي علنية، وعلى أن ينعقد بهيئة سريّة بناءً على طلب المجلس الإداري، أو خمسة من أعضاء المجلس التشريعي.

المادة (٦٠): لا يجوز للمجلس أن يقرر قراراً إلا إذا حضر الجلسة أغلبية أعضائه.

المادة (٦١): في غير الأحوال المشترط فيها أغلبية خاصة، تصدر القرارات بالأغلبية المطلقة، وعند تساوي الآراء فللرئيس صوت الترجيح.

المادة (٦٢): لا يجوز للمجلس تقرير مشروع قانون إلا بعد أخذ الرأي مادة مادة، وللمجلس حق التعديل، والتجزئة في المواد، وفيما يعرض من التعديلات.

المادة (٦٣): لكل عضو من أعضاء المجلس أن يوجه إلى المديرين أسئلة أو استجوابات، وذلك على الوجه الذي يبين في اللائحة الداخلية، وذلك في غير حالة الاستعجال وموافقة المدير.

المادة (٦٤): للمجلس التشريعي أن يسحب الثقة بمدير من المديرين أو بالمجلس الإداري كله، وعلى المدير أو المجلس الإداري في هذه الحالة تقديم استقالته.

المادة (٦٥): للمجلس حق إجراء التحقيق ليستنير في مسائل معينة داخلة في حدود اختصاصه.

المادة (٦٦): لا يجوز مؤاخذة أعضاء المجلس التشريعي، بما يبدون من أفكار وآراء في المجلس.

المادة (٦٧): لا يجوز أثناء دور الانعقاد اتخاذ إجراءات جنائية نحو أي عضو من أعضاء المجلس التشريعي، ولا القبض عليه إلا بإذن المجلس التابع هو له، وذلك فيما عدا حالة التلبس بالجناية.

المادة (٦٨): لا يجوز فصل أحد من عضوية المجلس التشريعي إلا بقرار صادر من المجلس بأغلبية ثلاثة أرباع الأعضاء.

المادة (٦٩): إذا خلا محل أحد أعضاء المجلس بالوفاة، أو الاستقالة، أو غير ذلك من الأسباب، يعيّن السلطان من يقوم مقامه في مدة شهر، من يوم إشعار المجلس التشريعي للحكومة بخلو المحل.

المادة (٧٠): ليس لأحد مخاطبة المجلس التشريعي بشخصه، وللمجلس أن يحيل إلى المديرين ما يقدم إليه من العرائض، وعليهم أن يقدموا الإيضاحات الخاصة إذا طلب المجلس ذلك منهم.

المادة (٧١): على رئيس المجلس المحافظة وحده على النظام في داخله، أو من يقوم مقامه في حالة غيابه.

المادة (٧٢): يضع المجلس لائحته الداخلية مبيناً بها طريقة السير في تأدية أعماله.

المادة (٧٣): يتناول كل عضو من أعضاء المجلس التشريعي مكافأة سنوية تحدد بقانون.

الفصل الرابع: السلطة القضائية

المادة (٧٤): القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير الشرع والقوانين.

المادة (٧٥): ترتيب جهات القضاء وتحديد اختصاصها يكون بالقانون.

المادة (٧٦): جلسات المحكمة علنية إلا إذا أمرت المحكمة بجعلها سرية مراعاة للنظام العام، أو للمحافظة على الآداب.

المادة (٧٧): كل متهم بجناية يجب أن يكون له من يدافع عنه.

المادة (٧٨): قضاة المحاكم يعينون بمرسوم، ولا يعزلون إلا وفق أحكام قانون يعيّن حدود العزل وكيفيته.

الباب الرابع: مالية السلطنة

المادة (٧٩): لا يجوز إنشاء ضريبة، أو تعديلها، أو إلغاؤها إلا بقانون، ولا يجوز تكليف الأهالي بتأدية شيء من الأموال أو الرسوم إلا في حدود القانون.

المادة (٨٠): لا يجوز إعفاء أحد من أداء الضرائب في غير الأحوال المبيّنة في القانون.

المادة (٨١): لا يجوز تقدير معاش على خزانة السلطانة، أو تعويض، أو مكافأة، أو إعانة إلا في حدود القانون.

المادة (٨٢): كل التزام موضوعه استغلال مورد من موارد الثروة الطبيعية للبلاد، أو مصلحة من مصالح الجمهور العامة، وكل احتكار لا يجوز منحه إلا بقانون وإلى زمن محدود.

المادة (٨٣): الميزانية الشاملة لإيرادات الدولة ومصروفاتها يجب تقديمها إلى المجلس التشريعي قبل ابتداء السنة المالية بثلاثة شهور لفحصها واعتمادها. وفي معرض مناقشة الميزانية لا يقبل اقتراح بإلغاء ضريبة موجودة أو تعديل الضرائب الحاضرة بزيادة أو نقصان. والسنة المالية يعينها القانون، وتقر الميزانية باباً باباً.

المادة (٨٤): لا يجوز فض دورة الانعقاد العادي للمجلس التشريعي قبل الفراغ من تقرير الميزانية.

المادة (٨٥): إذا لم يصدر القانون بالميزانية قبل ابتداء السنة المالية الجديدة يعمل بالميزانية القديمة، حتى يصدر القانون بالميزانية الجديدة.

المادة (٨٦): كل مصروف طارئ غير وارد في الميزانية، أو زائد على التقديرات الواردة بها، يجب أن يوافق عليه المجلس التشريعي ويصدق عليه السلطان.

المادة (٨٧): الحساب الخاص لإدارة المالية من العام المنقضي يقدّم إلى المجلس التشريعي في مبدأ كل دور عادي لطلب اعتماده.

المادة (٨٨): لا يقبل أي اقتراح بتعديل النفقات أو الواردات المربوطة بعقود.

الباب الخامس: أحكام عامة

المادة (٨٩): للسلطان الحق في العفو الشامل.

المادة (٩٠): لا يخل تطبيق هذا الدستور بتعهدات لحج السابقة لأي دولة أخرى.

المادة (٩١): لا يجوز للسلطان عقد أية معاهدة مع أية دولة أخرى إلا بعد عرضها على المجلس التشريعي، وموافقته على ذلك، وعلى ألا تخل تلك المعاهدة بنصوص هذا الدستور.

المادة (٩٢): لا يجوز بأية حال تعطيل حكم من أحكام الدستور إلا أن يكون وقتيًّا، وفي زمن الحرب، أو قيام حالة الطوارئ.

المادة (٩٣): للسلطان والمجلس التشريعي اقتراح تنقيح أو تعديل أو حذف حكم أو أكثر من أحكام هذا الدستور، أو إضافة أحكام أخرى، ومع ذلك فإن الأحكام الخاصة بمبادئ الحرية والمساواة في الحقوق والواجبات، والباب الأول من هذا الدستور، لا يمكن اقتراح تنقيحها بحال من الأحوال.

المادة (٩٤): يعمل بهذا الدستور من تاريخ انعقاد المجلس التشريعي.

المادة (٩٥): على رؤساء إدارتنا تنفيذ هذا الدستور كل منهم فيما يخصه.

صدر بلحج في ١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥١م

سلطان لحج

المشاريع الزراعية في المحميَّات الغربية

مشروع القطن في أبْين (Abiyan Board)

تمتد أبْين شرق عدن حتى تصل إلى البريقة (عدن الصغرى). ويمتد ساحلها جنوباً على بحر العرب (خليج عدن) متصلاً بساحل العوالق السفلى إلى الواحدي ومنها إلى حضرموت والمهرة في إطلالة واسعة على بحر العرب (المحيط الهندي). وتتصل من ناحيتها الشمالية (من الغرب) لتحاذي العقربي ثم سلطنة لحج (العبدلي) ثم يافع السفلى ثم العوذلي ثم دثينة. ومن الشرق تحدها العوالق السفلى (هذا التقسيم كان في عهد الاحتلال البريطاني. أما بعد الاستقلال فصارت ضمن المحافظة الثالثة). وعاصمتها زنجبار، وميناؤها التاريخي شقرة.

وأبْين سهل مفتوح مثلث الشكل قاعدته ساحلها الممتد على المحيط الهندي، ورأسه (قمته) ممتد إلى جبال يافع السفلى. (عاصمته جعار والتي كانت تدعى خنفر والتي لها تاريخ طويل) [انظر خريطة المحميَّات الغربية]. ويغذيها وادي بنا ووادي حسان وكلاهما يجريان بالماء، وخاصة في موسم الأمطار في الصيف، من جبال اليمن الشمالي، آتيةً بالمياه الغزيرة والغرين (الطين) الذي يثري الأرض ويجعلها صالحة للزراعة.

وقد بنى اليمنيون القدماء سدوداً واستفادوا من هذه الأودية، ولكن العودة إلى الحروب القبلية وانهيار الدولة في القرون الأخيرة أدى إلى إهمال هذه السدود واندثارها، بما أدى إلى اندفاع السيول بالغرين إلى البحر وترك الأراضي بصورة عامة بوراً[١].

---

(١) T. Hickinbotham: *Aden*, pp 147 – 151

وعندما حدث نقص كبير في الأغذية بسبب الحرب العالمية الثانية (والمجاعة في حضرموت) فكر مدير الزراعة المستر برايان هارتلي بإقامة مشروع زراعي في أبْين وذلك منذ بداية الأربعينات من القرن العشرين. وبدأ بمبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني لاستصلاح سبعمائة فدان وذلك باستئجار الثيران، وبناء بعض السدود البسيطة وشراء البذور (التقاوي) ولكنه واجه مقاومة الأهالي الذين رفضوا التنازل عن أراضيهم (كانت مسرحاً للقتال بينهم وبين القبائل الأخرى).

وعند انتهاء الحرب كان استيراد الطعام ميسّراً وبأثمان رخيصة، ولكن مصانع لانكشاير في إنجلترا كانت تحتاج إلى القطن الطويل التيلة وبدأت في مصر، بل والسودان، حركات قوية للاستقلال. ولإيجاد بديل، ولو محدود، لذلك فكرت إنجلترا في زراعة القطن في أبْين ثم في لحج.

وقام المقيم البريطاني في عدن (الوالي) السير برنار رايلي بإصدار مرسوم بتكوين مجلس هيئة أبْين (Abiyan Board) عام ١٩٤٧م وقررت له ميزانية بمبلغ ٢٧٠,٠٠٠ جنيه استرليني أخذت قرضة من حكومة بريطانيا[١]. وكان مدراء المشروع والهيئة كلها من الإنجليز. وعندما تولى هيكنبوتم وظيفة المقيم في عدن والمحميَّات (الوالي) عام ١٩٥١م كانت قد تمت زراعة عدة آلاف من الأفدنة قطناً. وطلب من المواطنين وسلطان الفضلي ويافع السفلى المساهمة في المشروع. وظلت الإدارة والمجلس بكامله بيد الإنجليز فقط. وتم إيجاد مخازن ثم محالج للقطن في أبْين كما تم بناء عدة سدود، وعدة قنوات. ورغم ذلك كان هناك خلاف دائم بين سلطنة الفضلي وسلطنة يافع السفلى.

ونجح المشروع، رغم هذه الصعوبات، نجاحاً كبيراً واغتنى المزارعون، كما اغتنى مجلس الإدارة البريطاني، وعاش المهندسون والزراعيون والمدراء

(١) هيكنبوتم: المصدر السابق.

الإنجليز في بحبوحة، وبنوا لهم مستعمرة صغيرة على سفوح جبال يافع السفلى مما أثار الأهالي ضدهم. لقد كانت طريقتهم في الحياة وصخبهم وشربهم الخمور – صفعة للأهالي – كما يقول السير كينيدي بريفاسكس الذي خلف هيكنبوتم – (كما أنه كان المندوب السياسي للمحميات الغربية في عهده). وهذا ما أدى إلى القلاقل فيما بعد ضد هؤلاء الأجانب الكفرة الوقحين. وحسب قول تريفاسكس (Brash and offensive intruders)[١]:

وقد كانت هذه المجموعة الغريبة تعيش حياة البذخ على حساب العرب (المحليين) ومن أموالهم. وهذا ما استخدمته الحركة الوطنية لإلهاب الشعور ضد الإنجليز ثم استخدمه بعد ذلك صوت العرب من القاهرة في إثارة الجماهير ضد الإنجليز في عدن[٢].

وقد كان مجلس إدارة مشروع أَبْين إنجليزيًّا صرفاً في أول الأمر، ولكن تجنّباً للحساسيات الوطنية ترأس المجلس حاكم عدن والمحميَّات تريفاسكس مع ممثل لسلطنة الفضلي (النائب أحمد عبد الله) وممثل لسلطنة يافع السفلى (النائب محمد بن عيدروس) [٣] وأما بقية المسؤولين فهم من الإنجليز فقط، بما فيهم مدير الزراعة الإنجليزي والمهندسين ومدير المشروع.

وقامت حكومة لحج برئاسة السلطان علي عبد الكريم العبدلي بنقل المشروع، بعد دراسته وإرسال لجان لمتابعته في أَبْين، إلى لحج. ونجح المشروع في لحج أيضاً نجاحاً كبيراً. ومما ميّز مشروع السلطان علي عبد الكريم أنه لم يعتمد على الموظفين الإنجليز وجعل مشروعه لحجيًّا ومحليًّا. وبالتالي انخفضت

---

(١) K. Trevaskis: *Shades of Amber*, p 126–127

(٢) المصدر السابق.

(٣) النائب هنا بمعنى نائب السلطان.. ومحمد بن عيدروس هو ابن السلطان عيدروس العفيفي.

التكاليف انخفاضاً كبيراً. وهذا ما أدى إلى زيادة الأرباح وزيادة التوزيعات على المزارعين والمساهمين في المشروع.

وكان النائب الشاب محمد بن عيدروس، كما يقول تريفاسكس، كثير الأسئلة: لماذا؟ وكيف؟ حتى استطاع أن يعرف الكثير من تفاصيل مشروع القطن في أبْين. وبما أنه ممثل لسلطنة يافع السفلى، لم يستطع مجلس إدارة المشروع تجاهل أسئلته المحرجة. وبالتالي عرف أن مبالغ كبيرة جدًّا يأخذها هؤلاء الموظفون الإنجليز. ونتيجة لذلك كانت أرباح المزارعين والمساهمين في أبْين أقلّ بكثير مما يحصل عليه مزارعو لحج.

ثورة محمد بن عيدروس العفيفي

وقد ذكر تريفاكس تفاصيل كثيرة عن مناقشات وأسئلة محمد بن عيدروس، وكيف كان يحاول - بصفته رئيس المجلس - أن يجيب عليها. وأن يشرح للسلطان الشاب أن مشروع أبْين بُني من الصفر وبالتالي كانت التكاليف أكثر، وكانت الأخطاء تحدث. فمثلاً قد ينهار سد لأنه لم يبنَ بإحكام، وبالتالي تتم إعادة بنائه. وكذلك استيراد الآلات والخبراء.. إلخ. ولكن ذلك كله لم يقنع محمد بن عيدروس الذي كان على صلة قوية بحزب رابطة أبناء الجنوب وبالسلطان علي عبد الكريم سلطان لحج. وكانت صحيفة الرابطة «الجنوب العربي» تنشر تفاصيل اتهامات محمد بن عيدروس لمجلس إدارة مشروع القطن في أبْين حتى صار محمد بن عيدروس بطلاً شعبيًّا، ليس في وطنه يافع السفلى فقط، ولكن في كل الجنوب العربي. ومما زاد في شعبيته قيام محطة صوت العرب بإذاعة البيانات التي يصدرها مع تعليقات حادة ضد المستعمرين والمستغلين الإنجليز[١]. وصار محمد بن عيدروس بطلاً قوميًّا وخاصةً منذ عام ١٩٥٦م مما

(١) K. Trevaskis: *Shades of Amber*, p 117 – 120

اضطر تريفاسكس (الحاكم العام في عدن والمحميَّات) إلى طرده من بلاده، فذهب السلطان محمد بن عيدروس إلى الشمال ومنها إلى القاهرة وصار بعد ذلك من أبطال المقاومة.

وهذا يؤكد دور رابطة أبناء الجنوب في مقاومة المحتل البريطاني بالوسائل السياسية والعسكرية، والادعاء بأن الثورة المسلحة لم تقم إلا من ردفان ١٩٦٣م على يد الجبهة القومية ليس إلا ادعاء لا تسنده حقائق التاريخ النضالي لشعب الجنوب ضد الإنجليز، وسنوضح هذه النقطة في حينها بما تستحقه من التفصيل.

وقد بدأت الثورة كما يقول تريفاسكس بهجوم من اليمن (الشمالي) على عدة مناطق منها بيحان والعوذلي والضالع والفضلي والعلوي، وكلها يقوم بها ثوار من قبائل الجنوب وعلى رأسهم محمد بن عيدروس، السلطان الثائر، كما كان يسمى.

ويقول تريفاسكس أن الثورة مدبرة من السلطان علي عبد الكريم العبدلي ومن المصريين الذين يمدّون الثوار بالسلاح. وقال إن مقتل درويش في الضالع وثورة أهل الضالع أدت إلى ذهاب القوات البريطانية (أغلبها من قوات الليوي وحرس الحكومة وحرس القبيلة) إلى الضالع عبر لحج. ولكن رابطة أبناء الجنوب سيّرت مسيرات حاشدة ومظاهرات لتعوق تقدمهم إلى الضالع. وكان المتظاهرون يشتمون هؤلاء الجنود ويرمونهم بالحجارة ويصفونهم بالخونة[١].

ويقول: «وعندما احتججت على السلطان علي وعدم إيقافه هذه المظاهرات كان يقول: لا داعي لهذا الهياج على أشياء تافهة، فهؤلاء مجموعة من طلبة المدارس الصغار. دعهم ينفّسوا عن عواطفهم الوطنية لكي لا يحتبس البخار

---

(١) تريفاسكس: المصدر السابق، ص ١٢١.

فينفجر»[١]. ويقول: «وعندما أصدرت أوامري بتحرك قوات حرس الحكومة وأن يردوا على المتظاهرين ويفرقونهم (بإطلاق النار في الهواء) احتج عليّ السلطان علي بدلاً من أن يعتذر!!» [٢]. وكان احتجاج السلطان علي قويًّا جدًّا.

وبحلول عام ١٩٥٧م كانت الحركات المناوئة للإنجليز قد زادت في المحميَّات الغربية بسبب تواطؤ السلطان علي (كما يقول تريفاسكس) والرابطة وتهييجهم للقبائل والشعب. ورغم ذلك فإن الهجوم على بيحان والعوذلي فشل وثورة الضالع هدأت وكذلك منطقة مشيخة العلوي والقطيبي والمفلحي بعد أن قامت قوات الحرس الحكومي (التي صارت فيما بعد جيش الاتحاد الفيدرالي) بالقضاء عليها. وأما ثورة الفضلي فقد أمكن إخمادها بدون دماء[٣]. وبقيت يافع السفلى بقيادة محمد عيدروس معاندة وحروناً شموساً.

وقام محمد بن عيدروس، بعد خلاف مع مجلس إدارة مشروع أبْين والذي امتد ليصل إلى تريفاسكس، بالخروج من أبْين وجعار وارتفع إلى جبال يافع بعد أن عيّن تريفاسكس نائباً جديداً بدلاً منه.

وقام محمد بن عيدروس بالهجوم على الفضلي بمجموعة من القبائل الأشداء، واستطاع أن يستولي على خزانة أموال إدارة مجلس مشروع أبْين، كما أخذ معه كل حرس القبيلة (Tribal Guards) الذين انضموا إليه. وكان الشعب في يافع السفلى وفي الفضلي يؤيديونه[٤]. وأصبح محمد بن عيدروس بطلاً قوميًّا، وقامت صحيفة رابطة أبناء الجنوب في عدن بنشر أعماله ومجّدته بالبطل الأسطوري. ومن ثمّ قام «صوت العرب» من القاهرة بحملة تمجيد لمحمد بن عيدروس في حملته المعادية للاستعمار ومحاربة الإنجليز وأذنابهم.

---

(١) تريفاسكس، المصدر السابق، ص ١٢٢.
(٢) المصدر السابق، ص ١٢٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق، ص ١٢٤.

ويقول تريفاسكس إن غارات محمد بن عيدروس أثار الفوضى والفزع، وإن مشروع أبْين تعرّض لهزة كبيرة يمكن أن تؤدي إلى انهياره. ولكن روبرت يونج الضابط المسؤول عن المنطقة، استطاع - حسب كلام تريفاسكس - أن يخضع الثائرين وأن يعيد الهدوء إلى المنطقة وإلى أن يستمر مشروع القطن في أبْين بعد أن هدّده محمد بن عيدروس بالانهيار، ولم تعد هناك هتافات «يحيى محمد بن عيدروس... يحيى جمال عبد الناصر!!» (١).

وقد كتب قحطان الشعبي (أول رئيس لليمن الجنوبي) في كتابه «الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن» عن مشروع القطن في أبْين. وقحطان - رحمه الله - خريج كلية الزراعة من بخت الرضا في السودان، وعمل خبيراً في الزراعة في لحج، وكلامه يؤيد ما ذكره تريفاسكس عن السلطان محمد بن عيدروس الذي انتقد المشروع وتكاليفه الباهظة، واستغلال الإنجليز له. قال قحطان: «كان في الإمكان أن يستفيد هذا المشروع، ويستعين بالخبرات العربية في بعض أنحاء الوطن العربي وخاصة الجمهورية العربية المتحدة (المقصود مصر) وجمهورية السودان حيث يزرع نفس النوع من القطن (طويل التيلة). كما كان في الإمكان أن ترسل لجنة أبْين البعثات الطلابية من أبناء المنطقة إلى الخارج للدراسة والتخصص في النواحي العلمية والفنيّة التي يتطلبها المشروع، ولكن السياسة الاستعمارية حالت دون ذلك.

«ومما يدل على استهتار الإدارية الإنجليزية بالمشروع، أنها قامت ببناء عدة جسور (سدود) صغيرة للريّ تكلف كل منها على الأقل خمسين ألف شلن، في حين أن مثل هذه الجسور لا يتكلف كل منها أكثر من عشرين ألف شلن، لو وجدت المراقبة التامة والأيدي الفنية. ومع ذلك فقد تحطّمت هذه الجسور، ولم تستطع أن تصمد أمام السيل العارم، وأعيد بناؤها من جديد بنفس الطريقة، وجرفتها المياه مرة

---

(١) تريفاسكي، ص ١٢٤ - ١٢٥.

أخرى، وأعيد بناؤها ثالثة، وهكذا استمرّت العملية حتى الاستقلال.

«وفي عام ١٩٥٤م أدخل مشروع القطن إلى منطقة لحج، ولكنه كان في حاجة إلى خبرة فنيّة وإدارة ترعى مصلحة الشعب أولاً وأخيراً.

«ويوجد في أبْين ولحج محلجان لحلج القطن وتعبئته. ويعمل في كل من المحلجين ما يقرب من ألف عامل. كما أنشئ مختبر خاص يُسمى بمحطة الأبحاث عام ١٩٥٥م ويقوم بتحليل تربة الأرض ودراسة الحشرات والآفات الزراعية، وتوليد أنواع جديدة من القطن الطويل التيلة.

«ويقدّر محصول القطن في المنطقة كلها بحوالي أربعين ألف بالة سنويًّا. وتقدر أثمان القطن سنويًّا بحوالي مليونين من الجنيهات الاسترلينية كانت تذهب إلى الإنجليز وشركات الشحن التابعة لهم وللملاك الإقطاعيين في المنطقة».

وللإنصاف، فإن المزارعين استفادوا فائدة كبيرة وكذلك الأهالي والمساهمين. ولا شك أن الإنجليز استفادوا أكثر سواء بالنسبة لموظفيهم أو شركائهم أو حتى مصانعهم في لانكشاير، حيث كان يصنّع القطن إلى ملابس قطنية غالية الثمن وتوزع في أرجاء العالم.

مشروع القطن في لحج

بدأ مشروع القطن في لحج بعد نجاح مشروع أبْين في عهد السلطان علي عبد الكريم فضل (١٩٥٢ – ١٩٥٨م). وقد شهدت لحج في عهده تطوراً في مجال التعليم والزراعة والحياة المعيشية والثقافية بصورة عامة.. وكان الوحيد بين السلاطين الذي عارض سياسة بريطانيا في عدن ومحمياتها، ومدّ يد العون لأول حزب يشمل الجنوب العربي وهو حزب رابطة أبناء الجنوب[1] (وكان من المؤسسين غير الظاهرين لهذا الحزب).

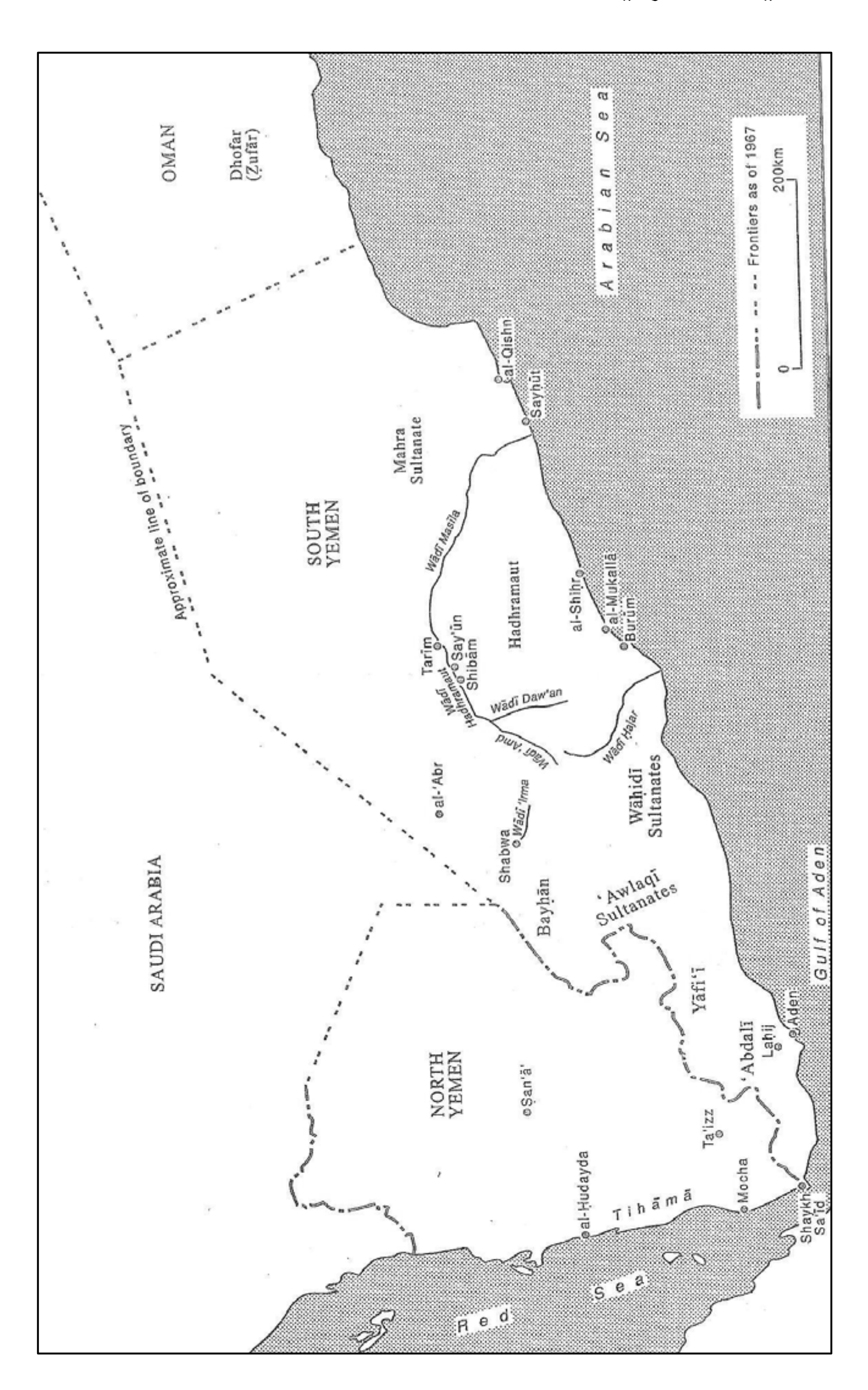
(١) حسن صالح شهاب: العبادل (١٧٣٢ – ١٩٥٩)، ص ١١٩.

وقام السلطان علي بالمشروع كاملاً دون الاستعانة بالإنجليز، ولذا نجح نجاحاً باهراً أكثر مما نجح مشروع أبْين. وكانت الأرباح التي توزع على المزارعين والمساهمين أكبر مما جعل النائب (نائب السلطان) محمد بن عيدروس يثور على مشروع أبْين وإدارته وسرقتهم للأموال وأخذ الإنجليز الحصة الأكبر من فوائده. كما أقام السلطان محلجاً للقطن. ورغم أن المساحة المزروعة قطناً في لحج كانت أقل بكثير من تلك المزروعة في مشروع أبْين (الفضلي ويافع السفلى) إلا أن الأرباح كانت أكثر بسبب حسن الإدارة وعدم إيجاد تكاليف الخبراء الإنجليز ومجلس الإدارة التي عانى منها مشروع أبْين والتي أسلفنا ذكرها. وقد ذكر تريفاسكس نفسه خطورة أن تبقى إدارة مشروع أبْين للقطن بيد الإنجليز فقط، وأن يكونوا دولة داخل الدولة (Imperium in imperio) واقترح إضافة أعضاء من العرب، بل واقترح أعضاء مجلس الإدارة من العرب أن يكون الإنجليز خبراء ومستشارين وناصحين (Advisors). وهو ما نفذه بدقة عندما كان المندوب السياسي والمستشار للمحميات الغربية[١].

---

(١) K. Trevaskis: *Shades of Amber*, p 127

المحميّات الشرقية



المحميّات الشرقية والغربية

حدّدت بريطانيا المحميَّات الشرقية إداريًّا من منطقة الواحدي إلى حدود سلطنة عمان في ظفار. وتمتد شمالاً قريباً من مأرب في اليمن الشمالية المحاذية لشبوة في سلطنة الواحدي إلى حدود السعودية (العبر منها إلى شروره ونجران). ثم الربع الخالي الممتد شرقاً حتى حدود عمان شاملاً بذلك واحة البريمي التي كان عليها تنازع بين عمان (ممثلة ببريطانيا) والسعودية (ممثلة بشركة أرامكو الأمريكية وسبب التنازع وجود النفط). وأما من الجنوب فتمتد من بيرعلي في الواحدي إلى رأس فرتك وخليج القمر حتى تصل قريباً إلى رأس مرباط في ظفار التابعة لسلطنة عمان. وهو ساحل طويل ممتد من الناحية الغربية إلى عدن ثم إلى الشيخ سعيد. وعليه عدة مواني هامة أهمها عدن ثم شقرة ثم بيرعلي فرأس بروم فالمكلا فالشحر فسيحوت.

وتشمل المحميَّات الشرقية الآتي (من الغرب إلى الشرق):

(١) **منطقة الواحدي**: وفيها سلطنة بيرعلي (على الساحل) وسلطنة عزّان وبالحاف. وفي الشمال الغربي منطقة شبوة التاريخية التي كانت عاصمة دولة حضرموت القديمة والغنية بالآثار وكمية جيّدة من البترول. وأقرب المناطق الشمالية إليها مأرب.

(٢) **السلطنة القعيطية**: وهي أكبر هذه السلطنات، بل هي أكبر سلطنة من ناحية المساحة والسكان في جميع المحميَّات الغربية والشرقية، وعاصمتها المكلا. وسيأتي الحديث عنها تفصيلاً.

(٣) **السلطنة الكثيرية**: ولها تاريخ قديم. وكانت دولة قوية عند دخول البرتغاليين ومحاولتهم الاستيلاء على الشحر عام ١٥١٧م ثم عام ١٥٢٣م (القرن السادس عشر الميلادي). وقد استطاع بدر أبو طويرق أن يصد هجماتهم

وأن يأسر عدداً منهم. وقد مرّ معنا في الجزء الثاني تفصيل الهجمات البرتغالية على الشحر. وقد ضعفت هذه الدولة ثم اختفت تقريباً وخضعت لحكم الأئمة من صنعاء، ثم عادت وتفككت إلى قبائل شتى. وعادت مرة أخرى مع عودة القعيطي من الهند حيث كان ثلاثة من هذه المنطقة قد وصلوا إلى مركز كبير في جيش حيدر أباد في الدكّن في وسط الهند. وجمع كل واحد منهم ثروة كبيرة، ثم حاول أن يقيم سلطنة في حضرموت، وهم: **عمر بن عوض القعيطي مؤسس الدولة القعيطية، وغالب بن محسن الكثيري، وعبد الله بن علي العولقي. وقد أقام كل واحد من الثلاثة دويلة. ولكن سلطنة العولقي زالت بعد هزيمته في غيل باوزير. وبقيت السلطنة القعيطية والكثيرية. وكان يحكم المكلا النقيب الكسادي. وبعد معارك متعددة وتدخل بريطانيا زالت دويلة الكسادي التي استولى عليها القعيطي.**

(٤) سلطنة المهرة وعاصمتها (قشن) وتتبعها سقطرى والجزر التابعة لها. وهي دويلة مستقرّة منذ مئات السنين رغم ما حدث بينها وبين الكثيري من معارك طاحنة في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر الميلادية. وقد ذكرنا شيئاً عنها عند الحديث عن سقطرى: أولها عند محاولة الغزو البرتغالي لسقطرى، وثانيها عند محاولة الكابتن هينس الاستيلاء عليها (قبل الاستيلاء على عدن)، ثم بعد ذلك معاهدة الحماية معها عام ١٨٨٦م. وقد ذكرنا نصّ تلك المعاهدة باعتبارها أول معاهدة حماية فيما يسمى المحميَّات الشرقية، بل هي أول معاهدة حماية في كل المحميَّات لأن ما سبقها كان معاهدات صداقة، كما ذكرنا سابقاً.

والآن إلى شيء من التفصيل:

السلطنة الواحدية[١]: تقع الأراضي التي تشملها السلطنة الواحدية على جانبي وادي ميفع. وتحيط بها الجبال والتلال من ثلاث جهات والبحر العربي من الجنوب، وطول شاطئها حوالي خمسين ميلاً (٨٠ كيلومتراً) من رأس الكلب إلى غربي بالحاف، حيث تبدأ أراضي الديبي.

وتقسّم هذه السلطنة إلى ثلاث مناطق: حبّان، وعزّان، وبيرعلي. فحبّان هي المنطقة الواسعة في أقصى الداخل وتقع بيرعلي على الساحل وتتوسطها عزّان. ومجموع مساحة هذه السلطنة ١٦٠ ميلاً مربعاً.

وأهم المدن (وهي أشبه بالقرى) **في منطقة حبّان** هي حبّان العاصمة والحوطة والروضة وجردان التي اشتهرت بالعسل الجيّد المماثل للعسل الدوعني.

وأهم مدن عزّان هي عزان وقدور ولحية. **وأما منطقة بيرعلي فهي مرافئ، وأهمها بيرعلي وبالقرب منه حصن الغراب التاريخي** الذي استخدمه الحميريون ونزلت فيه قوات سيف بن ذي يزن عندما أراد تحرير اليمن من الأحباش.

أما **بالحاف** فهي طريق بحري مفتوح وفيها مراسي عميقة. وتقع في وسط السلطنة آثار (النقب الهجر) على مرتفع من الجانب الأيمن من وادي ميفع. وقد كان هذا المكان في الماضي حصناً منيعاً للدول اليمنية القديمة ثم صار حصناً للبطالسة (اليونانيين من أتباع الإسكندر المقدوني الذين حكموا مصر من عاصمتهم الإسكندرية. وكان لهم أسطول بحري قوي وتجارة. وقد ذكرنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب علاقة الرومان واليونان بعدن وما حولها).

وهذه المنطقة كانت مستقلة عن سلطنة الواحدي، ولكن كل هذه المسميات من السلطنات والمشيخات زالت ابتداءً بتكوين اتحاد الجنوب العربي

---

(١) عبد الله الثور: وثائق يمنية: الجنوب اليمني، ص ٩١ – ١٠٠.

ثم انتهاء بقيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

وهناك محصولات زراعية في وادي ميفع الذي تتجمع فيه السيول وتكثر فيه الآبار وتنتج القمح والشعير الذرة والطهف (أنواع من الحبوب)، والنخيل، وأشجار الليمون، ولكن المساحة المزروعة محدودة.

ويعمل الأهالي في الزراعة، وفي الرعي، وهم بدو رحّل، ويقومون بحراسة القوافل والمسافرين لقاء أجر. وهؤلاء البدو لا يقبلون الديّة في حالات القتل (العمد)، ولا يعوض الدم إلا الدم. لذا تبقى الثارات سنين طويلة.

ويوجد بين سكان الواحدي عدد من الحضارم كتجار وعلماء دين وأئمة مساجد، كما كان بينهم عدد من اليهود. وقد كان في اليمن كلها يهود، وأكثر تواجدهم في الشمال في صعدة وريدة، ثم بعد ذلك في قاع صنعاء. وأما في الجنوب فكان أكثر تواجدهم في عدن (بلغ عددهم ثمانية آلاف سنة ١٩٤٧م قبل تهجيرهم وبعد الحوادث، ثم انخفض العدد إلى ألفين، ثم اختفوا تماماً قبل الاستقلال الذي تم في نوفمبر ١٩٦٧). وكان منهم أعداد غير قليلة في بيحان والضالع والواحدي وبعض مناطق حضرموت. ولكن هؤلاء جميعاً اختفوا قبل الاستقلال وتم ترحيلهم إلى إسرائيل منذ أحداث ١٩٤٧م (وزادت الرحلة قبيل الاستقلال).

وليس للسلطان نفوذ قوي على رعاياه، بل يشاركه في ذلك السادة وشيوخ القبائل. وللأشراف (السادة) نفوذ هائل على القبائل والرحّل والمقيمين، وهم الذين يسعون دائماً للصلح بين القبائل، كما أنهم يُعتبرون المراجع الدينية للمنطقة لأن كثيراً منهم درسوا العلوم الدينية والفقه والنحو. ومنهم معلمو الدين وأئمة المساجد والقضاة.

وقد توحّدت فخائذ قبائل الواحدي (حبتور والأسود والحريزي وباكتمى

وابن الأكسر... إلخ.) تحت سلطان واحد في يناير ١٨٨٥م وهو السلطان هادي بن صالح.

ويرجع اسم الواحدي إلى عبد الواحد الذي ينتسب إلى قريش واستولى على تلك المنطقة عندما ضعف حكم الأئمة وانشغلوا بمقاتلة بعضهم بعضاً في القرن الثامن عشر.

ولم تكن بريطانيا تهتم بهذه المنطقة، فلم يزرها أحدٌ منهم إلا في عام ١٨٧٠م عندما زارها ضابطان سياسيان واتصلا بالسلطان، وأقاما صلة صداقة، ومن ثمَّ زار سلطان حبّان عدن عام ١٨٧٢م.

وعندما دخل الأتراك اليمن للمرة الثالثة قام عزّت باشا والي اليمن بزيارة بالحاف وبيرعلي في طريقه من بغداد إلى الحديدة لاستلام منصبه الجديد، وذلك في بداية عام ١٨٨٢م وهذا ما أزعج بريطانيا، فقد حصل ناصر بن عبدالله أحد مشايخ بالحاف على علم تركي كان يرفعه فوق داره في كل يوم جمعة وعند اقتراب أي سفينة من المرفأ، ظنًّا منه أنه بهذه الطريقة سيتمكن من إيقاف بيع مرفأ بيرعلي إلى السلطان القعيطي.

واحتج المقيم البريطاني على رفع العلم التركي لدى سلطان حبان وعزان الذي أجاب بأنه لا سلطة له على بيرعلي، وأنه على استعداد لتجريد قوة لتأديبهم إذا ساعدته بريطانيا في ذلك.

وفي نهاية ١٨٨٥م زار سلطان بيرعلي وبالحاف هادي صالح عدن وتكرّرت الزيارات بعد ذلك إلى عدن، وقابلوا المقيم السياسي للمحميات الشرقية. وفي سنة ١٨٨٨ وبالذات في آخر أبريل، عقد المقيم البريطاني معاهدة حماية مع سلطان بالحاف وأخرى مع سلطان بيرعلي ومنح كلًّا منهما معاشاً سنويًّا قدره ١٢٠ ريالاً (أي عشرة ريالات فقط كل شهر.. يا بلاش!!).

معاهدة الحماية مع الواحدي في بيرعلي المعقودة في ٣٠ أبريل ١٨٨٨م[1]

وهي معاهدة بين حكومة بريطانيا – ويمثلها الجنرال آدم هوج – وعدد من سلاطين الواحدي (مشايخ قبيلة) عددهم ثمانية وأغلبهم من آل محسن. وتنص على الآتي:

المادة الأولى: إن الحكومة البريطانية نزولاً على الرغبة التي أبداها (محسن بن طالب بن محسن.. إلخ. وهم ثمانية أشخاص سلاطين قبيلة الواحدي يتعهّدون بوضع بيرعلي وملحقاتها الكائنة تحت سلطة سلاطينها وداخل حدودهم تحت حماية جلالة الملكة الإمبراطورة (فيكتوريا).

المادة الثانية: يوافق (هؤلاء الثمانية) بالأصالة عن أنفسهم وبالنيابة عن ورثتهم وخلفائهم بالامتناع عن الدخول في أي مراسلة أو اتفاقية أو معاهدة مع أية دولة أو حكومة أجنبية، إلا بعد إطلاع الحكومة البريطانية وأخذ موافقتها على ذلك. ووعدوا، إضافة إلى ذلك، بإعطاء إنذار فوري لوالي عدن أو لأي ضابط بريطاني آخر عن أية محاولة من أية دولة للتعرّض لبيرعلي وملحقاتها.

المادة الثالثة: يسري مفعول هذه المعاهدة من هذا التاريخ، وإشعاراً بذلك فقد وقّع عليها أدناه وختمها الأشخاص المختصّون. وذلك في بيرعلي في ٣٠ أبريل ١٨٨٨م.

إمضاء: الجنرال هوج ومجموعة الثمانية.

وتم التصديق عليها من حكومة الهند في فبراير ١٨٩٠م.

وفي سنة ١٨٩٠ – ١٨٩١م أعلن السلطان هادي بن صالح بأنه سيبيع مرفأ بالحاف، وأخبر حكومة عدن بذلك، فلم تبد رغبة في الشراء. فأخبرها بأنه

(١) عبد الله الثور: وثائق يمنية: الجنوب اليمني، ص ١٦٤ – ١٦٥.

سيبيع المرفأ إلى دولة أجنبية ما دامت ترفض هي شراء المرفأ. فضغطت عليه بريطانيا واضطرته إلى التنازل في يوليه ١٨٩٢م لأخيه الأصغر محسن بن صالح الذي اعترفت به حكومة عدن فوراً(١).

وفي مارس ١٨٩٣م أراد مشايخ القبائل بيع بالحاف، فحضر السلطان إلى عدن وطلب كمية من الأسلحة حتى يخضع القبائل، فرفض المقيم السياسي طلبه. وهنا أعاد الأعلام البريطانية المهداة إليه وهدَّد ببيع بالحاف. وعاد إلى وطنه وبدأ الاتصال بالفرنسيين. فأمرته حكومة عدن بالحضور إلى عدن، وتقديم خضوعه. فلما ذهب طردته القبائل، فلجأ إلى العوالق واستمر بالاتصال بالفرنسيين وتمكن من استيراد أسلحة فرنسية، فقامت حكومة عدن بالقبض على أخيه أحمد بن صالح وسجنته في عدن (مع أنه لا علاقة له بالموضوع ولكن هذه طبيعة بريطانيا الدولة الديمقراطية الأولى في العالم آنذاك**!!** تحكم بالسجن على رجل لأنه فقط أخٌ لغريمها)(٢).

وأقامت بريطانيا سلطاناً جديداً هو صالح بن عبد الله، فقام السلطان المخلوع حسين (محسن) بن صالح بمنعه من رفع العلم البريطاني، فأرسلت بريطانيا سفينتين حربيتين ومدفعية و١٥٠ من المشاة في سبتمبر ١٨٩٤م. وقُبِضَ على حسين بن صالح الذي أودع السجن في عدن. وجددت حكومة عدن معاهدة الحماية في ١٥ مارس ١٨٩٥م، وزادت ماهية السلطان إلى ٣٦٠ ريالاً سنويًّا (أي تضاعف المبلغ ثلاث مرات عما كان عليه). **وحصل سلطان بيرعلي على نفس الماهية الجديدة** (٣٦٠ ريالاً في السنة) (٣).

---

(١) عبد الله الثور: وثائق يمنية، ص ٩٧. وذكر في موضع آخر أن السلطان الجديد هو حسين بن صالح.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٨.

(٣) المصدر السابق.

وفي يونيه ١٨٩٨م تحطم زورق شراعي قرب بالحاف، فاستولى السلطان محسن على حمولته من النقود والمسكوكات، فعاقبته بريطانيا بتهديم حصنه، وأعادت السلطان إلى سجنه في عدن. وفي عام ١٩٠٥م باع السلطان صالح بن عبد الله حصته في مرفأ بالحاف إلى السلطان القعيطي، ورفض المسجونون في عدن ذلك بإيعاز من حكومة عدن، وبالتالي تمَّ منع هذا العقد(١).

وظلّت هذه المنطقة في شدٍّ وجذب إلى بداية القرن العشرين، عندما تم تجديد المعاهدات وزيادة المقررات السنوية.

السلطنة الكثيرية: (دولة آل كثير الأولى ٨٠٠ – ١١٣٠هـ)

كانت الدولة الكثيرية قديمة في حضرموت وحكموها مع دولة آل بن يمين. وكان من أشهر رجال الدولة الكثيرية بدر أبو طويرق (السلطان التاسع من بني كثير)، وقد دحر البرتغاليين في عدة مواقع، أهمها معركة الشحر الثالثة في ٥ رمضان ٩٤٢هـ/ ١٥٣٦م، وأسر عدداً منهم وأرسلهم إلى الدولة العثمانية (العليّة)، واعترف بها واعترفت به، على أن يرسل لها مبلغاً معيناً من واردات الدولة سنويًّا في مقابل الحماية والأسلحة الحديثة في ذلك الوقت. وشيّد بدر أبو طويرق أسطولاً حربيًّا وتجاريًّا للتجارة مع الهند. وارتفع شأن حضرموت في زمنه.

ولكن الدولة الكثيرية، كما هو معتاد في الدول الإسلامية عامة وفي اليمن خاصة، عانت من الحروب على السلطة بحيث ضعفت الدولة وأدّى العراك بين السلطان بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق وبين ابن أخيه بدر بن عبدالله بن بدر أبي طويرق إلى أن يستعين (العم) بدر بن عمر بالإمام المتوكل إسماعيل بن

---

(١) عبد الله الثور: وثائق يمنية، ص ٩٩.

القاسم، وإظهار المذهب الزيدي، مما نفَّر علماء حضرموت منه، فساندوا ابن أخيه بدر بن عبد الله واضطروا العم إلى التنازل لابن أخيه. فأرسل الإمام جيشاً عبر البيضاء ويافع الذين قاوموه فانتصر عليهم. ولما علم بدر بن عبد الله بذلك أعاد عمّه إلى الحكم في ظفار، وأمر بالخطبة للإمام وذلك سنة ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م. واشتكى العم بدر بن عمر مرة ثانية إلى الإمام من ابن أخيه، فأرسل الإمام إسماعيل بن القاسم جيشاً آخر سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م، وانهزم بدر بن عبدالله واستولت قوات الإمام على حضرموت، ولكن بقي الولاء لآل عبدالله الكثيري إلى آخر عهد السلطنة ونهايتها عام ١٩٦٧م.

واستعان أهل حضرموت بعد ذلك بجيش من يافع، وخاصة أن الشيخ أبا بكر بن سالم كان له تلاميذ من يافع أبرزهم الولي الشيخ علي هرهره، فقدمت قوات متعدّدة من يافع، واضطر الأئمة بسبب خلافاتهم الشديدة إلى الانسحاب من حضرموت ومن عدن وغيرها. وعادت حضرموت إلى عهد من الفوضى وحكم القبائل. **وحلّتْ قبائل من يافع مكان آل كثير: فآل لبعوس في تريم، وآل الظّبي في سيون، والبكري في مريمة، وآل الموسطي في شبام، والقعيطي في بلحروم، وآل الكسادي بالمكلا، وفي الشحر آل بريك، وكلها فروع قبائل يافع.** واستمر هذا الدور إلى سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٦٤م أي إلى بداية قيام دولة القعيطي ودولة الكثيري اللتين سيطرتا على جميع أراضي حضرموت. وكانت كل قبيلة، أو مجموع قبائل، تحكم منطقة معيّنة وتتحارب مع جيرانها.

مرحلة الفوضى والحكام المحليين

وفي هذه المرحلة (دور الفوضى والحكام المحليين) **كانت معظم مدن حضرموت تحكم بقبائل من يافع. وقد استمر هذا الدور من أواخر القرن الثاني عشر الهجري إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري.** ويضع فريد هيلم هارتويج

(Friedhelm Hartwig) (١) جدولاً بأسماء المدن التي حكمها آل يافع كالتالي:

اسم المدينة	العائلة	المدة	
الشحر	آل بريك	١١٦٥؟ - ١٢٨٣هـ/ ١٧٥١-١٨٦٦م	
المكلا	الكسادي	١١١٥؟ - ١٢٩٩هـ/ ١٧٠٣-١٨٨٢م	
شبام	الموسطي آل علي جابر	؟-١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م ؟-١٢٧٤/ ١٨٥٨م	بمعارك بين الجانبين
تريم	آل غرامة ابن عبد القادر الهُمام	؟-١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م ؟-١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م ؟-١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م	بمعارك بين الأسر الثلاث
سيون	الدبّي	؟-١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م	

ويبدو أن الذين حكموا الشحر والمكلا كانوا أكثر تنظيماً وقاموا ببعض الإصلاحات في الشحر وبنسبة أقل في المكلا. أما حكام الداخل شبام وتريم وسيون فكانوا في حروب وفوضى عارمة وعانت منهم البلاد والعباد. ولهذا قام السادة العلويون بالهجرة من هذه المدن إعلاناً لاحتجاجهم على الظلم والفوضى. ويذكر الكندي محمد بن علي باحنان في جواهر الأحقاف خمسة من زعماء السادة(٢) الذين هاجروا من مدنهم إعلاناً للاحتجاج، منهم السيد الإمام

(١) Friedhelm Hartwig: *Expansion, State foundation and reform*: *The contest for Power in Hadhramaut in 19th Century*. in U. Freitag & W. Clarence-Smith (editors): *Hadrami Traders, Scholars and Statesmen in the Indian Ocean*, (1750–1960s). Brill, Leiden - New York, 1997, pp 35 – 50

(٢) محمد علي باحنان الكندي، جواهر الأحقاف، ص ٢٢٠.

طاهر بن حسين (وفاته ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م) الذي خرج من تريم. وقتل السيد سالم بن أبي بكر من تريم عندما خرج منها. وهاجر مجموعة من السادة من شبام إلى الحوطة قبل سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م.

وكان السادة العلويون يطالبون بتحكيم الشريعة والالتزام بها، لأن ذلك كفيل بإنهاء الفوضى وتوطيد الأمن في البلاد ونشر السلام والعدالة، ولكن هذه الأسر اليافعية وغيرها من القبائل الحاكمة كانت تتحاكم إلى أعرافها القبلية، وإلى ما يفعله شيخ القبيلة أو كبير الأسرة.. وبما أنه لم تكن هناك إدارة ولا نظام دولة فإن الفوضى تؤدي إلى مزيد من الظلم.

محاولات الإصلاح وطاهر بن الحسين

وقد ذكر السيد محمد بن هاشم فصلاً **عن «بدء الجهود العلوية» في كتابه تاريخ الدولة الكثيرية**[١]. وقد جاء في أوله: «**وما ذكرناه من التلاعب السياسي والفوضى الاجتماعية وما سنذكره، إنما هو جزء من كل وقليل من كثير. ويكفي بعض هذا لأن يحدو بالسادة العلوية إلى الجهاد في سبيل إقامة دولة عامة تقضي على تلك الفتن السائدة في القطر وتريح أهله منه**».

وقال في موضع آخر[٢]: «**السيد الحبيب الحسين بن طاهر بن محمد بن هاشم العلوي، هو من أوائل السابقين إلى الهجرة فراراً من الظلم. فكانت هجرته سنة ١٢٠٨هـ قبل أن يستفحل الطغيان ويعمّ البلاد، وقبل أن يمتد محيط العدوان المؤلم الذي لا يطاق**».

---

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية (ج١)، أشرف على طبعه وقدّم له محمد علي الجفري (زعيم رابطة أبناء الجنوب فيما بعد) ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م (مات المؤلف قبل أن يستكمل الجزء الثاني)، ص ١١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٨.

طاهر بن الحسين

ثم قام ابنه الإمام طاهر بن الحسين يدعو إلى قيام دولة إسلامية. وكان يخطب الجمعة متقلداً سيفه ويدعو إلى الجهاد وإقامة هذه الدولة. وهو أمر مخالف لما كان عليه السادة العلويون منذ أن كسر الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي السيف، وابتعد العلويون منذ زمنه (القرن السادس الهجري) عن الحكم والسياسة، واشتغلوا بالدعوة والإصلاح بين القبائل المتحاربة حتى عرفوا بذلك. وكانت لهم المكانة باعتبارهم مرجعاً في الأمور الدينية، وقادة للإصلاح. ولكن، لما زاد الأمر ولم يعد هناك مجال للدعوة السلمية والإصلاح، ظهر فيهم في هذا الدور بالذات من يدعو بقوة إلى إقامة دولة إسلامية تجمع الأمة وتوحد أشتاتها، وتقيم العدل وتوقف الظلم. وكان من أعلام هؤلاء الدعاة السيد الحبيب طاهر بن الحسين العلوي (١١٨٤-١٢٤١هـ).

وقد نشأ نشأة دينية، ودرس على يد الحبيب أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد، وعن الحبيب حامد بن عمر، والحبيب عبد الرحمن بن علوي، والحبيب عيدروس بلفقيه، والحبيب عيدروس بن عبد الرحمن البار، وغيرهم كثير. وله مصنفات، منها: إتحاف النبيل بشرح حديث جبريل. ورسالة في علم الفرائض (المواريث). ورسالة في الفاتحة. وأجوبة عن مسائل شرعية. ووصايا عديدة وديوان نظم.

وبدأ أمره بالإصلاح، كما هو عادة سلفه. وأصلح بين الكسادي (حاكم المكلا) وابن بريك (حاكم الشحر) وبين آل مرساف وآل عبد الشيخ. ثمن انتقل بعد ذلك إلى قبول فكرة أن يتولى هو أمر حضرموت بعد إلحاح وجوه القوم عليه في ذلك، وخاصة عندما زادت الفتن ودخل بن قملا إلى حضرموت وأصبح كل فرد خائفاً على نفسه وماله وعرضه. وحمل الناس السلاح عام ١٢٢٠هـ[١].

(١) محمد بن هاشم: المصدر السابق، ص ١٣٦.

مبايعة طاهر بن الحسين

وفي أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٥هـ اجتمع أعيان السادة في مسيلة آل شيخ [١] ووقعوا على اتفاقية اختاروا بموجبها مبايعة السيد العلامة طاهر بن الحسين أن يكون رئيساً لهم، ويقومون معه لإقامة دولة العدل والإنصاف وينفذون فيها أحكام الشريعة الغراء على أنفسهم ومن رافقهم.

ثم اجتمعوا اجتماعاً آخر في آخر شهر محرّم سنة ١٢٢٦هـ وبايعوه على التعاون على البر والتقوى وإعلاء كلمة الله، وما اختلفوا فيه يردوه إلى الله ورسوله، وأن يكون أميرهم السيد القائم بالأمر طاهر بن الحسين بن طاهر، وأعطوه العهود من أنفسهم على الطاعة في المكره والمنشط.

وبايعه بنو تميم في غرة محرم الحرام ١٢٢٦هـ[٢]. وتحالف مع آل كثير [٣] على الثورة على الباغي، وأنهم سيقفون ضد أي مبطل ويمنعون عنه، ما استطاعوا، المدد من المال والرجال حتى يرعوي.

ولكن القبائل من آل تميم رجعوا إلى عرفهم القبلي ورفضوا تحكيم الشريعة عندما حدثت حادثة بجوار المسيلة [٤]، فحاول الإمام طاهر بن الحسين إلزامهم بما عاهدوا عليه، ولم يقبلوا إلا بعد اجتماع وتوسط وكتبوا وثيقة أخرى بينهم فيها تفصيل لمثل هذه الحوادث وأحكامها. وبايعه آل جابر [٥].

---

(١) محمد بن هاشم: المصدر السابق، ص ١٣٧.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٠.
(٣) المصدر السابق، ص ١٤٣.
(٤) المصدر السابق، ص ١٤٤ – ١٤٥.
(٥) المصدر السابق، ص ١٤٦.

تخلف القبائل وخلع نفسه

ولكن، للأسف، تخلّف رجال القبائل عن عهودهم. ورجال القبائل، وخاصة في اليمن بأكمله شماله وجنوبه، زيدية وشافعية، لا يمكن استمالتهم إلا بالمال، ويمكن أن ينقضوا عهودهم إذا توقف هذا المال. والسيد طاهر بن الحسين بن طاهر لم يكن يملك منه إلا القليل وأغلبه من أموال المتبرعين له من السادة وغيرهم في المهاجر.. «ولما رأى طاهر بن الحسين تباطؤ المبايعين وتخاذلهم وشاهد من فساد الأحوال ما ينوء بالمشروع ويسبب له الفشل ترجّح لديه أن يخلع نفسه من هذه المبايعة». وعيّن لهم رجالاً يرجعون إليهم لحلّ مشاكلهم وكتب لهم عهداً طويلاً ذكره بنصه السيد محمد هاشم [١]، (وهو من أحفاد السيد طاهر بن الحسين). وكانت وفاة السيد طاهر بن الحسين بمسيلة آل شيخ سنة ١٢٤١هـ.

اتصال العلويين بمحمد علي باشا [٢]: كاتب العلويون محمد علي باشا في مصر وطلبوا منه أن يمدّهم بجيش يقيم الأمن في البلاد والعدل بين العباد، ولكن ظروف محمد علي باشا وحروبه الكثيرة حالت دون ذلك. فالتجأ السادة العلويون إلى إمام اليمن (ولم يكن اختلاف المذهب عائقاً لهم في ذلك لأنهم يعرفون أن هذه الخلافات المذهبية محدودة، فالإمام زيدي وهم شوافع، ولكن مطلبهم هو الحكومة الإسلامية العادلة، والمذهب لم يعد مهمًّا في مثل هذه الظروف الحالكة)، ولكن الإمام نفسه كان في حروب متعددة، ولم يمكنه إسعافهم.

ويقول فريدهلم هارتويج (Friedhelm Hartwig) [٣]: لقد كانت جهود السادة في هذه المرحلة متواصلة لإقامة دولة تقوم على الشريعة الإسلامية، التي

---

(١) محمد بن هاشم: المصدر السابق، ص ١٤٨ – ١٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥١.

(٣) F.Hartwig: *Expansion, State foundation and reform*، مصدر سابق، ص ٤١ –٤٨.

ستحلّ، في رأيهم، هذه المشاكل والفوضى والظلم. ولم يكتف السادة بدورهم التقليدي في الدعوة والإرشاد والصلح بين القبائل. لكنهم هذه المرّة حملوا السلاح، وتحالفوا مع القبائل التي وافقتهم على الإصلاح، ومن ضمنهم بعض فخوذ قبائل يافع، بل اتصلوا بالقوى الخارجية (محمد علي باشا والدولة العثمانية وإمام اليمن) في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بل اتّصل بعض السادة بالحركة السلفية (الوهابية) على اعتبار أنها تدعو لإقامة الشريعة ودخل ابن قملا (من نجد) إلى حضرموت، ولكنه نفّر الناس منه بإحراقه الكتب وهدمه للقبور وتكفيره لعامة الناس وخاصتهم.

وقد فشلت هذه الجهود كلها ولم تبدأ الحركة الفعلية لقيام دولة تضبط الأمن وتنظم الإدارة إلا بعد مجيء القعيطي والكثيري.

ويمكن تقسيم هذه الأدوار إلى ثلاثة:

(الأول) ما بين ١٨٠٣-١٨٤٣م وهو دور الصراعات ومحاولات السادة العلويين الإصلاح.

(الثاني) ما بين ١٨٤٣-١٨٤٩م وهو بداية دور حيدر أباد وظهور عمر بن عوض القعيطي وغالب بن محسن الكثيري (آل عبد الله الكثيري).

(الثالث) ١٨٥٠-١٨٨١م الصراع بين القعيطي والكثيري لإيجاد دولة لكل منهما. واستخدام المال والرجال. وقد أيّد السادة العلويون غالب بن محسن الكثيري وأمدّوه بالمال والتوجيه والدعاية.

ثم جاء دور **التحالف بين القعيطي وبريطانيا منذ ١٨٨١م وذلك ما رجّح كفة القعيطي، رغم أن الكثيري اتصل بالدولة العثمانية. وفي إحدى المراحل أمدوه ببعض الجنود من الحجاز واليمن، ولكن بريطانيا احتجت لدى الباب العالي. وامتنعت تركيا عن التدخل فصفا الميدان للقعيطي حليف بريطانيا.**

الهجرة إلى الهند

كانت الهجرة إلى الهند من حضرموت قد بدأت منذ فترة مبكّرة بسبب العلاقات التجارية بين البلدين. وعندما هجم البرتغاليون على الشحر وجدوا عدداً من البانيان الهندوس فيها، كما أن عدداً منهم اشترك في المقاومة الشعبية الأولى، مما يدل على عمق العلاقات بين البلدين (وقد أشرنا إلى ذلك في فصل «البرتغال» في الجزء الثاني من هذا الكتاب).

وهاجر كثير من الحضارم إلى الهند. وكان للسادة منهم دور كبير في الهند وخاصة في سورت وهي مدينة هامّة وتصدّر المنسوجات القطنية وقليل من الحريرية إلى اليمن وغيرها. وكان أغلب سكانها من المسلمين وحاكمها مسلم. وقد احتفى الحاكم المسلم بهؤلاء السادة باعتبارهم من نسل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وباعتبارهم علماء في الدين، واشتهر بعضهم بالزهد، وكان غالبيتهم على خلق عالٍ وكرمٍ فائض. وتزوّج بعضهم من بنات الأمراء فارتفعت مكانتهم. ومن هؤلاء: السادة آل العيدروس وآل الحداد، وغيرهم.

كما هاجر إلى الهند مجموعة من التجار وعدد من الجنود وخاصة من قبائل الكثيري والقعيطي والواحدي، وكانت وجهتهم حاكم حيدر أباد الدكّن النظام (Nizam) الذي كان يتمتّع بحكم ذاتي على جميع مقاطعته الكبيرة (انظر الخريطة). ورغم أن أغلب السكان في الهضبة الهندية كانوا من الهندوس إلا أن النظام حاكم حيدر أباد كان مسلماً. وكان الجنود من حضرموت يتمتّعون باللياقة البدنية والشجاعة الفائقة والإخلاص للحاكم، كما اشتهروا بدقة التصويب في الرمي. وباندراجهم في عسكر النظام، تعلّموا الأساليب العسكرية، وتعلّم كثير منهم الأمور الأخرى، وصاروا على ثقافة عالية. ولهذا ترقّوا في جيش النظام حتى وصلوا إلى رتبة جمعدار، وهي رتبة قائد فرقة. وكان في جيش النظام ما يقرب من ستة آلاف من الجنود الحضارمة (أغلبهم من يافع

الذين استوطنوا حضرموت) ومن آل الكثيري، ومجموعات من العوالق. وذكرت بعض المصادر أن عددهم في الهند بلغ عشرة آلاف جندي.

ولم يكن هؤلاء الجنود يعملون فقط في جيش النظام المسلم في حيدر آباد، بل استخدمهم بعض حكام الهند من المهراجات، وخاصة في المحافظة والدفاع عن القلاع التي اشتهروا بها. وكان في جيش السلطان بهادر شاه (١٥٢٦-١٥٣٧م) عشرة آلاف عربي، كثير منهم من يافع والمهرة.

حيدر أباد الدكن

كانت الهند، قبل دخول الإنجليز، تحكم بعدة دول، أهمها: (١) الدولة التيمورية المغولية (نسبة إلى تيمورلنك). وقد حكم أحفاده أفغانستان، ونزلوا منها إلى شمال الهند الذي كان قد فتحه المسلمون بالتدريج منذ عهد الشاب محمد بن القاسم الثقفي الذي بعثه الحجاج بن يوسف ففتح السند (وبالذات ما يعرف اليوم بباكستان). ثم جاء محمود الغزنوي (التركي الأصل) من غزنة في جنوب أفغانستان وفتح شمال الهند بشكل واسع. ثم تتالت الدول الإسلامية في البنغال (شمال شرق الهند) وامتدّت إلى غربها. واستطاعت الدولة التيمورية (المغولية) أن تكون أعظم تلك الدول الإسلامية، وأعظم رجالها أورنك زيب، وهو آخر رجالها المهمين. ثم ضعفت هذه الدولة وظهرت إمارات كثيرة، منها: إمارة حيدر أباد. وكان حاكمها النظام مسلماً. واستطاعت شركة الهند الشرقية البريطانية أن تمدّ نفوذها منذ بداية القرن السابع عشر رويداً رويداً حتى احتلت معظم مناطق القارة الهندية، إما احتلالاً مباشراً وهو النادر، أو احتلالاً بمعاهدات الحماية والتجارة، وهو الأغلب.

ورغم أن حيدر أباد كانت تقع في وسط الهند، إلا أن حاكمها المسلم (النظام) ظل مسيطراً على الأمور رغم أن غالبية السكان كانوا من الهندوس الذين كانوا يؤيدونه لسماحته. وفي القرن الثامن عشر الميلادي (ما بين عامي

١٧٦٦ و١٨٠٠م) امتد النفوذ البريطاني إلى إمارة حيدر أباد الكبيرة والواسعة (كان سكانها آنذاك أكثر من عشرة ملايين) وذلك عبر مجموعة من المعاهدات التجارية ثم معاهدات الصداقة ثم معاهدات الحماية. ورغم أن النظام كان يحكم حيدر أباد بحرية في شؤونه الداخلية، إلا أنه كان مقيّداً بالنسبة لأي اتصال خارجي. كما فرضت عليه بريطانيا أن يقبل بفرقة كبيرة من الجيش البريطاني (وهو خليط من الضباط الإنجليز والجنود الهندوس والمسلمين وبعض العرب). وكان على النظام أن يدفع كل تكاليف هذه الفرقة، وأن ينصاع في كثير من الأحيان لتوجيهات المستشار السياسي البريطاني. وكان عليه أن يدفع لبريطانيا مبلغ ثلاثمائة ألف جنيه استرليني سنويًّا. وهو مبلغ كبير في ذلك الزمان (كان الجنيه الاسترليني يساوي جنيهاً من الذهب)، فتأثرت ميزانية الإمارة وبدأت تعاني من المشاكل الاقتصادية. واعتبرت بريطانيا هذه المبالغ ديوناً على هذه الإمارة الإسلامية ثم تدخلت مباشرة لاستيفاء هذه الديون (١٨٤٣-١٨٥٣م) مما أدى إلى ثورات أهلية متعددة ضد الإنجليز [(١)]. وكانت تستعين بموظفين من الهندوس في شؤونها المالية.

وفي حيدر أباد الدكن ظهرت المجموعات العسكرية الحضرمية وتولى القعيطي والكثيري والعولقي، كلّ واحد على حدة، قيادة فرقة كاملة. وقد ذكرت عدة مصادر باللغة الفارسية التي كانت تستخدم في الهند أثناء الحكم الإسلامي وجود جنود عرب في إمبراطورية بهماني والسلطنات التي أتت بعدها (القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر) [(٢)].

---

(١) R. Gavin: Aden Under the British Rule (1839–1967), pp 158–162

(٢) Omar Khalidi: *The Hadhrami Role in the Politics and Society of Colonial India* (1750–1950) pp 67–81, in Hadrami Traders, Scholars and Statesmen in Indian Ocean 1750 – 1950 s Editors, U. Freitag and W.G. Clarence – Smith, Publisher Brill, Leiden – New York, 1997



خريطة للهند توضح حيدر أباد الدكن والتي يحكمها النظام، وهي منطقة واسعة في وسط الهند، وكانت شبه مستقلة ما عدا العلاقات الخارجية. كما توضح مدينة سورت في الشمال الغربي من الهند التي توطنها الحضارم، ومدينة بونا، ومدن المالبار (في الجنوب الغربي)، وخاصة كاليكوت والتي كانت على علاقة وطيدة منذ أقدم الأزمنة بعدن وحضرموت واليمن عامة.

بعض علماء الحضارم في الهند

وتُوفي العلامة الشيخ محمد بن عمر بحرق صاحب المؤلفات الكثيرة وتلميذ الإمام أبو بكر عبدالله العيدروس (العدني) في الهند في مدينة أحمد أباد في إقليم كوجرات (جوجرات Gujarat) بعد أن هاجر إليها واحتفى به أميرها. وكانت وفاته سنة ٩٣٠ هـ [وقد سبق ترجمة حياته في الجزء الأول من هذا الكتاب في فصل الإمام العيدروس (العدني) ومسجده عند ذكر تلاميذ (العدني)].

كما توفي في مدينة سورت في شمال شرق الهند (شمال بومباي) أيضاً في إقليم كوجرات العلامة الداعية إلى الله السيد علي بن عبدالله العيدروس، صاحب المشهد الشهير في مدينة سورت (Surat). ورثاه صديقه الإمام عبد الله بن علوي الحداد المتوفى سنة ١١٣٢هـ بقصيدة مطلعها:

ذكَرَ العهـد والرّبـا والمنـازلْ فغدا دَمْعُهُ عـلى الخـدِّ سـايلْ
وذكَتْ من فؤادِهِ نـارُ وجْـدٍ واشــتياقٍ ولوعــةٍ وبلابــلْ

ثم ذكر تريم ومغناها وأحبابه، فقال:

والأحبّــة والمحبّــين والســا دات من فاضلٍ وابن فاضلْ
مثل نجلِ العفيفِ شيخٌ كريمٌ من كريمٍ ما إن لهُ مـن مُماثـلْ
الحبيبُ القريبُ حِسًّا ومعنًى الشريفُ المنيفُ زينُ الشمائلْ
عيدروسُ الزمانِ فردُ العصرِ نـورُ المكـانِ صـدرُ المحافـلْ
بحرُ علمٍ وطودُ حلمٍ مُنيـفٍ ومــلاذٍ للــضُّعفا والأرامـلْ
وجــوادٌ ســمحٌ زكــيٌّ وفِيٌّ أريحــيٌّ للَّـــهِ داعٍ وعامِــلْ

إلى آخر القصيدة المثبتة في الديوان.

وقد رثى الإمام الحداد أيضاً أخاه السيد العلامة الحامد بن علوي الحداد، وجماعة من السادة آل أبي علوي الذين توفوا في أرض الهند في أوقات متقاربة بعد طول الإقامة بها. ومطلعها:

مرّتْ لنا بالحِمى المـأنوسِ أعيـادُ مع الأحبّةِ لـو عـادتْ ولـو عـادُوا

وفيها يقول:

هذا الزمانُ وهذا الـدهرُ عادتُـهُ فينـا وفي غيرنـا بـينٌ وأنكـادُ
إنّ الحوادثَ لا تُبقي عـلى أحـدٍ وللكـريمِ قنـاةٌ لـيس تنـآدُ

ثم يقول:

لَـهْفي على غرباءِ الدارِ حين ثَوَوْا ولم يُطيفـوا بهـمْ أهـلٌ وعـوّادُ
مـن آلِ طَـهَ وآلِ المُرتـضَى ومـنَ الزهراءِ البتولِ لقصرِ المجدِ قد شادُوا
أعـزَّةٌ في الـذُّرى مـن هاشـم وعن الكتابِ والسُّنّةِ الغرّاءِ ما حادُوا
يموتُ ميّتُهُمْ من حيثُ شاءَ فـأرْ ضُ اللَّـهِ واسـعةٌ والقـومُ أمجـادُ
أبكـيهمُ بـدموعٍ عـلَّ سـائِلَها يبـلُّ مـن جمـراتِ القلـبِ أيعـادُ

إلى آخر القصيدة المُثبتة من ديوان الحبيب عبدالله الحداد.

ومن آل العيدروس العلماء الأجلاء: السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس صاحب الكتب العديدة، ومنها: كتاب «النور السافر عن أخبار القرن العاشر». وكتاب «غاية القرب في شرح نهاية الطلب». وكانت وفاته في الهند. ومنهم عبد القادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ العيدروس، وله كتاب «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» مطبوع مع كتاب إحياء علوم الدين، وكانت وفاته بالهند. ومنهم السيد عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس (٨٨٧- ٩٤٤هـ) الذي طلبه السلطان مظهر بن محمود في الهند، وبقي هناك فترة ينشر العلم والدعوة إلى الله، ثم عاد إلى مكة وعدن وتريم. وكانت وفاته بتريم سنة ٩٤٤ هـ.

ومنهم العلامة الشاعر السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب (١٢٦٢ – ١٣٤١هـ) الذي توطن حيدر أباد الدكن. وهو من المتأخرين وعاش إلى العشرينات من القرن العشرين (١٩٢٣م)[1]. ووجود الحضارم ودورهم في الهند يكاد يكون مجهولاً إلا لقلّة من المختصين ويحتاج الأمر إلى رسائل دكتوراه وماجستير من شبان الحضارمة، أو من غيرهم، ليحقّقوا هذا التاريخ. وقد ظهرت عدة كتب عن دور الحضارمة في إندونيسيا وماليزيا، وإن كانت غير كافية، إلا أنني لم أقف على كتب عن دورهم في الهند. وهناك بضعة مؤلفات عن دورهم في شرق إفريقيا، لكن المكتبة العربية تكاد تكون خالية عن دورهم في الهند التي منها انطلقوا إلى ماليزيا وإندونيسيا.. إلخ.

---

(١) السيد أبو بكر بن شهاب ولد في تريم سنة ١٢٦٢هـ ووفاته بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٤١هـ. اشتهر بحدة الذكاء. وقد لامه أستاذه في دروس الفرائض (المواريث) لعدم انتباهه أثناء الدرس فأتاه في اليوم التالي بمنظومة كاملة في علم المواريث وقال في آخرها:

وعذر من لم يبلغ العشرينا   يُقبل عند الناس أجمعينا

وصارت هي مرجعاً وشرحها بعض العلماء. وكان شاعراً مبدعاً وله آراء في إصلاح الأوضاع والتعليم في حضرموت جعلت المشايخ ينفرون منه، فاضطر إلى الهجرة واستقرّ به المقام في حيدر أباد. وقد أصلح بين القعيطي والكثيري سنة ١٢٩٤هـ. وفي الحرب العالمية الأولى كان مثل ابن عبيدالله ميالاً إلى الدولة العثمانية، فحاولت بريطانيا أن تغريه بالمال فرفض، وكان ذلك من أسباب خروجه من حضرموت.

الحضارم في الجيوش في الهند

استخدم البريطانيون في شركة الهند الشرقية في جيوشهم الحضارم أيضاً، ولكن بصورة نادرة ومحدودة. وكان جيش شركة الهند الشرقية البريطانية أو جيش حكومة عموم الهند البريطانية يخشى بأسهم وشجاعتهم وصبرهم على القتال. وكان الجنود الهنود يخافونهم خوفاً شديداً. ولهذا عمدت بريطانيا إلى المدافع والأسلحة الأحدث عندما يكونون في مواجهتها، وهو أمر نادر على أي حال.

واشتهر ثلاثة رجال من حضرموت في جيش حيدر أباد الدكّن وصلوا إلى مراتب عالية وهم:

(١) عمر بن عوض القعيطي (من قعطة حضرموت).

(٢) غالب بن محسن الكثيري.

(٣) عبد الله بن علي العولقي.

وجمع هؤلاء ثروات كبيرة جداً، حيث كان النواب والنظام يعطونهم، بالإضافة إلى معاشاتهم الكبيرة، أراضي زراعية، فكانت تدرّ عليهم دخلاً إضافيًّا. وبما أن الهندوس الأثرياء كانوا يقرضون الناس بالربا الفاحش، فقد قاموا بهذه المهمة أيضاً، وإن كان بنسبة ربا أقل. وإذا لم يدفع المدين دينه مع الأرباح الربوية، وكانت له أرض أو أملاك وعقارات، فإنهم يستولون عليها بسبب قوتهم العسكرية، أو يبقونها رهينة لديهم حتى يدفع. وهو أمر لم يكن بيد الأثرياء من الهندوس. ولهذا فقد استعان بهم هؤلاء الأثرياء في استرداد أموالهم من المماطلين ممّن عليهم ديون لهم. وكانت قوّتهم العسكرية كفيلة بتسديد الدين في أقرب فرصة مع بقاء أرضه وأملاكه رهينة في يدهم.

ولما عرف بعض تجار الحضارم بذلك أعطوهم الأموال لكي يستثمرونها

في هذا المجال المربح (وهو ربح حرام)، فازدادت بذلك ثروات هؤلاء الثلاثة بالذات. وكان أكثرهم ثراء الجمعدار عمر عوض القعيطي[(١) (٢)].

وقد استطاع في السابق قائد عربي (جمعدار) عام ١٧٤٧م أن يقيم مقاطعة مستقلّة تحت حكمه في منطقة مانجرول (Mangrol) واستمرت أسرته وسلالته في الحكم لمدة قرنين من الزمان[(٣)] ولم تنته إلا بإعلان استقلال الهند وإلغاء الإمارات المختلفة.

وفي منطقة ماراثا (Maratha) عمل حوالي خمسة آلاف جندي في جيش تلك الإمارة. وفي أثناء حكم بشوا بلاجي راو (Peshwa Badaji Rao) (١٧٤٠-١٧٦١م) عمل عدد كبير من العرب في جيشه. وقد ذكر عمر الخالدي في بحثه عدداً غير قليل من الولايات الهندية التي استخدمت العرب كجنود وقواد للفرق العسكرية منذ القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر[(٤)]، وأغلب هؤلاء العرب من حضرموت ومن يافع ومن المهرة.

ويذكر الماجور برتون (Major Burton)، أحد القواد البريطانيين في الهند، الجنود العرب فيقول: «في منطقة بشوا (بونا) (Poona) Peshwa[(٥)] ومنطقة بيرار راجا Berar Raja كان هناك ستة آلاف من هؤلاء العرب الذين لم يكونوا منظمين، ولكن كل واحد منهم كان جندياً صلباً وقويًّا وشجاعاً. وكان أمراء الهند يسعون لاستخدامهم ويعتمدون عليهم في بقاء إماراتهم، لأن قواتهم

(١) Omar Khalidi: *The Hadhrami Rule in the Politics and Society of Colonial India* (1750–1950) op. cit. pp. 67 – 81.

(٢) السيد محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٤٠١ – ٤٢٨.

(٣) Omar Khalidi، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٧ – ٨١.

(٥) انظر الخريطة المرفقة.

الهندية كانت تفرّ بمجرد ملاقاة مجموعة ولو صغيرة من العرب. وحتى في قواتنا البريطانية لم يكن شيء يثير الرعب والفزع في قلوب جنودنا الهنود مثل مظهر هؤلاء العرب في ميدان القتال، وخاصة عندما لا يكون معهم عدد من الضباط الإنجليز الذين يفرضون عليهم الثبات ويمدونهم بالأسلحة الحديثة التي تفوق تلك التي مع العرب »[١]. ويقول عن هؤلاء العرب: «ربما لا يوجد في العالم جنود أكثر صلابة وأشدُّ شراسة في القتال من هؤلاء العرب الذين لا يتزحزحون عن مواقعهم، مهما أصابتهم الجراح. ويبقى العربي ثابتاً وهادئاً طوال فترة القتال طالما كانت له أقدام تحمله»[٢].

لهذا كان الجندي العربي يستلم أعلى مرتب في المجموعات المنضمّة إلى جيوش هؤلاء الأمراء المحليين. ففي القرن الثامن عشر كان الجندي العربي يستلم ١٨ روبية شهريًّا يليه البرتغالي ١٥ روبية، يليه الهندستاني سيبوي ٨ روبيات، وأخيراً الجندي من مراثا ومن الدكا (Moratha and Daccani) ست روبيات فقط.

وعندما استطاعت بريطانيا إكمال سيطرتها على الهند في ماراثا (Maratha) عام ١٨١٨م اتجه العرب إلى حيدر أباد لأنها كانت تتمتع باستقلالية في أمورها الداخلية، كما كانت المساحة التي يحكمها أميرها النظام (Nizam) واسعة وتكاد تكون دولة داخل الدولة.

ومن المجموعات العربية التي لجأت إلى نظام حيدر أباد ظهر عمر بن عوض القعيطي. ووصل عدد العرب في ولاية حيدر أباد الدكن عام ١٨٤٩م إلى خمسة آلاف جندي وضابط. ولم يكن جيش حيدر أباد مركزياً بل كان مكوناً

---

(١) المصدر السابق، ص ٧١.

(٢) المصدر السابق.

من فرق عدّة، وكل فرقة لها نظامها ورئيسها مع سلطات واسعة. وكان تحت كل رئيس ما بين مائة وألف جندي.

وكما أشرنا من قبل، كان الجمعدار (رئيس فرقة) يملك دخلاً كبيراً، يعطيه الأمير أو الوزير الأول أرضاً فيستغلها وتزداد ثروته. كما أن الحضارم الآخرين يعطونه ما لديهم من أموال ادخروها ليقوم بتسليفها للتجار أو حتى للدولة وذلك ضمن نظام ربوي لم يكن يتورع عنه هؤلاء العسكر، وبالتالي كان في إمكان الجمعدار أن يجمع أموالاً طائلة. ولم يكن المستلف (المستدين) يستطيع أن يماطل لأن خصمه ضابط وعنده مجموعة كبيرة من العساكر تستطيع أن تصادر أرضه أو أملاكه الأخرى أو على الأقل تجعلها رهينة حتى يدفع الدين مع الأرباح المقررة[١]. وكان العرب يُستخدمون أيضاً لحماية أي شخص ذي نفوذ. وحتى أثرياء الهنود المرابين كانوا يستخدمونهم، للضغط على المستدينين حتى يدفعوا الديون التي عليهم مع أرباحها أو يواجهوا المصادرة أو السجن على أيدي هؤلاء الجنود العرب الذين يستخدمهم الثري المرابي. وبحلول ١٨٥٤م لم يكن هناك شخص ذو نفوذ أو مال أو مكانة في حيدر أباد لا يستخدم عدداً من هؤلاء العرب الجنود الأشاوس والمخلصين لمن يستخدمهم ويدفع الثمن. وكان الأمراء والمسلمون في حيدر أباد الدكن أقليّة بالنسبة لجماهير الهندوس الذين تحت حكمهم، فكان لا بد لهم للشعور بالأمن من استخدام هؤلاء العرب والإغداق عليهم بالعطايا حتى يستمرّوا في إخلاصهم وتفانيهم في الحفاظ عليهم وخدمتهم. وسعدوا بالحياة في هذه الجنات الخضراء والقصور والثراء والألقاب التي لم يعرفوها في بلادهم الجرداء[٢].

(١) المصدر السابق، ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٥.

لهذا لم يكن من المستغرب أن يقوم ثلاثة من هؤلاء الضباط الكبار (الجمعدار) بالتفكير (كُلٌّ على حدة) في إقامة دولة أو دويلة في بلده حضرموت. وذلك لأن صلته بقبيلته لم تنقطع.. وكانت حضرموت تمدُّهم بالمزيد من الجنود، ويمدّونها هم بالمال لبقية الأهل ولأفراد العشيرة والقبيلة. وبدأ هؤلاء الثلاثة (كلٌّ على حدة) بشراء الأراضي في حضرموت والتوسع فيها وبناء الحصون في منطقته من أبناء قبيلته. وكان هؤلاء الثلاثة: عمر بن عوض القعيطي وغالب ابن محسن الكثيري وعبدالله بن علي العولقي طموحين لإيجاد دويلات لهم في حضرموت.

وحاولت حكومة بريطانيا في الهند أن تمنع الهجرة الحضرمية بعد أن ازداد نفوذهم إلى حدٍّ مزعج لها. فطردت الحضرمي الولاياتي (أي المولود في حضرموت)، ولم تستطع أن تطرد المولّدين لسببين (أولهما) أنهم من مواليد الهند (وثانيهما) أن أمهاتهم هنديات. ولكنها وضعت نظاماً شبيهاً بنظام جوازات السفر الحاليّة، وبدأت تضايق المهاجرين الجدد، ما عدا الشخصيات البارزة، مثل الحبيب السيد جعفر العيدروس (١٨٣١ – ١٩٢٨م) الذي استقدمه واستقبله النظام بنفسه (أمير حيدر أباد) لعلمه وتقواه ونسبه الشريف. ولا تزال ذرية هذا السيد العيدروس موجودة في حيدر أباد وفي غيرها من مناطق الهند إلى اليوم ولهم دور ديني بارز في تلك المناطق[١].

وحدثت ثورة ضد شركة الهند الشرقية عام ١٨٥٧م في شمال ووسط الهند. وبما أن دلهي ولكنو وغيرها من المناطق كانت في ثورة يقودها مسلمون، فإن قادة الثورة تطلّعوا إلى إخوتهم في حيدر أباد، وطلبوا من هؤلاء الجنود العرب أن يقاتلوا معهم الإنجليز.. بل كان النظام (الأمير) والوزير (الديوان) تحت

(١) المصدر السابق، ص ٧٦.

ضغط شديد من المجاهدين لينضمّوا إليهم ضد الإنجليز[١]. وكانت خُطب الجمعة تدعوهم إلى الانضمام إلى المجاهدين وتسخر وتحذّر من هؤلاء المنافقين أو من الذين يحاربون مباشرة في صف الفرنج الكفّار وسخروا من الأمير ووزيره عندما رفضا قتال الإنجليز ودعوهما إلى أن يلبسا الأساور والزينة النسائية ويقعدوا في البيوت مع الحريم. أما إذا قاتلوا مع النصارى «فأنتم منهم وإلى الجحيم وبئس المصير».

وعندما اتصل بعض أهل الدكّن من الثوار بالجمعدار الحضرمي المسلم، كان يعتقد جازماً بأنه سيرحّب بالانضمام إلى الثوار المسلمين، إلا أنه صُدم عندما أخبره الجمعدار قائلاً «إننا لم نأت إلى هنا (أي الهند) إلا لنجمع المال. لم نأت إلى هنا للحرب من أجل الدين!!»[٢]. وقام الوزير الأول بإرسال فرقة من العرب لحماية دار المقيم السياسي البريطاني في حيدر أباد، وفي النهاية استطاعت القوات البريطانية أن تقضي على المتمردين، كما تسمّيهم. واستفاد أمير حيدر أباد (النظام) باستعادة بعض أراضيه التي كانت بريطانيا قد أخذتها منها، وكوفئ الجمعدار عمر بن عوض القعيطي بأخذ الأسلحة التي يرغب فيها من مخازنهم في عدن ويرسلها إلى حضرموت وذلك سنة ١٨٦٦م. وقد أدرك هؤلاء الضباط أهمية الوقوف في صف بريطانيا، ليس فقط لأن أميرهم النظام هو في صفّ بريطانيا، ولكن أيضاً لأنهم يخطّطون لإقامة دويلاتهم في حضرموت. وهو أمر لا يمكن أن يتمّ إلا بموافقة بريطانيا التي استولت على عدن وبدأت تمدّ حكمها

---

(١) كل الثورات التي قامت ضد الإنجليز في الهند كانت من المسلمين لأنهم كانوا هم حكام أغلب المناطق وتضرروا بوجود الإنجليز، فكان من الطبيعي أن يثوروا ضدهم، بينما استفاد كثير من الهندوس بوجودهم، فتلاقت المصالح، وأدى ذلك إلى اضطهاد المسلمين والضغط عليهم.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٨.

إلى المناطق المجاورة.

وقام الوزير الأول والأمير بتحديث الجيش وبنائه على أسس حديثة منضبطة، وعارضت بريطانيا أول الأمر خشية أن ينقلب ضدّها، ولكنها أدركت أن الغرض من هذا الجيش تدعيم الحكم المحلي لا غير. وكان العرب، بطبيعة الحال، من ضمن أفراد هذا الجيش الجديد المنظّم تنظيماً حديثاً وذلك منذ عام ١٨٥٩م.

وفي عام ١٨٨٤م حدث شجار بين العرب والبوليس في احتفالات شهر المحرم مما أدى إلى صدام واضطُر رئيس البوليس نواب أكبر جانج إلى الفرار من المدينة كلها إلى دار المقيم البريطاني. وعندما نزل الجيش الحديث استسلم القائد القعيطي الذي نفي إلى (بونا) (Poona)، ولكن الأمير النظام عفا عنه، فعاد إلى حيدر أباد بعد هذا التأديب والعقاب.

وألغيت المحاكم الخاصة بالعرب (Qadati Urab) بعد ثلاثة عقود من تكوينها، وصار العرب يتحاكمون مثل غيرهم إلى محاكم الدولة، وفقدوا معظم نفوذهم وصاروا مواطنين عاديين ما عدا بعض السادة أصحاب النفوذ الديني.

بداية تكوين الدولة القعيطية[(١)]

ينتمي آل القعيطي إلى يافع. وقد نزحوا من جبل يافع إلى حضرموت ضمن بطون يافع التي جلب طلائعها السلطان بدر بن عبدالله في محاربته للإمام المتوكل إسماعيل الذي هجم على حضرموت لنصرة واليها بدر بن عمر الذي أعلن انتماءه إلى المذهب الزيدي، فعزله ابن أخيه بدر بن عبدالله بمؤازرة العلماء والقبائل.

وعندما ضعفت الدولة الكثيرية وكادت أن تتلاشى استولى كثير من بطون يافع على المناطق أو القرى التي كانوا فيها، كما استولى شيخ كل قبيلة على منطقته، وعمّت الفوضى في حضرموت.

وقد استوطن آل القعيطي قرية (لحروم) في (وادي عمد). وبها **ولد ونشأ وترعرع عمر بن عوض القعيطي (الجمعدار)**. ثم انتقل منها وهو يتيم فقير إلى شبام، ثم هاجر إلى الهند وهو يافع، حيث انتظم في سلك الجندية بمنطقة (ناكبور) ثم انتقل إلى حيدر أباد الدكن حيث بلغ أعلى رتبة عسكرية آنذاك وهي رتبة جمعدار. وجمع ثروة كبيرة كما أسلفنا.

وكان أبناء قبيلته ينضمّون إليه في خدمة النظام مع غيرهم، كما كانت الرسائل بينه وبين (القعطة) في حضرموت لا تتوقف. ثم لجأ إليه بعد ذلك عدد من العشائر اليافعية الأخرى. وأعرب له وفد من بطون يافع قدم إلى الهند، بأنهم

---

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، جدة، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٤٠٤ – ٤٠٩

يرونه الزعيم المنقذ لهم من القبائل الأخرى، وخاصة آل كثير، وأنه بحكمته وكرمه وقوته العسكرية يستطيع أن يجمعهم ويقيم بهم دولة، فقبل منهم ذلك وتطلَّع إلى إيجاد دولة قوية في حضرموت تلمُّ شعثها وتجمع متفرقها، وتوحد صفوفها، وتقيم الأمن والعدل في ربوعها، بدلاً من الفوضى والتمزق والظلم، وعدم وجود رادع للأفراد أو القبائل. فأمدّهم بالمال والسلاح والرجال. ورغم أنه كان المؤسس للدولة القعيطية إلا أنه لم يزر حضرموت منذ أن غادرها في أول شبابه. وكانت وفاته في حيدر أباد سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م عن عمر جاوز الثمانين عاماً[١].

وتولى بعده ابنه **عوض بن عمر القعيطي** الذي كان المؤسس الفعلي في أرض الواقع. وهو الذي استطاع أن يستولي على المكلا واستطاع أن يخرج منها الكسادي الذي كان يعرف بالنقيب (والكسادي أيضاً من بطون يافع). وبدأت بريطانيا بالتعرّف على ساحل حضرموت بسبب ظهور الأتراك في اليمن، واتصالهم بشيوخ حضرموت وحكامها الصغار. **ففي عام ١٨٤٥م إلى ١٨٥٠م حاول الأتراك إخضاع حضرموت لسيطرتهم وخاصة أن الكثيري كان ميّالاً إليهم، ولكن بريطانيا احتجّت لدى الباب العالي (اسطمبول)**. وكانت تركيا في حاجة شديدة لدعم بريطانيا لها في أوربا، وخاصة في معاركها مع روسيا والبلقان، فقامت بإيقاف محاولاتها تلك استرضاء لبريطانيا العظمى سيدة البحار وأكبر دولة استعمارية في العالم[٢].

---

(١) وما أثار غضبه ما فعله السلطان منصور بن عمر الكثيري، حيث دبر تفجير دار معمر ووضع رجاله دبّة من البارود، وفي جوفها فتيلة ووضعوها سرًّا في مدخل الدار فانفجرت ودمرت الدار بكل من فيها من الأطفال والنساء والرجال. ومن بين القتلى عمّتا الجمعدار عمر بن عوض القعيطي (تاريخ الدولة الكثيرية لمحمد بن هاشم، ١٩٤٨، ص ١٦٨ – ١٦٩). واشتدت بعد ذلك المعارك مع رجال عمر بن عوض القعيطي ومنصور بن عمر الكثيري حتى تم قتله غيلة في شعبان ١٢٧٤هـ.

(٢) عبد الله أحمد الثور: وثائق يمنية: الجنوب اليمني، ص ١٠٩ – ١١٠.

في أواخر عام ١٨٥٥م زار المقيم السياسي في عدن الجنرال كوجلان ميناءي الشحر والمكلا، وبدأ التقرب إلى رؤساء تلك المناطق. وفي عام ١٨٦٣م عقد معاهدة مع نقيب المكلا تمنع تجارة الرقيق[(١)].

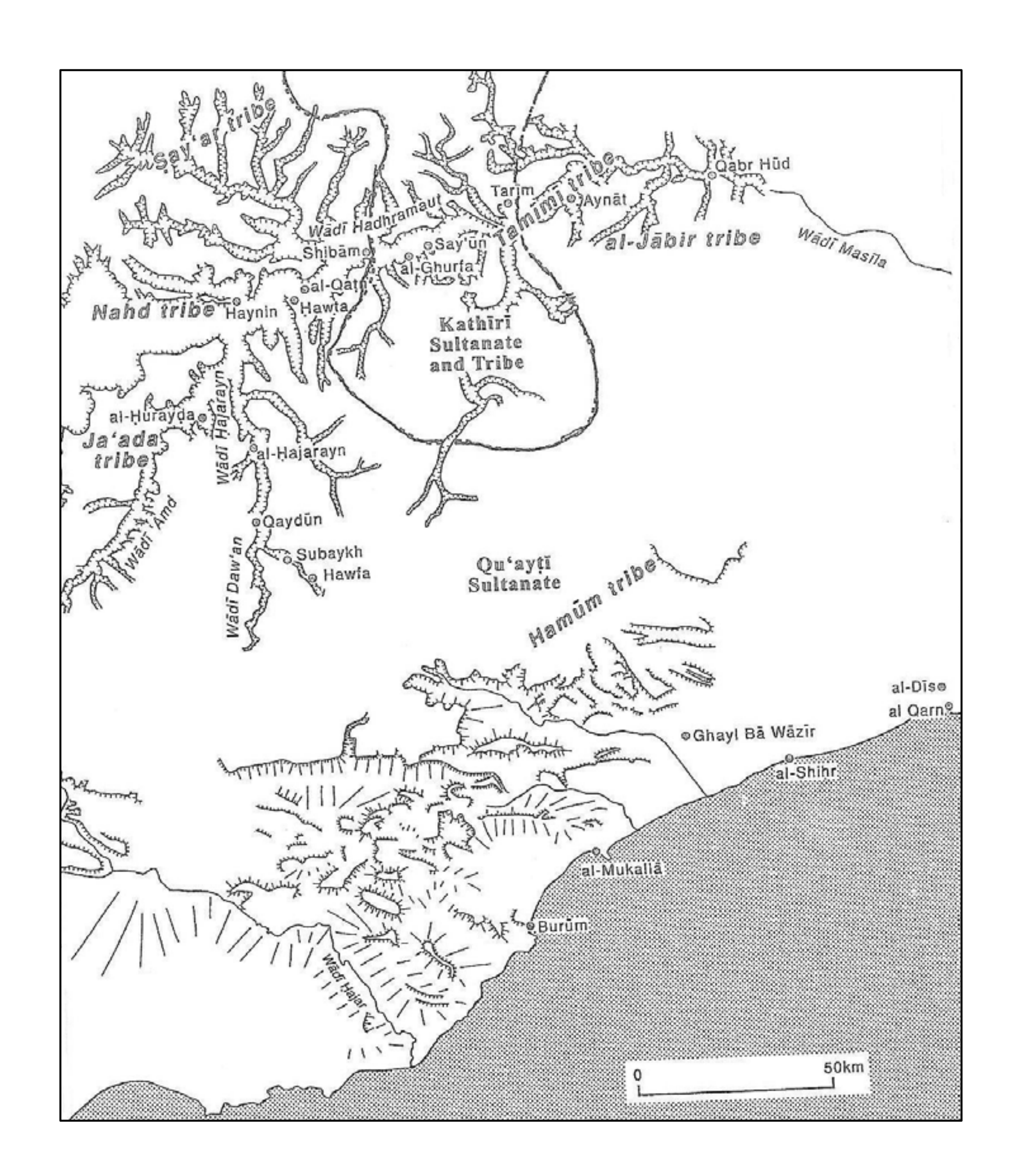
وفي خلال هذه الفترة كان الإنجليز يتدخّلون لإيقاف النزاع بين القعيطي ونقيب الكسادي، وبين القعيطي والكثيري الذي كان يحكم الشحر. ثم استطاع القعيطي أن يستولي على الشحر. ولما اشتد النزاع بين القعيطي والكسادي، قرّر الإنجليز مؤازرة القعيطي لموقفه في صفّهم في الهند أثناء الثورة الإسلامية التي مرّ ذكرها، والتي حدثت سنة ١٨٥٧م فوقف القعيطي مع الإنجليز وكان لموقفه أثر بارز في تحقيق النصر للإنجليز ضد الثوار المسلمين. وقد استطاع القعيطي أن يستولي على المكلا وأن يطرد منها النقيب الكسادي في عام ١٨٨٣م والذي أخذته بريطانيا وأرسلته إلى زنجبار في شرق إفريقيا معزّزاً مكرّماً[(٢)].

وفي عام ١٨٨٨م جاء المقيم السياسي البريطاني من عدن إلى المكلا وعقد مع السلطان الجمعدار عوض بن عمر القعيطي معاهدة حماية، وتم التصديق عليها من قبل حكومة الهند البريطانية عام ١٨٩٠م[(٣)].

وقد تدخلت بريطانيا في النزاع بين الكثيري والقعيطي ووقعت بينهما معاهدة سلام وحسن جوار وذلك في عام ١٨٩٨م. وفي تلك الاتفاقية قبل الكثيري أن تشمله معاهدة الحماية التي أبرمت بين بريطانيا والقعيطي عام ١٨٨٨م[(٤)].

---

(١) (١) عبد الله أحمد الثور: وثائق يمنية: الجنوب اليمني، المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.



خريطة حضرموت

وتوضح الخريطة منطقة الكثيري وما عداها هو السلطنة القعيطية

معاهدة الحماية مع القعيطي المعقودة في أول مارس ١٨٨٨م

إن الجنرال آدم جورج هوج، والي عدن (المقيم السياسي في عدن) وعبدالله ابن عمر بن عوض القعيطي بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن أخيه عوض بن عمر القعيطي قد اتفقوا وعقدوا المعاهدة التالية:

المادة الأولى: نزولاً عند الرغبة التي أبداها الموقعون أدناه عبدالله بن عمر القعيطي، بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن أخيه عوض بن عمر القعيطي تتعهد بوضع المكلا والشحر بملحقاتها تحت حماية جلالة الملكة الإمبراطورة (فيكتوريا).

المادة الثانية: وافق السلطان عبدالله بن عمر بن عوض القعيطي بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن أخيه عوض بن عمر القعيطي، وعن خلفائهم وورثته وورثتهم وأقربائهم بالامتناع عن الدخول في أية مراسلة، أو اتفاقية، أو معاهدة، مع أية دولة، أو حكومة أجنبية إلا بعد اطلاع الحكومة البريطانية وأخذ موافقتها. ووعد إضافة إلى ذلك بإعطاء إنذار فوري لوالي عدن أو لأي ضابط بريطاني آخر عن أية محاولة من أية دولة للتعرض للمكلا والشحر أو لملحقاتها.

المادة الثالثة: يسري مفعول هذه المعاهدة من هذا التاريخ. وإشعاراً بذلك وقّع عليها أدناه وختمها الأشخاص المختصون وذلك في الشحر في أول مارس ١٨٨٨م.

إمضاء: عبد الله بن عمر القعيطي (سلطان المكلا والشحر)

آدم جورج هوج والي عدن.

وتم التصديق عليها في ٢٦ فبراير ١٨٩١م.

ويبدو من هذه المعاهدة أن القعيطي كان قد استولى على الشحر من

الكثيري. والذي كان بدوره قد استولى عليها من بن بريك (من بطون يافع أيضاً).

وكان القعيطي مستعداً لحماية بريطانيا له وإيجاد علاقات معها، بينما كان الكثيري معارضاً لذلك، ويقيم اتصالات مع الدولة العليّة (الدولة العثمانية)، ويشجّعه في ذلك كثير من سادة تريم وسيون. ولهذا دعمت بريطانيا القعيطي وجعلته يستولي على معظم أراضي حضرموت، وحرمت الكثيري من مواقعه على الساحل بحيث انحصر في مدن الداخل فقط.

الثلاثة الذين قدموا من الهند وأسسوا دويلات

وكانت الشحر أولاً تحت حكم آل بريك ولكن الكثيري استطاع أن يخرجه منها وأن يحلّ محله، وقامت معارك طويلة متعددة بين الكثيري والقعيطي الذي حاول أن يحتلّ الشحر حتى ساعدته بريطانيا في ذلك فاحتلّها.

ووقف كثير من السادة في تريم وسيون ضد إقامة تحالف مع بريطانيا ومعاهدات حماية، وكان الكثيري يحتاج إلى دعم السادة له لتأثيرهم البالغ على القبائل هناك.

لهذه الأسباب مجتمعة أيدت بريطانيا القعيطي، وإن كان ذلك التأييد حذراً أول الأمر، ثم ازداد التأييد، ثم حاولت بريطانيا أن تقوم بدور المصلح بين الفريقين. وهي بالفعل تؤيد القعيطي، حتى رضخ الكثيري واعترف بمعاهدة الحماية التي وقّعها القعيطي عام ١٨٨٨م. وتم ذلك الاعتراف من الكثيري بعد عشرة أعوام من توقيع القعيطي أي عام ١٨٩٨م.

وقد ذكرنا الثلاثة الذين قدموا من الهند بأموالهم ورجالهم إلى حضرموت لتأسيس دولة لكل واحد منهم، وهم **عمر بن عوض القعيطي وغالب بن محسن الكثيري وعبد الله بن علي العولقي**. وكان لهذا الأخير حصن عظيم شرق غيل

باوزير وانتهى أمره بالاستسلام بعد أن حاصره عوض بن عمر بن عوض القعيطي حتى استسلم، وخرج من حضرموت وانتقل إلى زنجبار في شرق إفريقيا. وانتهت دولته سريعاً.

واستمرت المعارك بين **عوض بن عمر القعيطي** (ابن المؤسس عمر بن عوض الذي مات في حيدر أباد ولم يزر حضرموت بعد أن غادرها شاباً يافعاً) وبين آل الكثيري، وعلى رأسهم غالب بن محسن الكثيري الذي تجمع حوله آل كثير والشنافر بعد اغتيال منصور بن عمر الكثيري. وكان من أسباب ثورة آل يافع تفجير دار معمر وقتل كل من فيه في عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م بما فيهم عمّتاه.

ولم يستطع القعيطي أن يقضي على الكثيري، رغم استيلائه على الساحل كله بما فيه كل الموانئ الهامة (الشحر وبور والمكلا والحامي والديس). وقد وزر للقعيطي رجل قوي وعالم وداهية هو السيد حسين بن حامد المحضار الذي استطاع أن يكسب القبائل في دوعن ووادي عمد وحجر بن دغار ووادي ميفع وريدة آل عبد الودود وجزء من بالحاف وغيرها إلى جانب القعيطي، وبذلك رجحت كفّة القعيطي، ولم يبق مع الكثيري إلا منطقة محصورة في الداخل هي سيون (العاصمة) وتريم والغرف والغرفه، وتريس وبور، بينما تشمل منطقة القعيطي كل الساحل من بير علي (الواحدي) إلى سيحوت في المهرة وتمتد في الداخل لتشمل وادي دوعن ووادي عمد وجزءاً كبيراً من وادي ميفعة الممتد إلى الواحدي بالإضافة إلى شبام والقطن. أي أن معظم حضرموت كانت بيد القعيطي. **(انظر الخريطة)**.

وكان جيش القعيطي مكوناً من قرابة ثمانية آلاف مقاتل مع أسلحة حديثة وبعض المدافع، ومعظم جنده من قبائل يافع الذين هرعوا إليه (بل هم الذين حثّوه على القدوم من الهند، فأرسل الأموال وأرسل ابنه عوض مع الرجال

والسلاح)، ومجموعة من الهنود الذي أرسلهم من حيدر أباد، وكانوا تحت إمرته، ومجموعة من العبيد المقاتلين الذين اشتراهم. ولكن عمود قوّته قبائل يافع، والمال الذي كان يشتري به الأراضي والقلاع ورؤساء القبائل، وبعد ذلك دعم بريطانيا له.

وقد دافع السلطان غالب بن محسن الكثيري الذي قدم أيضاً من الهند بالرجال والأموال (ولكنها أقل بكثير مما قدّمه القعيطي) عن أرض آبائه وأجداده وخاصة في تريم وسيون. وحقّق بعض الانتصارات في الداخل، بل وأحياناً في الساحل، إلا أن قوة القعيطي وأمواله ودعم بريطانيا له جعلت له اليد الطولى. ومع هذا لم ترغب بريطانيا في دعمه لدرجة أن يستولي على حضرموت بأجمعها حتى لا تزداد قوته، وحتى يبقى محتاجاً إليها.

وقد قسّمت حضرموت إلى سبعة ألوية فكانت ستة منها من نصيب القعيطي وواحد فقط من نصيب الكثيري. ولم يبق للدولة الكثيرية أي منفذ بحري، وبالتالي كانت البضائع والمسافرون إلى الداخل لا يمكنهم العبور إليها إلا بعد أن يدفعوا العشور للقعيطي.

ورغم ذلك كله استمر النزاع على السلطة عند وفاة السلطان، سواء أكان ذلك في الدولة القعيطية أو في الدولة الكثيرية. وهو أمر مؤلم لم تخلُ منه أي دولة إسلامية منذ نهاية عهد الراشدين إلى اليوم، وسواء أكانت تلك الدولة صغيرة أم كبيرة إلا أنه يوجد في بعض الأحيان من يتنازل عن الحكم بسبب تديّنه وزهده، وتأثره بالعلماء الأعلام الزاهدين المعروفين باسم الصوفية. وهم مع ذلك قليل.

سلاطين القعيطي

١) المؤسس: **عمر بن عوض القعيطي** وتوفى بالهند عن عمر ينوف على الثمانين في حيدر أباد سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م ولم يزر حضرموت بعد خروجه منها في شبابه.

٢) **عوض بن عمر بن عوض القعيطي**: المؤسس الفعلي. وهو من مواليد الهند، ولكنه عاد مع الأموال والجنود الذين أرسلهم والده، وأسَّس السلطنة فعلاً، وهو الذي عقد معاهدة الحماية مع بريطانيا عام ١٨٨٨م، وتوفي بالهند سنة **١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م** بعد أن قضّى حياته في معارك مع الكثيري وغيرهم. وكانت مدة ولايته حوالي ثلث قرن. وهو أول من لُقب بالسلطان. كما تمت المعاهدة مع الكثيري عام ١٨٨٩م.

وقد وقّع الكثيري أيضاً على معاهدة الحماية مع الإنجليز التي كان القعيطي قد وقعها سنة ١٨٨٨م.

٣) **غالب بن عوض القعيطي**: تولى بعد وفاة والده ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، وبقي في الحكم إلى حين وفاته سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.

وفي عهده أبرمت معاهدة صداقة وتعاون بعدن بينه وبين آل الكثيري (وقد انقسموا إلى واحد يحكم تريم والآخر يحكم سيون) وهما محسن ومنصور ابني غالب الكثيري وذلك سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م. وعقد هؤلاء أيضاً معاهدة حماية مع بريطانيا وبموجبها توقفت الحروب بين السلطنتين المتحاربتين وبدأ إدخال الأنظمة الإدارية والمالية والعسكرية، والقيام بحفظ الأمن.

٤) **عمر بن عوض القعيطي**: وهو أخو السلطان غالب بن عوض وتولى بعد وفاة أخيه سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م. ولم تكن في عهده أحداث تذكر. وكانت وفاته سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

٥) **صالح بن غالب بن عوض القعيطي**: تولى بعد وفاة عمه عمر بن عوض سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م وقد اشتهر بالعلم الواسع في العلوم الهندية (الحساب والرياضيات) والفلك والتصوير وكان مشاركاً في العلوم الشرعية واللغة العربية. تولى الحكم وقد ناهز الستين.. وقد بدأ بإصلاح الإدارة والأنظمة والتعليم والقضاء، ولكن بريطانيا فرضت عليه نظام الاستشارة وذلك عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م فحدَّت من إصلاحاته، وكانت وفاته سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

معاهدة الاستشارة بين بريطانيا والسلطنة القعيطية (١٣ أغسطس سنة ١٩٣٧م)[١]

«بما أن حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة وسمو السلطان صالح بن غالب القعيطي سلطان الشحر والمكلا يرغبان أن يقويا العلائق الوديّة الكائنة بين حكومة جلالة الملك والسلاطين القعيطيين من زمن طويل، وبما أن سمو السلطان صالح بن غالب يرغب في تقدم وترقية مملكته، وبما أن حكومة جلالة الملك ترغب في تأييد وتقوية سلطة ومقام السلطان، فحكومة جلالة الملك عينت السير برنارد رايلي. ك. س. م. ج. س. أ. أ. و. ب. أ. الوالي والقائد الأكبر في محمية عدن أن يعقد معاهدة لهذا الغرض.

البند الأول:

تقبل حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة أن يعين مستشاراً مقيماً للسلطان، والسلطان يرتضي أن يجهز بيتاً لائقاً للمستشار المقيم المذكور. ولأجل سعادة مملكته يقبل نصيحته في جميع الأمور ما عدا المسائل المتعلقة بالديانة المحمدية والعبادة.

(١) صلاح البكري: في جنوب الجزيرة العربية، ص ٢١٧ – ٢١٨.

البند الثاني:

تعترف حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة بحق سلاطين الشحر والمكلا في تعيين خلفائهم، وعرضه لموافقة حكومة جلالة الملك في كل مسألة، يعني تعيين خلف.

عدن في الثالث عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٣٧م.

- بالنيابة عن ومن طرف حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة وعرضه لمصادقتها وموافقتها.
- ختم القائد الأكبر – برنارد رايلي الوالي والقائد الأكبر في محمية عدن – دبليو ام أنجرامز (المستشار السياسي في حضرموت).
- بالنيابة عن نفسه وعن ورثائه وخلفائه صالح بن غالب سلطان الشحر والمكلا – الشيخ علي عكظه.

حوادث هامة في العهد القعيطي

وقد حدثت عدة حوادث وثورات في العهد القعيطي أهمها ما يلي:

(١) ثورة قبائل الحموم

(في عهد غالب بن عوض وعمر بن عوض وصالح بن غالب):

لقد قام القعيطي بالاستيلاء على معظم مدن وقرى حضرموت بالمال وشراء المناطق والولاة وبالغزو العسكري. وقد استطاع أن يرسل المندوبين والقضاة ومديري المناطق في المناطق الحضرية، ولكنه واجه صعوبة كبيرة في فرض النظام وأخذ الضرائب من البدو. وقد كان هؤلاء البدو (قبائل متعددة) يعيشون على فرض أتاوات على المزارعين والتجار لحمايتهم من القبائل الأخرى. كما كانوا ينقلون البضائع والأموال من الموانئ إلى الداخل بقوافلهم

التي يحمونها من غارات القبائل الأخرى. وكان من أكبر هذه القبائل (الحموم) والتي يبلغ تعداد أفرادها حوالى ٩٠٠٠ شخص[١] (والمقصود بذلك مقاتل لأنهم لا يحسبون الأطفال والنساء) وذكرتهم ليندا بوكسبرجر بأنهم ما بين ثلاثة وسبعة آلاف مقاتل[٢].

وقد كانت هذه القبيلة الكبيرة تتحكم في المواصلات بين الموانى والداخل وتأخذ أتاوات على المزارعين والصيادين. ورفضوا بقوة تدخل السلطان القعيطي كما رفضوا دفع أي ضرائب للدولة على دخلهم. ووسط القعيطي المنصّب العيدروس الذي يحترمه الحموم ودفع القعيطي لرئيس الحموم أربعين ريالاً شهرياً. ولكن الحموم لم يتوقفوا عن غاراتهم، وخاصة على الأماكن التي لا تحرسها قوات الدولة. ولذا منعهم السلطان من دخول الشحر الميناء المهم آنذاك، ومنعهم من نقل البضائع إلى الداخل، فازدادت هجماتهم عام ١٩١٨م، وقتلوا أحد الحراس على بوابة الشحر وعقروا الجمال واستولوا على قارب من القرن (الديس) وحمولته، وألف ريال كانت مع أحد تجار المكلا. كما قاموا بالاستيلاء على قافلة مع بضائعها ومبلغ خمسة آلاف ريال مع أحد تجار الشحر وقتلوا حراس القافلة.

وبدأت الحكومة القعيطية بالمفاوضات مع الحموم بواسطة السيد المنصب العيدروس ودخل رئيس الحموم سالم بن حبريش، ولما لم تنجح المفاوضات قامت الحكومة القعيطية بأسر ستمائة من الحموم في الشحر وما حولها، وقتلوا رئيس القبيلة سالم بن حبريش و٢٧ من قادة القبيلة الذين اشتركوا فعلاً في قتل الأبرياء وسجنوا أربعمائة اشتركوا في الغارات وأطلقوا سراح مائتين لم يكن لهم

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٥٦. وقالت ليندا بوكسبرج أنهم ما بين ثلاثة آلاف وسبعة آلاف مقاتل.

(٢) Linda Boxberger: *Hadhrami Politics* 1888 – 1967، مصدر سابق، ص ٥١ – ٦٦.

دور في هذه الاعتداءات. واحتج السيد العيدروس (المنصب) لأن القبائل دخلت في وجهه (أي تعهده بالسلام)، وقامت الحكومة بخداعه وخداعهم، وكان المفروض، حسب العرُف، أن يسمحوا لهم بالخروج من الشحر ويعلنونهم القتال، ثم تبدأ الحرب بين الفريقين، أما استخدام الخداع والحيلة فأمر مرفوض. وقد تأثر السيد العيدروس لأن وساطته ووساطة السادة تعتمد دائماً على الثقة في كلامه وتعهده بين الفريقين لا بد أن يحترم وإلا لما كان هناك أي قيمة للتدخل والوساطة.

وبطبيعة الحال قام علي بن سالم بن حبريش الذي ولّته القبيلة منصب والده الذي عزم على الثأر لوالده وللقتلى من الحموم (٢٧ فرداً).

وقام الحموم بالتحالف مع قبائل الكثيري (الشنافر) وابن عبدات (وهو من فرق الكثيري ومن المنافسين لسلطان الكثيري) وقد أعلن نفسه سلطاناً على مدينة (الغرفة) وهاجموا الطرق كما هاجموا قرية الديس عام ١٩٢٥م. وبدأت مفاوضات تدخل فيها السلطان الكثيري والسادة آل الكاف وآل السقاف وانتهت إلى صلح (مؤقت) وأن يتوقف الحموم عن الغارات والسلب وأن تعوضهم الدولة مقابل ذلك بمبلغ ألفي ريال (فضة) سنوياً.

وقام السيد الكريم السيد أبو بكر بن شيخ الكاف صاحب الأيادي البيضاء في حضرموت الداخل بدفع سبعة آلاف ريال للحموم في مقابل حمايتهم للطريق الممهد الذي تبرع بمليون جنيه استرليني لرصفه ما بين الشحر ومدينة تريم، وذلك سنة ١٩٣٦م[1]. وكان السيد أبو بكر بن شيخ الكاف قد جمع ثروة ضخمة من سنغافورة وماليزيا وأندونيسيا وأنفق معظمها في إصلاح مدينته

(١) Tom Hikinbotham: *Aden*, p157، ومبلغ مليون جنيه استرليني كبير جدًّا وربما كان الصواب مليون ريال (فضة).

تريم وبناء المدارس والطرق ومستشفى فيها على نفقته. كما قام برصف طريق ما بين الشحر – أهم موانئ حضرموت آنذاك – ومدينة تريم[١].

واستطاع المستشار السياسي لحضرموت المستر أنجرامس أن يعقد سلاماً وهدنة بين الحموم والدولة القعيطية لمدة ثلاث سنوات تبدأ من عام ١٩٣٧م وبموجبها تقوم السيارات بنقل البضائع من الموانى إلى الداخل، ويفرض على التجار تحميل جزء من بضائعهم على ظهور الجمال التي تعود ملكيتها للحموم. ولكن الهدنة لم تستمر سوى عام واحد وقام الحموم مرة أخرى بقطع الطرق والاستيلاء على البضائع المحملة بالسيارات وبجمال قبائل أخرى (أضعف من الحموم).

واضطرت الدولة إلى فرض عقوبات على القبيلة (الحموم) وغرامات. وبطبيعة الحال رفضوا الإذعان فقامت الحرب بين الفريقين. وفي هذه المرة استعانت الدولة بالقوات الجوية الملكية البريطانية الموجودة في عدن (R A F) والتي لعبت دوراً كبيراً وهامًّا في جميع المنازعات في المحميَّات الغربية، وفي معركة الحدود مع الإمام. ولأول مرة تدخل هذه الطائرات فتدك مواقع الحموم مما جعلتهم يسرعون بالاستسلام ودفع الغرامات.

وحدثت ثورات أخرى في منطقة الكثيري ومنها ثورة قبائل آل تميم وآل بن يمين والتي أخضعتها القوات الجوية الملكية البريطانية بعد أن نقضت اتفاقية الهدنة الموقعة عام ١٩٣٦م.

(٢) **المجاعة في حضرموت** (في عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي)

---

(١) السيد محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٤٢٠. وقد أخطأ هيكنبوتم، فقال إن الطريق بين المكلا وتريم والصواب ما ذكره الشاطري ما بين الشحر والتريم، كما أكد ذلك السيد عمر الجيلاني.

أدّت الحرب العالمية الثانية إلى توقف الاستيراد للحبوب والأموال من الهند وسنغافورة وماليزيا وأندونيسيا (لم تكن تعرف بهذه الأسماء في ذلك الوقت) وخاصة بعد أن استولت اليابان على هذه المناطق في أثناء الحرب العالمية الثانية. وتوقفت الأمطار في حضرموت. وهي في الأصل شحيحة. فأدت إلى مجاعة مروّعة مات من جرائها أكثر من عشرة آلاف شخص. وهي أكبر مجاعة أصابت حضرموت منذ عدة قرون.

وقامت الحكومة القعيطية ببذل المساعدات، وإعطاء المزارعين آلات حفر الآبار واستخراج المياه، كما قامت الدولة الكثيرية بذلك (إمكانياتها أقل)، وتبرع الأغنياء بالأموال. وقامت بريطانيا بمساعدة فعليّة بإرسال الأغذية من الهند وغيرها.. وقامت القوات الجوية الملكية البريطانية (R A F) بنقل الأغذية إلى الأماكن البعيدة، ولأول مرة تساهم في المحافظة على الحياة وإبعاد شبح الموت بينما كان دورها دائماً هو إلقاء القنابل ونشر الموت والرعب..

وقد استمرت المجاعة من قرب نهاية الحرب العالمية ١٩٤٤م إلى بداية الخمسينات عندما استعادت البلاد وضعها الطبيعي، مع استيراد الأغذية ومع هطول الأمطار، فانتهت هذه الأزمة الطاحنة.

(٣) ثورة المكلا

بدأت في بداية الخمسينات من القرن العشرين في عهد السلطان صالح بن عوض القعيطي الذي قام بإصلاحات عدة، ومنها إقامة الحزب الوطني سنة ١٩٤٧م[١] الذي كان موالياً للسلطان القعيطي ضد الكثيري. وقام الحزب بتقديم استشارات إصلاحية للحكومة. وقد عيّن السلطان صالح القعيطي الشيخ سيف بن علي البو علي سكرتيراً للدولة (كاتب الدولة أو الوزير الأول).

---

(١) الحزب الوطني هو أول حزب سياسي رسمي في الجنوب كله سابقاً بذلك عدن المستعمرة البريطانية.

والشيخ سيف بن علي البوعلي من زنجبار التي كان يحكمها العمانيون (من أسرة آل بوسعيدي). وقد أثبت كفاءة وجدارة في إدارة الدولة، ولم يكن يخضع للمستشار البريطاني المستر بوستيد.. وكان لا ينفّذ إلا ما يراه في صالح البلد، فاغتاظ منه المستشار البريطاني المستبدّ المستر بوستيد وأصرَّ على إقالته. وقد تمسَّك به السلطان فترة، ولكن ضغط بوستيد عليه جعله يقترح على الشيخ سيف الاستقالة. واقترح بوستيد أن يكون سكرتير الدولة الشيخ القدال السوداني الذي تولّى إدارة التعليم في السلطنة القعيطية لمدة إحدى عشرة سنة والتي أحسن فيها العمل (في حدود الإمكانيات الضعيفة المتاحة).

وغضب الناس من تدخل بوستيد. وقام الحزب الوطني بالتحرك وقدم اقتراحاً بأسماء وطنيين حضارمة ليحلوا محلّ الشيخ سيف بن علي (بعد أن رفض المستشار أي محاولة لإبقائه). ومن هؤلاء رئيس الحزب الوطني الأستاذ سالم أحمد باصديق. وتقدموا بذلك إلى السلطان صالح فقابلهم ابنه عوض وأخبرهم أن والده متوجه إلى حيدر أباد وعند عودته منها سينظر في هذا الموضوع. وعندما عاد السلطان ذهب رجال الحزب الوطني إلى السلطان وأفهمهم السلطان صالح أن مسألة تعيين سكرتير الدولة هي من صلاحياته. ولما عاد الوفد في اليوم التالي كان يصحبهم جمهور غفير متظاهرين ضد رغبات المستشار البريطاني بوستيد في تعيين القدّال سكرتيراً للدولة[١].

وكانت المكلا مقسّمة إلى مناطق (حارات) وللمكلا سور قديم يسمى السدّة، وبطبيعة الحال كانت هناك حارة خارج السور وحارة داخله. وكان مقدّم الحارة (عمدة الحارة) برّه السدّه (خارج السور) هو وأتباعه من المناصرين

(١) هذه أول مظاهرة سياسية في الجنوب كله. ولم تحدث في عدن مظاهرات سياسية إلا في أواخر الخمسينات من القرن العشرين. وبذلك تكون حضرموت قد سبقت كل مناطق الجنوب في العمل السياسي السلمي. ومادة هذا الموضوع منقولة من: Linda Boxberger: *Hadhrami Politics* (1888 – 1967), pp 51 – 66، مصدر سابق.

بشدة لتعيين الأستاذ سالم أحمد باصدّيق (ابن حارتهم والذين يعرفون كفاءته).. وكانت هناك حارة ثالثة تسمى حارة البلد. واشتد التنافس بين الحارات وهجم أنصار باصدّيق على بوابات القصر السلطاني، ولما منعهم الحرس السلطاني اشتدَّ النزاع، فأطلق الحرس النار في الهواء أولاً، فزاد الهياج الشعبي، مما أدّى إلى إطلاق النار الحي فقتلوا ثمانية عشر شخصاً وجرحوا سبعة وأربعين فهاجت البلد كلها وماجت، وأُعلنت الأحكام العُرفية، وألقي القبض على سبعين ممن تزعّموا المظاهرة، وحكم عليهم بالسجن ما بين خمس وسبع سنوات.

واعتبر المستشار البريطاني أن الثورة كانت بدعم من الشيخ سيف البوعلي سكرتير الدولة المطرود من قِبَله، والذي تمّ إعادته إلى بلاده زنجبار.. واضطر السلطان صالح الذي يكره الدماء أن يلتقي برجالات المجتمع، وأن يعوّض أسر القتلى والجرحى، وأن يقوم بمداواتهم، كما أطلق سراح المعتقلين دون أن يكملوا فترة الحبس المقرّرة من الحاكم الحقيقي المستشار بوستيد والذي كان السبب في هذه الأزمة(١).

وتم بطبيعة الحال تعيين الشيخ القدّال سكرتيراً للدولة رغم أنوف المعارضين، وحسب رغبة الحاكم بأمره (الجنرال) بوستيد!!

وقد كان السلطان صالح بن غالب القعيطي (١٣٥٤ – ١٣٧٥هـ/ ١٩٣٥ – ١٩٥٦م) من خيرة سلاطين الدولة القعيطية، وأكثرهم علماً. ولكنه تولى الحكم وعمره يناهز الستين، ومات وهو يناهز الثمانين، وواجه التدخل البريطاني في حكمه. وكان المستشار السياسي أنجرامس سياسياً ماهراً وعالماً واسع العلم بحضرموت وتاريخها وآدابها فلم يصطدم بالسلطان. ولكن بوستيد كان مستبدًّا واستعماريًّا فظًّا غليظاً فتدخَّل في أمور السلطنة، وفرض

(١) المادة المتعلقة بثورة المكلا منقول بتصرف واختصار من بحث لندا بروكسبرجر: المصدر السابق.

إخراج الشيخ سيف بن علي البوعلي الذي عمل بجدٍّ وإخلاص للدولة وترقيتها، واستبداله بالشيخ السوداني القدّال الذي كان مطيعاً لأوامر بوستيد.

وقد اشتهر السلطان صالح بحبه للعلم وبإيجاد مكتبة ضخمة وغنيّة وبتأليفه للكتب ومحبته للعلماء واحترامه للسادة وبقدرته على التصوير والسينما والإخراج[1].

(٦) **عوض بن صالح بن غالب القعيطي**: تولى بعد وفاة والده سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م. ولم يكن مثل والده في العلم والإدارة ومعرفة شؤون الدولة. ولهذا جعل والده له مجلس وصاية إلى جانب مجلس الدولة. وكان من يدير السلطنة فعليًّا هو المستشار البريطاني المستر بوستيد المستبد، ولم يكن مثل سلفه أنجرامس المرجع الأول في شؤون حضرموت وعاداتها وآدابها وتاريخها عند الأوربيين، وأصبح أستاذاً في أرقى الجامعات في بريطانيا، ووضع العديد من الكتب عنها.

وتوفى السلطان عوض سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م وتولى بعده ابنه الشاب الحدث غالب بن عوض. وكان مثقفاً ومطّلعاً. ولكن بريطانيا خذلته كما خذلت جميع سلاطين الجنوب بعد أن أقاموا اتحاد الجنوب العربي وسلّمت البلد كلها إلى الجبهة القومية كما سيأتي شرحه[2].

---

(١) ذكر هيكنبوتم (المصدر السابق، ص ١٤٠) أن السلطان صالح كان واسع الثقافة وعادة ما يعرض على ضيوفه بعض الأفلام السينمائية التي يقوم بإنتاج بعضها بنفسه وبيده، كما أنه قام بدبلجة فيلم شارلي شابلن (المضحكة والتي هي بالإشارة فقط) إلى اللغة العربية.

(٢) ذهب السلطان الشاب المثقف غالب بن عوض إلى مؤتمر جنيف لتقرير استقلال الجنوب وقد دعت إليه الأمم المتحدة وبريطانيا. وعندما عاد السلاطين كانت بريطانيا قد سلمت البلد كلها للجبهة القومية. وعندما وصل السلطان الشاب غالب بن عوض إلى المكلا بالسفينة هو وسلطان المهرة أخبروهم بأن البلد=

وقد اشتهر السلاطين من آل القعيطي بالطيبة وحسن الخلق وإن كان أغلبهم يعيش معظم وقته في الهند، وفي ألسنة بعضهم لكنة أعجمية(١)، ومات كثير منهم بها. وأوجدوا نظاماً إداريًّا وقضائيًّا يحكم بالشريعة الإسلامية، وعدة مدارس ابتدائية ومتوسطة واحدة وثانوية واحدة وداراً للمعلمين.. ونظاماً عسكريًّا، ومدرسة عسكرية لتدريب الضباط وخدمات صحية. وبالجملة فقد كانت سلطنة القعيطي أكثر المحميَّات تقدماً تليها سلطنة الكثيري ثم سلطنة لحج. وإن كانت كلها تعاني من التأخر الذي سببته تدخلات المستشار السياسي في المحميَّات الغربية والشرقية. وفيما يلي سنذكر سلطنة الكثيري المعاصرة وكيف بدأت. وقد انتهت كل تلك السلطنات والمشيخات عندما تركت بريطانيا فجأة دولة الاتحاد وقررت تسليم البلاد للجبهة القومية في نوفمبر ١٩٦٧م.

السلطنة الكثيرية

ينتمي آل كثير إلى كثير بن ظَنَّه إلى قبيلة سبأ القحطانية(٢). وقرر الشاطري أن أول سلطان كثيري هو عبد الملك بن علي بن عمر الكثيري المتوفى سنة

= بيد الجبهة القومية، فانسحب غالب بن عوض القعيطي وسافر إلى السعودية. وأما سلطان المهرة العجوز فأصر على العودة فاعتقلوه.. وحذرت بريطانيا السلطان غالب بأنها ستضربه بالطائرات إذا قاوم الجبهة القومية.

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٤٠٨.

(٢) حقّق ذلك العلامة الولي المشهور أحمد بن حسن العطاس في رسالة «الأنساب»، ونقلها عنه السيد العلامة محمد أحمد الشاطري في كتابه **أدوار التاريخ الحضرمي**، ص ٢٣٤. والمقصود بذلك أنهم من حمير وليسوا من همدان. ومعظم قبائل الجنوب واليمن الأسفل وحضرموت من حمير بينما معظم قبائل الشمال (اليمن الأعلى) من همدان (انظر كتاب: إضاءات قرآنية ونبوية لصاحب هذه السطور). وكثير من قبائل حضرموت من كندة القبيلة المشهورة التي منها الشاعر الضليل امرؤ القيس، التي حكمت النصف الجنوبي من جزيرة العرب في بعض الفترات.

٨٢٥هـ[١] وقد امتد حكمهم إلى ظفار. ويقول بعض المؤرخين أنه ابتدأ من ظفار (الحبوظي).

وأشهر رجالهم بدر بن أبي طويرق (القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) والذي حارب البرتغال وانتصر عليهم في عدة معارك آخرها وأهمها معركة الشحر الثالثة في ٥ رمضان ٩٤٢هـ/ ١٥٣٦م والتي أسر فيها عدداً كبيراً منهم، وأرسل بعضهم إلى السلطان العثماني، واعترف بالسلطان سليمان القانوني خليفة للمسلمين، وأرسل له مبلغاً محدداً كل عام في مقابل الحماية والأسلحة الحديثة. وبدر أبو طويرق كما يقول الشاطري هو التاسع في هذه الدولة[٢].

وقد استولى الإمام إسماعيل بن القاسم بطلب من السلطان بدر بن عمر (حفيد بدر بن أبي طويرق) الذي كان في معركة مع ابن أخيه بدر بن عبد الله. ورغم أن قوات الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم استولت على البلد إلا أنها أخلتها بعد ذلك بسبب المعارك الداخلية في صعدة وصنعاء على من يتولى الإمامة من ذرية القاسم. وبما أن حضرموت شافعية فإن العلماء وقفوا مع بدر ابن عبد الله، وبقيت ذريته معترفاً بها، رغم ضعفها الشديد واستيلاء قبائل يافع وبطونها على مدن حضرموت، كما مرّ معنا.

ودخلت حضرموت في عهد طويل من الفوضى حيث تحكم كل قبيلة ما حولها، وتتقاتل مع القبائل الأخرى، وأحياناً تتقاتل بطون هذه القبيلة فيما بينها (وهي طبيعة عربية جاهلية متأصلة لدى العرب الأقحاح).. واستمرّ هذا الدور، كما أسلفنا، إلى بداية قيام دولة القعيطي والكثيري وذلك سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٦٤م.

---

(١) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٧.

وكان يتزعم هذه الحركة ثلاثة من ضباط الجيش في حيدر أباد والذين جمعوا ثروة كبيرة وقوة عسكرية وهم[١]:

(١) عمر بن عوض القعيطي (وهو أقواهم وأكثرهم مالاً).

(٢) غالب بن محسن الكثيري.

(٣) عبدالله بن علي العولقي الذي أقام دويلة صغيرة جدًّا بالقرب من غيل باوزير، ولكن القعيطي استطاع التغلب عليه بسرعة. ولم يبق في الميدان إلا القعيطي والكثيري بعد التخلص من الكسادي وبن بريك ومجموعة من الحكام الصغار.

غالب بن محسن الكثيري (١٢٢٢ – ١٢٨٧هـ)

هو السلطان غالب بن محسن بن أحمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله ابن عمر ابن أبي طويرق. ينتسب إلى بدر بن عبدالله الذي ثار على عمه بدر بن عمر الموالي للإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم والمنادي بالمذهب الزيدي، فثار عليه أهل حضرموت ووقفوا مع ابن اخيه... وبقي الولاء من السادة والعلماء في حضرموت لآل عبدالله منذ ذلك الحين. ورغم ذلك فإن آل عمر لم يستسلموا، وكانت لهم دويلاتهم من حين لآخر.

وقد ولد في حضرموت الداخل سنة ١٢٢٢هـ ودرس عند السادة العلويين العلوم الدينية وشيئاً من النحو واللغة، وانتظم في سلك الجندية بشبام، وحاكمها يومئذ عمر بن جعفر الكثيري. وهاجر إلى حيدر أباد وسنّه ٢٣ عاماً، وقد سبقه إليها بعض أعمامه، فارتقى في سلك جيش حيدر أباد حتى وصل إلى منصب الجمعدار (قائد فرقة). وتطلّع إلى الملك في حضرموت في نفس الفترة التي ظهر فيها القعيطي. وقد أمدّه السادة العلويون بمساندتهم المالية والدعائية

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٧.

والمعنوية، كما أمده بعض التجار الحضارم في الهند وجاوه وسنغافوره بالمال والرجال. وقد كادت كفّته ترجح على كفة القعيطي لولا أن بريطانيا وقفت بقوة مع القعيطي للأسباب التالية:

(١) أن القعيطي وقف مع الإنجليز في الهند عندما ثار أهل شمال الهند ضد شركة الهند الشرقية البريطانية سنة ١٨٥٧م.

(٢) أن القعيطي مستعد للتوقيع على معاهدة حماية مع بريطانيا.

(٣) أن الكثيري، على العكس من ذلك وبدعم من السادة، يرفض توقيع معاهدة الحماية ويراسل الدولة العثمانية ويبدي لها الولاء، كما يراسل الإمام في صنعاء (التابع للدولة العثمانية)، وذلك كله للبعد عن النفوذ البريطاني.

ويقول الشاطري[(١)] إن السلطنة اعتمدت أولاً على ما كان يرسله السلطان غالب بن محسن من أموال من حيدر أباد. ثم بعد ذلك على أموال السادة العلويين في المهجر، ومن يؤيدهم من تجار الحضارم. ثم صارت تعتمد على ضرائب المعشّرات الزراعية (زكاة الزروع) وعلى الضرائب المفروضة على التجار والبضائع المستوردة. ولكن لضعف الدولة فإنها كانت تتحاشى فرض الضرائب على من ينتمي إلى قبيلة قوية. وكان أغلب دخلها على الأموال والبضائع الآتية من ملايا وأندونيسا وغيرها المرسلة إلى أهلهم في حضرموت.

وقد شعر السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف بثقل الضريبة التي يفرضها عليه السلطان الكثيري (مع كثرة مشاريع آل الكاف الخيرية في حضرموت)، فهرب من تريم إلى دمون الواقعة تحت حكم قبيلة آل سلمة التميميين، وأمدّهم بالأموال لمحاربة الكثيري ودامت الحرب أشهراً (سنة ١٣١٤هـ)، ثم تمَّ

(١) أحمد محمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٤١١ – ٤١٢. وانظر: F. Hartwig: *Expansion State and Reform*، مصدر سابق، ص ٤٥.

الاتفاق على أن يدفع السيد شيخ الكاف ألفي ريال (فضة) إلى الكثيري سنويًّا، وأن يُعفى من أي ضريبة أخرى[١].

وأغلب جند الكثيري من العبيد وعددهم أربعمائة جندي. وكانت الدولة عند بدء تأسيسها تعتمد على قبائل الشنافر وعلى المرتزقة فصارت تعتمد على العبيد المجلوبين من شرق إفريقيا[٢]. وقد امتدت أراضي السلطان غالب بن محسن الكثيري وكادت كفّته ترجح قبل نزول القعيطي في الميدان، فلما نزل القعيطي بأمواله من الهند مع رجاله، ودعم الإنجليز له، رجحت كفّته.

وتوفى السلطان غالب بن محسن الكثيري في سيون سنة ١٢٨٧هـ وتولى بعده ابناه المنصور والمحسن. وبعد أخذ وردّ تولى الأكبر وهو المنصور (وكان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً فقط) حكم سيون، وتولى أخاه الأصغر منه محسن حكم تريم. وقد مات محسن سنة ١٣٤٠هـ وتولى ثلاثة من أبنائه حكم تريم وقراها بالاشتراك. بينما تولى حكم سيون جعفر بن المنصور. وفي عهد جعفر تمّ ضم تريم إلى سيون بجهود المستشار السياسي البريطاني أنجرامس.

وكان جند الكثيري أولاً من القبائل (الشنافر) ثم اعتمدوا فقط على العبيد، بينما كان جند القعيطي مؤلف من القبائل اليافعية وعددهم حوالي ألف جندي وضابط وبضع مئات من العبيد، وعدد أقلّ من الهنود[٣].

السادة يدعمون الكثيري

وقد دعم السادة عموماً الكثيري ما عدا آل الشيخ أبو بكر بن سالم مولى عينات فقد دعموا القعيطي وذلك للصلات القديمة بين يافع وآل الشيخ

(١) الشاطري: المصدر السابق، ص ٤١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣١.

(٣) يتغير عدد الجنود بمرور الزمن ولهذا تختلف المصادر في أعدادهم.

أبي بكر بن سالم. وقد وزر السيد حسين بن حامد المحضار للقعيطي - كما قد مرّ معنا - وهو من الرجالات المعدودين الذين وطّدوا الحكم للقعيطي في مناطق من حضرموت (سبق ذكرها). والسيد حسين بن حامد المحضار من آل الشيخ أبي بكر بن سالم.

وكان دور السادة في تريم وسيون وما حولها قويًّا في دعم الكثيري وجلب الأموال له من المهاجر (أندونيسا والملايو والهند الشرقية وإفريقيا والحجاز) ولهذا لم يستطع القعيطي أن يتغلب عليه إلا بعد أن تحالف مع بريطانيا. وقد دعم السادة آل عبدالله الكثيري باعتبار تاريخهم السابق، وبالتالي دعموا غالب ابن محسن الكثيري الذي ينتمي إلى آل عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق المشهور في وقفاته وحروبه ضد البرتغاليين.

ورغم دعم السادة لغالب بن محسن الكثيري إلا أنهم وجهوا له ولخلفائه انتقادات شديدة عندما كان يضطر لمجاملة القبائل ويحكم بالعرف القبلي ويترك حكم الشرع. وكان آل كثير منطوين في محبة السادة العلويين، ويجلونهم، ويسمعون نصائحهم، ولكن الوضع القبلي في حضرموت لا يسمح بتنفيذ الشريعة على القبائل، وبالتالي لا يمكن تطبيق العدل، فكان القبيلي يُعفى من الضرائب بينما يعاني منها المزارع والتاجر الذي لا قبيلة له تحميه. كما كان العدوان القبلي على هؤلاء لا يقابل بما يستحقه من المعاقبة، بل وصل الأمر إلى مصادرة بعض أموال السادة أنفسهم مع أن كثيراً منها أوقاف. وقد سبق أن ذكرنا الضرائب الباهظة التي فرضت على السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف حتى هرب من تريم إلى دمون.

وقد لعب السادة في حضرموت دوراً مهمًّا في الحرب العالمية الأولى وقد أيَّد مفتي حضرموت العلامة الشاعر السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف الدولة العثمانية وراسلها، كما راسل الأميرالاي علي سعيد باشا الذي غزا لحج عام

١٩١٥م. وكان السيد عبد الرحمن بن عبيد الله يريد - مثل سلفه - إقامة دولة إسلامية تعمتد الشريعة في حضرموت. وهو أمر لم يتحقق بوجود الدولة الكثيرية التي دعموها بأموالهم ورعايتهم. وذهب ابن عبيد الله إلى الإمام يحيى واتفق معه في مقاومة النفوذ الأوربي الاستعماري وخاصة دور إنجلترا في استعمار بلاد المسلمين عامة واليمن خاصة.

وعندما اتصل ابن عبيد الله بسعيد باشا في لحج وتبادل معه الرسائل التي تدعو إلى أن تكون حضرموت ولاية عثمانية، تُحكم بالشريعة الإسلامية، وبطبيعة الحال رفض القعيطي هذا الاتجاه وحاربه، بينما وافق عليه الكثيري ولكن رغم توقيعه على هذا الاتفاق إلا أنه لم يرسله إلى القائد سعيد باشا، انتظاراً لما ستسفر عنه الأحداث. وقد هددت بريطانيا كل من يقوم بتوقيع هذه الاتفاقية بمصادرة أمواله في سنغافورة والملايو والمكلا وعدن.. لهذا كله فشلت حركة ابن عبيد الله، لأن التجار والأثرياء من السادة ومن آل الكثيري خافوا على أموالهم وعقاراتهم وضغطوا على السلطان الكثيري بأن لا يرسل توقيعه حتى تتبين الأمور. فلما ظهر أن مسار الحرب يتجه إلى صالح بريطانيا والحلفاء توقف الكثيري عن إظهار ميوله للدولة العثمانية، وبقي على الحياد.

ولما علمت بريطانيا بجهود السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ضدها، دبرت مؤامرة لاعتقاله أو اغتياله، فلما سمع ابن عبيد الله بذلك راسل العثمانيين في اليمن فردوا عليه ألا يخشى شيئاً، فإن قتله الإنجليز فهي الشهادة. فاختفى ابن عبيد الله فترة.

ولما انسحب الجنرال سعيد باشا من لحج ١٩١٩م بعد انتهاء الحرب واستسلم للإنجليز، ازداد الضغط على الكثيري. بل إن الضغط قد زاد في نهاية الحرب. واضطر الكثيري أن يوقع اتفاقية الحماية التي وقعها القعيطي قبله سنة ١٨٨٨ وبالتالي تم تجديدها عام ١٩١٨م. ولكن الكثيري بعد ذلك تنكر لهذه

الاتفاقية وحاول اغتيال السيد حسين بن حامد المحضار الذي عمل وزيراً للدولة القعيطية وعمل في إثبات هذه المعاهدة. ولكنه لم ينفذ تهديده بالاغتيال. وأخيراً استسلم الكثيري لهذه المعاهدة رغم احتجاجه المستمر على ضيق الأرض التي أعطيت له[١].

(١) Linda Boxberger: *Hadhrami Politics* 1888 – 1967، مصدر سابق، ص ٥٥ – ٥٩.

المعاهدات[(١)]

(١) معاهدات الحماية مع بريطانيا

كانت أول معاهدة مع **السلطان القعيطي في سنة ١٨٨٨م/ ١٣٠٥هـ** (سبق ذكرها).

(٢) معاهدة بين القعيطي والكثيري في ١٣ شباط ١٣٣٦هـ/ ١٨٨٩م.

وهي بين السلطان غالب بن عوض القعيطي وبين منصور ومحسن ابني غالب بن محسن الكثيري لإقامة صلح دائم بينهما، ولتوسيع نفوذ القعيطي وحصر سلطة الكثيري في مدينتي (سيون وتريم) وثلاث قرى (الغرفة، الغرف، تريس) وحدود الشنافر (وهم من قبائل آل كثير والموالين لهم). وقبلت هذه الأطراف جميعها الحماية البريطانية والمعاهدة المعقودة مع القعيطي سنة ١٨٨٨م.

(٣) معاهدة الاستشارة مع السلطان القعيطي في ١٣ أغسطس ١٩٣٧م.

(٤) معاهدة الاستشارة مع السلطان الكثيري سنة ١٩٣٩م وهي مماثلة لسابقتها مع القعيطي.

وقد حكمت السلطنتان حكماً ثنائيًّا مزدوجاً بين المستشار السياسي البريطاني وبين السلطان المحلي. وكانت بريطانيا في عهد أنجرامس (أول مستشار سياسي بريطاني لحضرموت) لا تتدخل إلا في الأمور الهامة جدًّا، وبصورة وديّة. ولكن ما إن صار بوستيد هو المستشار حتى تعقّدت الأمور. وقد ذكرنا ملابسات أحداث ثورة المكلا بالتفصيل بسبب إصرار المستشار بوستيد على إقالة الشيخ سيف بن علي آل بو علي وإحلال القدّال محلّه، وما تبع ذلك من ثورة عنيفة، وسفك للدماء. والسلطان صالح بن غالب القعيطي كاره

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٤١٤ – ٤١٥.

لذلك كله. ثم حاول السلطان أن يخفّف من آثار هذه الوقعة، فعوّض أسر الشهداء، وداوى الجرحى وأطلق سراح السجناء.

الخدمات في المحميّات الشرقية

ولم تكن بريطانيا تتدخل في شؤون القضاء وأحكامه الدينية، ولا في الشؤون الأخرى إلا في حدود مصالحها الاستراتيجية. وكان تدخّلها في وقت المجاعة جيداً ومشكوراً.

وقد اعترفت بريطانيا على لسان عدد من حكام عدن والمحميّات في كتبهم بأنهم لم يقدموا للمحميات الغربية والشرقية أي معونات حقيقية في مجال التعليم والإدارة والصحة. ويقول هيكنبوتم (حاكم عدن والمحميات) في كتابه «عدن»[(١)]:

«في خلال الـ ٨٩ عاماً التي حكمت فيها الهند البريطانية عدن والمحميّات لم تنفق بنساً واحداً على المحميّات لتنميتها علميًّا وصحيًّا واجتماعيًّا. ولكن منذ عام ١٩٢٨م عندما بدأ مكتب المستعمرات في لندن (Colonial Office) يأخذ على عاتقه هذه المسؤولية حيث أنفق مبلغ تسعين ألف جنيه (وهو مبلغ تافه على مساحة ١١٢,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكان ٨٠٠,٠٠٠ نسمة) وذلك ما يوازي بنساً وثلث لكل فرد من السكان.

وفي خلال المدة (١٩٢٨ – ١٩٤٠م) تم رصد مبلغ اثنين مليون جنيه استرليني للتنمية. وقد أنفقت في إقامة الخدمات التعليمية والصحية والطرقات والزراعة. وحتى عام ١٩٣١م لم تكن هناك حتى مدرسة ابتدائية واحدة جديرة باسم مدرسة، ما عدا لحج والمكلا. هناك العديد من الكتاتيب التي تدرّس القرآن ومبادئ اللغة العربية وهذه يقوم بها الأهالي أنفسهم، ويدفعون لهؤلاء المدرسين أجورهم. ولكن الدولة لم تعمل أي شيء في سبيل التعليم حتى ذلك

---

(١) Tom Hickinbatham: *Aden*, pp 153 – 161

الوقت. ولكن بعد الحرب العالمية بدأ نشاط جديد في هذا الصدد .

وبحلول عام ١٩٥٦م كانت هناك مئة وعشر مدارس مدرسة ابتدائية للبنين وخمس مدارس ابتدائية للبنات، وست مدارس متوسطة للبنين، ومدرسة واحدة ثانوية (أولية) للبنين. وكانت المحميَّات تدفع ٦١,٠٠٠ جنيهاً للتعليم في السنة وتدعمها حكومة بريطانيا بخمسة عشر ألف جنيه (فقط).

وبالمقارنة، فإن مستعمرة عدن التي كان عدد سكانها آنذاك ١٤٠,٠٠٠ كانت تنفق ربع مليون جنيه استرليني سنويًّا على تسع عشرة مدرسة ابتدائية وعشر مدارس متوسطة وأربع ثانوية بما فيها كلية عدن والمعهد الفني. وكلها كانت من دخل المستعمرة، ولم تكن بريطانيا تمدها بأي مبلغ من المال [(١)].

«والمشكلة في المحميّات ليست فقط في التمويل، بل في عدم وجود المدرسين لهذه المدارس. ولم تستطع عدن المستعمرة أن تمدّهم بالمدرسين لأنها بنفسها كانت في حاجة إليهم، وبالكاد تغطّي مدارسها. وقد استطاعت لحج أن تحلّ هذه المعضلة بأن طلبت من مصر مدرسين على أن تدفع حكومة مصر جزءاً كبيراً من ماهياتهم. وقد فعلت مصر ذلك من أجل الدعاية، (بداية عهد عبدالناصر) وهو أمر تعارضه بريطانيا بشدّة. أما القعيطي فقد استعار مدرسين من السودان، كما أرسل بعثات لتدريب المدرسين الحضارمة في السودان، وبذلك حلّ المشكل جزئيًّا. ولكن المحميَّات الأخرى لم تستطع أن تجتذب المدرّسين السودانيين لأن السودان كانت في حاجة لهم، كما كان الماهيات ضئيلة وغير مغرية لهم بترك وطنهم. وبدأت عدن بتدريب المدرسين من المحميَّات في عدن نفسها وإعادتها إليهم بأعداد غير كافية. أما الخدمات الصحية، فإلى سنة ١٩٣١م لم يكن هناك أي خدمة صحية على الإطلاق في المحميات، وحتى بعد الحرب العالمية الثانية كانت الخدمات الصحية ضئيلة جدًّا.

---

(١) المصدر السابق (هيكنبوتم)، ص ١٥٣ – ١٦١.

ولكن منذ أواخر الأربعينات إلى عام ١٩٥٦م كان هناك خمس مستشفيات صغيرة في المحميَّات عدد أسرتها ١١٠ فقط، ومنها اثنان يقومان بتدريب المساعدين الصحيين. وهناك ثلاثة مستوصفات تابعة للإرساليات التبشيرية. وكانت المحميَّات جميعها تنفق ٢٨,٠٠٠ جنيه استرليني على الصحة السنوية وتدعمها بريطانيا بـ ٣٣,٠٠٠ جنيه فقط. وبالمقارنة، فإن عدن كانت تنفق ربع مليون جنيه على الصحة، هذا غير مستشفى الملكة إليزابيث الثانية (وضعت حجر الأساس عند زيارتها عدن ١٩٥٤م) والذي سيكلف أكثر من مليون جنيه ونصف المليون لبنائه وتأثيثه بالمعدات وغيرها.

ومع هذا، فقد كانت مستشفيات عدن تستقبل المرضى من المحميَّات والحالات الخطرة تنقلها طائرات القوات الملكية البريطانية (RAF). وكان مستشفى الإرسالية كيث فالكونر في الشيخ عثمان يقوم بإرسال بعض الممرضين والأطباء إلى المحميَّات ونقل من يحتاج منهم لذلك إلى مستشفاهم في الشيخ عثمان.

وهناك عدة مستشفيات صغيرة (خمس في المحميات) واحدة في لحج وواحدة فيما بين الفضلي واليافعي وواحدة في المكلا وواحدة في سيون. وأخرى بناها آل الكاف في تريم. وهي كلها مستشفيات صغيرة وينقصها الأطباء والممرضون الأكفاء. ولكنها، على أية حال، تقدم خدماتها للجمهور. كما أن مكافحة الملاريا والتراخوما تعمل بفرق صغيرة لا تكفي ولكنها تقوم ببعض واجباتها.

وقال هيكنبوتم في كتابه (عدن) إنه كان حريصاً على افتتاح أكبر عدد ممكن من الطرق في المحميَّات لأهميتها البالغة. وأشاد بما فعله السيد أبو بكر الكاف الذي رصف طريقاً طويلاً ما بين الشحر وتريم كلّف أكثر من مليون جنيه استرليني (حسب قوله)[1]. وكل ذلك على نفقة الكاف الخاصة والذي جمع ثروته من

---

(١) وهو خطأ. وذكرت المصادر الأخرى بأن المبلغ كان ثلاثمائة ألف روبية دفع أغلبها السيد أبو بكر الكاف وشارك معه التجار الآخرون.

سنغافورة والملايو وأندونيسيا، وكان يدفع أموالاً للقبائل حتى لا يعتدوا على الطريق ويقطعوه. وبعد ذلك قامت إدارة تنمية المستعمرات بافتتاح طريق آخر في حضرموت، وطريق في المحميَّات الغربية من عدن إلى الضالع وآخر من عدن إلى البيضاء عن طريق أبْين، وتحسين طريق عدن - اليمن عبر لحج.

وذكر تأثير الطرق على أصحاب الجمال من القبائل لأن ذلك يقطع رزقهم وبالتالي يؤدي إلى الثورات وقطع الطريق. ولهذا فإن إشراك أصحاب الجمال (القبائل) في جزء من حمل البضائع أمر ضروري حتى يمكن فيما بعد تحويلهم إلى الزراعة وإعطائهم المساعدات الزراعية بأنواعها.

التقدم السياسي

وكان هناك تقدم سياسي وإداري في السلطنتين القعيطية والكثيرية. وهناك سكرتير للدولة ومجلس يعاونه، ومستشار بريطاني، ومجالس للمدن، ومجالس للقرى. وهناك نوع من الحكم المحلي، حيث يساهم الأهالي في اختيار المندوبين كما أنهم يساهمون في النفقات وفي المشاريع المطلوبة وتنفيذها.

ووجهت كثير من الأموال لخدمات المياه والكهرباء والطرق. وأسس السلطان القعيطي في المكلا إدارة الكهرباء، واستنارت المدينة منذ أواخر الأربعينات في القرن العشرين. وقام الشيخ سالم باحبيشي (أحد التجار الحضارم في الحبشة) بتأسيس شركة الكهرباء الحضرمية المحدودة في سيون سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، وتلتها شركة كهرباء الشحر وتريم وشبام..إلخ [(١)].

وكانت أول شركة لجلب مياه الشرب هي شركة شبام تأسست ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م. تلتها الشركة الوطنية للمياه بتريم. وانتشرت بعد ذلك الطرق والفنادق وورش ومصانع صغيرة لقطع الغيار، وفتح فرعان للبنك الشرقي

(١) السيد محمد الشاطري: أدور التاريخ الحضرمي، ص ٤١٩.

أحدهما بالمكلا والآخر بسئون (ومركزه بلندن)[١] .

الزراعة في حضرموت

هناك مناطق زراعية واسعة نسبيًّا في حضرموت، أولها وادي حضرموت الذي يمتد من الشرق إلى الغرب، ويتخلله وديان صغيرة متعددة. وقد اشتهر هذا الوادي بزراعة النخيل وبأنواع الحبوب. كما أن هناك مناطق واسعة نسبيًّا في غيل باوزير والشحر تتم فيها الزراعة. وهناك الأنهار الصغيرة الدائمة الجريان (وادي حجر).

وقد كان الحضارم - كما يقول الشاطري [٢]- يعتمدون على الآبار والعيون وعلى الأمطار، ويقيمون السدود على الأودية، ويوزعون المياه بطريقة فنيّة حتى يتمّ العدل بين المناطق ولا تقوم الحروب بين السكان من أجل المياه. ولهم قوانين وعادات متّبعة. ويقوم الملاك للأرض (الطبانة) بجزء محدد من تكاليف التعمير والإصلاح وللعمال الزراعيين (النشراء) العمل وبعض أدوات الزراعة. وتقسم الحصيلة بينهما بالتساوي إذا كانت الأرض تسقى بالسيل. وأما إذا كان السقي من بئر فيكون لصاحب البئر أجر معلوم مقابل ذلك.

وكثير من العلماء والسادة يزرعون الأرض بأنفسهم ويساعدهم في ذلك العمال الزراعيون بأجر معلوم أو بنسبة من المحصول.

وكانوا يزرعون القطن ويغزلون بواسطة مغازل خشبية منتشرة في البيوت تستعملها النساء، ثم تسلّم إلى الحاكة حيث ينسجون منها جميع أنواع الثياب التي تكفي السكان وتصدر للخارج. ولكن الاستيراد من الهند وأندونيسيا زاد بسبب رخص أثمانها، وتأثرت بالتالي محالج القطن البدائية والحاكة.

---

(١) الشاطري: المصدر السابق، ص ٤٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٦ – ٢٦٩.

واستعان الحضارمة في إقامة السدود ببعض المهندسين من الهند. فقد جلب العلامة السيد عبد الله بن شيخ العيدروس المتوفى سنة ١٠١٩هـ معه من الهند بعض المهندسين الهنود لإقامة السدود. وقد تبرع له أحد أمراء الهند المسلمين بمبلغ ثلاثمائة ألف ريال نقداً جعل ثلثاً منها في إصلاح السدود والمساقي والثلث الباقي أنفقه على عدد من علماء حضرموت الذين قرروا الهجرة بسبب فقرهم، فجعل لهم الأوقاف حتى لا يتركوا البلد بدون علماء، والثلث الثالث وزعه على الفقراء والأيتام وعابري السبيل والضيوف.

ويذكر الشاطري في موضع آخر [(١)] أن المجاعة التي حدثت في أثناء الحرب العالمية الثانية بسبب توقف استيراد الغذاء، حيث استولت اليابان على أندونيسيا وسنغافورة والملايو (ومنها كانت تأتي الأموال)، فتوقف الاستيراد إلا في حدود ضيقة، كما أن الحرب أعاقت وصول الإمدادات الغذائية. ومما زاد الطين بلة توقف الأمطار، لهذا قامت السلطنة القعيطية والكثيرية بتشجيع التجار للمساهمة في مشروع مكائن الري، وتم استخراج المياه الجوفية بحيث أقامت مساحة جيدة لزراعة القمح والذرة ثم بعد ذلك القطن.

وذكر الشاطري إحصائيات إدارة الزراعة بسيون: عدد المكائن للري عام ١٩٦٥م، ثم ذكر المحصول الزراعي كالتالي: قهاول ١٩٠٦ (القهاول: ١٢ مصري = ٩ كيلوجرامات). من البر (القمح) ٥٠٦,١٦٠ قهاول، ومن الذرة الشتوية ٨٥,٢٥٠ والصيفية ١١,٢٠٠ قهاول. ومجموع المساحة المزروعة أكثر من عشرة آلاف فدان. وبذلك تجنبت حضرموت المجاعة. ونجحت في هذا المشروع الزراعي الذي دعمته السلطنتين القعيطية والكثيرية والأهالي، مع دعم أغلبه معنوي من المستشار السياسي أنجرامس.

---

(١) الشاطري: المصدر السابق، ص ٤٣٥ – ٤٣٨.

وكانت هناك مشاريع زراعية في أماكن متعددة. ويعتبر التمباك وخاصة في منطقة غيل باوزير المحصول الرئيس وهو محصول للتصدير بكميات جيدة.

ودخلت زراعة القطن في بعض المناطق ولكن لم تكن واسعة مثلما كانت في أبْين ولحج، رغم أن زراعة القطن قديمة في حضرموت، كما أسلفنا.

الخدمات التعليمية في حضرموت

ما قبل الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م: وفيها الكتاتيب والمدارس الدينية وعدة أربطة دينية أهمها رباط الإمام علي بن محمد الحبشي بسئون. ورباط تريم الذي تولى إدارته والتدريس فيه الإمام عبد الله الشاطري. ورباط غيل باوزير الذي أنشأه محمد بن عمر بن سلم سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) [1]. وكانت هذه الأربطة مراكز علمية متقدمة، واشتهر بصورة خاصة رباط تريم الذي كان يأتيه الطلبة من أماكن متعدّدة من اليمن والصومال والحبشة وشرق إفريقيا والملايو وأندونيسيا (ولا يزال الرباط يعيد دوره الريادي بعد أن توقف في فترة الحكم الشيوعي وعاد بعد تحقيق الوحدة وانهيار الشيوعية).

وأما المدارس، فأقدمها مدرسة جمعية الحق بتريم، التي تأسست سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وتوقفت بعد سبعة عشر عاماً بسبب قلة التمويل، وحلّت محلها مدرسة آل الكاف (كل المدارس في حضرموت قام بها أولاً الأثرياء متبرعين بها، ثم بعد ذلك دخلت الحكومات).

وقامت مدرسة جمعية الإخوة والمعاونة بتريم للجنسين في المرحلة الابتدائية (منفصلتين) والمرحلة المتوسطة للبنين سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٤٣م. وكان لهذه الجمعية الأهلية أنشطة ثقافية، وأقامت شركة المعاونة للزراعة، وأرسلت مجموعات من

(١) الشاطري: المصدر السابق، ص ٤٢٢ – ٤٢٥.

الطلبة إلى البلاد العربية للدراسات الثانوية والجامعية. وظلت فترة طويلة إلى أن توقفت بعد الاستقلال وظهور النظام الشيوعي. وظهرت في سيون مدارس النهضة. وفتح الأهالي العديد من المدارس في مختلف مدن وقرى حضرموت، وافتتحت المدارس العيدروسية التي يموّلها آل العيدروس من أندونيسيا.

وفي مدن الساحل قامت مدرسة الفلاح التي أقامها السيد الدباغ الذي هاجر من السعودية. وأقام مدارس نظامية جديدة تجمع المواد الدينية واللغة العربية واللغة الإنجليزية والمواد الحديثة. كما أنشأت نظام كشافة قوي، مما أخاف المستشار الإنجليزي وجعله يصرّ على إقفال هذه المدارس وترحيل صاحبها السيد الدباغ. والشيء ذاته فعله آل الدباغ في عدن، وأقفلت أيضاً مدرسته بعد أن تم ترحيله وطرده من البلاد لأن النظام الديمقراطي البريطاني لا يتحمل وجود تيار تعليم ديني وحديث في نفس الوقت ويربي في الطلبة روح الاعتزاز بالدين والاستعداد للدفاع عن النفس.

وهناك العديد من المدارس الأهلية مثل مدرسة مديحج ومدرسة السادة آل شيخان.

ومن الواضح أن حضرموت (الكثيري والقعيطي) شهدت أنشطة تعليمية أهلية كثيرة، كما قام أهلها بأنشطة اجتماعية وزراعية وتأسيس شركات للكهرباء والماء.. كل ذلك دون أن يكون للحكومة دور.. وهذه الميزة في حضرموت لا تزال مستمرة إلى اليوم حيث قام الأثرياء في المهاجر، وخاصة السعودية، بإقامة مشاريع مختلفة (المياه في وادي دوعن أقامها بن لادن) ومشاريع كهرباء ومشاريع مواصلات، وطرق طويلة أقامها آل بقشان وبالذات المهندس عبدالله أحمد بقشان الذي أقام مدارس عديدة ومستشفى.. إلخ. وكذلك الشيخ محمد حسين العمودي. وساهم غيرهم في الكثير من المشاريع في مناطقهم. وهي أمور لم تقم بها الدولة لا في الماضي ولا في الحاضر.

وقد قامت الحكومة القعيطية ثم الكثيرية بإنشاء النظام التعليمي الحكومي تحت رئاسة الشيخ القدّال الخبير السوداني. وبما أن إمكانيات الدولة أكبر من إمكانيات الأفراد فقد توسع التعليم الحكومي فشمل كل المدن ومعظم القرى.

وقد بلغ عدد الطلبة الذكور عام ١٩٦٥/١٩٦٦م في السلطنة القعيطية ١٠٧٥٩ والإناث ٢٢٤٠ وذلك في المرحلة الابتدائية وكان عدد طلاب المرحلة المتوسطة ٢٥٦٥ ذكور و٢٢٣ إناث. أما الثانوية فهي مدرسة واحدة بالمكلا ومجموع الطلبة ٢٠٩ ذكور ولا توجد مدرسة للإناث في ذلك الوقت.

أما في منطقة الكثيري عام ١٩٦٥/ ١٩٦٦م فإن عدد الطلاب الذكور (في جميع المراحل) كان ٣٨١٨ وعدد الطالبات ٦٠٦.

وقد اشتهرت مدرسة غيل باوزير المتوسطة. وهي مدرسة داخلية ولها مناهج قوية، تعليمية وتربوية. وفي المكلا مدرسة ثانوية صغرى، وهناك معهد ديني بالإضافة إلى معهد تدريب المعلمين. وكانت الحكومة ترسل الطلبة المتفوقين إلى كلية بخت الرضا في السودان لمواصلة تعليمهم الثانوي ومن ثَمَّ الجامعي (وعددهم قليل جدًّا). ثم بعد افتتاح كلية عدن كانت ترسل أعداداً طيبة يدرسون في كلية عدن وهي مدرسة ثانوية ذات مستوى عالٍ.

الصحافة (١):

صدرت عدة صحف خطية في حضرموت، مثل صحيفة حضرموت في تريم، وعكاظ في سيون، والتهذيب وأصدرها الشاعر والقصصي المشهور أحمد باكثير قبل هجرته من حضرموت. ثم صدرت صحيفة المنبر في المكلا، ومجلة الإخاء. ثم ظهرت الصحف المطبوعة، ومن أشهرها: الرائد للسيد الشاعر حسين محمد البار، والطليعة لأحمد باوزير، والرأي العام لعلي بافقيه، أما في

---

(١) الشاطري: المصدر السابق، ص ٤٣٣.

المهجر في ماليزيا وأندونيسيا وسنغافورة فقد قامت صحف ومجلات عديدة [١].

القضاء

اشتهر قضاة حضرموت منذ عهد التابعين وظهر الكثير من قضاة مصر وغيرها من أصول حضرمية.. والقضاء مبني على الشريعة الإسلامية وبالذات على المذهب الشافعي. قال الشاطري [٢]: «أما القضاء فقد حصل فيه تنظيم وتطوير إداري، وتشبه المحاكم في درجاتها وتشكيلها، إلى حدٍّ ما، المحاكم المعروفة من جزئية، ومن ابتدائية، واستئنافية ويرجع النقض والإبرام إلى مجلس الدولة حيث يستشار فيه بعض الاختصاصيين بالقضاء. ويستمد القضاء أحكامه من الشريعة الإسلامية الغراء، وتفصل جميع المحاكم المتنوعة الاختصاصات، أحكامها في القضايا، بمقتضى مذهب أو ما يطابق المصلحة العامة من المذاهب الأخرى. وتستثنى بعض المحاكم الجزئية والمجالس البلدية، فإنها تقضي طبق عادات وأنظمة ولوائح مسنونة لها (العرف)..

وينقص هذه البلاد دستور مفصل جامع ترجع إليه بدلاً عن اللوائح والبيانات والقوانين المفرّقة التي تصدر عندما تدعو لها الحاجة».

وانتقد الشاطري وجود الرشاوى حتى في المحاكم، كما انتقد بشدة نظام الاستشارة المفروضة بالقوة من المستشار السياسي البريطاني. ودعا إلى وحدة حضرموت واستقلالها عن الاستعمار البريطاني. كما دعا إلى الحكم النيابي

---

(١) منها صحيفة الإصلاح أنشأها محمد بن عقيل بن يحيى في سنغافورة سنة ١٩١٦م، واشترك معه السيد محمد بن هاشم والسيد أحمد بن عبد الله السقاف والسيد حسن ابن علوي بن شهاب. وقد أصدر محمد بن عقيل أيضاً صحيفة الأيام ومجلة الرابطة العلوية بعد توقف «الإصلاح» وذلك سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١٩م. ومنها صحيفة الوطن وصحيفة البشير، وغيرها كثير.

(٢) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٤٣٩ – ٤٤٠.

الديمقراطي الحر، وإلى جعل مراكز السلطان رمزيًّا للدولة، وتحدث عن آمال الأمة في الوحدة العربية الكاملة [١].

القوات المسلحة [٢]

(١) **جيش البادية (الجيش البدوي الحضرمي)** وهو يشبه حرس القبيلة في المنطقة الغربية.

وقد تأسس جيش البادية سنة ١٩٤٠م لحفظ الأمن والنظام وعدد أفراده نحو ثمانمائة جندي، ويشرف على تنظيمه وتدريبه أربعة ضباط استقدموا من الأردن. وتقوم وزارة المستعمرات بدفع جميع نفقاته. ومركز هذه القوة (المكلا)، وتستعمل وسائل النقل الميكانيكية. وقائد هذه القوة ضابط عربي من الجيش الأردني ويسمى المساعد الحربي للمستشار السياسي البريطاني المقيم في المكلا.

(٢) **جيش المكلا النظامي**: يتكون من خمسمائة جندي ومركزه المكلا وقائده بريطاني، ورغم أن نفقات هذا الجيش كاملة على حكومة القعيطي إلا أن معاهدة الاستشارة تفرض على السلطان قبول ما يقوله المستشار الإنجليزي قبل أن يتحرك الجيش.

(٣) **الجيش الكثيري**: ومركزه سيون وعدد أفراده حوالي أربعمائة.

المدرسة الحربية الحضرمية: ومركزها المكلا، وفيها يتم تدريب الضباط وصف الضباط. ويشرف على هذه المدرسة ضابط بريطاني.

المستشفى العسكري: ومركزه في المكلا، ويشرف عليه طبيب هندي، ويعالج أفراد القوات المسلحة وجيش البادية.. إلخ، وعائلاتهم.

---

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المصدر السابق، ص ٤٤٠ – ٤٤١.

(٢) عبدالله أحمد الثور: وثائق يمنية: الجنوب اليمني، ص ١٣١ – ١٣٢.

والخلاصة، أن بريطانيا العظمى لم تفعل شيئاً لتقدم المحميات، ولم تبدأ أي جهد منذ عام ١٨٣٩ – ١٩٢٦م ثم بدأت خطوات بطيئة وصغيرة جدًّا - كما يقول السير توم هيكنبوتم - (حاكم عدن والمحميَّات من ١٩٥١ – ١٩٥٦). وما حصل من تقدم كان محدوداً جدًّا وأكثره بجهود الأهالي وخاصة في حضرموت التي كان كثير من أبنائها قد جمعوا ثروات طائلة في المهجر، فأقاموا دويلات وبنوا المدارس والطرق والمستشفيات ونظموا الإدارة. وقد قامت بريطانيا بمساعدتهم أحياناً وإعاقتهم أحياناً. ودورها غير مشرّف، ما عدا ما قامت به من إنقاذ الناس في أيام المجاعة وهو مجهود يشكر لها. ومشروع زراعة القطن في أبْين حيث كان مشروعاً ناجحاً، ولا شك أنه كان في مصلحة مصانع الثياب القطنية في بريطانيا (لانكشاير).

عدن في عهد الاستعمار

التعليم في عدن في عهد الاستعمار(١ - ٤).

يعترف المؤلفون الإنجليز عن عدن، ومنهم من تولى الحكم فيها، بأن بريطانيا لم تهتم بعدن إلا:

(١) كميناء لتموين السفن بالفحم (أولاً) ثم بالبترول.

(٢) موقع استراتيجي هام للحفاظ على الهند أولاً ثم على مصالحها في الخليج العربي والشرق الأوسط.

ولهذا انصب الاهتمام البريطاني على بناء القلاع، حتى إن عدن كانت تسمى القلعة (Fortress)، وعلى إصلاحات الميناء المتتالية، والتي قامت بها الشركات العاملة كأوجي دينشو وأمانة الميناء وحكومة بومباي ثم حكومة عموم الهند ثم حكومة عدن (وزارة المستعمرات).

وفي الفترات الأولى (١٨٤٨ – ١٨٦٣م) كانت بريطانيا تستورد العمال من الهند، ولهذا كانت عدن أشبه بمدينة هندية منها بمدينة عربية. ومنذ عام ١٨٤٩م كان العرب يشكّلون أقل من نصف السكان. وكان الهندوس وحدهم يشكلون ٤٠٪ من السكان، ويشكل الأجانب الآخرون مثل الصومال

---

(١) Hickinbotham T: *Aden*, pp 154–158

(٢) Trevaskis k: *Shades of Amber*, p 6,96 , pp 38 – 41

(٣) Ledger D.: *Shifting Sands. The British in South Arabia*, p 31

(٤) Gavin R.: *Aden Under British Rule*, 1839–1967, p 56 , p 59

والأوربيين واليهود نسبة كبيرة. وقد كان في عدن منذ منتصف القرن التاسع عشر أكثر من ألفي جندي!! [١] ولم يكن أكثر القادمين يأتون بعائلاتهم بل كانوا يأتون لفترة محدودة يجمعون بها ما تيسر من المال ثم يعودون لأوطانهم. ولهذا لم يكن هناك تجانس في السكان ولا اختلاط لفترات طويلة من العهد الاستعماري، وكانت المرأة لا تشكل سوى ربع السكان[٢]. وقام القسيس برجر بافتتاح أول مدرسة في عدن سنة ١٨٥٦م ولم يدخلها أحد خوفاً على دين أطفالهم[٣]. ولم يكن هناك أي اهتمام بالتعليم في عدن والمحميات طوال القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين. وافتتحت ثلاث مدارس ابتدائية حكومية واحدة في عدن كريتر[٤]، والثانية في التواهي، والثالثة في المعلا في العشرينات من القرن العشرين. ثم بدأت في الثلاثينات من القرن العشرين مدرسة ثانوية حكومية واحدة مدتها ست سنوات بعد أربع سنوات ابتدائية وتنتهي بالتقدم لامتحان الثانوية الأولية (Junior Cambridge) التي لا تؤهل لدخول الجامعة. وكان الناس في عدن يتحدثون عن أبنائهم. لقد صار الآن معه بوك واحد أو بوكين أو ثلاثة وهكذا. والمقصود بالبوك (Book) الكتاب الإنجليزي المقرر للغة الإنجليزية التي تنتهي بستة كتب (ستة أبواك).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وعندما أعيد افتتاح المدرسة عام ١٨٦٦م لم يدخلها سوى ستة من أبناء الأهالي والباقون من أبناء جنود الحامية البريطانية الهنود (علي صالح الأرضي: تاريخ التعليم في عدن ١٨٣٩ – ١٩٦٧م، بحث منشور في ندوة: عدن ثغر اليمن، ١٥ – ١٧ مايو ١٩٩٩م، جامعة عدن، ص ٢٣١ – ٢٤٩). وقد تم افتتاح مدرسة في التواهي عام ١٨٨٠م وأخرى في المعلا عام ١٨٩٩م إلى جانب مدرستين للإرسالية الكاثوليكية لأغراض التبشير.

(٤) تولى إدارتها الشيخ كامل عبدالله صلاح (المكي) في منطقة السيلة بكريتر وقد تحولت إلى المتحف الحربي ولا تزال حتى عام ٢٠١٢م.

وقد كانت هناك مدارس للهندوس وللهنود المسلمين ولليهود وهي مدراس خاصة تدعمها الجاليات، كما أن الحكومة البريطانية في عدن تقدم لها دعماً. كما كانت هناك مدارس أهلية وأكثرها لا يتلقى أي دعم من الحكومة.

ما قبل عام ١٩٣٨م

وقد ذكر تقرير أوتينبرا (Autenborough) مدير المعارف في مستعمرة عدن ١٩٣٨م[(١)] أن التعليم الثانوي كان ضعيف المستوى، وأن التلاميذ يكملون المرحلة دون إجادتهم للغتهم المحليّة ولا اللغة الإنجليزية. ولم تكن الدراسة كافية في حد ذاتها لإعدادهم للدراسات الأعلى في الخارج. وكانت مخرجات الصف التجاري ومدرسة انجن إسلام وباجي لالجي الإسلامية للجالية الهندية المسلمة، ومدارس الجالية اليهودية تخرّج طلبة يستطيعون العمل في الوظائف لدى الشركات أو لدى الحكومة. وكذلك كانت مدارس الجالية الهندية الهندوسية. ويقول الأستاذ محمد علي لقمان عام ١٩٢٣م أن خمسين بالمئة من أطفال عدن لا يجدون مدرسة يؤمونها وهم يتسكعون في الشوارع[(٢)].

ولم تكن هناك مدارس ثانوية للبنات سوى ما كان لليهود والجاليات الهندية وعددهن ٦٧ طالبة عام ١٩٣٨م حسب تقرير أوتينبرا[(٣)]. وكان عدد الطلاب والطالبات في المرحلة الثانوية في ذلك العام محدوداً، ففي كريتر كان عددهم ١٩٤، وفي التواهي ١٦٣، وفي الشيخ عثمان عدد قليل. وأغلب هؤلاء

---

(١) ليلى حمود الحداد: المنهج ومقومات بناء الشخصية في مستعمرة عدن (بحث للماجستير)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عدن، المجلد الثاني، العدد الأول، سبتمبر ١٩٩٧م، ص ٥٩ – ٨٢.

(٢) المصدر السابق، وافتتحت أول ثانوية للبنات (خور مكسر)، عام ١٩٥٦م.

(٣) د. طه علي أحمد: دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في مقاومة عملية التغريب في عدن قبل الاستقلال، ندوة عدن ثغر اليمن، ١٩٩٩م، جامعة عدن، ص ٢٧١ – ٢٨٤.

الطلبة والطالبات من غير العرب (هندوس، هنود مسلمون، يهود، وجنسيات أخرى). ومن مدارس حكومية أو أهلية معانة من حكومة عدن. ويشكل أبناء عدن العرب في الشيخ عثمان غالبية الطلبة في منطقتهم، ولكنهم لا يشكلون في مجموعهم سوى ستة بالمئة من مجموع طلاب الثانوية.

الفترة ما بين ١٩٣٨ – ١٩٥٦م

وقد شهدت هذه الفترة، وخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، إنشاء العديد من المدارس الحكومية والأهلية في عدن. وقد تعيّن في هذه الفترة الأستاذ محمد عبده غانم ضابطاً للتعليم تحت إدارة المستر جون أوتنبرا (Autenborough) مدير المعارف في مستعمرة عدن. ثم تلاه الدكتور سنيل الذي اهتم بالتعليم اهتماماً كبيراً بالمقارنة مع سلفه. وفي هذه الفترة تقرر تمديد الثانوية إلى الثانوية العليا بحيث يتقدم الطالب إلى امتحان (Senior Cambridge) التي تهيئ لدخول الجامعة. ومع هذا فكان عدد الذين يحصلون على الشهادة الثانوية هذه لا يزيدون عن عدد الأصابع سنوياً، وكثير منهم من غير العرب. وقد بدأ ذلك منذ عام ١٩٤٤م والتي استمرت حتى عام ١٩٥٢م[1].

وقد تمَّ فرض دراسة اللغة الإنجليزية في الثانوية العليا، وبها تدرّس كافة المواد. ولم يبدأ تدريس العلوم (الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا) إلا في عام ١٩٣٩م، وكان مدير المعارف يشك في قدرة معلّميه على تعليم هذه المواد.

وكان التركيز في تلك الفترة على إخراج موظفين (كراني) للحكومة والشركات وتعليمهم مسك الدفاتر (Book Keeping) والاختزال (Short Hand) لأعمال السكرتاريا والطباعة على الآلة الكاتبة.

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٦ وهي تنقل ذلك عن مقابلة مع الأستاذ عبدالله فارع.

وكانت المقررات بطبيعة الحال تركز على دراسة جغرافية وتاريخ بريطانيا العظمى وتاريخ الإمبراطورية البريطانية (History of the British Empire)، وتهمل إهمالاً تامًّا تاريخ عدن واليمن والبلاد العربية بأكملها. وكان ما يدرّس لنا عن عدن أنها كانت قرية من الصيادين، واحتلتها بريطانيا بسبب قصة دريا دولت. وهي التي جعلتها مدينة ذات قيمة. ولا يذكر أي شيء عن تاريخها المجيد ولا حتى عن جغرافيتها. (وقد درست في مدارسها الحكومية من الابتدائية وحتى نهاية الثانوية في كلية عدن ١٩٤٧ – ١٩٥٨م). وكانت مادة الدين ضحلة جدًّا ولم تكن مادة نجاح أو رسوب. وكان القسم الأدبي في الثانوية يدرّس الدستور البريطاني والأنظمة البريطانية. وتم تدريسنا نظرية التطور الداروينى في سنة رابعة ابتدائي. وهو أمر مشين، وذلك لإيجاد جيل يتشكك في دينه أو منسلخ عنه، وهو ما قد حدث فيما بعد في الجيل الذي ظهر في العهد الماركسي اللينيني بعد سقوط قحطان الشعبي واغتيال قريبه فيصل الشعبي.

وكانت أهداف مخرجات التعليم، إخراج موظفين كتبة يعملون في الوظائف الحكومية والشركات. وقد قام أنتوني بس صاحب شركة البس بإنشاء المعهد الفني على نفقته عام ١٩٥٢م، كما تبرع لجامعة أوكسفورد بمبلغ مليون جنيه استرليني[١].

وتم إيجاد معهد للمعلمين لتخريج المدرسين. وكان أغلب المدرسين في المرحلة الثانوية يأتون من الخارج فهم إما بريطانيون (من إنجلترا وويلز واسكتلندا وأيرلندة) أو من الهند، وقليل منهم من العرب الذين درسوا في السودان أو العراق أو مصر.

---

(١) البس تاجر فرنسي جمع ثروة هائلة من تجارة البنّ، ثم توسّع حتى شمل جميع التجارات والتأمين والبواخر في عدن. وكان التاجر الوحيد من الأجانب الذي قدّم خدمة لأبناء عدن بإنشاء المعهد الفني، الذي تحول فيما بعد إلى كلية الهندسة، والذي تخرج منه حيدر العطّاس وغيره من أبناء المنطقة.

وقد تم إيقاف دراسة الثانوية من جامعة كامبردج عام ١٩٥٢م وتحولت إلى شهادة الثانوية العامة (.G. C. E) (من جامعة لندن). ويمكن للطالب أن ينجح ولو في مادة واحدة ولديه فرصة الدخول في الامتحان في يناير وفي يونيه من نفس العام.

وابتدأ المعهد الفني منذ سنة ١٩٥٢م، ويُمتحن الطلبة بعد سنتين في المواد الفنية أو التجارية. ومن أراد المواصلة بعد نجاحه يدرس لمدة سنتين أخريين ليتقدم لشهادة لندن سيتي آند جايلدز المتوسطة (Intermediate Examination of the London City and Guilds) وتؤهل لكليات بوليتكنيك في بريطانيا.

ويقوم المعهد الفني أيضاً بفرعه في البريقة بتدريس الطلبة هناك لمدة سنتين في الأمور الفنية المتعلقة إلى حد ما بمصفاة النفط التي أقيمت منذ سنة ١٩٥٤م.

ويقول التقرير الحكومي لحكومة عدن ١٩٥٦م(١) عن التعليم في عدن: تهدف الحكومة إلى جعل التعليم الابتدائي مكفولاً لجميع الأطفال، سواء أكان في المدارس الحكومية أو المدارس المُعانة، أو المدارس الأهلية في المستعمرة. وبحلول سبتمبر ١٩٥٦م كان في المستعمرة ٣٣٤٨ طالباً و١٤٦٠ طالبة في مدارس الحكومة ويدرسهم ١٦٧ مدرساً (ويشمل بذلك مدارس اليهود والهندوس والهنود). وعدد ٢١٣٨ طالباً و١١٠٤ طالبات في المدارس المعانة من الدولة ويدرسهم ١٣٥ مدرساً. كما أن هناك ١٦٨٤ طالباً و٢٣٠ طالبة يدرسون في مدارس خاصة غير معانة من الدولة ولكنها معترف بها.

وعدد المدارس الحكومية حتى سبتمبر ١٩٥٦م كالتالي:

- مدارس البنين الحكومية: ٧ ابتدائية، ٣ متوسطة، ٢ ثانوية.
- مدارس البنات الحكومية: ٥ ابتدائية، ١ متوسطة، ١ ثانوية.

(١) *Aden* 1955*and*1956 , London. Her majesty Stationary Office 1958 , pp 39 – 46

- المدارس المعانة بنين: ٣ ابتدائية، ٣ متوسطة، ١ ثانوية.
- المدارس المعانة بنات: ٢ ابتدائية، ١ متوسطة، ٣ ثانوية.
- المدارس غير المعانة بنين: ٥ ابتدائية، ١ متوسطة، ٣ ثانوية.
- المدارس غير المعانة بنات: ٥ ابتدائية فقط.

ومما يوضح ضآلة المتخرجين من الثانوية العامة (G. C. E.) المستوى العادي، النتائج التالية لعام ١٩٦٠م (وهي تمثّل المتخرّجين على هذا المستوى للمستعمرة والمحميات وجميع سكانها من العرب والأجانب).

مجموع المتقدمين ٨٩ تلميذاً في يونيه ١٩٦٠م للمستوى العادي (ذكور وإناث) [(١)]

المادة	عدد الممتحنين	عدد الناجحين	النسبة المئوية للناجحين
اللغة الإنجليزية	٨١	٣٥	٤٣٪
الأدب الإنجليزي	٧١	٢٦	٣٦٪
جغرافيا	٥٥	٣٨	٦٩٪
تاريخ (بريطانيا)	٦٢	٦١	٩٩٪
فيزياء	٤٩	١٤	٢٨٪
فيزياء وكيمياء (مادة واحدة)	٣٦	١٤	٣٨,٨٪
كيمياء	٢٦	١٩	٧٣٪
أحياء	٢٩	١٨	٦٢٪
رياضيات	٤٩	٣٣	٦٧٪
اللغة العربية (ترجمة)	٢٨	٢٤	٨٥,٧٪
اللغة الأردية	٢	٢	١٠٠٪

(١) ليلى حمود الحداد: المنهج ومقومات بناء الشخصية في مستعمرة عدن، مصدر سابق، ص ٨١.

اللغة الجزراتية	١٢	١٢	٪١٠٠
دستور بريطاني	٣	٢	٪٦٧
اقتصاد	١	٠	صفر
فنون (رسم)	١٢	٦	٪٥٠

ولا بد من حصول الطالب على خمس مواد على الأقل حتى يمكن التقدم للمستوى العالي (Advanced Level) ودراسته لمدة سنتين، وذلك يؤهل لدخول الجامعة. ولكل كلية متطلباتها، فمثلاً تحتاج كلية الطب إلى المواد العلمية (فيزياء، كيمياء، أحياء، رياضيات، لغة إنجليزية) حتى يتأهل للمستوى العالي. وبالتالي فإن عدد الطلبة الذين يعتبرون ناجحين في خمس مواد فما فوقها عدد ضئيل جداً ولا يتجاوز عشرين شخصاً[1]. وهو أمر مخجل حقاً حيث إن سكان عدن والمحميات عام ١٩٦٠م قد وصل أكثر من مليون شخص. وليس فيهم من يحصل على الثانوية العامة سوى عشرين طالباً فقط. وعلى هذا الطالب أن يحصل على المستوى العالي في المواد المطلوبة، فأين هو التعليم الراقي الذي نشرته بريطانيا؟

صحيح أن مستوى التعليم الثانوي في كلية عدن كان جيداً، ولكن لم يخرّج سوى حفنة من الطلبة كل عام. وتقوم المدارس الأخرى المعانة والخاصة (وخاصة مدرسة سانت جوزيف المعروفة باسم البادري وهي مدرسة أنشأتها الإرسالية الكاثوليكية الإيطالية)، بتخريج مجموعة من الطلبة يتقدمون لمستوى الثانوية العامة. وفي المحصلة النهائية لا يحصل على هذه الثانوية من جميع مدارس عدن والمحميات سوى عشرين طالباً سنوياً حتى عام ١٩٦٠م.

إن هذا أمر مخجل حقاً. ويقول تقرير حكومة عدن منذ عام ١٩٥٦م إن

---

(١) كنتُ أول طالب يحصل على ١١ مادة، ثم جاء بعدي الدكتور أبو بكر عبدالله القربي (وزير الخارجية الحالي) وبمستوى تقدير أعلى.

الإنفاق على التعليم عام ١٩٥٥ – ١٩٥٦م كان **١٨١,٧٠٧** جنيهاً استرلينيًّا بما في ذلك مدارس الحكومة والمدارس المعانة (أي حوالى ٥ بالمئة من ميزانية عدن).

الدراسة في الخارج

وفي سبتمبر ١٩٥٦م كانت الحكومة قد أرسلت ٥١ طالباً من عدن والمحميات للدراسة على حسابها لمواصلة دراساتهم العليا في المملكة المتحدة (وهم الغالبية)، والسودان وترينداد (وهم ثلاثة فقط). وكان هناك تسعة طلاب يدرسون على نفقتهم الخاصة في المملكة المتحدة، كما كان هناك العديد من الطلاب الذين يدرسون في القاهرة (في المرحلة الثانوية والجامعات)، وأعداد أقل يدرسون في بغداد ودمشق. وكلهم على منح من تلك الحكومات. وقد بذلت حكومة مصر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر الجهود الجبارة لفتح باب التعليم للقادمين من البلاد العربية، بل ومن إفريقيا. وكلهم يدرسون على منح من الحكومة المصرية، وذلك جهد يشكر لها. إذ لولا ذلك لحرم آلاف الطلبة في العالم العربي من الدراسة العليا. وقد فتحت لهم مصر جامعاتها ليدرسوا فيها مجاناً، مع منح وإن كانت محدودة، لأغلب الطلبة.

وقد درس مجموعة من الطلبة من عدن وحضرموت ولحج في جامعات مصر والعراق منذ فترة مبكرة في الأزهر والجامعات المصرية والعراقية، إما على حسابهم الخاص أو بمنح من تلك الحكومات. وكانت تلك المنح محدودة جداً قبل ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢م وازدادت ازدياداً كبيراً بعد الثورة المصرية.

وقد بدأ إرسال البعثات في عدن عام ١٩٤٣م (الواقع قبل ذلك كما سيأتي بيانه) عندما أرسل نادي الإصلاح العربي بعثتين إحداهما للعراق (ستة طلاب) والأخرى إلى مصر (ثمانية طلاب) وتوالت البعثات في ذلك العام حتى وصل عدد الطلبة إلى خمسين طالباً.

وقد أرسلت جمعية الأخوة والمعاونة بتريم وغيرها من الجمعيات الحضرمية عدداً من الطلبة للدراسة في العراق ومصر بمنح حصلت عليها من تلك البلاد، كما درس أفراد على حساب أهاليهم المقتدرين ماليًّا.

ويذكر الأستاذ علي صالح الأرضي في بحثه «تاريخ التعليم في عدن: ١٨٣٩ – ١٩٦٧م»[1] أن البعثات التعليمية في عدن بدأت تظهر في العشرينات من القرن العشرين حيث كان يدرس في الجامعة الأميركية في بيروت عدد من أبناء عدن منهم فضل عباس، وديع حسن علي وعبدالله حسن. كما أن أوائل المبعوثين إلى بريطانيا لدراسة الهندسة كان الطالب محمود محمد عبد القادر مكاوي (هل كانوا مبتعثين على حساب الدولة أم على حساب أهاليهم؟ لم يذكر الباحث ذلك).

وتحصَّل أربعة مبعوثين من طلاب عدن إلى بريطانيا على شهادة التربية من كلية التربية في ليدز(Leeds) عام ١٩٢٥م وهم: الأستاذ المحامي الصحفي محمد علي لقمان ومحمد عمر عقبة وعبد الشكور فقير وعلي محمد علي.. وفي الثلاثينات تخرّج أربعة (عام ١٩٣٦م) منهم الأستاذ محمد عبده غانم (تخرج من الجامعة الأميركية. ولم يكن أول خريج جامعي من عدن كما يقال).

وكتب الأستاذ محمد علي لقمان بصفته رئيساً لنادي الإصلاح العربي إلى الملك غازي ملك العراق يطلب منحاً لطلاب عدن. ووافق الملك غازي على ذلك، فأرسل الأستاذ لقمان عام ١٩٣٦م عشرة طلاب ليلتحقوا بمدارس العراق، وهم: يوسف حسن السعيدي، خليل اليناعي، عبدالرحيم محمد علي لقمان، حامد عبدالله خليفة، حسين علي بيومي، يوسف مهيوب سلطان،

(١) علي صالح الأرضي: «التعليم في عدن»، أعمال ندوة عدن ثغر اليمن، ١٧ مايو ١٩٩٩م، جامعة عدن، ص ٢٣١ – ٢٤٩.

عبدالقادر سلام حميدان، أحمد عبدالرحيم بارحيم وصالح بامعفة[١].

وسافرت بعثة أخرى إلى الهند تضمنت الأستاذ محمد علي لقمان الذي درس المحاماة هناك. وكتب رئيس نادي الإصلاح في الشيخ عثمان إلى السيد عبدالرحمن المهدي (الزعيم السوداني) يطلب منحاً للطلبة عام ١٩٣٧م ولكن لم ينجح في ذلك. ونجح في أن تقبل الجامعة الأميركية في بيروت بإرسال أربعة طلاب بنصف الرسوم الدراسية.

وفي عام ١٩٣٨م أوفد نادي الإصلاح العربي الإسلامي بعثة إلى الأزهر الشريف بالقاهرة، منهم مجموعة من الأعلام العلماء فيما بعد، وهم: الشيخ محمد سالم البيحاني والأستاذ أحمد محمد نعمان والشيخ علي محمد الهتاري والشيخ علوي حسن.

وفي الأربعينات أرسلت الحكومة مجموعة من الطلبة إلى السودان، منهم: عبده سعيد شيباني وعبد الله نور الدين الذي كان أحد أساتذتي.

وقام مدير مدرسة الفلاح الخيرية الإسلامية الهاشمية في عدن، السيد حسين الدباغ، بإرسال عشرة طلاب إلى العراق عام ١٩٣٨م.

وفي عام ١٩٤٣م كان عدد المبعوثين للدراسة في الخارج خمسين مبعوثاً (بعثات حكومية وأهلية). وفي عام ١٩٤٤م أرسلت حكومة عدن أربعة طلاب للدراسة في مصر، وهم: أحمد عبدالله باصهي (طبيب). ورشيد علي حريري، وعلي محمد لقمان، وعبد الرحمن جرجره (وهؤلاء لهم دور سياسي وصحافي هام جدًّا في عدن). وتم إرسال السيد محمد عبده غانم والسيد حامد الصافي والسيد زين الحازمي وعبد الكريم خليل ومحمد العقربي إلى بريطانيا لدراسة التربية، وذلك عام ١٩٤٨م.

---

(١) المصدر السابق.

وممن درس في السودان: الأستاذ لطفي جعفر أمان (الشاعر الفنان)[١]، والأستاذ علي غانم كليب، ومجموعة أخرى من الطلاب، منهم: قحطان الشعبي (أول رئيس لجمهورية اليمن الجنوبي) وحسن أبو بكر عولقي وعلي محمد سالم الشعبي.

وفي القاهرة ممن درس على نفقات أهاليهم: السيد محمد علي الجفري (الأزهر)، والسيد سالم عمر طه الصافي (دار العلوم)، والسيد علوي باهارون، وعبد الكريم طه خليل، وسليم عاشور، ونجم عبدالله وخلف حسن علي.

وأرسلت أول بعثة للبنات عام ١٩٤٣م مكونة من أربع طالبات. وفي عام ١٩٤٨م أُوفدت بعثة أخرى إلى السودان.

وفي عام ١٩٤٤م كان في مصر واحد وثلاثون طالباً عدنيًّا ولحجيًّا في مختلف مراحل الدراسة في القاهرة وازدادت البعثات الحكومية والخيرية والخاصة في الخمسينات من القرن العشرين.

وشهد عام ١٩٥٩م سفر أول فتاة عدنية إلى بريطانيا للدراسة الجامعية وهي فطوم أحمد علي، لتدرس التربية وشؤون التعليم.

وفي التقرير المقدم من معارف عدن للمجلس التشريعي لعام ١٩٥٩م ذكر وجود ٩٥ مبعوثاً يدرسون في الخارج، منهم ٤٢ فرداً يدرسون على حساب الحكومة والبقية على حساب هيئات أهلية، (ولم يذكر التقرير من ذهبوا إلى مصر وذلك للخصام والعداوة بين مصر عبد الناصر وبريطانيا).

وفي عام ١٩٦٠م تم تعيين ضابط اتصال في بريطانيا مهمته تذليل الصعوبات للطلاب من عدن والمحميات (الاتحاد) للالتحاق بالجامعات

(١) درّسني الأستاذ لطفي – رحمه الله – في السنة الرابعة الابتدائية، ثم في المتوسطة، ثم في كلية عدن. ولهذا أعتبره أكثر المدرسين تأثيراً في تكويني.

البريطانية. وكان عدد الطلبة ٩٩، منهم ٤٧ منح حكومية و٤١ خاصة و٥ أمانة الميناء و٣ شركة شل[١].

بداية عهد المدارس

اشتهرت عدن بمدارسها الدينية (وتدرس فيها أيضاً الرياضيات والفلك والطب والفلاحة) منذ العهد الرسولي. وإن كانت المدارس الدينية موجودة منذ دخول الإسلام ودخول الصحابة إليها، وكان جامع عدن ومسجد أبان من المدارس التي اشتهرت بالدروس الدينية. وقد جاء الإمام أحمد بن حنبل من العراق إلى عدن ليسمع الحديث من الحكم بن أبان بن عثمان بن عفان، فوجده قد مات وتولى ابنه مكانه، ولكنه لم يكن في علم أبيه.

واستمرّت مكانة عدن العلمية يفدُ إليها العلماء الكبار مثل الإمام ابن حجر العسقلاني صاحب كتاب «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» الذي مكث بها سنتين يتعلّم ويعلّم، ويتلقّى ويُلقي. وعرف المسجد الذي كان فيه بمسجد العسقلاني. وقد أعاد بناءه في العصور الحديثة الشيخ محمد بن سالم البيحاني رحمه الله.

وكم من العلماء والمؤلفين في عدن. وقد أشرنا إلى بعضهم في الجزء الأول والجزء الثاني من كتابنا هذا.

وقد انحدرت مكانة عدن التجارية والعلمية منذ القرن السابع عشر الميلادي. وعندما احتلّها الإنجليز عام ١٨٣٩م كانت مدينة صغيرة (لا كما يدعون قرية بها بضع مئات وقد ذكرنا تفصيل ذلك في أول هذا الجزء).. ولم يكن بها أحد من العلماء الأعلام الذين اشتهرت بهم واشتهروا بها. وازداد أمرها سوءاً بمجيء الإنجليز وصارت مدينة أغلب سكانها من الهنود الهندوس والمسلمين.

---

(١) كل ما سبق ذكره منقول من بحث الأستاذ علي صالح الأرضي: «التعليم في عدن»، المصدر السابق.

وقام القسّيس المستعرب (بدجر) بافتتاح أول مدرسة للأطفال في عدن عام ١٨٥٦م، ورفض الأهالي إرسال أبناءَهم إليها خوفاً على دينهم. وكان أهل عدن يسمّون المبشّر المغوّي (أي الذي يغوي الناس عن دينهم وما أصدق وصفهم وأدقّه) فأقفلت أبوابها. ثم أعيد افتتاحها بعد تعديل في مناهجها عام ١٨٦٦م بأمر من حاكم عدن الميجور ميرويذز. وظلّ الإقبال ضعيفاً إذ كان معظم الطلاب من أبناء جنود الحامية البريطانية من الهنود وستة طلاب فقط من الأهالي[١]. وأعلنت الحكومة أنها ستوظف من يتخرج من هذه المدرسة الابتدائية فدخلها كثيرون وتوظف أربعة وعشرون طالباً بعد تخرجهم ككتبة لدى الحكومة والبلدية (كراني) [٢].

وقال **المقيم البريطاني ستيوارت (١٩١٦ – ١٩٢٠م): «إن عدن ليست طفلاً لأحد من الناحية التربوية. والهنود الذين حاولوا الإصلاح التربوي لا يمكن أن يقوموا بأكثر من مشروع لتهنيد عدن[٣]. إن أفضل حلّ هو إيجاد مدرسين مؤهلين وأن يكون هناك ضابط معارف يستوعب** (إضافة إلى مؤهلاته العلمية) **معارف وميول العرب واللغة العربية»**. وهو كلام هام وجيّد ومنصف.

ولكن بقي الهنود ضباطاً للمعارف حتى عام ١٩٣٧م عندما انتقلت عدن إلى وزارة المستعمرات البريطانية بدلاً من بومباي (شركة الهند الشرقية) أو دلهي (حكومة عموم الهند البريطانية).

وأول من اجتاز امتحان سينيور كامبردج طالبان، هما: محمد علي لقمان وعبد الشكور فقير وذلك عام ١٩٢٢م. وتم تدريب أساتذة للحصول على

---

(١) علي صالح الأرضي: تاريخ التعليم في عدن، مصدر سابق.

(٢) Gavin R.: *Aden Under The British Rule* (1839 – 1967), p 122

(٣) علي صالح الأرضي: «التعليم في عدن»، مصدر سابق وهو ينقله عن Hunter, p 150 ,1968.

شهادة في التربية من جامعة ليدز (Leeds) البريطانية وتخرج منهم أربعة، هم: محمد علي لقمان وعبد الشكور فقير ومحمد عمر عقبة وعلي محمد علي، وذلك عام ١٩٢٥م.

وكان ناظر التعليم من سنة **١٩٢١م إلى سنة ١٩٣٠م الأستاذ عطا حسين الهندي الأصل** والذي عمل على تحسين التعليم بإخلاص، وتدريب المدرسين، وأدخل التعليم الديني واللغة العربية إلى المدارس الحكومية، وعيّن محمد علي لقمان مديراً لأول مدرسة ثانوية (أولية). وأسس عطا حسين نواة للتعليم الصناعي بافتتاح مدرسة للتجارة وصنع الأثاث، وكان مديرها أحمد محمد آل يعقوب[(١)].

وفي عام ١٩٣١م تم عزل عطا حسين بسبب نقده الدائم للسياسة التعليمية البريطانية، وعيّن بدلاً منه الأستاذ الفاروقي الذي قدم برنامجاً دراسيًّا مفصلاً للمدارس الابتدائية وللمدرسة الثانوية. وعيّن الأستاذ ظاهر حمزة الفلسطيني الأصل مساعداً له. وفي عهده افتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنات[(٢)]**. وجاء بعده محمد نواز الذي حاول أن يصبغ عدن بالصبغة الهندية** حتى إن الشيخ محمد عبدالقادر مكاوي انتقد سياسة التهنيد بقوة. وكان عدد الهنود في عدن عام ١٩٣١م (**٥٤,٨٢٩** شخصاً) بينما كان العدد الإجمالي للمستعمرة **١٤٢,٨٣٨** (أي **٣٨,٤** بالمئة) [(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ويقول هارولد جاكوب في كتابه «ملوك العرب»: «ومن الممارسات المؤسفة في عدن أن يستخدم الكثيرون اللغة الهندستانية، فعدن بسرعة تتهند كل يوم. فالإعلانات هي بالهندوستانية أو الجزراتية، وتبدو اللغة العربية وكأنها لغة أجنبية ومعظم المدرسين من الهنود، وأصبحت عدن كلها تعيش تحت نكهة بومبي».

وحتى عام ١٨٩٧م (أي نهاية القرن التاسع عشر) كان عدد التلاميذ في المدارس الحكومية العربية هو ٢٥٦ تلميذاً فقط.

وبعد الحرب العالمية الأولى شعرت بريطانيا بأنها لا بد ستتخلى يوماً ما عن الهند، ولهذا بدأت تقتنع بتعريب تدريجي لسكان عدن، وسمحت للعمال من المحميات واليمن الشمالي بأن يعملوا في عدن بدلاً من الهنود. ورغم ذلك فقد كان عدد الطلاب في المدارس الحكومية الابتدائية عام ١٩٢١م كالتالي: عدن (كريتر) ١٤١ طالباً، التواهي ١٣٣ طالباً، والشيخ عثمان ١٢١ طالباً. ويشمل ذلك اليهود والهنود في المدارس الحكومية.

الأهالي يفتتحون المدارس والمعاهد

وتم **فتح معهد تجاري** خاص، قام به الأستاذ ياسين راجمنار الهندي المسلم المحبّ لعدن وذلك في **٣٠/ ٤/ ١٩٢٧م**.

وفي عام ١٩٣٥م تم افتتاح **مدرسة جبل حديد** وهي لأبناء السلاطين والمشايخ في المحميات (وهو نوع من أخذ الرهائن حتى لا يثور آباءهم) وفي نفس الوقت يتم تدجينهم في المدرسة الداخلية وهي مدرسة ابتدائية إلى الثانوية الأولية.

وكانت حكومة عدن ترصد للتعليم أقل من ٥ بالمئة من ميزانية المستعمرة (١). وكانت المستعمرة مكتفية ذاتيًّا ولا تأخذ معونات لا من حكومة الهند ولا من وزارة المستعمرات ما عدا ما ينفق على القوات البريطانية والقوات المسلحة المحلية.

وفي عام ١٩٣٦م افتتحت في **عدن مدرسة الفلاح الإسلامية الهاشمية** في شارع الزعفران بكريتر ومؤسسها هو السيد حسين الدباغ المكي وكانت

(١) Gavin R.: *Aden Under the British Rule,* (1839 –1967) , p 290

مناهجها قوية في عدة نواحٍ وأهمها الناحية الدينية واللغوية، واعتنت أيضاً باللغة الإنجليزية والعلوم والرياضة البدنية والكشافة، وكذلك فعل قريبه في المكلا. ولكن الحكومة البريطانية لم يرقْها هذا الاتجاه فطردت السيد حسين الدباغ من عدن، وقريبه من المكلا، وعينت محليين لإدارة المدرستين في عدن والمكلا.. وقد قامت مدارس الفلاح في عدن والمكلا بنشاط ملحوظ مشكور. واستمر التدريس والنشاط بصورة أخف وأبطأ بعد عودة السيد الدباغ إلى وطنه في مكة المكرمة.

وقامت كذلك **مدرسة الشيخ محمد عمر بازرعة الخيرية الإسلامية،** تأسست سنة ١٩١٢م وتولى إدارتها أولاً الشيخ محمد المكي ثم تولى بعد فترة الشيخ علي محمد باحميش خريج الأزهر الشريف إدارتها وبلغت مستوى جيداً وتخرج منها المئات من أبناء عدن والمحميات وشمال اليمن.

وافتتحت **مدارس تبشيرية وأهمها المدرسة الإرسالية الكاثوليكية المعروفة باسم سانت جوزيف في عدن كريتر والتي تأسست سنة ١٨٥٤م، وأخرى في التواهي وعرفت باسم سانت أنطونيو. وقد عرفتا باسم البادري** (أي الأب باللغة الإيطالية) ولغة التعليم الإنجليزية وهي من الابتدائية إلى الثانوية.

كما **افتتحت مدرسة الإرسالية البروتستانتية الاسكوتلندية** (جون فلكونر) وأسست مستشفى في الشيخ عثمان، وعيادة في المحميات وكان لها نشاط تبشيري قوي جدًّا. وقد استمرت المدرسة من عام ١٨٨٦ إلى عام ١٩٤٣م عندما أغلقت.

وكان في كريتر **أيضاً مدرسة الإرسالية الدينماركية عام ١٩١٠م**. كما أن هناك **مدارس للهنود منها المدرسة الجزرانية (الهندوس البانيان)** عام ١٩١٩م ومدرسة أخرى بجهود **قهوجي دانشو** (البارسي الهندي) عام ١٩٣٦م.

وهناك مدرسة **للجالية الإسلامية الهندية أنجمن إسلام في التواهي وأخرى في كريتر عدن.**

وهناك **مدرستان لليهود** إحداهما للبنين والأخرى للبنات وهما مدعومتان من الحكومة. كما أن هناك مدرسة للجالية الصومالية في المعلا عرفت باسم (مدرسة الأخوة).

هذا موجز للمدارس الأهلية والحكومية في مستعمرة عدن إلى الأربعينات من القرن العشرين. وكان أبناء اليمن الشمالي محرومين تماماً من التعليم في المدارس الحكومية. وكذلك كان أبناء المحميات، ثم سُمح لأبناء المحميات بالالتحاق بالمدارس الحكومية واستمر منع أبناء الشمال[١].

تأهيل المعلمين

ابتدأ تأهيل المعلمين بنشاط ضابط التعليم عطا حسين الذي أرسل أربعة من الأساتذة إلى جامعة ليدز في بريطانيا لدراسة التربية وتخرجوا منها عام ١٩٢٥م (كما سبق ذكره)، ثم نشاط الأساتذة ظاهر حمزة الفلسطيني الأصل لتدريب بضعة مدرسين. ولكن الغالب على المدرسين عدم التأهيل وقلة الإعداد، وضعف المرتبات. يقول الحاج عبده حسين الأدهل[٢]: «كان عدد المدرسين في كل مدرسة أربعة غير مؤهلين ولا مدربين، بما فيهم مدير المدرسة».

وفي عام ١٩٣٧م عندما أصبحت عدن مستعمرة تابعة للتاج البريطاني ووزارة

(١) بدأت كلية بلقيس في الشيخ عثمان عام ١٩٦١م وهي من الابتدائية إلى الثانوية لأبناء الشمال وسمحوا لأبناء المحميات بدخولها أيضاً لأنهم يواجهون صعوبات في دخول مدارس عدن الحكومية.

(٢) كما ينقله عنه علي صالح الأرضي: «التعليم في عدن»، مصدر سابق.

المستعمرات أصبح لعدن ضابط معارف بريطاني وشكلت لجنة تربوية تمثل مختلف الطوائف لتنظر في شؤون التعليم في عدن وتقدم النصائح لإدارة المعارف.

وصارت مدة التعليم أربع سنوات للابتدائي وسبع سنوات للثانوية، يخضع في نهايتها الطالب لامتحان سينيور كامبردج.

وفي عام ١٩٥٢م صارت مدة التعليم أربع سنوات للابتدائية وثلاث للمتوسطة وأربع للثانوية. وفي تلك السنة بدأت كلية عدن في الشيخ عثمان على حدود دار سعد. ويتقدم الطالب لامتحان الثانوية .G.C.E المستوى العادي. فإذا نجح درس سنتين أخريين للتقدم لامتحان الثانوية العامة المستوى العالي (المتقدم) Advanced Level الذي يؤهله لدخول الجامعة.

وكما أسلفنا، كان عدد الناجحين في الثانوية العامة المستوى العادي في حدود عشرين طالباً إلى عام ١٩٦٠م وهم يمثلون جميع الطوائف في عدن والمحميات!! وأما عدد الذين يحصلون على المستوى المتقدم العالي فكان لا يزيد أبداً على عدد أصابع اليد.

المدارس الأهلية الخاصة والمعانة

بما أن التعليم الحكومي كان محدوداً ورغبة الأهالي في تعليم أولادهم كبيرة، فقد قام المحسنون منهم بإنشاء عدة مدارس بعضها بسيط وبعضها هام من الابتدائية إلى الثانوية، وبعضها متخصص في التعليم التجاري أو التعليم الديني. وقد ذكرنا بعضاً منها ولكننا سنجمعها جميعاً ها هنا بإيجاز شديد[1]:

(١) **المدارس القرآنية:** وكانت تحرص على تعليم القرآن الكريم تلاوة

---

(١) الأرشيف البريطاني، R 20 A 1709 ، كما ينقل علي صالح الأرضي: «التعليم في عدن»، ندوة عدن ثغر اليمن ١٩٩٩، جامعة عدن، ص ٢٣١ – ٢٤٩.

وحفظاً مع مبادئ القراءة والحساب ومن أشهرها مدرسة الشيخ عبدالله الخوري، ومدرسة الشيخ محمد المكي، ومدرسة الشيخ محمد الشنقيطي، ومدرسة الشيخ عوض (للبنين)، ومدرسة الشريفة خديجة، ومدرسة الست حليمة عبدالله حامد (للبنات). وجميع هذه المدارس في كريتر عدن. وفي الشيخ عثمان نجد مدرسة الأستاذ حيدر سعيد، ومدرسة ابنته الست نور حيدر سعيد، ومدرسة الست زهرة بنت علوان.

(٢) مدرسة بازرعة الخيرية الإسلامية على نفقة المرحوم محمد عمر بازرعة تأسست عام ١٩١٢م، وتولى إدارتها أولاً الشيخ محمد المكي، ثم تولى فترة من الزمن الشيخ علي محمد باحميش خريج الأزهر وارتقى بإدارتها. وأخرجت مئات الطلبة ومنهم الأستاذ عبدالله باذيب والأستاذ علي باذيب والأستاذ حسين باصديق، والكثير من الأدباء والعلماء والأشخاص الذين كان لهم دور بارز في تاريخ عدن. وكانت الدراسة من الابتدائية والمتوسطة إلى الثانوية الصغرى (الأولية) ويلتحق طلبتها (فيما بعد) بكلية عدن بعد تقدمهم لامتحان الدخول.

(٣) المعهد التجاري العدني الذي أسسه الأستاذ ياسين راجمنار عام ١٩٢٧م وتخصص في مسك الدفاتر (Book Keeping) والاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة والمراسلات التجارية وأعمال البنوك. ودراسته باللغة الإنجليزية. ويعمل الخريجون في الشركات والبنوك وبعض الدوائر الحكومية. وكان الطلب عليهم شديداً[1]. وافتتح فرع للبنات بعد ذلك.

---

(١) الأرشيف البريطاني، R 20 A 1709 ، نقلاً عن صالح الأرضي: «التعليم في عدن»، مصدر سابق. وقد عرفت بعض الخريجين وتولى بعضهم إدارات في فروع البنك الأهلي التجاري في جدة.

(٤) **معهد الجنوب التجاري** في الشيخ عثمان، صاحبه الحصيني. وافتتح عام ١٩٥٣م.

(٥) **مدرسة النهضة العربية** في الشيخ عثمان. واستكمل المبنى الحديث عام ١٩٥٥م، ويدرس الطلبة المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ثم يتقدمون لامتحان الدخول في كلية عدن أو المعهد الفني.

(٦) **مدرسة الفلاح الإسلامية الهاشمية،** التي أسسها السيد حسين الدباغ المكي عام ١٩٣٦م وهي ابتدائية ومتوسطة.

(٧) **مدرسة أنجمن إسلام في التواهي** وأخرى في كريتر في عدن للجالية الهندية المسلمة باسم باهي لالجي الإسلامية.

(٨) **مدرسة الأخوة** للجالية الصومالية في المعلا.

(٩) **المعهد الإسلامي (الديني)**: وقد قام بهذا المشروع والدعوة له كثيرون على رأسهم الشيخ محمد سالم البيحاني الذي افتتح عام ١٩٥٧م. وكانت الدراسة فيه قوية جدًّا من الناحية الدينية واللغة العربية. ويشمل المراحل الثلاث الابتدائية والمتوسطة والثانوية مع تخصص قوي في المواد الإسلامية الدينية واللغة العربية. وقد أقفله الحكم الشيوعي الشمولي منذ بداية السبعينات من القرن العشرين. ورغم محاولات إعادته إلا أنه لم يفتتح إلى اليوم ٢٠١٢م.

وكانت المدارس في عدن تقسم إلى[1]:

(١) **المدارس الحكومية.** والتعليم فيها مجاني في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، وبرسوم معقولة في الثانوية ويعفى منها الفقراء.

(٢) **المدارس المعانة:** وهذه تستلم إعانات من حكومة عدن. وهي مدارس خاصة ومنها جميع المدارس التبشيرية (التي سبق ذكرها) والمدارس التابعة للجاليات (المدرسة الجزراتية، مدرسة أنجمن الإسلامية). وكانت مدارس

---

(١) علي صالح الأرضي: تاريخ التعليم في عدن، مصدر سابق.

اليهود حكومية ومع ذلك يدعمها أثرياء اليهود مثل بنين لزيادة أنشطتها وتوسيع مجالاتها.

(٣) المدارس المستقلة وغير المعانة: وهي لا تتلقى معونات من الحكومة. وتنقسم إلى قسمين:

(أ) مدارس توافق الحكومة على مناهجها وتقرّها.

(ب) مدارس لا تأخذ اهتماماً بموافقة الحكومة عليها، ومنها مدرسة الفلاح ومدرسة بازرعة الخيرية والمعهد الإسلامي الديني (معهد البيحاني).

الستينات من القرن العشرين

وفي الستينات من القرن العشرين (١٩٦٠ – ١٩٦٧م) ظهرت عدة مدارس ثانوية منها ثانوية خور مكسر للبنين (ثانوية الجلاء)، وثانوية في مدينة الاتحاد (مدينة الشعب).

وحصلت بعض الفتيات على شهادة الثانوية العامة G.C.E. منهن عزّة محمد عبده غانم وقدرية زين الحازمي وآسيا طه الصافي وفريدة حيدر، وقد ابتعثن للجامعة الأميركية في بيروت وتخرّجن منها. وكانت مظلوم أحمد علي قد ابتعثت إلى بريطانيا لتدرس التربية وشؤون التعليم سنة ١٩٥٩م فكانت بذلك أول مبتعثة عدنية للخارج في بريطانيا بينما قد سبقتها أربع فتيات ذهبن إلى مصر سنة ١٩٤٣ للالتحاق بمدرسة المعلمات[١].

وشهدت الستينات زيادة في عدد المدارس الحكومية والأهلية من الابتدائية إلى الثانوية كما شهدت زيادة كبيرة في البعثات إلى الخارج وأغلبها إلى مصر بمنح من الحكومة المصرية عن طريق رابطة أبناء الجنوب وغيرها من المؤسسات والجمعيات.

---

(١) علي صالح الأرضي: تاريخ التعليم في عدن، مصدر سابق.

الخلاصة: كانت عدن في العهود الإسلامية مدينة مشهورة بعلمائها ومدارسها. ثم أصابها الذبول وانحسار تجارتها وسكانها ومدارسها وخاصة منذ القرن السابع عشر الميلادي. وعندما احتلها الإنجليز عام ١٨٣٩م كان التعليم فيها مقتصراً على الكتاتيب وعلى التعليم الديني لدى المشايخ في المساجد وغيرها.

ولم تهتم بريطانيا بالتعليم. وافتتحت أول مدرسة تبشيرية بواسطة القسيس المستعرب بدجر عام ١٨٥٦م فرفض الأهالي إرسال أبنائهم إليها فتم إقفالها. ثم أعادها حاكم عدن بعد تعديل مناهجها عام ١٨٦٦م وبالتدريج دخلها الطلاب عندما قام الحاكم في عدن بتعيين خريجيها موظفين كتبة لدى الدولة.

وبدأت ثلاث مدارس ابتدائية: واحدة في كريتر وأخرى في التواهي وثالثة في المعلا، مع وجود العديد من المدارس التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية. ثم بدأت المدارس الأهلية.

وكانت هناك مدارس للعرب (حكومية وأهلية) ومدارس لليهود (حكومية ويساعدها أثرياء اليهود) ومدارس للهندوس (معانة من الدولة)، ومدارس للهنود المسلمين (أهلية وبعضها مُعان من الدولة). ومدرسة للصومال.. إلخ.

ولم تظهر المدارس الثانوية إلا في الثلاثينات من القرن العشرين وتنتهي بامتحان الثانوية جونير كامبردج (Junior Cambridge) الذي لا يؤهل لدخول الجامعة. وفي عام ١٩٤٤م ارتفع المستوى إلى سينيور كامبردج Senior Cambridge الذي يؤهل لدخول الجامعة. ومع ذلك لم يكن يحصل على هذه الشهادة الثانوية سوى بضعة أفراد نصفهم تقريباً من غير العرب.

وفي عام ١٩٥٢م بدأت كلية عدن التي تؤهل للحصول على الثانوية العامة

المستوى العادي ثم المستوى العالي. وحتى عام ١٩٦٠م لم يكن يحصل على هذه الشهادة سوى عشرين طالباً أو أقل سنوياً (خمسة مواضيع فما فوقها). وهو عدد ضئيل، وهؤلاء يمثلون جميع سكان عدن والمحميات الذين تجاوز عددهم المليون، وهم من جميع الجنسيات والأديان (مسلمون، هندوس، عرب، هنود مسلمون، يهود، نصارى، صومال.. إلخ).

ولم تفتح جامعة طوال حقبة الاستعمار (١٨٣٩ – ١٩٦٧م) ولم تظهر جامعة عدن إلا بعد الاستقلال. والخلاصة أن بريطانيا أهملت التعليم وجعلته محصوراً طوال حقبة الاستعمار البغيض.

الجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية

ظهر في عدن والمحميات (حضرموت ولحج) العديد من الجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية. وربما كان أول هذه النوادي الأدبية والثقافية ظهوراً **نادي الأدب العربي الذي تأسس عام ١٩٢٥م** برئاسة **الشاعر الأمير أحمد فضل العبدلي المعروف بالقومندان** (القومندان رتبة عسكرية بمثابة قائد الجيش). وكان هذا الأمير الأديب الشاعر المؤرخ العسكري والمهتم بالثقافة والزراعة، وصاحب كثير من الأغاني الشعبية، وصاحب كتاب «هدية الزمن»، قد أقام هذا النادي عندما دعاه إلى ذلك الأستاذ المجاهد الإسلامي الوطني الأديب الأستاذ عبد العزيز الثعالبي الذي زار عدن ولحج وذهب إلى صنعاء راكباً حماراً حتى مرض أشد المرض في الطريق وأشرف على الموت، فداواه بعض الأطباء من الطليان الذين كانوا في حضرة الإمام يحيى حميد الدين. واشترك في التأسيس الأستاذ محمد علي لقمان والأستاذ أحمد محمد سعيد الأصنج (صاحب كتاب نصيب عدن من الحركة الفكرية الحديثة).

(٢) ثم ظهر **نادي الإصلاح العربي في التواهي عام ١٩٢٩م**. وكان رئيس

النادي السيد عبده غانم والد الشاعر الدكتور محمد عبده غانم (وهو أيضاً أمين الصندوق). ومن أعضاء هذا النادي الأستاذ أحمد سعيد الأصنج ومحمد علي لقمان. وكوّن النادي عام ١٩٤٢م (حلقة شوقي) ثم تولى النادي محمد علي باشراحيل وهاشم ردمان وعبد العزيز المصري.

(٣) **نادي الإصلاح العربي الشيخ عثمان عام ١٩٣٠م**. وتولى رئاسته الأستاذ أحمد سعيد الأصنج، واشترك فيه الشيخ العلامة أحمد محمد العبادي، والشاعر الأديب الكبير علي أحمد باكثير عند قدومه إلى عدن ومكثه بها حوالى سنتين، والشيخ محمد سالم البيحاني أشهر خطباء عدن (بل أشهر خطباء جزيرة العرب في زمنه)، والأستاذ عبد المجيد سعيد الأصنج (والد المناضل والسياسي والنقابي الأول في عدن عبدالله عبد المجيد الأصنج). وكان آل الأصنج من الشعراء. بل كل من ذكرنا من الأسماء كانت له إسهامات شعرية وأدبية.

(٤) **نادي الإصلاح العربي كريتر عام ١٩٣٠م**. ومن أبرز رجاله الأستاذ محمد علي لقمان المشارك في العديد من أندية الإصلاح ونادي الأدب العربي.

(٥) **مخيم أبي الطيب (المتنبي) وقد ظهر في التواهي عام ١٩٣٩م** قبيل الحرب العالمية الثانية، ثم توقف نشاطه أثناء الحرب فترة. ولكنه أصدر في ١٤ يوليه ١٩٤٢م (أثناء الحرب) أول كتاب له بعنوان (أقلام المخيم) جمع فيه ملخصات بعض المحاضرات التي كانت تلقى على أعضاء المخيم. وقد خصص هذا الكتاب لذكرى الشاعر المؤرخ الأديب أحمد فضل العبدلي القومندان (القائد). وكان بالفعل قائداً أدبيًّا وشعريًّا ونهضويًّا وفنيًّا وزراعيًّا.

وقامت مجموعة من النوادي الأدبية والثقافية الأخرى مثل نادي غازي الأول **وحلقة شوقي (ورئيسها الشاعر محمد عبده غانم) وجمعية الأدب والمناظرات في فبراير ١٩٤٣م في مقر المعهد البريطاني في عدن ورئيسها محمد**

حسن خليفة وسكرتير الجمعية عبد القوي حسن مكاوي. وكان من أهم أهدافها نشر اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي بين المثقفين.. (١).

وقام نادي يعرب بن قحطان (يوليه ١٩٤٣م) في الشيخ عثمان وكأنه يرد على جمعية الأدب والمناظرات التي تهتم باللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي، فجاء يعرب للدعوة إلى اللغة العربية وآدابها في نفس العام الذي أسس فيه جمعية الأدب والمناظرات. ورئيس نادي يعرب بن قحطان هو الشيخ علي ناصر الأزهري.

وأقام نادي الشباب الثقافي في الشيخ عثمان حلقة ترأسها الأستاذ الأديب والمؤرخ عبدالله فارع بعنوان «**حلقة الملاح التائه**» وكان الجرادة سكرتير الحلقة ورئيس نادي الشباب الثقافي. وهذا يوضح الاتجاه الرومانسي الذي قاده الشاعر علي محمود طه في مصر.

وهناك أيضاً مخيم أبي العلاء المعري (الشيخ عثمان) ١٩٤٧م ورئيس المخيم عبد الباري قاسم. وفي كريتر ظهر نادي الشباب الأدبي عام ١٩٥١م وترأسه الأستاذ والأديب والصحفي والمربي حسين سالم باصديق.

وظهر المركز الاجتماعي في الخمسينات في كريتر ثم المنظمة المتحدة للشباب اليمني عام ١٩٦١م والرابطة القومية للكتاب العربي باليمن عام ١٩٦٢م

---

(١) مصادر هذه المادة:

(١) عبد الرحمن خباره: عدن الازدهار الصحافي، ندوة عدن ثغر اليمن، ص ١٤٩ – ١٦٠.

(٢) د. احمد علي الهمداني: الحركة الأدبية الثقافية.. ندوة عدن ثغر اليمن، ص ٨١ – ٨٩.

(٣) إبراهيم خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني (١٩٤٦ – ١٩٦٧م)، جامعة بغداد، ص ١٠٠ – ١٠٧.

ومؤتمر الخريجين بعدن ١٩٦٢م ورابطة الأدب والفن بالشيخ عثمان عام ١٩٦١م برئاسة الأستاذ عبدالله فاضل.

وظهر في عدن كريتر المركز الثقافي الاجتماعي الإسلامي عام ١٩٦٦م وترأسه د. محمد علي البار وأمينه العام الأستاذ عمر طرموم رحمه الله، ثم تولى رئاسته الشيخ محمد جابر ونائبه الأستاذ حسين دلمار رحمه الله وكانت تلقى فيه محاضرات أسبوعية أغلبها في تفسير القرآن الكريم. وفي المناسبات الدينية يحضر علماء عدن مثل الشيخ البيحاني والشيخ الباحميش والسيد مطهر الغرباني ويلقون خطباً في مواضيع الهجرة والمولد والإسراء... إلخ، ويشارك فيها الشعراء وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد عبده غانم - رحم الله الجميع.

وقامت هذه النوادي والجمعيات بنشاط ثقافي واجتماعي بارز. وقد أشرنا إلى البعثات للطلبة إلى الخارج التي قام بها نادي الإصلاح العربي (كريتر) حيث حصل رئيس النادي الأستاذ محمد علي لقمان على بعثة دراسية للعراق من الملك غازي لعشرة من الطلاب للدراسة في جامعة بغداد، وذلك عام ١٩٣٦م[١].

وفي عام ١٩٣٨م قام نادي الإصلاح العربي الإسلامي بالشيخ عثمان بإرسال بعثة إلى الأزهر الشريف، وهم: الشيخ محمد بن سالم البيحاني والأستاذ أحمد محمد نعمان والشيخ علي الهتاري والشيخ علوي حسن[٢].

وحصل الأستاذ محمد علي لقمان رئيس نادي الإصلاح العربي في كريتر على منحة إلى الهند وكان هو بنفسه ضمن الدارسين. كما حصل نادي الإصلاح العربي الإسلامي في الشيخ عثمان على تخفيض رسوم أربعة من الطلاب

---

(١) علي صالح الأرضي: التعليم في عدن، ندوة عدن ثغر اليمن ١٩٩٩م، جامعة عدن، ص ٢٣١ - ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق.

للدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت وذلك عام ١٩٣٧م[١].

وقام «نادي الأدب العربي» في كريتر عدن بإرسال مجمرة ذهبية وقلماً ذهبيًّا في الاحتفال بتقليد أحمد شوقي إمارة الشعر مع قصائد متعددة لعل أهمها قصيدة الأمير الشاعر صالح سعد العبدلي من لحج.

وأصدر بعض الأساتذة كتباً في الفقه والنحو واللغة، ومنهم: **الأستاذ عبدالقادر محمد المكي ناظر أشغال بلدية عدن حيث أصدر كتابه «النهر الفائض في علم الفرائض (المواريث) وكتاب «الإيضاح في حقوق النساء وأحكام النكاح» وذلك عام ١٨٨٦م. كما قام هذا الأستاذ الجليل بإصدار كتاب «مبادئ الكيمياء» في ٧ سبتمبر ١٩١١م.** والكتاب يشتمل على أصول الكيمياء الحديثة وبيان صفات الفلزات وغير الفلزات (المواد المعدنية وغير المعدنية. وهو أمر مذهل أن يقوم ناظر أشغال بلدية عدن بإصدار كتب في الفقه (الفرائض) وأحكام النكاح وحقوق النساء. والأعجب أن يصدر كتاباً تعليميًّا في الكيمياء!![٢].

وهذا يدل على أن المستوى الثقافي والعلمي في عدن كان رائعاً رغم سياسة بريطانيا في التجهيل وعدم فتح المدارس إلا بقدر محدد وخاصة طوال القرن التاسع عشر الميلادي. وحتى في القرن العشرين فقد كانت المدارس محدودة وخاصة في العقدين الأولين من القرن العشرين (كما أسلفنا).

وذلك كله يشير إلى أن التعليم في المساجد والكتاتيب استمر وأدى ذلك إلى وجود ومضات نورانية علمية من جهود علماء عدن تشير إلى ماضيها العلمي المجيد (الذي وصفناه في الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) د. أحمد علي الهمداني: الحركة الأدبية الثقافية: الأندية والمراكز الأدبية، ندوة عدن ثغر اليمن، ١٩٩٩م، جامعة عدن، ص ٨١ – ٨٩.

وظهر في تلك الفترة العديد من الكتب التاريخية والعلمية ومنها كتاب الأمير أحمد فضل العبدلي (القومندان) «هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن» الصادر عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، وذكر أن أهل عدن قد اشتهروا بالأدب ونبغ منهم جملة أدباء. وظهرت مجموعة من الدواوين للشعراء في تلك الفترة والتي امتدت إلى الستينات والسبعينات من القرن العشرين. واستعراضها يحتاج إلى مجلد ضخم. ومن أشهر هؤلاء الشعراء الأستاذ محمد عبده غانم والأستاذ علي محمد لقمان والأستاذ لطفي جعفر أمان والأستاذ محمد سعيد جرادة والأستاذ إدريس حنبلة والأستاذ عبد العزيز نصر. وربما جاز لنا أن نذكر في القائمة الشهيد الأستاذ محمد محمود الربيزي لأنه أقام في عدن فترة وظهرت منها قصائد عدة له، كما سبقه الأديب الشاعر الحضرمي المصري أحمد علي باكثير. وقد أقام باكثير في عدن لمدة سنتين بعد وفاة زوجه، وخروجه من حضرموت، فوجد في عدن وفي كنف الأستاذ محمد علي لقمان من المحبّة والرعاية ما خفّف عنه لوعته.. وسافر بعدها إلى الحجاز ومنها إلى مصر حيث استقرّ به المقام، وظهرت عبقريته في المسرحية والرواية.. وعدد الشعراء كبير جدًّا في عدن وأكنافها.. وحتى الفقهاء نظموا الشعر. ونظم الشيخ محمد البيحاني منظومات واسعة شملت التاريخ بأكمله.

ونظم الفقهاء نظم، وقليل منهم يعتبر شاعراً مبدعاً، ولكن ملكتهم اللغوية وتصرفهم في معانيها قد تفوق ما يقدمه الأدباء والشعراء. وكثير من الفقهاء يحفظون دواوين كاملة وخاصة ديوان المتنبي وبضاعتهم في النحو لا تُبارى ولا يتركون علوم اللغة وآدابها. لهذا قد ينبغ منهم شعراء وأدباء.

ولا شك أن نهضة مصر الأدبية شعراً ونثراً قد أثرت على العالم العربي بأكمله.. وكان لشوقي وحافظ تلاميذ في كل أصقاع الوطن العربي بما فيه اليمن الشمالي والجنوبي. ثم ظهرت المدرسة الرومانسية في الشعر على يد علي محمود طه

وتأثر بها شعراء عدن حتى أقاموا حلقة «**الملاح التائه**» وهو اسم لديوانه.. وكان من أبرز من أظهروا المدرسة الرومانسية في عدن الأستاذ لطفي جعفر أمان. وكان تأثره شديداً بعلي محمود طه ومجموعة الأدباء الرومانسيين في مصر وفي الأدب الأوربي.

وكان بعض أدباء عدن وشعرائها يجيدون اللغة الإنجليزية بالإضافة إلى مهاراتهم الفائقة في اللغة العربية، ومن هؤلاء الأستاذ محمد علي لقمان وابنه الشاعر علي محمد لقمان وابنه الأديب عبد الرحيم لقمان الذي كان يجيد الروسية أيضاً، وذلك قبل دخول الروس إلى عدن وإرسال البعثات إلى روسيا بنصف قرن من الزمن، والأستاذ محمد عبده غانم والأستاذ لطفي جعفر أمان والأستاذ الأديب والناقد والمؤرخ عبدالله فاضل فارع، وغيرهم كثير.

ويقول الأستاذ **المجاهد الفلسطيني الأديب محمد علي الطاهر** الذي قدّم كتاب الأستاذ أحمد محمد سعيد الأصنج «نصيب عدن من الحركة الفكرية الحديثة» الصادر في القاهرة سنة ١٩٣٤م: «إن عدن لولا الحيوية الخارقة الكامنة فيها، وقوة العروبة المتأصلة في أهلها الذين هم أصحاب الجزء الثاني من الوطن العربي الأكبر، لما بقيت عريقة حتى اليوم. وقد قيّض الله لعدن في السنوات الأخيرة عصبة قليلة من الشباب المفكرين المستنيرين فنهضوا بمحيط عدن نهضة حازمة شعر الجميع بوجودها.. فقد ألفوا الجمعيات وأقاموا الأندية وعمموا حلقات الأدب وملأوا صحف الشرق العربي بثقافتهم ومباحثهم»[(١)].

ويقول الأستاذ شكيب أرسلان (أمير البيان) في مقال نشرته جريدة الشورى (العدد ٣١٣) بتاريخ ١١ فبراير ١٩٣١م[(٢)]: «ما ألذّ مقالات الأديب اليماني محمد علي إبراهيم لقمان، فإني رغم الشواغل والشواده أطالعها المرّتين

(١) أحمد علي الهمداني: الحركة الأدبية الثقافية، ندوة عدن ثغر اليمن، ص ٨١ – ٨٩.
(٢) المصدر السابق.

والثلاث. ولا أزال أجد فيها طلاوة نكات، ولطائف وتالد وطارف، وأفكار عصرية، ومعلومات تاريخية، وملاحظات اجتماعية، ودقائق اقتصادية، وآراء سياسية، ومنازع قومية ومبادئ وطنية. وكل هذا بعبارة سهلة مع الامتناع، دانية مع الارتفاع. تدخل الآذان بلا استئذان، وتوحي إلى القلب نفساً أبيّة، ونُصرة عربيّة، وقريحة فياضة، وهمّة نهّاضة، يقول لها الإنسان حقًّا إن الأسماء تنزل من السماء وإن بين اسم لقمان والحكمة صلة قرابة...».

ولولا أن الكاتب أمير البيان المجاهد الكبير شكيب أرسلان لقلنا إن في الكلام بهذه الصيغة مبالغة في المدح والإطراء. وأمير البيان لا يحتاج إلى مجاملة لقمان. ومحمد علي لقمان في زاوية تكاد تكون مجهولة لدى العرب وغيرهم في ذلك الزمان (١٩٣١م)، وأمير البيان معروف في كافة أقطار الإسلام بل في كثير من دول العالم في ذلك الوقت. وشهادته لمحمد علي لقمان غير مجروحة، وهي وسام على صدر الأستاذ لقمان - رحمه الله رحمة واسعة.

وبصدور فتاة الجزيرة في عام ١٩٤٠م، وغيرها من الصحف والمجلات الأدبية بعد ذلك، انتشرت القصائد المنشورة ونقدها كما بدأت تظهر القصة القصيرة والمسرحية.

ونرى **الأستاذ عبد الله عبد الرازق باذيب في أول ظهوره ناقداً أدبيًّا** ومحللاً لمجموعة من القصص مثل قصة «يوميات مبرشت» (أي لص مرتشي) لعبدالله الطيب أرسلان وهو معجب بشعر لطفي جعفر أمان أشد الإعجاب، ومع ذلك ينتقد أستاذ لطفي، محمد عبده غانم، بشدّة ولا يكاد يسيغ شعره حسب قوله.

ثم تحول عبدالله باذيب من الأدب إلى السياسة والكتابة الصحفية السياسية، وبعدها تحول إلى الماركسية. وعندما خرج من عدن بعد محاكمته، وذهب إلى الإمام أحمد يحيى حميد الدين لم ير أن ذلك ارتماء في أحضان الرجعية، بل أشاد بالإمام، ثم ذهب إلى موسكو، ومنها عاد ماركسيًّا خالصاً حتى وفاته رغم

اختلافه مع الرفاق من أمثال عبد الفتاح إسماعيل وعلي سالم البيض وعلي عنتر وعلي ناصر وسالمين، حتى قيل إنه مات كمداً من أعمالهم التي حطمت آماله في الاشتراكية العلمية والماركسية اللينينية التي كان يحلم بها في عالم طوباوي..

وقد كتب الأستاذ أنور المعداوي في مجلة (الرسالة) المصرية المشهورة (العدد ٨٤٢) عن النهضة الثقافية الأدبية في عدن، فقال: «**من دواعي الغبطة أن هناك نهضة أدبية مباركة في عدن يشرف عليها ويرعاها نخبة من الشباب المخلصين لرسالتهم في الحياة. الله يشهد أنني سعيد بهذه النهضة لأنها وثبة رائعة من وثبات الشباب العربي في جنوب الجزيرة، ومتفائل كل التفاؤل لأنني أؤمن كل الإيمان بأن النهضة الأدبية ما هي إلا مقدمات طبيعية للنهضات الأخرى. ولو قلّبت صفحات التاريخ في كل أمة من الأمم لرأيت أن كل وثيقة في ميدان السياسة والعلم والاجتماع قد مُهِّدَ لها الطريق على أكتاف رجال الأدب والفنّ لأنهم كانوا وما يزالون حملة المشاعل في الصفوف الأولى من ركب الإنسانية في سيرها الطويل**»[١].

النوادي النسائية

تأسس أول نادي نسائي في سنة ١٩٤٣م باسم «**المعهد البريطاني للنساء**» وكانت ترأس النادي سيدة بريطانية، ويتكون مجلس الإدارة من ممثلات لجميع الجاليات الأجنبية في عدن بالإضافة إلى سيدات عدنيات. وكانت برامج النادي ترفيهية ورياضية وإعطاء دروس باللغة الإنجليزية[٢]. وأغلق النادي عام ١٩٥١م.

---

(١) د. أحمد علي الهمداني: الحركة الأدبية الثقافية ندوة عدن ثغر اليمن، جامعة عدن، ص ٨١ – ٨٩.

(٢) د. خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني (١٩٤٥ – ١٩٦٧م) جامعة بغداد، ص ١٠٣.

(٢) نادي نساء عدن، تأسس عام ١٩٥٢م برئاسة زوجة نائب حاكم عدن ولجنة إدارية تمثل الجاليات الأجنبية ومجموعة من المثقفات العدنيات. واستطعن السيطرة على النادي حتى أصبح مقرًّا للنشاطات الوطنية والاحتفال بالمناسبات الدينية لنساء عدن[١].

الجمعيات والنوادي الاجتماعية والرياضية

لقد كثرت النوادي والجمعيات في عدن بشكل مزعج. وقد وصف هيكنبوتم حاكم عدن والمحميات في كتابه «عدن»[٢] هذه النوادي الكثيرة بقوله: «يجتمع أناس لهم وجهات نظر متماثلة أو يعملون في حرفة واحدة في مقهى فتخطر لهم خاطرة تكوين نادي، فيظهر فجأة نادي كامل التكوين من رئيس إلى سكرتير إلى أمين صندوق ولجنة عامة ثم غرفة صغيرة، وتقدّم الأهداف والأسماء إلى الشرطة (District commissioner) ليسمح بتسجيل النادي طبقاً للقانون. وعادة ما تتم الموافقة على تسجيل النادي لأن الأهداف المقدّمة تكون ثقافية واجتماعية، وبعيدة عن السياسة.. وسرعان ما يختفي النادي ويأخذ أصحاب مجلس الإدارة الأثاث ويستولون على المالية الموجودة، ولا يدفعون إيجار المحل المستأجر، ويتركونه فارغاً ولا أحد يعرف لهم عنواناً بعد ذلك.

ويذكر مثالاً على ذلك نادي الربيزي (وهي قبيلة ما بين العواذل وبيحان) الثقافي الاجتماعي الخيري: [وقد كانت هناك حضارة قوية في منطقة الربيزي قبل ما يقارب أربعة آلاف سنة (٢٠٠٠ قبل الميلاد]. ثم اختفى النادي بعد أن حصل على بعض التبرعات[٣].

---

(١) عادل رضا: تطور ومسار الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية، ص ١٤٣.

(٢) T. Hickinbothom: *Aden*, p 193 – 194

(٣) المصدر السابق.

وفي منطقة الربيزي لا يذهب أحد إلى أي مكان بما في ذلك أي دعوة دون أن يكون معه خنجره وبندقيته، وإذا كان الداعي من قرية أخرى فلا بد أن يضمنه أحد السادة الذين يقومون عادة بالإصلاح بين القبائل وضمان سلامة الضيفان[١]. ورغم أن السادة لا يقاتلون ولا يحملون السلاح إلا أن وظيفتهم الاجتماعية في الإصلاح بين القبائل، وتحمّل الديات وتكاليف الصلح، جعلت لهم مكانة رفيعة بين القبائل من المهرة شرقاً مروراً بحضرموت والواحدي والعوالق والعواذل وبيحان إلى الصبيحة قرب باب المندب.

ويقول هيكنبوتم أن هناك العديد من النوادي والجمعيات النافعة وتؤدي وظائف ثقافية واجتماعية وخيرية. وحتى النوادي الرياضيّة (كرة القدم وهي أكثرها انتشاراً والتنس الأرضي والهوكي) التي تقوم بالأنشطة الرياضية لا تخلو من أنشطة اجتماعية وثقافية وخيرية، ولا شك أن السياسة تناقش أيضاً في هذه النوادي، ولكن الأمور السياسية ليست هي أساس النادي ولا مدار نشاطه الأهم[٢].

وقد ذكر كتاب الحركة الوطنية في الجنوب اليمني (١٩٤٥- ١٩٦٧م) [٣] أن عدد النوادي والجمعيات الاجتماعية والرياضية والثقافية بلغت في عدن ٤٧ نادياً وجمعية و١٩ نادياً في حضرموت. ووضعها بأسمائها في الملحق رقم ٣ (ص ٤٩٣ – ٤٩٥). وهي لم تشمل نوادي التنس والهوكي والسباحة.. إلخ.

وذكر عدداً من النوادي وجمعيات حضرموت، منها: النادي الثقافي في المكلا والذي قام بافتتاح صفوف ليلية لتعليم الكبار وإرسال البعثات التعليمية للخارج، والدعوة لإصلاح الأوضاع السياسية ودعم الفلسطينيين في كفاحهم ضد الصهيونية والجزائريين ضد الاستعمار الفرنسي. واعتبر المستشار البريطاني

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق، ص ١٩٥.
(٣) خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني، ص ١٠٠ – ١٠٦.

بوستيد أنه قد تجاوز حده باشتراكه في السياسة، فأمر بإغلاقه في ٢٢ أبريل (نيسان) ١٩٥٨م (طبعاً بأمر سلطاني) واعتقال بعض أعضائه.

ومن أبرز الجمعيات في حضرموت: جمعية الأخوة والمعاونة والتي تأسست في تريم سنة ١٩٣١م وترأسها العلامة السيد محمد أحمد الشاطري، وشارك فيها مجموعة من شباب حضرموت المثقف منهم السيد علي بن عقيل. وكان هدفها نشر التعليم وإصلاح المناهج التعليمية وإرسال البعثات للخارج. وافتتحت العديد من المدارس المجانية والصفوف الليلية لتعليم الكبار ومحو الأمية. وكان لها نشاط اقتصادي، وشجعت الصناعات الأولية والزراعة، وعمرت السدود وأقامت مشروعاً زراعيًّا برأسمال قده مائة ألف روبية (وهو مبلغ كبير آنذاك)، وعملت على نشر المستوصفات الصحية والارتفاع بمستوى الصحة. لقد كانت جمعية أشبه بدولة، على رغم محدودية إمكاناتها [(١)].

ومن هذه الجمعيات: جمعية الفضائل الإسلامية في تريم، التي كان هدفها رفع المستوى الأخلاقي للأمة. ولم تعمّر طويلاً وقام مكانها «جمعية الحق»، وكانت أهدافها اجتماعية وأدبية وأخلاقية، لكنها مارست نشاطاً سياسيًّا وتولت إدارة شؤون مدينة تريم وبلديتها مقابل مبلغ محدد تدفعه للسلطان الكثيري، وحدّدت نسبة الضرائب والرسوم على الأهالي بصورة عادلة. وانتهى نشاطها بسبب الخلاف بين قادة الجمعية [(٢)].

ثم تكونت بعدها «الجمعية السرية بتريم» سنة ١٩٥٦م، وهاجمت المستشار السياسي البريطاني، وطالبت بطرد سكرتير الدولة السوداني (القدّال) الذي عيّنه المستشار السياسي البريطاني بوستيد [(٣)].

---

(١) خلف العبيدي: المصدر السابق، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) صلاح البكري: تاريخ حضرموت، ج٢/ ٥٤.

(٣) صحيفة الجنوب العربي، العدد ١٠٣ الصادر في ١٦/ ١٠/ ١٩٥٦.

ورغم كثرة النوادي والجمعيات في عدن إلا أن بعضها كان يهتم بقبيلته أو قريته التي جاء منها. فعلى سبيل المثال، كان هناك: نادي الاتحاد الشيباني، نادي الاتحاد العبسي، نادي الاتحاد العُديني، نادي الاتحاد الأغبري والأصبحي والقرشي والذبحاني والعلوي، ونادي القبيطة، ونادي اليوسفي، ونادي أهالي رداع، ونادي أهالي حبيش، وآخر للشباب اليافعي، وغيره للمهرة وللمقاطرة وللحدا وجمعية الاتحاد الواحدي والجمعية الوطنية الحضرمية.. إلخ.

وأما الأنشطة الرياضية ونواديها فوصلت عام ١٩٣٦م إلى ١٢ نادياً في الشيخ عثمان وحدها[(١)]. وقلّ النشاط أثناء الحرب العالمية الثانية، ليعود بعد انتهائها إلى أشدّه (عشرات الأندية). واشتهرت أندية في كرة القدم في الخمسينات هي:

- نادي الشبيبة المتحد (الواي).
- نادي الحسيني الرياضي.
- نادي الاتحاد المحمدي (YMC).
- نادي الاتحاد الإسلامي (نادي شباب التواهي).
- نادي (البارك بويز) فتيان الثكنات الرياضي

وظهرت مراكز رعاية اجتماعية كالتالي[(٢)].

(١) دار العجزة والمسنين (عام ١٩٠٦م).

(٢) جمعية رعاية الأيتام وأولاد الفقراء (١٩٤٢م).

(٣) معهد النور للمكفوفين (١٩٥١م).

(٤) نادي الطلاب (١٩٥٤م).

---

(١) علوي عبد الله طاهر: النوادي والجمعيات في عدن، ندوة عدن ثغر اليمن (١٩٩٩م)، ص ١١٩ – ١٢٦.

(٢) المصدر السابق.

(٥) نادي المعلمين (١٩٦١م).

(٦) المركز الاجتماعي في الشيخ عثمان (١٩٦٥م).

(٧) جمعية الكشافة للأولاد والمرشدات وهي للأشبال والجوالة والكشافة.

(٨) جمعية الهلال الأحمر.

وكانت نوادي التنس هي نوادي النخبة، وفي كريتر كان هناك نادي للإنجليز فقط وآخر مختلط (صيرة). والثالث نادي التنس العدني وأغلب أعضائه من العرب وبضعة أفراد من الهندوس والإنجليزي الوحيد الذي كان يأتي إليه الدكتور سنيل مدير المعارف.. وكانت لهذه النوادي أنشطة ثقافية بجانب نشاطها الرياضي، وهو الأهم. وقد قتل رئيس المجلس التشريعي في عدن المستر تشارلز (وكان قاضياً) بعد خروجه من النادي، قتله عبد الفتاح إسماعيل. وكان المستر تشارلز محبوباً من الجميع ولم يسئ إلى أحد قط ولم تعرف عنه أي مواقف عدائية للعرب. بل على العكس من ذلك. وكان قتله جريمة لا مبرر لها إطلاقاً.

المطابع والمكتبات في عدن (١)

كانت المطابع المشهورة في عدن تجارية وتطبع أعمال الشركات وأوراق الدعاية والإعلانات والأعمال المكتبية. ولكن بعضها قام بطباعة الصحف والمجلات. وأشهر هذه المكتبات حسب تسلسلها التاريخي وأهميتها هي:

(١) **مطبعة شركة كواجي دنشو** (وهي شركة لها أعمال عدة لرجل مجوسي زاردشتي من الهند وله أعمال تجارية ضخمة في عدن وفي الميناء، وهو المورِّد الأول لأنواع الخمور للمستعمرة والأجانب وبعض الأهالي).

---

(١) د. أحمد علي الهمداني: الحركة الأدبية الثقافية، ندوة عدن ثغر اليمن (١٩٩٩م)، جامعة عدن، ص ٩٤ – ٩٨.

ومقرها في التواهي في إحدى مباني الشركة. وقد تأسست عام ١٨٥٤م. وكانت تطبع جريدة الحكومة الرسمية (Aden Gazette) وجميع أعمال الشركة وفروعها في عدن والصومال، والأعمال التجارية للشركات الأخرى.

(٢) **مطبعة فتاة الجزيرة:** وصاحبها الأستاذ الصحفي القدير المحامي محمد علي لقمان. ومقرها في شارع اسبلانيد في كريتر (شارع الملكة أروى بعد ذلك). تأسست عام ١٩٣٨م. وهي مطبعة عامة وتطبع العديد من الصحف والمجلات، منها: فتاة الجزيرة التي صدرت في يناير ١٩٤٠م، والأفكار، والأخبار، والفضول، والقلم العدني، وإيدن كرونكل ومجموعة من الدواوين للأستاذ علي محمد علي لقمان والأستاذ محمد عبده غانم ولطفي أمان.. إلخ.

(٣) **مطبعة مكتبة العلاقات والنشر لحكومة عدن:** مقرها في التواهي، وهي مطبعة حكومية تأسست عام ١٩٣٩م. وطبعت أعمالاً كثيرة للدعاية للحلفاء وضد دول المحور طوال الحرب العالمية الثانية. كما طبعت نشرات الحكومة الرسمية.

(٤) **مطبعة بالنجي دنشو** (من أسرة دنشو الهندية البارسية المجوسية الزرادشتية ذات الأعمال التجارية الواسعة في عدن والهند والصومال.. إلخ) ومقرها في التواهي. تأسست عام ١٩٤٠م لطبع أعمال الشركة والشركات المماثلة.

(٥) **مطبعة كاكستون:** مقرها التواهي. صاحبها اليهودي شمعون. تأسست عام ١٩٤٥م. وكانت تطبع أعمال شركة كاكستون التي يملكها شمعون وغيرها من الأعمال التجارية.

(٦) **مطبعة النهضة اليمانية:** تأسست عام ١٩٤٦م، ومقرها كريتر، وهي تتبع الجمعية اليمانية الكبرى، وتطبع صحيفة صوت اليمن ومنشورات الجمعية وبعض الأعمال التجارية.

(٧) **مطبعة الهلال:** تأسست عام ١٩٤٨م ومقرها كريتر. وهي تجارية بحتة.

(٨) مطبعة الحظ: تأسست عام ١٩٤٨م، وطبعت أول صحيفة يومية (الصناعة والفن)، كما تطبع الأعمال التجارية. وصاحبها عبد الكريم لاجي من كريتر (أمام مسجد العسقلاني) وتطبع أيضاً عدة صحف هي: الميزان والذكرى والعدني. وتطبع صحيفة الأخبار العدنية باللغة الجزراتية (شمال الهند).

(٩) دار الجنوب للطباعة والنشر: صاحبها السيد محمد علي الجفري رئيس رابطة أبناء الجنوب. تأسست عام ١٩٥٠م، وتطبع صحيفة الجنوب العربي والرأي العام والحق، ومقرها كريتر.

(١٠) مطبعة حزب الشورى اليمني: ومقرها المعلا، تأسست عام ١٩٥٠م. وهي مطبعة عامة وتطبع أعمال الحزب.

(١١) مطبعة الكمال: (١٩٥٠م) كريتر (أمام مسجد العسقلاني)، وصاحبها الصحفي المشهور عبد الرحمن محمد عمر جرجرة. وكانت تطبع «النهضة» واليقظة التي أنشأها جرجرة.

(١٢) دار الحرية للطباعة والنشر (مطبعة الحرية): مطبعة تجارية في كريتر تأسست عام ١٩٥٢م.

(١٣) دار الجماهير للطباعة والنشر: تأسست عام ١٩٥٢م. تهتم بطبع الكتب وغيرها. مقرها كريتر.

(١٤) مطبعة السلام: تأسست عام ١٩٤٨م. مقرها كريتر. طبعت جريدة السلام ومطبوعات أحرار اليمن وأوراق تجارية.

(١٥) مطبعة عيدروس الحامد: تأسست عام ١٩٥٢م. مقرها المعلا. تجارية.

(١٦) مطبعة الشعب (١٩٥٣م): كريتر. أصحابها حسن وحسين خدابخش. طبعت صحيفة الشعب.

(١٧) دار البعث للطباعة والنشر: تأسست عام ١٩٥٥م. صاحبها محمد سالم علي عبده. تطبع صحف البعث والقات والفكر.

(١٨) **مطبعة بلقيس:** (١٩٥٥م) في الشيخ عثمان. تجارية وطبع فيها إدريس حنبلة ديوانه «أغاريد وأهازيج».

(١٩) **المطبعة الزينية:** (١٩٥٨م) في كريتر. طبعت صحيفة الفجر.

(٢٠) **دار الأيام للطباعة والنشر:** كريتر. صاحبها الأستاذ محمد علي باشراحيل. تطبع الأيام والريكورد بالإنجليزية، والغد وفتاة شمسان والرقيب وAdan Argus.

(٢١) **مطعبة الوطن:** (١٩٥٩م) في الشيخ عثمان. طبعت صحيفة الوطن وجريدة الأمل.

(٢٢) **مطبعة الكفاح:** (١٩٦١م) في كريتر. طبعت صحيفة الكفاح ومنشورات الحزب الاتحادي الوطني.

(٢٣) **مطبعة علي محمد لقمان:** (١٩٦٥) في كريتر. كان يطبع فيها صحيفة «القلم العدني».

(٢٤) **مطبعة أنغام:** (١٩٦٢م) في التواهي. تطبع مجلة أنغام.

(٢٥) **مطبعة الحكومة:** (١٩٥٢م) في التواهي. وتصدر الصحيفة الرسمية إيدن جازيت Aden Gazette.

وهناك العديد من المطابع التجارية المختلفة. وما سبق يوضح العدد الكبير من الصحف والمجلات التي كانت تطبعها هذه المطابع ونشرات الأحزاب والشركات المختلفة.

المكتبات في عدن

(١) **المكتبة العامة مكتبة ليك (Lake):** مقرها في كريتر. تأسست عام **١٩١٩م**. وتغير اسمها إلى مكتبة **مسواط عام ١٩٦٣م**. وقد ألغيت هذه المكتبة بعد الاستقلال وصارت جزءاً من **المكتبة العامة سنة ١٩٨٠م (المكتبة الوطنية أو**

مكتبة باذيب) ومقرها البناية الجديدة التي أقيمت على أنقاض مدرسة اليهود للبنين التي أحرقت في أحداث ١٩٤٧م.

وكانت مكتبة ليك (مسواط فيما بعد) تعير الكتب لقاء اشتراك رمزي. كما كانت تقوم بإيصال الكتب إلى الأهالي عبر المكتبات المتنقلة. وهي خدمة ممتازة قليلة الوجود في البلاد العربية. وكنت من المشتركين فيها وروّادها منذ المرحلة الدراسية المتوسطة، واستفدت منها استفادات جمّة، كما استفاد الآلاف غيري من سكان عدن.

(٢) مكتبة المعهد البريطاني: في كريتر. تأسست عام ١٩٣٨م. وهي مكتبة عامة وغنيّة بالمراجع.

(٣) مكتبة لقمان: في كريتر. تأسست عام ١٩٣٦م.مكتبة عامة.

(٤) مكتبة العلوم الحديثة: (١٩٤٣م) في كريتر. مكتبة عامة. صاحبها عمر عقبة، وفيها قسم لبيع الاسطوانات المصرية.

وهناك مجموعة من المكتبات لبيع الكتب أشهرها مكتبة الحاج عبادي الكتبي وأولاده (دار الكتب العربية) في السوق الطويل في كريتر. تأسست عام ١٨٨٤م ولا تزال موجودة، وتطبع الكتب. ولها دار نشر واسعة وقوية في صنعاء.

ومنها المكتبة الدينماركية في كريتر. تأسست عام ١٩١٠م، وتبيع الكتب وخاصة باللغة الإنجليزية. كما تبيع وتوزع كتب الإرسالية الدينماركية (الأناجيل.. إلخ).

والمكتبة التربوية في كريتر عام ١٩٢٣م. وفيها كتب مدرسية وتربوية وثقافية.

ومكتبة كالكستون في خورمكسر (١٩٥٠م). تحتوي على كتب إنجليزية، وصاحبها اليهودي شمعون.

ومكتبة الأندلس في كريتر (١٩٦٧م). اهتمت بالمجلات والكتب الإسلامية والكتب المدرسية.

ومكتبة الجيل الجديد، ولها فروع في كريتر وخورمكسر والشيخ عثمان. تحتوي على كتب مدرسية وثقافية وتربوية.

وهكذا نجد مدينة عدن الصغيرة بها عشرات المطابع وعشرات المكتبات وعشرات الصحف. وهو أمر عجيب لم تحظ به أي مدينة في جزيرة العرب. بل كانت خدمات المكتبة العامة (ليك ثم مسواط) توصل الكتب إلى الأهالي في بيوتهم لقاء اشتراك رمزي. وهو أمر غير موجود اليوم - حسب علمي - في أي بلد عربي!!

ولا شك أن عدن شهدت نهضة ثقافية واجتماعية، وخاصة في مجال الجمعيات والنوادي والطباعة والنشر والمكتبات.

الصحافة في عدن

لقد صدرت الصحف في عدن منذ فترة مبكرة. فبعد دخول الإنجليز واحتلالهم عدن سنة ١٨٣٩م، أصدرت الحكومة (باسم المقيم في عدن) قراراتها منذ عام ١٨٣٩م على هيئة منشورات، ثم تحولت إلى **الصحيفة الرسمية (Aden Gazette)** وذلك **منذ عام ١٨٥٤م** في مطبعة كاوجي دينشو (المليونير الهندي البارسي المجوسي). وكان مقرّها في التواهي. واستمرّت على ذلك حتى عام ١٩٥٢م عندما ظهرت مطبعة الحكومة. وأصبحت تطبع فيها. **وصدرت عن الإدارة البريطانية (جريدة محمية عدن) و(صوت الجزيرة عدن) عام ١٩٣٩م ثم (الصقر البريطاني) عام ١٩٤١م وذلك للدعاية لبريطانيا والحلفاء في أثناء الحرب العالمية الثانية** [(١)].

---

(١) د. سيف علي مقبل: الصحافة في عدن في الستينات (من القرن العشرين)، ندوة عدن ثغر اليمن (١٣٧ – ١٤٨).

وظهرت صحافة خطية في حضرموت مثل صحيفة (حضرموت) في تريم و(عكاظ) في سيون منذ فترة مبكرة. وأصدر الشاعر والأديب المشهور أحمد علي باكثير قبل هجرته من حضرموت (وقبل أن يبلغ العشرين) صحيفة «**التهذيب**». ثم صدرت صحيفة «**المنبر**» في المكلا ومجلة «**الإخاء**». وقد صدرت عكاظ وحضرموت عام ١٩١٦م والأخرى في بداية العشرينات من القرن العشرين.

وأما في **المهجر، فقد صدرت العديد من الصحف والمجلات المطبوعة. ففي سنغافورة ظهرت صحيفة (الإصلاح) التي أنشأها السيد محمد بن عقيل بن يحيى والسيد محمد بن هاشم والسيد أحمد بن عبد الله السقاف عام ١٩١٦م. وعندما توقفت (الإصلاح) عام ١٩١٩م، أصدر السيد محمد بن عقيل بن يحيى بدلاً منها صحيفة (الأيام).** وتوالى صدور الصحف والمجلات في أندونيسا والملايو وسنغافورة. وليس الغرض هاهنا استعراضها بل التنويه أنها سبقت بعدة عقود الصحف المطبوعة في عدن.

فتاة الجزيرة: وأول صحيفة مطبوعة ظهرت في عدن هي فتاة الجزيرة لرائد الصحافة في عدن الأستاذ محمد علي لقمان [1] وذلك في يناير ١٩٤٠م. واستمرت حتى عام ١٩٦٧م. وقد أدت فتاة الجزيرة دوراً تنويريًّا ونهضويًّا. وقد سبق أن نقلت ما قاله أمير البيان شكيب أرسلان في جريدة «**الشورى**» (١١/ ٢/ ١٩٣١م) عن مقالات الأستاذ محمد علي لقمان وإعجابه بها. ولست أدري أين كان ينشرها؟ ففتاة الجزيرة لم تظهر إلا في يناير ١٩٤٠م. وهذه الإشادة قبلها بما يقارب عقد من الزمان. واستقبلها الأدباء والشعراء استقبالاً حافلاً ورحَّب بقدومها الأمير أحمد فضل العبدلي القومندان بقصيدة. وحياها بقصيدة نجيب جعفر أمان وعبد المجيد الأصنج.

---

(١) محمد علي إبراهيم لقمان، ولد في عدن في ٦/ ١١/ ١٨٩٨م، وتوفي في جدة بعد أداء فريضة الحج في ٢٢/ ٣/ ١٩٦٦م.

وكانت فتاة الجزيرة صحيفة أسبوعية سياسية وثقافية وأدبية جامعة. ومنذ أن تأسست (الجمعية العدنية) في ٢٧ أبريل ١٩٤٩م صارت (فتاة الجزيرة) لسان حالها ونشرت دستور الجمعية (٢٣ مادة)، وأهدافها هي:

(١) العمل على رفع مستوى عدن والعدنيين والتعاون مع حكومة عدن لهذه الغاية.

(٢) ترقية العدنيين وحماية مصالحهم في مستعمرة عدن.

(٣) تنظيم العلاقات بين العدنيين وحكومة عدن وبين الموظفين والمستخدمين وبين العدنيين أنفسهم.

وسيأتي الحديث عن الجمعية العدنية عند ذكر المنظمات السياسية وموقف الحركة الوطنية منها. وانتقدت فتاة الجزيرة «قانون الصحافة» الذي أصدره المستعمر البريطاني في ٢٣ يوليه ١٩٤٩م بعد أن تزايد النقد على الحكومة في الصحف العدنية. وقد نشرته الجازيت الرسمية Aden Gazette ثم نقلته كاملاً فتاة الجزيرة في ٢٩ يوليه ١٩٤٩م وفيه: «كل إنسان غايته الإضرار بمصالح الحكومة يقترب من أو يفحص أو يمر على أن يكون في جواره، أو يدخل أي منطقة محرّمة أو يرسم خارطة أو نموذجاً أو مذكرة لغرض – أو يمكن أن يكون الغرض منها فائدة العدو، أو يحصل على أو يجمع أو يدوّن أو ينشر أو يراسل أي شخص بأي كلمة رسمية أو خارطة أو نقشة أو نموذج، أو حاجة أو مذكرة أو وثيقة أو خبر يعدُّ مفيداً للعدو أو يمكن أن يكون كذلك، أو الغرض منه ذلك، يقترف جناية كبرى يعاقب عليها ١٤ سنة في السجن».

وهو قانون أمني ولا علاقة له بالصحافة من بعيد أو قريب. ولو صدر في بداية أو أثناء الحرب العالمية الثانية لكان ذلك معقولاً. وصدوره في وقت السلم، وبعد انتهاء الحرب بخمس سنوات أمر غريب لا مبرّر له. ويقول القانون إنه عند المحاكمة لأي شخص لا يلزم إثبات أن هذا الشخص قام بأمر

يؤدي إلى الإضرار بالحكومة، وتكفي في ذلك القرائن لإدانته رغم عدم ثبوت التهمة قضائيًّا. كما سمح القانون بتفتيش الخطابات البريدية وغيرها للحصول على الأدلة.

وقد هاجمت هذا القانون جميع الصحف والمجلات الصادرة في عدن بما في ذلك فتاة الجزيرة. واستنكرت مجلة المستقبل القانون بمقال عنوانه: «هل نعيش في بلد دكتاتوري»؟.

الأستاذ محمد علي لقمان(١): عُرف الأستاذ لقمان بدوره الصحافي الريادي، وعُرف بلغته العربية والإنجليزية القوية والسليمة، كما عُرف بدوره التنويري ومناصرته لقضية المرأة والسفور. ومناصرته لقضية عدن للعدنيين (والعدني حسب القانون الإنجليزي كل من ولد في عدن أو في إحدى المستعمرات البريطانية (الكومنولث فيما بعد) وعاش في عدن لبضع سنين، ويدخل في ذلك الهندوس والصومال وجميع الجنسيات الأخرى)، ولكن لم يعرف بثقافته الدينية. ومذكراته تقول إنه درس دراسة دينية قوية على يد أكبر علماء الحديث في عدن آنذاك السيد عبدالله بن حامد الصافي.

يقول لقمان(٢): «ما إن بلغت الثامنة (في الذكريات التي نشرها الهمداني العاشرة وهي ترجمة رديئة عن صحيفة إيدن كرونكل) حتى التحقت بحلقة السيد عبد الله بن حامد الصافي، وكان رحمه الله من علماء الحديث الشريف، وكان

(١) حصلت أخيراً على ذكريات الأستاذ محمد علي لقمان التي أشرف عليها د. أحمد علي الهمداني، وطبعت على نفقة ابنه الأستاذ ماهر محمد علي لقمان. وقد تكرم حمى ماهر لقمان بنسخة منها في ١٥/ ١/ ٢٠١٢م وله الشكر الجزيل.

(٢) ذكرياتي (٢ – ٦)، نقلاً عن عبد الرحمن خباره نشوء وتطور الصحافة في عدن (١٩٣٧ - ١٩٦٧م)، ص ١٢٠ – ١٢٢.

يحضر حلقته في مسجد الشيخ عبدالله (العمودي) الذي اشتهر بـ«منطّق البقرة»، السيد محمد حسن الحازمي. وقد قرأت عليه (أي على الحازمي) المنطق والبيان والبديع، كما قرأت النحو على الشيخ عمر الزبيدي، وكان يحضر الدرس ويناقش المواضيع الفقهية السيد عبدالله البطاح الزبيدي الذي كان يزور عدن أحياناً.

«وكان أبي رحمه الله يدرس الفرائض للبقري[١] على يد الشيخ عبدالله الحضرمي. وحفظت على يد هذا الشيخ كتاب الزبد وأبي شجاع وأبي فضل»[٢]. (ما ذكر في الذكريات للهمداني مبتسر وبأسلوب رديء جدًّا).

وكان الفقه والنحو والأدب أهم ما يهتم به الناس في عدن (وهو أمر شائع في العالم الإسلامي كله قبل الاستعمار والمدارس. وكانت نتائجه أفضل بكثير جدًّا من المدارس التي يتخرج منها الطالب بعد سنين طويلة بلا فقه ولا نحو ولا أدب).

وكان العلماء والأدباء يزورونها (أي عدن) ويعقدون حلقات العلم في مسجد حسين الأهدل ومسجد الشيخ عبدالله. وفعل ذلك السيد البار (للأسف لم يذكر اسمه كاملاً) وكان عالماً محققاً، لكن للسيد عبد الله بن حامد الصافي الأيادي البيضاء على عدن وأبنائها. وكان من تلامذته الشيخ محمد عولقي الذي حذا حذو أستاذه في تعليم الناس ونشر العلم وأدب الشريعة الإسلامية[٣].

---

(١) أي كتاب الشيخ البقري في الفرائض.

(٢) هذه ثلاثة كتب في الفقه الشافعي للمبتدئين، والزبد منظومة فقهية يحفظها الطلاب، وأبي شجاع وأبي فضل كتب في الفقه الشافعي دون توسّع.

(٣) الواقع أن تاريخ عدن العلمي الباذخ (ومثل جميع بلاد المسلمين) إنما كان بجهود العلماء بنشر العلم في المساجد والحلقات والمدارس العلمية. ودور المسجد لا يبارى في نشر العلم منذ عهود رسول الله محمد ﷺ إلى قيام الساعة. وهو لا شك أفضل وأبرك وأنفع من المدارس وأكثر ما فيها لغو وضياع أوقات وأموال هائلة. وليس فيها لا علم ولا تربية حقيقية، وشتان ما بينها وبين تربية المشايخ ﷺ.

وكان من تلاميذه (أي السيد عبدالله بن حامد الصافي) أيضاً الأستاذ النابغة عبد العزيز النمري الذي مات في مقتبل الشباب، وكان موته كارثة اهتزت لها القلوب هلعاً.

وفي تلك السنوات الخوالي تعرّفت بالسيد طه الصافي وولده السيد أحمد بن طه الصافي[١]، والسيد عبد الرحمن بن عبيدالله (السقاف) مفتي حضرموت، والسيد أبو بكر بن شهاب الشاعر والأديب صاحب الأرتقيات (وهو أيضاً فقيه ونظم المواريث وهو طالب دون العشرين). وكان السيد عبيدالله ينتقد قراءتي لكتاب الفصوص لابن عربي (الصوفي الفيلسوف المشهور والمتهم بوحدة الوجود) ويقول : إن تلك الفلسفة ستفسد عقيدتي وأنا في سن الطفولة (وكان الإمام عبدالله العيدروس الأكبر والإمام عبدالله الحداد ينهون تلاميذهم عن قراءة كتب ابن عربي مثل الفتوحات المكية والفصوص، وكتب الحلاج وابن سبعين من غلاة التصوف).

ولكنني احتفظت بعقيدتي رغم مطالعتي لمؤلفات ابن العربي وابن رشد والإمام الغزالي (كتب ابن رشد في الفقه تعتبر مرجعاً. وكتبه في الطب كذلك في زمنه. وكتبه في الفلسفة ما عدا شرحه لفلسفة أرسطو التي فقدت ولم يوجد منها سوى نسخ بالعبرية (والكلام باللغة العربية، وباللاتينية) فليس فيها شيء. وأما كتب الإمام الغزالي فقد لاقت رواجاً كبيراً من علماء الإسلام والمسلمين على مدى القرون، وخاصة علماء حضرموت. ومع ذلك فقد حاربها بعض العلماء ومنعوا من قراءتها، وخاصة كتبه في التصوف. أما كتبه في الفقه وأصوله فهي لا تزال تدرّس في الأزهر، وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

---

(١) هو جدي لأمي، رحم الله الجميع.

ويقول لقمان: «وقرأت في سن مبكرة طرفاً من التصوف على يد السيد عبدالله بن حامد الصافي مع صديق الصبا المرحوم السيد زين بن حسن العيدروس وقد كان والده يقرّبني، وكان السيد عبدالله العيدروس، عمه، يدعو لي كلما كان يراني أذهب لصلاة الجمعة وأنا ألبس الجبّة الخضراء الحرير (غير خالص) والعمامة وأجادل الفقهاء والعلماء».

«وقرأت الأدب العربي على أبي وحفظت الأشعار، وكان رحمه الله مغرماً بالمتنبي والبحتري. وقد حفظت المعلقات السبع وأنا ما أزال في العاشرة. وكنت في تلك السن قد التحقت بالمدرسة الابتدائية. وكنت قد وصلت إلى الدرجة الثالثة، وهي توازي الأولى متوسط اليوم. وكنا نقرأ في مدارج القارئة. كان أساتذتنا الفقيه محمد عثمان المؤرخ العدني، الهندي أصلاً، والفقيه سعيد علي الفجيجي، وكان رئيس المدرسة، والسيد حمود الحازمي، وكان خطاطاً عجيباً[1].

«وألحقني والدي - رحمه الله - بمدرسة خصوصية كان يديرها الشيخ محمد حاجب أحد الخطاطين القلائل في جنوب الجزيرة، وكان إماماً لمسجد علي بهاني في سوق الحراج (في كريتر) وخطيباً يهرع الناس زرافات لسماع خطبه ومواعظه. وكان يجلس للطلبة في بيت الشيخ صالح بالكسح في الزعفران (بكريتر) بعد العصر، وفي النهار كان يجلس في محل أحمد خياطة الذي كان يكتب خطابات عربية للأهالي، كما يكتب الناس اليوم العرضحالات. ولكن مجلسه كان أول مجلس سياسي عرفته، فقد كانت تأتي إليه الصحف المصرية وأذكر منها المؤيد ووادي النيل والأهرام. وكانت تكتب عن السلطان عبد الحميد العثماني وحرب اليابان وروسيا. وأذكر ذلك ابتداء من عام ١٩٠٥م.

(١) كان الطالب في الابتدائية قد حفظ القرآن أو على الأقل قرأه، وحفظ ودرس كثيراً من الأحاديث النبوية، وحفظ المتون في الفقه، وحفظ كثيراً من الأشعار مثل المعلقات وغيرها، ودرس النحو وشيئاً من علوم اللغة. وحصيلته تعادل أو تفوق خريج الجامعة اليوم.

«وكان يحضر هذا المجلس علي محبوب فرحات ووالدي والسيد طه باهارون ودايل أحمد سلطان، وكانت الدولة العثمانية في أوج عزّها عند المسلمين(١). وأعجب الناس بانتصار اليابان على الروس(٢). وكانت بداية ازدهار الشرق سياسيًّا إلى جانب الدولة العثمانية التي بدأت تضعف».

وذكر لقمان أن الأفكار الاشتراكية بدأت في الظهور بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٨م) وممن حاربها بقوة الشيخ أحمد طه الهتاري إمام مسجد التواهي الذي تحدث عن البلاشفة الشيوعيين ومحاربتهم للدين وإنكارهم للإله سبحانه وتعالى وإباحيتهم.

تدلنا مذكرات الأستاذ محمد علي لقمان على نهضة حقيقية كانت موجودة في عدن، وكيف كان نظام التعليم التقليدي يؤدي دوره في المساجد (ذكر لقمان في المذكرات أنه كانت في عدن أربعون مدرسة قرآنية في زمن طفولته) وفي الحلقات في بعض البيوت. وهو بفضل الله نظام حافظت عليه الأمة الإسلامية منذ عهد المصطفى ﷺ إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، مع ضعف شديد في الآونة التي انتشرت فيها المدارس والجامعات، والتي ينفق عليها المليارات بفائدة محدودة. ولو أنفق بعض هذه الأموال على تشجيع التعليم التقليدي لكانت الثمرة أبرك وأفضل وتعلم الطلاب العلم النافع وتربوا التربية الإسلامية الحقّة، بدلاً من مدرسة المشاغبين وكيف يضرب التلميذ الوقح أستاذه أو يوجه له اللكمات أو يبنشر سيارته.. إلخ. إلخ، مما نراه ونسمعه وتنشره الصحافة.

---

(١) الواقع أنها كانت في دور الانحطاط وسماها الأوربيون (رجل أوربا المريض)، ولكن جهود السلطان عبد الحميد وإخلاصه جعلها تقاوم السقوط لفترة.

(٢) وقد قال حافظ إبراهيم قصيدة طويلة في ذلك، مطلعها:

كنت أهوى في زماني غادة ... وهب الله لها ما وهبا

ولقد استطاع الأستاذ محمد علي لقمان بهذه الثقافة الواسعة في اللغة العربية وآدابها ونحوها وصرفها وعلومها، وفي معرفته العامة للفقه الإسلامي والحديث والتصوف، وفي قراءته للفلسفة، وفي حضوره المجالس السياسية، فلم يكد يبلغ سن المراهقة إلّا وله حصيلة علمية واسعة لا يدركها اليوم الكثير من خريجي الجامعات.

ولم يهمل والده في تدريسه اللغة الإنجليزية وآدابها حتى صار ضليعاً فيها مثل أو قريب من تبحّره باللغة العربية.

وكان يلتقي بالأدباء والشعراء والعلماء والأمراء القادمين إلى عدن من حضرموت والمحميات الغربية (وخاصة لحج وبالذات الأمير الشاعر القومندان) وكل من زار عدن من رجالات الفكر أو السياسة، فينهل من ينابيع معارفهم وعلومهم وخبراتهم، حتى تكوّنت لديه حصيلة ثقافية لا تدانى ولا تقارن. وبينهم الشيخ المجاهد عبد العزيز الثعالبي التونسي (١٩٢٤م) الذي شجعه على إقامة النادي الأدبي العربي. وقابل أمين الريحاني صاحب كتاب (ملوك العرب) وقال عنه إنه متحذلق.

ومع ذلك ذهب إلى جامعة ليدز في بعثة مع محمد عمر عقبة وعبد الشكور فقير وعلي محمد علي لدراسة التربية عام ١٩٢٥م. ثم ذهب بعد ذلك إلى الهند ليدرس المحاماة. وقام بدور كبير في إرسال البعثات من نادي الإصلاح العربي إلى العراق وغيرها مما سبق ذكره.

والخلاصة أن دور محمد علي لقمان الريادي في الصحافة والثقافة ونشر العلم والبعثات لا ينكره أحد. والخلاف حول دوره السياسي في الجمعية العدنية، وهو ما سنناقشه في حينه عند التعرض للجمعيات والحركات السياسية.

وقد قام محمد علي لقمان بدعم حركة الأحرار اليمنيين ودعم المجاهد الشاعر محمد محمود الزبيري والسياسي أحمد محمد نعمان، وذلك بعد فشل

انقلاب عام ١٩٤٨م وقتل الإمام يحيى واستعادة أحمد بن يحيى للحكم وانتقامه ممن قاموا بالثورة ضد أبيه وتآمروا على قتله.

ولا شك أن بريطانيا كانت تدعم من بعيد حركة الثوار الأحرار اليمنيين وتسمح لهم بدخول عدن والاستقرار فيها، وإنشاء المقاومة، وفتح الصحافة والإعلام لهم، وذلك لأن الإمام يحيى وابنه أحمد كانا يطالبان باستمرار برحيل بريطانيا من عدن والمحميات وتسليمها للحكم الإمامي.

وبما أن الحكم الإمامي متأخر ورجعي ويعيش خارج الزمن فإن مقاومته كانت واجباً وطنيًّا لدى الأحرار اليمنيين، ودعم بريطانيا لهم دعم غير مباشر. والسماح لفتاة الجزيرة وغيرها بدعم هذه الحركة المناوئة للإمام من مصلحة بريطانيا وهذا ما يسمى التقاء المصالح. ولا يعني أبداً العمالة أو العمل لصالح المستعمر البريطاني.

وذكريات لقمان عن عدن هامة جدًّا لأنها تؤرخ لحقبة تكاد تكون مجهولة بقلم أديب وعالم وصحفي عاش تلك الفترة وخبر أسرارها وعرف مداخلها ومخارجها، ولا بد من إعادة نشرها على نطاق واسع في عدن خاصة وفي اليمن عامة.

وتوفي محمد علي لقمان وهو يؤدي مناسك الحج أو بعد إتمامه، ودفن في جدة في ٢٢ مارس ١٩٦٦م (مولده في عدن ٦ نوفمبر ١٨٩٨م). وقد كان والده علي إبراهيم لقمان موظفاً كبيراً بدرجة خان بهادر. وقد هاجرت أسرة لقمان من اليمن إلى الهند عندما بدأ اضطهاد الإسماعيلية (ومنهم الدولة الصليحية والملكة سيدة بنت أحمد المشهورة بالملكة أروى) وهم عرب أقحاح من همدان. وعاد جد محمد علي لقمان إلى عدن وعاد إلى المذهب السني الشافعي[1].

---

(١) أخبرني بذلك الصديق العزيز والشاعر المبدع الدكتور المهندس شهاب محمد عبده غانم سبط محمد علي لقمان.. وواضح من ذكرياته تعلقه بالمذهب السني الشافعي منذ طفولته.

ونشر الأستاذ محمد علي لقمان هذه الذكريات تباعاً في (إيدن كرونكل) باللغة الإنجليزية وهو صاحبها ورئيس تحريرها (١٩٦٠ – ١٩٦٣م). ثم أعاد نشرها باللغة العربية في صحيفة فتاة الجزيرة باللغة العربية[١]. وفقدت بعض الحلقات العربية فترجمها الأستاذ محمد جعفر ناصر من الإنجليزية إلى العربية.

وقد كتب كثيرون عن الأستاذ محمد علي لقمان ومنهم صديقي العزيز الدكتور الشاعر المهندس شهاب محمد عبده غانم في كتابه صفحات من أدب اليمن المعاصر. ونشر رسائل الأستاذ محمد علي لقمان إلى الزعيم التونسي والمجاهد الكبير الشيخ عبد العزيز الثعالبي.

وأقامت جامعة عدن ندوة كاملة عن الأستاذ محمد علي لقمان في ١٣ – ١٥ نوفمبر ٢٠٠٦م. كما نشر الدكتور محمد أبو بكر حميد المهتم بآثار وحياة علي أحمد باكثير (ديوان سحر عدن وفخر اليمن) شعر باكثير في أثناء وجوده في عدن. وفيه قصائد تشيد بالأستاذ محمد علي لقمان الذي حدب على باكثير الشاب الغض الذي ماتت زوجته وزادت لوعته، فخرج من سيون مهاجراً ونزل في عدن فخففت عنه بعض لأوائه وأحزانه وأشجانه، ووجد من محبة أهلها وأدبائها واحتفائهم به. وخاصة ما وجده من الأستاذ محمد علي لقمان مما جعله يلهج بذلك شعراً ونثراً.

ومن ذلك قصيدته عندما ذهب إلى الصومال في هرجيسة، حيث يقول للقمان:

قسماً ما لنا سواك مـلاذُ فحنانيك أيهـا الأسـتاذُ
لو تعطفت فانثنيت إلينا لاستتب لنا المنى والملاذُ

---

(١) يقول الدكتور شهاب إن الذكريات كتبت باللغة الإنجليزية ثم ترجمها الأستاذ محمد ناصر إلى العربية وأصدرها الدكتور أحمد علي الهمداني في مجلد ضخم (٧٠٠ صفحة).

وفي قصيدة أخرى من هرجيسة أيضاً:

إن ادِّكـارك يـا لقـمان أشـجاني وهاج مني أحـزاني وأشـجاني

ثم قال:

ما زال باللطف والإشفاق يغمرني حتى شفاني مـن دائـي وعافـاني
وكيف أنسى خليلاً قد نـسيت بـه أهلي وصحبي وإخواني وأوطاني
له الإرادة لا تلـوي الخطـوب بهـا كأنها نحتت من صخر (شمسانِ)
حلوُ الحديث فصيحُ القول مرتجلٌ يوم الخطابة مـا يـزري بـسحبانِ
عـلى بدائعـه عفـواً يؤيـدهُ فكـرٌ بعيـدٌ وقـولٌ حـاضرٌ دانِ
صافي السريرة من غِشٍّ ومن دخلٍ وعامرُ القلب من تقـوى وإيـمانِ
مؤسس النهـضة الـشماء في عـدن مقيمهـا غـير هيّـابٍ ولا وانِ
كأنـه ملَـكٌ مـولاه أرسـلهُ لينفخ الـروح في أبنـاء قحطـانِ

ويا لها من مديحة رائعة من باكثير الوفي لصديقه لقمان.

وذكر لقمان في مذكراته وفاة ستة آلاف شخص في وباء الأنفلونزا العالمي في عدن وحدها. وقد بلغ ضحايا هذا الوباء أكثر من ضحايا الحرب العالمية الأولى. ثم حدث وباء الطاعون الدبلي (Bubonic Plague) وانتشر في عدن بسبب فئران في سفينة دخلت ميناء عدن وانتقل الميكروب إلى أحد ركاب السفينة الذي نزل إلى التواهي ونقل المرض للناس، وذلك عام ١٩٢٧م. وقتل الطاعون في ذلك العام تسعة آلاف شخص من سكان عدن.

الصحف التي أصدرها محمد علي لقمان وابنه الشاعر الأستاذ علي محمد لقمان

(١) فتاة الجزيرة (١٩٤٠م): أسبوعية ثم يومية من ١٩٦٠م. وهي أول صحيفة مطبوعة في عدن.

(٢) إيدن كرونكل (١٩٥٢م): أسبوعية باللغة الإنجليزية. وهي أول صحيفة باللغة الإنجليزية (ما عدا عدن جازيت الرسمية). صاحبها ورئيس تحريرها أيضاً الأستاذ محمد علي لقمان.

(٣) القلم العدني (١٩٥٢م): أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها علي محمد لقمان. وكانت هذه الثلاث صحف لسان حال «الجمعية العدنية» والمعبّرة عنها. وإن كانت فتاة الجزيرة قد ولدت قبل الجمعية العدنية بأكثر من عقد من الزمان.

(٤) الأخبار (١٩٦٤م): يومية. صاحبها ورئيس تحريرها علي محمد لقمان.

صحف أخرى في عدن حسب التسلسل التاريخي لظهورها

(٥) الفضول (١٩٤٨م): صاحبها ورئيس تحريرها عبد الوهاب نعمان. وكانت ساخرة، واهتمامها الأول الوضع في الشمال والحكم الإمامي والسخرية منه في قالب فكاهي ساخر. وهي صحيفة أسبوعية.

(٦) المستقبل (١٩٤٩م): مجلة شهرية أدبية فكرية صاحبها ورئيس تحريرها عائض باسنيد. وكانت متأثرة بالاتجاهات الأدبية والثقافية الحديثة التي ظهرت في البلاد العربية وأوربا. وكما يقول أحمد سعيد باخبيره (الصحفي اليساري وصديق عائض باسنيد) فقد رفعت المجلة على مدى عامين من صدورها (١٩٤٩ – ١٩٥٠م) راية التمرد على القيم والتقاليد البالية، وعلى الأفكار الرجعية، وأعطت اهتماماً بارزاً لكل ما هو جديد في عالم الأدب والثقافة. وتولى الأستاذ عبدالله عبد الرزاق باذيب الكتابة فيها، وكان أول أمره ناقداً أدبيًّا وسكرتيراً للتحرير ويكتب افتتاحية كل عدد. وهاجم بشدة قانون ١٩٤٩م الذي أصدرته الحكومة والذي هاجمته كل الصحف الموجودة آنذاك بما فيها فتاة الجزيرة. كما كتب باذيب تحليلاً ونقداً لرواية (يوميات مبرشت) لعبدالله الطيب أرسلان. وكان معجباً بشعر لطفي أمان واتجاهه الرومانسي، وناقداً بشدة لشعر الشاعرين المبدعين الأستاذ محمد عبده غانم والأستاذ علي محمد لقمان. ثم قام

بعد ذلك بمهاجمة لطفي أمان وتحولت المعركة الأدبية إلى مهاترات للأسف. وكان بينه وبين الشيخ البيحاني سجال، وقد انتقده الشيخ البيحاني[١].

ثم ترك باذيب مجال الأدب واتجه إلى السياسة، ومن السياسة خرج من عدن بعد أن حاكمته محكمة عدن، وخرجت الجماهير لتأييده. وذهب إلى تعز حيث الإمام أحمد والتجأ إليه، فأكرمه الإمام. ومدح الباذيب التقدمي (الشيوعي فيما بعد) الإمام الرجعي!! ثم ذهب إلى موسكو وعاد منها كما أسلفنا شيوعيًّا خالصاً. وكان قبل ذلك ذا ميول بلشفية محدودة.

وكتب في المستقبل الأستاذ عبدالله فاضل فارع حاملاً لواء التنويرية وما يسمى التقدم، وشنَّ الحملات على الرجعية وعلماء الدين، الذين ردّوا عليه بقسوة، وخاصة الشيخ باحميش في مجلته (الذكرى) ومن على منابر المساجد.

واعتبر الأستاذ عبدالله فاضل هؤلاء العلماء الأجلاء أفّاقين، وقال عنهم بالحرف الواحد: «ومثل هؤلاء ممن اتخذوا الدين والقرآن والأحاديث وسيلة للتسوّل الممتاز لا يقولون ما يقولون إلا عرضاً كوميديًّا وتمثيلاً يعجز عنه كبار ملوك التمثيل (إشارة إلى الشيخ علي باحميش الذي كان يصوّر ما يقوله هؤلاء بيده وحركاته).. ويصفهم بقوله «بأنهم فقهاء معمّمون بل مراؤون منافقون». واتهمهم بأنهم «باعوا شعوبهم وامتلأت جيوبهم بطونهم سُحتاً». وهو كلام ساقط وتجنّي على علماء الإسلام مدعياً التقدميّة والتنويريّة والليبراليّة والاشتراكيّة واليساريّة.. إلخ. إلخ. ومستواه منحط عندما يقول: «حصّن نفسك ضد أمثال هؤلاء من فقهاء الرعاع وبهلوانات المنابر» ثم يقول: «أليس هؤلاء وأمثالهم وثنيّين بربك؟».

---

(١) انظر ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب، فصل الشيخ محمد بن سالم البيحاني ومسجد العسقلاني.

وكان الأستاذ لطفي جعفر أمان يكتب فيها أيضاً ولكن بأسلوب راقٍ، وتحدّث عن الصراع بين القديم والجديد دون أن يسفّ إسفافة عبدالله فاضل فارع.

(٧) مجلة الذكرى عام (١٩٤٨م): وصاحبها **الشيخ علي باحميش** خريج الأزهر وصاحب المعارك مع العلمانيين والتحديثيين والليبراليين ومن يدعون أنهم أنصار المرأة وسفورها، ثم بعد ذلك مع الشيوعيين، حتى قتلوه. وقد قاموا بصدمه بالسيارة، وأصيب بكسور كثيرة ومات على إثرها بعد خروجه من المستشفى.

وللأسف كان الشيخ علي باحميش أيضاً حادًّا مع الشيوخ الذين اتهمهم بالوهابية، ومنهم الشيخ محمد سالم البيحاني. وهو من أبعد الناس عنها كما أوضحنا في الجزء الأول من كتابنا هذا عند الحديث عن المسجد العسقلاني.

وللشيخ علي باحميش - رحم الله الجميع - دور هام وبارز في تخريج مئات الطلبة من مدرسة بازرعة التي تولى إدارتها لفترة طويلة، كما تولى الخطابة في مسجد العيدورس أحد أهم وأشهر مساجد عدن التاريخية، ثم في مسجد أبان.

ولا شك أن الشيخ الباحميش كان يتمتع بصراحة وشجاعة جعلت الكثيرين يقفون ضده ويعادونه، وفي النهاية يقتلونه. وهو أحد ضحايا النظام الماركسي اللينيني الذي أهلك البلاد والعباد.

(٨) النهضة (١٩٤٩م): أسبوعية سياسية اجتماعية صاحبها ورئيس تحريرها عبد الرحمن عمر جرجرة (١٩٤٩ - ١٩٥٥م).

وكان من كتابها السيد محمد علي الجفري وغيره من قادة الرابطة، الذين كانوا يكتبون بأسماء مستعارة، مثل: شيخان الحبشي وعلي بن عقيل وأحمد عبده حمزة ورشيد حريري. ونشرت النهضة في عام ١٩٥١م دستور الرابطة (في أربعة

أعداد متتالية). وتولى التحرير فيها الأستاذ محمد عمر بافقيه والأستاذ عبد الله باذيب والأستاذ علي باذيب والأستاذ أحمد عوض باوزير والأستاذ أحمد سعيد باخبيره.

وكانت كل القيادات الوطنية تقريباً منضوية في الرابطة بما فيهم عبد الرحمن جرجرة ومحمد علي باشراحيل (أعضاء مجلس إدارة) ومحمد سالم علي وعبد الله الأصنج ومحمد سالم باسندوه. ولم يحدث الانشقاق والانفصال إلا عام ١٩٥٥م عندما وافقت الرابطة على دخول المجلس التشريعي الذي كان يمنع فيه اليمني الشمالي من حق التصويت، بينما يسمح فيه للعدني والذي يدخل في تعريفه الهندوسي أو أي جنسية أخرى طالما أنه ولد في عدن أو ولد في دول الكومنولث وعاش في عدن فترة. وسمح آنذاك لأول مرة لابن المحميات بالتصويت، ولهذا قبلته الرابطة. وكان ذلك خطأً في التقدير وفهم الوضع آنذاك.

لهذا كانت «النهضة» لسان حال الرابطة وجميع المواطنين تقريباً في تلك الفترة، ونشرت تفاصيل الثوار في المحميات، مثل ثورات قبائل الربيزي وثورة المجعلي وثوار العوالق ويافع وبالذات السلطان محمد بن عيدروس العفيفي.. وأحداث المكلا..

وقامت الرابطة في عام ١٩٥٤م بإصدار صحيفة «**الجنوب العربي**» وكان رئيس تحريرها السيد أحمد عمر بافقيه وسكرتير التحرير الأستاذ عبدالله عبدالرازق باذيب ومعه أخوه علي باذيب.

وانفصلت مجموعة محمد سالم علي والمؤتمر العمالي عن الرابطة عام ١٩٥٥م كما انفصل غيرهم، وأسس محمد سالم علي صحيفة (**البعث**) التي عطلتها السلطات البريطانية بسبب دعمها المستمر للإضرابات العمالية.

ووقفت النهضة بقوة ضد هذا الإجراء التعسفي. وتحولت النهضة إلى اليقظة عام ١٩٥٥م.

(٩) **الجنوب العربي**: أسبوعية ظهرت في ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤م واستمرت حتى عام ١٩٦٦م، وكانت لسان حال رابطة الجنوب العربي. ورئيس تحريرها السيد أحمد عمر بافقيه وسكرتير التحرير عبدالله عبدالرزاق باذيب، ومن المحررين علي عبد الرزاق باذيب وأحمد سعيد باخبيره..

وكان من كتابها السيد محمد علي الجفري والسيد شيخان الحبشي والسيد سالم الصافي والسيد رشيد الحريري والأستاذ محمد سالم باوزير[(١)].

واهتمت الرابطة بالانتفاضات والثورات في الجنوب مثل ثورة الربيزي والمجعلي والعولقي وأحداث يافع السفلى وفضائح مشروع القطن في أبْين الذي فضحه النائب محمد عيدروس العفيفي (نائب السلطان في يافع السفلى) ثم ثار على الإنجليز وقاتلهم.. وكانت كل تلك البيانات والأحداث تنشر تباعاً في «الجنوب العربي». كما أنها لم تهمل أحداث حضرموت وثورة أهل المكلا ضد تعيين القدال سكرتيراً للدولة.. إلخ، وسعت بقوة إلى دعم القضايا الوطنية وحق تكوين النقابات والجمعيات في عدن، وساهمت في كشف الاتفاقيات البترولية بين السلطة البريطانية (وشركاتها) وسلطنة القعيطي والكثيري.

وحوكم الأستاذ عبدالله باذيب بسبب مقال شديد نشره ضد الإنجليز في «الجنوب العربي». وفي يوم محاكمته خرجت الجماهير الحاشدة وحاصرت دار المحكمة. وخرج عبدالله باذيب بعد المحاكمة إلى تعز حيث أكرمه الإمام أحمد حميد الدين. ومنها توجه إلى موسكو التي عاد بعدها ماركسيًّا خالصاً. وكان عبدالله وعلي باذيب حتى ذلك الحين ذوا ميول يسارية ماركسية ولكنهما لم يعتنقا

(١) كتبت فيها مقالات بأسماء مستعارة وأنا طالب في كلية عدن (الثانوية) وبعض المقالات باسمي الصريح، وكان يشجعني على ذلك الأستاذان عبدالله وعلي عبدالرزاق باذيب.. وكانت صلتي بهم قوية آنذاك، وكنت أناقشهم في أفكارهم الاشتراكية.

الماركسية مذهباً وديناً. وأذكر وأنا طالب في الثانوية عندما ناقشت الأستاذ علي باذيب في مكتبه أخرج لي المصحف وقال بالحرف الواحد: «لا ينقذني في أزماتي إلا هذا القرآن!! أتظن أننا كفار يا محمد». وكانت الماركسية تجتذبهم بما فيها من جانب اقتصادي وما يبدو أنه عدالة اجتماعية.. وعندما ظهرت كتب الشهيد سيد قطب: «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، و«معركة الإسلام والرأسمالية» و«السلام العالمي والإسلام» وجدت فيها كل الجوانب التي كانت تبدو جذابة في الماركسية، فأخذت الكتاب وناقشت آل باذيب وأخذوا مني كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية» وكتاب «السلام العالمي والإسلام» لدراستهما ومواصلة النقاش. ولكنهما تجنّبا المناقشة، وذهبت بعد ذلك للدراسة في مصر (للطب) ولم نلتق بعدها أبداً.

(١٠) صحيفة البعث (١٩٥٥ – ١٩٥٥م):

أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها محمد سالم علي عبده، ومدير تحريرها علي عبد الرزاق باذيب. ويرتبط ميلاد «البعث» بميلاد «الجبهة الوطنية»، وكان أكثر أعضائها من رجالات الرابطة وانفصلوا عنها بعد أن وافقت على دخول الانتخابات التشريعية عام ١٩٥٥م التي تحرم اليمن الشمالي من حق التصويت. كما أنها تدافع عن النقابات العمالية. وكانت ميولها بعثية. وعندما قامت الجبهة الوطنية بممارسة نشاطها في ١١ مارس ١٩٥٦م واحتفلت بليلة الإسراء والمعراج احتشد أكثر من ثمانية آلاف عامل (كانت المناسبات الدينية تستغل لعرض القضايا السياسية) وحاول البوليس منعها فلم يفلح في ذلك.

وكان للمؤتمر العمالي اتصال بحزب العمال البريطاني وبنقابات العمال البريطانية فأثارت النائبة العمالية بربارا كسل سؤالاً لوزير المستعمرات في البرلمان البريطاني.. وطالبت مذكرة «الجبهة الوطنية» بأن يكون كل أعضاء المجلس التشريعي منتخبين، ومجلس تنفيذي (وزارة) مسؤول كليًّا أمام المجلس

التشريعي، وتوسيع حق الانتخاب ليشمل المقيمين في عدن من أبناء الشمال (أسوة بأبناء الكومنولث).

واهتمت صحيفة (البعث) اهتماماً كبيراً بالنشاط النقابي ومشاكله، وأرسلت البرقيات والاحتجاجات على التعسف البريطاني في عدن إلى مجلس العموم البريطاني وحزب العمال والنقابات البريطانية وإلى مؤتمر العمال العرب وزعماء الدول العربية.. إلخ.

ونشرت قصائد عصماء تؤيد العمال للشاعر محمد سعيد جرادة بعنوان: «نعمة الأسياد من بؤس العبيد». وقامت حكومة عدن بنفي النقابي وعضو الجبهة الوطنية «محمد عبده نعمان» من مواليد اليمن الشمالي وغيره. وكتب محمد سعيد مسواط في «البعث» مقالاً جاء فيه: «مهما قامت السلطات الاستعمارية بعملية النفي بحجة المصلحة العامة، فإنها لا تستطيع نفي الشعب كله، فمحمد عبده نعمان أمين عام للجبهة الوطنية المتحدة ونقيب المعلمين وصديق العمال أصبح رمزاً للشعب كله».

وقد كانت صحيفة «البعث» ثورية ومزعجة للسلطات البريطانية في عدن فمنعت صدورها بعد تسعة أشهر فقط من صدورها.

(١١) **أخبار الجنوب (١٩٥٢م)**: أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها محمد أحمد بركات.

(١٢) **اليقظة (١٩٥٦م)**: حلَّت محل النهضة. صاحبها ورئيس تحريرها عبد الرحمن عمر جرجرة وهي يومية واسعة الانتشار أيضاً. وانضم الأستاذ عبد الرحمن جرجرة إلى الجمعية العدنية الفرع الذي يرأسه الأستاذ حسن بيومي والمؤيد لفكرة إنشاء اتحاد الجنوب العربي بصيغته التي قدمتها حكومة عدن البريطانية.

(١٣) **الأيام (١٩٥٨)**: صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ محمد علي

باشراحيل. وهي صحيفة يومية استمرت إلى ما بعد الوحدة بفترة طويلة. وأغلقها الرئيس علي عبدالله صالح بسبب كثرة انتقادها لسياسته عام ٢٠١٠م.

وأصدر صاحب الأيام أيضاً صحيفة باللغة الإنجليزية هي (Recorder) ومجلة (Aden Argus).

وكانت أول صحيفة أصدرها هي الرقيب ١٩٥٦م (عربية وإنجليزية) وتلتها الريكوردر (بالإنجليزية)، ثم أصدر الأيام عام ١٩٥٨ وكانت يومية ولقيت إقبالاً كبيراً لحسن إخراجها وتبويبها واعتمادها الفن الصحفي. واستمرت الصحيفة حتى جاءت التأميمات لكل شيء عام ١٩٧٢م وتم تأميم صحيفته ومطبعته فهاجر إلى الشمال واستقر في صنعاء حتى وافاه الأجل عام ١٩٩٣م. وكان محمد علي باشراحيل من أسرة حضرمية توطنت عدن. وهو من مواليد حي العيدروس في كريتر في ٤ أبريل ١٩١٩م. تعلم في الكتاتيب أولاً ثم بمدرسة البعثة الدينماركية التبشيرية بحي العيدروس، وأجاد اللغة الإنجليزية إجادة تامة كإجادته للّغة العربية. واشتغل أولاً بشركة البرق واللاسلكي في التواهي عام ١٩٣٥م واستمر بها إلى عام ١٩٤١م عندما طلب من الشركة إجازة غير مدفوعة فرفضت الشركة ذلك فاستقال. وكافح مع زوجته الوفية التي كانت تخيط الأقمشة وتبيع الملابس وكان هو يعد رسائل رجال الأعمال. وكان من الرعيل الأول الذي أسس حلقة شوقي في التواهي، واشترك مع الرعيل الأول من رجالات الرابطة محمد علي الجفري وسالم الصافي وشيخان الحبشي ورشيد الحريري وأحمد عبده حمزة في تكوين الرابطة. وانتخب في المجلس البلدي ثم في المجلس التشريعي في عدن. ثم تفرغ تماماً للعمل الصحفي. وتوفي في ٢١ فبراير ١٩٩٣م في صنعاء ونقل جثمانه إلى عدن التي دفن فيها. وقام نجلاه هشام وتمام بإعادة صحيفة الأيام وبدأت أسبوعية ثم صارت يومية وصارت أكثر الصحف رواجاً وانتشاراً في عدن وربما في اليمن

بأكملها. وحملت لواء المعارضة للتصرفات الخاطئة والتهميش لعدن للرئيس (السابق) علي عبدالله صالح وشلّته. فأوقفها أكثر من مرة آخرها عام ٢٠١٠م وتهدد هشام باشراحيل بالاعتقال والتنكيل رغم مرضه وإصابته بالقلب وغيره من الأمراض.

(١٤) **الحق** (١٩٦٠م): يومية مستقلة. صاحبها ورئيس تحريرها عبداللطيف كتبي وهي تمثل رابطة أبناء الجنوب اليمني (وقد تغير اسم الرابطة بعد الاستقلال إلى رابطة أبناء الجنوب اليمني). واستمرت في الصدور إلى اليوم (٢٠١٢م).

(١٥) **الطريق** (١٩٦٥م): يومية. صاحبها ورئيس تحريرها محمد ناصر محمد. توجهها يساري ماركسي.

(١٦) **العمال** (١٩٦٦م): يومية. لسان حال المؤتمر العمالي. رئيس التحرير محمد سعيد باشرين. وكانت تصدر باسم (العامل) منذ عام ١٩٥٦م.

(١٧) **الرقيب** (١٩٥٦م): تصدر باللغة العربية والإنجليزية (Recorder). أسبوعية، مستقلة صاحبها ورئيس تحريرها محمد علي باشراحيل صاحب «الأيام».

(١٨) **النور** (١٩٥٧م): أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها محمد سالم باسندوه. وتمثل آراء الجبهة الوطنية والحركة الوطنية والعمالية مع ميول بعثية.

(١٩) **الزمان** (١٩٥٨م): أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها محمد حسن عوبلي.

(٢٠) **الفجر** (١٩٥٧م): أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها عيدروس الحامد. وشارك في تحريرها عبدالله باذيب وعلي باذيب وأحمد سعيد باخبيره.

(٢١) **القات** (١٩٥٧م): أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها علي ناجي محسن.

(٢٢) **العامل** (١٩٥٦م): لسان حال المؤتمر العمال. رئيس تحريرها عبده خليل سليمان.

(٢٣) **الفكر** (١٩٥٦م): أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها هبة الله علي.

(٢٤) **الفاروق** (١٩٦٤م): أسبوعية. لسان حال الرابطة. رئيس تحريرها عبدالله الخامري.

(٢٥) **الشعب** (١٩٥٨م): أسبوعية. وهما اثنتان: واحدة رئيس تحريرها محمد سعيد الحصيني، والأخرى صاحبها ورئيس تحريرها حسن إسماعيل خدابخش.

(٢٧) **صوت الجنوب** (١٩٦٢م): أسبوعية. لسان حال حكومة الاتحاد، رئيس تحريرها أحمد شريف الرفاعي.

(٢٨) **الجنبية** (١٩٦٢م): لسان حال الحرس الوطني حكومة الاتحاد. وهي أسبوعية.

(٢٩) **الساعة** (١٩٦١م): لسان حال القوات البريطانية في عدن. وهي أسبوعية.

(٣٠) **الميزان** (١٩٦٢م): أسبوعية مستقلة. صاحبها صالح إبراهيم الحريري.

(٣١) **الحقيقة** (١٩٦٢م): أسبوعية. لسان حال حزب الشعب الاشتراكي. رئيس تحريرها محمد سالم باسندوه.

(٣٢) **المعلم** (١٩٤٩م): شهرية. لسان حال التربية والتعليم. رئيس تحريرها السيد حامد الصافي.

(٣٣) **فتاة شمسان** (١٩٦٠م): شهرية. صاحبتاها ورئيستا التحرير ماهية نجيب، وماهية محمد عمر جرجرة.

(٣٤) **الميناء** (١٩٥٧م): شهرية. تصدر باللغة الإنجليزية والعربية. تصدرها أمانة ميناء عدن.

(٣٥) **الأمل (١٩٦٥م)**: أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها عبدالله عبدالرازق باذيب. ماركسية لينينية، ومع هذا فكانت تأخذ مواقف وطنية عامة.

(٣٦) **المصير (١٩٦٦م)**: أسبوعية. لسان حال الجبهة القومية. صاحبها حسن مسعد الخامري. اتجاهها يساري.

(٣٧) **أنغام (١٩٦٢م)**: شهرية. صاحبها ورئيس تحريرها علي عبدالله أمان. تهتم بالأغاني والموسيقى والفن.

(٣٨) **المجتمع (١٩٦٤م)**: نصف شهرية. اجتماعية سياسية. رئيس تحريرها وصاحبها عدنان كامل صلاح.

(٣٩) **الغد (١٩٦٢م)**: شهرية. صاحبها ورئيس تحريرها حسن علي عمر.

(٤٠) **الصباح (١٩٦٦م)**: أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها سعيد علي الجريك.

هذا موجز لهذه الأعداد الكثيرة من الصحف والمجلات الصادرة في عدن في فترة الحكم الاستعماري، وخاصة منذ عام ١٩٤٠م عندما ظهرت فتاة الجزيرة، إلى عام ١٩٦٦م قبيل الاستقلال.

وهذه الكثرة تدل على نشاط سياسي وثقافي واجتماعي. والغريب أنه لم تكن فيها صحيفة أو مجلة رياضية، رغم أن الصحف والمجلات المذكورة آنفاً لا تهمل الرياضة، كما أن المجلات الأدبية قليلة ومنها المستقبل، والدينية ومنها الذكرى.

ولم أذكر صحف حضرموت ولا شمال الوطن (اليمن الملكي ثم الجمهوري).

الإدارة البريطانية في عدن

بعد أن احتلت بريطانيا عدن عام ١٨٣٩م اتسمت سياستها بالاهتمام بالميناء وبتحصين عدن ضد أي هجوم خارجي حتى سميت القلعة، وبينت فيها الاستحكامات العسكرية وتم تحديث الدفاعات عدة مرات. وقد تحاشت بريطانيا الصدام مع المحميات وعقدت اتفاقيات صداقة مع تسع من المشيخات وما يسمى السلطنات، حتى عرفت بالمحميات التسع (وكلها غرب عدن ولذا عرفت بالمحميات الغربية)، وكان الغرض منها تأمين الطرق وتيسير التجارة بين عدن والداخل إلى اليمن بأكمله. وتوريد المياه من الشيخ عثمان وما حولها والأطعمة والخضروات إلى عدن. واستمرت هذه الفترة من عام ١٨٣٩م إلى عام ١٨٧٢م.

ثم بدأت بعدها ما يسمى سياسة الحماية (١٨٧٢ – ١٩١٨م) وذلك بسبب توغل العثمانيين الذين دخلوا إلى اليمن وبدأوا يحثّون القبائل والمشيخات على الثورة ضد الإنجليز. وامتدّت الحماية إلى حضرموت حيث وقع السلطان القعيطي اتفاقية الحماية عام ١٨٨٨م والكثيري عام ١٩١٨م.

ورغم هذه المعاهدات، فقد حرصت بريطانيا على أن يكون لهؤلاء الزعماء المحليين اختياراتهم في حلّ مشاكلهم بطريقتهم الخاصة (العرف القبلي)، ولم تمانع أبداً في تطبيق أحكام الشريعة عندما يطلبون ذلك. وكانت تدفع لهؤلاء الزعماء مبالغ شهرية أو سنوية، وهي في الغالب بسيطة.. واستطاعوا أن يتّفقوا مع تركيا (دولة الخلافة) على ترسيم معاهدة للحدود أولية عام ١٩٠٤م (لم

يعترف بها الإمام يحيى فيما بعد) ثم عام ١٩١٤م.

واعترف الإنجليز بأنهم لم يحموا السلاطين الذين وقّعوا معهم اتفاقيات الحماية، وخاصة سلطان لحج الذي احتلت أرضه القوات العثمانية بقيادة الجنرال سعيد باشا عام ١٩١٥م. والذي وصلت قواته إلى الشيخ عثمان نفسها واحتلها لفترة قبل أن تخرجه منها بريطانيا عام ١٩١٦م، ومع هذا فقد بقيت قواته في لحج حتى نهاية الحرب. وبانهزام تركيا في الحرب العالمية اضطر الجنرال سعيد إلى تسليم لحج للإنجليز بعد أن رفضت القوات التركية في صنعاء والشمال استلامها.

وظهرت لدى بريطانيا قوة جبارة لا قدر ة لأحد من سكان المحميات أو حتى اليمن الشمالي على مقاومتها، وهي قوة سلاح الجو الملكي البريطاني (Royal Air Force) الذي اضطر الإمام إلى التراجع بعد أن احتل الضالع وما حولها (١٩٢٦م)، وبدأت القوات الجوية البريطانية تفرض سيطرتها منذ عام ١٩٢٨م. وكلما قامت ثورة محلية أخضعتها هذه القوات الجوية بسهولة.

وقد قامت ثورات قبلية متعددة في حضرموت، منها: ثورة الحموم وثورة آل بن عبدات (١٩٢٨ – ١٩٤٥م). وثورات العوالق عدة سنوات ١٩٣٦م، ١٩٣٧م، ١٩٤٦م، ١٩٤٩م، ١٩٥٤م. وقبائل ردفان عام ١٩١٨م و١٩٣٨م، و١٩٤٨، و١٩٨٧م. وقبائل الواحدي ١٩٤١م. وقبائل المهرة وحضرموت عام ١٩٤٤م، ١٩٥١م، ١٩٥٢م، ١٩٥٥م، ١٩٦١م. وقبائل بيحان عام ١٩٤٢م، ١٩٤٣م، ١٩٤٨م، ١٩٥٧م. وقبائل العواذل عام ١٩٤٦م و١٩٤٧م. وقبائل الصبيحة عام ١٩٤٢م. وفي الشعيب وحالمين والضالع عام ١٩٤٧م و١٩٤٨م. وقبائل الفضلي سنة ١٩٤٥م و١٩٥٦م، ١٩٥٧م. وقبائل الحواشب سنة ١٩٥٠م. وقبائل دثينة عام ١٩٥٨م. وقبائل يافع ١٩٥٨م و١٩٥٩م. وقد زادت هذه الثورات ما بين ١٩٥٤م و١٩٥٥م حتى شملت الحدود كلها مع

اليمن، وزادت عدد الحوادث عن ألفي حادثة. إلا أن هذه الثورات كانت محدودة التنظيم وبدون تعاون بين القبائل. ولهذا تستفرد بريطانيا بكل قبيلة على حدة، حتى تقضي على ثورتها، رغم أن الإمام يحيى ثم الإمام أحمد كانا يدعمان هذه الثورات القبلية المسلحة. ولعب سلاح الجو البريطاني في تلك الفترة دوراً حاسماً في القضاء عليها [1].

وكانت هذه الثورات القبلية تفتقر إلى التنظيم والقيادات الموحدة، وكانت كل قبيلة تثور لوحدها ثم تتبعها قبيلة أخرى وهكذا، دون رابط. ولذا استطاعت بريطانيا بسهولة أن تقضي عليها. ولم يكن لها دعم قوي من الخارج كما حدث فيما بعد (١٩٦٣م) في ثورة ردفان، وإلا فإن ثورة ردفان عام ١٩٦٣م لا تختلف في بدايتها عن ثورات قبائل ردفان عام ١٩١٨م وعام ١٩٣٨م وعام ١٩٤٨م وعام ١٩٥٧م. ووجدت ثورة عام ١٩٦٣م التي قادها راجح لبوزة دعماً قويًّا من القوات المصرية الموجودة في اليمن وأسلحة حديثة. واعتمدت سياسة الكرّ والفرّ والاختباء في الكهوف والمغارات والجبال عند الهجوم الجوي البريطاني. ولهذا أتعبت بريطانيا ولم تستطع التغلب عليها إلا بصعوبة بالغة. واشتهرت ثورة ردفان في الصحافة البريطانية التي سمتهم ذئاب ردفان الحمر (The Red Wolves Of Radhfan).

وبعد أن استشهد راجح لبوزة تولى القيادة علي عنتر، وارتبط بالجبهة

---

(١) سبق ذكر بعض هذه الثورات عند الحديث عن المحميات الغربية والمحميات الشرقية، وكان بعضها مرتبطاً برابطة أبناء الجنوب. ولهذا تعتبر أنها سبقت الجبهة القومية بالكفاح المسلّح بأكثر من عشر سنوات. انظر رابطة الجنوب العربي في هيئة الأمم المتحدة، القاهرة، ص ١٩. ود. خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني (١٩٤٥ – ١٩٦٧م)، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد ١٩٧٩م، ص ٧٨ – ٧٩.

القومية وقحطان الشعبي والتنظيم القومي، وبالتالي توسعت الثورة ضد بريطانيا لتشمل مناطق متعددة مثل الضالع وأبْين ودثينة والعواذل وبيحان.. إلخ.

وسَعَتْ بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية إلى فرض سياسة جديدة في المحميات هي المعاهدات الاستشارية حيث كانت تعيّن مستشاراً يجب على السلطان أو الشيخ أن ينصاع لنصائحه ولا يستطيع الشيخ أو السلطان أن ينفذ أي شيء بدون موافقة المستشار.

وقد أدى أنجرامس في حضرموت هذه المهمة بنجاح باهر، وكان مستشرقاً ذكيًّا يعرف عادات الحضارم ولهجاتهم واستطاع أن يكسب الكثير بمن فيهم السيد أبو بكر الكاف والسيد عبد الرحمن الكاف ورجال الدولة القعيطية ابتداء بالسلطان صالح بن غالب القعيطي ووزيره الشديد الذكاء السيد حسين بن حامد المحضار. ووقعت حضرموت معاهدة الاستشارة عام ١٩٣٧م، وتبعتها سلطنات كثيرة، وآخرها لحج عام ١٩٥٢م.

وكان أنجرامس قد اقترح على حاكم عدن والإدارة البريطانية إيجاد اتحاد فيدرالي في المحميات الشرقية يضم سلطنات القعيطي والكثيري والمهرة والواحدي واتحاد فيدرالي في المحميات الغربية.

وأول من حاول تنفيذ هذا المشروع حاكم عدن السير توم هيكنبوتم عام ١٩٥٣م، ولكن المشروع فشل آنذاك ووجد معارضة من السلاطين أنفسهم. ولم يبدأ التنفيذ الفعلي إلا بعد مغادرة هيكنبوتم وتولي تريفاسكس الحكم في عدن (له خبرة طويلة في المحميات الغربية) وذلك عام ١٩٥٩م. ثم انضمت عدن إلى الاتحاد بعد عدة معارك مع المجلس التشريعي والجمعية العدنية وانقسامها إلى فريقين: فريق برئاسة حسن بيومي وعبد الرحمن جرجرة ويؤيد هذا الفريق انضمام عدن إلى الاتحاد بشروط، وفريق آخر يرفض الاتحاد باعتبار أن نظام عدن يختلف تماماً عن نظام الاتحاد ويمثله الأستاذ علي محمد لقمان ومن وافقه.

وكانت فكرة الاتحاد تقوم أولاً على استبعاد عدن حتى تتهيأ الظروف. وتتكون أولاً مجموعة المحميات الغربية ثم بعد ذلك مجموعة المحميات الشرقية. (وقد انضم الواحدي إلى الاتحاد في المحميات الغربية) وتبقى عدن خارج الاتحاد حتى تقتضي ذلك الضرورة.

وقد ذكر **كتاب وفد وزراء الاتحاد الفيدرالي وعدن إلى لندن ما يلي:**

«لقد أوضحت لنا الحكومة البريطانية بدقّة أن الاقتراحات والمشاريع التي نستطيع أن نضعها موضع التنفيذ لا يجوز أن تنال من سيادتها على عدن أو من السلطات الموكلة للحاكم. ونحن نقدّر تبعاً لأهمية الوضع الاستراتيجي لعدن، ضرورة احتفاظ بريطانيا احتفاظاً كاملاً بهذه السيادة حتى تستطيع منشآتها العسكرية التي تلعب دوراً رئيسيًّا في ممارسة مسؤولياتها العالمية، وفي حماية سكان هذه المنطقة أن تتابع عملها دون خوف [١].

وواضح أن بريطانيا احتفظت في هذا الاتحاد بسيطرتها الكاملة على عدن وعلى القاعدة والميناء فيها. كما أن لها الحق أن تضيف إلى ذلك أي منطقة تراها ضرورية للحفاظ على أمن المنطقة ودور بريطانيا العالمي. وكان الاتحاد تجميع لهذه السلطنات والمشيخات الهزيلة، وفي نفس الوقت لم يلغِ الاتفاقيات السابقة من الحماية والاستشارة السياسية الإجبارية.

ورغم ذلك فقد كان هيكنبوتم محرك الفيدرالية يقول: «لن تملك دول المحميات قوة كافية لكي تلعب دورها في العهد الحديث من دون الوحدة» [٢]. وكان هيكنبوتم ثم تريفاسكس تلميذه (والذي تولى الحكم في عدن بعده ونفذ فكرة الاتحاد على الأرض وأقام دولتها) يسعيان إلى ربط هذه الدويلة بالجامعة

---

(١) الكتاب الأبيض، وثيقة رقم ٨١٤، لندن ١٩٦٢م، نقلاً عن محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي: سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٨م، ص ٦٥.

(٢) Hickinbothom T: *Aden*, London, Coustable & Co. Ltd., p 164–167,175,233

العربية على اعتبار أنها دولة مستقلة، ولم يسعيا إلى ربطها بدول الكومنولث، وذلك بسبب انتشار الدعوة إلى القومية العربية والوحدة العربية وظهور عبدالناصر وصوت العرب، وظهور القوى الدولية المحاربة للاستعمار.

ومنذ فترة مبكرة **وذلك في عام ١٩٤٧م** قامت بريطانيا بإيجاد تغييرات في نظام إدارة عدن التي كانت تابعة لبومباي (شركة الهند الشرقية) حتى عام ١٩٣٢م ثم لحكومة عموم الهند (التابعة للتاج البريطاني مباشرة) حتى عام ١٩٣٧م، وجعلت عدن بعدها تابعة للتاج البريطاني ووزارة المستعمرات حتى لا تطالب الهند بعدن بعد استقلال الهند.

وتغيّرت السياسة البريطانية التي كانت تشجع بكثافة على هجرة الهنود (أغلبهم هندوس) إلى عدن إلى تقليص نسبي في هذه الهجرة والحدّ منها. وبدأت بالتدريج تدخل أبناء عدن العرب في هيكل الدولة، وإن كان بصورة محدودة باختيار أفراد متميّزين ويجيدون العربية والإنجليزية ويستطيعون تقديم خدمات للدولة.

النظام في عدن

وفي عام ١٩٤٧م، أنشأت وزارة المستعمرات مجلسين لتسيير شؤون المستعمرة هما: المجلس التنفيذي والمجلس التشريعي(١):

(١) **المجلس التنفيذي (أي الحكومة)**: ويتكون من:

(أ) **حاكم يعيّنه التاج البريطاني بناء على اقتراح وزير المستعمرات.** ويتولى رئاسة الدولة (في عدن والمحميات وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة) ومدّته خمس سنوات.

---

(١) د. محمد عبد الرشيد علي: النظام الإداري في عدن خلال خمسون (الصواب خمسين) عاماً، ندوة عدن ثغر اليمن، جامعة عدن، ١٥ – ١٧ مايو ١٩٩٩م، ص ٢١ – ٢٩.

(ب) **ثلاثة موظفين كبار**: تعيّنهم وزارة المستعمرات، وهم: سكرتير عام (كاتب الدولة أو الوزير الأول)، ومدير عام للمستعمرة، وسكرتير للمالية (وهو ما يقابل وزير المالية).

(ج) **موظفين أو خبراء يعيّنهم الحاكم**: حسب توجيهات لندن يتراوح عددهم بين اثنين أو ثلاثة.

وكل هؤلاء من البريطانيين. ومن النادر أن يعيّن أحد أبناء عدن العرب في هذه المناصب الهامة.

(٢) **مجلس تشريعي**: وهو بكامله معيّن من قبل الحاكم العام بالشكل التالي:

أ- أربعة أعضاء بريطانيين من دوائر المستعمرات (أكبر الضباط من القيادة المسلحة والسكرتير الأول والمدعي العام والسكرتير المالي).

ب- أربعة أعضاء رسميين من الموظفين الذين يستخدمهم التاج.

ج- ثمانية أعضاء خصوصيين يختارهم الحاكم من بين ممثلي فئات الشعب في المستعمرة وهم من البريطانيين والعرب والهنود واليهود والصومال.

وكان الأعضاء الثمانية: اثنان من البريطانيين، واثنان من الهنود، واثنان من العرب، وواحد يهودي وواحد صومالي. وفي بعض الأحيان كان هناك أربعة من العرب وعضو من الهندوس وعضو من الزاردشت (البارس وهم من الهند) وعضو من المسلمين الهنود وعضو من اليهود.

ومن الواضح أن الحاكم البريطاني لعدن كان يتمتع بسلطات دكتاتورية، فهو حاكم عدن والمحميات ويساعده في المحميات اثنان واحد مسؤول عن المحميات الغربية والآخر عن المحميات الشرقية. وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة. وهو رئيس الحكومة وفي نفس الوقت هو الرئيس الأعلى للمجلس التشريعي وهو الذي يُعيّن الأعضاء. ونصف الأعضاء من الموظفين الإنجليز

الكبار والمسؤولين في دائرة المستعمرات. والنصف الثاني يعيّنهم الحاكم البريطاني (الدكتاتور) من العرب والهنود واليهود والإنجليز القاطنين في عدن وأحياناً من الصومال. فاثنان من الإنجليز واثنان من الهنود واثنان من العرب وواحد من اليهود أو اثنان وواحد من الصومال (أحياناً).

وحدث بعد ذلك تغيير خفيف وذلك عام ١٩٥٥م. وقد سمح الحاكم العام باختيار أربعة من المعينين بانتخابات عامة. وأعطي حق الانتخاب لكل شخص ولد في عدن (مهما كان أصله) إذا بلغ سن ٢١ سنة ولديه مبلغ محدد من المال أو وظيفة أو عقار يملكه. ولكل شخص ولد في الكومنولث وعاش في عدن مدة سنتين متتاليتين وبلغ السن المقررة ولديه المبلغ المالي أو الوظيفة.

(٣) كل من ولد في المحميات وعاش في عدن لمدة سنتين وبلغ السن المقررة ولديه المبلغ المالي المحدد.

ويُحرم من ذلك كل من ولد في اليمن (الشمالي)، ولو عاش في عدن سنوات طويلة، وطالما أنه لم يولد في عدن فلا يحق له الانتخاب. كما تحرم جميع النساء من حق الانتخاب والترشيح.

ودخلت الجمعية العدنية ورابطة أبناء الجنوب هذا الانتخاب. وكان قرار الرابطة دخول هذه الانتخابات بعد أن قاطعتها كل الهيئات الأخرى، نكبة على الرابطة مما أدى إلى انفصال عناصر كبيرة وهامة منها: محمد سالم علي وعبدالله باذيب ومحمد سالم باسندوه..إلخ.

ولم تكسب الرابطة الشارع بعدها أبداً رغم اعتراف الجميع بأنها التنظيم الحاضن لجميع التنظيمات الأخرى التي خرجت من تحت عباءتها. ورغم دخولها الانتخابات لم تحصل حتى على مرشح واحد. وفازت الجمعية العدنية بجميع المقاعد الأربعة.

وما زاد في عزلة الرابطة خلافها مع المؤتمر العمالي الذي ترأسه عبدالله الأصنج ومحمد سالم علي والذي تكون عام ١٩٥٦م.

وبما أن غالبية العمال هم من الشمال اليمني فإن اعتماد المؤتمر العمالي عليهم كان شديداً، وبالتالي وصم سياسة الرابطة التي وافقت على السياسية البريطانية في حرمان أبناء الشمال من حق الانتخاب، بأنها سياسة انفصالية، مما أضعف الرابطة التي واجهت حملة قوية من بريطانيا التي منعت نشاطها ونفت رئيسها السيد محمد علي الجفري وأمينها العام شيخان الحبشي وطاردت كثيراً من رجالها. وذلك منذ عام ١٩٥٦م، كما عزلت السلطان علي عبد الكريم بالقوة العسكرية عام ١٩٥٨م.

وكانت مهمات المجلس التشريعي (المعيّن أغلب أعضائه) اقتراح القوانين والتشريعات لتطبيقها في عدن. وكان على أعضاء المجلس عرض القضايا التي يريدون مناقشتها على حاكم عدن، وله الحق في رفض المناقشة. ولا يعتبر أي قانون نافذ المفعول حتى ينال موافقة حاكم عدن.. وللحكومة البريطانية أيضاً حق إلغاء أي قانون وافق عليه حاكم عدن، وذلك بأمر وزير المستعمرات(١).

واضح جدًّا أن حاكم عدن دكتاتور حسب هذا النظام والدستور. ولهذا واجه المجلس التشريعي سخرية الصحافة والشعب وأطلق عليه مجلس نعم. ورغم أن أبناء عدن طلبوا من وزير المستعمرات لينوكس بويد (Lanox Boyed) بأن يجعل جميع الأعضاء في المجلس التشريعي منتخبين وذلك عند زيارته لعدن عام ١٩٥٤م إلا أنه لم يستجب لمطلبهم وسمح فقط بانتخاب أربعة أعضاء وزادوا عدد أعضاء المجلس إلى ١٨ بدلاً من ١٦. وحرم من حق الانتخاب، كما

(١) Little, Tom: *South Arabia: Arena of Conflict*, London, 1968 , p30، د. إبراهيم خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني (١٩٤٥ – ١٩٦٧م)، ص ١٢٨.

أسلفنا، المولود في شمال اليمن. بينما أعطي هذا الحق لكل مولود في الكومنولث البريطاني إذا أقام في عدن لمدة سنتين، كما حُرمت المرأة من حق الانتخاب أيضاً.

ورغم هذا فقد أصدر المجلس التشريعي قانون الهجرة عام ١٩٥٤م، وهو يحدّ من الهجرة إلى عدن، وذلك بعد أن رأت بريطانيا مخاطر زيادة عدد الهنود في عدن، ومطالبتهم بحقوقهم فيها، ورأت أن ذلك يشكل خطراً على قواعدها وسياستها. ومع هذا فكان القانون يسمح لدخول الأجانب، وذلك بما تحدده الإدارة الحاكمة من حاجتها لهم. وبما أن الوظائف الرئيسية كانت بيد الإنجليز والأوربيين والهنود، فإن لهم الحق في تحديد من يحتاجون إليه من الأجانب. ولعبت الشركات الأجنبية دوراً في ذلك لحاجتها إلى الموظفين ذوي الكفاءة، حسب قولها.

واجتمعت الهيئات الوطنية بما فيها الجبهة الوطنية ورابطة أبناء الجنوب ونادي الإصلاح العربي وغيرها من الهيئات (في ٥/ ١١/ ١٩٥٦م)، ونادت بعدم السماح لغير العرب من دخول عدن. وأن الكفاءات موجودة في البلاد العربية ولا داعي لاستقدامها من غير البلاد العربية.

وقد ناقش مجلس العموم البريطاني هذا القانون، ومعارضة القوى الوطنية له، إلا أن وزير المستعمرات أقنع المجلس بحاجة عدن إلى الأيدي الماهرة وإلى الموظفين ذوي الكفاءة.

وفي عام ١٩٥٧م صدر قانون التعدين الذي عرّف العدني بأنه كل من ولدوا في عدن أو ولد آباؤهم في عدن، أو كل من سكن في عدن لمدة خمس سنوات من أبناء الكومنولث، أو أي شخص قضى عشر سنوات في خدمة الحكومة البريطانية في عدن.

وقد ثارت القوى الوطنية والمؤتمر العمالي ضد هذا القانون الذي يمسخ عروبة عدن. واتفقت الهيئات الوطنية على تعريف العدني بأنه كل شخص عربي

ولد في عدن، وجميع أبناء الجنوب اليمني القاطنين في عدن، وكل شخص من أصل غير عربي ولد في عدن أو في أي منطقة من مناطق الجنوب اليمني وانقطعت صلته بوطنه الأصلي[١].

وأصدرت رابطة الجنوب العربي بياناً هاجمت فيه بشدّة هذا القانون الذي يمسخ عروبة عدن ويحولها إلى فلسطين ثانية[٢].

وأصدرت السلطات أيضاً قانوناً يمنع جمع التبرعات للأغراض الخيرية والوطنية إلا بترخيص منها وجعلت عقوبة على جامع التبرع والمتبرع[٣] وذلك عام ١٩٥٥م.

وعندما ازدادت الحركة الوطنية قوة وازداد ضغط الأمم المتحدة على بريطانيا لتصفية الاستعمار زادت من عدد الأعضاء المنتخبين في المجلس التشريعي إلى ثمانية، كما جعلت كل الأعضاء في المجلس منتخبين، وذلك منذ أن شكلت اتحاد الجنوب العربي عام ١٩٥٩م.

ودعا مجلس العموم البريطاني عام ١٩٦٢م أن تتماشى السياسة البريطانية مع تغيّر الظروف المحلية العالمية، وجاء في المناقشات في مجلس العموم[٤]: «يجب أن نكون واقعيين، فرياح التغيير تهبّ على المنطقة بشكل قوي. وإذا أردنا أن نقيم علاقات صداقة مع الشعب العربي، الذي يشكُّ فينا في الوقت الحاضر، يجب أن نعتمد انتخابات بصورة صحيحة وعلى أسس واقعية، من أجل مصلحة السكان وليس من أجل مصلحتنا فقط».

---

(١) صحيفة الجنوب العربي، العدد ١٥١، في ١/ ١٠/ ١٩٥٧م.

(٢) صحيفة الجنوب العربي، العدد ١٥٢، في ١٨/ ١٠/ ١٩٥٧م.

(٣) إذاعة صوت العرب، في ٨/ ٧/ ١٩٦٤م، وقحطان الشعبي: الاستعمار البريطاني ومعركتنا في جنوب اليمن، دار النصر، القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٧١.

(٤) Parliamentary Debates: 13 November 1962, vol 667, p 297 – 298

ولكن حكومة عدن استمرت في تنفيذ سياستها الخاصة وأصدرت قانون الطوارئ عام ١٩٥٨م والذي منح الحاكم صلاحيات واسعة في احتجاز أو سجن أي شخص يثير الشغب. كما صدر قانون بمنع الإضرابات العمالية (التي زادت زيادة كبيرة حتى أصابت البلاد بالشلل). ولا بدَّ أولاً من التحكيم الإجباري، فإذا فشل التحكيم فيمكن اللجوء إلى الإضراب بشروط عديدة: منها أن لا يكون له أي علاقة بالسياسية، وأن يكون موقفاً متخذاً من أجل نزاع عمالي مع الشركة أو الإدارة المعنيّة فشلت فيه جهود التحكيم. وقد صدر قانون التحكيم الإجباري عام ١٩٦١م، وقد رفضه المؤتمر العمالي وواجهه بالمزيد من الإضرابات والاعتصامات.

وواجه المجلس التشريعي حملات مستمرّة من الهيئات والتنظيمات الوطنية، ونقداً من مجلس العموم البريطاني وحزب العمال. ولهذا وافقت بريطانيا على زيادة أعداد أعضاء المجلس التشريعي إلى ٢٣ عضواً يكون ١٢ عضواً منهم منتخبين. والأعضاء الآخرون خمسة منهم أعضاء بحكم الوظيفة وستة أعضاء يعيّنهم حاكم عدن. ولكن حكومة عدن لم تجرِ أي تعديل على شروط الانتخابات السابقة وأبقت اليمنيين الشماليين بدون حق الانتخاب طالما أنهم لم يولدوا في عدن. وجرت أول انتخابات بهذا القانون الجديد في ٤ يناير ١٩٥٩م. وكان عدد الذين لهم حق الانتخاب حسب هذا القانون (٢١٥٥٤) رجلاً ولكن الذين أقبلوا على الانتخاب كانوا ٥٦٠٠ منتخباً أي بنسبة ٢٦ في المئة ممن لهم حق الانتخاب حسب هذا القانون الجائر.

وأدت هذه الانتخابات إلى انتخاب اثني عشر شخصاً من المعتدلين من أعضاء الجمعية العدنية الداعين إلى الحكم الذاتي والتطور الدستوري، وكانت نتيجة الانتخابات فوز تسعة من العرب واثنين من الصومال وهنديًّا واحداً.

وتحقَّق في هذا المجلس لأول مرة جعل اللغة العربية اللغة الرسمية الثانية في المستعمرة، والبديلة عن الإنجليزية في المجلس التشريعي [١].

ونص دستور عدن لعام ١٩٦٢م على أن يتألف المجلس من ١٦ عضواً منتخباً وستة أعضاء معينين والمدعي العام. وجرى تعديل الدستور مرة أخرى عام ١٩٦٤م. وعُدِّلت المادة المتعلقة بحق الانتخاب حيث أصبح كالتالي: كل من ولد هو أو أبوه في عدن، أو حصل على الجنسية البريطانية بطريق المنح من قبل المندوب السامي وحصوله على شهادة تجنّس (وبالتالي ألغي حق كل من ولد في الكومنولث البريطاني وعاش في عدن لمدة سنتين وبعد تعديل آخر لمدة خمس سنين)، وأن يكون مقيماً في عدن، وأن يكون ذكراً ولا يقلّ عمره عن ٢١ عاماً وأن يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة وكلاماً ولا يعاني من العمى [٢].

(وسيأتي ذكر التطورات السياسية والحركات السياسية في فصول قادمة).

وفي عام ١٩٦٣م، تمّ إدخال نظام الحكم الذاتي ومجلس منتخب ووزارة مسؤولة وبدأت أول حكومة منتخبة وافق عليها الحاكم العام في عدن برئاسة السيد حسن بيومي ثم تتالت الحكومات المحلية التي سيأتي ذكرها.

الجهاز الإداري

وكان الجهاز الإداري في عدن مكوناً من أربع فئات غير متجانسة [٣]:

(١) **الأوربيون وكلهم من البريطانيين** ويساعدهم بعض الآسيويين، وقد قدر

---

(١) د. إبراهيم خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني (١٩٤٥-١٩٦٧م)، ص ١٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٠ (المادة ٣٤ من الدستور، الفقرة ٣٤).

(٣) د. محمد عبد الرشيد علي: النظام الإداري في عدن، ندوة عدن ثغر اليمن ١٩٩٩م، ص ٢ - ١٩.

عددهم عام ١٩٦٢م بـ ٣٢٤ شخصاً وهم يتولون المناصب الإدارية العليا والهامة.

(٢) موظفو المستعمرة وهم خليط من العرب والهندوس والهنود المسلمين والصوماليين المولودين في عدن، ولا يُعلم عددهم بالضبط.

(٣) الموظفون المحليون: ومعظمهم من العرب ولهم نقابات عديدة. ويعمل كثير منهم في القاعدة البريطانية. وفيهم عرب من عدن والمحميات وشمال اليمن.

(٤) الجهاز الاتحادي: ويضم أبناء المحميات، وإلى جانبهم خبراء من البريطانيين الهنود والعرب العدنيين والأردنيين (في الجيش).

وفي عام ١٩٦٣م، كانت الوظائف الإدارية في مستعمرة عدن محدودة بـ ٤١٦ وظيفة كالتالي[1]:

	العدنيون	العرب	الأجانب (أغلبهم إنجليز)
وظائف قيادية	٨٦	١٦	٦٢
مهنيون	١٢١	١٠	٩٤
شهادات دبلوم	١٢٥	١٣	٨٨
وظائف دنيا	٤١	١٨	١٩
كتبة	٤٣	٢٢	١٧
المجموع	٤١٦	٧٩	٢٧٠ وهناك ٥٧ وظيفة شاغرة

وكان الذين يعملون في الأنشطة المختلفة في المستعمرة عام ١٩٦٣م كالتالي:

الميناء	٧٥٥٠	الخدمات الإدارية	١٧,٨٦٠
البناء	١٢٦٢٩	الخدمات سياحة وفنادق إلخ	٢٠,٠٠٠
مصفاة الزيت البريقة	١٩٢٢		

(١) المصدر السابق.

الصناعة	١١٥٧٤	
التجارة (المفرق)	١٠٦٩٤	وغالبية العمال هم من المناطق الشمالية يليهم أهل المحميات، يليهم أهل عدن.

وتميز النظام الإداري في العهد البريطاني بكفاءته وقلة عدد الموظفين (٤١٦) وظيفة، منها (٥٧) وظيفة شاغرة. وعلى العكس من ذلك نجد أن الأعداد في النظام الإداري الحكومي قد زادت بعد الاستقلال زيادة رهيبة مع انعدام الكفاءة وهروب الكثير من الكفاءات بسبب النظام الشمولي الشيوعي الذي خرَّب البلاد والعباد.

وقد زاد بعد الاستقلال انتشار التعليم في الأرياف (المحميات) وفي عدن، وظهرت جامعة عدن. وقد استطاعت الجامعة أن تحقق اكتفاءً ذاتيًّا في هيئة التدريس وصل إلى ٩٥ بالمئة من المدرسين بعد فترة زمنية تعتبر وجيزة في عمر الجامعات. وكان لا يزال مستواها مقبولاً ويقارن بكثير من الجامعات في الوطن العربي.

كما أن المواصلات بين أطراف الجمهورية (الديمقراطية الشعبية) ازدادت كثافة واتصلت المناطق ببعضها. وزاد ذلك بصورة جلية بعد الوحدة ١٩٩٠م وبعد فشل محاولة الانفصال عام ١٩٩٤م بحيث أصبح من الميسور لأي شخص أن يسافر إلى أي منطقة يريدها، سواء أكانت في الشمال أو في الجنوب، في الشرق أو في الغرب. وهو أمر له أهمية بالغة في إيجاد نوع من التجانس والتفاهم والاتصال في مناطق اعتادت على العزلة على مدى مئات السنين.

دخول عدن إلى الاتحاد عام ١٩٦٣م

لقد تم إقرار دخول عدن في ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٦٢م بموجب الأمر

الصادر بالكتاب الأبيض قرار رقم ١٨١٤م[١]. وتضمّن القرار ثلاث وثائق[٢]: الأولى: مسودة المعاهدة التي أقرّت دخول عدن في الاتحاد . والثانية: دستور الاتحاد. والثالثة: تطوير الأوضاع الدستورية في عدن لتتماشى مع الاتحاد. ونصّت الاتفاقية على اعتبار عدن ولاية من ولايات الاتحاد اعتباراً من شهر مارس (آذار) ١٩٦٣م على أن لا تمس السيادة البريطانية فيها وأن تحتفظ بريطانيا بمنشآتها العسكرية فيها، وأن تحظى عدن بمركز متميّز في الاتحاد بحيث يكون لها ٢٤ عضواً في المجلس التشريعي (بينما كل سلطنة تمثّل بستة أعضاء فقط) ويكون لها أربعة أعضاء في المجلس الأعلى للاتحاد (بينما كل سلطنة تمثل بعضو واحد فقط). كما نصّت الاتفاقية على حق عدن في الانسحاب بعد مرور ست سنوات إذا رأت ذلك. كما أن من حق بريطانيا أن تستثني أو تسحب من الاتحاد في أي وقت من الأوقات إذا رأت ذلك ضرورياً لمسؤولياتها الدفاعية. وأكّدت المعاهدة على اعتبار سلطات المندوب السامي (حاكم عدن والمحميات الشرقية والغربيّة) فوق السلطات الاتحادية واعتبار مجلس التاج الخاص (Privy Council) محكمة تعلو فوق محكمة العدل الاتحادي فيما يخص أي خلاف بين عدن وغيرها من الإمارات في الاتحاد[٣].

وقد جرى التصديق على معاهدة الدمج من قبل المجلس التشريعي في عدن والمجلس التشريعي الاتحادي ومجلس العموم البريطاني. وقد هاج الشعب

---

(١) - HMSO, States Papers: Parliamentary Debates , 13 th November 1962 ,Vol 667 , p 245 .

- House of Lords: 12 Dec 1962 ,Vol 245 , p 685 .

(٢) د. إبراهيم خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني (١٩٤٥ – ١٩٦٧م)، جامعة بغداد، ص ٢٠٧ – ٢٠٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٨؛ والجمعية العامة للأمم المتحدة، الوثائق الرسمية، الدورة ١٧ ج ع ٥٢٣٨.

والمنظمات السياسية والوطنية في عدن ضد هذا المشروع، وزحف الشعب على المجلس التشريعي في مظاهرات استمرت ثلاثة أيام رغم إنزال قوات كثيفة لحراسة المجلس التشريعي ومنع المتظاهرين من الاقتراب منه. وقد وافق ١٥ عضواً من أعضاء المجلس التشريعي في عدن على هذه الاتفاقية ورفضها ثمانية أعضاء. ومن الموافقين ١١ عضواً معيّناً (بريطانيين وغيرهم) وأربعة منتخبين.

وقد تم الاتفاق قبل حدوث ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م (ثورة السلال في اليمن الشمالي وإنهاء الملكية). وقال حاكم عدن تريفاسكس: «لو أن الثورة اليمنية جاءت قبل موعدها بيوم واحد أو أن المجلس التشريعي لم يصوت على الاتفاق بعد يوم واحد. فإني واثق كل الثقة أن اتفاق لندن لن يحصل أبداً»[١].

والواقع أن نصف الأعضاء المنتخبين فقط هم الذين وافقوا على الاتفاقية، وهناك معارضة شعبية عارمة لها.

ورغم أن الجميعة العدنية تعتبر معتدلة جدًّا بالنسبة للمقاييس البريطانية إلا أنها انقسمت بسبب هذه الاتفاقية إلى فريقين:

(الأول) ويرأسه الأستاذ حسن البيومي ومعه عبد الرحمن جرجرة ويؤيد الاتحاد، وكوّن **الحزب الوطني الاتحادي**. واشترك حسن البيومي ومن معه في المفاوضات في لندن التي أدت إلى دخول عدن الاتحاد (١٩٦٢-١٩٦٣م) وتم تعيينه كأول رئيس وزراء لعدن بعد منحها الحكم الذاتي.

والثاني: ويرأسه علي محمد لقمان ابن مؤسس الجمعية العدنية وأحد أهم رجالاتها والشاعر والكاتب الصحفي القدير. وقد أسس علي لقمان **حزب المؤتمر الشعبي الدستوري**. وكان يعارض انضمام عدن في دولة الاتحاد قبل أن

---

(١) Trevaskis k: *Shades of Amber*, p180 وانظر: د. إبراهيم العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني، ص ٢٠٩، وهو ينقلها عن جونستون: نظرة من التواهي C. Johnston: *The View from Streamer Point* (1960 – 1963), p111 – 113

تستكمل عدن مسيرتها الديمقراطية الدستورية. واعتبر أن دخول عدن في الاتحاد ضربة قاضية لحقوق أهل عدن في تطور دستوري سليم وسريع. وطالب بتوسيع قاعدة الانتخابات في المجلس التشريعي بحيث يكون كل الأعضاء منتخبين ولكن بشرط أن يكون حق الانتخاب للمولودين في عدن وأبناء الإمارات المولودين في الإمارات والمقيمين في عدن. وأن يشكل المجلس التشريعي حكومة وطنية مسؤولة أمام المجلس ووظيفة هذه الحكومة تطبيق حق تقرير المصير وإعلان الاستقلال لعدن وإجراء مفاوضات بعد ذلك مع الاتحاد وبريطانيا.

وقد كان معظم أعضاء المجلس التشريعي المنتخبين في عدن من الجمعية العدنية وأول حكومة محلية في عدن تولى رئاستها حسن بيومي (رئيس الجمعية العدنية).. وهو أمر طبيعي لأن كل الأحزاب والجمعيات الوطنية الأخرى قاطعت الانتخابات، كما قد مرَّ معنا.

الجمعيات والمنظمات السياسية

الجمعية الإسلامية الكبرى (١٩٤٩م): أسسها الشيخ محمد عبد الله المحامي (من أصل هندي). واشترك معه في تكوينها الشيخ محمد بن سالم البيحاني، والشيخ علي محمد باحميش، والسيد محمد علي الجفري (مؤسس ورئيس رابطة أبناء الجنوب فيما بعد)، والسيد سالم الصافي، والسيد عبدالله بن صالح المحضار، والشيخ علي بازرعة، والشيخ سعيد بازرعة، والشيخ ياسين راجمنار، والشيخ علي إسماعيل التركي، والأستاذ علي غانم كليب، والشيخ محمد عوض باوزير.

وكانت الجمعية الإسلامية تواجه المدّ التغريبي والتبشيري اللذين نشرتهما بريطانيا في عدن. وأصبح كثير من أبناء عدن لا يعرفون كيف يصلّون، وإذا كانت هناك جنازة لقريب لهم وقفوا خارج المسجد حتى يصلّي عليها الناس (أغلبهم من أبناء المحميات وأبناء الشمال). كما كانت اللغة العربية تنحسر بسبب ضعف التعليم فيها. وكانت مطالب الجمعية ترتكز على الحقوق المدنية والدينية لأهل عدن. وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية لدى الدولة. وأن تكون الإجازة الأسبوعية الجمعة بدلاً من الأحد. وأن يتم الاحتفال بالمناسبات الدينية، وأن تكون فيها إجازة مثل المولد النبوي ورأس السنة الهجرية، والإسراء والمعراج. وعمّقتْ الروح الإسلامية وسعت سعياً حثيثاً لإقامة المعهد الإسلامي الذي قام به بعد وفاة الشيخ عبدالله المحامي الشيخ محمد بن سالم البيحاني – مؤسس المعهد والداعي إليه. وذهب الشيخ عبدالله المحامي إلى لندن ليعرض قضية عدن ويطلب لها الحكم الذاتي والتعريب وأسلمة التعليم فتوفي

هناك. ونقل جثمانه إلى عدن ودفن في مقبرة العيدروس. وقام الشيخ علي محمد باحميش بإصدار مجلة الذكرى وهي مجلة دينية تردُّ على العلمانيين والليبراليين وتنادي بمبادئ الجمعية، ولكنها للأسف أيضاً دخلت في معارك مع السلفيين. واستطاع الشيخ محمد البيحاني أن يقيم المعهد الإسلامي (من الابتدائية إلى الثانوية العليا) عام ١٩٥٦م، وبقي المعهد منارة إسلامية حتى أقفله عبدالله عبدالرزاق باذيب عام ١٩٧١م وجعله تابعاً لوزارة الداخلية في العهد الشيوعي الأسود (وقد ذكرنا تفصيل ذلك في ترجمة الشيخ محمد بن سالم البيحاني في الجزء الأول من هذا الكتاب).

وكانت هذه المنظمة تضم العديد من علماء عدن وطلبة العلم وعدداً من الهنود المسلمين وأبناء الجنوب وبعض المهاجرين إلى عدن. وبما أن نزعتها كانت إسلامية صرفة فإن التيار الليبرالي المنفتح في عدن أقام جمعية أخرى هي:

الجمعية العدنية: وقد تكونت في ٢٣ يونيه (حزيران) ١٩٤٩م التي أسّسها الأستاذ المحامي محمد علي لقمان الذي أسّس نادي الإصلاح العربي في كريتر (عدن) ١٩٣٠م، والذي شارك في تأسيس مجموعة من الأندية الأدبية والعلمية في عدن. كما كان **أول من أسس صحيفة مطبوعة وهي «فتاة الجزيرة» عام ١٩٤٠م، لا في عدن وحدها، بل ربما في جزيرة العرب. وهي صحيفة أسبوعية سياسية. وكانت لسان حال الجمعية العدنية وقد نشرت دستور الجمعية العدنية وأهدافها وهي:**

(١) العمل على رفع مستوى عدن والعدنيين والتعاون مع حكومة عدن لهذه الغاية.

(٢) ترقية العدنيين وحماية مصالحهم في مستعمرة عدن.

(٣) تنظيم العلاقات بين العدنيين وحكومة عدن، وبين الموظفين والمستخدمين، وبين العدنيين أنفسهم.

ثم أصبح حسن علي بيومي رئيساً للجمعية العدنية وعلي محمد لقمان (ابن المؤسس) أميناً عامًّا لها. وتحولت صحف آل لقمان: فتاة الجزيرة، القلم العدني وإيدن كرونكل باللغة الإنجليزية إلى لسان حال الجمعية العدنية.

وقد انضم إلى الجمعية العدنية عدد ليس بالقليل من الأسر العدنية الأصيلة، ومن التجار الهنود (الهندوس والمسلمين) والصومال وبعض موظفي الدولة والمؤسسات الأجنبية، وقد قبلوا بتعريف العدني:

أولاً: أنه كل مولود في عدن مهما كان أصله.

ثانياً: كل أبناء الكومنولث الذين أقاموا في عدن لمدة سنتين فأكثر وهو التعريف البريطاني. ولم يدخلوا أول الأمر حتى أبناء الإمارات.. وبالتالي كان الهندوسي أو الجواني (من جوا في الهند وهي مستعمرة برتغالية سابقة)، أو أي شخص من الكومنولث البريطاني الذي أقام في عدن يتمتع بحقوق المواطنة في عدن، وأن يدرس أبناءه في المدارس الحكومية، وأن يدخل الانتخابات البلدية والتشريعية، بينما يحرم من ذلك ابن المحميات (الجنوب) وابن الشمال اليمني. ثم حصل تعديل عام ١٩٥٥م وسُمح لابن الجنوب إذا أقام في عدن أن يتمتّع بحقوق المواطنة.

وشكَّل المنتمون إلى الجمعية العدنية خليطاً من البشر ذوي جنسيات وأصول مختلفة بل ولغات مختلفة (وفي الهند وحدها العديد من اللغات). كما كان ينتمي إليها بعض الصوماليين وبعض الأوربيين وبعض من جاؤوا من إفريقيا، وهم يندرجون في الكومنولث البريطاني. وقد دعمت الجاليات الأجنبية الجمعية العدنية لأنها حقَّقت لها ما كانت تحلم به. وبالذات التجار من الهنود والزرادشتيين (البارسي) وبعض أصحاب الشركات. وهو زواج مصلحي، ولكن مع مرور الأيام وصدور تعريفات جديدة للعدني بشرط إجادته للغة العربية قراءة وكتابة ومخاطبة ضعفت هذه الصلات، وهو واضح

من مجريات الأحداث بعد دخول عدن في اتحاد الجنوب العربي عام ١٩٦٣م وصدور قانون التعدين (أي تعدين الوظائف) والحدّ من الهجرة الأجنبية.

وعندما دخلت عدن في اتحاد الجنوب العربي انقسمت الجمعية العدنية إلى حزبين:

الأول: الحزب الوطني الاتحادي ويرأسه حسن علي بيومي. ومن أعضائه البارزين الأستاذ عبد الرحمن جرجرة والأستاذ إبراهيم الصعيدي وحسين بيومي. وكان ينادي بدخول الاتحاد مع فرض شروط لمصلحة عدن (سبق ذكرها).

الثاني: حزب المؤتمر الشعبي الدستوري ويرأسه الأستاذ علي لقمان، ويرى أن عدن ستتضرّر بدخول الاتحاد. وعليها أولاً أن تحقق الاستقلال الذاتي ثم تقرّر بعد ذلك دخول الاتحاد من عدمه.

وقد تولى الأستاذ حسن علي بيومي أول وزارة اتحادية، كما تولى منصب وزير الإرشاد القومي وتولى أخوه حسين بعد وفاة أخيه حسن عدة مناصب وزارية. وكانت زوجته عديلة بيومي من رائدات الإعلام والإذاعة ثم التليفزيون.

أما آل لقمان فهي أسرة عريقة في عدن وهم من همدان اليمنية التي أخرجت الصليحي والملكة **السيدة أحمد** (الملكة أروى) وكانوا على المذهب الإسماعيلي الفاطمي. فلما ذهبت دولتهم جاءت فترات من الاضطهاد وانتقل جدهم إلى الهند. وكان للملكة أروى دور كبير في تكوين حركة البهرة في الهند، وهم يأتون لزيارة مقرّها ومسجدها وقبرها في جبلة كل سنة. وكان جدُّ آل لقمان من هذه الفئة. وذكر الأستاذ محمد علي لقمان عند زيارته للهند وهو شاب ما أخبرته جدته عن دور أجداده في الحركة الإسماعيلية. ثم انتقل جد محمد علي لقمان وهو إبراهيم لقمان إلى عدن. ويبدو أنه أول من ترك المذهب الإسماعيلي وتسنّن

وصار شافعيًّا كأهل عدن. وقد ذكرنا نبذة عن الأستاذ محمد علي لقمان من مذكراته ونشاطه في طفولته وشبابه وكهولته. وكان الأستاذ لقمان على صلة قوية بالعلماء وذوي الفكر والأدباء، وهو رائد النهضة الصحفية بلا جدال، وله مشاركات أدبية. ثم جاء ابنه علي محمد لقمان واشتغل بالصحافة والسياسة والأدب والشعر (له عدة دواوين بالشعر الفصيح وباللهجة الدارجة)، وكل أبناء محمد علي لقمان درسوا دراسات جامعية، وبعضهم ما بعد الجامعية في زمن كان الحصول فيه على الثانوية العليا نادراً. وتولى علي محمد لقمان وزارة، ثم تولى منصب رئيس إدارة الكهرباء في عدن بأعلى مرتب استلمه أي شخص محلي وهو ستة آلاف جنيه استرليني شهريًّا[1]، وكان هو على رأس قائمة كبار موظفي الدولة ولا يسبقه إلا الإنجليز.

رابطة أبناء الجنوب

درس مؤسسو الرابطة الأوائل في الأزهر وفي دار العلوم. وأسس السيد محمد علي الجفري (طالب الأزهر آنذاك) والسيد سالم عمر الصافي (طالب دار العلوم) والشيخ محمد البيحاني (طالب الأزهر) والشاعر محمد محمود الربيزي ومحمد أحمد نعمان (طلبة أزهر آنذاك) **كتيبة الشباب اليمني**. وكان اتجاهها إسلاميًّا وطنيًّا وحدويًّا نهضويًّا. وقد كتبت عنها في ترجمة الشيخ محمد بن سالم البيحاني في الجزء الأول من هذا الكتاب. وقد قال الأستاذ محمد أحمد نعمان: لم نكن نفرّق بين شمالي أو جنوبي وشافعي أو زيدي.. وكانت أهدافنا واضحة لخدمة اليمن بأكمله وإنقاذ الشمال من التخلف وحكم القرون الوسطى وإنقاذ الجنوب من الاستعمار. وكان الهدف التربوي والتعليمي هو الهدف الأول للكتيبة. وهي كتيبة إسلامية عربية وطنية.

---

(١) هناك خطأ في هذا المبلغ، ولعلّ الصواب ستمائة جنيه استرليني شهريًّا.

ولما عاد المؤسسون، قام الأستاذ محمد أحمد نعمان والأستاذ محمود الزبيري بتأسيس حزب الأحرار اليمني، وكان معهم في التأسيس السيد زيد الموشكي والسيد الشاعر والمؤرخ أحمد الشامي والشيخ مطيع دماج وغيرهم. وكانت أهدافهم إصلاحية تربوية علمية. ومن هذا الحزب تألفت الجمعية اليمنية الكبرى التي أصدرت صحيفة صوت اليمن. وكان النشاط مركزه عدن ويمتد إلى الشمال.

وقام السيد محمد علي الجفري والسيد سالم عمر الصافي والشيخ محمد سالم البيحاني بالاشتراك مع الشيخ محمد عبدالله المحامي ومجموعة أخرى بتأسيس الجمعية الإسلامية الكبرى. وأهدافها مواجهة المدّ التغريبي والتبشيري في عدن وإقامة دعائم التربية الإسلامية (المعهد الإسلامي) والدعوة الإسلامية والحفاظ على عروبة عدن وإسلامها والمطالبة بحقوق أهلها.

وعندما توفي مؤسس الجمعية الإسلامية الكبرى الشيخ محمد عبدالله المحامي في لندن ١٩٥٤م، انفرط عقدها. واستمر الشيخ البيحاني في جهوده لإقامة المعهد الإسلامي بالإضافة إلى خطبه ودروسه. واتجه الباحميش إلى مدرسة بازرعة يديرها ويخرّج الأجيال ويخطب في المساجد، ويؤسس صحيفة الذكرى ويرأس تحريرها، ويهاجم الاتجاهات الليبرالية والعلمانية.

واجتمع السيد محمد علي الجفري والسيد سالم عمر الصافي والسيد شيخان الحبشي وقحطان الشعبي ورشيد الحريري وأحمد عبده حمزة وعبدالله أحمد الفضلي وحسين هادي العولقي وعلي غانم كليب والسيد عبدالله بن صالح المحضار والسيد أحمد عمر بافقيه وعبد الرحمن جرجرة وعبدالله باذيب وعلي بن عقيل.

وكوّنت هذه المجموعة المنتقاة من أبناء الجنوب رابطة أبناء الجنوب العربي عام ١٩٥٠م، ودعت لإقامة دولة موحدة لكافة أبناء الجنوب (عدن والمحميات الشرقية والغربية)، ورفعت شعار: لا استقلال بدون اتحاد ولا اتحاد بدون عدن.

أهداف الرابطة ومبادؤها: وقد لخّصها الأستاذ حمادة رضا[١]:

١- تؤمن الرابطة بالقومية العربية وبالوطن العربي الواحد وبالأمة العربية الخالدة.

٢- تهدف الرابطة إلى وحدة شعب الجنوب العربي الكبير - أي شعب اليمن الكبير - تحت حكومة واحدة مستقلّة تقدّمية تقوم بدورها الفعّال في بناء الكيان العربي الواحد[٢].

٣- إقامة حكومة واحدة لكل من عدن والمحميات الشرقية والغربية. وتسعى سعياً حثيثاً **لوحدة الجنوب العربي على أسس تقدميّة سليمة.**

٤- **إن الرابطة لا تؤمن بالقوميات المحلية كالقومية اليمنية أو المصرية أو السورية مثلاً**، بل تؤمن بأن أمة العرب لها قومية واحدة فقط هي القومية العربية. وأن أي طريق يسلكه أي شعب عربي، وأي كفاح يكافحه أي جزء من الأرض العربية يجب أن يتوخى مبادئ القومية العربية، وأن يكون هذا الطريق أو ذلك الكفاح على أسس عربية سليمة.

٥- إن الرابطة تؤمن بقوة الشعب وبضرورة إعداد الشعب العربي في الجنوب ليباشر أموره ويوجه سياسته ويختار الحكومة التي تعمل لصالحه.

٦- تؤمن الرابطة بالعدالة الاجتماعية، وبالمساواة في كافة الحقوق والواجبات، وتشجب نظام الطبقات والنعرات القبلية والاستغلال الفردي الجشع.

---

(١) حقائق عن جنوب الجزيرة العربية للسيد محمد علي الجفري، ص ٩، نقلاً عن تطوّر ومسار الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية لعادل رضا، ص ٩٠.

(٢) هذا الهدف ضد ما أشيع من اتهام بأن الرابطة انفصالية وتدعو إلى فصل الجنوب عن الشمال. والواقع أنها كانت ترى أن الوحدة لا تتم إلا بعد أن يستقل الجنوب أولاً ويتحرر من الاستعمار وأن يتخلّص الشمال من الحكم الإمامي الرجعي.

٧- **تؤمن الرابطة أن الاستعمار هو عدو الأمة العربية الأول،** وأنه لا حياة ولا اطمئنان ولا استقرار لأي جزء من الوطن العربي ما دامت أقدام المستعمر تلوّث أي بقعة من أرض العروبة الطاهرة. ولذلك فإن الرابطة تؤمن بوحدة النضال العربي في كل أجزاء الوطن العربي.

ويلاحظ على هذه الأهداف أنها متأثرة جدًّا بموجة القومية العربية. ويبدو لي أنها كتبت بعد ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢م في مصر. كما يبدو التأثر إلى حد كبير بشعارات حزب البعث العربي الاشتراكي وهي تركز على الوحدة والحرية، وقد ظهر هذا جليًّا في البيانات المتأخرة للرابطة. وقد كان من مؤسسي الرابطة السيد شيخان عبدالله الحبشي (المحامي تخرج من العراق) والسيد علي بن عقيل (تخرج من دمشق)، وكلاهما كان متأثراً بحزب البعث العربي الاشتراكي.

ظروف قيام ونمو الرابطة[1]

لقد تميزت الرابطة بأنها التنظيم الأول الذي كان أعضاؤه من جميع أرجاء الجنوب العربي المحتل. فمنذ لحظة التكوين كان في الرابطة أعضاء من حضرموت نذكر منهم الأستاذ شيخان عبدالله الحبشي المحامي (أمين عام الرابطة) وعمر محضار الكاف (أمين الصندوق) والسيد علي بن عقيل المتأثر بشكل كبير بالتيار البعثي. ثم انضم إليهم السيد أحمد عمر بافقيه الصحفي القدير بعد قدومه من المهجر (أندونيسيا – سنغافورة – ماليزيا). وانضم كثير من أدباء وعلماء حضرموت إليها أو تعاطفوا معها.

ومن أهل عدن من أصول حضرمية السيد سالم عمر الصافي وهو عضو مؤسس وتولى رئاستها فترة ونائب الرئيس فترة، والسيد عبدالله بن صالح

(١) د. أحمد عطية المصري: تجربة اليمن الديمقراطية (١٩٥٠ – ١٩٧٢م) مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٤م، ص ١٣٠ – ١٣٣.

المحضار والأستاذ عبدالله عبد الرزاق باذيب.

ومن أبناء عدن الأستاذ علي غانم كليب وأحمد عبده حمزة ورشيد علي الحريري. ومن أبناء لحج والعوالق السلطان علي عبد الكريم العبدلي سلطان لحج خريج فيكتوريا كولج في مصر. ورغم أنه لم يعلن رسميًّا انضمامه للرابطة إلا أنه من المؤسسين لها، وتعلم بريطانيا المستعمرة ذلك، وتعرف دعمه لها، وكان هذا سبباً أساسيًّا في عزله وطرده من وطنه عام ١٩٥٨م.

ومن أهل لحج والعوالق السادة آل الجفري فهم من العوالق وطلبهم سلاطين لحج وصارت لهم المكانة في لحج والعوالق. وعلى رأس هؤلاء السيد محمد علي الجفري الذي تولى القضاء في لحج ورئيس الرابطة ومؤسسها وأخوه عبد الله الجفري المسؤول التعليمي في لحج. وكان والدهما السيد علي بن محمد الجفري من العوالق الداعين إلى توحيد الجنوب والارتقاء به قبل تكوين الرابطة. وانضم آل فريد من مشيخة العوالق إلى الرابطة وكانوا من رجالاتها المعدودين وخاصة الشيخ محمد بن فريد[١]. وكان من مؤسسي الرابطة قحطان الشعبي (من لحج) وحسين هادي العولقي (من العوالق) وعبد الله أحمد الفضلي (من سلطنة الفضلي).

والرابطة هي التنظيم الوحيد الذي كان منذ تأسيسه يضم عناصر واسعة من أبناء الجنوب. وفي فترة متأخرة ظهرت الجبهة القومية وكانت لها امتدادات في الريف في لحج وردفان والضالع منذ عام ١٩٦٣م وبعد ذلك في مناطق أخرى إلى حضرموت والمهرة كما سيأتي تفصيله.

ويلاحظ أن الرابطة ظهرت في وقت اشتدّت فيه دعوة «عدن للعدنيين».

---

(١) وتولى الشيخ محمد بن عجرومة الجناح العسكري في الرابطة. وهو إنسان شهم وشجاع وكريم نفس.

وكانت هي التنظيم الوحيد الذي واجه هذه الجمعية العدنية الانفصالية. ويقول أحمد عطية المصري [١]: «إن حزب الرابطة مثّل في الجنوب ما مثّله حزب الوفد في مصر، مع فارق الظروف والأوضاع الخاصة. فقد استقطبت الرابطة كثيراً من العناصر الشابة المثقفة وعدداً من أثرياء الريف، بل وبعض الأمراء والسلاطين والمشايخ.. وعلى هذا كان يعد التنظيم الوحيد الذي استطاع أن يتسع ليشمل نشاطه عدن والمحميات، وخاصة حضرموت ولحج والعوالق وعدن، لأنه حدّد مطالبه أساساً في وحدة الجنوب العربي في مواجهة انفصالية الجمعية العدنية، وهزال الجمعية الإسلامية (الواقع أنها ماتت بموت مؤسسها الشيخ عبدالله المحامي).. واصطدم مع بريطانيا وأخذ هذا الصدام شكل العداء السافر ضد الاستعمار».

برنامج الرابطة

يدور برنامج الرابطة حول مسألتين هما: وحدة الجنوب العربي المستقل والمعاداة للاستعمار. وقد هاجمت الرابطة منذ تأسيسها الاستعمار البريطاني ودعت إلى مقاومته، وندّدت بأوضاع التجزئة إلى أكثر من عشرين سلطنة ومشيخة في منطقة لا يزيد عدد سكانها عن المليون آنذاك. وحمل الحزب على التخلف والظلم وفساد الحكم وانتشار الجهل والروح القبلية الفردية. وهاجم النظر إلى أبناء الشمال باعتبارهم أجانب، وطالب بإقامة العدالة الاجتماعية.

وفي عام ١٩٥٦م، أصدرت الرابطة بياناً أوضحت فيه وجهة نظرها بالنسبة لمستقبل الجنوب ومستقبل العلاقات مع بريطانيا جاء فيه [٢]: «إن الرابطة تؤيد

---

(١) أحمد عطية المصري: تجربة اليمن الديمقراطية، ص ١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٤، وهو ينقل ذلك عن «حقائق عن جنوب الجزيرة العربية» للسيد محمد علي الجفري، ص ٥٠ – ٦٠.

قيام دولة الاتحاد على أن تكون مستقلّة استقلالاً كاملاً، وأن تصبح عدن جزءاً منها مع إقفال باب الهجرة الأجنبية إلى عدن».. وعن شكل الحكم أوضح البيان «إن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر السلطات، ومجلس الرؤساء في مجموعه هو رمز لهذه السيادة». وأشار إلى تكوين مجلس تأسيسي بالانتخاب المباشر تُسأل أمامه حكومة الاتحاد، و«أن ترتب الأوضاع في الجنوب خلال فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات». وفيما يختص بالشمال أوضح البيان: «إن شعب ولايات الجنوب هو جزء من شعب الجنوب العربي الكبير، وله وحده حق تقرير مصيره بالنسبة للوضع العربي العام، وعلى ضوء مبادئ الأمة العربية». وكان الحزب يرى أن الوحدة مع الشمال لا يمكن أن تتم قبل أن يتخلص من الحكم الإمامي المتخلف. وطالب البيان بإلغاء معاهدات الحماية والاستشارة واعتبر الثروة المعدنية (والبترول) ملكاً للدولة.

وفي عام ١٩٦٢م، قام رئيس الرابطة محمد علي الجفري بتلخيص برنامج وأهداف الحزب من واقع دستوره وبيانه السياسي لعام ١٩٥٦م، وبيان عام ١٩٥٨م، والبيان الخاص بموقف الرابطة من اليمن عام ١٩٦٠م، ونداء الحزب إلى هيئات وشخصيات الجنوب عام ١٩٦٢م. وأكد على النقاط التالية [(١)]:

(١) إيمان الحزب بوحدة الجنوب العربي. وشجبه للانقسام والانفصالية والقبلية والعائلية والمذهبية والإيمان بالقومية العربية والوحدة الشاملة والحركة العربية الموحدة.

(٢) التأكيد على العدالة الاجتماعية، وأن ينفّذ الحزب أعماله وبرامجه في

(١) المصدر السابق، ص ١٣٥ – ١٣٧ وهو ينقل عن محمد علي الجفري: توضيحات وشروح لعقيدة الرابطة ومبادئها، رابطة أبناء الجنوب العربي، نشرة نوفمبر ١٩٦٢م، ص ٣- ٦.

«ظل التعاليم الإسلامية الغراء». وقد أعلن الحزب في أواخر عام ١٩٥٧م شعاري الوحدة والاشتراكية والإيمان بالديمقراطية، والتعاون بين الرابطة والهيئات الأخرى.

(٣) الهدف البعيد هو الوحدة الشاملة لجميع أقطار الأمة العربية وليس الوحدة الإقليمية.

ملاحظات على أهداف وبرامج الرابطة

ومن الواضح أن الرابطة كانت تهدف إلى وحدة الجنوب العربي وإزالة نظام السلطنات والمشيخات في دولة واحدة تكون فيها السلطة العليا للشعب الذي ينتخب البرلمان (المجلس التشريعي) وهو الذي يصدر القوانين ويكوّن الدولة. ويكون مجلس الرؤساء (المكون من السلاطين والشيوخ) رمزاً للدولة فقط، وكانت تهدف إلى إزالة الاستعمار وترفض بقاء القاعدة العسكرية البريطانية في عدن.

وعندما وضع هيكنبوتم (حاكم عدن إلى ١٩٥٦م) وتريفاسكس (حاكم عدن من ١٩٦٣ – ١٩٦٥م) نظام الاتحاد الفيدرالي للجنوب العربي كان يهدف إلى إبقاء السيطرة البريطانية الاستعمارية على الجنوب وإبقاء المعاهدات القديمة أو استبدالها بمعاهدة جديدة وأصرّ بوضوح على بقاء عدن تحت الهيمنة التامة البريطانية مع بقاء القاعدة.

لهذا كان الصدام بين الرابطة وحكومة عدن محتماً رغم الاتفاق على إيجاد دولة الجنوب العربي[١]. ولهذا قام الاستعمار بإلغاء ترخيص الرابطة واعتقال من بقي من رجالاتها واضطرار قادتها إلى الخروج من عدن أو منع عودتهم إليها. وعزل السلطان علي عبد الكريم سلطان لحج المنادي بمبادئ الرابطة والداعم الأول لها، وذلك عام ١٩٥٨م.

---

(١) Trevaskis k.: *Shades of Amber*, p111–115

وكانت للرابطة صحف ناطقة باسمها: (١) النهضة للأستاذ عبد الرحمن جرجرة في عدن. ثم رسمياً (٢) الجنوب العربي للأستاذ أحمد عمر بافقيه في عدن أيضاً.

وكانت صحيفة الرائد للسيد حسين بن محمد البار متعاطفة مع الرابطة وإن لم تكن لسان حالها، وهي تصدر في المكلا.

ودعمت الرابطة عدة ثورات قبلية منها ثورة الربيزي والعوالق وثورة السلطان محمد بن عيدروس العفيفي وعدة ثورات في حضرموت. وكانت تنشر وقائع تلك المواجهات في صحيفتها (الجنوب العربي) وتعلن تأييدها التام لها. ولكن من الواضح أنها لم تكن تحت قيادتها المباشرة.

ومن الملاحظات على الرابطة أنها جمعت الدعوة القومية البحتة وشعارات حزب البعث: حرية وحدة اشتراكية، والشعارات الإسلامية والحفاظ على الإسلام والعدالة والاجتماعية.

ويمكن تفسير ذلك بعدة عوامل:

(١) تكوين الرابطة: إذ إن أغلب أعضائها المؤسسين كانوا من رجال الجمعية الإسلامية الكبرى في عدن وممن درسوا في الأزهر أو كلية دار العلوم، ومع ذلك فقد كان في رجالات الرابطة المؤسسين من تأثروا بحزب البعث العربي الاشتراكي كالسيد علي بن عقيل وشيخان الحبشي. ومن تأثروا فيها بعد بحزب البعث مثل محمد سالم علي ومحمد سالم باسندوه وعبدالله الأصنج. ومن تأثر بحركة القوميين العرب مثل قحطان الشعبي. ومن تحول إلى الماركسية اللينينية مثل عبدالله باذيب.

والواقع أن الرابطة تنظيم يضم جميع أطياف الطيف الوطني.. وكان من المتوقع والأمر كذلك أن ينشقَّ عنها مجموعات مختلفة. وأول الانشقاقات حدثت عندما دخلت الرابطة انتخابات المجلس التشريعي لعام ١٩٥٥م،

وبموجب قانونه منع ابن الشمال اليمني من حق الانتخاب (مع أن الرابطة كانت تدعو لإعطائه ذلك الحق). وكان هذا القرار خاطئاً من جميع النواحي وأدى إلى انفصال مجموعة كبيرة مثل محمد سالم علي ومحمد سالم باسندوه وعبدالله الأصنج وعبدالله باذيب.. إلخ.

(٢) ضغط الرأي العام وتوجهه العنيف نحو القومية العربية التي مثّلها الرئيس جمال عبد الناصر ومعبود الجماهير آنذاك، وخاصة بعد معركة السويس عام ١٩٥٦م حيث أصبح بطل القومية العربية ومجسِّداً لآمال الأمة في الوحدة والحرية.

(٣) اتجاه عبد الناصر والحركة القومية إلى النظام الاشتراكي والتعاون مع الدول الشيوعية نتيجة موقف الدول الاستعمارية الرأسمالية من حركة النضال العربي.

(٤) اضطرّت الرابطة في آخر أمرها إلى الالتجاء إلى السعودية، فكان لزاماً عليها أن تخفّف من الشعارات الاشتراكية، وتحولها مرة أخرى إلى العدالة الاجتماعية التي ينادي بها الإسلام.

هذا التذبذب فرضته الظروف الموضوعية آنذاك. ولهذا خسرت الرابطة كثيراً من أنصارها. وأول وأهم خساراتها كانت يوم وافقت على الاشتراك في انتخابات المجلس التشريعي في عدن عام ١٩٥٥م والذي أدّى إلى تصدّع الرابطة وانفصال العديد من رجالها. وإن كان أمر خروج هذه المجاميع متوقعاً لاختلاف التوجهات التي ظهرت فيما بعد. ولو لم تدخل الرابطة هذه الانتخابات لبقيت هذه العناصر فترة أطول. ولكن المتوقع أن تنفصل لاختلاف التوجهات والمسارات.

وقد اتُّهمت الرابطة بأنها انفصالية، وذلك لأنها قررت ونادت باستقلال الجنوب أولاً، ثم يُعطى الخيار في الوحدة مع اليمن الشمالي، وذلك ضمن استفتاء شعبي يجري بعد الاستقلال.. ولكن ماذا فعلت الجبهة القومية التي

اتهمت الرابطة بذلك؟ نالت الاستقلال باتفاق منفرد مع الإنجليز وتركت جبهة التحرير رغم اتفاقها معها على ذلك مراراً وبوجود القيادة المصرية في اليمن وفي القاهرة. ثم أقصت زملاء النضال ودخلت معهم في حرب سافرة أهلية بشعة وساندتها بريطانيا عندما أمرت قيادة الجيش الاتحادي بالانضمام إلى الجبهة القومية، وقامت القوات الجوية البريطانية بضرب تجمعات جبهة التحرير في الصبيحة. وذلك ما سنعرض له بالتفصيل في حينه.

ورفضت الجبهة القومية الوحدة مع الشمال رغم أنها أخذت اسم اليمن الجنوبي ثم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.. وأقامت المجازر داخليًّا في اليمن الجنوبي ثم التنظيم الشيوعي في الشمال لزعزعة نظام الحكم، كما قامت عدة حروب بين الشمال والجنوب ولم تحافظ حتى على علاقات حسن الجوار.

وكان الهدف واضحاً: إما أن نحكم نحن (أي الشيوعيون) اليمن الشمالي والجنوبي، أو أننا سنفرض الانفصال ونستمر في إقلاق الشمال وزعزعته حتى يتحول شيوعيًّا عبر التنظيم الطليعي والخلايا الثورية والتدمير وتسميم مصادر المياه والقتل العشوائي وإثارة الفوضى العارمة.

وهكذا رفضت الجبهة القومية الوحدة أو الاتحاد أو حتى علاقات حسن الجوار مع اليمن الشمالي رغم الادعاءات العريضة حول الوحدة.. وكان موقف الرابطة أشرف وأصدق. ومختصر موقفهم أن اختلاف النظامين في الشمال (الملكي الإمامي) والاستعماري في الجنوب أدّيا إلى صعوبة الوحدة الفورية. ولهذا أعلنوا أنهم يسعون إلى الاستقلال أولاً ثم استفتاء الشعب في الوحدة المطلوبة مع الشمال ونوعها، ودرجتها. ولكن التيارات الشعبوية والغوغائية التي هيّجتها الجبهة القومية، وقبلها حزب البعث والمؤتمر العمالي ضد الرابطة أدّت إلى اتهام الرابطة بالانفصالية والرجعية وممالأة الاستعمار. وهي اتهامات كلها باطلة.

وقد قام علي سالم البيض بعد مذابح عام ١٩٨٦م بين الطغمة والزمرة من رجال الحزب الاشتراكي الشيوعي اليمني بالقفز إلى الوحدة الاندماجية الكاملة مع الشمال.. وكان يظن أنه يستطيع بوجود الخلايا الشيوعية والحزب الطليعي والمجموعات الشيوعية الموجودة في الشمال والتي انخرط بعضها في القوات المسلحة، أن يستولي على اليمن بأكمله عبر ما يسمونه التنظيم الطليعي.. وكانت أهداف البيض مرسومة بدقة، وقد تخلّص من مجموعة علي ناصر. وبدأت روسيا نفسها تتخلى عن الشيوعية على يد جورباتشوف في حركات الجلاسنوت والبيروسترويكا بصورة تدريجية فكانت قفزته إلى الوحدة الاندماجية مغامرة محسوبة بالنسبة له، ومغامرة بالقفز إلى المجهول بالنسبة للجنوب.

ولما فشل مخططه الخبيث الشيوعي الإجرامي في الشمال، عاد فجأة وتزعّم حركة الانفصال، ودخل تلك الحرب الضروس، واستفاد شخصيًّا من المليارات التي وصلته لمواصلة حرب الانفصال فسرقها وهرب، وترك القيادة العسكرية المتمثلة في بن حسينون تواجه قوات أكثر وأفضل وتقاتل عن قضية هي مؤمنة بها. وكان نتيجة هرب البيض ومواقفه المتّسمة بالخسّة والنذالة وسرقة الأموال أن صار البيض من البيلونيرات حتى إن حفلة خطبة ابنته كلّفت مليوناً كاملاً من الدولارات.

وهكذا دائماً هم النضاليون البرولاتيريون الاشتراكيون الشيوعيون الذي يسرقون أموال الأمة ويهاجمون البرجوازيين الرأسماليين والإقطاعيين، ويقومون هم بعد ذلك بالعيش في القصور والبذخ والنساء والخمور.. ثم يهربون الأموال إلى سويسرا ويتخلّون عن الرفاق والنضال والحركات الثورية.. إلخ إلخ.

وها هو البيض أخيراً يذهب إلى لبنان ويتعاون مع الشيطان حسب قوله (حزب الله وإيران)ويمدّ الحراك الجنوبي ببعض الأموال لتستمر فوضى الدمار

والقتل، فهم لا يعيشون إلا على ذلك. ويرفض مبدأ الفيدرالية لليمن ويسعى للفصل التام. وأقام نعرات أخرى نتيجة أعماله الإجرامية الطائشة تدعو إلى فصل حضرموت وأخرى تنادي بعدن للعدنيين، وسترى كل قبيلة، وكل منطقة تقوم بالمناداة بإقامة دولتها.

ويا لها من حركة تقدمية اشتراكية أهلكت الأخضر واليابس وتركت الأرض يباباً وكم تحدثت عن المسحوقين والمظلومين فزادتهم سحقاً وهلاكاً وظلماً.. وجمعت الأموال واكتنزتها كأبشع ما يفعله اليهود والمرابون. ويكفينا ها هنا هذه اللمحة.. ولنا عودة عند الحديث عن الطغمة والزمرة والوحدة والانفصال.

تقييم كيندي تريفاسكس للرابطة وللسلطان علي عبد الكريم[1]

تحدث تريفاسكس المندوب السامي (لعدن والمحميات ١٩٦٣ – ١٩٦٥م) في كتابه: أطياف الكهرمان (Shades of Amber) في مواضع متعددة من كتابه عن السلطان علي عبد الكريم ابتداءً من خلافه مع أخيه المضطرب نفسيًّا وعقليًّا السلطان فضل عبد الكريم (عام ١٩٥١م) وانتهاء بتعيين السلطان علي عبد الكريم سلطاناً على لحج عام ١٩٥٢م. وتحدث عنه بإعجاب: شاب وسيم مثقف (فيكتوريا كوليج)، يجيد الإنجليزية، واسع الاطلاع على أمور بلاده وعلى السياسة العالمية. وتقبّل معاهدة استشارية (١٩٥٢م)، وهي آخر معاهدة من معاهدات الاستشارة الإجبارية، والتي أثبت السلطان الشاب الوسيم أنه يرفضها حين يرى أنها لا تتماشى مع تطلعاته. وقال تريفاسكس إن علي أخبره بصراحة أنه مؤمن بالقومية العربية، وأنه يتطلع إلى استقلال الجنوب

(١) Trevaskis K.: *Shades of Amber*, p20–23 ,37–38 , 69–70, 90–93, 111–115, 119–122, 135 –137

العربي في دولة واحدة متقدمة إداريًّا وتعطي الشعب مجالاً واسعاً في اختيار حكامه. وأظهر بصراحة عدم رضاه عن أسلوب المستشار السياسي السابق سيجر الذي كان يفضّل التعامل مع البدو وبطريقة اللورنس أوف أرابيا (لورنس العرب) رغم تغيّر الظروف والزمان.

وقال تريفاسكس عن السلطان علي أنه كان ودوداً ولطيفاً، ولكنه سبَّب القلق لتريفاسكس لأنه أكبر عقلاً وحجماً وطموحاً من المشروع الاتحادي الذي كان يسعى إليه هيكنبوتم وتريفاسكس. وكان الإحساس بالنديّة للحاكم البريطاني واضحاً لديه عندما قال بعد توليه السلطنة: ألا يأتي إلينا هيكنبوتم بزيارة رسمية؟ فاستغرب تريفاسكس ذلك، وردَّ عليه السلطان علي: «نعم باعتباره ممثلاً لملكة بريطانيا ينبغي عليه القيام بزيارتي رسميًّا!! لقد صعق تريفاسكس من هذه اللهجة المتعالية التي لم يتعود عليها من أي من السلاطين. وبالفعل قام هيكنبوتم بزيارة رسمية للسلطان الشاب حسب رغبته مع القيام بأداء السلام الملكي وإطلاق المدافع تحية لممثل المملكة المتحدة في عدن والجنوب.. لقد كان السلطان علي يتحدث ويتحرك وكأنه شاه إيران (الذي تخيل نفسه إمبراطوراً). وأنه لمن المضحك أن يتقمّص السلطان علي (سلطان المحمية لحج المحكومة بالإنجليز) وكأنه ملك فعلي يتحدث بصورة متعالية عن «علاقتنا (أي السلطان) مع بريطانيا العظمى». وعن علاقته بالشقيقة مصر وشقيقنا الإمام أحمد في اليمن. لقد اغتاظ تريفاسكس من هذه اللهجة المتعالية وكأن السلطان علي نسي أنه لا يحكم سوى قطعة صغيرة هي لحج، وهي منذ أكثر من مائة سنة تحت حمايتنا وقد وقعنا معه معاهدة استشارة (إجبارية).

لقد صرَّح السلطان علي مراراً لنا بأنه مؤمن بالقومية العربية، وأنه معجب بجمال عبد الناصر. وقد جمع حوله رجال مثل السيد محمد علي الجفري الذي أسس رابطة أبناء الجنوب التي تسعى إلى إقامة دولة مستقلة للجنوب العربي

شاملة بذلك عدن، وإلى إيجاد نظام ديمقراطي ينزع من السلاطين والمشايخ حكمهم، ويجعل المجلس الرئاسي من هؤلاء الحكام رمزيًّا فقط وبدون سلطات[١].

ويرى السلطان علي ومعه الرابطة أن المعضلة الحقيقية هي الاستعمار الذي لا بد أن يرحل لأن الزمن قد تغيّر: «وأنتم أيها البريطانيون لا تستطيعون أن تقفوا ضد التيار وتغيروا مجرى التاريخ. انظروا إلى مستعمراتكم السابقة أين هي الآن؟». وكان رأيه واضحاً أن المحميات لا يمكن أن تتحد وتقيم دولة بدون عدن «وأنتم لا زلتم متشبثين بعدن». «إن عدن تفتح أبوابها لرياح التغيير، وفجأة تنطلق من القرن التاسع عشر لتلحق بالقرن العشرين». «عليكم أيها الأصدقاء»، يقول السلطان لتريفاسكس: «أن تدركوا ذلك قبل فوات الأوان، وقبل أن تهب العاصفة» (لاحظ أن السلطان بدأ يتحدث في هذا الموضوع منذ عام ١٩٥٢م قبل أن تبدأ حكومة عدن بطرح فكرة الاتحاد الفيدرالي على بقية الشيوخ والسلاطين).

ويؤكد السلطان علي أن هذه التغييرات في عدن حدثت لأسباب عدة ليس من أقلها افتتاح المصافي في البريقة عام ١٩٥٤م بعد أن قام مصدق بتأميم صناعة النفط في إيران.

إن بقاء بريطانيا في المستعمرة عدن لن يكون طويلاً بعد الآن، وعمر بريطانيا في المنطقة قد قصر منذ أن بدأ مشروع بناء المصفاة في البريقة. وكان السلطان محقًّا في ذلك - كما يقول تريفاسكس - فقد احتاجت المصفاة لبنائها لأكثر من عشرة آلاف عامل قدموا من اليمن الشمالي ومن المحميات وبدأت توجد نقابات منظمة.. وبالفعل كانت نقابة عمال البريقة إحدى أهم النقابات

(١) وأكد ذلك أيضاً جافن: Gavin R.: *Aden Under British Rule*, p 339 – 340

والتي سيطر عليها بعد ذلك عبد الفتاح إسماعيل المؤسس للحزب الاشتراكي اليمني والقائد الأهم في الجبهة القومية والذي لم يظهر إلا فيما بعد. لقد كان قدوم آلاف العمال إلى عدن نذيراً بالتغيير الديموجرافي والسياسي. صحيح أن العمال كانوا يقدمون من اليمن إلى عدن قبل ذلك، ولكنهم كانوا يقدمون لعدة أشهر ثم يعودون إلى بلادهم وكانوا تحت نظام المقادمة والصرنج، أي أن المقدّم هو الذي كان يجلبهم وهو الذي يتفاوض بالنيابة عنهم في الأجور، وبالتالي طالما أنه يكسب فهو يقبل بما تعطيه إياه الشركة أو الجهة التي طلبت هؤلاء العمال. وهو يعرف أنهم سيعودون إلى قراهم بعد فترة قصيرة لا تزيد عن ستة أشهر. أما الآن فهؤلاء عمال قادمون للبقاء في عدن وسينضمون إلى نقابات عمالية وينتهي نظام المقادمة والصرنج، وتبدأ الصراعات العمالية والإضرابات العمالية والتي سيسيطر عليها مثقفون وسياسيون يمارسون اللعبة السياسية عن طريق هؤلاء العمال البسطاء (هكذا تحدث تريفاسكس مدركاً ما سيحدث بالفعل). ومما يثير هؤلاء العمال المكدّسين في بنايات قذرة غير صحية أنهم يرون الفلل الفخمة ومكيفات الهواء والمطلّة على الشواطئ الجميلة وكلها مخصصة للإنجليز، وقليل من المهندسين من لبنان. وكان تريفاسكس يشعر بهذا الخطر قبل أن يشعر به أي مسؤول بريطاني آخر كما يقول، (ص ٤١).

وعندما قابل تريفاسكس السلطان علي في لندن كان علي – حسب قول تريفاسكس – قلقاً ومكتئباً: لا أحد من وزارة المستعمرات استقبله وتم تجاهله. وقام تريفاسكس على الفور بالاتصال بسكرتير وزارة المستعمرات (Alan Lennox – Boyd) وأقنعه بالاهتمام بالسلطان الشاب. ولكن السلطان علي قال لتريفاسكس: لو ذهبت إلى أي بلد عربي لاستقبلوني استقبالاً رسميًّا يليق برئيس دولة!! وهنا أدرك تريفاسكس طموح السلطان علي بوضوح، (ص ٧٠).

وفي ص (٩٠- ٩٣) يتحدث تريفاسكس عن لحج موطن السيد محمد علي

الجفري مؤسس الرابطة، وكيف أن لحج وأبْين من بين المحميات الغربية واقعة تحت تأثير الصحافة المصرية والإذاعة المصرية وأن دعوة محمد علي الجفري في إقامة دولة مستقلة للجنوب العربي شاملة عدن لقيت آذاناً صاغية وقوة شعبية. «ووجدت ذلك في الشارع كما وجدته» كما يقول تريفاسكس «في محاداثاتي مع علي. ووجدت رجل الشارع يقف بسيارته أمام سيارتي، فلما صرخ السائق: ألا ترى أنه المستشار السياسي، وسِّع الطريق.. فردّ: أنا لحجي وهذه بلدي، وليوسع هو الطريق لي». فما كان من تريفاسكس إلا أن وسَّع الطريق للحجي. وعند لقائه بالسلطان علي سأله عن أحداث الشغب في الأردن ضد حلف بغداد وما رأيه فيها؟ فأجاب علي حسب قوله: «طبعاً نحن عرب ونشعر بنفس الشعور». ثم قال: «أنتم الإنجليز تجعلون أصدقائكم في مواقف حرجة» (إشارة إلى موقف الملك حسين). وأنتم الآن في الجنوب العربي ستفرضون على الحكام مواقف يثور الشعب ضدها. ونرجوكم أن تساعدونا على أن نحقق للشعب بعض طلباته في طريق الحرية والاستقلال. وهذه الاتفاقيات القديمة التي عفى عليها الزمن (اتفاقات الحماية) يجب أن تتغير. وكان رأيه أن الاتحاد المقترح ينبغي أن يسير بالتدريج لأن الحكام سيعارضونه (ص ٩٢). ويقول تريفاسكس إنه معجب بإخلاص علي ورغبته الأكيدة في تطوير شعبه (لحج) وشعب الجنوب اقتصاديًّا وتعليميًّا، واقترح علي إيجاد سد على وادي تبن لاحتجاز المياه وريّ الأراضي واستصلاحها. وإن لم تقم بريطانيا بمساعدته في ذلك فسيلتفت إلى جهات أخرى لمساعدته!! (كما فعل عبد الناصر في سد أسوان).

«إن اتجاه علي نحو الناصرية واضح، وهو أمر نقدر خطورته» (يقول تريفاسكس) «ومعلوماتنا تؤكد ارتباط علي برابطة الجفري ارتباطاً وثيقاً. وعلى أية حال أنه لا يُخفي ذلك». وكان علي يؤكد على أن بريطانيا يجب أن تتخلى عن

عدن التي استولت عليها منذ أكثر من قرن وأن تعيدها إلى محيطها العربي ضمن اتحاد الجنوب العربي.

وكان هذا بالنسبة لبريطانيا في هذا الوقت أكثر مما تتحمّله السياسة البريطانية في تلك الفترة، وإن كانت قد وصلت في النهاية إلى ما هو أشدّ من ذلك وتسليم البلاد كلها للجبهة القومية في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

وعندما يئس علي والرابطة من التعاون معنا في تحقيق أهدافهم في الاستقلال التام لدولة الجنوب العربي وعاصمتها عدن بدأوا يتجهون إلى اليمن وإلى عبد الناصر (ص ١١١). وأثارت الرابطة ضجة محلية وفي الصحافة والإعلام المصري والعربي، بل وإلى حد ما إلى الأمم المتحدة وذلك للمطالبة باستقلال الجنوب العربي. «وبدأت المظاهرات في لحج نفسها بتأييد من السلطان علي ضدنا» (ص ١١٢) «وعندما حاولت تنبيه علي إلى ما تفعله الرابطة ضدنا في لحج حاول الدفاع عنها وقال إن هذه مظاهرات طلبة مدارس وهل تريد أن أنزل القوات المسلحة (الليوي) لضربهم وسحقهم. إن ذلك سيثير الشعب كله ضدي وضدكم، والأفضل أن تتجاهلوا هذه المظاهرات والإضرابات». (ص ١١٢، ١١٣).

لقد كان شريف بيحان وغيره ينتقدون سلوك السلطان علي ويرونه مغروراً كالطاووس (ص ١١٥). وهكذا سارت الأمور من سيء إلى أسوأ مع السلطان علي حتى اضطرت بريطانيا إلى منع أي نشاط للرابطة واعتقال قادتها أو منع عودتهم كما اضطرت – حسب قوله – إلى عزل السلطان علي نفسه، وذلك عام ١٩٥٨م.

وقال السلطان علي لتريفاسكس إنه وطني، وإنه يفضل النظام الجمهوري. وقال إن المحميات بدون عدن لا شيء، وعدن بدون المحميات مدينة

كوسموبولتانية (Cosmopolitan) أي خليط من الأمم، وليس لها هوية. ولذا لا يمكن أن تفصل عدن عن الجنوب (المحميات) ولا المحميات عن عدن. وهو أمر كانت بريطانيا ترفضه آنذاك[١].

وفي عام ١٩٥٦م قام نائب السلطان في يافع السفلى (جعار) محمد بن عيدروس العفيفي بثورته ضد الاستغلال الحادث في مشروع أبْين للقطن (انظر مشروع أبْين) وأيّدته الرابطة والسلطان علي، وأيّدت الرابطة العديد من الثورات ضد بريطانيا في منقطة العوالق والعواذل وغيرها من المناطق كما يقول تريفاسكس[٢]. ويقول: إن الثورات المتعددة التي كانت وراءها الرابطة والسلطان علي تم القضاء عليها بحلول مايو (أيار) ١٩٥٧م[٣].

الرابطة والكفاح المسلح

وعندما منعت بريطانيا نشاط الرابطة عام ١٩٥٦م، سمح السلطان علي للرابطة ورجالاتها بالعمل في لحج. وبما أن دار سعد (الملاصقة للشيخ عثمان) كانت تابعة لسلطان لحج فإن الرابطة أقامت احتفالات صاخبة على حدود عدن. وكان الآلاف من سكان عدن يذهبون إلى هذه السرادقات لحضور هذه الحفلات التي كان يخطب فيها الخطباء ويلقي الشعراء قصائدهم الحماسية.

وكان أكثر ما يجذب الجماهير الأناشيد والأغاني الوطنية، ومثالها قصيدة الشاعر المناضل المجاهد عبد الله هادي سبيت رحمه الله (يا شاكي السلاح). وقد غناها محمد صالح حمدون، الشاب الصغير آنذاك، ثم غناها أحمد يوسف الزبيدي):

---

(١) Trevaskis K.: *Shades of Amber*, p119–122

(٢) المصدر السابق، ص ١١٩ – ١٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٢.

يــا شــاكي الــسلاحْ شــوف الفجــر لاحْ
حُط يـدك عـلى المـدفع زمــان الــذل راحْ

***

هــذا الغــير سِــيدْ واحنــا لــه عبيــدْ
يــا مــن مــات والله أنه لمن القهـر اسـتراحْ

***

أرضي والنبــــي ويـــل الأجنبـــي
دينـــي ومـــذهبي يـــا أمرني أن أحمل السلاحْ
مُــدّ يــدّك يــا أخــي مــدّ يــدّك يـا سـخي
كم لـك عـلى جـسمي وجسمك مـن جـراحْ

إيمانــك ســلاح ضــامن بالنجــاحْ
لا تحيا عـلى الأيـام مقـصوص الجنـاحْ
يـــا الله يـــا شـــباب آن الاكتتـــابْ
أرضك ملك لك والمغتصب حتماً يزاحْ

وهي قصيدة ثورية أنشدها محمد صالح حمدون وكانت الجماهير كلها تردد:

يــا شــاكي الــسلاحْ شــوف الفجــر لاحْ
حُطّ يـدّك عـلى المـدفع زمــان الــذل راحْ

وهي دعوة صريحة للثورة المسلحة كانت تدعمها الرابطة بصورة علنيّة في هذه الفترة، والسلطان علي بصورة سريّة، وإن كانت معلومة تماماً لتريفاسكس والإدارة البريطانية.

صحيح أن الرابطة عندما قدّمت طلبها للحكومة البريطانية في عدن ذكرت

أنها ستتخذ الكفاح السلمي منهجاً لها، لكنّ هذا كان أمراً ضروريًّا للحصول على الترخيص. وبالفعل بدأت الرابطة المنهج السلمي منذ تكوينها. وفي عام ١٩٥٢م دعت إلى تجميع وتوحيد التجمعات الوطنية، بل والأندية الرياضية والأدبية في تجمع واحد أطلقت عليها اسم المؤتمر الوطني لمواجهة المستعمر، وركزت طلباتها أول الأمر في تطوير التعليم، وجعل اللغة العربية لغة رسمية، وأن تكون الإجازة يوم الجمعة، والاحتفال بالمناسبات الدينية، والدعوة إلى وحدة الجنوب العربي، وتأسيس النقابات العمالية للدفاع عن حقوق العمال المهضومة[(١)]. وقال محمد علي الجفري: إن وسائل الرابطة في الكفاح وسائل سلمية ديمقراطية شعبية ولم تحمل سلاحاً، ولم تلجأ إلى عنف، ولا إلى الاضطرابات. وإنما تعمد إلى الحجة لإقناع وتكتيل الشعب حول مبادئها» [(٢)].

وهو أمر صحيح، إذ إنها لم تفرض العنف لتحقيق مبادئها أو لنشر عقيدتها، ولكنها، كما أوضحنا في الصفحات السابقة، أيّدت الكثير من الثورات ودافعت عنها في صحيفتها الرسمية الجنوب العربي التي تحدثت بإسهاب وتأييد عن ثورة السلطان محمد بن عيدروس العفيفي وثورة الربيزي وثورات العوالق وغيرها من الثورات.. وقد ذكر تريفاسكس الذي كان المستشار السياسي للمحميات الغربية في تلك الفترة ثم المندوب السامي في عدن والمحميات (اتحاد الجنوب العربي) من عام ١٩٦٣م إلى عام ١٩٦٥م، ذكر بوضوح في كتابه أطياف الكهرمان (Shades of Amber) أن الرابطة والسلطان علي كانوا يؤيدون ثورات محمد بن عيدروس وثورات العوالق والعواذل، وكانوا

---

(١) د. إبراهيم خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني، ص ١١٥، وهو ينقلها عن محمد علي الجفري: توضيحات وشروح لعقيدة الرابطة ومبادئها، الجنوب العربي، نوفمبر ١٩٢م، ص ٤ و T. Bernier, p 30 .

(٢) المصدر السابق، ص ١١٦.

متعاونين مع اليمن ومع عبد الناصر في إذكاء هذه الثورات ومدّها بالمال والسلاح وأحياناً الرجال(١). ويكفي ذكر قصيدة ونشيد يا شاكي السلاح لعبد الهادي سبيت شاعر الثورة وشاعر الرابطة. وأن تقوم هذه الاحتفالات الصاخبة في دار سعد على بعد أمتار من الشيخ عثمان.

لهذا كله قامت بريطانيا بإغلاق الرابطة عام ١٩٥٦م، ثم بعد ذلك عزل السلطان علي نفسه عام ١٩٥٨م الذي كان في بريطانيا ثم في أوربا ينافح عن قضية الجنوب العربي واستقلاله، فمنعته من العودة كما منعت من قبل محمد علي الجفري وشيخان الحبشي من دخول عدن. ثم بعد ذلك دخلت قواتها في أغسطس ١٩٥٧م إلى لحج للقبض على محمد علي الجفري الذي فرّ إلى تعز قبل إلقاء القبض عليه. وقبضت بريطانيا على أخيه عبدالله علي الجفري المسؤول التعليمي في لحج، ثم أرسلته إلى سقطرى، ثم سمحت له بعد ذلك بالفرار إلى الخارج (اليمن الشمالي ثم القاهرة) وفرّ قائد الجيش اللحجي يحيى حرسي بقواته إلى اليمن باتفاق مع سلطان لحج الذي كان في الخارج(٢).

وقد انتقل نشاط الرابطة منذ عام ١٩٥٦م إلى القاهرة وذلك عندما انتقل زعماؤها ورجالاتها إليها، بعد منع نشاطها وإلغاء ترخيصها ومحاولة القبض على رجالها.

وفي القاهرة كانت الرابطة هي المتحدث عن قضية الجنوب العربي في أروقة الجامعة العربية، وحصلت على تأييد مصر والسعودية. وكان موقف اليمن معارضاً لها لأنها تدعو لإقامة دولة مستقلة في الجنوب. (وإن كانت تفتح باب الوحدة بعد الاستقلال). كما أنها نشطت في الأمم المتحدة. وكان الأستاذ شيخان الحبشي ممثلها وأمينها العام مندوباً شبه دائم لها في أروقة الأمم المتحدة.

(١) Trevaskis: *Shades of Amber*, p 137

(٢) المصدر السابق.

وقامت الرابطة باستقبال مئات بل ربما آلاف الطلاب الذين خرجوا من عدن والجنوب بأكمله بعد أن اضطهدت بريطانيا الحركة الطلابية، ولم يكن في عدن سوى ثانويات محدودة وكفلت لها المنح الدراسية من الشقيقة مصر التي فتحت معاهدها وجامعاتها ومدارسها لكل الطلبة العرب، بل ولكل الطلبة من مناطق متعددة من إفريقيا وآسيا (وأكثر هؤلاء يذهبون إلى الأزهر الشريف).

وكان السيد عبدالله بن صالح المحضار أحد رجال الرابطة تاجراً بسيطاً في عدن ولكنه كريم النفس بذل معظم ماله في إرسال الطلبة الفقراء إلى مصر وتوفير تذاكر السفر لهم. كما كان هذا السيد الشهم من الداعمين للرابطة بكل ما يملك.

وهكذا يتبيّن أن اتهام الرابطة بأنها ترفض الكفاح المسلح أمر غير صحيح فقد أيدت العديد من الثورات وأمدتها بالمال والسلاح والرجال وخاصة منذ عام ١٩٥٦م عندما ارتبطت بمصر عبد الناصر وكانت الرابطة والسلطان علي وراء العديد من الثورات.

كما أن القول بأن الرابطة انفصالية وترفض الوحدة أو الاتحاد مع اليمن الشمالي أمر غير صحيح. فهي قد بدأت في القاهرة بالكتيبة اليمنية التي تضم الزبيري ونعمان ولم تكن تفرّق بين شمالي وجنوبي. ولكن حركة الأحرار اليمنيين نفسها رأت أن تركز هي على محاربة النظام الإمامي المتخلف وأن يركز أبناء الجنوب على مكافحة الاستعمار، ثم بعد الاستقلال يتم الاستفتاء على ما يريده الشعب: وحدة اندماجية، فيدرالية، كونفيدرالية.. إلخ.

أما مدّعو الوحدة - من الجبهة القومية وغيرهم - فقد كسبوا الشارع العدني واليمني بأكمله بالدعاية للوحدة. ولكن عندما سلّمت بريطانيا الجبهة القومية الحكم في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م لم يبادروا إلى الوحدة. بل لم يقبلوا حتى

سياسة حسن الجوار. وقامت الحروب بينهم وبين اليمن الجمهوري مراراً. وقاموا بالاغتيالات في داخل اليمن الشمالي. وبواسطة عملائهم من الشيوعيين سمموا الآبار وفجّروا المنشآت وأثاروا الرعب وخاصة في الحجرية وتعز (موطن عبد الفتاح إسماعيل) ومركز الحزب الاشتراكي اليمني الشمالي (الشيوعي)، ولولا أن الله سبحانه وتعالى، سخّر لليمن رجال القبائل والمجموعات الإسلامية لانهار الجيش الذي تمّ استقطاب بعض عناصره لصالح الحزب الشيوعي (عبدالله عبد العالم وغيره من الضباط) ولسالت الدماء أنهاراً كما سالت في الجنوب. ولكن الله سلم واستطاع اليمن الشمالي أن ينجو من براثن الشيوعية التي فتكت بالجنوب ودمّرته ومزّقته إرباً إرباً. ولا يزال يعاني من بقايا الطغمة وبقايا الزمرة إلى اليوم.. وصار أنصار الوحدة سابقاً أعداءها اليوم والمنادين بالانفصال، ويقولون إن الجنوب لم يتّحد قط في تاريخه مع الشمال (وهو كذب صريح، انظر الجزء الثاني من كتابنا هذا). وخرج منهم من يدعو لعدن للعدنيين فقط، وكأنما الجمعية العدنية بصورتها الأولى قد ظهرت من جديد. مع أن الجمعية نفسها طوّرت مبادئها فيما بعد. وهؤلاء ارتكسوا إلى أسوأ مما كانت عليه. ولله الحجة البالغة.

الجبهة الوطنية المتحدة (١٩٥٥- ١٩٦٠م)

وسننقل فيما يلي ما كتبه د. أحمد عطية المصري في كتابه «تجربة اليمن الديمقراطية» (ص ١٤٠ – ١٤٤) لأني وجدته أشمل ما كتب عن الجبهة الوطنية.. مع حذف يسير وبعض الإضافات.

لقد قامت الجبهة الوطنية لأغراض محدودة هي:

(١) الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات التشريعية بسبب قانون الانتخاب الذي يحرم اليمن الشمالي من حق التصويت ما لم يكن من مواليد عدن.

(٢) مقاومة فصل عدن عن بقية أجزاء الجنوب.

(٣) الدعوة إلى وحدة اليمن الطبيعية ورفض مشروع الاتحاد الفيدرالي الذي بدأت بريطانيا في عرضه لأول مرة عام ١٩٥٤م.

(٤) طالبت بالاستقلال السياسي للجنوب اليمني ويمتد إلى صلالة وعُمان (مسقط) وتتحد هذه الدولة مع الشمال اليمني[١].

ظروف قيام الجبهة

يرتبط قيام الجبهة الوطنية المتحدة بانتخابات المجلس التشريعي لعدن عام ١٩٥٥م. وفي هذه الانتخابات حرمت السلطات البريطانية على أبناء اليمن من الشمال الاشتراك فيها، الأمر الذي أساء أطراف الحركة الوطنية في ذلك الوقت التي تجمعت من خلال النقابات والجمعيات التعاونية والنوادي الرياضية والاتحاد اليمني وخططت لمقاطعة الانتخابات وإفشالها بمشاركة العناصر التقدمية من حزب الرابطة التي كانت تؤمن بنفس المخطط على أساس وحدة شعب اليمن الطبيعية. إلا أن الرابطة لم تلتزم بمخطط الأطراف الوطنية واستغلت سماح السلطات البريطانية لأبناء الجنوب بالمشاركة في الانتخابات وقررت خوضها[٢].

ولم يرض هذا التصرف كثيراً من أعضاء الرابطة وقادتها، الأمر الذي ترتب عليه استقالة عدد كبير ودخولهم في تحالف مع بقية الأطراف الوطنية من أجل إفشال المخطط الاستعماري ومن أجل إنجاح مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي، وبذا تكونت الجبهة الوطنية المتحدة[٣].

(١) إبراهيم خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني، ص ١٢١ – ١٢٦.

(٢) عبدالله الأصنج، حركتنا العمالية، المؤتمر العمالي، ص ٣٠ – ٣١.

(٣) قحطان الشعبي، الاستعمار البريطاني ومعركتنا في جنوب اليمن، دار النصر، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٢١٩. وقد أسس الجبهة الوطنية قادة النقابات مثل عبدالله الأصنج ومحمد عبده نعمان ومحمد سالم علي. وانضم إليهم عبدالله باذيب وآخرون.

وقد اتخذت الجبهة الوطنية المتحدة العمال أساساً لتحركها بالإضافة إلى الطلبة والموظفين. وقد تكوّن معظم أعضاء الجبهة سياسيًّا إبان مرحلة نمو مصر الثورة وزعامة عبد الناصر، وكانت تضم عدداً من أبناء الشمال اليمني الذين جاءوا إلى الجنوب بحثاً عن العمل والدراسة في الثلاثينات وما بعدها وظهر تأثيرهم السياسي مع نمو الثورة المصرية. كما ضمت الجبهة في معظمها عناصر شابة متحمسة وقادرة على الحركة ومنتشرة بين أوساط العمال والطلبة والموظفين في عدن والمحمية. وقد ساهم نمو الفكر الاشتراكي للثورة المصرية في دعم اتجاه القيادات الشابة التي كوّنت الجبهة الوطنية المتحدة(١).

وأعلن المنفصلون عن الرابطة مع العناصر الوطنية الأخرى أنها اتخذت اتجاهاً يمينيًّا وأصبحت أقرب إلى معسكر الاستعمار من المعسكر الوطني. وكان أبرز المكوّنين للجبهة الوطنية المتحدة: عبدالله باذيب، محمد عبده نعمان الحكيمي، وعبدالله الأصنج، ومحمد سالم علي، ومحمد سالم باسندوه(٢).

وفي ديسمبر ١٩٥٧م تقدمت الهيئات الوطنية بمذكرة إلى الحاكم العام تشجب فيها التعديلات الدستورية المقترحة على أساس أنها لا تفي بأماني شعب المنطقة. ووقّع المذكرة: مؤتمر عدن للنقابات، حزب الجبهة الوطنية المتحدة، الاتحاد اليمني، رابطة أبناء الجنوب العربي، الجمعية اليمنية الكبرى، حزب الشورى اليمني. وفي يناير ١٩٥٨م رد سكرتير حكومة عدن بما يفيد استلام المذكرة ويشير إلى أن بين الموقعين جمعية غير مسجلة وقعت باسم حزب الجبهة الوطنية المتحدة(٣). ولم تكن الجبهة مسجلة رسميًّا.

---

(١) Trevaskis: *Shades of Amber,* pp 96 – 97 . See also, Hickinbotham, *Aden,* pp196 – 197 .

(٢) كان أغلب أعضاء الجبهة متأثرين بأفكار حزب البعث العربي الاشتراكي، بينما كان عبدالله باذيب متأثراً بالفكر الماركسي اللينيني. وعاد شيوعيًّا خالصاً بعد رحلته إلى موسكو.

(٣) المؤتمر العمالي، الشعب يعلن المقاطعة، نشرة خاصة للمؤتمر، عدن ١٩٥٨م.

وقد استمرت فعالية الجبهة داخل الحركة الوطنية رغم استمرار تضاؤل دورها بجانب دور المؤتمر العمالي واختفت تقريباً من مسرح الأحداث أثر انتهاء المعركة الانتخابية في عدن عام ١٩٥٩م أي حوالي عام ١٩٦٠م.

برنامج الجبهة الوطنية المتحدة وأهدافها

يمكننا التعرف على اتجاهات وأهداف الجبهة الوطنية المتحدة إذا تبينا أن الجبهة تعبر أساساً عن جناح يساري متأثر إلى حد كبير بحزب البعث العربي الاشتراكي في الحركة الوطنية في ذلك الوقت، وخاصة عام ١٩٥٥م، وعن أماني العمال وصغار الموظفين والطلبة.

والغريب أن الكتاب الإنجليز الذين تولوا مراكز مسؤولة في عدن ساهموا بالتعريف ببرنامج وأهداف الجبهة من خلال اتهاماتهم بالتطرف والتأثر بثورة مصر والمفاهيم نحو الاشتراكية النامية وبصوت العرب وبزعامة عبد الناصر.

وفيما يلي أبرز هذه الأهداف والمبادئ:

(أ) **الإيمان بالوحدة العربية وبمبادئ الثورة العربية مع اتجاه واضح متلاحم بالناصرية،** ومن ذلك الإيمان بالحياد الإيجابي في العلاقات الخارجية ومعاداة الاستعمار والرأسمالية وعدم الفصل بينهما.

(ب) **وحدة اليمن الكبرى على أساس شعبي، ويشمل ذلك الشمال اليمني والجنوب اليمني ومسقط وعُمان في إطار جمهورية ديمقراطية مستقلة استقلالاً تامًّا.**

(ج) وبطبيعة الحال **كان أول هذه الأهداف إفشال انتخابات عام ١٩٥٥م ومشروعات الاتحاد**[١].

---

(١) محمد عمر الحبشي: اليمن الجنوبي سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، مصدر سابق، ص٩٦.
انظر كذلك، Trevaskis: *Shades of Amber*, pp 92 – 99،
وانظر كذلك، Hickinbotham: *Aden*, pp 196 – 197.

أبرز مواقف الجبهة

كانت أبرز مواقف الجبهة هي الحملة التي قادتها لمقاطعة المجلس التشريعي لعدن، حيث تمكنت من إفشال الانتخابات بأن شاركها في الحملة أكثر من ٧٠٪ من الناخبين. واقتصرت عملية الانتخاب على الجاليات الأجنبية وقلة من العرب، كما خسرت الرابطة الانتخابات[١].

وقد شاركت الجبهة الوطنية المتحدة في تعميق المطالبة بالاستقلال التام وبوحدة اليمن وشجبت الفكر الانفصالي لعدن[٢].

ونتيجة معركة انتخابات عام ١٩٥٥م، وجدت الجبهة أنه لا بد من تنظيم الحركة العمالية والعمل النقابي بوجه خاص، لكي يتمكن الجميع من أبناء اليمن من التحرك على الصعيد السياسي. وقد ساهمت جهودها في إقامة المؤتمر العمالي عام ٥٦/ ١٩٥٧م[٣].

وقد واجهت سلطات الاحتلال تحرك الجبهة الوطنية المتحدة بإجراءات قمع شديدة تخوفاً من نتائج نموّها، فقامت بنفي أحد قادتها وهو محمد عبده نعمان إلى الشمال، واضطهدت العناصر التقدمية داخل الحركة العمالية[٤]، واتهمها الإنجليز بالخضوع للناصرية والترويج للاشتراكية وإثارة القلاقل، والإخلال بالأمن. وقد أدانت الجبهة الوطنية العدوان الثلاثي على مصر،

(١) محاضرة ألقاها عبد الملك إسماعيل في نادي الشباب الثقافي في تعز بتاريخ ٢٣/ ٤/ ١٩٦٥م.

(٢) سلطان أحمد عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٠م.

(٣) د. جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٣٩٢-٣٩٣.

(٤) سلطان أحمد عمر: نظرة في تطور المجتمع اليمني، ص ٢٣٢ وانظر فيصل جلول: اليمن، ص ٨٨.

وسيّرت المظاهرات، وحثّت النقابات العمالية على الامتناع عن تفريغ وشحن البضائع القادمة من بريطانيا أثناء العدوان الثلاثي[١].

ورغم نجاح الجبهة الوطنية المتحدة في قيادة العمل الوطني عام ١٩٥٩م، بإفشالها لمخطط بريطانيا في انتخابات عام ١٩٥٥م ونجاحها في تنظيم الحركة العمالية منذ عام ١٩٥٦م، إلا أنها بدأت تذوي ويتلاشى أثرها ويبرز في نفس الوقت أثر المؤتمر العمالي في عدن. وقد يكون مرد ذلك إلى أن المؤتمر العمالي كان أكثر تماسكاً من الناحية التنظيمية، بل كان الصيغة التي ساهمت الجبهة في إيجادها، بالإضافة إلى إجراءات القمع التي اتبعتها بريطانيا حيالها.

وقد أرجع عبد الملك إسماعيل أحد مؤسسي الحركة القومية في الجنوب أسباب انطواء وضمور الجبهة إلى أنها تكونت على أساس موقف – هو مواجهة انتخابات عام ١٩٥٥م – وليس على أساس نظرية عامة، ولم يتمكن قادة الجبهة من تطوير الموقف إلى عمل وطني مستمر، كما لم تستغل الجبهة حماس الجماهير بشكل فعال، ولم تراع الشروط التنظيمية الكفيلة بدعمها واستمرارها ومنها انتقاء الكوادر السياسية ووضوح الهدف، بالإضافة إلى أن الجبهة لم تتخذ المواقف الجذرية بعد تشكيل المجلس التشريعي التي تؤدي إلى إيقافه، أي اقتصر الأمر على عمل سياسي محدد[٢].

حزب الشعب الاشتراكي

وسننتقل فيما يلي ما جاء في كتاب عادل رضا «تطور ومسار الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية» لأنه أوسع وأشمل من كتب عن حزب الشعب

---

(١) فيصل جلول: اليمن، الثورتان، الجمهوريتان، الوحدة (١٩٦٢ – ١٩٩٤م)، ص ٨٨.

(٢) عبد الملك إسماعيل، محاضرة ألقيت في نادي الشباب الثقافي في تعز في ٢٣/ ٤ / ١٩٦٥م.

الاشتراكي فيما لديّ من كتب (ص ١٠٢ – ١١٨) مع حذف وإضافة. ومن الواضح أن حزب الشعب الاشتراكي متأثر إلى حد كبير بأطروحات حزب البعث العربي الاشتراكي. وقد أطلق على الصحيفة التي تحدثت باسم الحزب اسم (البعث) التي أصدرها ورأس تحريرها الأستاذ محمد سالم علي (أحد المؤسسين للجبهة الوطنية المتحدة، ثم للمؤتمر العمالي ثم لحزب الشعب الاشتراكي). وقد قام هذا الحزب من رجالات الجبهة الوطنية التي انهارت عام ١٩٦٠م وانضم إليهم آخرون.

ظروف النشأة

شهدت المنطقة في الجنوب عام ١٩٦٢م أحداثاً سياسية ضخمة ساهمت فيها الحركة العمالية في عدن إلى حدٍّ كبير، غير أن السلطة الاستعمارية كانت تضع كل المعوقات لحصر نشاطها في النطاق النقابي. وقد كانت هذه العوامل من الدوافع الرئيسية التي دفعت قادة المؤتمر العمالي إلى تأسيس حزب سياسي يكون واجهة سياسية للحركة العمالية. وقد تمكن قادة هذه الحركة، بإشراك عناصر جديدة من خارجها، من بلورة وقيام هذا الحزب، فانبثق في يوليو عام ١٩٦٢م حزب الشعب الاشتراكي كواجهة سياسية ووطنية للحركة العمالية بقيادة عبد الله الأصنج الأمين العام للمؤتمر العمالي آنذاك. وكان الأستاذ الأصنج أحد أهم مؤسسي الحركة النقابية وعلى صلة وثيقة بالنقابات في بريطانيا وحزب العمال. وعرف أن النقابات عليها أن تحصر نشاطها في العمل النقابي فقط وأن يقوم حزب سياسي تدعمه النقابات ليقوم بالعمل السياسي. وقد نجح الأستاذ الأصنج ومجموعته في ذلك نجاحاً كبيراً[(١)].

(١) يقول فيصل جلول في كتابه: «اليمن: الثورتان، الجمهوريتان، الوحدة (١٩٦٢– ١٩٩٤م)، دار الجديد، ط ٢، ٢٠٠٠م، بيروت، ص ٨٩. «عبّر حزب الشعب =

مبادئه وأهدافه

وباستقراء وثائق حزب الشعب، نستطيع تلخيص أهدافه ومبادئه في النقاط التالية:

أ- إقليم اليمن الطبيعي جزء من الوطن العربي، والشعب العربي في اليمن جزء من الأمة العربية.

ب- الإيمان بأن تحرير إقليم اليمن الطبيعي من الاستعمار والرجعية ووحدته على أساس ديمقراطي اشتراكي هو السبيل العملي للمساهمة في وحدة الأمة العربية في دولة عربية واحدة.

الهدف

بناء مجتمع اشتراكي تسوده العدالة الاجتماعية لخلق المواطن العربي المثالي كمساهمة لبناء عالم تسوده الإنسانية المثلى.

الشعار، (نفس شعار حزب البعث العربي الاشتراكي):

الحرية.. الوحدة.. الاشتراكية.

العضوية:

لكل مواطن في اليمن الطبيعية الحق في طلب الانتساب للحزب على أن تتوافر فيه الشروط التالية:

= عن أرقى صياغ النضال المطلبي في ظلّ الاستعمار». وكان على علاقة وثيقة بحزب العمال البريطاني، ويتأثر بجزء من أطروحات هذا الحزب. أما أهدافه فتمثّلت بتحرير الشمال اليمني من نظام الأئمة.. وبتحرير الجنوب من الاستعمار، ومناهضة السلاطين، وعبّر الحزب عن إيمانه بالوحدة العربية وبالطريق اللارأسمالي (الواقع الاشتراكي) للتنمية. وأكّد أن استلامه للسلطة سيؤدي إلى حصر وسائل الإنتاج بالدولة، ما عدا الملكيات الصغيرة.

١- أن يقبل دستور الحزب ومنهاجه ونظامه الداخلي.
٢- لا يعتقد أو يتظاهر بالنزعة العنصرية أو الإقليمية أو الطائفية.
٣- أن لا يكون عضواً في أي هيئة سياسية أخرى.
٤- أن يكون قد بلغ الثامنة عشرة من عمره.

برنامج حزب الشعب الاشتراكي

يتمثل برنامج حزب الشعب في برامج طوباوية يعسر على الدول الغنيّة تنفيذها، فكيف بدولة فقيرة مثل اليمن الجنوبي. وإليك نص هذا البرنامج الذي لم ينفذ قط لعدة أسباب، أولها: استحالة تنفيذه كاملاً. وثانيها: أن حزب الشعب لم يصل إلى الحكم أبداً.

١- في الحقل الاقتصادي:

المبدأ العام: وسائل الإنتاج بيد الدولة، أي الشعب، مع الحفاظ على الملكيات الصغيرة بالقدر الذي لا يتعارض مع المصلحة العامة والسياسة الاقتصادية الموجهة(١).

٢- سياسة التوفير الاقتصادي:

فيما عدا الملكيات الصغيرة المذكورة آنفاً.

(أ) الحقل الزراعي: سيقوم الحزب بإخضاع الإنتاج الزراعي للوسائل الآتية:

---

(١) هذا يماثل ما تم في الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية، مع توسع نسبي في الحفاظ على الملكيات الصغيرة. ويختلف تماماً عما قامت به اليمن الديمقراطية الشعبية من تأميم لقوارب الصيد للفقراء، ولم يتركوا حتى الدراجات وسيارات التاكسي واعتبروها من وسائل الإنتاج، مما أثار سخرية ماوتسي تونج في الصين والاتحاد السوفييتي منهم.

١- إقامة الجمعيات التعاونية.

٢- إقامة بنك التسليف الزراعي.

٣- إقامة محطات أبحاث.

٤- استعمال أدوات زراعية وأساليب حديثة.

٥- استغلال الثروات الحيوانية ومشتقاتها.

٦- استغلال الثروات السمكية بالطرق العلمية الحديثة بما في ذلك التعليب والتصدير.

٧- استصلاح الأراضي البور وإقامة السدود وحفر الآبار.. إلخ.

(ب) **الحقل الصناعي**: نظراً لتخلف بلدنا الصناعي، سيحاول الحزب في بداية الأمر خلق صناعات مختلفة لمواجهة محتاجات البلاد الأولية بما لدينا من موارد وإمكانيات ووسائل، كالآتي:

١- إقامة صناعات خفيفة كمصانع النسيج ودباغة الجلود وصناعة السماد.

٢- إحياء صناعة الملح واستغلال مشتقاته علميًّا.

٣- تشجيع إقامة مصانع تركيب السيارات ووسائل النقل الأخرى والجرارات.. والأدوات المنزلية والمواد الاستهلاكية الأخرى.

٤- استغلال الثروات المعدنية ومشتقاتها.

(ج) الحقل التجاري:

١- استيراد وتصدير المواد الضرورية، عملية تنظمها الدولة.

٢- تشجيع سياسة الاقتراض باسم الدولة في معاملاتها التجارية الخاصة.

٣- تشجيع رؤوس الأموال الوطنية في حدود الخطة الاقتصادية التجارية الخاصة.

٤- تشجيع استثمار رأس المال الأجنبي ليلعب دوره المحدد في الخطة الاقتصادية الموجهة.

٣- الحقل التعليمي:

المبدأ: مجانية التعليم (في حدود الإمكانيات).

- توفير التعليم لكل فرد في البلاد.

- منح الفتاة والمرأة نفس الفرصة التي تعطى للطالب والرجل من الناحية التعليمية.

التعليم الإلزامي:

وضع سياسة تعليمية تتمشى وحاجات البلاد والخطة الاقتصادية الموجهة.

المنهج:

- الاهتمام بالمناهج من كيفيتها وملاءمتها للحاجات المحلية والإنسانية.

- إعداد المعلم وإقامة مراكز تدريب معلمين.

- الاهتمام بإنشاء الكليات الفنية وتخريج الفنيين والصناعيين ليسدوا حاجة البلاد، وكذلك الاهتمام بالتعليم التجاري.

٤- في الحقل الصحي:

المبدأ: مجانية العلاج دون ما تفرقة بين الأفراد من حيث دخولهم أو مراكزهم الاجتماعية أو أي شرط آخر.

٥- الحقل الاجتماعي:

المبدأ: تتكفل الدولة بتوفير الخدمات الاجتماعية لكل فرد في المجتمع على قدم المساواة.

١- رعاية الطفولة والأمومة.

٢- مراكز أطفال للترفيه والمطالعة.

٣- مراكز ترفيه للأحداث.

٤- رعاية الشباب – مخيمات الشباب – الكشافة – التربية الرياضية.

٦- في الحقل العمالي:

المبدأ:

١- بما أن الطبقة العاملة تاريخيًّا وعاديًّا هي القوة الفعالة في تاريخ تطور المجتمعات البشرية. فالحركة العمالية لها دورها الخاص ومكانتها الخاصة في بلادنا.

٢- وعليه يلتزم الحزب مبدأ من: كل حسب طاقته ولكل حسب عمله(١).

٣- تتكفل الدولة بإيجاد فرص العمل لكل مواطن وبإشراك العمال في إدارة شؤون أعمالهم.

٧- نظام الحكم:

جمهوري.. ديمقراطي.. شعبي..

١- لكل مواطن حق وواجب الإسهام في جهاز الحكم.

٢- يؤمن الحزب أن الدولة هي أداة في خدمة الشعب وأن الشعب هو مصدر السلطات.

٣- نظراً لطبيعة بلادنا وظروفها الحالية يأخذ الحزب بمبدأ اللامركزية في الحكم.

(أ) السلطة التشريعية:

١- لكل مواطن حق الانتخاب والترشيح دون قيد أو شرط.

٢- المواطن، هنا، يعني كل شخص ولد في اليمن الطبيعية، أو أي شخص آخر يمنحه القانون هذا الحق.

---

(١) وهو مبدأ نادى به ماركس في الاشتراكية العلمية تتلوه المرحلة الأخيرة من كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجته. وهي شعارات لم تطبق لا في الاتحاد السوفييتي ولا في الصين ولا في الكتلة الشيوعية في أوربا أو كوبا أو غيرها.

٣- التشريع يجب أن لا يتناقض وأهداف الحزب في الحرية والوحدة الاشتراكية.

٤- يراعى في تكوين السلطة التشريعية تمثيلها قطاعات الشعب حسب طاقاتها الإنتاجية في المفهوم الاشتراكي.

(ب) السلطة التنفيذية:

الجهاز التنفيذي ينبثق من الجهاز التشريعي، ويكون مسؤولاً أمام رئيس الدولة.

(ج) السلطة القضائية:

تحقيق مبدأ استقلال السلطة القضائية.

(د) السلطة الإدارية:

يتكفل الحزب بإعادة تنظيم الخدمة المدنية وتطهيرها، والسعي لرفع مستواها الثقافي والمادي، لتكون حقًّا في خدمة الشعب.

٨- مبادئ السياسة الخارجية:

١- السعي لاستقرار السلام العالمي.

٢- الالتزام بميثاق هيئة الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان، وتدعيم سلطتها في قضايا السلام.

٣- التعاون الكامل مع الدول الآسيوية والإفريقية والدول التي تحارب الاستعمار والاستغلال والقواعد الأجنبية – لإزالة شبح الحرب عن العالم.

٤- الالتزام بمبادئ باندونج وسياسة الحياد الإيجابي.

٥- الإيمان بمبدأ التعايش السلمي والتعاون الدولي في سبيل الإنسانية المثلى.

وسائل وأساليب عمله:

كان حزب الشعب الاشتراكي يؤمن بالحل السياسي السلمي [ولكنه لا يمانع في خوض المعارك العسكرية والفدائية مع الاستعمار إذا اضطر لذلك. وقد قام بذلك بالفعل، ولكنه يرى عدم جعل الهدف هو الحرب، بل الهدف هو الوصول إلى الاستقلال بكل وسيلة ممكنة][١].

وقد جاء في منشور حزب الشعب الصارد في نوفمبر سنة ١٩٦٤م تحت عنوان (هذا موقفنا) ما يلي:

* لا تغير في موقفنا من الطغيان الاستعماري.
* علاقتنا بحزب العمال البريطاني تأتي بعد مصلحة الشعب.
* الجمهورية اليمنية ستظل منطلقاً أساسيًّا للقضاء على الاستعمار.
* لا نقبل المهادنة، ونرفض كل محاولة للتسلط أو الوصاية.

إن بلادنا في حاجة ملحة إلى وحدة أبنائها وتضامنهم. إننا نسير اليوم بقوة مذهلة نحو رسم مصير بلادنا وبالتالي أمتنا.. ويجب علينا أن لا نتواكل على بعضنا أو نتصارع فيما بيننا، لأن أمامنا خصماً لا يرحم: يملك الدهاء والقوة.. ويحرص على تعميق خلافاتنا والإبقاء على تخلفنا وتبديد كل طاقاتنا.. وإخضاعنا لأطول وقت ممكن.. ونحن لو سرنا بدون رؤية وتبصير.. ورفضنا أن نفتح أعيننا جيداً على مشاريع الاستعمار والعملاء سنجد أنفسنا (كباش فداء) [٢] لقوى عاتية استعمرتنا لمئات السنين وستظل كذلك لفترة طويلة..

---

(١) ما بين معقوفتين هو من كلامي.

(٢) كبش فداء هو تعبير موجود في التوراة (Scape Goat) حيث كان كبير الأحبار يمسك بماعز على رأس السنة اليهودية ويضع عليه جميع آثام الأمة اليهودية في السنة المنصرمة ثم يطلقه في البرّية، وبذلك يكونون - حسب زعمهم الكاذب - قد تخلصوا من جميع الذنوب والخطايا التي ارتكبوها طوال العام.

ونكون دون غيرنا من الأمم سلعة معروضة لبلاد الدنيا.. يسخر منا العالم وتضحك علينا الشعوب.

ونحن كذلك لو سلمنا أمورنا لعدد من الأشخاص المغالين في رفع الشعارات المتطرّفة دون أن نتبيّن هويتهم ونفحص واقعهم والغرض الأساسي من تواجدهم في هذه المرحلة المتأخرة جدًّا.. ونسأل أنفسنا: أين كان هؤلاء؟ وما سلوكهم الوطني العام منذ أحداث ١٩٥٦م عند ثورة العمال في عدن وقبائل يافع والمراقشة والدماني وآل فريد والمعضبي وباعزب؟ وأخيراً ما هو دورهم في مأساة أحرار ردفان؟.. لو راجعنا أنفسنا في كل هذه الأمور لوجدنا أن واجب بلادنا وقبائلنا وإخواننا هو أن نقتصد في عواطفنا وتستعمل عقولنا حتى نوحّد صفوفنا وننهي خلافاتنا، ونضع حدًّا لكل من يحاول أن يجعل من بلادنا سوقاً للتنافس على السلاح، وبالتالي يخلق (كونغو جديدة) بحيث يصبح القتل بين القبائل العربية عملاً يوميًّا مألوفاً لا حدّ له ولا نهاية.. فإلى متى يستمر النزيف في بلادنا؟.. بالأمس فقط تمكن إخواننا في الشمال من التوصل إلى اتفاق من المتمردين على إنهاء الحرب في اليمن بعد عامين من النزيف المفجع.. فهل نأخذ من وضعهم عبرة؟ وهل نعمل على تقوية أنفسنا ونضع تقييماً شاملاً لقضيتنا حتى نتمكن من تسوية خلافاتنا بعقل وتبصير؟.

إن حزب الشعب الاشتراكي هو من أوائل الداعين للنضال والمقاومة ضد المخططات الاستعمارية.. هكذا يعرف الحزب بين طلائع العمال والمثقفين في عدن وبين رجال القبائل العربية في أنحاء بلادنا، ولسنا في حاجة إلى شهادة أحد سوى الأوفياء من أبناء شعبنا(١).

---

(١) إن ادعاء حزب الشعب الاشتراكي أنه قام بالثورات المتعددة في المحميات من دثينة إلى يافع وحضرموت وردفان وقطيب.. إلخ، ادعاء غير صحيح. فمعظم هذه الثورات كانت قبلية، وكان للرابطة دور في دعمها. وكذلك كانت ثورات =

* إن دثينة ورجالها وشبانها يعرفون دور حزب الشعب الاشتراكي في منطقتهم وصراعهم ضد طغيان الحكم الرجعي الذي يسنده الاستعمار.

* إن يافع العليا والسفلى ثواراً وعمالاً وأحراراً من رجال القبائل يعرفون دور حزب الشعب الاشتراكي في أراضيهم منذ عهد الإمام أحمد وما تم من دعم وتأييد لثورة قبائلهم.

* إن حضرموت وشبابها يعرفون أيضاً نشاطات حزب الشعب الاشتراكي في الوادي ومساهماته الأخوية في تدعيم التكتلات الشعبية التقدمية.. وكذلك العوائق وبيحان.

* إن ردفان وقطيب وما جاورهما.. قبائل وعقّال وشباب، يعرفون تماماً كيف وقف حزب البعث الاشتراكي منذ أشهر قبل انتفاضة أكتوبر، وما صاحب ذلك من تعاون وتبادل الرأي خلال تواجد أحرار من مناطق ردفان في معتقلات الاستعمار في زنجبار وجعار ومودية.

* إن الحواشب الثائرة تعرف موقف الشعب الاشتراكي من قضيتها منذ أعوام وما تعرّض له قادة الحزب من اتهامات بأنهم أول من حرَّض على الثورة في أرض الحواشب.

* إن عدن.. رجالاً ونساءً.. عمالاً وطلبة ومثقفين.. هم الدعامة القومية التي يقف عليها حزب الشعب الاشتراكي في وجه الطغيان الاستعماري والفساد السياسي. وبهم حارب الحزب كل المخططات الاستعمارية، وزحف على المجلس

= الربيزي وثورات العوالق وثورة السلطان محمد بن عيدروس العفيفي كلها مدعومة بالرابطة. وأكد ذلك تريفاسكس في كتابه (*Shades of Amber*) «أطياف الكهرمان» بل إنه اتهم (المندوب السامي في عدن والمحميات) السلطان علي عبد الكريم سلطان لحج بدعم هذه الثورات سرًّا - كما نقلناه عنه - (انظر فصل الرابطة) من هذا الكتاب. وفي مرحلة متأخرة قامت الجبهة القومية وجبهة التحرير بالثورات من الريف.

التشريعي، وقاطع الانتخابات، وأحال مؤتمر لندن اللادستوري إلى مهزلة سياسية يتندّر بها العالم حتى اليوم. ومن أجلهم تعرض رجال الحزب لأعمال الإرهاب ومحاولات الاغتيال المتواصلة.. ومن أجلهم سيظل الحزب حريصاً على قيادة المنطقة بأسرها نحو الاستقرار السياسي والاقتصادي مستعينة قيادته بآراء الأحرار من أبناء الشعب في كل اليمن الذين يعرفون واقع بلادهم وحالة أهلها ويعملون بوحي من عقولهم وتجاربهم.. وسيظل حزب الشعب الاشتراكي يسلك نفس الطريق ويتبع كل الأساليب المتوفرة لديه حتى يحقق الخلاص التام من الطغيان الاستعماري ويحفظ للوطن كرامته وعزته.. فنحن لا ندعو المواطنين إلى الانهزامية والعدول عن النضال.. بل نطالبهم بعدم الاندفاع الأعمى وراء الصراع المحموم الغير هادف إلى سياسة محدّدة.. تعطي المنطقة ما تحتاجه من عدل اجتماعي واستقرار سياسي واقتصادي وتوقف كل أعمال الفوضى والارتباك.. وتقدّم للقبائل العربية ما تستحق من خدمات في ميادين التعليم والاقتصاد والمساواة في الحقوق مع غيرهم من أبناء المشائخ والعقّال والسلاطين وتقضي إلى الأبد على غرور وسيطرة المستشارين الإنكليز في المحميات.

وحزب الشعب الاشتراكي لم ينس مطلقاً أن الجمهورية العربية اليمنية التي قامت على دماء الشهداء من أبناء الشمال والجنوب.. وعلى دماء الشهداء من أبناء الشعب العربي في جمهورية مصر العربية.. قلعة النضال العربي ورائدة التحرر.. سوف تظل منطلقاً أساسيًّا لكل مقاومة جادة ضد الاستعمار. ولن تكون صنعاء أو تعز في معزل عن الأحداث. وسوف يعمل الحزب على مضاعفة الاهتمام بما يدور في الشمال (وتقديم) كل ما يحتاجونه من تعاون وتعضيد.

ولن يسكت الحزب عن أي نشاط من شأنه أن يخلق الفتنة والخراب في ربوع اليمن الطبيعية وبشقّيها الجمهورية المستقل أو المحتل المعروف (بعدن والمحميات). والحزب، لذلك، يشيد بنتائج محادثات السودان بين رجال

الجمهورية اليمنية والقبائل المتمرّدة.. ويشكر المجهودات الحميدة التي بذلها الرئيس البطل جمال عبد الناصر والملك فيصل آل سعود لإيقاف النزيف في اليمن.. لتهدأ اليمن وتستقر القبائل على أرضها من أجل البناء والخير بدلاً من احتراف الحروب كوسيلة لكسب العيش.

ويؤكد حزب الشعب الاشتراكي بأنه على علم تام بمتطلبات الموقف الراهن في بلادنا، وهو على يقين من قدرته في معالجة الموقف بحكمة وشجاعة معتمداً أولاً وأخيراً على تأييد أبناء الشعب في المنطقة الذين عرفوا الحزب وقيادته من خلال السجل الطويل الذي يشمل أشرف المواقف وأجلّها. مناشداً من جديد كل قطاعات الشعب بأن تحقق المزيد من الوحدة الوطنية وتتجنب المجادلات الشخصية وتسقط من حسابها (دعاة الدجل الثوري) متخذة من سياسة الحزب في إرساء قواعد للتحالف البنّاء بين جميع المنظمات والشخصيات الوطنية الممثلة في (منظمة تحرير الجنوب المحتل) أسساً لنبذ الخلافات والتطاحن وحافزاً للعمل الهادف إلى الخير والبناء، وباباً للتعاون من أجل الخير.. والباب مفتوح لكل الوطنيين الشرفاء الذين يعون مسؤولياتهم نحو هذه الأرض العربية الطاهرة حتى لأولئك الذين يتجنّون علينا ويتّهموننا بالتردد والخوف. فالوطن للجميع.. والشعب هو القائد والزعيم، بهذا نؤمن وهكذا نسير.. وإذا كان لحزب الشعب الاشتراكي علاقة طيبة بحزب العمال البريطاني فإنها لن تؤثر على تمسكه بضرورة المبادرة إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الصادرة في ديسمبر سنة ١٩٦٣م والتي أيدها مؤتمر القمة العربي الثاني ومؤتمر بلدان ودول عدم الانحياز الثاني اللذان انعقدا في القاهرة خلال سبتمبر وأكتوبر من هذا العام (١٩٦٤).. إن الحكومة البريطانية أمامها إجماع العالم فإما أن تنصت لصوت العدل والضمير العالمي أو تواجه نتائج سلسلة من الأخطاء الإجرامية التي ترتكبها في حق شعبنا، ولا مفرّ في هذه الحالة من أن تصطدم بكل قطاعات الشعب في كل نواحي الحياة.

يا أبناء شعبنا العظيم اتحدوا.. اتحدوا.. إن حزب الشعب الاشتراكي معكم في المصنع والحقل.. في السهل والجبل.. إنه معكم دائماً كما عهدتموه في ردفان والحواشب ودثينة وأبْين والعوالق.. إنه معكم في حضرموت والواحدي ويافع ولن يتخلى عنكم.

إن حزب الشعب الاشتراكي موجود في كل المنطقة.. وبالرغم من معاكسات الاستعمار الرجعية وتآمر كل القوى المعادية لشعبنا.. فهو يملك فعلاً لا قولاً من الرجال القادرين على الجهاد من أجل تحرير تراب الوطن المقدس ما يكفي لخلق مقبرة للعملاء والمتآمرين والمستعمرين. وحزبنا يملك من الإمكانيات المادية والأدبية ما يحسم الموقف السياسي في أقرب وقت.. هذا ما يسلّم به المستعمرون.. وهذا ما يعرفه أحرار العرب في كل من القاهرة وبغداد ودمشق وصنعاء والجزائر وكل أرض العرب.. وهذا ما عمل على تحقيقه أبناء الشعب في لحج وحضرموت والواحدي ويافع ودثينة والعوالق وعدن وأبْين وكل مكان، وهو ما يدفعنا إلى تنسيق سياستنا وتدعيم تضامننا وتوحيد جهودنا وإمكانياتنا مع بقية المنظمات والشخصيات الوطنية ضمن إطار منظمة التحرير.

«يجب أن نفهم شيئاً واحداً وهو أن حزب الشعب الاشتراكي مع إيمانه الأكيد بأن إجلاء المستعمر عن بلادنا واجب مقدس فهو»:

* لا يؤمن بسفك الدماء حيث يمكن حقنها. (ومع هذا فهو صاحب قنبلة المطار التي استهدفت المندوب السامي كينيدي تريفاسكس وشريف بيحان عام ١٩٦٣م، وسيأتي الحديث عنها تفصيلاً لأهميتها البالغة.

*** لا يوافق على تخريب الأرض حيث يمكن بناؤها وزرعها.**

*** يعتبر النضال المسلح وسيلة رئيسية للضغط على الاستعمار من أجل الوصول إلى حلول سياسية أفضل، وليس لإحراز انتصار عسكري حاسم على غرار انتصار دولة على دولة أو دول على دول في حرب من الحروب.**

*** يرفض الوصول إلى المجد الحربي الرخيص على حساب دماء وأرواح الأحرار من القبائل في ردفان ويافع والضالع ودثينة والحواشب دون أن يقدم للقبائل وقطاعات الشعب الأخرى تخطيطاً لما يمكن أن يضمن تحقيقه.**

إن حزب الشعب الاشتراكي كان سباقاً إلى العمل والإعداد للثورة.. وهذه القبائل العربية تشهد له بذلك، فهو لم يتركها تواجه الاضطهاد دون أن يفي بالتزاماته نحوها. وهذا ما حصل في العوالق وردفان والواحدي ودثينة وبيحان والعواذل والفضلي وحضرموت.

ولكن حزب الشعب الاشتراكي يرفض أن يرمي بالأرواح والممتلكات في حرب إقلاق لا حرب تحرير فاصلة، دون سيطرة كاملة للنضال ودون معرفة بتفاصيل العمليات وأبعاد المعركة، وقبل أن يستفيد الشعب من ظرف دولي قائم يحقق للشعوب المضطهدة أمانيها في الحرية والتقدم..

فها هي زامبيا تستقل من الاستعمار بدون حروب.. وتلك ملاوي ومن قبلها السودان ونيجيريا وسيراليون وغانا وغينيا وسيلان.. فهل من سبب يدعونا لأن نكون مختلفين عن بقية شعوب الدنيا؟ وهل يقل شعبنا فهماً وإدراكاً لحقيقة قضيته؟.. ونحن على يقين من قدرة شعبنا على خوض معارك التحرير بعد أن يستنفذ كل الأساليب الأخرى.. ويضمن وفاء كل أشقائه العرب إزاء متطلبات المعركة الجادة.

إن حزب الشعب الاشتراكي لا يسقط مطلقاً من حسابه ضرورة الاستعداد للثورة الشعبية في سبيل الخلاص من الاستعمار بكل صوره وأشكاله.. ولكن حزبنا يرى أن من واجبه نحو شعبه وبلاده أن يستنفد كل الوسائل السلمية التي تؤدي إلى النصر قبل أن يجرّ البلاد إلى معركة دامية تشيع الخراب والدمار ولا تضمن فيها السيطرة القيادية المحكمة على المسلحين بعد ذلك مما يهدد مستقبل البلد بالتناحر القبلي المسلح بالأسلحة الحديثة.

ونحن لسنا مرضى مناصب حكم ومجد.. ولسنا دعاة مهادنة وتخاذل. إننا نعي مسؤولياتنا.. إن العالم اليوم يحترم زامبيا ويحترم سيلان، ويحترم غانا وغينيا ومالي وملاوي وسيراليون.. هذه البلاد التي واجهت اضطهاداً استعماريًّا لا يقل بشاعة وضراوة عن الموجود في بلادنا، ومع ذلك استقلت بهدوء.. وتسابقت دول العالم لمساعدتها وتقديم العون لها.. فالصين والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ويوغوسلافيا وجمهورية مصر العربية يتعاونون تعاوناً وثيقاً مع هذه البلاد التي استقلت.. والأهم في الموضوع هو: هل يحصل شعبنا على استقلال حقيقي أم مزيف..؟ هل يمارس شعبنا حقه الكامل في الحكم النيابي الديمقراطي؟ أم يختفي العملاء والرجعيون وراء ستار يتحرّكون من ورائه بتوجيهات لندن؟[١] .. وهذا ما سوف نقاومه بكل طاقاتنا ومن ورائنا كل الشعوب العربية وفي سبيله تهون كل التضحيات..

يا أبناء شعبنا العظيم.. اتحدوا.. اتحدوا..

افتحوا أعينكم لكل الحقائق.. واعلموا بأن الوطنية ليست احتكاراً وليست تهوراً أو جنوناً وهي أيضاً ليست تهاوناً أو تخاذلاً تحت ستار ادعاء الحكمة والعقل، بل هي في أعلى مراحلها ليست سوى فهم ووعي للأمور.. وأمانة وإخلاص للمصلحة الشعبية.. وقدرة على ضبط المواقف وتحديد الطريق.. وهذه مسؤولية الجميع وليست اختصاصاً حزبيًّا مغلقاً.. وهي دعوة لكل القيادات الوطنية من أجل التئام الجروح وتوحيد الجهود.

إن العالم ينظر إلينا.. فإما أن نحسن أمرنا ونعمل بوحي مباشر من مصلحة

---

(١) هذا اتهام شديد للجبهة القومية التي وجهّت أيضاً اتهامات بالعمالة لحزب الشعب الاشتراكي وأدانت ارتباطه بحزب العمال البريطاني وصلاته بمؤتمر نقابات العمال في بريطانيا، واعتبرته أداة طيّعة في يد الاستعمار البريطاني. وهكذا يتهم كل فريق الآخرين بالعمالة والخيانة.

بلادنا وشعبنا ضمن إطار المصير العربي الواحد.. وإما أن نتبع هوانا ومنافعنا فنخلق من بلادنا (كونغو جديدة) يتحارب فيها الجميع فيما بينهم من أجل المجهول.. وتتطاحن القبائل العربية بالسلاح من أجل السلاح دونما نهاية لغاية واضحة المعالم نبيلة الهدف والمقصد.. لأن دفع القبائل إلى حرب كما يعرف الجميع أمر في غاية السهولة والبساطة.. إلا أن إيقاف حروب القبائل يحتاج إلى أكثر من توجيه أمرٍ أو نداء. وهو ما يجرّبه الجميع.

يا أبناء شعبنا العظيم..

هذه الحقائق أمام أعينكم وفي متناول أيديكم.. يضعها حزب الشعب الاشتراكي أمامكم في غاية الوضوح.. ليعرف الجميع بأننا أوفياء لوطننا.. أمناء على حق شعبنا.. شجعان في مواقفنا.. وها هي أيدينا نمدّها للجميع الذين يسخرون من أسلوبنا ويكيلون لنا السباب والاتهامات.. لأن الوطن للجميع والنضال واجب الجميع..

سنحارب الاستعمار والعملاء.. وليس ذلك بجديد علينا.. فلم تعرف أرضنا تضحيات منذ أن عرف العالم بأن لنا قضية سوى تضحيات العمال والقبائل والقيادات الوطنية التي رفضت الجاه والسلطان.. في وقت كان الكثيرون من دعاة الأمجاد اليوم إما موظفين كبار في الدولة أو أطفالاً صغاراً يمرحون في ضياع أسرهم.. أو مجتهدين في تلقي مخططات التيارات السياسية التي جلبت المزيد من التفكك والضعف إلى صفوف الشعب العربي في الكثير من أقطاره..

مواقف إيجابية وإنجازات حزب الشعب الاشتراكي

لعب حزب الشعب الاشتراكي دوراً كبيراً على المستوى السياسي والشعبي لا يمكن لمنصف أن ينكره، فقد استطاع أن يقود الجماهير يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٢م إلى الإضراب العام ضد السياسة الاستعمارية، وهو اليوم الذي بدأت

فيه محادثات لندن لضم عدن إلى ما يسمى بحكومة (الاتحاد الفيدرالي) المزيّف. وقد نفذ الشعب كله الإضراب العام وتوقفت الحركة في المطارات والموانئ وتعطلت المواصلات وأغلقت المتاجر وامتنع الطلبة عن الدراسة. كما استطاع حزب الشعب في يوم ٢٤ سبتمبر أن يعلن الزحف المقدس على المجلس التشريعي المزيف الذي كان يناقش اتفاقية لندن، وقد خرجت المرأة لأول مرة في تاريخ الجنوب مع الجماهير الزاحفة معرضة نفسها مع الآخرين لرصاص الجنود البريطانيين، وسارت المظاهرات التي قادها الحزب تهتف بوحدة اليمن شماله وجنوبه تنادي بالجمهورية اليمنية قبل أن تقوم في الشمال. واستشهد العشرات من أبناء الشعب في هذه المظاهرات وسجن المئات من النساء والرجال.

ولقد لعب عبد الله الأصنج زعيم حزب الشعب الاشتراكي دوراً بارزاً في المجال السياسي على المستوى الدولي والعربي في إبراز قضية الجنوب في الأمم المتحدة والجامعة العربية وقد استطاع من خلال نشرات عدة أن يسهم في توضيح القضية للرأي العربي والعالمي.

وفي الشهور الأولى التي سبقت الثورة كان حزب الشعب الاشتراكي هو الحزب السياسي الذي يتمتع بنفوذ شعبي وسمعة دولية.

ويمكن تلخيص إنجازات حزب الشعب الاشتراكي في النضال الوطني فيما يلي:

(١) **محاربة الاتحاد الفيدرالي منذ نشأته** بالمظاهرات والإضرابات العامة وإفشال محاولة ضم عدن للاتحاد. ورغم ذلك فقد استطاع حسن علي بيومي ومجموعته بدعم كامل من حكومة بريطانيا ممثلة بالمندوب السامي السير كينيدي تريفاسكس من الاجتماع في المجلس التشريعي وأخذ موافقة أغلبية الأصوات. وافق ١٥ عضواً من أعضاء المجلس التشريعي منهم أحد عشر عضواً معيناً (أغلبهم من الإنجليز بحكم وظائفهم، مثل قائد الجيش والمدعي

العام وسكرتير الدولة وسكرتير المالية وأشخاص عيّنهم المندوب السامي من الإنجليز والتجار الهندوس والبارسي والعرب وشخصيات اعتبارية). وقد وافق على دخول عدن الاتحاد الفيدرالي أربعة من الأعضاء المنتخبين فقط بينما رفضه ثمانية من المنتخبين. وبالتالي فإن المجلس التشريعي رفض في الواقع دخول الاتحاد لأن المنتخبين رفضوه. رغم ما في انتخابات عام ١٩٥٩م من منع لليمني الشمالي من حق الانتخاب.

وقد كان للجبهة الوطنية ولنقابات العمال ثم لحزب الشعب الاشتراكي الدور الأكبر في مواجهة انتخابات المجلس التشريعي (ورجالات الجبهة الوطنية المتحدة ونقابات العمال هم أيضاً رجال حزب الشعب الاشتراكي).

وقد بدأت اجتماعات المجلس التشريعي لمناقشة دخول عدن في الاتحاد في أغسطس ١٩٦٢م. وتمت الموافقة في شهر سبتمبر ١٩٦٢م قبيل حدوث ثورة السلال في اليمن.

(٢) دعم الثورة في اليمن

لقد قام حزب الشعب الاشتراكي بالدعم الفوري لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وأرسل آلاف المتطوعين من أبناء الشمال (المقيمين في عدن) وأبناء الجنوب للدفاع عن الثورة. وقد قاتل المتطوعون من أبناء الشمال (المقيمون في عدن) وأبناء الجنوب للدفاع عن الثورة، وقد قاتل المتطوعون من حزب الشعب الاشتراكي دفاعاً عن الثورة واعترف لهم بذلك المشير السلال وقائد القوات المصرية في اليمن التي دعمت الثورة اليمنية وأنقذتها من السقوط بيد الملكية.

(٣) محاولة اغتيال المندوب السامي تريفاسكس وشريف بيحان (قنبلة المطار)

وقد ذكر تفاصيل هذه المحاولة الكثير من الكتّاب وأهمهم حسب علمي هو (١) السير كينيدي تريفاسكس المندوب السامي (لعدن والمحميات) وهو

المقصود الأول بها. ذكرها في كتابه «أطياف الكهرمان»[١] (*Shades of Amber*) (ص ٢٢١ – ٢٢٣). (٢) ديفيد ليدجر (الذي عمل في عدن والمحميات تحت قيادة تريفاسكس وبعده) في كتابه «الرمال المتحركة: بريطانيا في الجنوب العربي»[٢] وذكرها كثيرون.

يقول ليدجر: «في **٩ ديسمبر ١٩٦٣م** اجتمع عبدالله الأصنج ومحمد سالم باسندوه ومحمد سالم علي عبده (من قادة حزب الشعب الاشتراكي ومؤسسيه) مع خليفة عبدالله خليفة الموظف الكبير في خطوط عدن الجوية ومحمد ميه (الموظف في الخطوط الجوية) (وهم أعضاء في حزب الشعب الاشتراكي) في شقة في خورمكسر بالقرب من مطار عدن. وناقشوا مسألة اغتيال تريفاسكس وشريف بيحان باعتباره أخطر رجالات الاتحاد الفيدرالي. واقترح خليفة أن يقتلهم بواسطة مدفع رشاش (Machine gun) يمكن إخفاؤه ثم قتلهما عند محاولتهما صعود الطائرة. فاعترض عبدالله الأصنج وقال إن التهمة ستكون واضحة وسيتم إلقاء القبض على خليفة ومن معه، وتستطيع السلطات بعد ذلك أن تصل إلى الاعترافات الكاملة ومن وراء هذه الحادثة بوسائلها المعروفة. وكاد عبد الله الأصنج أن يلغي هذه الفكرة لولا أن خليفة وباسندوه اقترحا أن ترمى قنبلة من غرفة المراقبة في المطار. وبالتالي يصعب إثبات التهمة. واتفقوا جميعاً على ذلك. وذهب خليفة وباسندوه لتحضير القنبلة، بينما رجع عبدالله الأصنج إلى منزله.

وكان تريفاسكس متعوداً أن يتحادث في الصباح مع عبدالله الأصنج وعادة ما ترد والدة الأصنج على التليفون وتوقظ عبدالله ليرد على المندوب

---

(١) Trevasiks K.: *Shades of Amber*, p 221– 223

(٢) Ledger D.: *Shifting Sands: The British in South Arabia*, pp 50 – 52 ,58 ,63, 120 , 144 , 222 .

السامي الذي كان حتى ذلك الوقت يعتقد أن الأصنج وحزب الشعب يرفضون الوسائل الإرهابية في الكفاح ضد المستعمر. وذلك لعلاقة عبدالله الأصنج الوطيدة بحزب العمال البريطاني وبنقابات العمال البريطانية. وفوجئ تريفاسكس عندما طلب عبدالله على الهاتف الساعة السابعة صباحاً بأن عبدالله كان قد عاد لتوّه من خارج المنزل، فتصور أن عبدالله رتّب مظاهرات عند المطار ضد الاتحاد الفيدرالي وضد انضمام عدن.. إلخ.

وعندما وصل تريفاسكس إلى المطار لم يجد أي مظاهرات أو حشود، وأخبره رجال الأمن بأن كل شيء على ما يرام.

وكان المسؤولون في عدن يمشون على الطريق المسفلت (تارماك Tarmac) مثلهم مثل غيرهم حتى يصلوا إلى طائرتهم، ولم يكن لهم مطار مخصوص، بل وفي نفس الوقت الذي تحرك فيه الوفد برئاسة تريفاسكس وسلاطين الاتحاد إلى طائراتهم، كان ركاب طائرة متوجهة إلى جيبوتي كانوا يسيرون بالقرب منهم. وفي تلك اللحظة من صباح التاسع من ديسمبر ١٩٦٣م سمعوا انفجاراً، واندفع جورج هندرسون نائب تريفاسكس وألقى نفسه على تريفاسكس لحمايته. كان هندرسون عسكرياً ورجل مخابرات، وأدرك على الفور أن المقصود هو تريفاسكس، وكان مخلصاً له لدرجة أنه فداه بنفسه. وأصيب هندرسون بجرح غائر في كبده نقل على إثره إلى مستشفى الملكة إليزابث (القريب من المطار) ولكنه توفي فيه على إثر جراحه. وأصيب تريفاسكس بجروح خفيفة جدًّا بسبب حماية هندرسون له وتضحيته بنفسه لإنقاذه (وهو أمر أثر على تريفاسكس تأثيراً عميقاً). وأصيب شريف بيحان بجروح مختلفة وسال الدم من وجهه، ولكنها لم تكون جروحاً مميتة، كما جرح خمسون آخرون.

وأما الضحيّة الأخرى فكانت امرأة عروساً هندية قدمت من الهند مع زوجها، وهما ذاهبان إلى جيبوتي. وكانت هذه أول رحلة لها عبر عدن. فأصابتها

القنبلة وتوفيت على الفور، وهي بدون شك ضحية غير مقصودة على الإطلاق.

لقد قام خليفة عبدالله بإلقاء القنبلة من برج المراقبة، ولم يكن هناك أي شاهد سوى محمد مية الذي اختفى (وأرسله الحزب إلى اليمن الشمالي بسرعة) وموظف آخر يدعى القشبري ومحمد سعيد باشرين الذي اختفى بسرعة.

ورغم أن القنبلة أحدثت رعباً وفوضى إلا أن رجال الأمن استطاعوا إلقاء القبض على خليفة حسن خليفة وعلي القشبري. وبعد التحقيقات من السلطات الأمنية اعترف القشبري بأنه رأى خليفة ومعه القنبلة ورآه وهو يرميها على الوفد الرسمي (الذاهب إلى لندن لإتمام مفاوضات دخول عدن في الاتحاد). وتم اعتقال الأصنج ومجموعات أخرى، ولكن التحقيق لم يثبت عليهم أي شيء فأطلقوا سراحهم.

وباعتراف القشبري الشاهد الوحيد قدَّم المدعي العام الاتهام لخليفة حسن خليفة بالشروع في القتل وقتل شخصين وجرح خمسين والقيام بعمل إرهابي. وطالت المحاكمة، وتقدّم القشبري وأهله ومحاميه بتقديم طلب بإطلاق سراحه بكفالة مالية لأنه مجرّد شاهد. فلما أطلق سراحه تم تهريبه مباشرة إلى اليمن ومنها إلى القاهرة. (لا أحد يعرف كيف تم إطلاق سراح الشاهد).

وطلب القاضي الإنجليزي (والقضاء الإنجليزي مشهور بدقّته وعدالته) من المدّعي العام الشهود. ولم يكن هناك شهود سوى القشبري وهو قد فرَّ إلى اليمن ومنها إلى القاهرة ومن المستحيل إعادته. وحينئذ أصدر القاضي أمره بإطلاق سراح خليفة حسن خليفة لعدم كفاية الأدلة. وهو أمر لا يمكن أن يحدث في أي بلد عربي أو من العالم الثالث إلى اليوم.

وهاج المندوب السامي تريفاسكس وفرض الأحكام العرفية وأعاد خليفة حسن خليفة إلى السجن.

وقد قامت الانتخابات الجديدة للمجلس التشريعي في عام ١٩٦٤م وعدِّلت بعض المواد بحيث أصبح من حق العدني (كل من ولد هو أو أبوه في عدن) أو من أعطي الجنسية (وأُلغي حق مواطني الكومنولث في الانتخاب) أو من ولد في المحميات (الاتحاد) أن ينتخب أو يترشح. وزاد عدد الأعضاء المنتخبين إلى ١٦ بدلاً من ١٢.

وكانت المفاجأة أن أهل خليفة عبدالله خليفة وأصدقاؤه رشحوه للانتخابات وهو في السجن، كما تقدم أيضاً المحامي فؤاد بارحيم (وكلاهما من حزب الشعب رغم أن الأصنج طالب بمقاطعة الانتخابات أول الأمر). وتقدم كذلك عبد القوي مكاوي الموظف الكبير بشركة البس.

وكانت المفاجأة الحقيقية هي فوز خليفة عبدالله حسن خليفة بغالبية الأصوات، حيث حظي بتعاطف كبير من الأهالي. ويقول تريفاسكس أن السيد زين باهارون (رجل الأعمال والسياسي البارز المستقل) حظي بنفس عدد الأصوات مثل خليفة، بينما يقول دافيد ليدجر أن خليفة حصل على المركز الأول وحصل على أكثر من ألف صوت. وأن زين باهارون كان بعده مباشرة. كما فاز في الانتخابات حسين بيومي (الذي حلّ محل أخيه الذي توفى في لندن عام ١٩٦٣م) والمناضل عبد القوي مكاوي واثنان من عائلة خدابخش العدنية الثريّة (وهما أخوان)، كما فاز أيضاً صياد شبه أمي في البريقة يدعى سالم أحمد نيقة، وهو مؤيد بقوة للاتحاد (العضو الوحيد المنتخب المؤيد بقوة لدخول عدن الاتحاد الفيدرالي) وفاز أيضاً علي محمد لقمان وهو معارض لدخول عدن الفوري للاتحاد. وتمَّ تعيين عبد الرحمن جرجرة عضواً في المجلس التشريعي.

يقول تريفاسكس أنه كان عليه أن يعيّن صاحب أكثر الأصوات في منصب رئيس الوزراء (Chief Minister). وهذا أمر كان مستحيلاً بالنسبة له. ولهذا عيّن السيد زين باهارون صاحب العدد المماثل من الأصوات لتلك التي حصل

عليها خليفة. وتعيّن السيد زين باهارون رئيساً لهذه الوزارة. ودخل بعد ذلك في مماحكات وخلافات مع تريفاسكس وقدّم استقالته. فعيّن تريفاسكس السيد عبد القوي مكاوي الذي كان أحد كبار موظفي شركة البس، وظن أن ذلك سيجعله معتدلاً!! ولكنه خاب ظنّه. وتحوّل المكاوي إلى أحد رموز النضال ضد الاستعمار وكاد يعطّل نشاط الحكومة والمجلس التشريعي ويخرّب على بريطانيا كل خططها في الاتحاد الفيدرالي. فتمّ إخراجه وطرده بواسطة قانون الطوارئ. وانتقل المكاوي إلى اليمن ومنها إلى القاهرة واشترك مع حزب الشعب في تكوين جبهة التحرير الوطنية التي ترأسها. وتلك قصة أخرى سيأتي الحديث عنها.

(٤) دور الحزب في نشر قضية اليمن الجنوبي المحتل في بريطانيا نفسها وبالذات دور عبدالله الأصنج الذي كوّن علاقة وثيقة مع مؤتمر نقابات العمال البريطاني وحزب العمال البريطاني، وبعض رجال الصحافة والإعلام.

(٥) دور الحزب في الأمم المتحدة، ويمثلها في ذلك الأستاذ محمد سالم باسندوه وقد كتب كتاباً حافلاً عن دور الحزب في الأمم المتحدة وقضية الجنوب وقدم له محمد حسنين هيكل وكلوفيس مقصود لاهتمامهم بهذا الكتاب المرجع والموثق في بابه.

الحركة العمالية ونقابات العمل في عدن

وضع العمال في عدن قبل النقابات

في بداية الأربعينات من القرن العشرين أصدرت وزارة المستعمرات توجيهاتها لإصدار تشريعات تخصّ العمل والعمل النقابي، وذلك تحت توجيهات ورعاية اللورد باسفيلد (Lord Passfield).

وفي سنة ١٩٤٢م صدر أول قانون في عدن للنقابات والمنازعات العمالية، وهو الذي يحدّد شروط تسجيل النقابات، ومنح الامتيازات العادية لها. ولكن لم تُسجَّل أي نقابة في عدن حتى عام ١٩٥٢م عندما بدأت بوادر تسجيل النقابات[١].

وسبب ذلك أنه لم يكن هناك عمال يقيمون في عدن إلا مجموعات صغيرة. وكان غالب العمال يأتون من الشمال اليمني وبالذات من منطقة الحجرية ويعملون لمدة ثلاثة إلى ستة أشهر ثم يعودون إلى قراهم حيث يكملون زراعة أراضيهم. وكان لكل مجموعة من العمال وكيل من قريتهم، أو على الأقل منطقتهم، ويُسمى المُقدَّم. وهو الذي يتفاوض مع الشركة لاستقدام عدد محدَّد من العمال فيستقدمهم ويرتِّبْ لهم أمر مواصلاتهم وقدومهم وسكنهم، وهو سكن بسيط حيث يعيش مجموعة منهم في غرفة واحدة أو يسكنون في المقاهي التي توفر لهم الطعام والأسرّة (الكروايت وهي مجدولة بالحبال) وخاصة في موسم الصيف حيث ينامون في الشارع، وذلك كله بترتيب المقدّم. وهو الذي يدفع لهم أجرة السكن والأكل ثم

(١) Trevaskis K.: *The Shades of Amber*, p155 + footnote

يستلم ذلك كله من صاحب العمل. وقبل سفرهم يُعطي كل عامل نصيبه من الأجر، ويأخذ هو الباقي في مقابل عمله، كما أنه هو الذي يتفاوض مع صاحب الشركة. وعرف هذا النظام بنظام (الصرنج)[١].

وقد أشرنا من قبل أن السياسة البريطانية منذ الاحتلال عام ١٨٣٩م كانت تستقدم العمال والموظفين والجنود من الهند لأن عدن كانت تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، والتي كانت تحكم من بومباي. وكان التاج البريطاني يشرف عليها ويحكم عموم الهند من دلهي. وعندما رأت بريطانيا أن الهند تطالب بالاستقلال وأن استقلال الهند لا بد آت قامت عام ١٩٣٢م بتحويل عدن من مسؤولية بومباي إلى دلهي. ثم قامت بتحويلها إلى وزارة المستعمرات عام ١٩٣٧م.

ومنذ ذلك الحين بدأت حكومة عدن تقلّص استجلاب الأعداد الكبيرة من الهنود لأنهم بدأوا يطالبون بضم عدن إلى الهند باعتبارها مدينة هندية؟!! وتابعة للهند البريطانية.

ومما يدلّل على ذلك وصف الرحالة اللبناني الأميركي الجنسية أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» لعدن التي زارها عام ١٩٢٤م حيث يقول عن سكانها ومهنهم:

«يتولى اليهود التجارة والصيرفة، وهنودها هاجروا إليها قبل الاحتلال البريطاني (كان منهم عدد قليل جدًّا قبل الاحتلال، ولكنهم تكاثروا بعد الاحتلال). وهي تقسّم إلى قسمين: عدن الفحم (كانت البواخر تستخدم الفحم وكانت مخازن الفحم في جحيف وعمال الفحم يُسمون كوليه (Coalers) أي الفحّامين)، والحصون (وكانت عدن تُسمى القلعة (Forte) لكثرة التحصينات) والسياسة، وهي كلها في التواهي. وعدن التجارة والموبقات،

(١) عادل رضا: تطور ومسار الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية، ص ١٢٠.

وتُدعى كامب أي المعسكر. في التواهي توجد كل شعوب الأرض والأديان (سكان عدن أربعون الفاً آنذاك)، فيها المسلم الذي يصلّي لله، والبارسي (الزرادشتي المجوسي) الذي يُصلي للشمس. والبنيان (الهندوسي) الذي يصلّي للأوثان، والمسيحي مكرّم الصور والصلبان، والإسماعيلي صاحب صاحب الزمان، واليهودي مُسبِّح الذهب الرنّان، وفيها من يغسلون ويكفِّنون موتاهم، ومن يحرقونهم، ومن يحملونهم إلى برج السكينة لتأكلهم النسور والعقبان. وعندما زارها لاروك عام ١٧٠٩م لم يكن فيها غير الإسلام وحفنة من اليهود والبنيان. أما عدن الثانية فتكثر فيها الثكنات والعساكر ولذا سُمّيت بالكامب»[١].

ومنذ عام ١٩٣٩م بدأ استقدام العمال من الشمال اليمني ونادراً من المحميات وبدأ نظام المقادمة (الصرنج)، ولهذا عندما فرضت وزارة المستعمرات إيجاد نظام للنقابات عام ١٩٤٢م لم تُسجِّل أي نقابة حتى عام ١٩٥٢م و١٩٥٥م. وبحلول عام ١٩٥٩م تم تسجيل ٤٩ نقابة وذلك لحدوث تغييرات ديموجرافية كبيرة، بسبب استقدام عشرات الآلاف من العمال (من الشمال اليمني والمحميات). وكان هؤلاء - على عكس من سبقهم - يستقرّون في عدن وذلك لوجود مشاريع متتالية وأهمها:

(١) مشروع بناء المصافي في البريقة منذ عام ١٩٥٢م والذي افتتح عام ١٩٥٤م والذي احتاج لأكثر من عشرة آلاف عامل.

(٢) عمال البناء: وذلك بعد أن استقر آلاف الجنود البريطانيين العائدين من السويس (اتفاقية الجلاء عن السويس عام ١٩٥٤م) واضطرت بريطانيا لبناء آلاف المساكن لهم ولعائلاتهم في خور مكسر والمعلا والبريقة. ثم عاد عدد كبير

---

(١) أمين الريحاني: «ملوك العرب»، ص ٤٠٣ – ٤٠٥.

من الجنود وعائلاتهم من قبرص ومن كينيا. وقررت الحكومة البريطانية أن تكون عدن هي القاعدة العسكرية الأولى لها خارج بريطانيا. وقد بلغ عدد الجنود وعائلاتهم أكثر من ثمانين ألف. ولا شك أن هؤلاء يحتاجون لخدمات كثيرة. لهذا كان عمال البناء أكثر فئات العمال تواجداً في عدن.

(٣) عمال الميناء: حيث توسع الميناء عدة مرات وتمّ استيعاب آلاف العمال في الميناء.

(٤) الشركات الغربية الكبيرة مثل (B. P.) وشل ولوك توماس وغيرها، وشركة البس (فرنسية محلية)، وشركة كواجي (بارسي محلي) وغيرها من الشركات والأعمال الخدمية التي استخدمت أيضاً آلاف العمال.

(٥) الأعمال الحرّة وتجارة المفرّق: وتستخدم عدداً كبيراً من العمال والموظفين الصغار وأعمال حرّة يقوم بها من بيع وشراء بكميات صغيرة.

ويقول توم هيكنبوتم، حاكم عدن (١٩٥١ – ١٩٥٦م) في كتابه عدن(١):

إن عدن منذ احتلالها عام ١٨٣٩م وحتى بداية الثلاثينات كانت تعج بالموظفين والعمال والجنود الهنود (أغلبهم من الهندوس). **ويقول إنه عندما قدم إلى عدن لأول مرة – في الثلاثينات من القرن العشرين – كان الوضع مزرياً، ولم يكن هناك حقّ التقاعد** (المعاش) **أو التعويض عن الإصابة أو المرض. والأجور لا تكاد تكفي للطعام والسكن البسيط جدًّا. ولم تكن هناك أي إجازات على الإطلاق. وعلى العمال أن يجدوا طرقاً لسكنهم على حسابهم الخاص أو يسكنون في الشوارع والمقاهي حيث ينامون على الأسرّة المجدولة، وخاصة في الصيف. وكانت سلطات صاحب العمل مطلقة يتحكم فيها بالعمال كما يشاء.**

وكان عمال الفحم وتنزيل وتطليع البضائع من السفن يعيشون تحت

---

(١) Tom Hickinbotham: *Aden*, London,1958 , pp 182 – 191

سقائف (جمع سقيفة) **طويلة تتسع للعشرات منهم بطريقة مزعجة، وتعاني من الازدحام، وعدم وجود أماكن للاغتسال أو حتى قضاء الحاجة، وعليهم أن يذهبوا إلى ساحل البحر للاغتسال وقضاء حوائجهم فهو قريب منهم. وكان هؤلاء العمال المساكين يعودون بعد مغيب الشمس إلى هذه السقائف ويرتمون على الأرض مع فرش بسيط ليناموا إلى الفجر عندما يقومون ليعاودوا عذاباتهم من جديد.**

وحتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م) لم يحدث تحسّن في الأحوال المعيشية وازدادت أزمة السكن حدّة بسبب مشروع تخطيط المدينة (Town Planning Scheme) **الذي شلّ حركة البناء تماماً لمدة سنتين دون أن يقدّم أي فائدة لسكان المستعمرة، وجعل أزمة السكن تتفاقم حتى شملت الموظفين وليس العمال فقط.**

ويقول **هيكنبوتم**: عندما قدمتُ للعمل في أمانة الميناء (تولى رئاستها) قامتْ الحكومة بتحديد الحدّ الأدنى للأجور بسبعة شلنات الذي صدر في الأربعينات (١٩٤٨م) من القرن العشرين (بعد الحرب العالمية الثانية). وبقيت مشاكل الأجر الإضافي في ساعات العمل الإضافية، واستخدام الأطفال وعدد ساعات العمل الأسبوعية بـ٤٨ ساعة فقط، ولكن بدأت الدراسة لإصدار قوانين حولها.

وبدأت **دراسة مشكلة السكن**. ويقول إنه بدأ يفرض لعمال أمانة الميناء حقّ التداوي هم وعائلاتهم (وفّرنا طبيبة نساء للعائلات. ووضعنا نظام التقاعد ثم قلّدتنا بعض الشركات الكبيرة). وبحلول عام ١٩٥٤م أعطي العمال والموظفون إجازة سنوية مدفوعة الراتب. وفُرض نظام للتقاعد.. وشعر العمال بأن لهم حقوقاً وبدأوا يطلبون المزيد منها. وبدأت الإضرابات العمالية في الشركة الإيرانية الإنجليزية لمستودعات الزيت (البترول الذي بدأ استخدامه بدلاً من الفحم).

وقامت الحكومة بتكوين إدارة للعمل والضمان الاجتماعي، وأصدرتْ قوانين للسلامة في مكان العمل مما أثار غضب أصحاب العمل والشركات، وخاصة أولئك الذين كانت مبانيهم تعرّض العمال والموظفين للمخاطر.

وفي عام ١٩٥٦م **قام هيكنبوتم** ببناء مساكن للعمال وذوي الدخل المحدود في القلوعة في المعلا وقريباً من جحيف، مكونة من ١٥٠٠ شقة، «وابتدأنا بموظفي الدولة ثم موظفي أمانة الميناء»، وصار أمراً معتاداً أن تقوم الشركة أو أصحاب العمل بإيجاد سكن مناسب للموظفين والعمال الدائمين. وأقامت الدولة أكثر من ألف شقة في الشيخ عثمان لتخفيف الضغط على المساكن. وكانت هذه الشقق تؤجر بإيجارات معقولة جدًّا بالنسبة للجميع بمن فيهم ذوي الدخل المحدود. ولكن بقيت علاقة العمال وأصحاب العمل متوترة. وكانت أغلب الشركات وأصحاب العمل لا تلقي بالاً لهؤلاء العمال. ويقول إنه حاول أن يُفهم أصحاب العمل والشركات بأهمية تحسين علاقتهم بالعمال والموظفين وهو جزء من التحديث لصالح العمل نفسه.

وفي هذه الفترة بدأت الإضرابات العمالية تزداد. وقد غادر هيكنبوتم عدن ١٩٥٦م بانتهاء فترة عمله وإحالته إلى التقاعد وعودته إلى لندن. وفي ذلك العام كان هناك ٧٢ إضراباً نتج عنها فقدان **٢٠٩,٧٩٠** يوم عمل. وانخفضت الإضرابات عام ١٩٥٧م وعام ١٩٥٨م بسبب إغلاق قناة السويس وتوقف العمل نسبيًّا في الميناء وانخفاض أعمال تحميل وتفريغ السفن، وما تبعه من نقص في ميدان العمل.

لهذا، كانت الإضرابات عام ١٩٥٧م لا تزيد عن ١٢ إضراباً فقط، فُقد فيها ٢٠٥٦ يوم عمل. وزادت عام ١٩٥٨م عندما بدأت قناة السويس تُفتح للملاحة وصارت ٢٥ إضراباً بفقدان ٧٨١٨ يوم عمل. وفي عام ١٩٥٩م زادت الإضرابات إلى ٨٤ إضراباً بفقدان **١٤٨,١٨٣** يوم عمل. واستمرت على

هذه الوتيرة إلى الستينات من القرن العشرين وإلى ما قبل الاستقلال عندما بدأت الشركات ورجال الأعمال والبنوك يغادرون عدن بعد ازدياد العمليات القتالية والتي كانت الإدارة البريطانية تسميها أعمالاً إرهابية.

تكوين المؤتمر العمالي

وشهد عام ١٩٥٦م تجمع سبع نقابات وتكوين مؤتمر عدن للنقابات (Aden Trade Union Congress ATUC). وكان طلائع هذه المجموعة الأستاذ عبد الله الأصنج، والشهداء (علي حسين القاضي وصالح محسن وعبدالله السلفي) وعبده خليل سليمان ومحمد سعيد مسواط ومحمد عبده نعمان ومحمد سالم علي عبده والسيد زين صادق ومحمد أحمد زليخي وعبد القادر الفروي.

واستطاعت هذه المجموعة أن تطور المؤتمر والنقابات. **وفي عام ١٩٥٧م انضم المؤتمر العمالي إلى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرّة، وأقام الأستاذ الأصنج علاقات قوية مع مؤتمر نقابات العمال في بريطانيا ومع حزب العمال نفسه. وفي عام ١٩٦٠م انضم المؤتمر العمالي في عدن إلى الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب. وفي عام ١٩٥٩م تم تسجيل ٤٩ نقابة في عدن.** وانضمت ٣٠ نقابة إلى المؤتمر العمالي. وفي عام ١٩٦٠م تم تجميع هذه النقابات في ثمان نقابات كبيرة[1].

وكانت ثورة العمال في مارس عام ١٩٥٦م قوية ومذهلة. وهدّدت الشركات بأنها ستقفل أبوابها وترحل إلى جيبوتي أو غيرها، وأن اقتصاد البلد سينهار وسيجد العمال أنفسهم عاطلين، ولكن العمال والنقابات استمرت في الإضرابات وحققت انتصارات كبيرة للعمال.

(١) تعرف باتحاد نقابات مثل اتحاد نقابات عمال البنوك واتحاد نقابات المواصلات واتحاد نقابات البترول واتحاد نقابات المعلمين واتحاد نقابات عمال الحكومة والحكومات المحلية.

ونتيجة قفل قناة السويس أواخر ١٩٥٦م قلّت الأعمال بالفعل وانخفضت الإضرابات العمالية إلى ١٢ إضراب فقط عام ١٩٥٧م. وعندما عادت الأعمال عام ١٩٥٩م زادت الإضرابات إلى ٨٤ إضراباً.

ورغم المحاولات المستميتة من الشركات وفي أحيان كثيرة أيضاً من الإدارة البريطانية في إيقاف تيار الإضرابات، واتهام القائمين عليها بأنها مُسيّسة وأنها ليست نقابية ولا عمّاليّة، وإنما تهدف لأغراض سياسية، **ولهذا أعلنت الحكومة في أواخر ١٩٦٠م فرض قانون التحكيم الإجباري قبل السماح للنقابة بالإضراب. وعللوا ذلك بأن القضية يجب أن تكون عمّالية، وأن تعرض على لجنة تحكيم حكومية، فإذا فشلت جهود التحكيم يمكن آنذاك اللجوء إلى الإضراب، وأما الإضرابات لأغراض سياسيّة مثل حق الانتخاب في المجلس التشريعي وغيرها من الأغراض السياسيّة فهي ممنوعة منعاً باتاً بنصّ القانون.**

واستطاعت النقابات أن تحسّن أوضاع العمال وأن تضاعف لهم أجورهم وأن تعيد لهم حقوق نهاية الخدمة والإجازة السنوية، وحقّ التداوي والعلاج المجاني للعامل أو الموظف وأسرته، وتحديد ساعات العمل والأجر الإضافي لما يزيد عنها.

وقامت النقابات – في مواجهة قانون التحكيم الإجباري – بمزيد من الإضرابات وكانت هناك صحيفة لشؤون العمال هي العامل ١٩٥٦م (مع أن الصحف الأخرى كلها كانت تهتم بشؤون العمال والإضرابات). وكان **يرأس تحريرها عبده خليل سليمان.** ثم ظهرت محلها **صحيفة العمال، وهي صحيفة يومية، ورأس تحريرها محمد سعيد باشرّين، وأقفلت في عهد الاستقلال!!**

وقامت الحركة العمالية وقادتها بتوعية العمال بالقضايا الوطنية والمشاركة فيها، فشاركوا في المظاهرات والإضرابات ضد المجلس التشريعي، وضد الإدارة

البريطانية وضد الاتحاد الفيدرالي..إلخ.

واضطر المؤتمر العمالي، بعد أن تلقّى نصائح متعدّدة من حزب العمال البريطاني ومؤتمر نقابات العمال في بريطانيا وبروكسل وغيرها من البلدان، أن يقيم تنظيماً سياسيًّا منفصلاً عن المؤتمر لكي يهتم بالقضايا السياسية النضالية. وهو ما تم بالفعل في يوليه ١٩٦٢م بإنشاء حزب الشعب الاشتراكي الذي سبق الحديث عنه. كان عدد العمال في عدن عام ١٩٤٦م محدوداً (٨٢٠٠) عامل ولكنه ارتفع كما يلي:

القوى العاملة في عدن

وكانت القوى العاملة في عدن عام ١٩٥٩م حوالى ٦٢,٠٠٠ كالتالي:

١- حركة الميناء	٥,٦٠٠
٢- أعمال البناء	١٠,٠٠٠
٣- الحكومة والعمال في القوات المسلحة	١١,٦٤٠
٤- الخدمات الفندقية والمنزلية والمطاعم	٢١,٠٠٠
٥- مصافي الزيت	١,٧٠٠

[وهم العمال الدائمون لشركة المصافي. وأما في مرحلة البناء (١٩٥٢-١٩٥٤م) فقد تجاوز عددهم عشرة آلاف]

٦- تجارة التفاريق والتوزيع	٧,٠٠٠
المجموع	٦١,٩٤٠

منهم ٢٤٠٠٠ من مواليد عدن والبقية من الشمال (ويشكلون ٤٩٪ تقريباً) والمحميات (أقل من ٢٠ بالمئة).

وكان عدد العمال المسجلين والمشتركين في النقابات هو ثلث العدد الإجمالي للعمال (**٢١,٥٠٠**) عامل، وفي عام ١٩٦٢م زاد عدد العمال في عدن حتى وصلوا إلى **٨٠,٨٩٩** عامل وفي عام ١٩٦٥م زاد العدد إلى **٨١,٩٧٥** عامل ولكن ما أن حلَّ عام ١٩٦٧م حتى انخفض العدد إلى **٤٦,٤٢٢** والسبب هروب الشركات بسبب زيادة أعمال العنف في عدن واتضاح أن الوضع القادم سيحارب الاستثمار والشركات والبنوك، وهذا ما أدى إلى فرار هذه الشركات والتجار. واضطر العمال من اليمن الشمالي والمحميات إلى العودة إلى قراهم بعد فقد أعمالهم. وزاد ذلك بصورة حادة بعد الاستقلال مباشرة.

ظروف نشأة ونمو المؤتمر العمالي(١)

قادت الجبهة الوطنية المتحدة المعارك الوطنية وخاصة معارضة انتخابات المجلس التشريعي لعدن عام ١٩٥٥م. ولم تستطع الجبهة الوطنية المتحدة، رغم تأثيرها الإيجابي على الحركة الوطنية، أن تمتص وتستقطب ما عداها من التنظيمات وأن تفرض قيادتها الشاملة. وقد تمكنت الحركة العمالية من خلال المؤتمر العمالي من الإسهام بدور فعال، على الصعيدين النقابي والسياسي، في مواجهة الاستعمار والرجعية العربية وخاصة أن أكثر قيادات الجبهة الوطنية المتحدة كانت تعمل أيضاً من داخل الحركة العمالية.

وقد كانت الظروف التي نمت في ظلها الحركة العمالية في عدن مواتية مكنتها من القيام بدور قيادي للحركة الوطنية في اليمن الجنوبي. وأبرز تلك الظروف ما يلي:

(أ) على الصعيد الداخلي: نجد أن قيادة الحركة العمالية قد بدأت مع ضمور

---

(١) د. أحمد عطية المصري: تجربة اليمن الديمقراطية (١٩٥٠ – ١٩٧٢م)، ص ١٤٥ – ١٤٧، مع حذف يسير.

حزب الرابطة وفقدانه لموقعه القيادي في الحركة الوطنية، ثم عدم استمرارية قيادة الجبهة الوطنية المتحدة، رغم نجاحها السابق، في إفشال انتخابات عام ١٩٥٥م في عدن.

وقد أعطت المعارك التي دخلتها الحركة العمالية ضد الاستعمار والرجعية والتفاف كثير من أطراف الحركة الوطنية حولها، أعطت قيادة العمال دفعة جديدة لترسيخ أقدامها.

وكان تشغيل مصفاة البترول في عدن عام ١٩٥٥م بمثابة حدث عام حيث غذى الحركة العمالية بمزيد من العمال وخاصة من الشمال وبنوعية جديدة من العمال تختلف عن عمال الخدمات، وهم عمال الصناعة.

كما أدى استمرار تدفق العمال من الشمال ومن المحمية إلى عدن بحثاً عن فرص جديدة إلى تغيير التركيب الاجتماعي للمستعمرة وإلى وجود تركيب عمالي في صالح الوحدة اليمنية بدلاً من الإحساس بالعدنية والانفصالية الذي ساد المستعمرة.

وأدت سياسة بريطانيا لتشجيع هجرة العمال من مستعمراتها إلى عدن إلى إثارة قضية يلتف حولها العمال العرب وبقية أطراف الحركة الوطنية، وهي المطالبة بوقف الهجرة إلى عدن على أساس أنها تضر بمصالح العمال وتضر بالحركة الوطنية في نفس الوقت لأن مخطط بريطانيا كان يهدف إلى طمس عروبة المستعمرة.

وأخيراً أدى سوء الحالة المعيشية للعمال إلى إيجاد حافز للصراع في مواجهة الاستعمار وأصحاب الأعمال المستغلين.

(ب) وعلى الصعيد العربي، نجد أن ثورة ٢٣ يوليو من عام ١٩٥٢م قد ركزت أقدامها وأنجزت عدة خطوات جذرية في صالح الجماهير ووصل تأثير

الثورة إلى كافة أجزاء الوطن العربي وخاصة عدن وهي أبرز البؤر الثورية في اليمن الجنوبي.

وألهب قيام الوحدة بين مصر وسوريا حماس الجماهير عام ١٩٥٨م بعد معارك الثورة في مصر في مواجهة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م. كما أدى قيام اتحاد الدول العربية – مصر سوريا واليمن – إلى موقف دعم من فكرة الوحدة وخاصة اليمنية رغم مردوده السلبي في نفس الوقت لأن الاتحاد تم بين نظامين مختلفين وأحرج المعارضة التي كانت تواجه الإمام.

كما ساهمت القرارات الاشتراكية التي اتخذت في ج.ع.م. والدول العربية الأخرى والعناية الواضحة بمطالب الطبقة العاملة، إلى عدم إحساس الطبقة العاملة بوجودها وقدراتها ومسؤولياتها.

وهناك الدور الخاص الذي ساهمت به إذاعة «صوت العرب» من القاهرة، وشخصية جمال عبد الناصر والقضايا التي أثارها في مواجهة الاستعمار البريطاني.

ومن أبرز عناصر المناخ الذي تحركت في إطاره الطبقة العاملة، بل الحركة الوطنية كلها، كان قيام ثورة ٢٦ سبتمبر في الشمال عام ١٩٦٢م ووجود القوات المسلحة العربية للجمهورية العربية المتحدة دعماً للثورة رغم أن هذا العامل يتصل بالدرجة الأولى بظروف قيام ونمو حزب الشعب الاشتراكي الذي اعتمد أساساً على الطبقة العاملة.

وننقل ها هنا ما ذكره د. أحمد عطية المصري في كتابه تجربة اليمن الديمقراطية (ص ١٥٠ – ١٥٢) مع حذف واختصار.

أبرز أهداف ومبادئ الحركة العمالية في عدن:

(أ) إن الحركة العمالية معادية للاستعمار وتطالب بجلاء قاعدته العسكرية من عدن ووجهت النظر إلى المخطط الاستعماري البريطاني في المجال العسكري

وأن بريطانيا تجهز قاعدتها في عدن لتصبح لها كفاءة ضد الهجوم الذري[(١)].

(ب) الدفاع عن الحركة العمالية وحقوق العمال في مواجهة الاستعمار وأرباب الأعمال وخاصة بالنسبة لمحاولة الاستعمار حرمان العمال من حق الإضراب[(٢)].

والإيمان بأن محاربة الاستغلال والإقطاع والاحتكار أمر ضروري لإرساء حياة اشتراكية فعالة[(٣)].

(ج) شجب المحاولات الدستورية التي تزور إرادة الشعب اليمني شمالاً وجنوباً والتأكيد على الوحدة اليمنية[(٤)]. وشجب تآمر الرجعية في اليمن المتوكلية. وتوجيه النظر إلى ما يعانيه الشعب في الشمال من طغيان تحت ستار الدين الإسلامي[(٥)]. ومحاربة العناصر المشبوهة التي تخشى نمو الطبقة العاملة وهي: الموظفون ذوو الرواتب الخيالية، التجار المغامرون، حكام الجنوب، وحفنة من رجال الدين تواطأت مع المستعمر وحفنة أيضاً من المقاولين[(٦)].

الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة

خاضت الحركة العمالية معركة بارزة في مواجهة قوة الاحتلال والشركات الإحتكارية في سبيل تكوين النقابات، ثم استطاعت قيادات العمال والنقابات من إقامة المؤتمر العمالي وهو القيادة المنظمة للحركة التي ساهمت في تحقيق كثير

---

(١) عبد الله الأصنج: حركتنا العمالية، المؤتمر العمالي، ص ١١. انظر كذلك:
Aden T.U.C; *A Curtain Raiser to Repression*, op. cit. p17

(٢) المؤتمر العمالي: معارك ضد الاستعمار والرجعية، نشرة المؤتمر، عدن ١٩٦١م، ص ٥.

(٣) عبد الله الأصنج: حركتنا العمالية، المؤتمر العمالي، ص ٤٦.

(٤) Aden T.U.C.; *A curtain..*, op. cit., p17

(٥) المؤتمر العمالي: معارك ضد الاستعمار والرجعية، نشرة المؤتمر، المرجع السابق، ص ٤.

(٦) المؤتمر العمالي: وراء الحقيقة، نشرة المؤتمر، المرجع السابق، ص ٢ – ٣، ٢٠، ١٣.

من المطالب العمالية[١]. ولم يتحقق ذلك، وخاصة قيام المؤتمر العمالي بسهولة أو بمجرد الخطب والنشرات، بل عبر حركة ثورية قوية في مارس ١٩٥٦م في مواجهة هراوات ورصاص سلطة الاحتلال ومزيد من التعسف والطرد من العمل. ولم تُجْدِ القوة أو التعسف الاستعمارية في مواجهة تصميم العمال فتحقق لهم الكثير من الحقوق مثل زيادة الأجور وتخفيض ساعات العمل وضمان الاستقرار وغيرها من المكاسب[٢].

وفي عام ١٩٥٨م لاحظ المؤتمر العمالي أن المستعمر قد عاد وفتح أبواب الهجرة إلى عدن، الأمر الذي هدد العمال في أعمالهم وأدى إلى تزايد الأسعار، وترتب على هذه السياسة الاستعمارية أن أعلنت القيادة العمالية الإضراب وشارك العمال في هذه الاحتجاجات قطاعات أخرى من أبناء المدينة. وقد نجح الإضراب في الحد من الهجرة إلى عدن[٣].

وشهد عام ١٩٦٠م معركة أخرى ضارية بين الحركة العمالية وبين سلطة الاستعمار التي سنت قانون العلاقات الصناعية الذي يمنع استخدام الإضراب من قبل العمال. وقد تمكن المستعمر من استخدام قطاعات أخرى في إنجاح محاولته ومنها التجار العرب والأجانب، وللأسف بعض رجال الدين. ولم يتوان المؤتمر في مهاجمة المستعمر والقطاعات التي أيدته ونقل الأزمة إلى الصعيد العمالي والسياسي والعالمي وحصل على تأييد المنظمات العمالية الأخرى ومنها المؤتمر البريطاني للنقابات واتحاد عمال هرجيسة والاتحاد العالمي للنقابات – تشيكوسلوفاكيا[٤]، والتنظيمات العمالية العربية.

---

(١) فاروق غلاب، ص ١١.
(٢) اتحاد العمال العرب: نشأة الحركة العمالية، ص ٩ – ١١.
(٣) اتحاد العمال العرب، نشأة الحركة النقابية، ص ١٣ – ١٤.
(٤) المؤتمر العمالي، وراء الحقيقة، نشرة المؤتمر عام ١٩٦٠م، ص ١٠ – ١٦.

ورغم وسائل القهر التي استخدمها الاستعمار في مواجهة الحركة العمالية، فقد استخدمت الحركة كل الوسائل، وأهمها الإضراب، للاحتجاج على تدابير القمع التي أريد بها إسكات صوت العمال، فقد احتج العمال على محاكمات الاستعمار لأعضاء النقابات وسجنهم ونفي بعضهم وإغلاق صحيفتهم في عدن. وخلال عدة سنوات أصبح المؤتمر العمالي في عدن أقوى تنظيم عمالي في شبه الجزيرة العربية(١).

المظاهر السياسية لمؤتمر عدن للنقابات (٢)

في ١٩٥٨م أصبح قادة مؤتمر عدن للنقابات منشغلين بازدياد بالشؤون السياسية غير المتعلقة بالحركة العمالية.. وقد انبثق مؤتمر عدن للنقابات نفسه في الأصل عن منظمة سياسية عرفت باسم الجبهة الوطنية المتحدة تشكلت في ١٩٥٥م لغرض مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي التي كانت توشك أن تقع. وفي سنة ١٩٥٨م قامت جريدة مؤتمر عدن للنقابات (العامل) بحملة عنيفة تسب فيها الحكومة. وعندما قدم عضوان من اللجنة التنفيذية مسؤولان عن هذه الجريدة للمحاكمة لامتهان المحكمة.. فسّر مؤتمر عدن للنقابات ذلك بأنه هجوم على الروح النقابية ونادى بإضراب ساعة واحدة قبل سماع القضية.

وفي اليوم التالي، عندما أعلنت الأحكام، وقعت حوادث شغب نتج عنها مصرع ستة أشخاص ولحق بالممتلكات ضرر يقدر بستة عشر ألف جنيه. ومع أن الشغب كان من عمل الأقسام الأقل استقراراً من السكان العاملين فقد وصفها مؤتمر عدن للنقابات بأنها إظهار لموقف العمال من الحكومة.. وبعد

---

(١) Aden, T.U.C.; *A Curtain..,..*, pp12 – 13

(٢) عادل رضا: تطور ومسار الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية (ص ١٣٨ – ١٤١م) وقد نقلناه بنصه لأهميته ووضوحه مع تعديل طفيف لبعض العبارات المبهمة والغامضة.

أعمال الشغب ركز مؤتمر عدن للنقابات كل قواه في تنظيم مقاطعة لانتخابات المجلس التشريعي التي جرت في ديسمبر سنة ١٩٥٨م. ومنذ سنة ١٩٥٩م امتنع مؤتمر عدن للنقابات عن الاشتراك في المنظمات القانونية والاستشارية وكرّس جهده في الاجتماعات العامة وعن طريق صحيفته للدعوة إلى عدم التعاون مع الدستور الحالي وجميع مرافقه وإلى سوء تفسير السياسة والدوافع الرسمية. وفيما يخص العلاقات العمالية فقد كان أشد خطورة من ذلك القذف المتواصل في حق أرباب الأعمال بصورة متعمدة كجزء من حملة سياسية. فقد ثبت أن من الصعب إذا لم يكن من المستحيل تطور الثقة المتبادلة التي يجب أن تركز عليها الطريقة الاختيارية للتفاهم الجماعي.

دور إدارة العمل الحكومية والتطورات العمالية الأخيرة

وقع في عدن ٨٤ إضراباً عام ١٩٥٩م، أحيل ٦٨ منها إلى إدارة العمل بعد أن أعلن الإضراب. وأن دور الحكومة كمرشد في منوال التفاوض وكعامل على التوفيق لا يمكن القيام به في هذه الظروف إلا تحت صعوبات قصوى. ومع ذلك فقد تمكنت إدارة العمل من الاشتراك في ٢٣ من ٢٣ نزاعاً لم تشمل توقفاً في العمل.. في عام ١٩٥٩م وقع أكبر عدد من المنازعات والإضرابات في الميناء وكان ٨٣ من ٨٤ إضراباً قد نادت بها ثلاث نقابات. وكان أشدها خطورة، بسبب أثرها على اقتصاد عدن وسمعتها، ذلك الذي وقع في شركة الزيت البريطانية (عدن) المحدودة وهي الشركة الرئيسية في تزويد السفن بالوقود. وقد نودي بالإضراب لمساندة المطالب بأحوال خدمة أفضل ودام ٣٤ يوماً. وقد حدث في هذا الوقت أن انضم مؤتمر عدن للنقابات إلى الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب.

وفي سنة ١٩٦٠م كان أشد الإضرابات خطورة الذي وقع في مصافي شركة الزيت البريطانية في عدن الصغرى. ودام الإضراب عشرة أسابيع وشمل

١٧٠٠ عامل وأدى إلى خسائر فادحة في الأجور والإيرادات، ومع أن العمل قد استؤنف فيما بعد فلم يحرز أي تقدم في الوصول إلى تسوية للنزاع.

المستشار الخاص في الشؤون العمالية

وفي ديسمبر سنة ١٩٥٩م وإزاء التدهور السريع في العلاقات العمالية، أصدرت الحكومة بياناً تعيد فيه تأكيد سياستها التي أعلنت عنها في يونيه ١٩٥٧م وتدرجت إلى وصف إجراءات خاصة لمعالجة الموقف الخطير، وذلك بقبولها على أساس أكثر دواماً للمبادئ التي عبرت عنها في سنة ١٩٥٧م...

قررت الحكومة وهذا الغرض نصب عينيها، أن تنجز تعيين مستشار خاص في الشؤون العمالية سيدعى للوصول إلى عدن من المملكة المتحدة ليقوم بالتشاور مع أرباب العمل ونقابات العمال. باستعراض جهاز العلاقات العمالية في البلاد. والملموس أن هذا الاستعراض سيؤدي على الأقل إلى وصول الطرفين إلى تفهم أفضل للمشاكل التي تجابههم. وعلى أحسن حال إلى نظرة متجددة أكثر فائدة من قبل الطرفين نحو هذه المشاكل. وترغب الحكومة في البداية أن تزيل أية مخاوف بأن هذا القرار ليس محاولة للتدخل في الحقوق المقبولة لكل من العمال وأرباب العمل في تنظيم أنفسهم بالصورة التي ساروا عليها حتى الآن. بل إن القصد هو القيام - بقدر الإمكان - بتصفية المسائل الصعبة التي تؤثر على العلاقات بين هاتين المجموعتين، والتي كانت تظهر بصورة محزنة من عدد المنازعات والإضرابات التي يعلم بها الجمهور تمام العلم، والتي أثَّرت على اقتصاد عدن لأمد طويل. ولهذا الغرض دعت الحكومة أرباب العمل الرئيسيين ومؤتمر عدن للنقابات للاشتراك في تشكيل لجنة مؤقتة تكون مهمتها جمع وضم المعلومات المتعلقة بالموقف العمالي والتي تكون في نظر اللجنة ذات فائدة للمستشار الخاص خلال فترة تحقيقاته. إن المسؤولية الرئيسية في المحافظة على السلام في الصناعة يجب أن تكون على عاتق أولئك الذين لهم

علاقة مباشرة. ويقصد من تعيين الحكومة لمستشار خاص مساعدة كلٍّ من أرباب الأعمال والنقابات من القيام بتلك المسؤولية.

وفي فبراير سنة ١٩٦٠م أسندت وظيفة المستشار إلى المستر تي. إي. فالوز وهو نقابي منذ عام ١٩١٨م وموظف نقابي رسمي من عام ١٩٣٤م إلى ١٩٤٨م وأصبح بعد ذلك ضابط علاقات عمالية ومستشاراً صناعياً لسلطة الكهرباء البريطانية لمدة عشر سنوات قبل أن يتولى وظيفة مستشار نقابات العمال لحكومة قبرص. وقد قضى المستر فالوز حوالي ثلاثة أشهر في المستعمرة ساعياً للحصول على تعاون الحركة النقابية وقائماً باتصالات تمهيدية مع أرباب العمل ثم قدم تقريراً مؤقتاً. وتوضح النتائج التي توصل إليها أنه لم يعد بوسع الحكومة أن تقف مبعدة معتمدة على حسن الإدراك العادي والنمو المطرد في الخبرة والثقة بالنفس لبناء علاقات صحيحة بين أرباب العمل والموظفين.

وهكذا تنظر بريطانيا إلى المؤتمر العمالي بعدن. ومن حقنا الآن أن نكشف ذلك النشاط السياسي الذي كان يقوم به المؤتمر العمالي المجيد ويسبب لبريطانيا العظمى إزعاجاً وخوفاً يجعلانها تحارب النقابات في الجنوب وتتآمر على قيادتها وتشرع الكثير من القوانين التعسفية. لتكبيلها باسم القانون.

الخلاصة

إن الحركة العمالية في جنوب اليمن تعتبر القاعدة الشعبية العريضة التي تنمو وتخصب من خلالها القوى الوطنية على كافة اتجاهاتها وميولها الحزبية سياسية أم عقائدية محلية وطنية أو قومية. وبإيجاز فإنه يمكن القول إن كل القوى الوطنية التي تمثل التيارات السياسية في الجنوب تعتبر الوجه السياسي للحركة العمالية.

فالحركة العمالية هي القاعدة التي استمدت منها الحركة الوطنية زحفها

وقوتها ودفعها. ويلاحظ أن الجبهة القومية سعت بعد الاستقلال إلى إعادة تشكيل المؤتمر العمالي من جديد بما يتلاءم والأهداف السياسية والاجتماعية التي تستهدفها الحكومة.

مشروع اتحاد الجنوب العربي

سبق الحديث عن المحميات الشرقية والغربية بتفصيل وافٍ. وتحدّث كثير من المؤلفين الإنجليز من الذين صنعوا هذا الاتحاد (مثل هيكنبوتم وتريفاسكس) أو الذين عايشوه وعرفوا أغواره وأبعاده (مثل توم ليتل وجافن ودافيد ليدجر ودافيد هاليداي) وأجمعوا على الآتي:

سياسة بريطانيا تتغير

(١) إن سياسة بريطانيا في المحميات وخاصة الغربية الممزقة إلى ما يقرب من عشرين سلطنة ومشيخة، ينبغي أن تتوقف مع تغير الظروف العالمية والعربية والمحلية. وأنه إذا أرادت بريطانيا أن تحتفظ بعدن كقاعدة عسكرية وميناء هام فعليها أن تغيّر سياستها في عدن والتي كانت تهدف إلى جعل عدن مثل هونج كونج (منفصلة عن الصين) **أو سنغافورة** (منفصلة عن ماليزيا) **أو جبل طارق** (منفصل عن إسبانيا). **ويجب على بريطانيا أن تضم عدن إلى المحميات في دولة واحدة. وأن يتم ذلك على مراحل حتى يمكن لهذه المجموعات المختلفة أن تتقبل الوضع الجديد.**

(٢) إن سياسة فرّق تسد لم تعد تُجدي، لأن المحميات ممزقة فعلاً إلى أكثر من عشرين مجموعة تحكمها مشيخات وسلاطين مرتبطين بقبائلهم ارتباطاً عضويًّا. ولا بد أن تبدأ سياسة تجميع هذه المشيخات الممزّقة، والمتحاربة أحياناً، في مجموعة واحدة تتحول إلى اتحاد فيدرالي. وكما يقول بطرس غالي (أمين عام

الأمم المتحدة): «**إن بريطانيا تركت سياستها القديمة فرق تسدّ إلى سياستها الجديدة(وحّد تسد)**» [(١)].

(٣) لا بدّ من إدخال تحسينات إدارية على أنظمة الحكم البالية العتيقة في المحميات: يقول هيكنبوتم[(٢)] (حاكم عدن والمحميات من عام ١٩٥١-١٩٥٦م): «**إن الحكم القبلي في المحميات هو حكم أوتوقراطي(autocratic)**»، (أي حكم فردي، وهو لا يزال السمة الغالبة في جميع البلاد العربية حيث يتحكم الحاكم الفرد في جميع أمور الدولة والغريب حقًّا أن النظام الفردي موجود في الجمهوريات ربما أكثر من الملكيات، وموجود رغم وجود برلمانات ومجلس الشعب ومجلس الشورى.. إلخ. وكان هذا هو السبب الأول في حدوث الثورات في عام ٢٠١١م والمستمرة في عام ٢٠١٢م).

«**وأن الناس، حتى في المحميات التي أُهملت إهمالاً تامًّا من الناحية التعليمية، بدأوا يعرفون ما يجري في العالم بسبب دخول الترانزستور وثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢م في مصر وصوت العرب وبروز الدعوة القومية. وسفر مجموعة كبيرة من أبناء المحميات للعمل في عدن (٣٨,٠٠٠ شخص) حيث يوجد نظام ديمقراطي نسبي، وتوجد حقوق للعمال. وتوجد نقابات عمالية وأنشطة سياسية، كما أن بعضهم سافر إلى الخارج لطلب العلم أو حتى للسياحة. ولم تعد المحميات مغلقة**. فهناك العديد من الطرق البرية التي فُتحت (أغلبها ترابية) كما إن الخطوط الجوية العدنية (Aden Airways) فتحت خطوطاً إلى عدة مدن في المحميات في رحلات منتظمة أسبوعيًّا وربما أكثر من مرة في الأسبوع. وبالتالي فإن النظام القديم بدأ في التخلخل وسيزداد هذا الأمر مع مرور الأيام بدون أي

---

(١) Dr. Bourtos Ghali: *The Anglo Yemeni: Dispute. Revue* Egyptienne de droit International,1955, vol 2, p22–23 .

(٢) T. Hickinbotham: *Aden,* pp162 – 164

ريب. وإذا لم يقبل الحكام المحليون إدخال تعديلات الآن، فسوف يواجهون مصاعب جمّة في المستقبل، وربما ثورات عنيفة تقلب كيان المجتمع.

(٤) **احتمال وجود البترول**: وقد يكون البترول موجوداً في واحدة أو أكثر من هذه المشيخات الصغيرة. وليس من المعقول أن تستفيد هذه المشيخة وحدها وتترك جيرانها يتضورون جوعاً ويتسولون المساعدات من بريطانيا أو منها هي.. إذا لم يحدث توزيع عادل لهذه الثروة المحتملة [1] بحيث يستفيد منها الجميع بطريقة عادلة، فإنها ستفاقم المشكلة وتحدث حروباً دامية بين هذه القبائل الشرسة [2].

وقد ذكر هيكنبوتم **أنه قد فكَّر في مشروع يجمع هذا الشتات والمشيخات في اتحاد فيدرالي بحيث يمكن أن تتطور إداريًّا وديمقراطيًّا وتغيّر نظاماً استمرّ مئات السنين وتعودت عليه القبائل والحكام..** [3].

والواقع، أن شيخ القبيلة أو السلطان في معظم الحالات يمثل الأب للجميع، وإذا رأت القبيلة انحرافاً عن هذه الوظيفة يمكنها باجتماع العُقّال (أي الكبار في السن والمهتمين في القبيلة) أن يعزلوه ويولوا غيره (وهو أمر نادر الحدوث). ومع هذا فإن السلطان أو الشيخ يوزّع المكتسبات على أقاربه والرجال الأشداء.. وفي بعض الأحيان كان السلطان نفسه فقيراً ولم تكن له ثروة كبيرة، ما عدا بعض المناطق مثل لحج وأبْين وبيحان والسلطنة القعيطية حيث كان السلطان ومجموعته يتمتعون بثراء بالمقارنة مع بقية الشعب.

(١) تبيّن أن لا وجود للبترول في العهد البريطاني ثم ظهر البترول في شبوة. وكانت حضرموت تنتظر البترول حتى إن محمد جمعة خان غنى أغنيته المشهورة «يا حضرموت افرحي.. بترولك بايجي» أي سيأتي.

(٢) Hickinbotham، المصدر السابق، ص ١٦٢ - ١٦٤.

(٣) المصدر السابق.

(٥) إن الاتحاد سيحمي المحميات من اليمن، كما أن دخول عدن إلى الاتحاد سيعادل التيار العنيف ضد الاستعمار ويوجد قوة عسكرية قبلية تحفظ الأمن وتخفّف من الأعباء على بريطانيا، كما ترد على دعوات الرابطة وغيرها في وحدة الجنوب العربي. ويقول هيكنبوتم أن مشروع الاتحاد الفيدرالي قدّمه السير كيندي تريفاسكس المستشار السياسي للمحميات الغربية مكتوباً. وبعد دراسته بالتفصيل من قبل الإدارة في عدن تمّ رفعه إلى وزارة المستعمرات التي بدورها وافقت عليه. **وكان على هيكنبوتم تقديمه إلى السلاطين والمشايخ في الجنوب، الذين قابلوه ببرود وتشكّك عام ١٩٥٤م.**

وكان لكل مشيخة أو سلطنة ضريبة تفرضها على البضائع التي تدخلها أو تمرّ عبرها، ويكاد هذا أن يكون الدخل الوحيد لها. كما أن ربط المنطقة بالمواصلات والطرق ودخول السيارات يعني فقدان القبيلة لمصدر عيشها، حيث إن البضائع كانت تُنقل عبر الجمال التي تملكها القبيلة. وكان هذا يشكّل مصدراً هامًّا للدخل بالنسبة لها، فإذا تحول الناس والبضائع إلى السيارات التي لا يملكها أفراد هذه القبيلة فمن أين يأتي دخلهم (لديهم زراعة بسيطة جدًّا ومراعي قليلة).

وهكذا إذا ذهبت الضريبة (العشور) على البضائع التي تمرّ بالقبيلة ولم تعد هناك حاجة للجمال وأصحابها، فإن على القبيلة وسلطانها أن يتسولوا. وهذا كان كما يقول هيكنبوتم[١] وتريفاسكس[٢] أحد أهم أسباب رفض فكرة الاتحاد. وأحد أهم أسباب الثورات ضد الإنجليز (انظر ثورة الحموم في حضرموت في السلطنة القعيطية: فصل المحميات الشرقية، والثورات المتعددة في المنطقة الغربية).

---

(١) Hickinbotham, *Aden*, pp166 – 167

(٢) Trevaskis: *Shades of Amber*, pp 28 – 29

مشروع هيكنبوتم

ويلخّص هيكنبوتم المشروع الاتحادي بقوله[1]: «**إن خطتنا كانت بسيطة، نبدأ بمشروع يجمع المحميات الغربية في اتحاد والمحميات الشرقية في اتحاد آخر. وفي الشرقية نكتفي بالقعيطي والكثيري والواحدي** (ونترك في الوقت الحاضر المهرة وسلطانها الذي يحكم من سقطرى أو من قشن لتخلّفها الإداري الكبير بالنسبة للقعيطي والكثيري). كما قررنا عدم إدخال مشيخة بئر علي لصغرها والبعد عن مشاكلها، **وسيكون حاكم عدن المندوب السامي هو المرجع الرئيسي والمسؤول عن كلا الاتحادين بينما يكون المستشار السياسي في الغربية (تريفاسكس) هو المسؤول عن الاتحاد في الغربية والمستشار السياسي في الشرقية (بوستيد) هو المسؤول عن الاتحاد في الشرقية.. وفي فترة لاحقة يتم ترتيب دخول عدن إلى الاتحاد.**

وسيكون هناك مجلس للحكام (أي حكام المحميات). ويعيّن كل سلطان ثلاثة مندوبين للمجلس بحيث يجتمعون بصفة مستمرة باعتبارهم (لجنة عملية)، وأما الحكام فيجتمعون بضع مرات في السنة ليقرّروا السياسة العامة، ويناقشوا أعمال اللجنة العملية (Working Comittee). **ويتكون بعد ذلك مجلس تنفيذي (من الحكام) ومجلس تشريعي** (يُعيّنون أو ينتخب بعضهم ويُعيَّن بعضهم، ولكن في نهاية الأمر سيكونون جميعاً منتخبين). وما تمَّ بالفعل كانوا جميعاً معيّنين.

وفي البداية ستكون السلطة الاتحادية مسؤولة فقط عن الضرائب والمواصلات والتعليم والصحة. ولن تتدخل السلطات الاتحادية في الأمور الداخلية لكل سلطنة أو مشيخة في الوقت الحاضر [2]. **ولكن في المستقبل سيتم إدراج الأمور الأخرى ضمن السلطة الاتحادية.**

---

(١) Hickinbotham: *Aden*, p,165

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٦ – ١٦٩.

والمحميات، وبالذات الغربية، مديونة، ولا بد لها من المساعدات من الحكومة البريطانية وخاصة في المجال الدفاعي ويحتاج ذلك إلى ٨٠٠,٠٠٠ (ثمانمائة ألف جنيه استرليني) **سنوياً**. والمبلغ ليس كبيراً بالنسبة لدافع الضرائب البريطاني (عام ١٩٥٤م). **ولكن سرعان ما زاد المبلغ حتى وصل إلى خمسة ملايين عندما تولى وليام لوس وظيفة المندوب السامي عام ١٩٥٦م والذي أقنع وزارة المستعمرات برفع المبلغ عام ١٩٥٧م وبدأ التنفيذ عام ١٩٥٩م**(١). **وفقدان العشور (الضريبة) لكل سلطنة أو مشيخة يمكن تعويضه من ناحيتين: (الأولى) إيجاد ضريبة اتحادية، و(الثانية) أن تساهم عدن بجزء من دخلها من الضرائب على التبغ والسجائر والمنتجات البترولية. وكل هذه المواد التي سيعاد تصديرها إلى المحميات (الاتحاد) لن تخضع مرة أخرى للضرائب وستحول هذه الضرائب من عدن للاتحاد.**

وتبقى معضلة: أين سيكون مقر الاتحاد (أين ستجرى الاجتماعات)؟. في الوضع الحساس والتنافس بين السلطنات لا بد أن تبدأ الاجتماعات في عدن ذاتها. (وما تم بالفعل بعد ذلك أن أخذت أرض صغيرة من العقربي في الطريق إلى البريقة وقريبة جدًّا من المنصورة وأطلق عليها اسم مدينة الاتحاد. وأصبحت هي مقر الاتحاد بكامله وليس فقط للاجتماعات).

هذه هي الخطوط العامة للاتحاد التي قدمها هيكنبوتم إلى السلاطين والمشائخ في المحميات في دار الضيافة الحكومية في عدن في يناير ١٩٥٤م. وقد تغيّب الحوشبي لخلافه مع سلطان لحج. كما تغيّب عوض بن صالح العولقي الذي رفض مغادرة نصاب، وتغيب سلطان قشن وسقطرى (المهرة) لمرضه، وتغيب القعيطي والكثيري لأن المستشار السياسي المقيم قد ناقش معهم المشروع.

---

(١) Tom Little: *South Arabia*, p 60، ورفع المبلغ لإقامة الجيش الاتحادي وتطويره أساساً وبقية المبلغ للتعليم والصحة والطرق..إلخ.

وقد كانت ردود فعل السلاطين متحفّظة جدًّا وطلبوا وقتاً للتفكير فيه. وربما كان الوحيد الذي تحمس للمشروع هو السلطان علي عبد الكريم، سلطان لحج، والذي رأى أن يبدأ المشروع باتحاد السلطنات المتقاربة جغرافيًّا والراغبة في ذلك، على أن ينضم لها الآخرون. وعندما بدأ الاتحاد بعد قدوم وليام لوس (١٩٥٩م) كان عدد الأعضاء ستة ثم زادوا إلى عشرة عام ١٩٦٠م[١].

العوائق للاتحاد

(١) تردّد السلاطين وتحفّظهم على المشروع.

(٢) الصحافة البريطانية وبعض أعضاء البرلمان الذين رأوا أن هيكنبوتم يفرض سياسة التحديث على حكام المحميات ويتدخل في شؤونهم الداخلية. وقد كانت سياسة بريطانيا أن لا تتدخل في الشؤون الداخلية للمحميات حتى لا تثير المشاكل.

(٣) الإمام أحد يحيى حميد الدين الذي عارض بشدّة قيام الاتحاد، لأن ذلك سيشكل دولة قوية في المستقبل، وبالتالي سيعيق مطالبته بالمحميات لتنضوي تحت حكمه، باعتبار أن هذه الأراضي يمنية، وأنها كانت دائماً تحت حكم الأئمة (وهو أمر ليس صحيحاً) فقد كانت المحميات تخضع لحكم الأئمة وتستقلّ عنها أحياناً).

(٤) وافقت الجامعة العربية على مطالب مندوب الإمام وأدانت الاتحاد وذهب وفد من الجامعة العربية إلى صنعاء ثم نزل إلى عدن واجتمع هيكنبوتم بهم وقال لهم: إن الجامعة العربية تسعى إلى توحيد البلاد العربية وتؤيد أي نوع من الاتحاد في المناطق الممزقة. ولكنكم وللأسف تعارضون هذا الاتحاد الذي كان من المفروض أن تكونوا أول من أيده[٢]. وأبدوا معارضتهم لأن هذا الاتحاد يخدم سياسة بريطانيا ولا يخدم شعب الجنوب.

---

(١) Tom Little: *South Arabia: Arena of Conflict*, London,1968 , p 66

(٢) Hickinbotham: *Aden*, p168 – 189

(٥) قرر سلطان الواحدي أن لا يدخل اتحاد المحميات الشرقية، وأنه سيدخل اتحاد المحميات الغربية، ثم بعد ذلك تردد. وأدى انسحابه من فكرة اتحاد المحميات الشرقية (حضرموت) إلى توجس الكثيري (ودولته صغيرة جدًّا بالنسبة للقعيطي) وخوفه من أن يبتلعها القعيطي. وكان يؤمل بوجود الواحدي أن يوجد نوعاً من التوازن مع القعيطي. لهذا أعلن رفضه للاتحاد.

اضطر هيكنبوتم بسبب هذه العوائق وغيرها أن يجعل فكرة الاتحاد وتنفيذها رهن مداولات حكام المحميات الغربيّة ، وأن يقرّروا بأنفسهم رفضهم أو قبولهم للاتحاد وكيفية إدارته وشكله..

وانتهت مدة حكم هيكنبوتم لعدن والمحميات عام ١٩٥٦م وعاد إلى بريطانيا، وترك هذا الأمر لتريفاسكس ليواصل جهوده فيه تحت إدارة الوالي الجديد السير وليام لوس.

لم يتم أي تنفيذ للاتحاد حتى عام ١٩٥٩م، ولكن تريفاسكس عمل بجد واجتهاد لتذليل كل الصعاب ولإقناع المتردّدين وحلّ المشاكل في المنطقة الغربية.

وأخيراً وافق حكام المنطقة الغربية على إقامة الاتحاد رسميًّا عام ١٩٥٩م وجعلوا مقرّه مدينة أنشأوها خصيصاً وهي مدينة الاتحاد، وهي تابعة في الأصل للعقربي (وعوضوه عليها).

وبدأت مسيرة الاتحاد والاحتفال بتكوينه. وحضر وزير المستعمرات آلان لينوكس بويد (Alan Lenox Boyd) الاحتفال في ١١ فبراير ١٩٥٩م، وفوجئ بحضور عدة آلاف حاملين الأعلام ومؤيدين للاتحاد[١].

(١) Trevaskis: *Shades of Amber*, pp 143 – 145

صعوبات أخرى

واجه الاتحاد صعوبات أخرى كثيرة غير مصاعب الولادة نجملها فيما يلي:

(١) الرابطة والسلطان علي: رغم أن الرابطة كانت تدعو منذ قيامها عام ١٩٥٠م إلى إيجاد دولة واحدة لكل الجنوب العربي شاملة بذلك كل المحميات الشرقية والغربية وعدن والجزر التابعة لها، وأن تكون هذه الدولة مستقلة، وأن تحكم ديمقراطيًّا بانتخابات حرّة نزيهة، وأن يكون للسلاطين مجلس أعلى لا يتدخل في شؤون الحكم ويكون رمزاً للدولة.. (مثل ملك بريطانيا أو رئيس الجمهورية في الدول التي تجعل السلطة بيد رئيس الوزراء).

وقد قامت بريطانيا – كما أسلفنا في فصل الرابطة – بإلغاء ترخيصها عام ١٩٥٦م وقفل صحيفتها ومنع زعمائها من دخول عدن. كما زجّت في السجن بعض عناصرها. وفي عام ١٩٥٨م عزلت السلطان علي وفرضت ابن عمه بدلاً عنه، وطاردت آل الجفري في لحج ففرّ السيد محمد علي الجفري إلى اليمن بينما ألقت القبض على أخيه عبدالله علي الجفري واعتقلته وأرسلته إلى سقطرى أولاً ثم نفته بعد ذلك. وقد أوضحنا الأسباب التي دفعت بريطانيا لذلك لأنها ترى أن الرابطة تريد حكماً كاملاً مستقلًّا عن بريطانيا في عدن والمحميات وأن تُلغي جميع المعاهدات السابقة، وأن لا تسمح بقيام قاعدة عسكرية في عدن. وكانت السياسة البريطانية آنذاك قد نقلت قواتها من السويس والعراق والأردن إلى عدن، ثم نقلت قواتها من قبرص وكينيا إلى عدن. وصارت عدن أهم قاعدة عسكرية لبريطانيا خارج المملكة المتحدة. وكانت مصالح بريطانيا في دول الخليج في منتهى الأهمية لوجود البترول فيها ولأن بريطانيا كانت لا تزال تتحكم إلى حد كبير في هذه المنطقة. والإمارات لم تحصل على استقلالها بعد، والبحرين رغم استقلالها إلا أنها فعليًّا تحت حكم المستشار البريطاني، وكذلك

الكويت (بصورة أخف) وعُمان. وكان المندوب السامي البريطاني ذا نفوذ كبير. واعتبرت بريطانيا نفسها ممثلة للمصالح الغربية بأسرها في منطقة الخليج، ولم تدرك بعد أن أمريكا (الولايات المتحدة) تريد أن تطردها من المنطقة كلها. ولم تتعلّم من درس السويس وحرب ١٩٥٦م عندما وقفت الولايات المتحدة وأصدر أيزنهاور قراره هو وبريجينيف عبر الأمم المتحدة ومجلس الأمن بأن تسحب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل قواتها من مصر. وصار عبد الناصر بعدها بطل الأمة العربية، وانتهى حكم فرنسا على الجزائر وهيمنتها على المغرب وتونس.. وجاء الدور على بريطانيا لتنسحب من مصر والأردن والعراق ثم بعد ذلك من عدن ومنطقة الخليج الغنيّة جدًّا بالبترول. وهذا كله لم يكن في الحسبان آنذاك. وحدثت حرب البريمي الغنية بالبترول بين السعودية (شركة أرامكو الأمريكية) وعُمان (شركة BP البريطانية) عام ١٩٥٦م.

(٢) موقف اليمن والإمام أحمد: لقد استطاع القاضي محمد أحمد الشامي مندوب الإمام أن يثير القبائل الجنوبية ويمدّها بالمال والسلاح. وامتدت الثورات المتتالية من لحج والصبيحة وردفان والضالع والعوالق (الربيزي) وبيحان ويافع السفلى (محمد بن عيدروس) ودثينة وأبْين والعواذل (ثورة الدميني). وهي ثورات قبليّة بأهداف وطنيّة وشعارات ضد الاستعمار وتمدّها اليمن بالسلاح. ثم بعد ذلك دخلت مصر في المدد، واستمرّ ذلك إلى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م عندما دخلت القوات المصرية إلى اليمن لدعم ثورة السلال ضد الملكيين وبذلك اشتدت المعارك.

(٣) الإعلام المصري: ولعب الإعلام المصري، وخاصة صوت العرب، دوراً كبيراً في تهييج القبائل والجماهير في المحميات وعدن، وكان الترانزستور اكتشافاً مماثلاً للكمبيوتر والانترنت والتلفزيون والفيس بوك والتويتر في صنع الثورات العربية الجديدة (ثورات الربيع ضد الحكام الطغاة عام ٢٠١١ و٢٠١٢م).

(٤) موقف مصر: كان موقف مصر معادياً للاتحاد منذ لحظة تكوينه، وزاد العداء بعد وصول القوات المصرية إلى اليمن بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م (ثورة السلال).

(٥) موقف الأمم المتحدة ولجان محاربة الاستعمار: ودورها هام في إساءة سمعة بريطانيا في العالم وإيجاد رأي عالمي ضدها. كما جعلت الصحافة البريطانية في كثير من الأحيان توجه الاتهام لسياسة بريطانيا في عدن والمحميات. **وقد وقف حزب العمال البريطاني ونقابات العمال البريطانية والأحزاب الاشتراكية كلها ضد الاتحاد الرجعي الذي يدعم حكاماً وسلاطين يحكمون حكماً استبداديًّا عشائريًّا (حكم أرتوقراطي – إقطاعي).**

(٦) المعارضة القوية من الجمعية العدنية لدخول عدن في الاتحاد، التي كانت تؤيد الاستقلال الذاتي لعدن وفي فترة سابقة لم تكن تمانع في استقلال عدن وضمّه، ولكن بعد انقسامها إلى قسمين تحوّل البيومي وجرجرة إلى تأييد الاتحاد واستمر علي لقمان والأهدل في معارضة دخول عدن للاتحاد.

(٧) المعارضة الشعبية القوية للاتحاد والاستعمار من المؤتمر العمالي وحزب الشعب وكل الأحزاب والهيئات الوطنية بما فيها الأحزاب الصغيرة مثل حزب البعث العربي الاشتراكي (أنيس حسن يحيى) والحزب الشيوعي (يرأسه عبدالله باذيب ولم يكن معروفاً باسم الحزب الشيوعي بل باسم الاتحاد الشعبي الديمقراطي) وحركة القوميين العرب.

(٨) وفاة حسن بيومي أقوى المناصرين لدخول عدن الاتحاد فجأة في بريطانيا، ثم حادث قنبلة المطار التي استهدفت تريفاسكس وشريف بيحان في ديسمبر ١٩٦٣م، وما تبعها من اعتقال خليفة حسن عبد الله خليفة ومحاكمته وإطلاق سراحه لعدم كفاية الأدلة، وهروب الشاهد الوحيد. وإعلان الأحكام العُرفية. وإعادة خليفة إلى السجن وفوزه الساحق في الانتخابات التشريعية في

عدن عام ١٩٦٤م، مما اضطر تريفاسكس لإطلاق سراحه، وكان المفروض أن يتولى رئاسة الوزارة ولكن تريفاسكس جعلها من نصيب السيد زين باهارون الذي حصل على أصوات قريبة أو مماثلة للأصوات التي حصل عليها خليفة. واختلف السيد زين أيضاً مع تريفاسكس حول الاتحاد مما أدى إلى استقالته، فعيّن تريفاسكس بدلاً منه الاستاذ عبد القوي مكاوي أحد الفائزين في الانتخابات، فكان وبالاً على الاتحاد وعلى حكومة عدن. وخرج إلى اليمن والقاهرة ليتزعّم حركة النضال ضد الاستعمار ويتولى جبهة التحرير الوطنية مع الأصنج وباسندوه وغيرهم كثير، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بمصر. وكان من أشد المعجبين بجمال عبد الناصر ويعتبره المنقذ والقائد الملهم للأمة العربية. لهذا كله واجه الاتحاد مشاكل لا حصر لها.

ورغم أن السلاطين والحكام في المحميات كانوا معارضين أول الأمر للاتحاد إلا أنهم أدركوا أنه لا بقاء لهم إلا بالاتحاد فانخرطوا فيه، ورأوا في ذلك بقاءً لحكمهم ومصالحهم في وجه الموجات العاتية من التغيير التي ستقتلعهم من جذورهم. كما رأوا في الاتحاد صدًّا لمحاولات الإمام المستمرّة في إزالتهم وضم أراضيهم إليه. وكان الإمام (سواء أكان الإمام يحيى أو ابنه أحمد من بعده) هو الخطر الأول على حكام المحميات وخاصة الغربية لاستمرار مطالبته بها، ولاستعداده للتغاضي عن حكم الإنجليز لعدن. وكان مستعدًّا، إذا سلمته بريطانيا المحميات الغربية أن يتفاهم مع الإنجليز حول عدن. وقد شرحنا ذلك مطولاً منذ بداية الحديث عن الإمام يحيى وعلاقته مع بريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى إلى نهاية حكم الإمام أحمد بانقلاب السلال. وصار الخطر أعظم بسقوط الملكية ودخول القوات المصرية إلى اليمن، حيث إن الأسلحة التي كانت مع الإمام (يحيى ثم أحمد) كانت قديمة ولا تشكل خطراً فعليًّا. وأما أسلحة الجيش المصري فهي حديثة جدًّا ومعها سلاح طيران فعّال يستطيع إلى

حدٍّ كبير أن يواجه مخاطر القوات الجوية الملكية في عدن والمحميات ويجعل القبائل الثائرة تكبّدها المزيد من الخسائر (كما حدث في ثورة ١٤أكتوبر ١٩٦٣م التي بدأت من ردفان).

وادّعى الحكام المحليّون: «أن الاتحاد وسيلة للقضاء على النعرات القبلية من أجل الإخلاص للوطن وبداية انبعاث جديد لشعبنا، وإثراءً للقومية العربية وللوحدة العربية.. والقضاء على التجزئة وسلطة الفرد من أجل توفير سلطة الجماعة» [(١)]..

وأخيراً قال الحكام المحليون إن الاتحاد يعني الطريق إلى الاستقلال.

وقالوا: «كيف يمكن لهذه الأرض أن تتخلص من تبعيتها لبريطانيا إذا لم تتحد أولاً وتنضم تحت لواء دولة موحدة تنتزع استقلالها وتحقّق حريتها» [(٢)].

(٩) ذهاب وليام لوس: وقد استطاع وليام لوس بمساعدة تريفاسكس أن يكوّن هذا الاتحاد في المحميات الغربية. ولكن بحلول عام ١٩٦٠م غادر وليام لوس عدن (والذي عمل قبل ذلك في السودان وله خبرة طويلة في جعل أهل المنطقة أنفسهم ينفّذون ما يريد دون أن يفرض ذلك عليهم، ويجعل الأمر وكأنه صادر عنهم). ثم جاء سير شارلز جونستون من وزارة الخارجية وكان في الأردن، ولكن لم يكن له خبرة في العمل في المستعمرات البريطانية [(٣)].

وقام سير شارلز بإخبار المجلس التشريعي بأنه سيكوّن من بعض أعضائه وزارة. وكان أول من تولى هذه الوزارة الأستاذ حسن علي بيومي، وكان متحمساً للاتحاد ولدخول عدن فيه (طبعاً بشروط تمكّن عدن من أن يكون لها

---

(١) بيان وزارة الإرشاد القومي والإعلام الاتحادية بعنوان «مولد شعب»، بدون تاريخ، ص ٦ – ٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) Trevaskis: *Shades of Amber*, p160 – 163

صوت قوي في الاتحاد). ووعدوا أن يزداد عدد الأعضاء المنتخبين في المجلس التشريعي عام ١٩٦٣م إلى ١٦ بدلاً من ١٢ عام ١٩٥٩م. وقد استطاع البيومي أن يجعل المجلس يوافق بأغلبية بسيطة على دخول عدن في الاتحاد (وتلك الأغلبية كانت من الأعضاء المعينين والأعضاء الرسميين ونصف المنتخبين).

وعندما زادت الإضرابات بشكل كبير، صدر قانون التحكيم الإجباري الذي فرضه الحاكم البريطاني وحسن بيومي وزير العمل عام ١٩٦٠م، والذي شكّل ضربة قوية ضد المؤتمر العمالي وحزب الشعب. والذي حصر الإضرابات في النزاعات العمالية البحتة بعد فشل التحكيم. وبما أن كثيراً من الإضرابات كانت سياسية، فإنها توقفت لأنها أصبحت ممنوعة قانوناً. وعندما حدث إضراب دخل بعض النقابيين السجن، وقامت حكومة عدن بطرد من لا يتمتعون بالجنسية العدنية أو الجنوبية (أي أبناء الشمال). وبهذه الخطوة الجريئة والعنيفة والمضادّة للحركة الوطنية والعمالية استطاع حسن بيومي أن يوقف مدّ الإضرابات. وقد سبق الإشارة إلى ذلك في فصل «المؤتمر العمالي».

ويقول تريفاسكس إن ذهاب وليام لوس الخبير بوضع المستعمرات والذي أعطى للاتحاد بعض الصلاحيات وللحكام حرية التحرك في مجالهم كما اقترح على وزارة المستعمرات أن تُعطى عدن وبسرعة الحكم الذاتي [1]، ولكن الوزارة رأت في ذلك خطراً على مصالح بريطانيا في عدن. وأن ذلك قد يأتي بحكومة تدعو إلى الاستقلال وإلغاء القاعدة البريطانية والوجود البريطاني ويعقّب ذلك على تريفاسكس أن وزارة المستعمرات لا تزال تعيش في الحقبة الفيكتورية (نسبة إلى الملكة فيكتوريا أيام مجد بريطانيا وقمة استعمارها للعالم). وقد عارض تريفاسكس هذا الاتجاه، ولكن الإدارة الأعلى منه في وزارة المستعمرات رجعت

(١) تريفاسكس، المصدر السابق، ص ١٦٠ – ١٦٣.

إلى العهد القديم ووضعت عدن في كوردون وحجر صحي لتبقى فقط مستعمرة دائمة لبريطانيا وتحاط بمحميات واتحاد فيدرالي يحميها من اليمن.

ويقول تريفاسكس إن السير جونستون (Sir Charles Jhonston) عندما تولى الأمر في عدن والاتحاد عام ١٩٦٠م أخذ يتلمّس موقفه ويجتمع بالمستشارين والإداريين في عدن، ولمدة أربعة أشهر حتى يستطيع أن يتخذ موقفاً، لأنه كان يجهل الوضع في عدن والمحميات والاتحاد ومشكلاته وتفاصيل تلك الأحداث مما أضاع أشهراً ثمينة في هذا الوقت الحرج [(١)].

واستمر تريفاسكس في طلبه بوجوب إعطاء عدن حكم ذاتي وإدماجها بالاتحاد وإيجاد دولة مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة صداقة. وهو متأكد أن حكام الاتحاد وأبناء عدن مثل البيومي وجرجرة ولقمان والأهدل وغيرهم سيؤيدون هذا الاتجاه، فعدن معتمدة اعتماداً اقتصاديًّا كاملاً على القاعدة، وعلى وجود بريطانيا. كما أن وجود الميناء ومصافي البترول في البريقة والثروات الضخمة التي تأتي إلى عدن بسبب ذلك، ووجود عشرات الشركات التي تقدم خدمات للسفن (حوالي ستة آلاف سفينة سنويًّا، حتى أصبحت عدن أهم ثالث ميناء في العامل بل جعلها بعضهم أهم ثاني ميناء في العالم [(٢)]. وهي في هذا الصدد ضمن الثلاثة الأولى في العالم [(٣)].

وهو متأكد أن العمال والشركات وسكان عدن والمحميات سيسرّهم أن تبقى عدن مزدهرة ولا تتعرض للانهيار. وفي نفس الوقت ستحتفظ بريطانيا بمصالحها كاملة في المنطقة.

---

(١) Trevaskis: *Shades of Amber*, p161 – 162

(٢) Noel Brehony: *Yemen Divided*, Tauris, London, 2011 , p 5

(٣) Tom Little: *South Arabia, Arena of Conflict*، ذكر أن عدن ونيويورك وسنغافورة، هي أهم ثلاثة موانئ في العالم في فترة الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين.

العدنيون في المجلس التشريعي ضد الاتحاد

ويؤكد تريفاسكس على أنه لو قبلت وزارة المستعمرات باقتراحات وليام لوس لقبل العدنيون فكرة الانضمام إلى الاتحاد لأن الحكم الذاتي ثم الاستقلال هو هدفهم[(١)]. ولن يكونوا مضطرين للموافقة بالضغوط البريطانية، فقد خرجوا من شرنقة المستعمرة.

ولكن نتيجة هذا الوضع الجديد وعدم منح عدن الاستقلال الذاتي جعلهم يتشكّكون في مسيرتهم الاتحادية ويعارضونها، ويشترطون شروطاً عدة لسلامة بلدهم. وللأسف اشترط الوزراء الاتحاديون موافقة أهل عدن (المجلس التشريعي) على الاتحاد كشرط لمنحهم الحكم الذاتي، لأن أهل المحميات (الاتحاد) يتخوفون إذا حصلت عدن على الحكم الذاتي أن يطالبوا بالاستقلال بعيداً عن الاتحاد.

وأخذت معركة تعريف العدني (المواطن) وقتاً طويلاً. كان التعريف السابق هو كل من ولد أو ولد أبوه في عدن، أو كل من أقام في عدن (سنتين ثم تغير إلى سبع سنوات) من سكان الكومنولث، هو العدني. ثم أضيف إلى ذلك، بعد عدة معارك، كل من ولد في الاتحاد يعتبر مواطناً. وأما حزب الشعب الاشتراكي فقد أصر على اعتبار المولود في اليمن (الشمالي) مواطناً عدنيًّا لمجرد دخوله عدن وعمله فيها. وهو ما عارضته الجمعية العدنية (لقمان والبيومي) وما عارضته الإدارة البريطانية بشدّة. ولكن تريفاسكس وتوم ليتل وغيرهما يعترفون أن كثيراً من أبناء اليمن الذين عاشوا في عدن (فترة معيّنة) يستحقون أن يحصلوا على المواطنة. وهم بدون شك أحقُّ بذلك من الهندوس أو أي شخص آخر من أبناء الكومنولث الذين يُعطون حق المواطنة لمجرد بقائهم في عدن سنتين فقط (ثم تغير القانون إلى سبع سنوات). لكن تريفاسكس ذكر أنهم

---

(١) تريفاسكس، المصدر السابق، ص ١٦٢.

موالون للنظام في اليمن ولهم أملاك وأسر، وبالتالي فإن من الحكمة عدم إعطائهم حق المواطنة في عدن!! [١]

وكان رجال الاتحاد مثل الشريف حسين يتخوفون من البدر إذا استولى على الحكم بعد وفاة والده لأنه سيقيم علاقة وطيدة مع عبد الناصر، وربما يدخل معه في اتحاد، وبالتالي تزداد مخاطر مصر واليمن (معاً) على الاتحاد.

وفي هذه الفترة استطاع عبدالله الأصنج بصلاته الوطيدة مع حزب العمال البريطاني وأعضاء البرلمان ومؤتمر العمال البريطاني أن يكسب تعاطفهم وأن يجعلهم يقفون، حسب قوله، ضد الاتحاد الرجعي الإقطاعي، وضد السياسة البريطانية الاستعمارية والتي لا تراعي تطور الأحداث والزمن، وأن حزب المحافظين لا يزال على سياسته القديمة وكأنه في العهد الاستعماري الفيكتوري[٢]. ووقف بعض أعضاء البرلمان من حزب العمال مثل جورج ثومسون وروبرت إيدواردز بشدّة ضد الحكومة البريطانية، وخاصة بعد زيارتهم لعدن عام ١٩٦٢م بدعوة من المؤتمر العمالي في عدن. وكان هؤلاء يرون الأصنج زعيماً لعدن وللجنوب العربي ويجب على بريطانيا أن تتعامل معه لأنه يدرك السياسة البريطانية، ويعرف حزب العمال والنظام الديمقراطي والمؤتمرات العمالية في بريطانيا وأوربا والعالم ودعوته سلمية، (وهو ما دحضه تريفاسكس وأوضحناه عند الكلام عن حزب الشعب الاشتراكي).

وقد قام الأصنج ومجموعته بجعل هذين البرلمانيين يلقيان خطابات في ستة آلاف عامل يمني، وأخذوهما أيضاً إلى البيضاء لمقابلة السلطان محمد بن عيدروس العفيفي (الثائر ضد بريطانيا) وأهل أبو بكر بن فريد (بن عجرومة)

---

(١) تريفاسكس، ص ١٦٧، وتوم ليتل: Tom Little: *South Arabia* , p 66,81

(٢) المصدر السابق، ص ١٧١ – ١٧٣.

من العوالق الثائرين ضد بريطانيا[١].

واستمر العراك ضد الاتحاد الفيدرالي في المجلس التشريعي ومجلس الوزراء، واستقال اثنان من الوزراء هما علي سالم عبده وعبدالله الصعيدي. وكان الصعيدي على خلاف مع البيومي حول زعامة المجلس، وكان يتطلع إلى أن يكون هو رئيس الوزراء (كبير الوزراء Chief Minister) بدلاً من البيومي.

وبدأ الاتفاق بصعوبة لإدخال عدن في الاتحاد الذي تم بالفعل بالذهاب إلى لندن في مجموعة من وزراء عدن والاتحاد عام ١٩٦٢م، ولكن بعد أن أعطيت عدن حق الانفصال عن الاتحاد، إذا قرّر ذلك ثلثا أعضاء المجلس التشريعي، ولكن بعد مرور سبع سنوات من دخولها الاتحاد[٢].

(١٠) المؤتمر العمالي وحزب الشعب ضد الاتحاد: واستطاع المؤتمر العمالي وحزب الشعب أن ينظم إضرابات واحتجاجات واعتصامات مدوّية ضد الاتحاد ودخول عدن فيه[٣]. وتم ذلك في ٢٣ يوليه ١٩٦٢م. وبما أن الإضرابات العمالية غير قانونية، فقد أصدر المندوب السامي حكماً بطرد الزعماء اليمنيين المشاركين في الإضراب مثل محمد عبده نعمان الحكيمي وسجن المواطنين (حسب تعريفه) بما فيهم الأصنج نفسه.

ورغم ذلك استمرت المسيرات والإضرابات واجتمع المجلس التشريعي في سبتمبر مرة أخرى وواجه مسيرة ضخمة اشتركت فيها المرأة العدنية بأعداد كثيفة، ومنعت قوات الأمن وفرقة من الجيش الإنجليزي وصول المتظاهرين والمسيرة إلى المجلس التشريعي. وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وافق المجلس التشريعي على دخول عدن في الاتحاد..

---

(١) تريفاسكس، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٧ – ١٧٨.

(٣) انظر فصليْ «حزب الشعب الاشتراكي» و«المؤتمر العمالي» من هذا الكتاب.

(١١) **انقلاب ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢**: وفي ١٩ سبتمبر توفى الإمام أحمد وتولى ابنه البدر مكانه. ورغم أن البدر كان ميالاً للإصلاح وتغيير نظام الحكم الذي سار عليه والده، ويتطلع إلى التعاون مع مصر إلا أن فرقة من الجيش قامت بالانقلاب ضده في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م (أي في اليوم التالي لموافقة المجلس التشريعي على دخول الاتحاد).

وأرعب خبر الانقلاب الشريف حسين (شريف بيحان)، وبعد صلاة الفجر مباشرة كان في غرفة تريفاسكس الذي لم يكن قد سمع بالخبر بعد. وكان الخبر أن البدر قد قتل وأن الثورة قد نجحت. وتوقع الجميع زيادة المخاطر بالنسبة لهم[١].

(١٢) **التأييد للجمهورية**: وانطلقت المظاهرات والمسيرات في عدن تأييداً للثورة وهجوماً على الاستعمار في عدن، وأصبح اسم عدن والاتحاد هو «اليمن الجنوبي». وقد أعلن ذلك الأصنج بنفسه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢م الذي أعلن الحرب والنضال لتأييد ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة ولتحرير الجنوب الذي سيعود إلى أحضان الوطن الأم (اليمن) [٢].

وعندما قامت القوات الملكية والقبائل بالهجوم على صنعاء انطلق الآلاف من أبناء الشمال في عدن ومعهم آلاف أخرى من أبناء الجنوب للقتال في صف الثورة والدفاع عنها وعن مكتسبات الشعب.

واستطاع البدر أن يكبّد القوات المصرية خسائر فادحة لم يكونوا يتوقعونها. وبطبيعة الحال أمدّت السعودية رجال القبائل بالسلاح والمال، كما قامت بريطانيا من عدن بإمداد البدر بكثير من الأسلحة وبمجموعة من الخبراء العسكريين في حرب العصابات.

---

(١) تريفاسكس، المصدر السابق، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٣.

ويقول تريفاسكس إن الولايات المتحدة كانت في موقف صعب، إذ إنها من جهة أمدّت عبد الناصر بأكثر من مائتي مليون جنيه استرليني وهي في نفس الوقت حليف أساسي للسعودية المنتجة للبترول والذي يتهدّده عبد الناصر. كما أنها من المفروض أن تكون حليفة بريطانيا.. وعبد الناصر يتهدّد بريطانيا في عدن والجنوب العربي(١).

وقد تدخّلت الولايات المتحدة بين مصر والسعودية على أن توقف كلٌّ منهما الأعمال العسكرية ثم تسحب بعد ذلك مصر قواتها من اليمن، ودليلاً على حسن النية تعترف الولايات المتحدة بالحكم الجمهوري في اليمن، وهو ما حدث فعلاً في ١٩ ديسمبر ١٩٦٢م. ولكن مصر بدلاً من أن تنسحب كثّفت قواتها في اليمن(٢).

(١٣) الصحافة البريطانية ضد الاتحاد: وبدأت الصحافة البريطانية (Fleet Street) ترى أن شيوخ وسلاطين الاتحاد الرجعيين الذين يهاجمون الجمهورية اليمنية، ليسوا إلا من بقايا الرجعية والإقطاع والحكم الأوتوقراطي، وعلى بريطانيا أن تحذو حذو الولايات المتحدة في الاعتراف بالجمهورية اليمنية(٣).

ورأت بريطانيا أن مصلحتها في عدن والجنوب تقتضي عدم الاعتراف بالجمهورية. بل وبمساعدة الملكيين سرًّا، والوقوف بالتالي مع السعودية ضد هذا النظام الجديد الذي يتهدد مصالحها. ومع ذلك فإن كثيراً من المسؤولين في لندن كانوا يتوجسون من معارضة النظام الجمهوري في اليمن، والذي اعترفت به الولايات المتحدة، ويخشون أن تنجرّ بريطانيا إلى تكرير مأساة السويس (عندما اندفعت بريطانيا لحرب عبد الناصر، وفي النهاية وقفت ضدها الولايات

---

(١) تريفاسكس، ص ١٨٤ – ١٨٥.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٤ – ١٨٥.
(٣) المصدر السابق.

المتحدة وأجبرتها على الانسحاب عام ١٩٥٦م)[١]. وأظهرت بريطانيا أنها ستعترف بالنظام الجمهوري إذا استطاع أن يمسك بزمام الأمور، وأنه في الوقت الراهن لا يزال يواجه صعوبات جمّة في سبيل إثبات جدارته.

وأرسلت لندن الكولونيل مكلين (Neil Mclean) الخبير بحرب العصابات إلى عدن. وأرسله تريفاسكس إلى شريف بيحان الذي يعتبر أكثر رجال الاتحاد خبرة بأوضاع اليمن المجاورة له. وقرر مكلين دخول اليمن من هناك حيث توجد القوات الملكية حتى يعرف مدى سيطرتهم، فوجد أنهم يتحكمون تماماً في المناطق الشرقية الشمالية من اليمن ولا توجد قوات للسلال والجمهورية هناك. بل استطاع أن يرى بعينيه صنعاء من التلال المجاورة. وكان تقريره في لندن بأن قوات الملكيين مسيطرة على أجزاء واسعة من اليمن دافعاً للحكومة البريطانية في تأجيل الاعتراف بالنظام الجمهوري، بل وتأييد النظام الملكي سرًّا[٢].

ويقول تريفاسكس: لقد رأينا أن الحرب ستكون طويلة ولن تنتهي بسرعة لصالح أي فريق، ولكنها في النهاية سترهق القوات المصرية وتكلّفها تكلفة باهظة جدًّا[٣]، وهو ما حدث بالفعل.

الحكومة البريطانية لا تدعم الاتحاد بما يكفي

انتقد تريفاسكس موقف الحكومة البريطانية في عدم دعمها للاتحاد رغم أن عدن قد وافقت على دخول الاتحاد في سبتمبر ١٩٦٢م. وكانت خطة تريفاسكس التي اقترحتها على حكومته في لندن، دعم الاتحاد ماليًّا وتطويره

(١) تريفاسكس، ص ١٨٦.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٦ – ١٨٧.
(٣) المصدر السابق.

إداريًّا وسياسيًّا وعسكريًّا ليكون دولة مستقلّة ذات سيادة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدات صداقة، وهو متأكد تماماً من رجال دولة الاتحاد (بما فيهم الممثلين من عدن) بأنهم يفضلون أن تكون لهم دولة مستقلة وأن تكون مدعومة سياسيّا وعسكريّا ببريطانيا (خوفاً من عدوان اليمن عليها حسب قولهم) وأن تكون عدن مستقرّة ولها دخل الميناء ودخل المصافي البريطانية، ودخل القاعدة العسكرية البريطانية. وذلك سيعود على اليمن ذاتها بالمصلحة، لأنه سيشغّل عشرات الآلاف من العمال اليمنيين، كما سيشغّل آلاف التجار والموظفين من اليمن والذين يعملون في التجارة في عدن والمقاولات، وتوفير السكن والأكل للقاعدة وللشركات الضخمة. ولكن للأسف لم تستجب الحكومة البريطانية - حسب قوله - لاقتراحات تريفاسكس الذي أصبح المندوب السامي في عدن والمحميات (الاتحاد).

«لقد واجهت مصر صعوبات جمّة في اليمن كما توقعنا، وفي فبراير ١٩٦٣م انفصل نائب الرئيس عبد الرحمن البيضاني (المولود في مصر)، ودخل عدن وتفاهم مع تريفاسكس ورجال الاتحاد[١].

وبدأ اليمنيون أنفسهم يتململون من تحكّم المصريين فيهم، ثم تحوّل ذلك إلى معارضة للتحكّم المصري في شؤونهم. وتحوّل الزبيري أحد الرجال المنادين بالثورة منذ عهد الإمام يحيى إلى مناوئ لحكم المصريين وتسلّطهم.. وحتى المخلصين من حزب الشعب الاشتراكي المتحمسين جدًّا للثورة في الشمال بدأوا يفقدون حماسهم[٢].

وكان التكتيك الجديد أن لا تغامر القوات المصرية في جبال اليمن الوعرة وتكتفي بالمدن وما حولها. واتفق حزب الشعب مع الإدارة المصرية على إثارة

(١) تريفاسكس، ص ١٨٨ - ١٨٩.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٩.

قضية الجنوب في الأمم المتحدة والتي وجدت تعاطفاً قويًّا من لجنة مكافحة الاستعمار وتصفيته. وواجهت بريطانيا وحكومة الاتحاد حملات مستمرّة وقرارات متعدّدة ضد الاستعمار البريطاني وعملائه[١].

وكان لحزب الشعب الاشتراكي مكاتب في كل من صنعاء والقاهرة وتعز وبغداد ولندن نفسها بالإضافة إلى مكتبها الرئيس في عدن، ومكاتب منتشرة في الاتحاد (المحميات). كما أنها أرسلت موفدين لها إلى موسكو وبلغراد وبكين ونيويورك، وبالتالي أخذت قضية استقلال الجنوب أبعاداً دولية خطيرة. وكان على بريطانيا أن تواجه حملات شرسة بما فيها حملات حزب العمال والصحافة في بريطانيا نفسها.

وكرّر تريفاسكس انتقاده الشديد لبطء الحكومة البريطانية وإدارة المستعمرات في قراراتها، وتمسكها برأيها بإبقاء عدن منفصلة إلى حد ما عن الاتحاد، وتحت الحكم البريطاني المباشر. ورفضوا كل مقترحاته في التعجيل بإعلان الاستقلال قبل أن تشتدّ الحملات وتنهار حكومة الاتحاد ويأتي بدلاً عنها الطوفان كما يقول.

وذهب تريفاسكس مع محمد فريد العولقي وزير خارجة الاتحاد (الذي تخرج من أكسفورد) إلى الأمم المتحدة ليواجه شيخان الحبشي من الرابطة ومحمد سالم باسندوه من حزب الشعب الاشتراكي والمحامي الصحبي (Sohbi). وقد اختلف شيخان الذي تحدث عن الجنوب العربي المستقل بينما تحدث الصحبي عن اليمن الجنوبي. ورغم عنف الكلام بين الجانبين إلا أن اللقاء الودي بعد الجلسة الصاخبة أدهش الدكتور الباجهجي مندوب العراق ورئيس اللجنة المختصة بالجنوب، وكانا يتغديان ويتعشيان معاً[٢] (أي محمد فريد العولقي والصحبي).

---

(١) تريفاسكس، ص ١٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩١.

وبعد عودتنا من نيويورك أخبرني سانديز (Sandys) وزير المستعمرات أن جونستون يريد التفرغ لمعالجة زوجته المريضة وأنه يقترحني لمنصب المندوب السامي بدلاً عنه. وبالفعل غادر جونستون عدن في صيف ١٩٦٣م وتولى تريفاسكس الوظيفة ابتداءً من شهر أغسطس ١٩٦٣م[(١)].

سانديز وتريفاسكس ينفذان الاتحاد

ومع تولي دنكان سانديز وزارة المستعمرات وتريفاسكس وظيفة المندوب السامي في عدن، بدأت الخطوات الجدّية في تنفيذ الاتحاد الفيدرالي.. ووافق دنكان سانديز على نموذج قبرص التي استقلت تماماً من بريطانيا مع بقاء قاعدة عسكرية، وإن كان يرى أن نعمل على تنفيذ ذلك على مراحل متعدّدة، بينما كان تريفاسكس يرى أنه يتم إعطاء الجنوب العربي استقلاله بسرعة[(٢)].

ويذكر تريفاسكس أن الولايات المتحدة ضغطت على السعودية لإيقاف مساعدتها للملكيين على وهم أن ذلك سيجعل المصريين يطمئنون على بقاء الجمهورية وينسحبون بالتالي من اليمن. ولكن ذلك لم يكن له أي رد فعل سوى أن يخفّف الضغط على القوات المصرية هناك. وبالتالي إرسال مزيد من القوات المصرية إلى اليمن لتتمكن من التحكم فيها تماماً، وبالتالي احتلت القوات المصرية حريب ومأرب على حدود بيحان واللتان كانتا تحت سيطرة الملكيين[(٣)]. «ولأول مرة أقامت اليمن وزارة خاصة بجنوب اليمن. وكان قحطان الشعبي مستشاراً ثم مسؤولاً عنها. وبالتالي خرج آلاف من عدن والمحميات للتدريب على حرب العصابات للعودة بعد ذلك إلى عدن والمحميات لإثارة القلاقل

---

(١) تريفاسكس ، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٣ - ١٩٤.

والأعمال الإرهابية فيها»[١] على حدّ تعبيره.

وبما أن دنكان سانديز (وزير المستعمرات) كان مشغولاً جدًّا بقضايا هامة مثل روديسيا وقبرص وماليزيا ومالطا.. إلخ، فإنه لم يجد وقتاً لقضية الاتحاد وترك ذلك لمكتبه وموظفي المستعمرات الذين لم يغيّروا منهجهم القديم، وظلّوا على بطئهم الشديد في قضية الجنوب العربي ورفضهم لاستقلال عدن استقلالاً تامًّا[٢]. وبعد محاولات عديدة وذهابه إلى لندن ومكثه معهم ومع دنكان سانديز أسبوعاً كاملاً استطاع تريفاسكس أن يزحزح موقفهم نحو قبولهم بالاستقلال للجنوب العربي.

الاتصال مع الأصنج

وبدأ تريفاسكس باتصالات مع الأصنج. ولكن الأصنج كان واقعاً تحت ضغط من المصريين ومن أعضاء حزبه المؤيدين لوجهة النظر الحزبية. ويقول تريفاسكس أنه شعر بأن الأصنج يوافق على مقترح استقلال الجنوب العربي مع إبقاء القاعدة ومعاهدة صداقة مع بريطانيا (تأجير القاعدة لبضع سنوات مثلاً)، ولكن الأصنج لم يستطع أن ينفّذ ما يريد، وطالب بتنفيذ قرار الأمم المتحدة بشأن الجنوب رقم ٢٤ القاضي بالاستقلال التام للجنوب، وتصفية الاستعمار والقواعد العسكرية التابعة له[٣].

وبدأ الإعداد لعقد مؤتمر في لندن مع وزارة المستعمرات لدراسة وصياغة مقترحات تكوين دولة الجنوب العربي المستقل.

وبطبيعة الحال، خرجت المظاهرات والإضرابات ضد هذا المشروع

(١) تريفاسكس، المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق، ص ١٩٥.
(٣) المصدر السابق، ص ١٩٦ – ١٩٧.

الإمبريالي. واتصل تريفاسكس بالأصنج طالباً منه إنهاء الإضراب، فردَّ الأصنج إنني لم أذق النوم لعدة ليال وأيام بسبب المجموعات التي تحيط بمنزلي مطالبة بعودة الذين طردتهم بريطانيا بسبب الإضراب.

وتحدث تريفاسكس عن اتصالاته شبه اليومية بالأصنج، وكيف دبر الأصنج وباسندوه ومحمد علي سالم عبده وخليفة حسن عبدالله خليفة ومحمد ميه موضوع قنبلة المطار (التي سبق الحديث عنها في فصل «حزب الشعب الاشتراكي»، فلا حاجة لإعادته).

وفي تلك الأثناء، يقول تريفاسكس إنه تلقّى برقية من لندن تقول إن الحكومة البريطانية تراجعت في موضوع منح الاستقلال للجنوب العربي. وقد أدى هذا إلى نفور شديد من الوزراء الاتحاديين بعد أن كانوا سعداء عندما أخبرتهم (كما يقول تريفاسكس) بأن بريطانيا وافقت على إعطاء الجنوب استقلاله كاملاً[١] (طبعاً مع اتفاقيات الصداقة وبقاء القاعدة). وسبب تراجع بريطانيا هو قنبلة المطار، وما تبعها من إعلان حالة الطوارئ في عدن والاتحاد. وقد اعتقل الأعضاء البارزون في حزب الشعب وكثير من رجال الصف الثاني ونقل كثير من المعتقلين إلى أبْين. وأثارت القاهرة وصنعاء والأمم المتحدة والصحافة البريطانية ونقابات العمال وحزب العمال البريطاني زوبعة ضد الأحكام البوليسية التي انحدرت إليها بريطانيا[٢].

ووصل ثلاثة من حزب العمال البريطاني مع محمد سالم باسندوه ممثل حزب الشعب في القاهرة وفي الأمم المتحدة، وهم ديك تافرون (Dick Taverene) وألبرت أورام (Albert Oram) وتشارلز لفلين (Charles Loughlin)، وكلهم

(١) تريفاسكس، ص ٢٠٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٢.

صاروا وزراء التاج بعد ذلك (Ministers of the Crown) وكلهم هاجموا تريفاسكس مهاجمة عنيفة على الحكم البوليسي وإعلان حالة الطوارئ والاعتقال بدون محاكمة، ورفضوا مجادلة تريفاسكس بعدم مقارنة عدن والجنوب العربي بلندن والمملكة المتحدة. وإن هذه الأحكام العرفية، لا تزال بالمقارنة مع ما يحدث في جميع البلاد العربية، تعتبر إنسانية. وأصرّوا على أن بريطانيا ينبغي أن يكون لها مكيال واحد لا مكيالين، وأن تعامل الجميع بنفس المقدار من العدالة[١].

حزب العمال يتعاطف مع الأصنج وحزب الشعب

وأصبح من الجليّ أن حزب العمال البريطاني والنقابات العمالية البريطانية تتعاطف بشكل كبير مع الأصنج وحزب الشعب الاشتراكي.

وقد أدّت المواقف المتخاذلة في دعم الاتحاد من قبل بريطانيا إلى ذهاب أحمد عبدالله الفضلي (أحد رجالات الاتحاد المهمين) بعد علاجه في لندن من إصابته في قنبلة المطار إلى القاهرة وانضمامه إلى معسكر عبد الناصر. وقد استقبله علي صبري نائب الرئيس بحفاوة، وتحدثت الصحافة والإعلام المصري عن البطل الوطني أحمد عبدالله الفضلي بعد أن كان على رأس الخونة قبل بضعة أشهر[٢].

وقال السيد عمر شهاب عضو المجلس التشريعي وعضو الحكومة الفيدرالية لتريفاسكس ولزملائه الوزراء الاتحاديين: «انظروا.. لا تعمضوا أعينكم. إن الحكومة القادمة هي حكومة العمال في بريطانيا (الانتخابات بعد بضعة أشهر واستطلاعات الرأي وجالوب تؤكد فوز حزب العمال على

---

(١) تريفاسكس، ص ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٤، وفي رواية أخرى أن الفضلي ذهب إلى القاهرة بعد مؤتمر لندن عام ١٩٦٤م.

المحافظين). وحزب العمال قد أظهر بوضوح أن رئيس الجنوب العربي القادم هو عبدالله الأصنج. وعليكم أن تختاروا بسرعة قبل أن يجرفكم التيار. وقدّم استقالته فوراً من الوزارة والمجلس التشريعي[١].

وقال أحد الوزراء الاتحاديين: «إننا لسنا مستعدّين أن تسلّمونا مثل الخراف إلى الجزار» ويقصد حزب الشعب الاشتراكي والأصنج.

وقد فقد رجال الاتحاد الثقة في بريطانيا وعهودها، وشعروا أن بريطانيا ستسلمهم للذبح وتنجو بجلدها. وذكر تريفاسكس كيف أن دنكان سانديز وزير المستعمرات منذ عام ١٩٥٧م أكّد لسلطان العواذل صالح بن حسين وشريف بيحان الشريف حسين وجعبل بن حسين من الضالع وغيرهم، أن بريطانيا ستقف معهم، وقد وقفوا معها في ظروف عصيبة جدًّا. وكان أمير العواذل يقول لتريفاسكس: إننا نقف معكم ليس من أجل عيونكم الزرق، ولكن لأن اليمن ستحتلّ أرضنا وسنكون مجرد موظفين عند الإمام (عامل) وأنتم تركتم لنا حرية التصرف في بلادنا بدون تدخل في الأمور الداخلية. وها هي بريطانيا الآن ترفض الاستقلال للجنوب العربي وستذهب حكومة المحافظين وسيأتي العمال وسيسلمونها لأعدائنا وسنكون مثل النعاج التي تذبح[٢].

ثورة ردفان

وفي ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م بدأت الثورة في ردفان. ويقول تريفاسكس أن ردفان – رغم أنها تابعة للضالع اسميًّا – إلا أنها محكومة بقبائلها. «وجاء إليّ شيخ قطيب وطلب مني أن نجعل منطقة القطيب، مثل المشيخات والسلطنات الأخرى، وبالتالي يكون من حقّه أن يكون وزيراً، وكذلك فعل بقية مشايخ

(١) تريفاسكس، ص ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٦ – ٢٠٨.

ردفان. واستطعت (كما يقول تريفاسكس) أن أذكّر القبائل بأنهم قد وافقوا على أن يمثّلهم أمير الضالع. ولكن شيخ القطيب لم يفعل ذلك، ولذا رأى من حقّه أن يكون مشيخة في الاتحاد. ولما رفض تريفاسكس ذلك، قام شيخ القطيب بتلغيم الطريق الوحيد الذي يمرّ عبر أراضيه، وقتل مفرزة من الجنود الاتحاديين كانت تمر في تلك المنطقة».

«وكان الرأي عند الوزراء وخاصة وزير الدفاع اللحجي ووزير الأمن العوذلي أن نؤدبه بالطائرات. وأنا أعرف أن هذا أقل كلفة من جميع النواحي وسيخضع هذه القبيلة المتمردة بسرعة. ولكن الغارات الجوية ستثير علينا العالم بأكمله (مصر واليمن والأمم المتحدة وحزب العمال البريطاني وأجهزة الإعلام البريطانية). وقلت للوزراء: ولذا فأقترح أن يتحرك الجيش الاتحادي مدعوماً بفرقة من المشاة البريطانيين. وكان ردّهم قويًّا وواضحاً: إن هذا سيؤدي إلى ضحايا وهذا سيدفع القبائل إلى مزيد من التعنّت وستصور صنعاء والقاهرة أن هذا انتصار على الجيش الاتحادي والبريطاني في المنطقة. ولكن تريفاسكس قال إن الحملات الإعلامية والهياج العالمي باستخدام الطيران الملكي البريطاني سيؤدي إلى إضعاف سمعة بريطانيا. فردَّ الوزراء: نحن سمعتنا في الرغام بسببكم والشتائم تنهال علينا من كل جهة، حتى من الصحافة البريطانية، ونحن مع هذا مستمرّون في تأييدكم وبإمكاننا أن نفعل كما فعل الفضلي ومحمد ابن عيدروس ونفرّ إلى عبد الناصر حيث سنتحول إلى أبطال المقاومة ورجال الثورة، ويكال لنا المديح من كل جهة. ولكن تريفاسكس مع إقراره بوجهة نظرهم قام بالهجوم البرّي. وحتى لا تهاجمه الصحافة البريطانية قرّر دعوة الإعلام البريطاني للحضور وهيأ لهم كل وسائل الوصول إلى ميدان المعركة وطائرة هليكوبتر ووسائل انتقال بريّة. وحدث بالنسبة له ما لم يكن في الحسبان. إذ إن المعارك طالت وقتل وجرح أعداد من البريطانيين أنفسهم.. وأصبحت ردفان على كل لسان. وتحدثت الصحافة البريطانية عن ذئاب ردفان الحمر..

وأصبحت الحملة العسكرية ذات مردود سيء. واضطر في النهاية لاستخدام سلاح الجو البريطاني بعد فقدان العديد من الضحايا والخسارة الإعلامية العالمية وفي بريطانيا ذاتها.

واشتكى شريف بيحان بأن القوات المصرية أغارت على القرى في منطقته واحتلت إحدى القرى بالفعل. وكان لا بد من الردّ عيها بغارات جوية من القوات الجوية الملكية البريطانية. وبعد تردّد وافق تريفاسكس، وانسحبت القوات المصرية من القرية وأقامت حملة إعلامية بأنها ستنتقم للهجوم على قلعة حريب. ولكنها لم تفعل شيئاً، رغم أن عبد الناصر أعلن ذلك أثناء زيارته لصنعاء بنفسه(١).

ومما زاد في المشاكل ما يقول تريفاسكس أن الاتحاد، عندما تكوّن عام ١٩٥٩م، كان فيه ستة أعضاء فقط وبالتالي ستة وزراء (وزير من كل سلطنة)، ولكن الاتحاد عام ١٩٦٤م كبر وصار فيه ١٧ وزيراً (وزيرين من كل سلطنة أو مشيخة وبعضهم لا يستحق أبداً أن يكون وزيراً ولكن لا بد من ذلك حسب الاتفاقية) ثم ليس لهذا المجلس الوزاري الاتحادي رئيس. بل الرئاسة دورية عند كل واحد من هؤلاء السبعة عشر. شهراً لكل واحد منهم(٢). وهذا ما جعل الاتحاد الفيدرالي بدون رأس ويعاني من المشاكل الداخلية والخارجية.

رجال الاتحاد يخافون خيانة بريطانيا

في هذه الأثناء توفى الرجل القوي حسن بيومي وأفرزت الانتخابات في يناير ١٩٦٤م فوز خليفة حسن خليفة (صاحب قنبلة المطار) بأكثر الأصوات في عدن - كما يقول دافيد ليدجر - وبأصوات مماثلة للسيد زين هارون - كما

(١) تريفاسكس، ص ٢٠٨ - ٢١٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٥.

يقول تريفاسكس. واختار تريفاسكس بطبيعة الحال السيد زين باهارون.. ولكنه لم يستمر، بل استقال بسبب خلافه مع تريفاسكس.. وفشل مؤتمر لندن حول عدن والاتحاد لأن حزب المحافظين رفض أن يسلّم الاتحاد الاستقلال كاملاً (مع وجود اتفاقية لبقاء القاعدة)، وأصر على إبقاء عدن تحت الهيمنة البريطانية وأن تقتطع منها أي جزء تراه منها لأمن المنطقة ومصالح بريطانيا العليا[1]. وكان **خطاب السيد زين باهارون في مؤتمر لندن شديداً على الاتحاد الفيدرالي** الذي ولد مشلولاً حسب قوله. وأدى ذلك إلى احتجاج الأعضاء الآخرين. وقال أحمد عبد الله الفضلي لتريفاسكس: إننا ضحّينا بسمعتنا وقبلنا أن يهاجمنا عبد الناصر، ولكن الآن نرى بريطانيا العظمى حليفتنا، يتهمنا حزب العمال والصحافة وأعضاء البرلمان بكل الاتهامات الصفيقة. وهذا كثير كثير جدًّا علينا. **وخرج الفضلي** من المؤتمر وذهب إلى القاهرة فاستقبل استقبال الأبطال وكرّمه الرئيس عبد الناصر وجهاز إعلامه، كما قد مرّ معنا[2].

رأي شريف بيحان في بريطانيا

ومما قاله **شريف بيحان** لتريفاسكس في المؤتمر: «أنتم أيها البريطانيون تتخلّون عن أصدقائكم. لقد فعلتم ذلك في كل مكان. وكان علينا أن نستمع إلى ما قاله عبد الناصر عنكم من أول الأمر وأن ننضم إليه عندما حذرنا من نفاقكم وخيانتكم»[3]. وفي رواية أخرى عنه قال: «إنه من الأفضل أن تكون عدوًّا لبريطانيا فربما حاولت شراءك. أما إذا كنت صديقاً فستبيعك بأبخس الأثمان»[4].

---

(١) تريفاسكس، ص ٢١٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٨ – ٢١٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١٨.
(٤) المصدر السابق.

وقال شريف بيحان لتريفاسكس، عندما أرسل أطفاله إلى المدرسة الداخلية فبكت أمهم، وقال الشريف حسين متأثراً: «إنكم أيها الإنجليز منافقون. تقطعون أوصال أطفالكم وترسلونهم بعيداً عن أمهاتهم، ومع هذا تحاضروننا عن قسوتنا في معاملة الكلاب!!» (١).

وأخيراً وافقت بريطانيا على أن تمنح الجنوب العربي استقلاله في فترة لا تتعدى عام ١٩٦٨م.

وكان من الواضح أن الاتحاد يواجه صعوبات جمّة داخلية وخارجية، وكان تريفاسكس يواجه هذه الصعوبات بصبر. وعندما استقال زين باهارون أعطى رئاسة الوزارة للأستاذ عبد القوي مكاوي (أحد كبار موظفي شركة البس ولم يكن منتمياً إلى أي حزب ومعروف بالنزاهة). ولكن مكاوي أصبح وبالاً على المجلس التشريعي في عدن وعلى الاتحاد الفيدرالي وأثار المشاكل للجميع. ومما زاد الطين بلة بالنسبة لتريفاسكس سقوط حزب المحافظين وانتصار حزب العمال وتولي أنتوني جرينوود منصب وزير المستعمرات، وهو الذي أمر بإطلاق سراح خليفة حسن خليفة من السجن والسماح له بدخول المجلس التشريعي(٢).

واختلف تريفاسكس مع جرينوود. وكان تريفاسكس يرى أن جرينوود سيؤدي بالجنوب إلى الفوضى. ولهذا أقيل تريفاسكس سنة ١٩٦٥م وعيّن بدلاً منه سير ريتشارد ترنبول. ثم ازدادت الأمور سوءاً، فعيّن سير همفري تريفيليان لينهي القضية الجنوبية بأي شكل ويسلمها إلى الجبهة القومية.

وهو ما سنناقشه في الفصول القادمة.

---

(١) تريفاسكس، المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٥.

قصة النهاية
(ما قبل الاستقلال إلى تسليم الجبهة القومية الحكم)

رواية محمد حسن عوبلي لأحداث عدن والاتحاد

كان محمد حسن عوبلي من العاملين في الصحافة وعلى صلة وثيقة بحكومة عدن والاتحاد، وصار عضواً في المجلس التشريعي، وتولى عدة مناصب وزارية. وكان هو آخر رئيس وزراء في حكومة الاتحاد في عدن. ويعتبر كتابه «اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي» من رجل عايش المرحلة فترة طويلة. ويتمتع العوبلي (الذي عرفته وعرفت أسرته في جدة وكانوا يتداوون عندي لفترة طويلة حتى وافاه الأجل) بذكاء خارق وقدرة لغوية وبلاغية في اللغتين العربية والإنجليزية، وله شعر ونظم. وقد ذكر في كتابه معظم الحوادث التي ذكرها تريفاسكس والكتاب الإنجليز الذي اعتمدت عليهم في الفصل السابق، ولكنه اختلف معهم اختلافاً كبيراً في تفسيرها، كما اختلف في ترتيب تلك الحوادث.

انتقاد العوبلي لتريفاسكس ووليام لوس [(١)]

وقد اعترف لتريفاسكس بقدرته الخارقة في معرفة المحميات الغربية ورجالها ولهجات قبائلها، وتأثيره القوي على حكامها وسلاطينها، وقدرته على جعلهم تحت إدارته ورهن إشارته، وفي معظم الأحيان بالإقناع، وأحياناً قليلة

(١) محمد حسين العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، العصر الحديث بيروت ١٩٧١م، ص ٦٠ – ٦١.

بالإجبار والإكراه. وقد لبث فترة طويلة المستشار السياسي للمحميات الغربية فعرف أوضاعها معرفة تامة. ولكن معرفته بعدن وسياستها ضئيلة جدًّا وخطواته السياسية فيها أظهرت تعجرفاً وصلفاً مما أدى إلى مماحكات ثم نزاعات بينه وبين أعضاء المجلس التشريعي في عدن ورجال الحكومة، حتى إن حسن علي بيومي أقوى المؤيدين لدخول عدن في الاتحاد، والذي تولى عدة وزارات ثم أول رئاسة للوزارة اصطدم معه عدة مرات.

وقال العوبلي إنه كان صديقاً مقرباً للسيد حسن علي بيومي وأنه دافع عنه وعن سياسته في صحيفته «الزمان». وقال إن البيومي عندما كوّن حزبه «الحزب الوطني الاتحادي» كانت المادة الأولى في دستوره: العمل على تحقيق «وحدة اليمن الطبيعية» الذي تكون عام ١٩٦٢م، وتولى هو رئاسته كما تولى الصحفي القدير الأستاذ عبد الرحمن جرجرة أمانة الحزب. وقال العوبلي: «لقد عهد إليّ السيد حسن علي بيومي بالتكلم بلسان الحزب، وإعداد كافة الوثائق الإعلامية والسياسية له على الصعيدين المحلي والعالمي.. كما أنني أصدرت صحيفة «العروبة» اليومية التي كانت لسان «الحزب الوطني الاتحادي».

وتحدّث عن حاكم عدن وليام لوس الذي كان حاكماً في السودان قبل استقلاله، بأنه عنيد وعنيف، ولجأ إلى سياسة البطش والقمع في عدن، وهو الذي أدّى - بسبب سياسته العنيفة - إلى ظهور العنف والاضطرابات السياسية والعمالية[(١)] (عام ١٩٦٠م).

وقد وقف وليام لوس بعنف ضد الحركة العمالية وأخيراً عمل على قمعها

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٧٣. وكان العوبلي يحمل على وليام لوس وعلى تريفاسكس واعتبرهما متغطرسين وهما السبب الفعلي في تدهور العلاقات بينهم وبين المجلس التشريعي، وبينهم وبين الحركة الوطنية التي كانت حتى ذلك الوقت سلمية في عدن.

بالقوة العسكرية، وبدأ بإطلاق النار في المراكز الصناعية، ولأول مرة في تاريخ عدن بدأت الدماء تسفك في الشوارع.. وردّت الحركة العمالية على ذلك بإحراق بعض المصانع والمنشآت [١].

ويقول العوبلي إن حكومة حسن علي بيومي كانت تستطيع إيقاف تلك الإضرابات دون سفك دماء وإحراق المصانع. وكان السياسيون العدنيون خارج الحكم يستطيعون ذلك أيضاً، ولكن وليام لوس استخدم العنف الزائد، مما أدى إلى أن يتعاطف البيومي وحكومته سرًّا مع العمال المضربين والذين أوعزوا إلى الغرفة التجارية العدنية بأن تمدّ العمال المضربين بما يحتاجونه من مال بعد أن نفد مالهم، مما جعلهم قادرين على الإضراب ستة أشهر [٢] (هذه معلومة سرية لم يذكرها أحد من المؤلفين الإنجليز أو غيرهم).

وجاءت لجنة برلمانية بريطانية وأشارت على وليام لوس أن يتجنب المفاوضات مع الحركة العمالية، بل يتجه مباشرة للتفاوض مع حكومة عدن المحليّة والحصول على تأييدها التي أنكرت كل صلة لها بدعم الإضرابات، وأبدت استعدادها لتقريب وجهات النظر بين الأطراف المختصة شريطة أن يُجرى تعديل في دستور حكومة عدن، وأن توسع صلاحيات حكومة عدن المحلية. وقد أمرت الحكومة البريطانية وليام لوس بالموافقة على تلك المطالب[٣]. وتولى حسن بيومي وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وعبدالله الصعيدي وزارة المعارف، وعبدالله سالم باسندوه (الأخ الأكبر لمحمد سالم باسندوه أحد الأعضاء القياديين في حزب الشعب والمؤتمر العمالي وجبهة التحرير) وزارة المالية، والسيد علي عبد الله الصافي وزارة الطاقة الكهربائية..

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٧٤ – ٧٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٦.

وحدث تغيير في أمانة الميناء وجميع أجهزة الحكومة أتاح مجالاً أكبر لاشتراك العدنيين في الحكم اشتراكاً فعالاً.

وكان الساسة العدنيون يرون أن حكام المحميات لا يملكون من أمرهم شيئاً. ويستدلون على ذلك بإخراج بريطانيا للسلطان علي عبد الكريم سلطان لحج وهو أقوى السلاطين وأذكاهم، وإخراجه من الحكم وعزله بالقوة العسكرية عام ١٩٥٨م. فإذا فعلت بريطانيا ذلك بالسلطان علي عبد الكريم والرابطة التي كان يدعمها (محاولة اعتقال محمد علي الجفري واعتقال أخيه عبدالله علي الجفري في لحج) فإن غيره من السلاطين أضعف بكثير، وهم رهن إشارة تريفاسكس الحاكم بأمره في المحميات [١].

خطة بريطانيا لإقامة القاعدة العسكرية

يقول العوبلي: «إن بريطانيا بدأت تخطط وتنفذ بصورة سريعة قاعدة عسكرية كبيرة تستطيع أن تستوعب أكثر مائة ألف جندي في منطقة عدن الصغرى.. وأعتقد أن هذا المشروع كلّف بريطانيا أكثر من خمسين مليوناً من الجنيهات الإسترلينية».. إضافة إلى القواعد العسكرية البريطانية التي كانت قائمة في عدن بما في ذلك القاعدة الجوية الحربية والقاعدة البحرية للأسطول[٢].

وقد اصطدم وليام لوس حاكم عدن الديكتاتوري بالصحافة وتهجمت صحيفة «البعث» على القضاء نفسه (بينما كان القضاء نزيهاً)، وحكم على محمد سالم علي رئيس التحرير ومساعده «عبده خليل سليمان» بالسجن لمدة ستة أشهر بتهمة التهجم على القضاء. وألغيت الصحيفة نهائيًّا (١٩٦٠م).

وقد حالت الجماهير الغفيرة بين نقل المتهمين وبين دخول السجن. ولم

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

تستطع الشرطة تفريق الجماهير إلا بعد إطلاق النار. وعاد المتظاهرون بأكثر من عشرة آلاف شخص وحاصروا سجن عدن المركزي الذي فيه المتهمان (محمد سالم وعبده خليل سليمان). وحاولوا إخراج جميع المسجونين وإضرام النار فيه، فتدخل الجيش، ودارت معركة دامية في شوارع عدن، وتم إعلان حظر التجول والأحكام العرفية. وعمّت الفوضى وصارت الجماهير تحرق المحلات التجارية للشركات الأجنبية، وخاصة منها البريطانية.

ونتيجة لهذه الأحداث المؤسفة، تحولت عدن من إدارة المستعمرات إلى وزارة الخارجية، وتم تعيين السير شارلز جونستون (السفير في الأردن) حاكماً عامًّا لعدن والمندوب السامي للاتحاد (١).

ويقول العوبلي إن السير شارلز جونستون في بداية عام ١٩٦١م غيّر السياسة وعمل على إدخال عدن في اتحاد إمارات الجنوب العربي، وتحويله إلى دولة جديدة هي اتحاد جنوب الجزيرة العربية مع الإبقاء على فصل حضرموت والمهرة ومسقط وعمان.

وبدأت المفاوضات في دمج عدن، وأخذت وقتاً طويلاً لأن العدنيين كانوا يرفضون الدخول في الاتحاد خوفاً على مصالح عدن. وكانوا يطلبون أن يكون لهم نصف الأعضاء في المجلس الاتحادي مع إعطائهم الحق في الانفصال. وبعد نقاش طويل، اعتبرت عدن بمثابة أربع ولايات ولها ٢٤ عضواً في المجلس النيابي الاتحادي، وأربعة أعضاء في المجلس (الوزاري). وذهب إبراهيم الصعيدي إلى لندن معارضاً لهذا الكتاب الأبيض، ولكنه توفي في لندن عشيّة عرض ومناقشة الكتاب الأبيض في البرلمان البريطاني!! (٢)

وواجه المشروع الاتحادي معارضة من الجمعية العدنية ورابطة أبناء

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٨٩ – ٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٤ – ٩٥

الجنوب ومن أعضاء المجلس التشريعي، ولكن أعنف المواجهات كانت مع حزب الشعب الاشتراكي. ورغم ذلك كله فقد وافق المجلس التشريعي على الاتحاد بعد التعديلات الطفيفة وذلك في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢م، ولو تأخر الإعلان عن الاتفاق يومين (أي إلى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وهو يوم قيام ثورة السلال في اليمن الملكي) لما أمكن حدوث ذلك الاتفاق بأي حال من الأحوال. وهو أمر أجمع عليه كل من كتب في هذا الموضوع من الإنجليز وغيرهم.

بعد دمج عدن في الاتحاد تشكلت أول وزارة عدنية وطنية في عدن برئاسة الأستاذ حسن علي بيومي. وكان من أقطابها البارزين السيد زين عبده باهارون (١٩٦٢م) [١].

وتوفى البيومي في لندن إثر نوبة قلبية ثانية في يونيه عام ١٩٦٤م، وتولى مكانه نائبه السيد زين باهارون الوزارة. وكان البيومي قد ذهب إلى لندن، وفي أثناء نقاش عنيف مع دنكان سانديس وزير المستعمرات في يونيه ١٩٦٤م أصيب بنوبة في مكتب الوزير، ونقل إثرها إلى المستشفى حيث توفى هناك. وخرجت عدن عن بكرة أبيها، كما يقول العوبلي، في جنازته بعد أن نقلت جثته إلى عدن التي دفن فيها [٢].

السيد زين باهارون رئيساً للوزراء في عدن

واستمر السيد زين باهارون في منصبه الجديد كرئيس للوزراء، وكان البيومي قد عيّنه وكيلاً عنه عدة مرات.

وذكر العوبلي بمرارة، أن أرملة السيد حسن بيومي واجهت موقفاً غريباً جدًّا حيث قطعت وزارة المواصلات عنها الهاتف لعدم تسديد الحساب،

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٠١ -١٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٣.

وأعقبتها مؤسسة الكهرباء، ومات زوجها فقيراً معدماً. وقامت الدولة بإخراجها من منزل رئيس الوزراء لأنه ملك للدولة، واضطرت أن تذهب إلى بيت والدها. ومن لطف الله بها أن لم يكن لها أولاد ولم يكن لحسن البيومي أي أطفال وإلا لعانوا من الجوع والذل..!! (١)

حكومة باهارون الأولى (آذار/ مارس ١٩٦٤م) (٢)

اهتم السيد زين عبده باهارون بمشروع تعريب الوظائف في عدن، وبدأ بالطرد التدريجي لكل من هو من الهندوس وغيرهم من غير العرب الذين كانوا يشغلون الوظائف الهامة في الحكومة والشركات. وبدأ بالحكومة التي استبدلت موظفيها من غير العرب بعرب عدنيين، وسمحت لمن ولد في الجنوب العربي بالانخراط بالوظائف ولو لم يكن من مواليد عدن. بل سمحت الحكومة بإدخال من ولدوا في اليمن أو غيرها طالما أنهم عرب ويحملون المؤهلات الكافية (٣). واستفاد من ذلك مجموعة من العرب (من أصل حضرمي أو عماني) طردتهم حكومة تنزانيا بعد استيلاء نيريري الشيوعي على الحكم وسمحت لهم عدن بالعمل فيها. وقامت حكومة باهارون بالتوسط لدى حكومة تنزانيا ونقلتهم بطائرات الخطوط الجوية العدنية وبالسفن على حسابها إلى عدن. وكثير منهم من ذوي الكفاءات العالية (استفادت منهم بعد ذلك سلطنة عمان بعد أن ظهر الحكم الشيوعي في عدن).

وأوجد باهارون أيضاً مفهوم «الشخصية العدنية»، ولا يجوز لغير العدني أن ينال سجلًّا تجاريًّا (جديداً) أو أن يمثل شركة تجارية، ويسّرت الإسكان للعدني بإيجار رمزي، وكذلك بيع الأراضي للعدنيين في ضواحي عدن بأثمان

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٠٥ – ١٠٦.
(٢) المصدر السابق، ص ١٠٨.
(٣) المصدر السابق، ص ١١٠.

رمزية. ونتيجة لهذه السياسة فقد استطاع باهارون أن يجد شعبية واسعة جدًّا بين صفوف العدنيين، وانتخب بأغلبية في أكتوبر ١٩٦٤م [١].

قنبلة المطار

وانتهت فترة السياسي المحنّك تشارلز جونستون عام ١٩٦٤م وتولى تريفاسكس وظيفة المندوب السامي الجديد في عدن والاتحاد. وذكر العوبلي عن تريفاسكس أنه كان خبيراً بالمحميات الغربية ومحبوباً لدى حكامها، ولكنه متعجرف ولا يعرف السياسة في عدن. وادعى العوبلي أن الذي دبّر قنبلة المطار عناصر متطرّفة (في الواقع حزب الشعب الاشتراكي، الأصنج ومجموعته) ويقول: «ولا أشك لحظة واحدة في أن رئيس الوزارة العدنية السيد زين باهارون كان على علم بذلك التدريب (الذي حصل في قبرص للإرهابيين)، وأن حكومة عدن صرفت سريًّا المبالغ التي يحتاج لها النقل والتدريب. وأنها زودتهم بجوازات ولكل واحد منهم جوازين حتى لا يظهر دخولهم لقبرص [٢].

ووصف حادثة المطار التي قتل فيها جورج هندرسون نائب تريفاسكس وصديقه، وامرأة هندية، وأصيب تريفاسكس نفسه و٥٤ شخصاً آخرين بينهم أحمد عبدالله الفضلي.

ويقول إنه تم القبض على المتهم خليفة عبدالله حسن خليفة وأعلنت الأحكام العرفية وتم وضع المئات في السجون، وخاصة من حزب الشعب الاشتراكي، ونقلوا إلى السجون في أبْين. واتخذ تريفاسكس هذه الإجراءات بدون موافقة وزارة السيدة باهارون. ولهذا أعلن السيد عمر شهاب رئيس المجلس الأعلى لتلك الدورة في بيروت معارضته قرار المندوب السامي

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١١١.
(٢) المصدر السابق، ص ١١٨ – ١١٩.

والحكومة الاتحادية، وأعلن استقالته من الحكومة. ورفضت حكومة باهارون الاعتقال في سجون أبْين، وثارت شكاوى بالتعذيب (حتى إن حزب العمال البريطاني وأعضاء البرلمان احتجوا على ذلك). ووجه السيد زين باهارون بالتضامن مع وزارته إنذاراً بالاستقالة ما لم يتم إطلاق سراح المعتقلين السياسيين خلال ٢٤ ساعة. وكذلك فعل المجلس التشريعي في عدن. واضطر تريفاسكس إلى الاستجابة لهذا الطلب بعد أن أمرته لندن بذلك [(١)]، ونقل جميع المعتقلين من أبْين إلى مدينة الاتحاد بالقرب من عدن.

إطلاق سراح خليفة وتهريب الشاهد الوحيد القشبري

وتم التحقيق مع خليفة عبدالله حسن خليفة ولكنه رفض الكلام مطلقاً. وكان المؤتمر العمالي البريطاني قد أرسل على حسابه الخاص محامياً من أشهر المحامين البريطانيين للدفاع عن خليفة [(٢)].

وقدّم النائب العام ٨٣ شاهداً ضد خليفة، والقشبري هو الوحيد الذي رأى خليفة وهو يفتح صمام الأمان للقنبلة ويلقي القنبلة من النافذة.

وعندما بدأت المحاكمة برئاسة السير ريتشارد لاجالييه، رئيس قضاة عدن، طلب القاضي شاهد العيان، فأخبره النائب العام أن القشبري أطلق سراحه بكفالة وأنه غادر عدن إلى صنعاء. وتساءل رئيس المحكمة: كيف احتفظت إدارة الأمن العام بهذا الشاهد الرئيسي لمدة شهرين ثم أطلقته قبل يومين من بدء المحاكمة الرئيسية؟ وغضب القاضي وأطلق سراح خليفة لعدم كفاية الأدلة.

ويقول عوبلي [(٣)]: «إن الوزارة العدنية كانت تعلم أن القشبري هو مفتاح

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٢٨ – ١٢٩.
(٢) المصدر السابق، ص ١٣١.
(٣) المصدر السابق، ص ١٣٢.

القضيّة. لذلك جرى إجراء غريب، فقد أفرج عن القشبري قبل يومين من المحاكمة الرئيسية بكفالة» (وبما أن قاضي الادعاء قد سجل أقوال القشبري، فلم يستطع أحد إثبات مخالفة أو تهاون على أي ضابط في الأمن العام..). واتهم العوبلي بطريقة غير مباشرة السيد زين باهارون رئيس الوزارة بتدبير ذلك بطريقة ذكية جدًّا.

ولم يكن أمام تريفاسكس سوى أن يعلن الأحكام العرفية ويعيد خليفة مرة أخرى إلى السجن، مما أدى إلى مهاجمة الصحافة المحلية بل والبريطانية لتريفاسكس.

وصار خليفة بطلاً، فلما جاءت الانتخابات تمّ ترشيحه وفاز بأغلبية الأصوات، ولم يستطع تريفاسكس تقبّل ذلك. ولكن حكومته العمالية في لندن أجبرته على إطلاق سراح خليفة وإدخاله المجلس التشريعي وفرضوا عليه أن يصافح خليفة وجميع الأعضاء المنتخبين، وكان عليه أن يعيّن خليفة رئيساً للوزارة ولكن هذا الأمر كان فوق طاقته ووافق المجلس التشريعي المنتخب لأن خليفة لا خبرة له بالسياسة. وتم اختيار السيد زين باهارون مرة أخرى لرئاسة الحكومة.

باهارون يهاجم الاتحاد في لندن

وذهب وفد من حكومة عدن والاتحاد إلى المؤتمر الدستوري في لندن في حزيران ١٩٦٤م، وهاجم باهارون الاتحاد بشدّة مما أدى إلى اختلافات عنيفة. وطلب السيد زين باهارون من وزير المستعمرات جدول الأعمال وإلا فلن يحضر الجلسات. وازدادت الأزمة تفاقماً، ودارت المفاوضات - كما يقول العوبلي - بطريقة سقيمة وعقيمة، وكان شعور الكراهية والنفور يزداد يوماً بعد يوم بين جميع الفرقاء[1]. وكان باهارون يقول إن حكومة بريطانيا انتهازية

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٤١.

ترعى مصالحها فقط وإنها مستعدّة في أي لحظة للانقلاب على أصدقائها والتنكر لكل وعودها، ولذا يجب معاملتها على هذا الأساس والاستعداد لكافة الاحتمالات التي تقوم بها وأن حكام الاتحاد واقعون تحت تأثير تريفاسكس وواثقون منه كل الثقة، ولكن بمجرد تغيير الوزارة بعد بضعة أشهر (وفوز العمال على المحافظين) فإن تريفاسكس سيذهب وسيكون جميع هؤلاء السلاطين ضحية لسياسة بريطانيا الجديدة التي ستنقلب على أصدقائها. وهذا الرأي أيضاً كان يقوله شريف بيحان وأحمد عبدالله الفضلي وغيره من حكام الاتحاد. ولكن الفضلي سافر فجأة إلى مصر وأعلن انضمامه إلى الثورة ضد الإنجليز. واستقبله عبد الناصر بالأحضان، وأشادت به أجهزة الإعلام المصرية والعربية.

طلبات باهارون من بريطانيا

وطلب باهارون من العوبلي - الذي أرسله وزير المستعمرات للتفاهم مع باهارون - الآتي:

(١) الوحدة بدلاً من الاتحاد وإلغاء نظام السلاطين والمشيخات.

(٢) أن تدفع بريطانيا إيجاراً قدره خمسة ملايين جنيه سنويًّا للقاعدة. وتُدفع للحكومة الوحدوية الجديدة.

(٣) أن الجيش الاتحادي وكل من رجال القبائل يشكّل خطراً على عدن ويمكن أن يحتلها عند إعلان الاستقلال. ولهذا، لا بد أن يجمّد الجيش الاتحادي وأن يوضع في قواعد نائية عن عدن، وأن يجهّز جيش من أبناء عدن يتم تدريبهم على القتال وتدريب مجموعة على سلاح الطيران وسلاح البحرية. وأن يتم البدء بذلك فوراً، وأن تدفع بريطانيا عشرة ملايين جنيه استرليني للبدء بذلك. وما بقي من ثمن السلاح تدفعه بعد ذلك حكومة عدن. وسيطلق على هذه القوة «حامية عدن البحرية والجوية» وعلى جيش الاتحاد اسم «حرس حدود الدولة» [1].

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٤١ - ١٤٣.

ورفضت بريطانيا هذا العرض أيضاً. وأكَّد باهارون على تحديد موعد صريح للاستقلال. وهكذا انتهى المؤتمر الدستوري بفشل ذريع.

بعد هذا الفشل اتخذت الحكومة البريطانية قراراً خطيراً، وهو إعلان استقلال الجنوب العربي كدولة ذات كيان مستقل ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة صداقة وتؤجر لها قاعدة عسكرية، ولكن حكومة الاتحاد نتيجة فرار أحمد عبدالله الفضلي والهجمات الإعلامية المستمرة على الاتحاد، خافت من اتخاذ هذه الخطوة، ورفضت عرض تريفاسكس (عرض الحكومة البريطانية المحافظة)، وكانت تلك غلطة من حكومة الاتحاد اعترف بها شريف بيحان فيما بعد، لأن حكومة العمال القادمة كانت ستتخلى عنهم بالكلية [(١)].

تعديل حق الانتخاب وفوز خليفة حسن خليفة

وقام السيد زين باهارون بتعديل حق التصويت وقصره على العدنيين فقط (المولودين في عدن من العرب)، وأخرج بذلك أبناء المحميات (وكانوا قد سمح لهم في المرات السابقة). وأبناء الكومنولث حتى لو كانوا مولودين في عدن، فإن عليهم أن يجتازوا امتحاناً في اللغة العربية وهو أمر يكاد مستحيلاً [(٢)].

ونجح في هذه الانتخابات (١٤ أكتوبر ١٩٦٤م) خليفة عبدالله حسن خليفة بأكثر الأصوات رغم أنه في السجن. واضطر تريفاسكس لإطلاق سراحه بعد أوامر جاءته من لندن، ولكنه لم يعينه رئيساً للوزراء وساعده في ذلك أعضاء المجلس التشريعي المنتخب لأن خليفة شاب (٢٨ سنة) ولا خبرة سياسية له، فتولى زين باهارون الوزارة للمرة الثانية، واستحدث باهارون منصباً جديداً هو منصب وزير دولة للشؤون الدستورية، وعين فيه المحامي صبحي (خريج لندن).

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٤٧ – ١٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٠ – ١٥١.

ورفض تريفاسكس مقابلة خليفة (حسب البروتوكول) وأصدرت لندن أوامرها له بذلك فاستقال[١] وتم تعيين السير ريتشارد ترنبول بدلاً عنه.

وبدأت الأعمال الإرهابية في عدن تزداد. وقد قام عبد الفتاح إسماعيل بترتيب جهاز اغتيالات وركز أول الأمر على ضباط المباحث والاستخبارات لإشاعة الذعر في هذا الجهاز. وقد تم اغتيال فضل محمد خليل وغيره من رجال الأمن والاستخبارات من العرب والبريطانيين. وامتد بعد ذلك إلى رئيس المجلس التشريعي آرثر تشارلز وكان شخصاً مسالماً ومحبوباً في عدن. وخرج من ملعب تنس صيرة في عدن فأراده عبد الفتاح إسماعيل قتيلاً، وقيل أن الذي قتله شخص من فرقته الإرهابية يدعى «بدر» (اسم حركي) وقد ألقي عليه القبض، ولكنه فرّ من المعتقل بتعاون بعض العناصر.

الحكومة العمالية الجديدة تقرر التخلص من الاتحاد

وجاءت حكومة عمالية قررت أن تتخلص من الاتحاد وحكامه وجاء المستر جرينوود إلى عدن (وزير شؤون المستعمرات) وكان من المقرر أن يقابل بالإضافة إلى الوزراء الأستاذ عبدالله الأصنج ولكنه قوبل بعدة انفجارات، أعلنت الجبهة القومية أنها هي التي قامت بها.

وتقرر إعادة مؤتمر دستوري لتقرير وضع عدن والاتحاد ومناقشة موضوع الاستقلال، ولكن السيد باهارون هاجم الاتحاد في بيان تمت إذاعته بعد أن أصرّ وزراء عدن على ذلك. فما كان من المندوب السامي إلا أن تبادل معهم العبارات القاسية مما اضطرهم إلى الاستقالة وبالتالي استقال السيد زين باهارون ووزارته.

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٥٥.

عبد القوي مكاوي رئيساً للوزراء

ونكاية فيه أجمع أعضاء المجلس التشريعي على ترشيح عبد القوي مكاوي الذين يعرفون شدّته على بريطانيا وقبِلَ بذلك ترنبول المندوب السامي[(١)].

وبدأ السيد المكاوي بخطاب متلفز غير مكتوب هاجم فيه بريطانيا والاتحاد بشدّة غير مسبوقة. وحاول المندوب السامي أن يتفاهم معه ففشل، وقررت الحكومة البريطانية وضع دستور جديد لعدن والاتحاد (للدولة الجديدة) وشكّلت لجنة ثلاثية برئاسة إيفلين هون (الحاكم السابق لروديسيا، والحاكم العام بالوكالة لعدن)، ورئيس القضاة السابق في السودان (سوداني)، ورئيس القضاة في ماليزيا. وكل منهم حجة في القانون والدستور. ولكن المكاوي أبرق لحكومة السودان يطلب منها عدم إرسال الممثل السوداني، وكذلك لماليزيا، وكلتاهما وافقتا على طلبه. وأصدر أمراً بمنع دخول إيفلين هون لعدن واعتباره شخصاً غير مرغوب فيه وأنه سيحتجز ويقدّم للمحاكمة إذا دخل بصورة غير قانونية. وكان هذا أمراً عصيباً على المندوب السامي ووزارة المستعمرات البريطانية.

ومع ذلك قرّرت بريطانيا إقامة المؤتمر الدستوري في لندن في أواخر عام ١٩٦٥م برئاسة الوزير البريطاني المستر جرينوود، ودعت عبدالله الأصنج وعبدالقوي مكاوي والحكومة الاتحادية.. ورغم الاتفاق المبدئي في عدن بين المكاوي والأصنج من جهة والمستر جرينوود من جهة أخرى، غيّر السيدان المكاوي والأصنج موقفها بعد أن مرّا على القاهرة حيث قابلا المسؤولين المصريين (وربما عبد الناصر). ولهذا فشل مؤتمر لندن الثاني حول منح عدن والاتحاد الاستقلال[(٢)].

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٦١ – ١٦٣.

(٢) المصدر السابق.

وعاد الأصنج من لندن إلى القاهرة وأعلن الكفاح المسلح. وعاد المكاوي إلى عدن. وفي تلك **الفترة تمّ اغتيال القاضي ورئيس المجلس التشريعي آرثر تشارلز** كما قد مر معنا. وسأل العضو محمد سليمان الأستاذ المكاوي: لماذا لم تسجل حكومة عدن الجبهة القومية كحزب من الأحزاب الشرعية المسجّلة؟ فأجاب المكاوي أن الجبهة القومية لم تقدم طلباً للتسجيل، وهنا سأله مرة ثانية: «هل يدين رئيس الوزراء هذه اليد التي امتدت إلى رئيس المجلس التشريعي نفسه؟ وكان بإمكان المكاوي أن يراوغ أو حتى لا يجيب على هذا السؤال لأنه لم يكن مسجلاً وبالتالي يحق له عدم الإجابة، أو أن الحكومة ستتحرى هذا الموضوع بعناية وترد على السؤال في دورة قادمة..إلخ. **ولكن المكاوي قال: «إنني أؤيد الإرهاب كجزء من العمل المسلح لإنقاذ بلادنا»**[(١)].

وتناقلت وكالات الأنباء هذا الخبر المثير. واضطرت الوزارة البريطانية أن تستصدر أمراً باسم الملكة بإقالة المكاوي وتعليق دستور عدن وأن تحكم عدن مباشرة بواسطة المندوب السامي[(٢)].

وأدّى ذلك إلى خروج المكاوي من عدن إلى صنعاء ومنها إلى القاهرة ليتم تأسيس جبهة التحرير الوطنية التي سيأتي ذكرها.

الجبهة القومية وجبهة تحرير جنوب اليمن (جبهة التحرير)

تشكلت الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل في أغسطس (آب) ١٩٦٢م، وقد ضمت في صفوفها: حركة القوميين العرب، الجبهة الناصرية، المنظمة الثورية لجنوب اليمن المحتل، الجبهة الوطنية، التشكيل السرّي للضباط والجنود الأحرار، جبهة الإصلاح اليافعية وتشكيل القبائل. والتحقت منظمات

---

(١) العوبلي، ص ١٧١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٢.

أخرى بالجبهة، من بينها منظمة شباب المهرة ومنظمة الطلائع الثورية لشباب جنوب اليمن المحتل وغيرها. وقد تشكلت لجنة من ١١ عضواً لإقامة هذا التنظيم، هم: (١) قحطان الشعبي. (٢) ناصر السقاف. (٣) عبدالله المجعلي. (٤) محمد علي الصوماتي. (٥) ثابت علي المنصوري. (٦) محمد أحمد الدقم. (٧) بخيت مليط. (٨) أحمد عبدالله العولقي. (٩) علي محمد الكازمي. (١٠) عبدالله محمد الصلاحي. (١١) وعيدروس حسين القاضي (من حزب الشعب الاشتراكي بعد خلافه معهم) (لاحظ عدم وجود عبد الفتاح إسماعيل وعلي ناصر والبيض وعلي عنتر) [١].

وتمّ تكوين الجبهة بموافقة السلال والقوات المصرية الموجودة في اليمن (أي أنها لم تتكون فعليًّا إلا بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م).

وقد سبق الجبهة القومية عدة تنظيمات آخرها حزب الشعب الاشتراكي الذي استطاع أن يسيطر على الجماهير في عدن (عبدالله الأصنج، محمد سالم علي، محمد سالم باسندوه.. إلخ). ولكن سيطرته في الأرياف ضعيفة. كما كانت هناك عدة ثورات عسكرية مثل ثورة الربيزي والسلطان محمد عيدروس (يافع السفلى) ومشيخة العوالق (آل عجرومة وآل محمد بن فريد) [٢].

وزادت الاضطرابات في عدن والجنوب. وبخروج المكاوي من عدن والتحاقه بمصر عام ١٩٦٥م قامت مصر بتأسيس جبهة وطنية تجمع كل

---

(١) فيصل جلول: اليمن، الثورتان، الجمهوريتان، الوحدة (١٩٦٢ – ١٩٩٤م)، ص ٩٦.

(٢) سبق ذكر الكفاح المسلح والثورات المتعددة وعدم صحة ادعاء الجبهة القومية أنها هي التي بدأت الكفاح المسلح في ردفان، ورددنا على ذلك تفصيلاً وشرحنا أن ثورة ردفان هي إحدى الثورات المتعددة التي قامت في الجنوب وفي ردفان نفسها، ولكنها وجدت هذه المرة دعم مصر وجيشها.

عناصر الكفاح المسلح وبالذات الجبهة القومية ومنظمة التحرير لحزب الشعب الاشتراكي. وبعد جهود متعدّدة تم الإعلان عن جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل (FLOSY) في مدينة تعز عام ١٩٦٦م بمباركة الجامعة العربية ومصر واليمن. ووقّع وثيقة الاندماج زعيم حزب الشعب عبدالله الأصنج والقيادي البارز في الجبهة القومية علي أحمد السلامي (ورفض الاتجاه اليساري في الجبهة القومية ذلك).

واتخذ الاندماج صفة رسمية في أغسطس (آب) ١٩٦٦م في اجتماع رسمي باركه قادة مركزيون في حركة القوميين العرب وحزب الشعب الاشتراكي (منظمة التحرير)، وتكونت جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل من: سيف أحمد الضالعي، علي أحمد السلامي، طه مقبل، سالم زين، عبدالله المجعلي وعبد الفتاح إسماعيل عن الجبهة القومية. وعن منظمة التحرير: عبدالله الأصنج ومحمد سالم باسندوه وعبدالله عبيد والسلطانان أحمد الفضلي وجعبل بن حسين. وعيّن عبدالقوي مكاوي أميناً عامًّا للجبهة[١].

وبدأت الخلافات مبكراً. واعترض سيف الضالعي على تصنيف أحمد السلامي وعبدالله المجعلي في حصة القومية، في حين كان المجعلي يعتبر الضالعي وعبد الفتاح إسماعيل مفصولين من الجبهة. ويرى عبد الفتاح إسماعيل أيضاً أن سالم زين وطه مقبل مجمّدين في الجبهة القومية. وكان الماركسي عبد الفتاح إسماعيل يعتبر أمين عام جبهة تحرير الجنوب عبد القوي مكاوي عدوًّا طبقيًّا، وأن معركته ضد الاستعمار هي معركة برجوازية.

وسرعان ما أخرج السلطان جعبل بن حسين (العواذل) وأحمد عبدالله الفضلي (أبْين) منها وأخرجت الرابطة أيضاً.

---

(١) فيصل جلول: اليمن: الثورتان (١٩٦٢ – ١٩٩٤م)، ص ١٠٢.

وما أن انتهى عام ١٩٦٦م حتى انفصلت الجبهة القومية عنها، وعادت إلى قواعدها ما عدا أحمد السلامي والمجعلي اللذين استمرا في جبهة التحرير.

واستمرت جبهة التحرير في قتالها وكفاحها المسلح ضد الإنجليز، كما استمرت الجبهة القومية في كفاحها المسلح بطريقتها الخاصة. وكان عدد من الضباط والجنود في الجيش الاتحادي قد انضموا سرًّا إلى الجبهة القومية، كما انضم آخرون بأعداد أقل إلى التحرير. وكانت المؤن تهرّب من الجيش الاتحادي إلى الثوريين في عدن وهذا ما أزعج بريطانيا أشدّ الإزعاج. وذكر ذلك تريفاسكس وتوم ليتل ودافيد ليدجر وغيرهم، ولم يكن في استطاعة بريطانيا أن تعرف كيفية تهريب السلاح إلى الإرهابيين (حسب قولها) إلى عدن. ولا شك أن كثيرين ساهموا في ذلك بما فيهم عناصر من الجيش والأمن، وحتى سيارات الإسعاف وبعض الأطباء والممرضين. ومما أتعب بريطانيا تحطيم جهاز المخابرات واغتيال العديد من ضباطه والعاملين فيه بحيث أصبح مشلولاً تماماً. وخاف هؤلاء لأنهم مراقبون فرفضوا التعاون مع بريطانيا!!

يقول **العوبلي في كتابه اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي**[(١)]: إن جبهة التحرير استطاعت أن توسع عملياتها في عدن بصورة خاصة. وكان عبدالله الأصنج ورجاله يديرون الحركة بقوة بما توفر لديهم من مال وسلاح ودعم مصر وصنعاء وإذاعة القاهرة وإذاعة صنعاء وإذاعة تعز.

وقررت بريطانيا أن تبعد الجنوب العربي عن النفوذ المصري الفعلي. وبما أن الجناح اليساري بالذات من الجبهة القومية رفض التعاون مع مصر، فإن بريطانيا بدأت تفكر في إيجاد اتصالات مع الجبهة القومية بعد أن فشلت اتصالاتها بعبدالله الأصنج في إيجاد أرضية مشتركة.. وطلبت منه التخلي عن الوحدة مع اليمن والابتعاد عن مصر، وسجلت «جبهة التحرير» حزباً سياسيًّا

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٧٦ – ١٨٠.

مشروعاً في عدن، ولكن الأصنج وجبهة التحرير رفضت هذا العرض واشتدت الهجمات على الحاميات العسكرية في عدن وإلى القاعدة الرئيسية في عدن الصغرى.

الجبهة القومية تعاني التمزق وبريطانيا تساندها

وفي خلال ذلك كانت الجبهة القومية تعاني من التمزق الشديد.. وفقدوا حتى دعم الاتحاد السوفييتي الذي توطدت علاقته مع عبد الناصر، وبالتالي لم يكن يمدّهم بالمال والسلاح لأنهم معادون لعبد الناصر [١].

ويقول العوبلي: إن قحطان الشعبي في هذه الظروف السيئة طلب العودة إلى عدن أو المحميات، وفي تلك الأثناء أعلن اللورد بيزيك عزم بريطانيا على رفع القاعدة العسكرية من عدن حيث قال رئيس الوزراء ويلسن: «إن بريطانيا كانت ترغب في وجود قاعدة حربية تحمي مصالحها، ولكن اتضح أن القاعدة في عدن تحتاج إلى قوات إضافية لحمايتها!! وأعلنت بريطانيا أيضاً القبول الكامل لقرارات الأمم المتحدة في استقلال عدن والجنوب استقلالاً كاملاً.

وسيطرت جبهة التحرير على كافة المراكز الشعبية وعلى المؤتمر العمالي بواسطة رئيس المؤتمر العمالي السيد علي حسين قاضي. ولهذا قرّر عبد الفتاح اغتياله بعد أن قام بزيارته.

---

(١) ويقول محمد علي الجفري في خطبة ألقاها في جدة في ٩ أغسطس ١٩٦٨م إن الجبهة القومية في آخر عام ١٩٦٦م كانت صفراً.. كانوا لا يستطيعون أن يعالجوا بعض الجرحى.. وقامت الرابطة بمعالجة بعض جرحاهم في عدن. وكانوا لا يدرون ماذا يعملون.. تعرف بريطانيا أن هذه الهيئة (أي الجبهة القومية) ضعيفة متخاذلة، ليست لديها أي سلطة في الجنوب أو قوة.. ولكن لديها مجاميع مستعدّة للنهب والسلب والقتل.. أعطتهم بريطانيا من المال والسلاح ما لا حد له – الضابط هوبز برسي كان يوزع المال على كل القبائل لتأييد الجبهة القومية.

واستقبله علي حسين قاضي. وعندما خرج لتوديعه أرداه عبد الفتاح قتيلاً. وقد ذكر لي الشيخ علي باعزب (القائد العسكري لجبهة التحرير) أن الذي قتل علي حسين قاضي هو أحمد سالم طوحل (عباس) من رجال عبد الفتاح إسماعيل. وقررت بريطانيا إعادة الجبهة القومية حتى تتعادل مع جبهة التحرير التي يؤيدها عبد الناصر والتي رفضت كل العروض التي قدمتها لها بريطانيا.

ويقول العوبلي: «وتم الاتصال فعلاً بقحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف الشعبي وعبد الفتاح إسماعيل وسيف الضالعي.. إلخ. وقبلوا المشروع الجديد القائم على التعاون وتبادل المصالح» [١].

«وقد شكا قحطان محمد الشعبي من أن قاعدته الشعبية قد أخذت تتفكّك بعد أوقفت حكومة صنعاء وحكومة القاهرة مساعدتها الماليّة له.. وأن هناك عائلات كانت تعيش من وراء الثورة (الإرهاب) ويجب إغاثتها. وفعلاً وبدون تسويف دفعت بريطانيا لتلك العائلات مبلغ ثمانين ألف جنيه إسترليني، وزّعها قحطان مع أعضاء مجلسه وأخذ يسترد بعض السلطة التي فقدها [٢]، وزوّدت الجبهة القومية بالأسلحة والعتاد اللازم من القاعدة العسكرية في عدن بشرط أن يتحول القتال إلى رجال جبهة التحرير.

ويقول العوبلي أن السير ريتشارد ترنبول (المندوب السامي) كان ضد هذا الاتجاه، وكان يحاول التفاهم مع عبدالله الأصنج وعبد القوي مكاوي بكافة السبل، ولكنهما رفضا التفاهم إلا بشرط تسليم السلطة لجبهة التحرير وإعلان استقلال المنطقة وأن يكون عبد القوي مكاوي أول رئيس للجمهورية. وكانت بريطانيا تقترح إدخال السلاطين بشكل ما ولو محدود في السلطة. كما وافقت

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٨٧ - ١٩٠ و٢٠٥.

(٢) هذا كلام خطير واتهام يحتاج إلى دليل. وكلام العوبلي يحتاج إلى تمحيص رغم أنه كان على صلة قوية ببريطانيا في عدن ويعتبر آخر رجالها.

بريطانيا على قيام حكومة ائتلافية عريضة تشمل وزراء من حكومة الاتحاد وجبهة التحرير والرابطة والتنظيم الشعبي.. ولكن المكاوي رفض ذلك أيضاً.

ولذلك رأت المخابرات البريطانية أنها ستستعمل وسيلتها. وترك ترنبول المندوب السامي هذه المهمة القذرة لمستشاره (رئيس المخابرات في عدن) أنطوني أشوورت وهو رجل لا يتورع عن عمل أي شيء، ومعه الكولونيل ريتشموند، رئيس الاستخبارات العسكرية البريطانية في المنطقة، وأخبرني الشيخ محمد بن عجرومة أن ريتشموند هذا اتصل به وعرض عليه الدعم الكامل بشرط أن يحارب جبهة التحرير وأن لا يخبر قادة الرابطة بذلك. وقد رفض قادة الرابطة هذا العرض.

وكان الاتفاق على أن لا تشترك الجبهة القومية بعد الآن في اغتيال أي بريطاني أو مواطن في عدن، بل تركّز جهودها على اغتيال الأعضاء والإرهابيين في جبهة التحرير حتى تعود الجبهة إلى رشدها.

وقد قبلت الجبهة القومية أول الأمر – حسب قول العوبلي – الاشتراك في حكومة ائتلافية مع أعضاء الحكومة الاتحادية، شريطة إبعاد جبهة التحرير عن الحكم. وهكذا بدأ **القتال العنيف بين الجبهتين بتدبير من بريطانيا!!** وسقط القتلى يوميًّا بين الجانبين. ولا شك أن الجبهة القومية كانت هي البادئة، وهي التي اغتالت العدد الأكبر من كوادر بل وأقارب أعضاء جبهة التحرير مثل الشيخ سالم العمودي الذي كان رجلاً مسالماً ووديعاً ولكنه زوّج ابنته لمحمد سالم باسندوه، فكان نصيبه القتل.

وازدادت الاغتيالات بدرجة مرعبة، وكنت أيامها في مستشفى الملكة. ومع هروب الأطباء الأجانب تم اختياري كمدير للمستشفى ورئيس للأطباء بالوكالة (acting)، وكنت أرتاع لعدد القتلى من الجانبين. ووصل الأمر إلى هيئة

التمريض وأغلبهم من التحرير، بل وصل الأمر إلى أفظع من ذلك. كنا نجد الجرحى في المستشفى وبجانب بعضهم آلي (رشاش) ليحمي نفسه ممن قد يأتونه باسم الزيارة ويغتالونه داخل المستشفى.. ولم يكن هناك جهاز أمن في الدولة نفسها، فضلاً عن المستشفى. لقد كانت أياماً عصيبة جدًّا. وكان من بقي من الأطباء يعملون ليل نهار لمداواة الجرحى، بالإضافة إلى الأمراض المعتادة، وبأقل من ربع عدد الأطباء.

وعرض علينا الصليب الأحمر أن يوفر الأطباء والأدوية والأدوات بشرط أن نرفع علم الصليب الأحمر على المستشفى، وسيأتي الإعلام العالمي لتصوير ذلك. وكون المستشفى تحت رعاية الصليب الأحمر الدولي يعني أننا سنحصل على فترة من الهدوء على الأقل داخل المستشفى. ووافق اتحاد الأطباء (العرب) على ذلك. ولكن بلغنا أن الشيخ محمد البيحاني اعترض على ذلك. وتبلّغ أحد الأطباء المنتمين للجبهة القومية أن قحطان الشعبي الموجود سرًّا في الأرياف (أبْين) اعترض على ذلك. وقد نشر دافيد ليدجر في كتابه «*Shiftin Sands of Arabia*» هذه الوقائع وذكرني بالإسم. وقال إن مندوب الصليب الأحمر اجتمع بقحطان في منطقة أبْين وأن قحطان رفض عرضه [(١)].

اغتيال أولاد المكاوي من قبل الجبهة القومية (حسب كلام المكاوي)

ووقع حادث مروّع في ٢٨ فبراير ١٩٦٧م حيث تم اغتيال أولاد المجاهد الوطني عبد القوي مكاوي. ونفت الجبهة القومية أي ضلوع لها في قضية الاغتيال هذه، ولكن عبد القوي مكاوي نشر في كتابه «شهادتي للتاريخ» [(٢)]

---

(١) David Ledger: *Shifting Sands of Arabia*

(٢) عبد القوي مكاوي: شهادتي للتاريخ، تقديم الشيخ محمد الشعراوي، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٤٤ – ٤٦.

ذكر أن الجبهة القومية دسَّت خادمة تُدعى فطوم إلى بيت المكاوي وكانت في الواقع تابعة للجبهة القومية، ووجدوا في أحد ثيابها ورقة فيها اسم عضو مهم من أعضاء الجبهة القومية بعد الحادث (وطبعاً هربت هذه المرأة قبيل الحادث بسويعات). وانتهز الجناة غياب الحارس الخاص ووضعوا متفجرات خلف النافذة في الدور الأرضي في غرفة التلفزيون «فهرع أولادي جلال وعادل وسمير، حيث أمسكوا بفتيل انفجر فيهم وأرداهم جميعاً قتلى، ولحق بهم شقيقهم شوقي، ولكن عناية الله كتبت له النجاة، وهرعت زوجتي وبناتي إلى مكان الحادث بعد الانفجار فوجدوا الأولاد وقد لفظوا أرواحهم».

وخرجت عدن كلها تبكي هؤلاء الشهداء وتبكي الواقع المرّ المدمّر الذي وصلت إليه هذه المدينة الجميلة المسالمة.. وكالمعتاد خرج القتلة أيضاً في الجنازة، وكما يقول المثل المصري «يقتل القتيل ويمشي في جنازته».

وكان عبد القوي مكاوي يومها في تعز، وتمّت الجنازة في أول مارس ١٩٦٧م. وأبدى المكاوي ثباتاً ورباطة جأش وقال: إن مئات من أبناء شعبنا الباسل استشهدوا في سبيل الوطن وكلهم أبنائي.. وإذا كان جلال وعادل وسمير قد لحقوا بإخوتهم الشهداء فإنهم قد نالوا شرف الاستشهاد في سبيل وطنهم، ونحن نعاهدكم ونعاهد الله أننا على الدرب سائرون».

ويقول المكاوي إن الحرب الأهلية الدامية التي حدثت في سبتمبر ١٩٦٧م دبّرتها المخابرات البريطانية بالاتفاق مع الجبهة القومية. وعندما قامت جبهة التحرير بإرسال قواتها من الشمال اليمني بقصد الاستيلاء على كرش (في الحدود بين لحج والراهدة في الشمال) أقلعت الطائرات البريطانية من عدن لضربها وقصف عناصرها وقتل الأبرياء من المواطنين المتواجدين بالقرب منها [١].

(١) المصدر السابق، ص ٤٦.

محاولات رأب الصدع بين الجبهتين

وتدخلت الجامعة العربية وأصدرت نداءها بأن تتولى حكم الجنوب حكومة مكونة من كافة القوى الوطنية. ثم عقد في أكتوبر ١٩٦٧م مؤتمر القاهرة، إلا إن الإنجليز رأوا مصلحتهم في إذكاء الحرب بين الفريقين (الجبهة القومية وجبهة التحرير) فاستخدموا كافة قواتهم البريّة والجويّة لخدمة عناصر الجبهة القومية لترجيح كفتهم. وقصفت مقاتلات سلاح الطيران البريطاني المناطق التي حرّرتها جبهة التحرير [١].

ورغم ذلك فقد استمرت الجبهتان في القاهرة برعاية الرئيس جمال عبدالناصر في المباحثات، وتمت صياغة مشتركة للحكم أبرز ملامحها:

١- تشكيل مجلس رئاسة يضم عضوين أحدهما من الجبهة القومية والآخر من جبهة التحرير، وتكون رئاسة المجلس لجبهة التحرير (ورئيسه عبد القوي مكاوي).

٢- حكومة برئاسة عضو من الجبهة القومية مع نائبين لرئيس الوزراء أحدهما من جبهة التحرير والآخر من الجبهة القومية. كما اتُّفق أن يكون وزير الأمن من الجبهة القومية ووزير الدفاع ومن جبهة التحرير.

٣- إفساح المجال لكافة فئات الشعب للاشتراك في مختلف المجالات، على أن تجرى انتخابات عامة فيما بعد..

«وبالرغم من مماطلة الجبهة القومية، أمكننا التوصل إلى اتفاق مبدئي حتى بالنسبة لموضوع تحديد العَلَم لدولة الجنوب وتسمية الدولة الجديدة» [٢].

---

(١) عبد القوي مكاوي: شهادتي للتاريخ.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧.

ويقول المكاوي عندما وصلنا إلى موضوع تشكيل الوفد الذي سيفاوض بريطانيا ازداد الخلاف وانفضت الجلسة [١].

تسليم بريطانيا الجنوب للجبهة القومية

وفي اليوم التالي حدثت الاشتباكات الدموية التي افتعلها الاستعمار في المنطقة، وقطعت الجبهة القومية المفاوضات. وقام الجيش تحت قيادة الجنرال البريطاني (داي) بحملة مكثّفة لتسليم المناطق في الجنوب للجبهة القومية.. وتساقطت الولايات الواحدة تلو الأخرى تساقطاً مسرحيًّا لم يسبق له مثيل في التاريخ[٢].

وقد أجمعت جميع المصادر البريطانية والعربية التي كتبت عن هذا الموضوع أن جميع ما كان يسمى بالمحميات الغربية تم إسقاطه في أقل من أسبوعين. وأن القوات البريطانية كلها انسحبت من جميع أرجاء الاتحاد قبل ذلك ببضعة أشهر وتم تسليم حضرموت والمهرة في أقل من أسبوع دون أي مقاومة تذكر.. وكان الجيش الاتحادي يتولى تسهيل أمور التسليم للجبهة القومية في ما كان يُسمى المحميات الغربية.

الجيش الاتحادي ينضم إلى الجبهة القومية بأوامر بريطانيا

وفي ٧ نوفمبر ١٩٦٧م أعلن الجيش الاتحادي رسميًّا ولادة الجبهة القومية، وفي يوم ٩ نوفمبر وجهت الجبهة القومية نداء تدعو فيه بريطانيا للاعتراف بها والتفاوض معها لتسليم حكم الجنوب [٣].

---

(١) عبد القوي مكاوي: شهادتي للتاريخ.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٧.
(٣) المصدر السابق.

وفي ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧م حذّرت اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة من أن استلام أي من الجبهة القومية أو جبهة التحرير الحكم في الجنوب بمفرده سيؤدي إلى عواقب وخيمة وحرب أهلية مدمّرة [١].

وبالفعل بدأت بريطانيا المفاوضات في جنيف مع الجبهة القومية في ٢١ نوفمبر ١٩٦٧م وانتهت في ٣٠ نوفمبر بإعلان استقلال الجنوب اليمني.

واستطاعت بريطانيا أن تسحب جميع معداتها الثقيلة من القاعدة بسلام، كما استطاعت أن تسحب جميع قواتها دون أن تفقد جنديًّا واحداً. وذلك بعد اتفاقها السري مع الجبهة القومية في التفاوض معها وتسليمها البلد. وامتلأت السجون بالمعتقلين، واستخدمت الجبهة القومية كثيراً من المباني كمعتقلات. وأعلن الاستقلال وأعداد غفيرة من سكان الجنوب وعدن بالذات في المعتقلات [٢].

ويقول العوبلي في كتابه «اغتيال بريطاني لعدن والجنوب العربي» [٣]: **إن بريطانيا لم تتفق مع الجبهة القومية إلا بعد أن فشلت مع كافة الأطراف، فهي قد حاولت منذ قدوم حكومة العمال على التفاهم مع عبدالله الأصنج ومكاوي، وتقرر عقد مؤتمر دستوري عن الجنوب في لندن ديسمبر ١٩٦٥م ودُعي إليه المكاوي والأصنج، ولكنهما غيّرا موقفهما بعد أن مرّا على القاهرة..**

وفي شباط (فبراير) ١٩٦٧م وضع دستور جديد يقضي بأن تتحوّل دولة الجنوب إلى جمهورية وأن يتخلى السلاطين عن مناصبهم، وتبقى لهم صفة شرفية فقط. وانتخب الأعضاء الشريف حسين بن أحمد الهبيلي رئيساً للجمهورية الجديدة، ولكنه رفض ذلك بشدّة واعتذر بكبر سنه [٤]. والواقع أنه كان لا يثق

(١) عبد القوي مكاوي: شهادتي للتاريخ.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٩.
(٣) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ١٦٩.
(٤) المصدر السابق، ص ١٩٩.

في بريطانيا بعد أفاعيلها، وكان يعتقد اعتقاداً جازماً بأنها ستسلم السلطة إلى الجبهة القومية بعد أن فشلت محادثاتها مع الأصنج ومكاوي.

ويقول العوبلي: «بعد دحر جبهة التحرير ومصرع قائدها العسكري العام المجعلي في حادث تصادم سيارة في صنعاء، خلا الجو نهائيًّا للجبهة القومية فقامت باستئناف العنف من جديد. ورغم وجود اتفاق سري في إيقاف العنف، إلا أن هذا الاتفاق لم يكن يشمل إلا أفراداً من القادة، وبالتالي فإن عناصر أخرى استمرت في أعمالها الإرهابية (حسب قوله) [(١)].

وفي ١٢ فبراير (شباط) ١٩٦٧م جرى الاستعداد لحفل استقبال كبير للذكرى الثامنة على قيام الاتحاد. «وفي الهزيع الأخير من الليل»، يقول العوبلي، «استيقظت على دوي انفجارات شديدة، كما لو كان المقر الرسمي على وشك السقوط» وتبيّن أن عدداً من الصواريخ أطلقت على المقر الرسمي للاتحاد (ورئيسه محمد حسن عوبلي).. وعند تمشيط المنقطة وجدت قوات الأمن ما يزيد على مائة صاروخ مؤقت مخفية بين الأشجار [(٢)].

ويقول: وفي غمرة النزاع الشديد مع جبهة التحرير ومن يساندها، أقحمت الحكومة البريطانية في عدن جيش الاتحاد في الشؤون السياسية (أي وجهوهم لمساندة الجبهة القومية) وقام بهذه العملية الجنرال فاينر، دون استشارة الحكومة الاتحادية، وعارضه نائب قائد الجيش الاتحادي العقيد ناصر بريك (وسيأتي نص ما كتبه عن دفع بريطانيا لقوات الجيش الاتحادي بالانضمام إلى الجبهة القومية). وقد أُعفي الجنرال فاينر من منصبه وحلّ محله الجنرال داي (والذي بدوره في مرحلة متأخرة أمر الضباط بالانضمام إلى الجبهة القومية).

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

ويقول العوبلي إنه استطاع أن يرسل قوة عسكرية من جيش الاتحاد مخلصة للاتحاد لضرب مظاهرة مسلّحة في الشيخ عثمان نظمتها الجبهة القومية. وقد حصل اشتباك مسلح وقتل فيها «عبود» القائد العام للجناح العسكري في الجبهة القومية [١]. واحتفلت الجبهة القومية بعد ذلك بيوم الشهداء (١٢ فبراير من كل عام).

وعادت بريطانيا إلى فكرة إنشاء حكومة عريضة القاعدة تشمل جبهة التحرير والجبهة القومية ووزراء من الحكومة الاتحادية والرابطة.. ورفضت جبهة التحرير كل عرض، وكانت تريد أن تسلمها بريطانيا السلطة وحدها، وهو أمر مستحيل واقعيًّا وعمليًّا وإيديولوجيًّا وبريطانيا تعلم أن جبهة التحرير تسيّرها مصر.. وكانت مصر عبد الناصر العدو الأول لبريطانيا في المنطقة، وخاصة بعد هزيمة السويس ١٩٥٦م والتي تآمرت فيها الولايات المتحدة ضد بريطانيا وأذاقتها كأس الذل. ووصل المستر جورج تومبسون وزير الدولة للشؤون الخارجية إلى عدن، وطلب مقابلة المجلس الاتحادي فوراً، وجاء معه المندوب السامي ومستشاروه. واقترح إعلان استقلال الحكومة الاتحادية في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م وبدأت السلطة البريطانية في تسليم مقاليد الأمور في عدن وغيرها مباشرة خلال الفترة الانتقالية.. وستجد الأمم المتحدة نفسها أمام الأمر الواقع [٢].

وكان البيان يشمل إلغاء مسؤولية بريطانيا عن الدفاع عن الاتحاد مع استمرار المساعدة المالية ومجموعها ستين مليون جنيه استرليني تدفع على ثلاثة أقساط سنوية. ورفض المجلس هذا العرض أيضاً لأنهم يريدون من بريطانيا الالتزام بتعهداتها السابقة في المحافظة عليهم. وأنهم لا يستطيعون صدّ أي هجوم

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٠.

مصري – يمني بدون دعم بريطانيا عسكريًّا. وقال وزير الخارجية البريطانية إن دولته مستعدّة أن تبقى قوة بحرية ضاربة لمدة ثلاثة أشهر فقط، وأن الأسطول البريطاني سيشترك في الدفاع عن الاتحاد إذا حصل غزو خارجي (مصري – يمني) خلال هذه المدة فقط (أي ثلاثة أشهر). ولكنها لن تلتزم بالدفاع عن الاتحاد بعد هذه المدة (١). ورفض الوزراء الاتحاديون أيضاً هذا العرض، فقال لهم الوزير وهو يهم بالمغادرة: «لقد قضيتم بأنفسكم على أنفسكم»(٢).

وكانت لجنة الأمم المتحدة قد جاءت إلى عدن وفشلت المحادثات معها وسجل رئيسها حديثاً للإذاعة يهاجم فيه بشدّة حكومة الاتحاد والسلاطين ويدعو لإسقاطهم. واتفق العوبلي (رئيس الوزراء) وحسين بيومي وزير الإعلام، ووزير الخارجية محمد فريد عولقي على عدم إذاعة البيان. واتصل بهم آشووث (رئيس المخابرات البريطانية) معترضاً على قرارهم ذلك.. وأصرّ العوبلي على عدم إذاعته ولو جاء به المندوب السامي نفسه (٣).

بريطانيا تتخلى عن حكومة الاتحاد وتتفق مع الجبهة القومية

وبعد هزيمة يونيه (حزيران) ١٩٦٧م المدوية للجيش المصري والجيوش المتحالفة معه واحتلال إسرائيل للضفة الغربية والجولان وقطاع غزة وسيناء (أكثر من ضعف مساحة إسرائيل قبل ١٩٦٧م)، قدم اللورد شاكلتون وزير الدولة للشؤون الخارجية ومساعده إلى عدن واجتمع به العوبلي وقال له: إنه وجد من غير الممكن استمرار الحكومة الاتحادية، وإن المشكلة التي تواجهه هي من سيتولى الحكم بعد سقوطها.. ثم قال: إنه ليس أمامه خيار، فجبهة التحرير مرتبطة بالقاهرة ارتباطاً وثيقاً، ولم يبق أمامه سوى الجبهة القومية التي تختلف

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٢١١ – ٢١٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١٥ – ٢١٦.

مع القاهرة وصنعاء وسيعمل على تشجيعها للاستيلاء على الحكم [١].

وقال شاكلتون إن بعض الوزراء الاتحاديين وافقوه على رأيه، ولكنهم طلبوا اشتراط بريطانيا على الجبهة القومية أن تضمن سلامتهم وسلامة أموالهم وديارهم. وقد حصل على ذلك ولكن الجبهة لم تفِ بوعدها.

وقال شاكلتون إنه اجتمع بالفعل مع فيصل الشعبي وعبد الفتاح إسماعيل وسيف الضالعي وأنور خالد في مكتب المندوب السامي، وإنه قد وصل إلى تفاهم معهم [٢].

واقتضت المرحلة الجديدة إقالة السير ريتشارد ترنبول وتعيين همفري تريفليان لينهي قضية الجنوب ويصفّيها.. وتظاهر تريفليان أمام المجلس الاتحادي بأنه مهتم بإقامة حكومة عريضة تشمل الجبهتين وبعض الوزراء الاتحاديين والرابطة. والواقع أنه كان قد اتفق مع وزير الخارجية شاكلتون على تسليم السلطة للجبهة القومية فقط. وكان وصول تريفليان في اليوم الأول من شهر حزيران (يونيه) ١٩٦٧م. وبعد أقل من أسبوع فقط اندلعت حرب حزيران. وكان بعض أفراد المجلس الاتحادي وبعض ضباط الجيش يعتقدون أن بريطانيا قد ساعدت إسرائيل في هجومها على مصر، وحدث انفجار في الجيش الاتحادي يوم ٢٠ يونيه.. وتمردت الشرطة المسلحة العدنية ونصبت كميناً لعدد من الجنود البريطانيين فقتلتهم جميعاً وانسحب الإنجليز من الحي التجاري في كريتر. وأسقط الثوار طائرة هليكوبتر بريطانية وتم إعلان مدينة كريتر مدينة حرّة. واضطرت بريطانيا لاستقدام فرقة اسكوتلندية لاستعادة كريتر. وبالفعل استعادتها [٣].

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٢٢٠ – ٢٢١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢١.

(٣) المصدر السابق ، ٢٢٧ – ٢٢٨.

وأصبحت حكومة بريطانيا بعد ذلك تعمل علناً على استرضاء الجبهة القومية. وطلب المندوب السامي همفري تريفليان من العوبلي أن يطلب من السلطان فضل بن علي وزير الدفاع أن يستقيل من منصبه فرفض ذلك إلا إذا استقال قائد الجيش الجنرال داي والكولونيل شابلين باعتبارهما المسؤولين المباشرين عن الأحداث.. وقد أمر تريفليان الجهاز الخاص بالتخلص من السلطان فضل بن علي وجعل التهمة على الرابطة. وغضب العوبلي لذلك. وأخبر تريفليان أنه سيخبر فضل بن علي بذلك، وفعلاً أخبره ولم تنفذ الخطة.

الحرب الأهلية والانضمام الكامل للجيش الاتحادي للجبهة القومية

يقول العوبلي [١]: «وفي ١٤ آب (أغسطس) غادرنا عدن إلى جنيف للتفاوض مع الأمم المتحدة.. وفي حين كان الوزراء الاتحاديون قد وصلوا إلى تفاهم مشترك مع وفد الأمم المتحدة، كان السير همفري تريفيليان قد قام بتنفيذ وتسليم السلطة للجبهة القومية، مقابل تنازلها عن مبلغ ستين مليوناً من الجنيهات - حسب الاتفاق بين بريطانيا والحكومة الاتحادية - ومقابل وقوفها في وجه حكومة صنعاء والقاهرة».

«وبدأت الحرب الأهلية بين الجبهة القومية وجبهة التحرير في عدن، وانهزمت الجبهة القومية، ولكن قوات من الجيش الاتحادي تحركت بأوامر المندوب السامي وضربت جبهة التحرير باستعمال الدبابات والمصفحات وأعلن الجيش الاتحادي تضامنه مع الجبهة القومية. وكان القتلى والجرحى بالآلاف وكثير منهم من المدنيين، وكانت أشد المعارك في المنصورة والشيخ عثمان ودار سعد.

«أما نحن، فقد عدنا من جنيف إلى بيروت لنواصل الرحلة إلى عدن. وفي

---

(١) العوبلي، ص ٢٢٨ - ٢٣٠.

بيروت أبلغنا السفير البريطاني بعدم رغبة بريطانيا في عودتنا. وفي حالة رفضنا ستتخذ إجراءات ضدنا في مطار عدن».

«وفي نفس اليوم أعلن المندوب السامي السير همفري تريفيليان أن الحكومة الاتحادية قد انهارت وتوقفت عن العمل».

ويقول: «لقد تنازلت الجبهة القومية عن التزام بريطانيا بدفع ٦٠ مليون جنيه مقابل حوالة مصرفية بثلاثة ملايين جنيه لأعضائها الرئيسيين.. وطلب منهم التنازل عن جزر كوريا موريا وإرجاعها لسلطنة مسقط وعمان فقبلوا ذلك. وطلب منهم إبادة البقية الباقية من أعضاء جبهة التحرير في عدن، وحين عجزوا أرسل البريطانيون الجيش (الاتحادي) لمساندتهم..

واحتل أعضاء الجبهة القومية «لودر» و«زارا» في سلطنة العواذل بدون مقاومة لأن فرقة الجيش الاتحادي هناك هدّدت بقصف أي جماعة تحاول مقاومة الجبهة القومية. وكان السلطان صالح بن حسين العوذلي (وزير الأمن الداخلي في دولة الاتحاد) في أحد مستشفيات لندن حيث أجريت له عملية جراحية.

وتساقطت الولايات واحدة بعد الأخرى حسب أوامر ومخططات المندوب السامي. وأمر وزير الدفاع الجيش الاتحادي بأن يتصدى للجبهة القومية. ولكن الجيش رفض إلا إذا صدر أمر من القائد العام الجنرال داي البريطاني. وقد رفض الجنرال داي إعطاء الأوامر.

ويقول العوبلي [(١)]:

«ولكن الجنرال داي أصدر أوامره للجيش للتصدي لقوات جبهة التحرير في لحج والشيخ عثمان لنصرة الجبهة القومية!! وأعلن الجيش ولاءه للجبهة القومية رسميًّا.

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٢٣١ – ٢٣٢.

واضطر الشريف حسين بن أحمد الهبيلي (شريف بيحان) إلى مغادرة بلاده عندما هدّدت بريطانيا أصدقاءها القدامى بقصف دورهم، إذا وقفوا ضد الجبهة القومية.

وجمعت بريطانيا بقية الحكام في عدن بالطائرة بحجة التفاوض ومن ثمّ أرسلتهم دفعة واحدة إلى السعودية (مطار جدة). حتى سلطان حضرموت السلطان غالب بن عوض القعيطي وسلطان الكثيري وسلطان المهرة لم تسمح لهم بريطانيا بالنزول من السفينة التي وصلت بهم إلى المكلا. وأصر سلطان المهرة على النزول لكِبَر سِنِّه، فاعتقلته الجبهة القومية. وأحدثت بريطانيا انقلاباً في جيش البادية الحضرمي بين عشية وضحاها. وإذا بسلاطين حضرموت يُرسلون إلى جدة للنفي رغم إرادتهم وإرادة شعوبهم».

ويقول العوبلي [1]: «إنني لا أزال أتذكر قول السير همفري تريفيليان: إن حكومة الاتحاد متمسكة بالنزاهة، ولكنها لا تريد أن تفهم أنه يوجد في سوق المزاد السياسي من هو مستعد للتعامل معنا كما نريد، وسيبيع ضميره بأبخس الأثمان».

عبد القوي مكاوي يوضح الحقائق

ويحلّل عبد القوي المكاوي [2] أسباب اندفاع بريطانيا للتفاهم مع الجبهة القومية والتخلي عن حكومة الاتحاد والمجموعات الأخرى بعد أن كانت وافقت على تسليم الحكم للمجموعات بشرط أن يتفقوا (جبهة التحرير، الجبهة القومية، الرابطة، حكومة الاتحاد، ..إلخ) وهو ما طلبته الجامعة العربية والأمم المتحدة. ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية:

---

(١) العوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٢٣٣.

(٢) عبد القوي مكاوي: شهادتي للتاريخ، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٥٤ – ٥٥.

(١) ظهور أزمة اقتصادية حادة في بريطانيا جعلتها تبحث عمّن يسمح لها بالتخلص من التزاماتها المالية التي قد التزمت بها تجاه دولة الاتحاد (ستين مليون جنيه استرليني). وكانت جبهة التحرير تطالب بمبالغ أكبر بكثير من ذلك تعويضاً من فترة الاستعمار (١٢٩ سنة) ومما لحق بعدن والجنوب من المآسي.

(٢) أن الجبهة القومية هي الوحيدة التي أبدت استعداداً في المفاوضات السرّية على أن تخلي بريطانيا من مسؤولياتها المالية.

(٣) أن الجبهة القومية كانت في عزلة تامة عن العالم العربي.. وأنها نتيجة لذلك ستقود جنوب اليمن (كما حصل بالفعل) نحو سياسة منعزلة عن الأسرة العربية، وبالتالي سوف يسهل جرّها إلى مسار الاستعمار الجديد.

(٤) أن الحقد والطفولة اليسارية التي تتميز بها كوادر الجبهة القومية هما خير ضمان لقيام سياسة فوضى وإرهاب توقع بالشعب الانتقام جزاء لما واجهته بريطانيا من ضربات منذ عام ١٨٣٨م وحتى عام ١٩٦٧م. وتجر البلاد إلى كوارث ونكبات. وتكون أسوأ مثال للعالم عن المبادئ اليسارية.

(٥) أن تريفلين (همفري تريفيليان) كان يدرك جيداً أن صفات الرعونة السياسية والمراهقة الفكرية تتوافر في قيادات الجبهة القومية، وأنه بغرس هذه القيادات في موقع الحكم في جنوب الجزيرة العربية، يمكن خلق معضلة أخرى للعالم العربي.

(٦) لا خطورة من بقاء نموذج سيء للغاية من الحكم اليساري لا يهدّد أي مصالح بريطانية، [بل ويخدمها ويكون درساً لدول الخليج العربي التي كانت لا تزال تحت الحكم البريطاني، ويجعلها تبتعد عن هذا المثال السيئ.. وتقبل التفاهم مع بريطانيا في إيجاد دول معتدلة تنظر إلى مصالحها ومصالح شعوبها دون الإخلال بمصالح بريطانيا] [١].

---

(١) ما بين معقوفين من كلامي وليس من كلام المكاوي.

وأضيف إلى ذلك الملحق والتاريخ، كما وجدته في المؤلفات حول هذا الموضوع من كتاب بريطانيين وغيرهم:

(١) إن سياسة حزب المحافظين كانت مبنية على أساس إيجاد قاعدة عسكرية ضخمة لبريطانيا في عدن تحمي مصالحها ومصالح الكتلة الغربية كلها في منطقة الخليج (البترول) والشرق الأوسط وشرق إفريقيا. وخاصة بعد أن اضطرت بريطانيا للتخلي عن قاعدتها في قناة السويس بعد اتفاقها مع عبدالناصر عام ١٩٥٤م، واضطرارها للتخلي عن قواعدها في العراق وفي الأردن، وبعد ذلك في قبرص وفي كينيا، فلم يبق إلا عدن ولهذا أنفقت على هذه القاعدة قرابة مائة مليون جنيه استرليني. ورفضت التخلي عن عدن والجنوب إلا بإيجاد حكومة تقبل بتحكم بريطانيا في عدن والقاعدة، وهو ما شرحناه عند الحديث عن اتحاد الجنوب العربي.

(٢) عندما جاءت حكومة العمال في خريف عام ١٩٦٤م، كانت علاقتها بعبدالله الأصنج ممتازة وتوقع الجميع أنها ستسلّمه الحكم وتتخلّى عن السلاطين أو تجعل لهم دوراً هامشيًّا جدًّا. وقد ذكرنا بتفصيل ذهاب المكاوي والأصنج لمؤتمر لندن في أواخر عام ١٩٦٥م وقد ذهبا إلى القاهرة أولاً قبل لندن. وهناك تلقيا تعليمات بتغيير الخط ورفض العرض البريطاني، وهو ما أثار حزب العمال البريطاني ضد الأصنج الذي كانوا يعتبرونه صديقهم وكانوا مستعدّين تماماً للتفاهم معه. وقد اعترف الأستاذ عبدالله الأصنج بذلك، وأخبرني شخصياً (في حديث خاص) بأنه وقع تحت ضغوط القاهرة والمكاوي واضطر لرفض العرض البريطاني.

(٣) حاولت بريطانيا - كما قد مرّ معنا - إغراء حكومة الاتحاد (عام ١٩٦٤م) و(عام ١٩٦٧م في بدايته) بالاتفاق معها. ولكن شريف بيحان رفض العرض، خوفاً من المعارضات المحليّة والعربية والدولية، وخوفاً من تخلّي بريطانيا عن أصدقائها، وهو أمر معهود منها.

(٤) حاولت بريطانيا آخر الأمر أن تسلّم السلطة إلى المجموعات الوطنية (الجبهة القومية، جبهة التحرير، الرابطة، ما بقي من السلاطين الثائرين، والاتحاد)، ولكن جمع هؤلاء في بوتقة واحدة كما طلبت الجامعة العربية أمر مستحيل، لأنهم مختلفون حتى النخاع فيما بينهم، وكل فريق يرمي الآخرين بأبشع التهم.

(٥) قررت حكومة العمال أخيراً أن تتخلّى عن القاعدة، وهي نقطة الخلاف الأساسية بينها وبين المجموعات الوطنية. وذلك لأن دور بريطانيا العالمي قد تقلّص بالفعل. ورأت بريطانيا أن تكاليف القاعدة كبيرة جدًّا بالنسبة لها. وأن الولايات المتحدة التي اضطرتها للخروج ذليلة في حرب السويس عام ١٩٥٦م، تسعى لإخراجها من إيران ومنطقة الخليج الغنية بالبترول. ولا داعي للدخول مع الولايات المتحدة في مجابهة خاسرة في النهاية. ولذا تعاونت معها على اقتسام الغنائم وبالتالي تتخلّى عن المهمات العسكرية الصعبة، والأسطول الأميركي موجود في المياه الإقليمية، وفي دياجارسيا في المحيط الهندي والقواعد الأمريكية كافية لحماية المصالح الغربية (طبعاً على رأسها المصالح الأميركية) فكان التخلي عن القاعدة أمراً منطقيًّا.

(٦) بما أن بريطانيا قررت التخلّي عن القاعدة العسكرية وهي تمرُّ بأزمة اقتصادية خانقة، فكان من المناسب والمنطقي أن تبحث عن جبهة وطنية.. إلخ. تخليها من جميع هذه المسؤوليات. ولم تكن هناك أي مجموعة وطنية تستطيع أن تفعل ذلك، لا حكومة الاتحاد ولا الرابطة ولا جبهة التحرير. ولم يكن هناك سوى الجبهة القومية التي أبدت استعداداً تامًّا لقبول هذه الشروط البريطانية في اجتماعات سريّة عقدت في عدن وأبْين وغيرها بين المسؤولين البريطانيين وسير همفري تريفليان بذاته وبين قادة الجبهة القومية وبالذات قحطان الشعبي وفيصل الشعبي وأنور خالد.. بل وعبد الفتاح إسماعيل الذي وصفه المفاوضون البريطانيون بأنه كان براجماتيًّا إلى أقصى الحدود.

(٧) هناك فوائد أخرى، ومنها أن هذه الدولة الجديدة التي ستقدّم أبشع مثل لدول الخليج وشعوبها في الاشتراكية ستكون حافزاً لهم على اجتناب هذا النموذج السيئ، والسير بهم نحو التعقّل، واتخاذ خطوات منطقية في مصلحة بلادهم وشعوبهم، وتحافظ في نفس الوقت على المصالح الغربية. وهو ما تم بالفعل.

باسندوه يشرح الأسباب

وقد ذكر محمد سالم باسندوه في كتابه «الجنوب اليمني المحتل في الأمم المتحدة» [١]، أن من أسباب تسليم بريطانيا للجبهة القومية، كون الجبهة القومية أكثر انضباطاً من جبهة التحرير. وهي منظمة سريّة قامت على إطاعة الأوامر «نفّذ ثم اسأل» وأن التعامل مع الجبهة القومية أسهل من جميع النواحي من التعامل مع جبهة التحرير (وفيها جانب ديمقراطي يؤدي إلى كثرة الآراء واحتدام النقاش ولا يستطيع أحد أن يفرض رأيه فيها).

ومن أهم العوامل أن جبهة التحرير تخضع لتأثير مصر بينما كانت الجبهة القومية قد ساءت علاقتها بمصر.. وبريطانيا لم تغفر لمصر عبد الناصر إذلالها في السويس وإخراجها من المنطقة العربية بأسرها.

وسننقل ها هنا بعض ما جاء في كتاب باسندوه [٢]:

«في أول نوفمبر ١٩٦٧م أصدر وفدا الجبهتين: التحرير والقومية، المجتمعان إذ ذاك في القاهرة بياناً يعلنان فيه عن توصلهما إلى اتفاق حول ما قد بحثاه، وأن ما بقي عليهما بحثه والاتفاق عليه أقل مما قد فرغا منه».

---

(١) محمد سالم باسندوه: قضية الجنوب اليمني في الأمم المتحدة ١٩٥٩م، فصل لماذا اعترفت بريطانيا بالجبهة القومية وسلمتها السلطة وحدها، ص ٥٠٩ – ٥٢٤.

(٢) محمد سالم باسندوه: المصدر السابق، ص ٥١٢ – ٥١٣.

«وبعد ساعات من ذلك الإعلان أدلى وزير خارجية بريطانيا المستر جورج براون داخل مجلس العموم البريطاني عن قرار حكومته بتقديم موعد منح الجنوب العربي الاستقلال من ٩ يناير ١٩٦٨م إلى النصف الثاني من شهر نوفمبر ١٩٦٧م».

«وفي اليوم الثاني مباشرة نقلت وكالات الأنباء والإذاعات العالمية من عدن نشوب قتال بين الجبهة القومية وجبهة التحرير في عدن، وأن قطاعات من القوات المسلحة المحلية انضمت إلى المعارك الدائرة بين الفصيلين. وجاء تفجّر تلك الجولة الأخيرة من الاقتتال الأهلي عقب هدنة استمرت حوالي الشهرين.

«في ٧ نوفمبر أعلن المندوب السامي في عدن السير همفري تريفيليان اعتراف بلاده بالجبهة القومية وحدها ممثلاً شرعيًّا للشعب. ثم أرفق الاعتراف بدعوة قيادتها للتفاوض وتسلم السلطة».

وتساءل عن دوافع بريطانيا لهذا الإجراء وخاصة بعد اتفاق الجبهتين في القاهرة، ولماذا تفجر القتال بعد إدلاء الوزير البريطاني ببيانه في البرلمان البريطاني في الثاني من نوفمبر؟ ولماذا قدّمت بريطانيا موعد الاستقلال من يناير ١٩٦٨م إلى نوفمبر ١٩٦٧م؟

ووصل إلى أن بريطانيا أقامت اتصالات سرّية مع الجبهة القومية ووصلت معها إلى اتفاق يرضيها ويخليها من مسؤولية دفع ستين مليون جنيه استرليني في وقت تعاني فيه من أزمة اقتصادية خانقة.

وذكر أن عضو مجلس العموم البريطاني من حزب العمال المستر توم درايبرج ذهب إلى تعز لمقابلة الأصنج، ولكن المحاولة أخفقت. وربما كان هذا جُزءاً من السبب في اتجاه بريطانيا، ولكنه قطعاً ليس السبب الوحيد.

وقرر أن أهم سبب في ذلك هو كره بريطانيا للرئيس عبد الناصر، وأن جبهة التحرير على ارتباط وثيق بحكومته، بينما الجبهة القومية على خلاف مع مصر،

ولذا فلن يكون لمصر نفوذ في الجنوب إذا استولت الجبهة القومية على الحكم.

وكانت بريطانيا تتوقع أن تتحول الجبهة إلى الماركسية، ويكون تطبيقها في الجنوب اليمني أسوأ دعاية للماركسية وللحركات المتطرّفة، حتى تبتعد منطقة الخليج عن هذا المثال السيء والصارخ في وضاعته.

ومن البواعث أن نظاماً مثل الجبهة القومية سيعمل على منع الوحدة اليمنية عمليًّا رغم التشدّق بها كلاماً.

وسأنقل ها هنا ملحقاً من كتاب المجاهد عبد القوي مكاوي «شهادتي للتاريخ»، وهو يوضح كيف أمرت بريطانيا قادة الجيش الاتحادي بالانضمام إلى الجبهة القومية والقتال في صفوفها.

ناصر بريك يشرح أوامر بريطانيا بالانضمام للجبهة القومية

ويقول الزعيم ناصر بريك العولقي نائب القائد العام للقوات المسلحة في جيش الجنوب العربي وعضو القيادة العليا للجبهة الوطنية المتحدة حاليًّا:

بكل الإعجاب والتقدير، تابعنا نشر مذكرات الزعيم الوطني الكبير عبدالقوي مكاوي.. وما تقدمه على لسان الرجل، من أدلة لا تقبل الجدل، وحقائق لا يرقى إليها الشك، حول هوية الحكم الشيوعي العميل القائم الآن في جنوب اليمن..

إنني لن أتحدث في هذه السطور عما يعانيه شعبنا المقهور تحت حماية الجبهة القومية من تشريد وقتل وتكبيل للحريات ونهب للحقوق.. لن أتحدث عن المجاعة ونهب الأموال وكيف أصبح المواطن في ظل هذا الحكم المشؤوم لا يأمن على حياته ساعة واحدة، بل لا يستطيع حتى مجرد السؤال في مختلف أقطار الوطن العربي والتائه في بلده.. ولكني سأقصر في حديثي عما أتيح لي أن أراه وألمسه من تواطؤ مكشوف ومفضوح بين سلطات الاحتلال البريطاني والجبهة القومية.

أولاً: كانت جبهة التحرير تقوم بعمليات عسكرية مؤثرة ضد الوجود البريطاني في الجنوب، ولكن السلطات البريطانية كانت تزعم – كذباً – مسؤولية الجبهة القومية عن هذه الأحداث في محاولة لتضخيم حجم الجبهة القومية. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما حدث عندما وجهت فرقة كاملة من قوات التحرير نيرانها المكثفة على مقر قيادة الشرق الأوسط في التواهي بعدن، وتأكد لبريطانيا من خلال نوعية السلاح المستعملة أن جبهة التحرير كانت المسؤولة عن هذه العملية ولكنها زعمت أن الجبهة القومية هي التي قصفت مقر القاعدة، وقبلت الجبهة القومية سرقة جهود الآخرين..

ثانياً: كنا ذات يوم نجلس في نادي الضباط بخور مكسر مع عدد من الضباط، وكان موجوداً معنا الزعيم (داي) قائد الجيش عندما علمنا أن المندوب السامي سيذيع بياناً هامًّا من الراديو، لم نكن نعرف مضمون البيان وفي تمام الساعة السادسة من ذلك اليوم، وكان ذلك **خلال شهر يونيه ١٩٦٧م** فوجئنا بالمندوب السامي يعلن في بيانه أن الجبهة القومية هي الممثل الشرعي لشعب الجنوب وأن الحكومة البريطانية ستبدأ في التفاوض معه. ولقد وقع النبأ علينا كالصاعقة، فنحن نعرف أن جبهة التحرير تتمتع بتأييد شعبي غلاب بينما لا تحظى الجبهة القومية بتأييد معظم قطاعات الشعب المختلفة، كذلك فقد كانت تدور في القاهرة وقتئذ محادثات للوحدة الوطنية تستهدف تشكيل وفد موحد للتفاوض مع بريطانيا. المهم أنني بمجرد انتهاء المندوب السامي من إذاعة بيانه، طلبت إلى الزعيم داي الذي كان يجلس معنا، أن يؤمن لنا مقابلة عاجلة مع المندوب السامي، وطلبت إليه أيضاً أن يبلغ المندوب السامي. استنكارنا لهذا الإعلان الذي سوف يسبب حرباً أهلية طاحنة، وإنني – باسم الجيش – أطالب نفي بيان المندوب السامي.. في هذه الأثناء كان قحطان الشعبي ولفيف من قيادات الجبهة القومية داخل عدن يتفاوضون مع المندوب السامي. كذلك فلقد تأكد لنا أن بريطانيا أوعزت إلى بعض الضباط ممن

يتعاونون معها الانضمام سرًّا إلى الجبهة القومية لتوسيع وزيادة عدد أعضائها، ولكي يوهمونا بأن قطاعات واسعة من الجيش تؤيد تسليم الحكم للجبهة القومية.

المهم أنني عندما طلبت إلى داي تحديد موعد المقابلة رفض، بزعم أن المندوب السامي مشغول للغاية. فقلت بالحرف الواحد: إذا لم تتم المقابلة هذه الليلة، بل والآن، فإن عليكم تحمل مسؤولية ما سوف يحدث بيننا وبين القوات البريطانية. وهنا ارتبك (داي) ، وذهب لتوه لإبلاغ المندوب السامي الذي وافق – بعد إلحاحنا – على المقابلة. وكانت أول مفاجأة لنا أنهم أوهمونا أن هناك ضبّاطاً آخرين يرغبون في مقابلة المندوب السامي، وقد تحدد لنا جميعاً موعد معه في وقت واحد، وكان هؤلاء الضباط من عملاء بريطانيا. الخلاصة أنه نظراً لكون منصبي في الجيش وقتئذ هو أعلى منصب فقد كانت سيارتي في مقدمة ركب السيارات، وعندما وصلنا إلى مدخل دار المندوب السامي فوجئنا بقائد الحرس يقول لنا إن المندوب السامي لن يتمكن من مقابلتكم الآن لأن عنده ضيوفاً.

.. وسألته: من هم الضيوف؟ وكانت المفاجأة الثانية عندما قال لي: قحطان الشعبي وفيصل الشعبي، وسيف الضالعي وآخرون.. وهنا أدركت اللعبة، وقلت له: لقد جئنا للانضمام إليهم، لأن الموعد لنا جميعاً. فقال على الفور: إذن تفضلوا.. وأثناء اجتيازنا للممر اتصل قائد الحرس من تليفون بالمدخل بسكرتير المندوب السامي، الذي فوجئنا به يجري نحونا قائلاً: انتظروا قليلاً. وخلال انتظارنا فوجئنا بهؤلاء يهرعون إلى شرفة مكتب المندوب السامي للاختباء.. وعندما دخلنا للمندوب السامي بادرته قائلاً: أنت تعرف أن حكومة بريطانيا استعمرت بلادنا لمدة ١٢٩ عاماً، وكان من واجب بريطانيا وهي ترحل عن بلادنا أن تحرص على دماء هذا الشعب وألا تدخل في متاهات

الحرب الأهلية، وأن تشكل حكومة ائتلافية من جميع العناصر الوطنية، حتى تظل الصداقة القائمة بيننا وبينكم.. إن بيانك الذي قلته اليوم في الإذاعة يخلق حرباً أهلية. وهنا فوجئنا برده الاستفزازي حيث قال: لتكن.. نحن لا يمهنا أن تتقاتلوا.. أما نحن فقادرون على حماية أنفسنا.. إن مرتباتكم تتقاضونها منا ومع ذلك تقاتلون قواتنا في شوارع عدن..

قلت له: هل هي عادتكم، ألا تخرجوا من بلد إلا وتتركون فيها المشاكل؟

قال: مثل ماذا؟

قلت: الموقف الآن خطير. والوقت لا يتسع لأمثلة.. ومع ذلك فإن خلق دولة إسرائيل لم يكن إلا نتاج سياستكم..

قال: هكذا أنتم العرب تريدون الدنيا كلها لكم.

كان يشهد حديثنا مع المندوب السامي بعض مساعديه، مثل الزعيم داي القائد البريطاني للجيش، ومستر سمرفيلد ومستر هربر برس. وبدأ المندوب السامي يرفع صوته بهدف إسماع وفد الجبهة القومية الذي كان يجلس في شرفة الحجرة الخاصة وهو يقول: ما هذا الضجيج يا ناصر بريك، لماذا تقف هذا الموقف العدائي من الجبهة القومية؟

قلت له: يا سيدي تأكد أننا لن نكون كشمير أخرى. وهنا غضب غضباً شديداً، ضرب المنضدة بيده وذهب إلى البار المجاور لحجرته، وتركنا مع مساعديه الذين هاجموني بعنف قائلين: كيف تسمح لنفسك باتهام مندوب صاحبة الجلالة بالخيانة! ثم هل تنسى أن المندوب السامي هو الذي أوصلك إلى هذه الرتبة؟

وقلت لهم: لقد نطقت الحق ولا يهمني شيء..

وفي هذه الأثناء دخل المندوب السامي وقال لي بحدة: إن السلطة بيدي وأستطيع محاكمتك عسكريًّا..

قلت له: نحن الآن في لحظات تقرير مصير شعب بأكمله، ومثل هذه المحاكمات لا تهمنا..

قال: ماذا تريد؟

قلت: إما تشكيل حكومة ائتلافية أو الإعلان عن الاعتراف بباقي العناصر الوطنية..

قال: أنا لا أخاطب من يوجد في القاهرة أو تعز.. أخاطب الثوار في ساحة القتال..

قلت له: الذين يوجدون في القاهرة (وكان يقصد مكاوي) هم قادة الثورة وهم المتمتعون بتأييد الشعب ولكنهم لا يستطيعون الحضور لأنكم تفرضون عليهم الحصار.

وهنا أدرك المندوب السامي إصرارنا على رفض بيانه فحاول تهدئتنا ولكن دون جدوى..

ثالثاً: من الأمثلة الصارخة، كذلك، على تواطؤ بريطانيا مع الجبهة القومية، الأوامر التي أصدرتها لقوات الأمن والقوات النظامية بعدم التعرض لعناصر الجبهة القومية وهي تدخل السلاح إلى المنطقة بينما صادروا أي سلاح كان يضبط مع عناصر جبهة التحرير، بل لقد أمدت بريطانيا الجبهة القومية بالأسلحة المصادرة وبذخائر بل وأمدتهم عن طريق ضابط في الجيش كان ينتمي إلى الجبهة القومية واسمه المقدم أحمد محمد بلعيد بأجهزة لاسلكية في منطقة لحج.. بل وطلبوا إلى بعض الضباط ألا يخبروني بالدعم الذي يقدم لهم من أسلحة الجيش.. ولقد قامت بريطانيا بالانتقام من جبهة التحرير التي كانت تسيطر سيطرة كاملة على منطقة «الواحدي» في المحافظة الرابعة وعلى منطقة «العوالق».. بل لقد أمرت السلطات البريطانية بإعداد بطاقات لكي يحملها عناصر الجبهة القومية حتى لا يتعرضوا لمضايقات من نقاط التفتيش من الجنود البريطانيين.

ولقد كان من الطبيعي أن أترك الخدمة في الجيش بعد أن رأيت إصراراً بريطانيًّا على تسليم الحكم للجبهة القومية. وقدمت استقالتي في ٤ نوفمبر ١٩٦٧م قبل الاستقلال بأيام.. ولقد جاءني مندوب وكالة رويتر في مكتبي بـ«خور مكسر» لمعرفة أسباب استقالتي، وعندما انتهى من تسجيل حديث معي نزعوا منه جهاز التسجيل وهددوه بالقتل إذا عاود الاتصال بي. ومنذ ذلك التاريخ ذهبت إلى منطقة العوالق وبقيت بها. وعندما استولت الجبهة القومية على الحكم انتقمت مني باغتيال ابني بريك ناصر «٢٠ عاماً» ونسفوا منزلي ثم قتلوا شقيقي أحمد بريك، وكان الاتهام الموجه لي هو أن زيارات أفراد القبائل لي لا تتوقف. ورغم كل ما مارسوه ضدي فقد عجزوا عن منع أبناء القبائل من زيارتي. وهنا أرسل لي قحطان الشعبي شخصاً اسمه فريد أحمد مجور وطلب إليه إبلاغي باستعداد الحكومة لتعويضي ماليًّا عن كل ما فقدت مقابل إيقاف نشاطي السياسي. فقلت له: إنني لا أقوم بنشاط سياسي وإنني تركت كل شيء، وإذا كان هناك من يحتاج إلى تعويض فهم أبناء شعبنا.. فصرخ قائلاً : وما لك أن بالآخرين!! وغادر منزلي مهدّداً بأنني إذا لم أتوقف عن ممارسة أي نشاط سياسي في منطقة الواحدي والعوالق فلن أبقى على قيد الحياة..

ثم توالت تهديداتهم لي.. وعندما أيقنت أنهم يدبرون ضدي شيئاً ما.. اجتمعت مع القبائل لأخذ رأيهم فأكدوا وقوفهم معي، بل ونظموا مظاهرات للمطالبة بالوحدة الوطنية لكل شعب الجنوب، الأمر الذي دفع حكومة الجبهة القومية لإرسال سريتين إلى «يشبم» و«النقبة» لمحاصرتنا والانتقام منا.. وأرسلنا ٤٥ ألف قبلي لمقابلة الحصار، وعندما عجزوا عن السيطرة على الموقف أرسلوا وفداً للتفاوض معي مكوناً من فيصل الشعبي ومحمد صالح عولقي ومنصور الشعبي.. وكانوا قد أخذوا تعهداً منا بعدم الخداع. وقالوا لي: نحن مستعدون لتلبية جميع مطالبكم إلا مطلب الوحدة الوطنية. فقلنا لهم إن هذا مطلبنا الوحيد، فرفضوا، وانفض الاجتماع، وجهزوا قوات مهاجمتنا من جديد

وكانت أول معركة تنتصر فيها القبائل ضد جيش نظامي.. وبعد ذلك جهزوا قوات جديدة وحاولوا تأليب القبائل ضدنا بحجة أننا نريد السيطرة عليهم، وكانوا يرددون، كذباً، أنا نحن العوالق نمارس التعذيب الوحشي ضد القبائل. وانتهت المعركة باحتلالهم بواسطة الدبابات والمدافع والألغام للمنطقة. وكان أول عمل لهم بعد احتلال المنطقة نسف منزلي بالديناميت، وبعد ذلك توجهت إلى الجبال وقررنا مواصلة النضال ضد العصابة الحاكمة التي حولت بلادنا إلى مستعمرة سوفييتية..

رابعاً: من صور التواطؤ البريطاني أيضاً مع الجبهة القومية، موافقة بريطانيا على أن يشترك الحرس الوطني الذي كان يتألف من عدد قوامه ٨٠٠ جندي بقيادة الضابط البريطاني «جيمس» بالاشتراك مع الجبهة القومية في قتال رجال جبهة التحرير بعد أن ارتدى الزي المدني حتى لا ينكشف أمره. وكذلك ما حدث عندما استولت جبهة التحرير على مدينة «كريتر» لمدة ١٦ يوماً. فقامت بريطانيا بتسليم الجبهة القومية أسلحة ثقيلة لقتال جبهة التحرير، وكذلك في منطقة الشيخ عثمان عندما أمرت بريطانيا بتجهيز قوات الأمن وأرسلتها بقيادة العقيد الصديق أحمد لقتال جبهة التحرير، وكذلك في المحافظة الرابعة «الواحدي» عندما تواطأ الحرس الوطني مع الجبهة القومية لاحتلالها..

وقد تكرر نفس الشيء في منطقة «العوالق العليا» وفي «بيحان» و«الضالع».. وكانت جبهة التحرير قد استولت على مركز كرش حيث قامت الطائرات البريطانية المقاتلة بقصفها وتسليمها للجبهة القومية. ثم عندما طلبت بريطانيا رسميًّا من قحطان الشعبي رئاسة وفد للذهاب إلى جنيف للمحادثات مع اللورد شاكلتون لتسليم السلطة.. فولد الاستقلال ميتاً، واستقبل شعب الجنوب ميلاد الاستقلال بالحزن العميق. وفي ظل حكم الجبهة القومية تحولت عدن إلى مستعمرة شيوعية حيث مارسوا الاغتيال والتشريد والنهب

والاستيلاء وأقاموا القواعد السوفييتية في بلادنا. وعندما نقارن بين وضع بلادنا تحت الاستعمار البريطاني البغيض والاستعمار الشيوعي الجديد في ظل حكم الجبهة القومية نجد أن الاستعمار البريطاني، رغم مساوئه.. وما أكثرها، لم ينهب أملاك أحد ولم يقتل ويسحل ويكتم حرية القول..

أما الاستعمار الشيوعي الجديد للبلاد فقد حطم معنويات شعبنا، ومارس القتل والسحل، وملأ السجون بالمواطنين، وطرد من بقي من المواطنين. والجريمة الكبرى التي لا تغتفر أن الطغمة الشيوعية الحاكمة عزلت بلادنا عن العالم العربي والإسلامي..

ولكنا نؤكد أننا لن نضع السلاح حتى نطهر بلادنا من دنس الاحتلال الشيوعي..

وقد رفض الزعيم ناصر بريك أن ينضم إلى هؤلاء الضباط. وواجه الجنرال داي قائد الجيش وذهب إلى موطنه في العوالق. وحارب حرباً شرسة. وتم دك منزله وقريته بالمدافع والدبابات وفي رواية بالطائرات. واضطر للانسحاب إلى اليمن ومنها إلى مصر ثم إلى السعودية التي استقر فيه ومات في أرضها ودفن في ترابها. رحمه الله رحمة الأبرار. وكان جاري في جدة، وأخبرني عن بعض ما كتبه ها هنا وأكد لي مراراً وقوف بريطانيا مع الجبهة القومية قبل الاستقلال واتفاقها معها وتسليمها البلاد لها.

وقد ذكر **الشيخ محمد بن عجرومة،** (من العوالق أيضاً) وقائد الجناح العسكري لرابطة الجنوب العربي، عدة محاولات لإغرائه للانضمام إلى الجبهة القومية. وعرض عليه عدة مناصب هامة له ولأتباعه، ولكنه رفض ذلك. فهجمت عليه قوات الجيش الاتحادي بدعم كامل من بريطانيا ودكوا معقله في الصعيد (في العوالق)، واضطر إلى الانسحاب إلى الشمال ومن ثمّ إلى القاهرة. ثم عاد إلى السعودية التي استقرّ بها، والتي آوت جميع المتضرّرين من تلك

الحروب. والغريب حقاً **أن قبائل ردفان والقطيب ثاروا ضد الجبهة القومية**، بل إن بلّيل بن راجح بن لبوزة (ابن راجح بن لبوزة الذي فجّر ثورة ردفان في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م واستشهد) انضم إلى جبهة التحرير وحارب الجبهة القومية. وكذلك فعل الشيخ ثابت بن قاسم من كبار مشايخ قطيب. وثارت العوالق بقيادة محمد بن عجرومة وفريد بن بو بكر بن فريد وبن عشيم الطوسلي وعبدالله أحمد عتيقي ومحمد بن أحمد العبدالي. وثارت الصبيحة وطور الباحة ومنهم العزيبة مثل الشيخ سيف والشيخ عبدالله العزيبي.. وثارت كثير من المناطق فيما يسمى المحافظة الثالثة والرابعة، ووصل الأمر إلى المحافظة الثانية وذلك في يوليه – أغسطس ١٩٦٨م مما جعل قحطان يفرج عن الشيوعيين المعتقلين في حركة الجيش في ٢٠ مارس ١٩٦٨م لتساهم الميليشيات في الدفاع عن الجبهة القومية والدولة.

وإليك بعض الحوادث في هذه الفترة التي هزّت الجبهة القومية هزًّا عنيفاً وكادت أن تقضي عليها:

في ٢٢ يوليه ١٩٦٨م: تحركت مسيرة شعبية مسلحة في العوالق في الصعيد ويشبم ومصينعة وعقدوا مؤتمراً شعبياً. وفي ٢٥ يوليه اجتمع بالثوار فيصل الشعبي ومحمد صالح عولقي وأحمد بلحمر وحاولوا إغراءهم بالمناصب ولكن الثوار رفضوا. بل وانضم إليهم قبائل الباكازم والربيزي. واقتحم الثوار سجن نصاب وأطلقوا سراح المسجونين السياسيين، وأعلنت قبائل ردفان والحواشب في المحافظة الثانية الثورة واحتلوا منطقة الجيلين واستسلمت سرية من الجيش في النقبة وأخرى في الصعيد.

وفي ٢٨ يوليه ١٩٦٨م: سقطت عتق ونصاب وأيدت قبائل الواحدي الثورة. وقام أبطال ردفان والصبيحة والضالع بقيادة الشيخ ثابت بن قاسم القطيبي وبليل بن راجح لبوزة ومحمد صالح الأزرقي وغيرهم بالسيطرة على

جميع الطرق المؤدية إلى عدن، واستولوا على الأسلحة الموجودة هناك.

وفي ٣٠ يوليه ١٩٦٨م: أسقط الثوار طائرة في عتق، واستسلمت حامية عرقة في الواحدي للثوار. وفي ٣١ يوليه قامت مظاهرات في ميفعة (الواحدي) وقطعوا الطريق الموصل إلى عدن وانضم عدد من الجنود المرابطين في بيحان إلى الثوار مع جهازهم اللاسلكي. وسقطت الجيلين والثمير في منطقة ردفان، وسقطت معظم مناطق الصبيحة وحوصرت طور الباحة.

وفي ١ أغسطس: أسقط الثوار طائرة في قوبان وقتل من كان فيها (١٤ عسكريًّا بما فيهم اثنان من التشيكيين، قائدا الطائرة) وسقطت رضوم والحوطة في المحافظة الرابعة بيد الثوار.

وفي ٦ أغسطس أصيب القائد مهدي عشيش: رئيس الأركان بجروح خطيرة في معركة أرض باكازم في العوالق السفلى، ونقل إلى المستشفى العسكري في عدن.

وفي ٧ أغسطس: زحف الثوار في منطقة الحواشب وقطعوا الطريق إلى عدن. وأوقعت قبيلة باعوضة في الواحدي وحدة عسكرية كاملة في كمين. وأسقط الثوار طائرة ثالثة. وقتل الضابط عبدالله محمد الميسري ابن خال القائد بلعيد.

وفي ١٢ أغسطس: ناشد الثوار في لحج ودار سعد سائقي السيارات عدم المرور على الطرق المؤدية إلى الصبيحة والحواشب لأنها ملغمة.

وفي ١٧ أغسطس: قام الثوار بقذف منزل العقيد حسين عثمان عشال بالقنابل اليدوية في دثينة وقتل في الحادث شقيقه. وانتشرت المعارك في جميع المناطق التي كانت تعرف باسم المحميات الغربية.

الشيوعية والشيوعيون وارتباطهم باليهود

الحزب الشيوعي (الاتحاد الشعبي الديمقراطي)

كان عبد الله عبد الرزاق باذيب منضماً إلى رابطة أبناء الجنوب عند تأسيسها عام ١٩٥٠م. وعمل في صحيفة النهضة ثم في صحيفة الجنوب العربي كمدير للتحرير. وقبلها كان سكرتيراً للتحرير في مجلة المستقبل التي أسسها الأستاذ عائض باسنيد عام ١٩٤٩م. ولم يكن للأستاذ عبدالله باذيب أي اتجاه ماركسي آنذاك، بل كان اتجاهه أدبيًّا ومنفتحاً على الثقافة الغربية، وكانت المجلة رافعة راية التمرّد على التقاليد والقيم البالية على حد تعبيرها.

وفي «النهضة» و«الجنوب العربي» ركّز عبدالله باذيب على المواضيع السياسية والمطالبة بالحرية لعدن والجنوب العربي في خط الرابطة.

ومنذ عام ١٩٥٥م بدأت تظهر ميوله الماركسية، وتأثر به أخوه علي باذيب الذي عمل معه في نفس الصحيفة، وأصدقاؤه مثل عائض باسنيد وأحمد سعيد باخبيره وغيرهم. وكان من أبرز الصحفيين الوطنيين المنادين بمحاربة الاستعمار في إطار رابطة أبناء الجنوب العربي.

وكما أسلفنا، استقال من الرابطة عام ١٩٥٥م عندما وافقت على دخول انتخابات المجلس التشريعي التي حرمت أي مولود في اليمن من حق الانتخاب والترشح مهما أقام في عدن، بينما كانت تُعطي ذلك الحق لكل مولود في أي دولة من دول الكومنولث لمجرد إقامته في عدن سنتين فقط (ثم زادت بعد ذلك إلى سبع سنوات). وعارضت كل الهيئات الوطنية الانتخابات

وبالذات المؤتمر العمالي مما أدى إلى استقالة عدد من أعضاء الرابطة من بينهم الأستاذ عبدالله باذيب.

وعند محاكمته بسبب مقال «يثير الشغب ضد الدولة» تجمهر الناس أمام المحكمة، ثم خرج منها وذهب إلى الإمام أحمد في تعز الذي أمدّه ببعض المال. ومدح التقدمي الاشتراكي عبدالله باذيب الإمام أحمد الرجعي الظلامي!! ثم ذهب إلى موسكو وعاد منها شيوعيًّا خالصاً تابعاً لموسكو وأسّس عام ١٩٦٠م الاتحاد الشعبي الديمقراطي وحصل على ترخيص رسمي من الحكومة الاستعمارية الإنجليزية في عدن.

قحطان يهاجم الشيوعيين

وكانت حركة القوميين العرب تهاجم بشدّة التيارات الماركسية لأنها تلتقي مع اليهود الصهاينة، وتتنازل عن قضية فلسطين. وكانت الحركة قد اتخذت مواقف متشدّدة ضد الشيوعيين الماركسيين الخونة الذين باعوا وطنهم للشيطان!!

وقد كتب قحطان الشعبي في كتابه «الاستعمار البريطاني ومعركتنا في جنوب اليمن» ما نصه(١):

«عدم التعاون والالتقاء مع الشيوعيين نظراً لخيانتهم لقضيّتنا القومية في فلسطين، ومقاومتهم للوحدة العربية»..

«مقاومة وفضح كل النشاطات التي تقوم بها الوكالات والمفوضيات الصينيّة والروسيّة لتمكين الشيوعية من التغلغل في صفوف الشعب في الشمال»..

«أن تستبعد منه (أي تنظيم القوميين) العناصر السلبيّة والانتهازية والشيوعية» بل تستبعد أي تكتل وطني ضد الاستعمار والسلاطين..

---

(١) قحطان الشعبي: الاستعمار البريطاني ومعركتنا في جنوب اليمن، ص ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٤٧.

«مهاجمة العناصر المعادية للوحدة العربية في الوطن العربي.. وعلى رأس هؤلاء يقف الشيوعيون الذين أزاحوا النقاب عن وجههم، ورفعوا صراحة لواء محاربة الوحدة العربية، والقومية العربية ملتقين بذلك مع الاستعمار والصهيونية»..

«وكذلك نحارب بلا هوادة الشيوعيين الأجراء ما داموا في النتيجة يقفون في صفٍّ واحد مع المنحرفين العملاء».

وهو هجوم عنيف متهماً إياهم بالخيانة لقضية العرب الكبرى فلسطين وارتباطهم بالحركات الصهيونية، وتأييد قيام إسرائيل، وذلك كله حق!! ولكن العجب كل العجب أن تتحول الجبهة القومية إلى مركز لهؤلاء الشيوعيين الذين استولوا عليها وعلى مكاسبها وحولوا البلاد والعباد إلى مستنقع آسن، وحمامات دم متتالية، وخرّبوا الوطن شماله وجنوبه ولم يرعووا عن اقتراف أي جريمة، فهو أمر من مبادئهم وتكوينهم.

وقد أدان أيضاً حزب الشعب الاشتراكي الشيوعيين ونفى عن نفسه تهمة الماركسية ومشاركة الشيوعيين وجهات نظرهم[١].

وقد هاجم المؤتمر العمالي أيضاً الإمام أحمد وحكومته «لأنها تسمح للنشاط الشيوعي والاستعماري بالتوسع والازدياد دون رقيب»[٢].

ها نحن نجد المؤتمر العمالي وحزب الشعب الاشتراكي والجبهة القومية، كلها تهاجم الشيوعيين والماركسيين هجوماً شديداً. كما أن المؤتمر العمالي في مذكرته إلى الجامعة العربية وضع الصين الشعبية والاتحاد السوفييتي والاستعمار في سلة واحدة[٣].

---

(١) محمد عمر الحبشي: اليمن الجنوبي سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، ص ١٣٣.
(٢) المؤتمر العمالي، معارك ضد الاستعمار والرجعية، ص ٤.
(٣) المرجع السابق، المؤتمر العمالي معارك ضد الاستعمار والرجعية، ص ٥ – ٦.

وقال السيد أحمد محمد زين السقاف في كتابه «أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية» أن «الماركسيين في الجنوب ليسوا سوى حفنةً من المخدوعين الذين نقموا على الاستعمار الذي أوجد الأوضاع الشاذة في الجنوب، قد ارتموا في أحضان الشيوعية من قبيل النكاية في الاستعمار»(١).

والسيد أحمد السقاف من العروبيين الكويتيين (أصله من حضرموت). **وهكذا كانت الساحة الوطنية في الجنوب والشمال اليمني بل وفي المهجر تدين الشيوعيين الماركسيين وتضعهم في صف واحد مع عملاء الصهيونية التي بالفعل كانوا رصيداً لها ومن الداعين إلى التعاون بين الأحزاب اليسارية العربية واليهودية في إسرائيل ضد الرجعية العربية، كما سنوضحه بعد قليل.**

إخفاء الشيوعية من قبل باذيب

إذن في هذه الظروف كان على الأستاذ عبدالله باذيب (مثل كل قادة الحركة الشيوعية في العالم) **أن يحاول أن يخفي شيوعيته وماركسيّته ويركز على محاربة الاستعمار في مقالاته ونشاطه وتأييد المؤتمر العمالي وحزب الشعب الاشتراكي** (عمل سكرتيراً للتحرير في جريدة البعث الناطقة باسم الجبهة الوطنية المتحدة ثم حزب الشعب الاشتراكي). **وكذلك عمل في صحيفة الفجر، ولم يكن يدعو على الإطلاق إلى الماركسية، بل كانت دعوته كلها مركزة على محاربة الاستعمار وتأييد النضال والوقوف في صف العمال ضد الاستغلال.** واتضح ذلك في صحيفته الأمل.

ويقول الدكتور أحمد عطية المصري في كتابه «تجربة اليمن الديمقراطية»(٢) **وهو يشرح برنامج الاتحاد الشعبي الديمقراطي: المهام الأساسية (١) طبيعة**

---

(١) السيد أحمد زين السقاف: أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية، ص ١٣٤ – ١٣٥.

(٢) أحمد عطية المصري: تجربة اليمن الديمقراطية (١٩٥٠ – ١٩٧٢م)، مطبعة المدني القاهرة ١٩٧٤م، ص ١٧٧ – ١٧٨ وهو ينقل ميثاق الحزب. وكتيّب حركتنا الوطنية أين تتجه؟ للأستاذ علي باذيب.

المرحلة: إن الواقع يحدّد طبيعة المرحلة، ومن ثمّ طبيعة المهام الملقاة على عاتق قيادة الحركة الوطنية. فاليمن لا يزال يواجه الاستعمار البريطاني والرجعية المحليّة من الإقطاعيين وبعض الفئات من الطبقة البرجوازية الذين بتواطئهم مع الاستعمار يقفون ضد الشعب.. وعلى هذا فإن المرحلة في تصور الاتحاد الشعبي الديمقراطي هي مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي. ولا بد في تصوره من ربط الكفاح ضد الاستعمار بالكفاح ضد الإقطاع والرجعية.

«ويأتي الاستعمار البريطاني على رأس معسكر العدو.. وهناك قوى استعمارية وإمبريالية تهدّد اليمن كلها وأبرزها قوة الاستعمار والإمبريالية الأمريكية، زعيمة الإمبريالية في العالم، والتي تمكنت من الحصول على مواقع هامة في الشمال اليمني، وبالتالي يمكن أن تكون سبباً في إضاعة استقلاله السياسي، الذي يؤثر تلقائياً على قضية التحرر في الجنوب.

ويتحدث عن «**أسلوب النضال**» فيقول: «يصبح من الضروري اللجوء إلى كل أشكال النضال ولا يكفي في ذلك الأساليب الإصلاحية والدستورية. ويجب أن تلجأ الجماهير إلى كل أساليب النضال في إطار الظروف الموضوعية (لم يذكر المواجهة المسلحة والنضال العسكري قط)، ويجب أن تتسلح الجماهير بالنظرية والتنظيم (طبعاً لم يذكر أي نظرية ولا أي تنظيم). **ونادى بالوحدة الوطنية في هذه المرحلة**. ونادى بأن تتجمع القوى الوطنية في تنظيم سياسي واحد يدعم نضال التنظيمات المختلفة من أجل إنجاز مهام التحرر الوطني الديمقراطي (تحالف العمال والفلاحين والمثقفين والبرجوازية الصغيرة وشرائح الطبقة الوسطى أي البورجوازية التي يمكن جذبها إلى النضال التحرري مع استمرار فضح الشرائح المرتبطة بالاستعمار) [1].

(١) علي باذيب، ص ٤٠ – ٤٥.

وقال: إن الجبهة الوطنية هي الشكل الطبيعي الملائم لمرحلة التحرر الوطني، ويجب أن يكون الانضمام إليها اختياريًّا.. وإن فكرة قيام الحزب الواحد لا يمكن أن تكون بديلاً للجبهة الوطنية[١].

وشجب إقامة تنظيم قومي موحد متهماً الجبهة القومية بأنها غير ديمقراطية وعامل من عوامل انقسام الحركة الوطنية[٢].

وهكذا كانت الاتهامات متبادلة بين الجبهة القومية (حركة القوميين العرب) وبين الاتحاد الشعبي الديمقراطي (الحزب الشيوعي)، فالجبهة القومية تتهم الشيوعيين بأنهم باعوا وطنهم فلسطين لليهود وللصهيونية وارتموا في أحضانها، والشيوعيون يتهمون الجبهة بأنها شوفينية قومية رجعية منغلقة.

ولكن الشيوعيين عملوا بمهارة فائقة فغيّروا حركة القوميين العرب من منبعها في بيروت وفلسطين وسوريا، وتحوّلت من حركة تنادي بالتحرير والثأر من اليهود إلى حركة تتبنّى الخط الماركسي اللينيني المهادن لليهود، والمستعدّ للتحالف مع الأحزاب اليسارية الصهيونية في إسرائيل نفسها ضد الرجعية العربية والإقطاع والرأسمالية والكمبرادورية..إلخ. وسنعرض لذلك بشيء من التفصيل عند الحديث عن الجبهة القومية وحركة القوميين العرب.

وتركيزنا الآن على الحركة الشيوعية للأسباب التالية: كيف استطاع الشيوعيون رغم قلتهم السيطرة على الجبهة القومية:

(١) **إن الحركة الشيوعية** تعاني من قلة عدد المنضوين فيها إذ لم يكونوا في عدن يتجاوزون العشرات ولم يكن لهم أي امتداد في الريف. وليس لهم أي نشاط سوى النشاط في الصحافة ومهاجمة الاستعمار: وهم مجموعة صغيرة من

---

(١) علي باذيب، ص ٤٦ – ٥٢.

(٢) علي باذيب وسلطان أحمد عمر: نظرة في تطور المجتمع اليمني، ص ٢٣٣.

المثقفين وأشباه المثقفين الذين تأثروا تدريجيًّا بالفكر الماركسي. وتحولوا إلى تنظيم بعد ذهاب عبد الله باذيب إلى موسكو من اليمن الإمامي (وقد دعم الإمام الرجعي في مقالاته؟؟) ويا له من تقدّم؟؟ وثورية واشتراكية علمية، إلى آخر الألفاظ المنمّقة. وعاد من روسيا بعد أن تمَّ صهره هناك، وبدأ بالفعل بتكوين الخلايا الشيوعية، لكنه كان حذراً جدًّا، وجباناً على طريقة الشيوعيين. ولم يستطع أن يواجه حركة القوميين العرب والجبهة القومية التي كالت للشيوعيين جميع التهم من الخيانة والعمالة للصهيونية، والارتباط بمعسكر استعمار عالمي هو الاتحاد السوفييتي. وفضّل أسلوب التسلّل كما فعل الشيوعيون في لبنان والأردن وفلسطين، واستطاعوا أن يقلبوا حركة القوميين العرب على عقبها واستداروا حولها ١٨٠ درجة حتى تحولت إلى ماركسية لينينية شيوعية صرفة.

(٢) استطاعت الحركة الشيوعية أن تحول الجبهة القومية بمجموعة من المؤامرات والتسلل التدريجي إلى منظمة شيوعية بحتة. وبالتالي استطاعوا سرقة مكتسبات الثورة دون أن يقدّموا أي تضحيات حقيقية، ولم يقتل منهم أحد في ميادين القتال ضد الاستعمار. بل اكتفوا باللف والدوران والخداع والكلمات المعسولة، والألفاظ الموهمة الضخمة ومن ورائهم الاتحاد السوفييتي. وفي مرحلة تالية أيضاً الصين الشعبية لبعض عناصرهم (سالمين ومجموعته).

وبما أن الشيوعيين ينكرون الإيمان بالله وبأي دين، ولا يؤمنون إلا بما يسمونه الاشتراكية العلمية والمادية البحتة، فإن كل الوسائل مباحة لهم من الكذب والخداع والغش والقتل وسفك الدماء البريئة وإثارة الرعب.

وليس هذا مقتصراً على الشيوعيين في عدن وعلى ما فعلوه من مذابح عندما استولوا على السلطة. وعلى التصفيات المتتابعة بعد ذلك لفرقهم المختلفة واتهاماتهم المتبادلة بالخيانة والارتماء في أحضان الرجعية والامبريالية.. إلخ، مما عانى منه الجنوب اليمني.. ثم ما عانى منه الشمال في محاولاتهم زعزعة أمنه

واستخدام الاغتيالات والتفجيرات، وتسميم مصادر المياه لإيجاد ثورات ورعب وفزع. (وكانت قيادة الشمال بيد جار الله عمر وسلطان أحمد عمر وقد عملا على نشر الرعب هناك).

وهذا ما تمّ في الثورة البلشفية في روسيا ذاتها، ثم في الصين وفي كمبوديا وفيتنام، بل وفي أي بقعة من الأرض وصلت إليها الشيوعية.

خداع لينين

ولم يكونوا أبداً عند الحاجة يتورعون عن اللقاء مع الأعداء واحتضانهم، ويكفي أن نعرف ما فعل لينين عندما قام بالثورة البلشفية واستولى على الثورة التي قام بها الشعب الروسي بسبب انضمام البحرية الروسية (مجموعة من الضباط وفيهم يهود واستطاع أن يجتذبهم إليه). ثم قام بعد ذلك بالتظاهر أمام المسلمين في الاتحاد السوفييتي بأنه سينقذهم من الحكم القيصري الذي حاربهم لقرون وسلب أرضهم ومزّق قرآنهم. وإليك بعض الأمثلة من بيانات لينين المخادع للمسلمين حتى ظن بعضهم أنه منحة من الله لإنقاذ المسلمين (نقلاً عن كتابي المسلمون في الاتحاد السوفييتي).

الخداع الشيوعي

وبيان لينين في نوفمبر ١٩١٧م إلى المسلمين وكيف ذبح المسلمين فيما بعد

وكان مما جاء في أول بيان أصدره لينين إلى المسلمين[1] (في نوفمبر ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م أي بعد شهر فقط من ثورته): يا مسلمي روسيا.. يا مسلمي الشرق.. أيها الرفاق أيها الإخوة.

(ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة.. إننا هنا نعلن

(١) عن كتاب: *The Soviet Union And The Muslim World*

احترامنا لدينكم ومساجدكم.. وإن عاداتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها.. ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات.. ولكم الحق في ذلك.. واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة).

وأعلن لينين أن الاتفاقيات السرية المعقودة بين روسيا وبريطانيا وفرنسا لاقتسام العالم الإسلامي باطلة ولاغية.. وأن روسيا الثورة لا ترغب في احتلال القسطنطينية بل ستظل القسطنطينية عاصمة للخلافة الإسلامية.. وكذلك أعلن أن اتفاق بريطانيا وروسيا لاقتسام إيران اتفاق باطل ولاغي..

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان ﷺ الذي كان في حوزة القياصرة إلى ممثلي مسلمي روسيا في مؤتمر بتروجراد.. وكذلك سلّمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية والآثار. ويبدو أن سياسة لينين الدعائية بلغت حدًّا من النجاح جعل بعض المسلمين يعتقدون أن ثورة أكتوبر البلشفية هي منحة من السماء لإنقاذ المسلمين من الاستعمار الأوربي.. بل وصلت دعاية لينين إلى درجة الزعم بأن نظام لينين البلشفي إنما يقوم على مبادئ القرآن وشريعة الإسلام[١]!! لذلك وقف كثير من مسلمي روسيا في صف لينين منذ اللحظة الأولى.. وتبعهم الآخرون مثل زكي فيلدي طوقان - قائد البشكير ورئيس أول دولة فيها - عندما وجد أن روسيا البيضاء وقائدها كولشاك يرفضون أن يعترفوا للمسلمين بأي حق في الاستقلال الذاتي.. وكذلك فعل حزب (الاش أوردا) في قازاخستان الذي قاتل في صف كولشاك ضد لينين في أول الأمر، إلا أنه حول جميع رجاله إلى خندق لينين عندما رفض كولشاك الاعتراف لهم بحقهم في تكوين دولة إسلامية ذات استقلال ذاتي.

والوحيدون الذين ارتابوا في وعود لينين هم رجال الملّا (علماء الدين)

---

(١) المرجع السابق.

ومريدو الطرق الصوفية الذين كانوا يعتبرون الجميع كفاراً تجب محاربتهم، وأن الطريق الصحيح هو إيجاد حكومة إسلامية مستقلة غير مرتبطة لا بالبيض ولا بالحمر.. فالكل أعداء الله وأعداء المؤمنين.

وهكذا قامت دولة القوقاس المستقلة بقيادة الإمام الرباني الصوفي نجم الدين غوتسو الذي لقبه الروس غوتسنسكي وذلك في صيف ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م.. وكان يحارب قوات لينين بنفس القوة التي حارب بها قوات كولشاك.. وقد اشتهرت بطولاته وبطولات رفيقه الشيخ الصوفي أوزن حجي..

ورغم قواته الضئيلة وسلاحه البسيط إلا أن هذا الشيخ الصوفي استطاع أن يواجه قوات البلاشفة حتى عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م عندما انهزمت قواته أمام قوات لينين، واستشهد هذا الشيخ المجاهد ورفيقه وكثير من رجال الطريقة النقشبندية.

وفي التركستان، قام العلماء وشيوخ الطرق الصوفية بالدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية المستقلة في التركستان. وبالفعل تكونت هذه الدولة في خوقند وامتدت لتشمل معظم أراضي التركستان ما عدا طشقند التي كانت فيها حامية روسية قوية انضمت بكاملها إلى صف لينين وتبعها جميع المستوطنين الروس.. ورغم أن انتماءات هؤلاء المستوطنين كانت إقطاعية وبورجوازية واستعمارية إلا أنهم وجدوا أن الروس الحمر خير لهم من المسلمين، وهكذا اتفقت الإقطاعية والبورجوازية والنظام الاستعماري القيصري مع لينين للوقوف في وجه المسلمين في التركستان[1]!!

وقامت قوات لينين والمستوطنون الروس بالهجوم على خوقند في ٥ فبراير ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م. وللمرة الثانية يقوم الروس بدك هذه المدينة الباسلة وإبادة

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي.

سكانها واغتصاب فتياتها.. وفعلوا من أعمال الوحشية والهمجية ما تتضاءل معه أعمال جنكيزخان وهولاكو[١]!!.

وامتدت روح المقاومة وارتفعت راية الجهاد يذكيها علماء الإسلام ومشايخ الطرق الصوفية، واستطاعت القوات الإسلامية الضئيلة العدد القليلة العُدد أن تصد الهجوم البلشفي على بخارى في مارس ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م[٢]..

وانضم إلى هذه الثورة أنور باشا ناظر الحربية في تركيا (أثناء الحرب العالمية الأولى) فنظم أمورها العسكرية أحسن تنظيم بإمكانياته البسيطة.. وبنى مصنعاً لصنع الرصاص. وقاتل حتى استشهد على صهوة جواده مقبلاً غير مدبر في يوم عيد الأضحى عام ١٣٤١هـ/ أغسطس ١٩٢٢م[٣]..

كما انضم إلى هذه الثورة زكي فيلدي (والدي) طوقان قائد البشكير ورئيس أول دولة مستقلة في بشكيريا.. والتي قضى عليها لينين بمكره وخداعه[٤]..

وظهرت حقائق لينين واتضحت للمسلمين أكاذيبه ودعاواه وتبدّت صورته الحقيقية البشعة، حيث قام بحرب إبادة للمسلمين أشدّ عتوًّا وجبروتاً وعنفاً من سياسة القياصرة. ففي عهده الأسود أقام مذبحة القرم ونشر المجاعة في ربوعها حتى أكل المسلمون الكلاب والقطط ثم أكلوا موتاهم[٥].

وفي قرغيزيا قام بنفس حرب الإبادة ونشر المجاعات.. وفي كازاخستان أباد ثلث السكان فيما يسمى بسياسة التحضير التي فرضها ما بين سنة ١٣٤٥هـ/

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان.
(٤) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي.
(٥) كان المسؤول عن القرم الرفيق كالينين اليهودي الذي حاصر القرم عام ١٩٢٢م حتى أكل المسلمون موتاهم بل وأطفالهم. وسيأتي ذكر ذلك.

١٩٢٦م إلى سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م. وكما يقول بنجيس ولومرسييه: «**لقد سببت سياسة التحضير في الثلاثينات من هذا القرن اختفاء ثلث شعب القازاخ**[١]».

واستمرت سياسة لينين في عهد ستالين بصورة أشد بطشاً وأكثر دموية. ففي عهده تم إخلاء جزيرة القرم من جميع سكانها المسلمين ونفي شعب بأكمله إلى مجاهل سيبيريا بعد أن قتل منهم مئات الآلاف..

أما بالنسبة للدين الإسلامي فقد واجه حرباً شرسة مثلما واجهها في عهد إيفان الرهيب الذي فرض التنصير على المسلمين بالقوة أو الفرار من أراضيهم وأوطانهم.. واستمرت تلك السياسة في عهد خلفائه وعلى الأخص في عهد بطرس الملقب بالعظيم وفي عهد نيقولا الأول.. **ثم استمرت بصورة أشد وأعتى منذ مجيء الثورة البلشفية التي تظاهرت في أول الأمر بأنها ستعطي المسلمين جميع حرياتهم الدينية والسياسية وتحترم دينهم وقرآنهم وشريعتهم، ولكن ما أن استتب الأمر للينين حتى بدأ سياسة الإبادة لكل ما هو إسلامي، ففي العهود البلشفية تم إغلاق وتهديم وتحويل ٦٦٨٢ مسجداً و٧٠٥٢ مدرسة إسلامية في التركستان فقط.. وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م تم إغلاق خمسة عشر ألف مدرسة إسلامية وستة وعشرين ألف مسجد**[٢].

ولا يوجد في كل الاتحاد السوفييتي البالغة مساحته ٢٢.٢٧١.٠٠٠ كيلومتر مربع والذي يبلغ عدد المسلمين فيه - حسب آخر إحصاء رسمي سوفييتي سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م - ٤٣ مليوناً، لا يوجد سوى مدرستين رسميتين لتعليم القرآن والدين الإسلامي، واحدة في بخارى والأخرى في طشقند[٣]..

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ورغم كل هذه الحرب المريعة المهولة ضد المسلمين في الاتحاد السوفييتي وتعاون الصليبيين واليهود مع الشيوعيين لإبادة الإسلام واجتثاث جذوره إلا أن الله قد تكفل بحفظ دينه وقرآنه.. فقد أدت سياسة الإبادة والإذابة إلى أن يتجذر الإسلام أكثر فأكثر، وتدرك هذه الشعوب أن هويتها وبقاءها مرتبطان بالإسلام.. ولقد أصبحت كلمة الملة (بمعنى القومية عند الأتراك والفرس) مرتبطة بمفهوم الدين ارتباطاً وثيقاً، بحيث أصبح الحفاظ على الأمة هو الحفاظ على الملّة[١] (بمفهومها اللغوي العربي)..

ماذا حدث في القرم والمناطق الإسلامية

واليهودي كالينين ثم اليهودي المجري بالاكون

القرم هي شبه جزيرة مطلّة على البحر الأسود. خضعت للحكم الإسلامي منذ أن وصلها بركة خان بن جوجي جنكيزخان (القرن الثالث عشر الميلادي). واستمرت تحت حكم التتار المسلمين. ثم دخلتها الخلافة العثمانية بطلب من حكامها المحليين في مواجهة الغزو القيصري المسيحي، وبقيت كذلك حتى سقطت بيد الإمبراطورة كاثرين الثانية الجميلة والتي بقيت طوال الليل مع القائد التركي في خيمة لوحدها، ثم لما جاء الصباح انسحب القائد التركي الخائن وسلمها القرم بمساجدها ومدنها الجميلة (وصف ابن بطوطة في القرم) وذلك سنة ١٧٨٣م. وتم إعدام القائد الخائن بعد ذلك.

وبقيت القرم رغم ذلك بمآذنها ومساجدها، رغم الاضطهاد إلى الحركة الإصلاحية التي تمت ١٩٠٥م بقرار الدوما في إعطاء الحريات الدينية، ونشط تتار القرم وكوّنوا حركة نشطة وأحزاباً سياسية.

وعندما حدثت الثورة في أكتوبر ١٩١٧م، قامت للمسلمين في القرم دولة

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

مستقلة وأجريت فيها انتخابات عامة لاختيار حكومة وطنية بقيادة الزعيم التتاري القرمي شلبي وسيطرة حزب ملي فرقه. وبدا لأهل القرم من بيانات لينين أنه يؤيدهم، فحاربوا قوات روسيا البيضاء بقيادة دينكن وكولشاك والذين كانت تساندهم قوات الحلفاء (بريطانيا وفرنسا) عام ١٩١٨م.

وبدأ لينين بالزحف على البلاد الإسلامية (التتارية) في وسط روسيا والتي كانت تحت سيطرة القياصرة من قبل، وبدأت تشكل جيوشاً وأحزاباً لمحاربة قوات روسيا البيضاء واستطاعت أن تستولي على كثير من الأراضي وتقيم دولاً بالفعل.

وبدأ لينين بشمال القوقاز وجمهورية أوديل أورال (في جبال الأورال)، ثم انتقل منها إلى خانية خوقند، وفعلت قواته الأفاعيل في قتل النساء والأطفال، وكانت تعليماته مثلما هي تعليمات التوراة اليهودية: اقتل الكل من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني.. لا تترك منهم أحداً!!

وتم إخضاع هذه المناطق قبل انتهاء عام ١٩١٨م. وفي العام التالي ١٩١٩م استولى على جمهورية الآشي. وفي أبريل ١٩٢٠م استولى على أذربيجان التي واجهت مذابح جنكيزخان وهولاكو القرن العشرين.

واتجهت قواته إلى القرم ١٩٢٠م فواجهت مقاومة شديدة واعتصم أهلها بالجبال، وبدأت حرب عصابات مروعة. **وعندئذ فرض الرفيق كالينين اليهودي الحصار الشديد حتى انتشرت المجاعة. وقد نشرت جريدة أزفستيا في عددها الصادر ١٥ تموز مايو ١٩٢٢م للرفيق كالينين ما يلي: «بلغ عدد الذين أصابتهم المجاعة في القرم في يناير ١٩٢٢م (٣٠٢,٠٠٠) شخصاً مات منهم ١٤,٤١٣ شخصاً. وفي شهر مارس ١٩٢٢م أصابت المجاعة ٣٧٩,٠٠٠ مات منهم ١٩,٩٠٢. وهكذا قد أصيب أكثر من مليون تتاري قرمي مسلم بالمجاعة خلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٢٢م مات منهم أكثر من ستين ألفاً. بينما يقول تقرير لعصبة الأمم** (قبل الأمم المتحدة) **أنهم أكثر من مائة ألف مسلم قرمي.**

وجاء في تقرير الرفيق كالينين اليهودي الذي نشرته أزفستيا في ١٥ تموز (مايو) ١٩٢٢م، إن أكل لحوم الأطفال، بل والموتى لم يكن من الحوادث المستغربة أثناء تلك المجاعة.

وكان سكان القرم، عندما دخلت القوات البلشفية القرم، خمسة ملايين نسمة (١٩٢٢م). وقد أبيد أكثرهم حتى لم يبق عام ١٩٤٠م إلا نصف مليون فقط (كان المفروض أن يزداد السكان خلال عقدين من الزمن).

وكان في القرم عند دخول قوات لينين بقيادة الرفيق اليهودي كالينين ١٥٥٨م مسجداً اشتهرت بجمالها ونظافتها حطمت جميعاً، وما بقي منها حوّل إلى نوادٍ واصطبلات ومتاحف، ومنها الجوامع الأثرية مثل جامع جان وجامع اصماقيو وجامع طوز يازار.

وبعد كالينين اليهودي تولى أمر القرم اليهودي المجري بالاكون الذي استمر في تهجير أهل القرم المسلمين وطردهم ونفيهم إلى مجاهل سيبيريا وإحلال الروس والأوكرانيين والبلغار محلّهم.

وانخرط شباب أهل القرم في الحزب الشيوعي ليبقوا على أنفسهم. واستطاع ولي إبراهيم أن يحوز ثقة لينين حتى أنه ولاه رئاسة القرم بعد بلاكون اليهودي المجري. ولكن القيادة السوفييتية برئاسة ستالين بعد وفاة لينين قامت بإعدام ولي إبراهيم وجميع وزرائه لميولهم الرجعية الدينية (أبدوا تعاطفاً وسمحوا ببعض المساجد) وذلك عام ١٩٢٨م. وفي عام ١٩٣٠م قتلوا رئيس جمهورية القرم السوفييتية محمد قوباي مع جميع وزرائه. وتكرر ذلك عام ١٩٣٧م حيث تم إعدام الرئيس الياس طرخان مع جميع أعضاء حكومته.

وفي الحرب العالمية الثانية استسلم الفيلق القرمي للألمان، ولكن ما إن علم الألمان بأن هذا الفيلق هو من المسلمين حتى منعوا عنهم الطعام حتى ماتوا من المجاعة، واضطر من بقي إلى أكل موتاهم. وعندما علم المسؤول الألماني عن

ذلك أمر بقتلهم جميعاً بالرصاص..

وعند نهاية الحرب العالمية الثانية واستعادة ستالين للأراضي الروسية وانتصاره على ألمانيا، صبّ ستالين جام غضبه على سكان القرن المسلمين فأمر بطردهم جميعاً إلى سيبريا عام ١٩٤٥م. ومات في رحلة الموت والعذاب مئات الآلاف وبقي الباقون في مجاهل سيبيريا.

ورغم أن مجلس السوفييت الأعلى برأ التتار القرميين من تهمة التعاون مع النازي في القرار الصادر في ٥ سبتمبر ١٩٦٧م، إلا أنه لم يسمح بعودتهم إلى وطنهم.

واستمر ذلك إلى ما بعد سقوط الشيوعية بكاملها. وحوّل خروشوف القرم إلى مقاطعة تابعة لأوكرانيا (لأنه هو نفسه أوكراني) ولم يسمح لهم بالعودة رسميًّا، ولكن بالتدريج بدأ أفراد وأسر يعودون إلى وطنهم.

ونفس القصة واجهتها المناطق الإسلامية في أذربيجان، والشيشان، وفي التركستان في قرغيزيا وأوزبكستان وقازاخستان. وقد بدأ لينين سياسته بتأييد المسلمين ليقفوا ضد قوات روسيا البيضاء (كولشاك ودينكين والمنتمين إلى الجناح القيصري أو الديمقراطية الغربية). وانضم كثير من المسلمين إليه وخاصة من تتار الفولجا (الفولجا أكبر أنهار روسيا بل وأوربا) ويقول بنجسين ولومرسييه في كتابهما «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي»: **تعتبر الشيوعية الوطنية الإسلامية في الاتحاد السوفييتي** حدثاً فريداً في التاريخ. فقد دامت حوالي عشر سنوات من عام ١٩١٨م إلى عام ١٩٢٨م.. وكانت نتاجاً إيديولوجيًّا وعلميًّا لفريق من الشباب المثقف عماده تتار الفولجا والذي ظن أن لينين والحركة الشيوعية ستسمح لهم بإقامة جمهوريات سوفياتية مع بعض الحرية الدينية.

ويقول بنجسين ولومرسييه في كتابهما «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي»: «وحاول الشيوعيون الوطنيون المسلمون (المغرّر بهم) أن يكيّفوا

الماركسية اللينينية الروسية مع الأوضاع التاريخية والاجتماعية والثقافية للإسلام ففشلوا. وصُفي معظمهم تصفية جسدية بأمر من ستالين بين سنتي ١٩٢٨م و١٩٣٨م.

لقد استطاعت وعود لينين وستالين أن تجتذبهم، فلما تمكن الشيوعيون من الحكم أقاموا لهم المذابح وصفوهم واحداً إثر الآخر. ومنهم مير سعيد غالييف الذي عيّنه ستالين مساعداً له في مفوضية الشعب للقوميات وعضواً في المفوضية المركزية الإسلامية وعضواً في اللجنة المركزية لجمهورية تتارستان الاشتراكية السوفياتية.. إلخ. وسجن وعذّب ثم قتل لميوله الرجعية الدينية!!

ومنهم طرار ريشكوف الكازاخي الذي تسنّم مناصب رفيعة في الحزب الشيوعي في آسيا الوسطى ورئيساً للجنة الشعبية السوفييتية لجمهورية تركستان. ونفّذ فيه حكم الإعدام عام ١٩٣٨م باعتباره منحرفاً شوفينيًّا ينادي بوحدة الأراضي التركستانية.

ومنهم أحمد بيطرسون القازاخي ومؤسس حزب الآش أوردا وقد تمّ تصفيته جسديًّا عام ١٩٣٧م. ومنهم علي خان بوكيخانوف عالم الانثروبولوجي الذي تم تصفيته عام ١٩٣٣م. ومنهم غاليموجان إبراهيموف من تتار الفولجا الذي أعدم في السجن عام ١٩٣٨م[١].

وقد تميز الحكم الشيوعي بالدهاء، فكان أول الأمر يدعو المسلمين إلى الثورة ضد روسيا البيضاء ويعدهم بحريتهم الدينية كاملة. وبالتدريج أظهر لهم الغدر فقتل من قتل، وواجهت كل المناطق الإسلامية حرباً شرسة واحدة بعد الأخرى وحرب إبادة وحرب تجويع.

---

(١) انظر تفاصيل هذه الإعدامات والثورات في كتابي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» وكتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي» لبنجيسين ولومرسييه.

وقبيل قيام الثورة عام ١٩١٧م كان في روسيا القيصرية خمسة عشر ألف مدرسة إسلامية. وبحلول عام ١٩٢٨م تم إغلاق جميع هذه المدارس.

ويقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي: «لقد ابتدأ الهجوم المباشر ضد الدين الإسلامي عام ١٩٢٨م حتى إعلان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م). وتميز بإغلاق ٢٦.٠٠٠ مسجد يتولى الإمامة فيها والتدريس أكثر من ٤٥ ألف رجل دين.

وفي الفترة الأولى للحكم الشيوعي ابتداء من حكم لينين تم تصوير القرآن ككتاب اشتراكي ومحمد كمصلح اجتماعي، ولكن سرعان ما انقلب الحال وتحول الإسلام إلى دين كهنوتي رجعي يدعم الحكم القيصري ويشجع الإقطاع والعبودية وطغيان النبلاء والرأسماليين.. إنه دين يحارب الطبقة الكادحة ويعدهم بالصبر حتى يدخلوا الجنة!!

وتقول الإنسكلوبيديا - (دائرة المعارف) السوفييتية تحت مادة إسلام: «لعب الإسلام دائماً - مثل كل الديانات - دوراً رجعيًّا كأداة للقمع الروحي بواسطة الطبقات الطفيلية المحليّة وكوسيلة لاستغلال شعوب الشرق بواسطة المستعمرين الأجانب».

ولم تتوقف هذه الحملة حتى بعد صعود خروتشوف إلى سدة الحكم وظهور فضائح الحكم الستاليني وجرائمه، بل استمرت الحملة العنيفة ضد الإسلام في كل أجهزة الإعلام من صحافة وتليفزيون وسينما ومسرح وكتب ونشرات. وطبع في تلك الفترة (١٩٥٤ - ١٩٦٤م) ١٢٩ كتاباً مناهضاً للإسلام بكافة اللغات واللهجات التي يتحدثها مسلمو الاتحاد السوفييتي مثل الأوزبكية والقازاخية والداغستانية والأذرية (أذربيحان) والتركمانية والقرغيزية بالإضافة إلى الروسية التي يتقنها كافة السكان.

دور اليهود الرأسماليين في الشيوعية

لقد لعب اليهود، وخاصة أصحاب الملايين والبلايين، دوراً أساسيًّا في تكوين الشيوعية ونشرها ودعمها!!

وكان كارل ماركس نفسه يهوديًّا ودعمه المليونيرات اليهود في بريطانيا وأوربا. وكانت روسيا القيصرية، رغم محاولاتها باسترضاء اليهود، تجد منهم الحملات المتتالية، وتمّ اتهامهم بقتل اسكندر الثاني عام ١٨٨١م بعد عدة محاولات فاشلة لاغتياله، رغم أنه نشر التعليم وحاول تحسين أوضاع الفقراء. ولما شكا له دزرائيلي (اليهودي المتنصّر) رئيس الوزراء البريطاني في عهد الملكة فيكتوريا أن خريجي الجامعات من اليهود لا يجدون عملاً، أمر القيصر بفتح أبواب العمل والمناصب العليا لهم أسوة بالخريجين من الروس.

وكانت إصلاحات القيصر اسكندر الثاني سبباً في اغتياله لأنه عطّل وأوقف أنشطة الخلايا السريّة وقضى على التذمّر الشديد الذي كان اليهود يستغلونه ضده وضد القياصرة. وعقب اغتيال القيصر اسكندر الثاني عام ١٨٨١م عمّت روسيا موجة استياء عارمة استغلها اليهود في نشر الخلايا المناوئة للقيصر. وشدّد القيصر الجديد الحملة ضد اليهود، فتوجه البارون جيزنبرج على رأس وفد يهودي عالٍ (ممثلاً لمؤسسة روتشيلد اليهودية الأخطبوطية) وقابل القيصر في مايو (أيار) عام ١٨٨٢م وقدّم له احتجاجاً رسميًّا على هذه القوانين. وبدأت الحرب الاقتصادية على روسيا القيصرية، فحاربوا التجارة الروسية التي وصلت إلى أشدّها عام ١٩٠٥م والتي أدّت إلى هزيمة روسيا من عدوتها اليابان، وفي ذات الوقت تم دعم اليابان اقتصاديًّا وتجاريًّا(١).

---

(١) وليم كار: اليهود وراء كل جريمة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ١٥٢ – ١٥٤.

وعمّت الفوضى في روسيا القيصرية بفعل خلاياهم. واغتيل عدد من المسؤولين الروس مثل وزير التعليم الذي حدّد عدد الطلبة اليهود المقبولين في الجامعات والمدارس الروسية، ووزير الداخلية دسباغين الذي فضح بعض الخلايا السرية لليهود وأمر بأن يعيشوا في مناطق محدّدة لهم (الجيتو). واغتيل رئيس وزراء روسيا بلهيف ثم الأمير الغراندوق (Grand duke) سرجيوس عم القيصر.

وثار القيصر الاسكندر الثالث، واعتبر اليهود المرابين هم المسؤولين عن هذه الجرائم، فكوّن اليهود الحزب الاجتماعي الثوري وكونوا خلايا إرهابية قرّروا فيها اغتيال القيصر الاسكندر الثالث.. وكان ضمن هذه المجموعة اسكندر أوليانوف الذي أُلقي القبض عليه وأعدم.

واسكندر أوليانوف هو الأخ الأكبر لفلادمير أوليانوف (لينين) الذي فرّ إلى سويسرا بمساعدة اليهود.

وقام اليهودي يعقوب شيف ممثل مجموعة كوهين لوب التي مولت اليابان في حرب عام ١٩٠٥م بالرد على استفسار مندوب القيصر في مفاوضات السلام بين اليابان وروسيا والتي تمت في أمريكا بقوله: «أنت تدرك - وأنت الرجل الاقتصادي والسياسي – أنه لا يمكن أن تتوقع من المصالح اليهودية ونفوذ الأمريكيين اليهود أن تعمل إلا ضد الحكومة الروسية التي تحارب المصالح اليهودية، ولا تؤمن لليهود الروس مطالبهم».

وكانت لندن هي مقر اجتماعات الجمعيات الفوضوية والشيوعية وبمعرفة الحكومة البريطانية ذاتها (لا عجب في ذلك إذ إن رئيس الوزراء كان اليهودي دزرائيلي الذي أظهر أنه تخلى عن دينه اليهودي وتحول إلى المسيحية الأنجليكانية ليصبح المستشار الأول للملكة فيكتوريا ورئيس وزراء دولتها).

لينين (فلاديمير أوليانوف) [١٨٧٠ – ١٩٢٤م]

عندما أعدم شقيق لينين الأكبر، كان لينين في شرخ شبابه، وانجرف بعدها نحو الأفكار الثورية المتطرّفة التي تلقاها من زملائه اليهود في المدرسة. ولما اشتدّ البحث عن الثوريين دبّر له اليهود السفر إلى سويسرا عام ١٨٩٥م (وعمره ٢٥ عاماً). وهناك ارتقى السلم في التنظيم الشيوعي الذي ضم ليودوتش، وإكسلرود، وجوليوس تسيد رياوم وفيرازا سوليش.. وكلهم من اليهود. وكان بليخانوف ولينين هما الوحيدين في تنظيم كامل من اليهود، ضمَّ تسيد رياوم الذي عرف فيما بعد باسم **موروتوف الذي تزعم المونشفيك فيما بعد، بينما تزعم لينين البولشفيك.**

وعاد لينين إلى روسيا وباشر نشاطه مع مورتوف وغيره ولكن السلطات تنبهت له **ودخل السجن عام ١٨٩٧م وخرج منه عام ١٩٠٠م** (أي بعد ثلاث سنوات قضى معظمها في سيبيريا). وكان قد تزوج من اليهودية الحسناء الثورية. **وعندما أطلق سراحه، توجه إلى سويسرا مرة أخرى وأصدر مع بليخانوف وإكسلرود ويوتريسوف وتروتسكي صحيفة بالألمانية اسمها (إيسكرا) أي الشرارة. وتولت زوجته سكرتارية التحرير. وكانت تُهرَّبْ إلى روسيا وتترجم إلى الروسية.**

وعقدت مؤتمرات عدة – من عام ١٩٠٣م إلى عام ١٩٠٧م – اختلف فيها الرفاق الشيوعيون وانقسموا إلى مونشفيك وبولشفيك، وكان لينين وتروتسكي من جناح البولشفيك ومورتوف من جناح المونشفيك.

وأصدر البولشفيك عام ١٩٠٨م جريدة بروليتاريا (أي العمال) وعهد بتحريرها إلى لينين وزينوفيف اليهودي.

وجميع المحررين لهذه المجموعات الشيوعية هم من اليهود ما عدا لينين (زوجته يهودية وفي إحدى الروايات أنه من أصل يهودي).

واستطاع المونشفيك والبولشفيك في تقويض الروح المعنوية للشعب الروسي، ونشر فضائح القصور والطبقة المترفة والنبلاء وتضخيمها. واندفعت روسيا عام ١٩١٤م إلى الحرب العالمية الأولى في صف بريطانيا وفرنسا (الحلفاء) ضد ألمانيا وتركيا (العدو التقليدي لروسيا). وازدادت الاضطرابات أثناء الحرب وخاصة في مطلع عام ١٩١٧م واستطاع اليهود أن يلعبوا بالاقتصاد وأن يقلّ التموين في العاصمة بطرسبورج نفسها. واختل الأمن وأطلق الجنود النار بأمر ضابط اتهم بأنه على علاقة وطيدة بالتنظيمات السرّيّة المتغلغل فيها اليهود، فهاجت الجماهير. وبدأ الجيش يعاني من الهزائم بفقدان الروح الوطنية.

وفي ١٢ مارس (آذار) ١٩١٧م اشتدت الأزمة، وفتك الجنود، الذين انضموا للخلايا الثورية، بضباطهم وانفلت الأمن تماماً. وتمّ إطلاق سراح المسجونين والمجرمين وسمح لهم بالنهب والقتل وإثارة الذعر.

وطوال هذه المدة كان لينين لا يزال في سويسرا ينعم مع زوجته ومجموعة من قادة الحزب بالحياة الرغيدة في سويسرا، واتهمه كثير من الرفاق بأنه ينفق ببذخ ويعيش حياة النبلاء وأنه يشتري بأمواله (من اليهود) من يريد.

وقد استطاع اليهود المتغلغلون في الدولة الألمانية أن يقيموا اتفاقاً بين روسيا وألمانيا يعود بموجبه الهاربون والمنفيون من الروس إلى بلادهم. ورتبت لهم قطاراً خاصًّا، عاد فيه لينين ورفاقه وآلاف الثوريين. ولم يكن قطاراً واحداً بل سلسلة من الرحلات التي نقلت تسعين ألف فوضوي إرهابي وشيوعي، ومعظمهم من البولشفيك، من ألمانيا إلى روسيا.

واستطاع لينين في بطرسبورج أن يكسب مجموعة من ضباط البحرية الروسية فاستولوا عليها ومع مجموعاته الداخلية والتي أتت من ألمانيا، استطاع أن يحول الثورة ضد القيصر إلى صالحه، ودخل بطبيعة الحال مع كرانسكي

وكولشاك ودينكين، القادة البيض الذين استولوا على الدولة وبدعم من الحلفاء (بريطانيا أساساً)، في حروب طاحنة، استطاع فيها أن يتغلب عليهم بمساعدة الأقليات التي عانت من الظلم والتي لم يستطع نظام كراينسكي أن يقنعها بإيجاد نظام جديد عادل فتقدم لينين بخطاباته النارية للمسلمين يعدهم بالمؤازرة ويطلب منهم الثورة ضد الاستعمار والطغيان وأن يحترم دينهم وقرآنهم وحريتهم الدينية والمدنية كاملة (كما تقدم معنا).

وبالمجازر استطاع لينين وزمرته من اليهود أن يستولوا على روسيا بأكملها خلال بضع سنوات. وكان المكتب السياسي بوليتبيورو (**Polit buro**)، وهو الذي يحكم روسيا، مكوناً من لينين وزينوفيف وكامنيف وتروتسكي وبوخارين وستالين. وكانوا جميعهم من اليهود ما عدا لينين وستالين اللذين كانت زوجتاهما يهوديتين، بل إن ستالين زوج ابنته فيما بعد إلى يهودي، وصار ارتباطه باليهود قويًّا، ثم اختلف مع بعض زعمائهم واستطاع بالفعل أن يزيحهم بعد وفاة لينين عام ١٩٢٤م. ولكن ارتباطه باليهودية العالمية بقي ثابتاً.

وكان اليهود يشكلون ٧٠ إلى ٨٠ بالمئة من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي. وقد اشتهر قول لينين إنه مستعد لقتل ٨٠ بالمئة من سكان العالم ليستمتع الباقون بالحياة في ظل الماركسية اللينينية.

وقد قتل لينين في ثورته (١٩١٧ - ١٩٢٤م) أكثر من خمسة ملايين روسي. أما ستالين الذي حكم فترة أطول بكثير فقد قتل ١٥ مليون روسي[١].. وبطبيعة الحال لم يسلم زملاء الأمس من المذابح، وهي مذابح متبادلة في كل نظام شيوعي ماركسي.

---

(١) هذا غير عشرين مليوناً قتلوا في الحرب العالمية الثانية بسببه.

لم تقم أي دولة ماركسية بدون مجازر

ولم تقم أي دولة ماركسية بدون مذابح، سواء أكانت في أوربا (روسيا وبولندا وبلغاريا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا.. إلخ) أو في آسيا (الصين ومذابحها بعشرات الملايين) وكمبوديا (أكثر من مليونين) ولاوس (مئات الآلاف) وفيتنام (بضعة ملايين). وحتى المحاولة الماركسية في أندونيسيا قتلت أكثر من مليون، ولكن سوهارتو استطاع القضاء عليها. والشيء ذاته يقال في الكونغو والصومال (سياد بري) والحبشة (منجستوهيلي ماريام) وأميركا اللاتينية (كوبا والمحاولات في الأرجنتين وغيرهما).

ولا غرابة إذن أن يقوم الحزب الطليعي الشيوعي في اليمن الجنوبية بالمجازر، فهذا دأبهم. وقتلهم للعلماء وتشريد أكثر من مائتي ألف من سكان عدن (أي أكثر من نصف السكان، وقد حلّ محلّهم ضعفهم من الأرياف المنكوبة) وفقدت عدن واليمن الجنوبية كوادرها.. ثم انطلقت المجازر فيما بين الزمرة والطغمة، وبعد أن تخلصوا من قحطان الشعبي وابن عمه فيصل الشعبي (المؤسسين الأوائل للجبهة) عام ١٩٦٩م تخلصوا من مجموعة أخرى من الدبلوماسيين في الطائرة المنكوبة. ثم تخلصوا من سالمين (سالم ربيع علي) بمجزرة حصدت بضعة آلاف (عام ١٩٧٨م). ثم وقعت المجزرة الكبرى في ١٩٨٦م بين الزمرة والطغمة ومجموعات علي ناصر محمد ومجموعات البيض وعبد الفتاح إسماعيل وعلي عنتر. وكان القتلى في خلال أسبوعين من القتال أكثر من عشرة آلاف شخص. ثم استمر القتل على الهوية وبلغت الخسائر البشرية في جملتها أربعين ألف أو تزيد، وأغلبهم من أنصار علي ناصر بعد هزيمته وخروجه إلى اليمن الشمالي مع ثلاثين ألف من أنصاره الذين استقطبهم علي عبدالله صالح واستفاد منهم استفادة هائلة، وخاصة عندما أراد البيض أن يقوم بالانفصال عام ١٩٩٤م، بعد أن قام بالوحدة الفورية الاندماجية عام ١٩٩٠م. وفي كلا الحالتين أدّى بالبلد إلى نكبات مستمرة،

قُتل فيها الآلاف وشُرِّد عشرات الآلاف. ولم يستفد إلا هو ومجموعة صغيرة من أتباعه حصلت على الأموال الضخمة التي أتت إليه من جهات مؤيدة لحرب الانفصال عام ١٩٩٤م، وعلى إثرها ارتفع رصيده في البنوك السويسرية. وهكذا تحول المناضل الشيوعي البروليتاري إلى أحد أكبر الرأسماليين في اليمن. وبلغ من إسرافه وبذخه أن كانت تكاليف خطبة ابنته أكثر من مليون دولار في فنادق دبي!! ولله في خلقه شؤون. وتكاليف الزواج خمسة ملايين دولار. ثم تمّ الانفصال ويطالب الزوج بالملايين حتى يوافق على الطلاق.

الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية ودور اليهود فيها

نشأت الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية في أوقات مختلفة وأزمنة متباينة وبعضها تكوّن في بداية العشرينات من القرن العشرين، وبعضها في مرحلة متأخرة، مثل حزب الاتحاد الشعبي الديمقراطي (الشيوعي اليمني) عام ١٩٦٠م، وبعده الحزب الاشتراكي اليمني (باتحاد مجموعات عبد الفتاح من الجبهة القومية وحزب باذيب وحزب البعث الاشتراكي برئاسة أنيس حسن يحيى وحزب سلطان أحمد عمر في الشمال).

الحزب الشيوعي السوري اللبناني[1]

تكوّن في نوفمبر ١٩٢٤م. وكان أعضاء اللجنة المركزية فؤاد شمالي ويوسف إبراهيم يزبك وفريد طعمة تحت اسم «حزب الشعب اللبناني» وإصدار جريدة «الإنسانية» باسم الحزب. وانضم إليهم بعد بضعة أشهر عصبة سبارتكوس الأرمنية التي أسسها آرتين مادويان وهيكازون بودياجيان

(١) موسوعة السياسة رئيس التحرير د. عبد الوهاب الكيالي، ج٢/ ٣٧٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ٢/ ١٩٩١م.

عام ١٩٢٠م. وحضر جوزيف برجر اليهودي الاجتماع التأسيسي مندوباً عن الكومنترن. وتم إدخال جاكوب تيبر اليهودي الروسي عضواً قياديًّا في اللجنة المركزية. وبطبيعة الحال اتخذ له اسماً حركيًّا هو الرفيق شامي. وهو لا شامي ولا عربي ولا مسلم ولا نصراني، بل يهودي روسي. وكان أحد اليهود المهاجرين إلى فلسطين وأحد أركان الاستيطان اليهودي.

وهكذا يتضح من أول لحظة دور الحزب الشيوعي اللبناني بحيث يتولى قيادته الفعلية يهودي روسي صهيوني هاجر إلى فلسطين. ولا يحتاج الأمر إلى ذكاء لمعرفة دور اليهود الصهاينة الماركسيين في نشر الماركسية في الوطن العربي والتمهيد لقيام إسرائيل والعلاقات الوطيدة بين هذه الأحزاب الشيوعية والأحزاب اليسارية واليهودية. مما جعل حركة القوميين العرب عند تكوينها بعد النكبة عام ١٩٤٨م تقوم بإدانة الأحزاب الشيوعية السورية واللبنانية والفلسطينية وتعتبرهم قمة الخونة - كما قد أوضحناه ونقلناه من كلام الأستاذ قحطان الشعبي رئيس الجبهة القومية وأحد أهم مؤسسيها.

وفي عام ١٩٣٠م أصدر الحزب الشيوعي اللبناني بالاشتراك مع الحزب الشيوعي الفلسطيني وثيقة هامة بعنوان: واجبات الشيوعيين في الحركة القومية العربية! (١)

وظل اليهودي الروسي الصهيوني المهاجر إلى فلسطين جاكوب تيبر (الرفيق الشامي) أحد أركان الحزب، واستمر فؤاد شمالي (هل هو يهودي؟) أميناً عامًّا للحزب حتى عام ١٩٣٣م. وكان الحزب يوجه نشاطه بصورة خاصة ضد الأحزاب البورجوازية الإصلاحية والتي كانت تقود النضال ضد الانتداب الفرنسي والبريطاني. وهكذا يظهر دور هؤلاء الخونة في مساندتهم للاستعمار

(١) المصدر السابق.

والصهيونية بكل وقاحة ومحاربتهم ليس للإسلام فقط بل للقومية العربية وللحركة الوطنية الاستقلالية، فهم عملاء حتى النخاع. وفي عام ١٩٣٣م حل خالد بكداش محل فؤاد شمالي بعد أن مكث في موسكو فترة يتثقف ويتشرب مبادئ الحزب ورسائله!! (تماماً كما فعل عبدالله باذيب بعد ذلك بأكثر من ٢٠ عاماً).

وبدأ الحزب يفك ارتباطه رويداً رويداً بالحزب الشيوعي اليهودي والذي كان يُدعى الفلسطيني لأن إسرائيل لم تكن قد تكوّنت بعد. وارتبط بصورة قوية جدًّا بالحزب الشيوعي الفرنسي ووقف ضد كل الأحزاب المحاربة لفرنسا في الوطن العربي وفي سوريا ولبنان بوجه خاص. ومنذ عام ١٩٣٦م أعلن الحزب بصراحة أن التعاون مع فرنسا هو هدفه الأول والأخير، وأن ذلك يمثّل حجر الأساس في سياسة وأهداف الحزب (يا له من حزب يعلن خيانته على الملأ بكل بجاحة).. وكان يطالب العمال والثوار بالهدوء والتزام النظام وفرنسا هي الأم الرؤوم (للشيوعيين والمارونيين) وينبغي أن توجه جهودنا جميعاً ضد الفاشية والنازية التي أطلت برأسها في أوربا (ألمانيا وإيطاليا).

وقد أعلن خالد بكداش ورفيق رضا وفرج الله الحلو ونقولا الشاوي تطوعهم في الجيش الفرنسي ودعوا الشعب اللبناني والسوري للانخراط في الجيش الفرنسي دفاعاً عن الديمقراطية والليبرالية والتقدم (ونسوا الماركسية) ومجّدوا دور ستالين العظيم. وفي عام ١٩٤٤م تجمع ١٩٠ مندوباً للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، وقالوا إنهم يمثلون سبعة آلاف عضو وكوّنوا قيادة جديدة يرأسها خالد بكداش وفي قيادتها فرج الله الحلو ونقولا الشاوي ورشاد عيسى وأعلنوا ميثاقاً جديداً ليس للشيوعيين فحسب ولكنه يضم كل التقدميين والمخلصين والوطنيين الذين ينادون ببقاء فرنسا في بلدهم!! ويا لهم من أحرار يطلبون بقاء المستعمر وتبلغ بهم الوقاحة أن يعلنوا ذلك ويدّعوا الوطنية.

لقد كان موقف الاتحاد السوفييتي في المبادرة بالاعتراف بإسرائيل بعد

دقائق من اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بها عام ١٩٤٨م يوضح التقاء المعسكرين الرأسمالي والشيوعي في دعم اليهود والصهيونية ودولة إسرائيل. وفي الواقع هما وجهان متغايران جدًّا لعملة واحدة يستخدمها اليهود حسب الظروف والمناسبات والحاجات.

وقد كان في مقدور الولايات المتحدة القضاء على الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، حيث كانت روسيا منهكة أشد الإنهاك. وكان القائد العام الأمريكي في أوربا يدعو إلى الانتهاء من الشيوعية ويطلب من حكومته أن تسمح له بالقضاء على روسيا، ولكن حكومته المرتبطة باليهود رفضت ذلك. ثم قام أوبنهايمر أبو القنبلة الذرية (وهو يهودي من أصل ألماني كان على رأس الفريق الذي صنع القنبلة الذرية في أمريكا) قام أوبنهايمر اليهودي هو وزوجته بتسريب أسرار القنبلة الذرية وكيفية صنعها إلى ستالين، وبالفعل قام الاتحاد السوفييتي في فترة وجيزة بصنع القنبلة الذرية.. وبدأ توازن الرعب بين العملاقين روسيا وأميركا. وتمّ فضح أوبنهايمر وزوجته ومحاكمتها بتهمة الخيانة العظمى، ولم تثبت عليهما التهمة(١). ولكنها ثبتت على مجموعة من اليهود على رأسها جوليوس روزنبرج وزوجته إيثل وتم إعدامهما عام ١٩٥٣م.

وقد شعرت الأحزاب الشيوعية في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر بالحرج الشديد عند اعتراف أسيادهم بإسرائيل، ولكنهم حاولوا تبرير موقف أسيادهم. وأن البلاد العربية رجعيّة ومتخلّفة وتسير في ركب الاستعمار والإمبريالية، وأن إسرائيل أكثر تقدمية منهم، وتنفّذ البرامج الاشتراكية (حزب

---

(١) ولكنه منع من الوصول إلى مزيد من المعلومات السرية. وتوفي سنة ١٩٦٧م (الموسوعة العربية، ط ٢، ج ٣/ ٣٠٨).

المابام ووجود الكميونات دليل عندهم على تقدميته) وبالتالي فإن دعم إسرائيل هو دعم للتقدمية والاشتراكية العلمية ومحاربة للنظاتم الكمبرادوري الإمبريالي الرأسمالي.. إلخ.

وأدانت الأحزاب الشيوعية سياسة الحياد الإيجابي التي نادى بها عبدالناصر ونهرو وتيتو وسوكارنو، ودعوا صراحة للانضمام إلى الجبهة التقدمية الشيوعية والالتحاق بركب الكومنتون والاتحاد السوفييتي.

هناك أتباع لأميركا، وهناك أتباع لروسيا، وكلاهما عميل يبيع وطنه ودينه وأمّته لمن يدفع الثمن، كما أن هناك مخدوعين كثر. وعندما شارفت الشيوعية على الزوال، انتقل الشيوعيون العرب بقضّهم وقضيضهم إلى المعسكر الليبرالي الديمقراطي (أي المعسكر الأميركي). والعميل لا بد أن يبقى عميلاً طوال حياته.

الحزب الشيوعي التونسي[(١)]

تأسس عام ١٩١٩م كفرع للحزب الشيوعي الفرنسي. ولم ينفصل عن هذا الحزب الأم إلى عام ١٩٣٤م وهو انفكاك شكلي وبقي الارتباط وثيقاً مما أدى إلى عزلة الحزب واعتباره حزباً عميلاً لفرنسا ينادي بالالتحام بها والبقاء تحت سيطرتها. ودور العمالة أصيل لدى جميع الأحزاب الشيوعية في العالم العربي. ونادى بصراحة بمعارضته استقلال تونس**!!** لأن الحزب الشيوعي الفرنسي يعارض استقلال تونس. وهكذا فلتحيا الخيانة**!!** ولم يكن للحزب سوى دور الخيانة في الحركة الوطنية الاستقلالية.

---

(١) موسوعة السياسة رئيس التحرير د. عبد الوهاب الكيلاني، بيروت ط ٢، ١٩٩١م، ج ٢/ ٣٧٠ - ٣٧١.

الحزب الشيوعي الفلسطيني[(١)]

تأسس عام ١٩١٩م في فلسطين «حزب العمال الاشتراكي» من أعضاء يهود، أغلبهم من الشيوعيين والباقي من يسار «بوعالي تسيون». واشتهر باسمه المختصر (مويسي).

وولد الحزب الشيوعي الفلسطيني بهذا الاسم في خريف ١٩٢٢م بغرض الاندماج في الكومنترن (الأممية الثالثة) أو المؤتمر الصهيوني. واختار غالبية الأعضاء جانب الصهيونية، وأصبحوا قادة حزب الماباي بينما اختار الباقون (نحو ١٥٠ عضواً) الحزب الشيوعي الفلسطيني (اليهودي) واعترف الكومنترن رسميًّا بالحزب في فبراير ١٩٢٤م.

وبدأ ظهور شعار «تعريب الحزب» أي إدخال أعضاء عرب فلسطين فيه في يوليه ١٩٢٤م، ومنذ عام ١٩٢٧م بدأ الأعضاء العرب في السفر إلى موسكو لتلقي مبادئ الماركسية والاشتراكية العلمية. وأيد الحزب، في أغلبيته، الحركة الصهيونية وأن فلسطين تعتبر وطناً لكل يهودي سواء ولد فيها أم هاجر إليها.

وفي ثورة البراق المشهورة في أغسطس ١٩٢٩م التي قامت ضد الصهاينة الذين بدأوا يتوسعون في احتلالهم فلسطين وينشئون المستوطنات في كل مكان وينادون بحائط المبكى (البراق) حائطاً لهم، **رغم أن التحكيم الدولي أقرّ بأن حائط البراق تابع للعرب ولا علاقة له باليهود. ورغم ذلك وقف الأعضاء من الفلسطينيين العرب مع إخوتهم الصهاينة وأيدوا موقفهم**. ولم تر قيادة الحزب في ثورة البراق سوى أنها مذابح عنصرية لليهود من العرب المتعصبين الرجعيين**!!**

وبدأت خطوات أقوى في التعريب لأن قيادة الحزب كانت في غالبيتها بيد

---

(١) المصدر السابق، ج٢/ ٤١٠ – ٤١٤.

اليهود، وذلك إثر المؤتمر السابع المنعقد في ديسمبر ١٩٣٠م. وتحولت صحيفة الحزب من اللغة اليهودية (اليديش) إلى اللغة العربية منذ عام ١٩٣١م.

وعند ظهور النازية عاد التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعي الفلسطيني والصهاينة باعتبارهم جميعاً في خندق واحد ضد النازي.

ولم يشترك الحزب الشيوعي الفلسطيني في أي حركة مقاومة ضد الصهاينة سوى البيانات التي تشجب إبادة الفلسطينيين العرب من قبل الصهاينة.

وبعد نكبة ١٩٤٨م تبعثر الشيوعيون الفلسطينيون، ولكن من بقي منهم انضم إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي. وأما من كانوا في الضفة الغربية فانضموا إلى الحزب الشيوعي الأردني. وكانت قيادة الحزب الفلسطيني تهاجم الرئيس عبد الناصر بسبب معاداته لإسرائيل!! ولكنه غيّر موقفه بعد حرب أكتوبر ١٩٥٦م. وحدثت أزمة في صفوف الحزب واتُّهم بالعمالة لإسرائيل سنة ١٩٥٧م، وانشق إلى حزبين أولهما «حزب الطليعة الثورية الشيوعية، في قطاع غزة» والثاني «الحزب الشيوعي» في قطاع غزة.

وفي أواخر عام ١٩٥٨م وجهت أنظمة الأمن في الجمهورية العربية المتحدة ضربات متلاحقة للشيوعيين في مصر وسوريا وقطاع غزة.

وانتهى الحزب لفترة بعد عام ١٩٦٧م (هزيمة يونيه المدوية) وتمكن الحزب الشيوعي الأردني في الضفة الغربية من أن يعيد تشكيل الحزب الشيوعي الفلسطيني.

الحزب الشيوعي المصري(١)

تأسس الحزب الشيوعي المصري عام ١٩٢٢م في الإسكندرية على يد اليهودي جوزيف روزنثال وحسني العرابي وأنطون مارون وبحضور عدد من

---

(١) موسوعة السياسة، ج ٢/ ٤٥٨ – ٤٦٣.

موفدي الكومنترن أمثال أفيجدور وناداب وكلهم من الشيوعيين اليهود. وقد بدأ التمهيد لهذا الحزب منذ عام ١٩١٨م وانضمت الأكثرية إلى الكومنترن.. وفي عام ١٩٢٢م اعترفت قيادة الكومنترن بالحزب الشيوعي المصري بعد أن قبل شروطها الواحد والعشرين.

والكومنترن هي منظمة شيوعية أممية كل رجالها المهمين هم من اليهود. وقام أنطون مارون أحد المؤسسين للحزب الشيوعي المصري بتكوين أول اتحاد عام للعمال في مصر وكان مقرّه الاسكندرية.

وشهد الحزب الشيوعي المصري ما لا مثيل له من الانقسامات والصراعات والتطهيرات. **وأعلن حسني العرابي في مارس ١٩٢٤م قيام «دولة العمال في مصر»** بعد سلسلة إضرابات عمالية، واستولى على مصانع النسيج وأمّمها، وعيّن مجالس عمالية لإدارتها. ولكن دولته لم تستمر سوى يوم واحد لأن حكومة سعد زغلول لم تتردد في قمعها فوراً لإخلالها بالأمن وإقامة دولة داخل الدولة[1]. وتمت محاكمتهم والحكم بالسجن على زعمائهم مثل أنطون مارون (حكم عليه بثلاث سنوات سجن فقط).

وكان الحزب محدود الانتشار جدًّا بين المصريين، ولكنه منتشر بين اليهود والأرمن واليونان وبعض الأقباط. واتخذ الحزب خطًّا يساريًّا متطرفاً وهاجموا الوفد البورجوازي بشدّة رغم أن ستالين نفسه قال: «إن نضال التجار والمثقّفين البورجوازيين المصريين من أجل الاستقلال هو نضال ثوري، رغم الأصل البورجوازي والصفة البورجوازية»[2].

وتشكلت من بقايا الحزب الشيوعي في مصر «**عصبة الماركسيين العرب**»

(١) موسوعة السياسة، ج ٢/ ٤٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٥٩.

بقيادة الدكتور عبد الفهيم راضي وشن حملة عنيفة على الوفد وتصور أن الأزمة الاقتصادية العالمية لعام ١٩٢٩ – ١٩٣٠م ستعجل بقيام الثورة في مصر ولكن ذلك لم يحصل، وتم سجنه وأصحابه. وقبلها كان ستالين غيّر منهجه وهاجم الوفد والطبقات البورجوازية في كل مكان. وأمرهم **في المؤتمر السادس للأممية الثالثة (١٩٢٨م) برفع شعار: طبقة ضد طبقة**. وبالتالي انصاعت جميع الأحزاب الشيوعية لهذه التوجيهات الجديدة. وانقسم الشيوعيون المصريون إلى مجموعات متناحرة وظلّوا على ذلك حتى مطلع الحرب العالمية الثانية. **وتأسست جماعة تروتسكية عام ١٩٣٨م بقيادة جورج حُنين وأنور كامل**(١).

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٢م) ظهرت الحركة المصرية للتحرر الوطني الشيوعية، التي أسسها وأنفق عليها المليونير اليهودي هنري كورييل صاحب الجنسيات المتعددة (فهو إيطالي وبريطاني ومصري.. إلخ)، وسمى نفسه (يونس).

ومن أعجب العجب أن نجد المليونيرات اليهود يؤسسون الحركات الشيوعية ليس في العالم العربي فقط، بل في العالم أجمع. وإذا كان لينين نفسه قد حظي بدعم البليونيرات اليهود مثل روتشيلد ويعقوب شيف ممثل مجموعة كوهين لوب المالية. وقبله حظي ماركس اليهودي وصديقه أنجلز بدعم هؤلاء اليهود المليونيرات الذين أتاحوا لهما العيش الرغيد في لندن مع نشر أفكارهما على نطاق عالمي.

ولم يكتفِ اليهود في مصر بتأسيس الحزب الشيوعي المصري عام ١٩٢٢م في الاسكندرية على يد اليهودي جوزيف روزنثال وانتشر الحزب بين اليهود

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٦٠. وتروتسكي هو أحد زعماء الشيوعية اليهود. اختلف مع ستالين واضطر إلى الهجرة إلى أمريكا اللاتينية، وكان له أنصار في كل مكان رغم الحرب العنيفة التي شنّها ستالين ضدّه، مما أدى إلى تصفيته.

والأرمن واليونان أساساً وبعض الأقباط وأفراد محدودين من المسلمين، ففي عام ١٩٤٢م تأسست مجموعات شيوعية: (الأولى) برئاسة هنري كورييل (يونس) وهي منظمة «الحركة المصرية للتحرر الوطني»، و(الثانية) بقيادة هليل شفارتز (شندي) وهي منظمة «أيسكرا» أي الشرارة، و(الثالثة) بقيادة مارسيل إسرائيل وهي «منظمة تحرير الشعب».

وهكذا تكونت أثناء الحرب العالمية الثانية ثلاث منظمات شيوعية أسسها وتزعمها يهود، وذلك كله من أجل التمهيد لقيام دولة إسرائيل والتعاون معها.

وفي عام ١٩٤٣ – ١٩٤٤م تكونت جماعات شيوعية جديدة أبرزها «جماعة الطليعة» التي تشكّلت من مجموعة من المثقفين والطلاب.. وجماعة «العصبة الماركسية» وجماعة «القلعة» وجماعة «الفجر الجديد». وفي كل هذه المنظمات الشيوعية تجد يداً يهودية ظاهرة أو خفيّة.

ورغم هذه الأعداد الكبيرة من المنظمات الشيوعية إلا أن أعضاءها من المصريين المسلمين قليلون جدًّا ولم يكن لها تأثير حقيقي في حياة الناس. ولكنها استطاعت أن تغري مجموعة من الشباب الغضّ بالشعارات، ثم بالنساء والخمور في دخول تنظيماتهم.

وفي عام ١٩٤٧م اتحدت جماعة الأيسكرا (الشرارة) وجماعة (الحركة المصرية للتحرر الوطني) في تنظيم جديد هو (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني «حدتو») والتي ترأسها أيضاً اليهودي المليونير هنري كورييل. ثم انضم إليهم مجموعة من المجموعات الشيوعية الصغيرة مثل «الطليعة» و«تحرير الشعب».

وعندما قامت دولة إسرائيل واعترف بها الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٨م أيد الشيوعيون المصريون تلك الخطوة. وهو أمر متوقع من حركة أسسها اليهود وأنفق عليها اليهود.. والحركة كلها يهودية وتعمل لصالح اليهود من أول يوم من تكوينها من أصلها.

وقد ذكر فيلبو سباتو الإيطالي الشيوعي المسؤول عن شؤون شمال إفريقيا في صحيفة الحزب الشيوعي الإيطالي (اليونيتا) الرسمية عام ١٩٥٨م: «إن أبرز قياديي الحركة الشيوعية المصرية هم من الأجانب (وأغلبهم يهود) الذين ليسوا فقط غير مرتبطين بالجماهير، بل أيضاً لا يرتبطون بأي رابط جدّي وعميق بالأمة المصرية».

وكانت الحكومات المصرية المتتالية تضيّق على الشيوعيين بما فيها ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢م بقيادة عبد الناصر. ولكن الموقف تغيّر بعد تأميم قناة السويس وحرب ١٩٥٦م والتي وقفت فيها روسيا مع جمال عبد الناصر فوقف الشيوعيون معه وتم إطلاق سراح المعتقلين وفسحت لهم الدولة في منابر الإعلام كلها فتولوا شؤونها وسمح لهم بمناصب كثيرة في الإعلام والجامعات. **وتكوّن عام ١٩٥٦م في روما تجمّع للمجموعات الشيوعية المصرية المختلفة في حزب جديد هو «الحزب الشيوعي المصري الموحد» بزعامة كمال عبد الحليم ومحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس.**

وعندما تدهورت العلاقة بين مصر والاتحاد السوفييتي عام ١٩٥٩م تحول الشيوعيون العملاء إلى معاداة النظام المصري الذي كانوا يؤيدونه بقوة. ثم تحسنت العلاقات مع روسيا عام ١٩٦١م فانطلق الشيوعيون العملاء في مدح عبد الناصر واستغلوا الفرصة التي أتاحها لهم عبد الناصر في قراراته الاشتراكية، فدعموه وانضموا إلى الاتحاد الاشتراكي العربي في أبريل ومايو ١٩٦٤م، ووصفوا نظام عبد الناصر بأنه تقدمي وطني يسير في الطريق اللارأسمالي وضد الرجعية والإمبريالية في الشرق الأوسط، وتولوا مرة أخرى الإعلام (الصحافة والتلفيزيون والإذاعة)، وبعض المناصب في الجامعات وفي الاتحاد الاشتراكي العربي واستمر ذلك إلى وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠م. ثم تغيّر الوضع تماماً في أيام السادات وعادوا إلى التنظيمات السريّة. واندثروا بعد

أن انهارت الشيوعية في روسيا وانضموا إلى المعسكر الأمريكي الإمبريالي الليبرالي العلماني!![١]

حزب التقدم والاشتراكية (المغرب)[٢]

هو الحزب الشيوعي المغربي، الذي غيّر اسمه ليتمكن من العمل العلني. تأسس سنة ١٩٤٣م على يد مجموعة من الشيوعيين الفرنسيين على رأسهم ليون سلطان اليهودي. وهذا ما جعل الحزب منذ البداية غير مقرّب من قلوب الجماهير التي كانت تناضل من أجل الاستقلال، والتحرر بينما يرى الحزب الشيوعي وجوب محاربة النازية قبل الاستقلال واستمر على ذلك حتى نبذته الجماهير واضطر الحزب إلى التظاهر بالمطالبة بالاستقلال بينما كانت صلاته بفرنسا وطيدة، مما أدى إلى الصدام الحاد بين الحزب الشيوعي وحزب الاستقلال المغربي.. ومنعت الحكومة الحزب بعد انتفاضة ١٩٥٢م ضد الفرنسيين.. وفي عام ١٩٦٠م صدر قرار بحلّ الحزب قانونيًّا ورسميًّا. وعندما قام الملك الحسن عام ١٩٧٤م بحركته لإعادة توحيد الصحراء المغربية التي كانت تحتلها أسبانيا أيّد علي يعتة (رئيس الحزب) خطوات الملك مما سمح لهم بالعودة، وإصدار الصحف مثل: حياة الشعب، الأمل الأمة، الجماهير، المكافح، الكفاح الوطني والمبادئ.

ورغم نشاطهم الصحفي منذ عام ١٩٤٣م إلى السبعينات من القرن العشرين إلا أنهم ظلّوا محدودي الانتشار جدًّا لارتباطهم الوثيق بالمستعمر الفرنسي وتاريخهم الطويل مع يهود فرنسا الشيوعيين ومؤسس الحزب ليون سلطان اليهودي الفرنسي، وهذا يثبت ما نقوله من أن جميع الأحزاب الشيوعية أسسها أو أمدّها بالمال والرجال المليونيرات اليهود!!

---

(١) موسوعة السياسية، ج ٢/ ٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢/ ٢٩٦.

الحزب الشيوعي الأردني[1]

تشكل الحزب الشيوعي الأردني في أيار (مايو) ١٩٥١م باندماج «الحلقات الماركسية بشرق الأردن» مع «عصبة القرار الوطني في فلسطين» والتي استمرت في ممارسة نشاطها في الضفة الغربية، بينما انضم الحزب الشيوعي الفلسطيني في الداخل (أي التي تحولت إلى إسرائيل) إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

ومنذ بدايته قرر الحزب الاعتراف بإسرائيل والتعامل معها والقبول بقرار التقسيم، وركز على قضايا النضال ضد الإمبريالية وضد الإقطاع، وطالب بتوزيع الأراضي على الفلاحين (مع أن الأردن صحراء والمساحة المزروعة فيها صغيرة والملكيات الزراعية موزعة أصلاً على القبائل والسكان المحليين ولا توجد إقطاعيات كبيرة على الإطلاق).

وفي عام ١٩٨٤م انشقت مجموعة عن الحزب الشيوعي الأردني وكوّنوا «المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين».

ورفض الحزب الشيوعي الأردني العمل الفدائي الفلسطيني وطالب بالاعتراف بإسرائيل والتسوية السلمية.. (يا للخيانة**!!** ولكنها متوقعة من هؤلاء العملاء لليهود وإسرائيل)

وفي سبتمبر عام ١٩٧٠م تبنى الحزب خطاً جديداً بقبول الكفاح المسلح. وفي ديسمبر ١٩٧٠م انشقت مجموعة يرأسها فهمي السلفيتي وأميل نفاع وفؤاد قسيس وكوّنوا حزباً جديداً هو «الحزب الشيوعي الأردني - الكادر اللينيني» الذي يرفض الكفاح المسلح وينادي بالحلول السلمية.

وتكوّن تنظيم جديد هو التنظيم الشيوعي الفلسطيني من الضفة الغربية عام ١٩٧٥م، وتنظيم آخر في لبنان للفلسطينيين عام ١٩٨٠م وأصدر صحيفة «المقاومة الشعبية» وكلاهما بتوجيه اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأردني.

---

(١) موسوعة السياسة، ج ٢/ ٣٢٢ – ٣٢٤.

الحزب الشيوعي السوداني[١]

تكون الحزب الشيوعي السوداني عام ١٩٤٦م تحت اسم «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» (حستو) على غرار التنظيم المصري (حدتو) الذي أسسه هنري كورييل اليهودي المليونير. وقد تربى معظم قادة (حستو) السودانية في أحضان «حدتو» المصرية.

وقد تميزت (حستو) بأنها الحزب الشيوعي الوحيد في العالم العربي الذي كان يفتتح ندواته ومؤتمراته الشعبية بالقرآن الكريم. وتميزت مواقف هذا الحزب بالمرونة والتفهم تجاه القومية العربية والإسلام.

وهو موقف شبيه بالمواقف التي ظهرت في الاتحاد السوفييتي عند بدء الثورة عام ١٩١٧م وعندما تكوّنت الأحزاب الشيوعية في التركستان (أوزبكستان وقرغيزيا وقازاخستان وتركمنستان) وفي بشكيريا وفي أراضي تتار الغولي وتتار القرم كانت كلها في بدايتها لا تعادي الإسلام، وشجعها لينين على ذلك أول الأمر ثم بدأت المذابح.

ونرى نفس الموقف في أندونيسيا عندما جمع سوكارنو في البانشيلا (المبادئ الخمسة) الإسلام والقومية والشيوعية في تنظيم واحد. وهو فهم خاطئ للإسلام وللشيوعية، ولكن الشيوعيين شجعوا هذا الاتجاه كمرحلة حتى يتم تحويلهم إلى الماركسية اللينينية والإلحاد الكامل ومحاربة الدين.

الحزب الشيوعي العراقي[٢]

تكون الحزب الشيوعي العراقي في بغداد عام ١٩٣٤م وأمينه العام عاصم فليح، وأبرز أعضائه يوسف سلمان وزكي خيري ونوري روفائيل. وأصدورا

(١) موسوعة السياسة، ج ٢/ ٣٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢/ ٤٠ – ٤٠٦.

عام ١٩٣٥م نشرة باسم «كفاح الشعب» صدر منها خمسة أعداد ثم عطلتها الحكومة واعتقلت عاصم فليح وغيره. وترك كثير منهم العراق بعد إطلاق سراحهم. وترك مهدي هاشم العراق إلى إيران حيث انتسب إلى حزب توده الإيراني وتبوأ فيه منصباً رفيعاً. ولجأ عبد القادر إسماعيل إلى سورية ومنها إلى فرنسا حيث انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، ثم عاد إلى سوريا ليصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري. وكذلك فعل **يوسف سلمان الملقب بفهد** حيث صار من قيادات الحزب الشيوعي السوري ثم ذهب إلى فرنسا ومنها إلى روسيا لمزيد من دراسة الشيوعية والاشتراكية العلمية. وفي عام ١٩٣٨م عاد يوسف سلمان (فهد) إلى العراق وأعاد تأسيس الحزب الشيوعي العراقي. وحدثت انقسامات في الحزب الشيوعي العراقي، كما هو معتاد في الأحزاب الشيوعية ومنها **منظمة الحزب الشيوعي العراقي (وحدة النضال) عام ١٩٤٤م والذي سيطر عليه اليهود العراقيين سيطرة تامة بزعامة يوسف هارون زلخة.**

ووقف الشيوعيون ضد ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الاستعمار البريطاني عام ١٩٤١م. وبطبيعة الحال كانوا مع المستعمر البريطاني ضد الحركة الوطنية بحجة أن رشيد عالي أقام حملات دعائية ضد اليهود، فلما رفض رشيد عالي إيقاف حملاته ضد اليهود شنّوا عليه أقذر الحملات وانضموا إلى معسكر بريطانيا. وهاجموا رشيد عالي الكيلاني الشوفيني القومي النازي.. إلخ.

وكسب الحزب بتأييده لبريطانيا الْمُسْتَعْمِرَة وسمحوا له بالنشاط الواسع، وخاصة أن كثيراً من أعضاء الحزب هم من اليهود. كما لعب الحزب دوراً في هجرة اليهود العراقيين إلى فلسطين وقدّم دعمه الكامل للصهيونية. وهو أمر متوقع على أي حال من هؤلاء الخونة.

واستفادوا من الحملات التي أقامها عبد الناصر ضد حلف بغداد

الإمبريالي الأمريكي وأدانوا بشدّة هذا الحلف الذي يحارب الاتحاد السوفييتي والشيوعية.

وبعد هجرة أغلب يهود العراق تولى الأكراد المناصب القيادية في الحزب (١٩٤٩ – ١٩٥٥م). ولكن بحلول عام ١٩٥٥م قام الحزب بالحدّ من سيطرة الأكراد لإيجاد جبهة وطنية عريضة تمثل كافة شرائح الشعب العراقي.

ودعم الحزب عبد الكريم قاسم الذي أقام المجازر للقوميين والبعثيين واشتهرت محاكمات المهداوي المسرحية المضحكة الجاهزة الأحكام.. بعثي عفلقي مجرم.. إعدام. قومي شوفيني خائن.. إعدام. وانعكس الوضع بعد ذلك ثورة عبد السلام عارف (الناصري) ثم حزب البعث الاشتراكي.

كيف تسلل الشيوعيون إلى الجبهة القومية؟

لقد أطلنا القول في الأحزاب الشيوعية ابتداءً من روسيا ولينين وتروتسكي وستالين وعصابة اليهود ودور اليهود في تكوين الحركة الشيوعية ودعمها، وانتقلنا إلى معظم الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية، وكيف أن مؤسسيها أيضاً هم في الغالب من المليونيرات اليهود!! وكيف كانت هذه الأحزاب في صف الصهيونية. ونقلنا ما كتبه قحطان الشعبي رحمه الله (أول رئيس لجمهورية اليمن الجنوبية وأحد أبرز قادة الجبهة القومية) عن الشيوعيين وخيانتهم لقضية الأمة وهي فلسطين ووقوفهم في صف الصهاينة، ولذلك منع دخولهم إلى الجبهة وحذّر أشد التحذير من مكرهم وخداعهم. ومع ذلك تسلّلوا، وكان هو وقريبه فيصل الشعبي أول الضحايا لهذا الغدر الماركسي الشيوعي الخبيث. **ومن أهم أسباب تسلّلهم إلى الجبهة القومية الآتي:**

(١) تحول حركة القوميين العرب من تنظيم ينادي بالوحدة العربية والحرية والثأر من اليهود إلى تنظيم شيوعي ماركسي لينيني ينادي بالثورة ضد الإمبريالية والرجعية

والإقطاع والكمبرادورية والبرجوازية.. إلخ إلخ. وسنشرح ذلك بعد قليل.

(٢) تسلل الشيوعيين المحليين ودخولهم أول الأمر بصفتهم الوطنية، والكفاح ضد الاستعمار والإمبريالية، ثم بدأوا يثيرون الخلافات بين مختلف الأجنحة الوطنية داخل الجبهة حتى يضعفونها، ويتسللون إلى المواقع الهامة.

(٣) وجود جبهات منافسة وخاصة حزب الشعب الاشتراكي، ثم بعد ذلك جبهة التحرير الوطنية، بالإضافة إلى الأحزاب التي اعتبرت رجعية مثل الرابطة، وبعض السلاطين الذين ثاروا على الاستعمار مثل محمد بن عيدروس العفيفي (يافع السفلى) وجعبل بن حسين وعلي عبد الكريم (لحج) و(العواذل)، ومحمد عبدالله الفضلي (أبْين – الفضلي)، ومحمد بن فريد بن عجرومة (العولقي).

(٤) دور القوات المصرية وعبد الناصر وفرضه على هذه الجبهات المتناحرة أن تتحد لمواجهة الاستعمار، واضطرت الجبهة القومية للدخول في تحالف ضم جبهة التحرير (حزب الشعب الاشتراكي أساساً). ورفضوا التعاون مع المجموعات الأخرى باعتبارها رجعية.

(٥) بعد الاستقلال مباشرة، قامت حركة الجيش في مارس ١٩٦٨م وطردت الشيوعيين. ولكن قحطان الشعبي أعادهم عندما بدأت القوى المعادية للجبهة القومية بشن هجوم مركز اشتركت فيه قوات جبهة التحرير الوطنية ورابطة الجنوب العربي وبعض الثوار من القبائل والسلاطين السابقين، وذلك في يونيه ١٩٦٨م. لهذا اضطر قحطان الشعبي إلى إعادة الكادر الشيوعي (لم يكن بعد قد أعلن شيوعيته بل كان يظهر الاتجاه اليساري التقدمي فقط) إلى التنظيم ليجتمع الكلّ في صدّ الهجمة الشرسة.

عاد اليساريون بأمر قحطان الشعبي في هذه الظروف العسيرة مما أدى إلى تمكنهم وسرقة الثورة والاستيلاء عليها.

(٦) بدأ اليساريون بإيجاد مشاحنات بين مختلف ضباط الجيش واستطاعوا

أن يؤلبوا مجموعة الميسري وهيثم ضد عشال وبلعيد ومحمد السياري[1] حتى اضطرهم للخروج والذهاب إلى المنفى الاختياري في القاهرة، وذلك عندما تم الانقلاب على قحطان وانضمام الميسري ومحمد علي هيثم إلى المجموعة الشيوعية في يونيه ١٩٦٩م.

(٧) بدأت الخطوة التالية باستقطاب عناصر ضد ديكتاتورية قحطان وابن عمه فيصل الشعبي حسب قولهم ووجوب عزلهما. وبالفعل تمّ لهم ذلك وعزل قحطان وأودع الإقامة الجبرية. وكذلك فعلوا بفيصل الشعبي. وبما أن فيصل شاب طموح وذكي جدًّا فقد خشوا منه ودبّروا قصة هروبه المخترعة وأردوه قتيلاً. وبذلك تخلصوا من خطر حقيقي. وتم تصفية كل أنصار قحطان من العسكريين والمدنيين إلا من استطاع منهم الفرار.

التخلص من قحطان وقادة الجيش المناوئين للشيوعيين (مايو ١٩٦٩م)

وتم الإعداد للتخلص من قحطان الشعبي ومجموعته في مايو (أيار) ١٩٦٩م، واجتمع عبد الفتاح إسماعيل وعلي ناصر وسالم ربيع ومحمد علي هيثم مع أنصارهم ودبروا الإطاحة بقحطان وأنصاره.

وتولى سالم ربيع علي رئاسة الدولة، ومحمد علي هيثم رئاسة الوزراء وعلي ناصر محمد وزارة الدفاع، وكلهم من منطقة أبْين.

وكان محمد علي هيثم اشتراكيًّا قوميًّا ولم يكن ماركسيًّا رغم دراسته الماركسية في موسكو. واستطاع سالمين وعبد الفتاح إسماعيل وعلي ناصر من التخلص من محمد علي هيثم الرجل القوي وصاحب الميول القومية والذي ضحّى بقحطان الشعبي ومجموعته من أجل السلطة، رغم أنه أقرب إلى قحطان

---

(١) التقيت هؤلاء الثلاثة في القاهرة عام ١٩٦٩م عندما ذهبت للدراسة العليا والفرار من الاتجاه الماركسي، ووجدت محمد السياري أكثرهم ثقافة. وكان في يده كتاب محمد باقر الصدر «اقتصادنا» وكتابه «فلسفتنا» وكلاهما صدر حديثاً في ذلك الوقت، فأسرعت إلى المكتبات واشتريتهما وهما من أفضل ما كتب في نقد الماركسية.

إيديولوجيًّا. وتمت الإطاحة بمحمد علي هيثم عام ١٩٧١م وقتل قائد الجيش محمد علي ميسري ورفاقه.

ومنذ ذلك الوقت تحولت الدولة إلى عناصر ماركسية بألوانها المختلفة بعد أن تخلصت من العناصر القومية والاشتراكية (غير العلمية) أي غير الماركسية.

تغير اسم الجمهورية

في عام ١٩٧٠م تغيّر اسم الدولة من جمهورية اليمن الجنوبية إلى جمهورية اليمن الجنوبية الديمقراطية الشعبية إيذاناً بافتتاح العهد الماركسي لعدن والجنوب. وتوثقت العلاقات مع دول المعسكر الاشتراكي. ودخلت الدولة في مرحلة بناء المجتمع الاشتراكي - كما يسمونه - وذلك بعد التخلص من محمد علي هيثم.

وتسلسلت الوقائع وانقسم الرفاق إلى فريقين: (أحدهما) مع سالمين (والثاني) مع عبد الفتاح. واستعد كل فريق للنزال والقتال.

تفجير الطائرة

وفي أثناء ذلك تم تجميع الدبلوماسيين ووزير الخارجية محمد صالح عولقي[1] وأرسلوا إلى اجتماع في المكلا بطائرة واحدة تمّ تفجيرها في الجو حتى يتم التخلص من بقايا أنصار قحطان أو العناصر غير الماركسية أو المترددة فيها وذلك في أبريل ١٩٧٣م.

القضاء على سالمين

وبدأ عبد الفتاح إسماعيل والخامري وعلي ناصر محمد وعلي عنتر في التكتل ضد سالمين. وبعد تفخيخ الشنطة المحمولة إلى الغشمي رئيس الجمهورية في اليمن واستبدال المرسل تمّ قتل الغشمي (المتهم بقتل الحمدي) والذي بدأ يقيم علاقات جيدة مع سالمين (١٩٧٨م).

---

(١) قتل مطيع وهو وزير خارجية آخر في حادث منفصل بتهمة الخيانة والاتصال بالرجعية.

وتم اتهام سالمين بهذه الجريمة، ورغم استعداد سالمين إلا أن أعداءه كانوا أكثر عدداً واستعانوا بالروس لدك قصر الرئاسة، وتم القضاء على سالمين ومجموعته في عام ١٩٧٨م. وكان عدد الضحايا أكثر من ثلاثة آلاف من الجانبين. وانتصرت مجموعة عبد الفتاح - علي ناصر - علي عنتر وتخلصوا من حزب أَبْين (هناك تعصّب قبلي مناطقي)، رغم أن علي ناصر هو من أَبْين.

انتصار عبد الفتاح

وحقَّق عبد الفتاح إسماعيل بهذه المعركة انتصاراً حاسماً وألغى اسم الجبهة القومية وكوّن رسميًّا الحزب الاشتراكي اليمني في ١٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٨م، وجمع فيه مجموعة باذيب (الاتحاد الشعبي الديمقراطي) ومجموعة أنيس حسن يحيى (حزب البعث الاشتراكي) وحزب سلطان أحمد عمر وحزب جار الله عمر في الشمال، وهو حزب ماركسي لينيني.

وتولى عبد الفتاح أمانته العامة، وعمل بجد وتفان لتحويل اليمن إلى دولة شيوعية تابعة للاتحاد السوفييتي وتنهج منهجه وتسير على هداه. وكان أستاذ عبد الفتاح إسماعيل في ذلك كله اليهودي العريق المستشرق فيتالي نعومكين(١) صاحب الكتب العديدة عن سقطرى (وهو من أخبر الناس بها وبلهجاتها وعاداتها وكتابه جزيرة العنقاء من أهم المراجع حول سقطرى). واستطاع فيتالي نعومكين أن يطور فكر عبد الفتاح الاشتراكي ويجعله قادراً على صياغة أيدولوجيات الحزب الماركسية المتطرفة..

وساهم عبد الفتاح إسماعيل في تأسيس المدرسة العليا للاشتراكية لتخريج الكوادر العليا للحزب، كما شكّل منظمات جماهيرية من بينها الميليشيات الشعبية واتحاد الشبيبة الديمقراطي (شبيبة عبد الفتاح).

---

(١) فيتالي نعومكين تحول إلى الفكر الليبرالي الأمريكي وهو كثير الظهور في الفضائيات العربية مثل الجزيرة والعربية، ولكن ظهوره قلّ جدًّا وكاد أن يختفي منذ عام ٢٠٠٨م.

وتولى عبد الفتاح رئاسة الدولة. وعقد اتفاقية صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفييتي مدتها عشرين سنة كرّست عدن قاعدة لوجستية وبحرية وحيدة للسوفيات في المحيط الهندي وشبه الجزيرة العربية. وقام بحرب عصابات مركزة على نظام صنعاء الرجعي القبلي - حسب تعريفه -. وكان يعمل على إيجاد اليمن الديمقراطي الماركسي الموحد. وقامت حرب فعلية بين الجيش الجنوبي، المدرب تدريباً عالياً والمسلح تسليحاً حديثاً من السوفييت، ضد الجيش الشمالي، ورغم ذلك لم يحقق انتصاراً وانتهى بمحادثات سلام ووحدة بواسطة الكويت.

انتصار علي ناصر

واستطاع علي ناصر ومجموعته أن يجعلوا عبد الفتاح يستقيل من رئاسة الدولة والأمانة العامة للحزب الاشتراكي اليمني (وهو منصب أعلى من رئيس الدولة في النظام السوفييتي) وذلك عام ١٩٨٠م بحجة المرض، وأعطي المنصب الفخري في رئاسة الحزب الاشتراكي وتوجه إلى منفاه في موسكو باسم العلاج.

واستطاع علي ناصر محمد وعلي عنتر وعلي سالم البيض الذي انضم إليهما بعد أن كان في حزب عبد الفتاح ووافق أن يعزلوا عبد الفتاح.

وتولى علي ناصر محمد عام ١٩٨٠م رئاسة الدولة وعيّن علي عنتر الرجل القوي نائباً له، وأراد أن يبعده من منصب وزير الدفاع والجيش. وولى علي ناصر أحد رجاله المقربين وهو صالح مصلح قاسم وزيراً للدفاع.

واستمر علي عنتر في الذهاب إلى الجيش ببزته العسكرية ورتب أمور عشائره في الضالع وردفان إلى محافظة لحج بأكملها التي كانت الضالع تتبعها.

واستطاع علي ناصر محمد أن يشتت أنصار عبد الفتاح فأرسل محمد سعيد عبدالله (محسن) الشرجبي رئيس المخابرات والرجل الذي قتل المئات بل الآلاف من أبناء الجنوب، أرسله إلى السجن ووضع محمود عشيش تحت الإقامة الجبرية. وكلاهما من الشمال من الحجرية - الذين ينقم عليهم الجنوبيون احتكارهم

للسلطة في زمن عبد الفتاح (الشمالي أيضاً).

واستطاع محمد علي أحمد محافظ أبْين والساعد الأيمن لعلي ناصر أن يصفّي أربعين شخصاً من أنصار ورجال عبد الفتاح إسماعيل.

وحاول علي ناصر تهميش علي سالم البيض الذي تزوّج عشيقته ملكي كزوجة ثانية، وهو أمر يجرّمه الحزب، فحرك علي ناصر الاتحاد النسائي اليمني لينظم مظاهرات ضد علي سالم البيض. وقد أدى هذا الموقف إلى إخراج البيض من المكتب السياسي (Politburo) الذي كان يحكم البلاد والعباد..

وحتى لا يشعر الحضارمة بالغبن، قرَّب علي ناصر إليه عبدالله صالح البار الذي كان من أنصار سالمين وتم سجنه بعد القضاء على سالمين عام ١٩٧٨م ثم أطلق سراحه.

وبادر علي ناصر إلى انتهاج سياسة انفراج خارجية مع الدول العربية المجاورة، واتفق مع علي عبدالله صالح في خفض التوتر، وأوقف العصابات التابعة لعبد الفتاح إسماعيل المخربة من العمل في الشمال. ووقف ضد ثورة مدبرة في الشمال من الحزب الشيوعي الشمالي وكانت مع الحزب مجموعة أسلحة حديثة وصواريخ أمدّها بها علي عنتر عندما كان وزيراً للدفاع.

وبدأ نوع من الانفراج السياسي والانفراج الاقتصادي في عهد علي ناصر محمد مع الاحتفاظ بكل مكتسبات الثورة والشعارات الماركسية اللينينية.

واستطاع علي عنتر أن يعيد تجميع قواته العسكرية الضاربة مع الاستعداد ليوم الفصل الحاسم، وانضم إليه علي سالم البيض. وبدأ الاستعداد للمعركة الفاصلة بين الفريقين: فريق أبْين بقيادة علي ناصر محمد، ومحافظ أبْين محمد علي أحمد، وقائد البحرية الجنوبية أحمد عبدالله الحسين، وعبد ربّه منصور (وغيرهم كثير) وهو من أبْين، **وعلي عنتر** (نائب الرئيس والقائد الفعلي لقوة المدرعات من الضالع)، **وعلي شايع وصالح مصلح وكلهم من منطقة الضالع وردفان** (تابعة لمحافظة لحج)، **وطلبوا عودة عبد الفتاح إسماعيل الذي عاد في فبراير عام**

١٩٨٥م من موسكو لينضم إليهم، وانضم إليهم علي سالم البيض وحيدر أبو بكر العطاس مشكلين قيادة سرية عام ١٩٨٥م.

المعركة النهائية

وبدأت المناورات للاستعداد للمؤتمر الثالث للحزب اليمني الاشتراكي. وبدأ الضغط على علي ناصر محمد الذي كان محتفظاً بمنصب الرئيس ورئيس الوزراء وأمين عام الحزب الاشتراكي.

ونتيجة الضغط المتتالي من الكوادر ومن علي عنتر اضطر علي ناصر للتخلي عن منصب رئيس الوزراء لحيدر العطاس الذي اعتبره لا يشكل خطراً ويمكن جعله قوة منافسة لعلي سالم البيض. ولكن حيدر العطاس انضم إلى البيض وإلى مجموعة علي عنتر وعبد الفتاح. وتم الإفراج عن محمد سعيد عبدالله (محسن) الشرجبي رئيس الاستخبارات السابق والمجرم العتيد بضغط من مجموعة علي عنتر، وتم تعيينه وزيراً للإسكان، ورُفعت الإقامة الجبرية عن محمود عشيش وتم تعيينه وزيراً للوحدة. وهكذا عاد أنصار عبد الفتاح إلى الواجهة تدريجيًّا وشكلوا قوة حقيقية مناوئة لعلي ناصر.

وتحرّك الطرفان للاستعداد لخوض المعركة الفاصلة. وتدخل الرفاق من بيروت - وخاصة نايف حواتمه وجورج حاوي، وحتى جورج حبش المتهم بالتذبذب بين اليمين واليسار زار عدن لإصلاح ذات البين بين الرفاق الماركسيين. وتدخلت أيضاً السفارة الروسية.

وقبيل انعقاد مؤتمر الحزب الاشتراكي اليمني (الكونفرنس الثالث) اتضح الاصطفاف العسكري والحزبي بين الفريقين.

مجزرة يناير ١٩٨٦م

وبدأت المجزرة في ١٣ يناير ١٩٨٦م حيث كان كل فريق مستعدًّا للآخر. وقام علي ناصر بتدبير اجتماع لأعضاء المكتب السياسي في الصباح. ودخل علي

عنتر وعبد الفتاح إسماعيل وعلي سالم البيض وصالح مصلح وزير الدفاع (انضم إلى حزب علي عنتر من قبيلته) وعلي شايع، وتأخر علي ناصر قليلاً وأرسل حارسه الخاص مع ترمس الشاي الذي يشرب منه الرئيس علي ناصر. وفجأة أطلق الحارس النار على المجتمعين فقتل علي عنتر وعلي شايع وقام صالح مصلح بقتل الحارس الأول فأرداه قتيلاً ولكن الحارس الثاني عاجله برصاصة فقتله. وتظاهر البيض وعبد الفتاح بأنهم قد قتلوا ورفسهم الحارس برجله فلم يتحركوا فخرج. ولما شعروا بالأمان تحركوا وطلبوا النجدة. وكانت الدبابات (وهي سلاح علي عنتر) قد دخلت عدن في ذلك الصباح استعداداً للمعركة.

وبدأ قتال شرس، واستبسلت كل المجموعات وخاصة سلاح البحرية الذي بقي يرشق سلاح الدبابات بصواريخه من ميناء عدن بعد أن انهزم أنصار علي ناصر. وانقسمت القوات الجوية ولم يكن لها دور فاعل. وبعد عشرة أيام وقبل أسبوعين من القتال الشرس في عدن ولحج وأبْين والضالع انتصرت مجموعة علي عنتر الذي قتل.

وقتل في المعارك ما يزيد على عشرة آلاف شخص.. ثم استمر البحث عن أنصار علي ناصر الذي انسحب مع مجموعة كبيرة من أنصاره بلغت ثلاثين ألفاً إلى الشمال على أمل العودة بعد أن ينظم قواته ويطلب المدد من منجستو في الحبشة وعلي عبدالله صالح في الشمال اليمني.

وأرسل أنصار علي عنتر وعبد الفتاح دبابتين لحمل علي سالم البيض وعبدالفتاح إسماعيل. وتقول الرواية أن كل واحدٍ منهما ركب دبابة. وأن صاروخاً أُطلق على الدبابة التي فيها عبد الفتاح فأصابته فقتل هو وقائد الدبابة. ولكن الغريب في الأمر أنهم وجدوا جثة قائد الدبابة ولكنهم لم يجدوا أي أثر لعبدالفتاح إسماعيل. وهناك إشاعة تدور بأن علي البيض تخلص من عبد الفتاح وتخلص من جثته (بالحرق أو الأسيد حامض الكبريتيك أو بغيرها من الوسائل) ليبقى هو الوحيد على رأس الحزب.

وبالفعل استطاع البيض أن يكون رأس الحزب ورأس الدولة وبقي حيدر العطاس رئيساً للوزراء واعتمد على «صالح أبو بكر بن حسينون» قائد الفرقة العسكرية الموجودة في حضرموت ومن بقي من أنصار عبد الفتاح. ومنصر السييلي ولأول مرة يسيطر الحضارم على مقدرات الحزب والدولة.

انتهاء المجزرة وتولي البيض القيادة

وانتهت المجزرة بضعف الحزب الماركسي ودولته، وعندما تطورت الأمور وانتهت الماركسية في روسيا نفسها عام ١٩٩٠م، بادر علي سالم البيض إلى الوحدة الاندماجية مع الشمال.

ولم يكن البيض غبيًّا عندما قفز إلى الوحدة الاندماجية بل كان يقوم بعمل ماكر ذكي، للأسباب التالية:

(١) استلم البيض مبلغاً كبيراً من صدام حسين ليتمّم الوحدة، مع وعود بالدعم الكامل.

(٢) انتهت الشيوعية بانهيار المعسكر الاشتراكي بأكمله وتحول روسيا نفسها إلى الرأسمالية وتفكك المجموعة الاشتراكية بكاملها في أوربا.

(٣) كان الضعف بالمؤسسة الحزبية في الجنوب قد نال منها كل منال بسبب الحروب المتتالية والتصفيات وآخرها مذابح يناير ١٩٨٦م المروعة (ضحيتها أكثر من أربعين ألف من الكوادر العليا إلى الكوادر السفلى إلى بسطاء الناس).

(٤) انهيار الدولة في اليمن الديمقراطية الشعبية ومواجهة الديون، ولم تعد روسيا قادرة على مدّها بأي أموال على الإطلاق. وكانت الأنظمة المحيطة بها سواء في الشمال اليمني أو دول الخليج يتربصون بها وينتظرون نهايتها.

(٥) رغم أن الوضع في الشمال كان أفضل من الجنوب من الناحية الاقتصادية إلا أنه كان يعاني من انقسامات قبلية بين حاشد وبكيل وبين مجموعات صنعاء ومجموعات تعز، ولم يكن هناك تنظيم قوي سوى تنظيم

حاشد الذي يقوده عبدالله حسين الأحمر بالتحالف مع الإخوان المسلمين المنظمين تنظيماً جيداً.

(٦) كان الحزب الاشتراكي في الشمال لا يزال موجوداً ويرأسه جار الله عمر، والحزب له جذور وخاصة في منطقة تعز والحجرية موطن عبد الفتاح إسماعيل ومحسن الشرجبي وعشيش (الثلاثة الكبار في التنظيم الاشتراكي في عدن) كما كان لهم أنصار في صنعاء وغيرها من المدن. وقد استقطبوا مجموعة من ضباط الجيش واستغلوا التنافس بين حاشد وبكيل فتسللوا إلى بكيل وأوجدوا لهم أنصاراً في شبابها.

(٧) كان علي سالم البيض يعتقد أنه بالوحدة، وبوجود فرقتين كاملتين من الجيش الجنوبي بكامل عدته وسلاحه في الشمال يشكل قوة ضاربة له و(أحدها) بالقرب من صنعاء في عمران و(الثانية) في ذمار.

(٨) كان البيض يظن أنه يستطيع، بخبرته الحزبية الطويلة وقدرته على الخداع، أن يخدع علي عبد الله صالح، وبالتالي يستولي، في فترة معقولة، على مقاليد السلطة.

ولكن البيض خاب أمله إذ وجد أن علي عبدالله صالح أشدُّ ذكاء ومكراً منه، ومع علي عبدالله صالح ثلاثين ألفاً من أنصار علي ناصر الذين هربوا إليه واستطاع أن يستقطبهم. كما كان تحالفه الوثيق مع عبدالله بن حسين الأحمر ومعه قبائل حاشد القوية يشدّان أزره ويضاف إلى ذلك المجموعات من أنصاره في الجيش والمخابرات ومجموعات الإصلاح المستعدّة لقتال الشيوعيين من ناحية المبدأ.

واستطاع علي عبدالله صالح أن يحتاط لفرقة عمران وفرقة ذمار الجنوبيتين وأن يحيطهما بقواته الضاربة إذا تحركوا ضده.

وأُسقط في يد البيض، فبدأ المناورات والاحتجاجات والاعتصامات وأعلن الانفصال في ٢١ مايو/ أيار ١٩٩٤م بعد أن استطاع أن يقنع دول الجوار بأهمية الانفصال.

وقال علي صالح إن البيض استلم أربعة مليارات باسم حرب الانفصال، وقال آخرون إن المبلغ كان ملياراً فقط ونكص عن القتال وشرد بالمال وأودعه بنوك سويسرا وهرب تاركاً وراءه صديقه ابن حسينون يواجه قوات علي عبدالله صالح الأكثر عدداً وعدة. وبطبيعة الحال انتهت الحرب بالهزيمة النكراء للبيض وأنصاره[1].

وبدأت مشاكل الوحدة بعد عام ١٩٩٤م حيث استولى الشماليون على الأراضي والمناصب في الجنوب مما أوجد ثورة في النفوس، وخاصة بعد أن سرّح عشرات الآلاف من الموظفين والجنود الضباط ولم يحصلوا إلا على مبالغ تافهة للتقاعد. وأدى بهم الجوع واستبداد الآخرين واستيلائهم على الأراضي والمناصب إلى تكوين الحراك الجنوبي. وهو لا شك ردة فعل يجب أن تزول بعد زوال علي عبد الله صالح وحكمه الفاسد، وإيجاد نظام ديمقراطي وفيدرالي ليشمل اليمن بأكملها حتى تتخلص من كابوس الطائفية والمناطقية والظلم والاستغلال.

والله يصلح القلوب فإذا صلحت صلح جسد الأمة كلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد: ١١)، والإصلاح يبدأ من إصلاح النفوس فإذا صلحت صلح النظام والأمة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

---

(١) انطلق البيض في مؤامراته الأخيرة ولم يجد من يسنده سوى إيران، فذهب إليها عن طريق لبنان. وساندته بالأموال ليعلن انفصال الجنوب عن الشمال، ويعيد دولته الإجرامية الحقيرة التي سفكت الدماء ونهبت الأموال وانتهكت الأعراض وسحلت العلماء وحاربت الإسلام.. وللأسف فإن الأجيال الجديدة لا تعرف ماضي البيض وزمرته.

ملحق

أهم بنود تقرير وزير الدولة البريطاني عن محادثات جنيف بين الحكومة البريطانية ووفد الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتلّ في ٢١- ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧ والمقدّم إلى مجلس العموم البريطاني في ١ يناير ١٩٦٨م.

بلاغ صادر إثر الاجتماع الأول ٢١ نوفمبر ١٩٦٧م:

عقد مؤتمر جنيف بين وفد المملكة المتحدة برئاسة اللورد شاكلتون ووفد الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتلّ برئاسة السيد قحطان الشعبي أولى جلساته في تمام الساعة الثالثة مساء يوم ٢١ نوفمبر ١٩٦٧م.

وقد ساد الاجتماع جوّ مشجّع، وسوف يعقد اجتماع تمهيدي آخر صباح الغد.

محضر:

اتّفق الوفدان على متابعة المحادثات، حول موضوع المساعدة بعد الاستقلال، وقد وافق الوفد البريطاني، حتى مجيء هذه المحادثات، على أن تستمر المساعدة المالية الحالية للأغراض المدنية والعسكرية، وتبلغ هذه المساعدات مبلغاً وقدره ١٢ مليون جنيه استرليني، ستعطى لمدة ستة أشهر تبدأ من أول ديسمبر ١٩٦٧م(١)، وقد طلب وفد الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتلّ أن يدفع هذا المبلغ مرة واحدة بأقرب فرصة ممكنة، وقد أوضح بأنه سيحتوي على عناصر رئيسية في الجانبين العسكري والمدني كما أنه لن يشابه الدفعات المتكررة.

وقد التزم الوفد البريطاني ببحث إمكانية جعل الدفعات المالية الحالية مرة واحدة في كل أربع مرات مقدّماً، على الرغم من أن الإجراءات المالية المتعلقة بالمملكة المتحدة، وقدوم السنوات المالية، قد تسبب بعض العراقيل.

---

(١) قامت بريطانيا بدفع نصف المبلغ فقط، أي ستة ملايين جنيه، والنصف الثاني حسبته ثمن معدات وأسلحة كانت موجودة مع الجيش الاتحادي النظامي. كما يقول الدكتور أحمد البار، مدير الإدارة المالية في وزارة الدفاع آنذاك، وكان عضواً في هذه المفاوضات المالية.

وافق وفد الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل على إبقاء الإجراءات الإدارية المتعلقة بالحسابات المالية وفحص الحسابات، خلال فترة استمرار هذه المساعدة.

ذكر الوفد البريطاني بأن الاتفاق المذكور أعلاه قد اتفق عليه بضوء مواصلة حكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية تنفيذ بعض الالتزامات المالية الراهنة والتي طرحت في المباحثات.

مذكرة تحوي النقاط المتفق عليها والمتعلقة باستقلال الجنوب العربي «جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية»:

١- سوف يستلم الجنوب العربي الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م «والذي سيُعرف بعد ذلك بيوم الاستقلال».

٢- في يوم الاستقلال جميع الولايات المنتهي احتلالها سوف تُعرف بجمهورية اليمن الشعبية.. وسيوطّد هذا اليوم بقرار رسمي من قِبَل التنظيم السياسي للجبهة القومية الممثّلة لشعب أرض الجمهورية الجديدة، وسوف تقوم بتشكيل الحكومة.

٣- ستقوم حكومة صاحبة الجلالة بخطواتها في الجلاء وإنهاء احتلالها مع سحب قوّاتها من يوم الاستقلال من جميع أراضي الجمهورية.

٤- سوف تعطي حكومة صاحبة الجلالة اعترافها الكامل بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية من يوم استقلالها، وستقوم علاقات دبلوماسية كاملة بين كلّ من جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية والمملكة المتحدة من يوم الاستقلال. وطبقاً لذلك فسوف تقوم الحكومات بتعيين سفرائها في كلٍّ من الدولتين مع تحديد كل ما يتعلق وهذه العلاقة الدبلوماسية من يوم الاستقلال وإلى أجلٍ غير مسمّى، فسوف تلتزم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بالعرف الدبلوماسي والعلاقات الدبلوماسية بين البلدين طبقاً للقانون الدولي المعمول به والمُقرّ في مؤتمر فينّا، عام ١٩٦١م. ومن الآن وصاعداً، العلاقات الدبلوماسية ستتقيد عرفاً وموضوعاً بالقواعد والأسس المعمول بها والمتبادلة بين الدولتين، وذلك في حالة بروز أي تغيرات، إذا وجدت أي تغيرات بين الطرفين.

٥- سوف يكون لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية الحق بتقديم الطلب للانضمام إلى منظمة هيئة الأمم المتحدة كعضو رسمي فيها.. وحكومة صاحبة الجلالة تتقدم

برغبتها في أن تكون الضامن والكفيل لطلب جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية في الانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة، إذا رغبت في ذلك.

٦- من الآن وصاعداً لاستقلال جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.. فالمملكة المتحدة لن تكون مسؤولة عن المسؤوليات العالمية الخاصة بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وبالأخص أراضيها، حدودها.. وستتحمّل الجمهورية الجديدة كامل مسؤولياتها العالمية المتعلقة بحدودها.. وحقوقها العالمية المرتبطة بها.

٧- ستقوم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بتغطية كل الاتفاقيات والأمور والالتزامات العالمية، وذلك بإصدار إعلان يحدد ذلك من قبلها.. وهذا القرار أو الإعلان يجب أن يعنون – أيضاً – إلى هيئة الأمم المتحدة وكل مصادرها، وذلك مع تقديم طلب انضمام الدولة الجديدة للمنظمة، وكذا في حالة طلب أي التزامات عالمية بالجمهورية.

٨- منذ يوم الاستقلال ستقلص أية معاهدات، اتفاقيات، حق ممنوح، تنازلات، أو أي ترتيبات أخرى قائمة ومستمرة حتى يوم الاستقلال بين حكومة التاج وممثليها.. أو أي دول أخرى أو أي أحكام أو أي مسؤولية في مختلف أراضي جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

٩- ستتحمّل جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية من يوم الاستقلال كلّ ما يتعلق وحقوق أراضيها، أو لأي مطالب قد تطرح من قبل حكومة التاج، أو ممثليها أو أي أحكام أو أي دول أو أي جهات مسؤولة أخرى بما يتعلق وأجزاء الجمهورية قبل يوم الاستقلال أو أي منطقة من مناطق الجمهورية، فهذا سيكون من اختصاص الجمهورية الجديدة ومن مسؤوليتها.

١٠-إن النصوص القانونية في أوامر القوة المنصوصة في أراضي الجمهورية أو في أي جزء من أجزائها قبل يوم الاستقلال، سيستمر مفعولها بعد الاستقلال، وسوف تطبق إذا رأت الحكومة الجديدة أن ذلك لن يخالف أو يناقض نشوءها وأحداثها الجديدة بعد الاستقلال .. مع مراعاة أي نصوص قانونية قد لا تكون قادرة على مواكبة النظام الجديد للجمهورية.

١١-حكومة صاحبة الجلالة ستتخذ الخطوات المتعلقة بالفسخ لهذه القوانين قبل يوم

الاستقلال، وذلك عبر المجلس التشريعي لسنّ هذه القوانين المتواجدة في الجمهورية أو في أي جزء من أجزائها، وحتى تتأكد حكومة صاحبة الجلالة من سلامة الآثار الباقية من هذا القانون وعدم إتلافه.

١٢-جميع المسؤوليات، الالتزامات، التعهدات والحقوق التي وجدت وموْرست في أراضي الجمهورية قبل الاستقلال من قِبَل حكومة صاحبة الجلالة وممثليها أو ما يتعلق ودول أخرى، منذ يوم الاستقلال، ستصبح تابعة للجمهورية وتحت مسؤولياتها وبدون أن يتمّ التعرض للجمهورية في تسييرها دقّة هذه الأمور أو في أي شكل يطرأ لديها حول هذه القوانين أو أي نقد أو فحص أو معاينة لذلك من قِبل الجمهورية الجديدة، وقد تتخذ أي إجراءات في كل ما قد تراه غامضاً وغير صالح للمرحلة التي تمرّ فيها.

١٣-حول كل ما يتعلق والمصالح المتعلقة بالأرض والممتلكات أو أي موجودات في نطاق أراضي جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية والتي كانت تابعة لحكومة صاحبة الجلالة قبل يوم الاستقلال لأغراض حكومية أو لغرضٍ خاص فيها.. هذه الأشياء مع الأراضي سوف تكون من ضمن أراضي جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.. كذا أي أراضي أو حدود كانت تابعة لحكومة صاحبة الجلالة قبل يوم الاستقلال تستعملها لأغراضها العسكرية وقواتها المتواجدة، فمن يوم الاستقلال مباشرة سترتبط هذه الأراضي بالجمهورية من ضمن الحقوق والالتزامات والتعهّدات الأخرى والتي لن يتم التعرض لها بذلك أو باتخاذ الجمهورية أي إجراءات ما عدا تلك الأراضي التي تمّ الاتفاق عليها لاستعمالها كقنصلية أو هيئة سياسية أو لأي أغراض أخرى.

١٤-سيتم التشاور والمداولة بين حكومة صاحبة الجلالة وحكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية حول كل الأمور التي قد تبرز بعد الاستقلال، الخاصة بأولئك الذين يحملون الجنسيات البريطانية. وهذه المداولة ستتم قبل أن تتخذ حكومة صاحبة الجلالة خطواتها بتجريد أو حرمان أي من رعاياها هنا أو من رعايا مستعمراتها الذين يحوزون على تلك النصب الخاصة «التماثيل الخاصة» والتي تثبت علاقتهم وارتباطهم بأراضي الجمهورية وكمواطنين ورعايا تابعين للمملكة المتحدة ومستعمراتها.

١٥-ستقوم حكومة صاحبة الجلالة بتسليم جمهورية اليمن الجنوبية وثائق تقارير ودراسات وخرائط تتعلق بأراضي وحدود جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وذلك بقدر استطاعة حكومة صاحبة الجلالة توفير ذلك، وسيتم التشاور بكل ما يتعلق بإيجاد السبل لتحقيق أهداف هذا الغرض من إمكانيات فنية وذلك بين الحكومتين.

ستقوم حكومة صاحبة الجلالة أيضاً بتموين جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بكل ما بحوزتها من مواد متوفرة لم يتم تسليمها للجمهورية، بما يتلاءم وتوضيح كل الحقائق المتعلقة بحدود أراضي الجمهورية.

١٦-نظراً لقصر وقت المحادثات فيما يتعلق والأمور الخاصة بالخدمة العامة والمعاشات، فسيتم مناقشة ذلك في أقرب فرصة ممكنة بعد يوم الاستقلال[1].

١٧-نظراً لقصر الوقت.. فيما يتعلق بالتعهد بتقديم القرض من قِبَل حكومة صاحبة الجلالة وكذا الدين العام لاستعمال أرض الجمهورية، فسوف يؤجل ليوضع تحت الاعتبار والمداولة في أقرب وقت بعد الاستقلال.

التوقيع عن حكومة المملكة المتحدة	**التوقيع عن التنظيم السياسي للجبهة القومية**
اللورد شاكلتون الوزير بدون وزارة	**قحطان محمد الشعبي**

المذكرة المالية:

تم الاتفاق أيضاً بين الوفدين على المسائل التالية:

١- تم الاتفاق على استمرار المحادثات بما يتعلق وتقديم المساعدات لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بعد الاستقلال.. هذا، وقد وافق الوفد البريطاني على أنه في خلال فترة المداولة هذه بين الحكومتين تستمر المساعدات المالية لكلّ من القوات المسلّحة والأغراض المدنية.. وهذه المساعدات ستكون في حدود ١٢ مليوناً تقدم في فترة ستة أشهر من أول شهر ديسمبر ١٩٦٧م. هذا، وقد طلب وفد الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل أن يتمّ دفع هذا المبلغ كدفعة واحدة بأسرع وقت ممكن، وقد أوضح أن المبلغ هذا سيغطي أموراً رئيسية وجوهرية في كلٍّ من الخدمة العامة والقوّات المسلّحة والتي قد تمتصها فقط عملية دفع الماهيات.

---

(١) تمّ إعطاء بعض الأفراد معاشاتهم وخاصة الذين أقاموا في بريطانيا، ولكن الغالبية لم يستلموا شيئاً.

لقد أخذ الوفد البريطاني الموضوع بعين الاعتبار والبحث في السبل والوسائل الممكنة لاستمرار الماهيات... وذلك بتقديم قرض كدفعة واحدة ولفترة طويلة المدى، ولكن نظراً إلى الوضعية المالية وأزمتها التي تمر بها الحكومة البريطانية حاليًّا، كذا، قدوم السنة المالية فهذه العوائق والعراقيل هي من أهم الأسباب التي تعيق تحقيق ذلك.

٢- لقد وافق وفد الجبهة القومية لتحرير اليمن المحتل على استمرار تقديم هذه المساعدات إلا إذا وجد أنه من خلال التجارب والفحص في الأمور المالية أن السير بها غير ممكن، فالطلب ما زال قائماً وتتمسّك الجبهة به.

٣- أبدى الوفد البريطاني تفهّمه للافتراض المطروح أعلاه، وعلى جمهورية اليمن الجنوبية الاستمرار في طرح الأمور المالية وعدم إغلاق السبيل في ذلك من خلال المداولات.

التوقيع عن الوفد البريطاني
اللورد شاكلتون الوزير بدون وزارة

التوقيع عن الجبهة القومية
قحطان محمد الشعبي

٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م

بلاغ ختامي مشترك صادر بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م:

١- اجتمع في جنيف كل من وفدي المملكة المتحدة برئاسة اللورد شاكلتون، أو. پـي، أي الوزير بلا وزارة، والجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتلّ برئاسة السيد قحطان الشعبي في الفترة من ٢١ إلى ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م.

٢- ناقش الوفدان انتقال السلطة وإنهاء حماية حكومة صاحبة الجلالة الملكة على المنطقة التي ستُعرف بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية واتفقا على أن كافة السلطات والحقوق، التي كان يتمتع بها التاج، قبيل الاستقلال، ستقلد للدولة الجديدة اعتباراً من ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م تاريخ استقلالها.

٣- اتفق الوفدان على إقامة علاقات دبلوماسية بين بلديهما وتبادل السفراء.

٤- أُحيط الوفد البريطاني علماً بالتصريحات العامة الصادرة عن الجبهة القومية من أن جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، ستضمن سلامة أفراد الجاليات الأجنبية التي تعيش في المنطقة.

٥- بحث الوفدان بعض المواضيع الهامة للجانبين بما فيها موضوع المساعدات، وقد أكّد وفد الجبهة القومية على ضرورة استمرار المساعدة المالية البريطانية لمواجهة متطلبات المؤسسات المدنية والعسكرية وتطوير البلد وتسليح قوات الدفاع.
إن الوفد البريطاني وهو يرى أن الوقت، قُبيل الاستقلال قصير جدًّا، لاستكمال المحادثات حول موضوع المساعدة المالية الحالية للأغراض المدنية والعسكرية، لفترة ستة أشهر اعتباراً من ديسمبر ١٩٦٧م.
قام اللورد شاكلتون بإبلاغ وفد الجبهة القومية تمنيات الحكومة البريطانية والشعب من أجل مستقبل أفضل لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وأكّد رغبتهم في المساعدة من أجل ازدهارها وأمنها على أسس من الاحترام المتبادل والمساواة.
اليمن الجنوبية جنوب اليمن رقم «١» ١٩٦٨م

مذكرة تحوي النقاط المتفق عليها لاستقلال الجنوب العربي، (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية) مع مذكرة خاصة بالأمور المالية وآخر ما اتفق عليه، جنيف ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧م.

قدمت للبرلمان البريطاني بواسطة الوزير للشؤون الخارجية باسم صاحبة الجلالة في يناير ١٩٦٨م.

المقدمة:

١- أخذت المحادثات مكانها في جنيف، من ٢١ إلى ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م، وذلك بين وفد المملكة المتحدة ووفد الجبهة القومية «التنظيم السياسي للجبهة القومية» لجنوب اليمن، وقد ترأس هذه الاجتماعات عن الجانب البريطاني اللورد شاكلتون الوزير بدون وزارة للشؤون الخارجية لما وراء البحار، ووفد يرأسه قحطان الشعبي ممثلاً للجبهة القومية.
هذا، وقد تم التوقيع على الاتفاقية المتعلقة بالنقاط المتفق عليها في ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م، من قِبل اللورد شاكلتون والسيد هارولد بيلي ممثلين عن المملكة المتحدة وكذا من قِبل قحطان الشعبي ممثلاً للجبهة القومية.

٢- إن فحوى هذه المذكرة موضوع في كلّ من مكاتب دور البرلمان.. في تاريخ ٦ ديسمبر ١٩٦٧م، وقد أعدّت في هذه السطور لتشمل كل ما اتُّفق عليه في تاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م، جنيف.

٣- النقطة الثالثة من هذه المذكرة تشمل أن حكومة صاحبة الجلالة الملكة ستقوم بالخطوات اللازمة بإنهاء احتلالها وحمايتها لجميع أراضي وحدود الجمهورية الجديدة طبقاً للوسائل الدستورية أدناه.

قانون عدن وجزر بريم وكوريا موريا «١٩٦٧- ٧١».

قانون عدن وجزر بريم كوريا موريا «اليوم المحدد» قانون ١٩٦٧م- رقم ١٧٦١.

الجنوب العربي «المشروع في قانون الجنسية» قانون ١٩٦٧- «١٩٦٧ رقم ١٧٦٢».

الجنوب العربي «نقض القانون» ١٩٦٧، «١٩٦٧ رقم ١٧٦٣».

طلب إنهاء حكومة صاحبة الجلالة حمايتها للجنوب العربي- لندن، الجريدة الرسمية ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م حق الحكم ومن اختصاصاتها على كمران- لندن، الجريدة الرسمية ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

كل هذه المراجع تتعلق أيضاً بجزر كوريا موريا والتي تنازل عنها سلطان مسقط وعُمان بناء على الاتفاقية المبرمة بين حكومة صاحبة الجلالة وبين السلطان في ١٥ نوفمبر ١٨٦٧م[1]، ممكن العودة إلى الاتفاقية ومراجعها رقم- ٨ «١٩٦٨م».

التوقيع عن حكومة المملكة المتحدة
اللورد شاكلتون الوزير بدون وزارة، هارولد بيلي

التوقيع عن التنظيم السياسي الجبهة القومية
لتحرير اليمن المثل
قحطان محمد الشعبي
٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م

(١) لقد أعادت بريطانيا جزر كوريا موريا إلى سلطنة عُمان عام ١٩٦٨م لأنها كانت تابعة لعُمان في الأصل.

المراجع

القرآن الكريم والتفسير

١- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، كتاب الشعب، القاهرة (د. ت.).

٢- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة (د. ت.).

٣- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم دمشق/ الدار الشامية، بيروت ١٩٩٢م.

٤- الرازي (الفخر محمد بن عمر القرشي): التفسير الكبير، دار الكتب العلمية -طهران، ط ٢ (د. ت.).

٥- ابن جرير الطبري (محمد): جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت (د.ت.).

كتب الحديث

١- البخاري (محمد إسماعيل): الجامع الصحيح، كتاب الشعب، القاهرة، (د.ت.).

٢- النووي (يحيى بن شرف): شرح صحيح مسلم (مسلم بن حجاج القشيري)، دار الفكر، بيروت ١٩٧٢م.

٣- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي): فتح الباري شرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز، (د. ت.).

٤- العجلوني (إسماعيل بن محمد): كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث بين الناس، تصحيح وتعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت ١٩٨٣م.

٥- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى): سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٦- النسائي (أحمد شعيب) بشرح السيوطي وحاشية السندي: سنن النسائي، المكتبة العلمية، بيروت، طبعة مصوّرة.

٧- أبو داود (سليمان بن الأشعث): عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم أبادي، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م.

٨- محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

٩- أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٨م.

١٠- مالك بن أنس: الموطأ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، دولة البحرين، ١٩٩٤م.

١١- الهندي (علاء الدين المتقي بن حسام الدين): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

١٢- الدارقطني (علي بن عمر): سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٦م.

١٣- البزار (أحمد بن عمر): البحر الزخار (مسند البزار)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٨٨م.

١٤- الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، القاهرة، ومكتبة ابن تيمية، الرياض، (د. ت.).

كتب اللغة (القواميس)

١- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، وقف حسن عباس الشربتلي، ط ٢، ١٩٨٢م.

٢- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت (طبعة مصورة).

٣- محمود بن أحمد الزنجاني: تهذيب الصحاح، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧١هـ.

٤- أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت (د. ت.).

٥- إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦- ابن منظور (محمد بن مكرم الخزرجي): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ودار صادر، بيروت، ١٩٨١م.

الكشافات والموسوعات

١- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي): الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة.

٢- عبد القادر بن شيخ العيدروس: النور السافر في أعلام القرن العاشر.

٣- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار العلوم الحديثة (تصوير)، بيروت، ١٩٨١م.

٤- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار العلوم الحديثة (تصوير)، بيروت، ١٩٨١م.

٥- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٥٧م.

٦- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م.

٧- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٧٥م.

٨- الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين، بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٥م.

٩- الموسوعة العربية العالمية: الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م.

١٠- دائرة المعارف الإسلامية (بارتولد ومجموعة من المستشرقين)، ترجمة أحمد الشناوي، إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، طبعة مصورة.

١١- دائرة المعارف البريطانية، Encyclopedia Britannica,15*th* edition 1982

عبر الشبكة العنكبوتية: موقع مكتبة الكونجرس. موقع الناسا. موقع الوكيبيديا.

الندوات والمجلات

أولاً: ندوة عدن ثغر اليمن (الماضي الحاضر والمستقبل)، جامعة عدن، ١٥ – ١٧ مايو ١٩٩٩م، ومنها الأبحاث التالية:

١- د. محمد عبد الرشيد علي: النظام الإداري في عدن خلال خمسين عاماً (١٩٤٧ - ١٩٩٧).
٢- د. أحمد الهمداني: الحركة الأدبية والثقافية والأندية.
٣- د. سمير عبد الرحمن الشميري: عدن المدينة والحراك الثقافي.
٤- د. بدر سعيد الأغبري: الحياة الثقافية والفكرية لمدينة عدن (الجانب التعليمي والثقافي).
٥- علوي عبدالله طاهر: النوادي والجمعيات في عدن.
٦- عبير خالد محيرز: عدن في كتابات المؤرخ الأستاذ عبد الله أحمد محيرز.
٧- سيف علي مقبل: الصحافة في عدن الستينات.
٨- عبد الرحمن طبارة: عدن الازدهار الصحافي والثقافي بعد الازدهار الاقتصادي.
٩- معروف إبراهيم عقبة: عدن البعد التاريخي والحضاري.
١٠- د. صالح محمد مبارك وأحمد إبراهيم حنتور: الأصالة والحداثة في عمارة مساجد عدن.
١١- د. شائف عبده سعيد: معالم تاريخية من العمران في كريتر - عدن في العهد البريطاني.
١٢- لبيد أحمد قعطبي: معالم وآثار مدينة عدن.
١٣- د. حسن الحكيم: تاريخ ثغر عدن لأبي محمد عبدالله الطيب أبو مخرمة.
١٤- علي صالح الأرضي: تاريخ التعليم في عدن ١٨٣٩ - ١٩٦٧م.
١٥- أحمد صالح رابضة: المدارس التاريخية في عدن: نموذج المدرسة الياقوتية.
١٦- د. مسعود عمشوش: عدن مدينة كوسموبوليتية في كتابات الرحالة الفرنسيين.
١٧- إيمان أحمد شمسان: ازدهار تجارة مدينة عدن في العصرين الأيوبي والرسولي.
١٨- د. أسمهان الجرو: نشاط الملاحة في ميناء عدن القديم.
١٩- حسن صالح شهاب: طرق التجارة البحرية القديمة بين عدن والهند.
٢٠- أمين علي أحمد: الأساس الاقتصادي لمدينة عدن.

ثانياً: ندوة عدن بوابة اليمن الحضارية، جامعة عدن، ١٨ - ١٩ يناير ٢٠١١م ومنها الأبحاث التالية:

١- أحمد حنتور ومعروف عقبة: البوميس إحدى المواد الرئيسية للبناء العمراني القديم في مدينة عدن.
٢- د. عبد الرحمن الشجاع: الأمير الزنجيلي وأعماله العمرانية في ثغر عدن.
٣- ثابت العربي ومعروف عقبة: منارة عدن التاريخية: المواد والوظيفة.
٤- د. محمد حمود الكبسي ومارسيل يعقوب خان: معالم عدن بين الأصالة والحداثة.
٥- د. حامد عبد القادر بافقيه: التسامح الديني في عدن.
٦- د. علي سيف: منارة عدن: دراسة أثرية معمارية.
٧- هيفاء عبد القادر مكاوي: أسوار مدينة عدن.
٨- محمد عوض باعليان: عدن في كتابات الرحالة الأوربيين (القرن ١٣ - ١٨).
٩- محمد عبدالله باسلامة: تماثيل ملوك أوسان (دراسة أثرية فنية مقارنة).
١٠- أحمد صالح رابضة: المؤسسات الدينية والتعليمية ومؤثراتها الثقافية والاجتماعية في مدينة عدن القديمة ما بين القرن الثاني وحتى العاشر الهجري.

١١- د. نزار الحديثي ود. سلوى المؤيد: مكانة عدن من خلال صلاتها العلمية.
١٢- محمد عبدالله باوزير: عدن، تاريخ وحضارة: رؤية تاريخية في أسباب وزمان التسمية.
١٣- محمد منصور بلعيد: قاضي عدن محمد سعيد كبّن ودوره في إثراء الحياة العلمية في عدن.
١٤- د. محمد أحمد الكامل: معالم ومظاهر حركة النشاط التجاري في عدن خلال عهد السلطان المظفر الرسولي.
١٥- د. طه حسين هذيل: أسواق مدينة عدن في عصر الدولتين الأيوبية والرسولية، وتأثيرها الاجتماعي والترفيهي.
١٦- ناظم محمد الدبعي: مسكوكات بني زريع في مجموعة الحاج محمد قاسم الدبعي.
١٧- د. محمد عبده السروري: أهمية موقع عدن في النشاط التجاري البحري الدولي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.
١٨- د. مهيوب كليب: الأهمية الاقتصادية لمدينة عدن ووظائفها الحضارية (ما بين القرنين الثالث قبل الميلاد والثاني الميلادي).
١٩- د. عبدالله خورشيد قادر: ازدهار التجارة في ميناء عدن خلال حكم الدولة الأيوبية (٥٦٩ – ٦٢٦هـ/ ١١٧٣ –١٢٢٨م).
٢٠- د. عبد الحكيم العراشي: جمارك ميناء عدن في عصر الدولة الرسولية.
٢١- أمة الملك الثور: تقرير سليمان باشا الخادم حول أهمية عدن وكيفية سيطرة القوات العثمانية عليها.
٢٢- د. أسامة طلعت عبد النعيم: جامع العيدروس في عدن: دراسة آثارية معمارية.

ثالثاً: مجلة العلوم الاجتماعية – جامعة عدن، السنة الثانية، ج ٢، العدد الأول، سبتمبر ١٩٩٧م، وفيها المواضيع التالية:

- حلقة التآمر على عدن.
- قراءة فرنسية للاحتلال البريطاني لعدن.
- إدريس حنبلة من الثورة إلى الذات.
- السياسة الوطنية في المجال التربوي.
- المنهج ومقومات بناء الشخصية في مستعمرة عدن.
- من وقائع المجلس التشريعي لمستعمرة عدن.

رابعاً: مجلة الجذوة، العدد، ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ/ مايو ٢٠٠٧م: آل العراقي بعدن، للسيد عبد القادر عبدالله المحضار، مجلة «رسالة الجنوب العربي»، العدد الثاني، أكتوبر ١٩٦٨م، مكتب الإعلام لرابطة الجنوب العربي – جدة.

خامساً: ندوة الشيخ محمد سالم البيحاني مفكراً وداعية، مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة ٢٠٠٣م، تعز – صنعاء. ومنها الأبحاث التالية:

- عبد الكريم قاسم: منهج الإصلاح عند الشيخ البيحاني.
- د. بدر الأغبري: الآراء التربوية عند العلامة الشيخ محمد البيحاني.

- علوي عبدالله طاهر: البيحاني في مواجهة خصومه.
- محمد يحيى الجنيد: العلامة البيحاني ناقداً وشاعراً ومجدداً.
- عبد القادر البيحاني: البيحاني: بدايات تلقيه العلم في مدينة تريم.
- هشام بن علي: البيحاني مؤرخاً.
- د. جميل أحمد عون: الاتجاه السلفي عند الشيخ محمد بن سالم البيحاني.
- أحمد هجوان: قراءة أكاديمية لمسار حياة داعية ومفكر.
- أبو بكر العدني بن علي المشهور: ومضات من مواقف الشيخ محمد سالم البيحاني (من خلال الرباعيات.).

سادساً: ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، جامعة عدن، ١٥ – ١٦ أكتوبر ٢٠٠١م، المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم. **رابطة الجنوب العربي في هيئة الأمم المتحدة:** رابطة الجنوب العربي، مكتبة القاهرة ١٩٦٣م.

كتب في تاريخ عدن واليمن

١- ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى بتاريخ المستبصر، تحقيق أوسكار لوفجرين، ليدن ١٩٥١م.

٢- أبو بكر بن عبدالله العيدروس (العدني): الجزء اللطيف في التحكيم الشريف وديوان محجة السالك وحجة الناسك. جمع وتقديم تلميذه عبد اللطيف عبدالرحمن باوزير، ط٢، البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٦م.

٣- أمين الريحاني: ملوك العرب، دار الريحاني، بيروت ١٩٦٠م.

٤- أبو بكر (العدني) بن علي المشهور: جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن، أربطة التربية الإسلامية في عدن، الدراسات وخدمة التراث، ٢٠٠٢م.

٥- أحمد محمد بريك: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة وجامعة عدن، ٢٠٠١م.

٦- أحمد فضل العبدلي (القومندان): هدية الزمن في تاريخ لحج وعدن، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ٢٠٠٤م.

٧- أحمد عطية المصري: تجربة اليمن الديمقراطية (١٩٥٠ – ١٩٧٢م)، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٤م.

٨- أحمد صالح رابضة: معالم عدن التاريخية، مركز الدراسات والبحوث اليمني والمركز الفرنسي للدراسات اليمنية، دار الفكر، بيروت – صنعاء، ١٩٩٩م.

٩- أحمد صالح رابضة: معالم عدن التاريخية: تاريخ المدرسة الياقوتية، جامعة عدن، ٢٠٠٧م.

١٠- أحمد زين السقاف: أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية، دار الكشاف، بيروت، ط ٢، ١٩٥٦م.

١١- أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ط ٥، ١٩٩٠م، الناشر المؤلف.

١٢- أحمد بن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، طبعة أولى بمصر، ١٩٢٤م، تحقيق أحمد زكي باشا. والقسم الخاص بـ«دولة المماليك الأولى»، تحقيق دوروثيا كرافولسكي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦. والقسم الخاص بـ«ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب»، تحقيق د. حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢.

١٣- الديبع (عبد الرحمن بن علي الشيباني): قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٦م.
١٤- الديبع: بغية المستفيد في أخبار زبيد، والفضل المزيد على بغية المستفيد، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.
١٥- الشلي (محمد بن أبي بكر): المشروع الروي في تاريخ السادة بني علوي (طبعة مصورة).
١٦- العيدروس (عبد القادر بن شيخ): النور السافر في أعلام القرن العاشر.
١٧- إسماعيل بن علي الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، منشورات جامعة صنعاء.
١٨- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٩٩٠م.
١٩- أمين سعد باوزير: حلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن، ط٢، صنعاء، ٢٠٠٥م.
٢٠- أمين سعيد باوزير: حلقة القرآن الكريم بجامع العسقلاني، عدن.
٢١- أمين سعيد باوزير: صفحات من تاريخ عدن، الناشر المؤلف، ٢٠٠٣م.
٢٢- أمين سعيد باوزير: مساجد عدن، الناشر المؤلف، عدن.
٢٣- أمين سعيد باوزير: أبرز أعلام الدعاة والتنوير في عدن خلال مائة عام (١٩٠٠ – ٢٠٠٠م)، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ٢٠٠٨.
٢٤- الطيب محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٩م.
٢٥- الطيب عبدالله بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، تحقيق أوسكار لوفاجرين، ليدن هولنده ١٩٢٦م، طبعة مصورة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٢٦- الطيب عبدالله بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق محمد يسلم عبد النور وإشراف عبد الغني الأهجري، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.
٢٧- الشاطري (سالم عبدالله): نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود، ط ٢، مكتبة تريم الحديثة، ٢٠٠٥م.
٢٨- البار (محمد علي): إضاءات قرآنية ونبوية في تاريخ اليمن، كنوز المعرفة، جدة، ط ٢، ٢٠١١م.
٢٩- البار (محمد علي): سقطرى الجزيرة السحرية، العصر الحديث، بيروت، ١٩٩٦م.
٣٠- البار (محمد علي): المسلمون في الاتحاد السوفييتي، دار الشروق، جدة، ١٩٨٣م.
٣١- أ. ج. جاس: براكين عدن، ترجمة محمد سعيد حاج، ١٩٨٩م.
٣٢- المسعودي (علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف والملوك، دار المعرفة – بيروت (د. ت.) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
٣٣- القاسمي (سلطان بن محمد): الاحتلال البريطاني لعدن، ط ٢، ١٩٩٢م، الناشر المؤلف، الشارقة.
٣٤- ابن بطوطة (محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي): رحلة ابن بطوطة، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، دار إحياء العلوم، بيروت ط ٣، ١٩٩٦م.

٣٥- المقدسي البشاري (محمد بن عبدالله): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار السويدي- أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ٢٠٠٣م.
٣٦- الفرح (محمد حسين): اليمن في تاريخ ابن خلدون: الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠٠١م.
٣٧- الحكمي المذحجي (عمارة بن علي): المفيد في أخبار صنعاء وزبيد.
٣٨- جلال يحيى: التنافس الدولي في شرقي إفريقيا، دار المعرفة، القاهرة ١٩٥٩م.
٣٩- ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٠م.
٤٠- المحيرز (عبدالله أحمد): الأعمال الكاملة: العقبة، صهاريج عدن، صيرة، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠٠٤.
٤١- الهمداني (الحسن بن أحمد): صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع وتقديم حمد الجاسر، دار الآفاق العربية، القاهرة (طبعة مصورة)، ٢٠٠٣م.
٤٢- التازي (عبد الهادي): ابن ماجد والبرتغال، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٩٣م.
٤٣- البافقيه (محمد عبد القادر): تاريخ اليمن القديم، مكتبة الجيل، صنعاء ١٩٨٥م.
٤٤- الجرافي (عبدالله عبدالكريم): المقتطف من تاريخ اليمن، منشورات العصر الحديث، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٥- الثور (عبدالله أحمد): وثائق يمنية، الجنوب اليمني، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٨٦م.
٤٦- البحراوي (محمد عبد اللطيف): فتح العثمانيين عدن، دار التراث- القاهرة ١٩٧٩م.
٤٧- أحمد بن عبدالله العلوي (شنبل): حوليات شنبل، تحقيق عبدالله الحبشي، صنعاء (د. ت.).
٤٨- أحمد المهندس: علي الحسيني سلام، تقديم د. نزار غانم، مكتبة الجيل، جدة ١٩٩٧م.
٤٩- إبراهيم خلف العبيدي: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني (١٩٤٥ – ١٩٦٧م)، جامعة بغداد ١٩٨١م.
٥٠- البيحاني (محمد بن سالم): أستاذ المرأة، عدن.
٥١- الخزرجي (علي بن الحسن): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، دار صادر، بيروت، طبعة مصورة.
٥٢- البيحاني (محمد بن سالم): إصلاح المجتمع، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧٢م.
٥٣- بلايفير (ف.ل.): تاريخ العربية السعيدة، ترجمة د. سعيد عبد الخير نوبان وعلي محمد باحشوان، مصور من مكتبة الوثائق والمخطوطات، عدن.
٥٤- حمود بن محمد الدولة: زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش واللواء، تحقيق وتقديم (مقدمة ضافية) زيد بن علي الوزير، العصر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.
٥٥- حميدة نعنع: الصبح الدامي في عدن، دار المستقبل العربي، بيروت ١٩٨٨م.
٥٦- التجمع القومي للقوى الوطنية في الجنوب (مكتب الدراسات والفكر): جذور الصراع الماركسي في الشطر الجنوبي من اليمن (أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦)، (د. ت.).

٥٧- فالكوفا. ل.: السياسة الاستعمارية في جنوب اليمن، ترجمة عمر الجاوي، مطابع الهمداني، صنعاء، ط ٢، ١٩٨٤م.
٥٨- فيصل جلول: اليمن: الثورتان، الجمهوريتان، الوحدة (١٩٦٢ – ١٩٩٤م)، دار الجديد، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠م.
٥٩- حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن، ط ٢، (المؤلف)، عدن، صنعاء، ٢٠٠٠م.
٦٠- حسن صالح شهاب: العبادل سلاطين لحج وعدن، مركز الشرعبي، صنعاء، ١٩٩٩م.
٦١- حسن صالح شهاب: تحقيق النونية الكبرى مع ست قصائد أخرى لأحمد بن ماجد، وزارة الثقافة والتراث القومي، سلطنة عمان، ١٩٩٣م.
٦٢- بامطرف (محمد عبد القادر): الشهداء السبعة، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن الديمقراطية بالتعاون مع الحكومة العراقية، بغداد، ١٩٧٤م.
٦٣- أحمد صالح الرابضة وأمين سعيد باوزير: مدرسة الفاروق النموذجية بين الماضي والحاضر (٧٠١–١٤٢١هـ/ ١٣٠١ – ٢٠٠٠م)، قريش للطباعة، عدن ٢٠٠٠م.
٦٤- المحضار (عبدالقادر عبدالله الحوت.): أحمد كعيتي المحضار، عدن، ط٢، ٢٠٠٧م.
٦٥- المحضار (عبد القادر عبد الله الحوت.): التذكير بأخبار العباد والبلاد، مرقوم بالآلة الكاتبة.
٦٦- حمزة علي لقمان: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، جامعة عدن، عرض وتقديم أسماء يحيى، عدن ٢٠٠٨م.
٦٧- حمزة علي لقمان: معارك حاسمة في تاريخ اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٧٨م.
٦٨- خبّاره (عبد الرحمن): نشوء وتطوير الصحافة في عدن (١٩٣٧ – ١٩٦٧م) ودليل الصحافة اليمنية (١٨٨٧ –١٩٨٧م)، شركة الأمل للطباعة والنشر، عدن.
٦٩- دراسة أنثروبولوجية حول العيدروس (أولياء الله الصالحين في عدن)، مجموعة من طلبة الماجستير (ممدوح فدعق، نور الشامي، راقية السفاري، ماجدة عبد المجيد وإياد الدبج)، مرقوم غير مطبوع، مركز الوثائق والمخطوطات، عدن.
٧٠- الشمري (محمد كريم): زهور السوسن في تاريخ عدن، جامعة عدن، ٢٠٠٤م.
٧١- شايف عبده سعيد: تاريخ كريتر عدن، مرقوم (غير مطبوع)، مركز الوثائق والمخطوطات، عدن، بعد عام ١٩٩٦م.
٧٢- قاسم (محسن عبده): شيء من ذاك الزمان، الناشر المؤلف، عدن ٢٠٠٩م.
٧٣- الحصيني (عبد العزيز محمد): الاستعمار البرتغالي لجنوب شبه الجزيرة العربية، النادي الأدبي، تبوك ٢٠٠٢م.
٧٤- الحوالي (محمد علي الأكوع): الوثائق السياسية اليمنية (من قبل الإسلام إلى سنة ٣٢٢هـ)، الناشر المؤلف، المكتبة الوطنية، بغداد ١٩٧٦م.
٧٥- الرمّال (غسان علي): صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، الناشر المؤلف، مكة المكرمة ١٩٨٥م.

٧٦- الشعيبي (محمد علي): اليمن الجنوبية خلف الستار الحديدي، الناشر المؤلف، ١٩٧٢م.
٧٧- باسندوه (محمد سالم): قضية الجنوب اليمني المحتل في الأمم المتحدة، مطابع الأهرام، القاهرة ١٩٩٠م.
٧٨- المكاوي (عبد القوي): شهادتي للتاريخ، مطبعة العاصمة، القاهرة ١٩٧٩م.
٧٩- الأصنج (عبدالله عبدالمجيد): حركتنا العمالية إصدار المؤتمر العمالي، عدن (د.ت.).
٨٠- الجفري (محمد علي): توضيحات وشروح لعقيدة الرابطة ومبادئها، (رابطة الجنوب العربي)، نوفمبر ١٩٦٢م.
٨١- الجفري (محمد علي): حقائق عن جنوب الجزيرة العربية، دار الطباعة الحديثة، القاهرة ١٩٥٦م.
٨٢- أضواء على حزب الشعب الاشتراكي، كتيب الحزب، عدن ١٩٦٣م.
٨٣- الشعبي (قحطان): الاستعمار البريطاني معركتنا في جنوب اليمن، دار النصر، القاهرة ١٩٦٢م.
٨٤- الحبشي (محمد عمر): اليمن الجنوبي سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٨م.
٨٥- باذيب (علي عبد الرزاق): حركتنا الوطنية إلى أين تتجه؟ لجنة مقاطعة إسرائيل، عدن، (د. ت.).
٨٦- سلطان أحمد عمر: نظرة في تطور المجتمع اليمني، دار الطليعة، بيروت.
٨٧- أباظة (فاروق عثمان): الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢ – ١٩١٨م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٨٨- أباظة (فاروق عثمان): العلاقات اليمنية البريطانية بين الحربين العالميتين (١٩١٩ – ١٩٣٩م)، دار المعارف، القاهرة.
٨٩- أباظة (فاروق عثمان): عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٨٣٩ –١٩١٨م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨م.
٩٠- رابطة الجنوب العربي: الجنوب العربي في هيئة الأمم المتحدة، مكتب القاهرة، دار الكتاب العربي بمصر.
٩١- المؤلف مجهول: تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق عبدالله الحبشي، مطبعة الكاتب العربي، دمشق ١٩٨٤م.
٩٢- لقمان (محمد علي): رجال وشؤون وذكريات، ترجمة جعفر محمد ناصر وإشراف د. أحمد علي الهمداني، الناشر ماهر محمد علي لقمان، عدن ٢٠٠٩م.
٩٣- عادل رضا: تطور ومسار الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية، القاهرة، الناشر المؤلف.
٩٤- محمد حسن عوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، دار العصر الحديث، بيروت ١٩٧١م.
٩٥- عبده حسين أدهل: الاستقلال الضائع، دار العهد للطباعة والنشر، ط ٢، عدن ١٩٩٣م.
٩٦- لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض وتعليقات واسعة جدًّا للأمير شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، ط ٤، ١٩٧٢م.
٩٧- علوي عبد الله طاهر: عدن في التاريخ بين الازدهار والانهيار، جامعة عدن، ١٩٩٧م.
٩٨- عبدالله بن محمد جمل الليل: نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، تحقيق د. محمد يسلم عبد النور، تريم للدراسات والنشر، ٢٠١٠م.

٩٩- علي أحمد باكثير: سحر عدن وفخر اليمن، تحقيق وتقديم د. محمد أبو بكر حميد، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ودار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.
١٠٠- بلال غلام: صناعة الملح في عدن (Aden Work Salts)، مرسل على الشبكة العنكبوتية (مشروع كتاب عن عدن).

تاريخ حضرموت

١- سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.
٢- سعيد عوض باوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية، مؤسسة الصبان، عدن، ط٢، ١٩٦٦م.
٣- صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.
٤- صلاح البكري: في جنوب الجزيرة العربية، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٤٩م.
٥- صلاح البكري: الجنوب العربي قديماً وحديثاً (٤٠٠ ق. م. – ١٩٦٧م)، دار العلم، جدة، (د.ت.).
٦- أحمد محمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، جدة، ط ٢، ١٩٨٣م.
٧- محمد القادر بامطرف: لمحات من تاريخ سقطرى، دار حضرموت، ٢٠٠١م.
٨- محمد عبد القادر بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠١م.
٩- محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، وزارة الثقافة والسياحة (اليمن الديمقراطية) والجمهورية العراقية، بغداد ١٩٧٤م.
١٠- السيد محمد بن هاشم بن طاهر: تاريخ الدولة الكثيرية، قدّم له محمد علي الجفري، ١٩٤٨م، طبع على نفقة الخاصة السلطانية، سيون.
١١- محمد علي باحنان: تاريخ جواهر الأحقاف، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٩٦٢م.
١٢- ديوان الإمام عبدالله الحداد: الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٨٠م.
١٣- صالح الحامد: تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ٢، ٢٠٠٣.
١٤- حامد بن أبي بكر المحضار: الزعيم السيد حسين بن حامد المحضار والسلطنة القعيطية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٣م.

المراجع باللغة الإنجليزية

1- *The Jews of Aden*, The London Museum of Jewish Life and Kadimah Youth Movement, London.

2- *Aden 1955 and 1956* (Official Report), London, Her Majesty's Stationary Office1958.

3- Jose – Marie Bel: *Aden: The Mythical Port of Yemen1998*, Maisonneure and Larose Amyris.

4- Gordon Waterfeild: *Sultan of Aden*, John Murray1968, London.

5- Kennedy Trevaskis: *Shades of Amber*, Hutchinson & Co, London, 1968.

6- R. J. Gavin: *Aden Under British Rule (1839-1967)*, Hurst & Co., London,1975.

7- Tom Little: *South Arabia: Arena of Conflict*, Frederick Praeger Publisher, New York – London 1968.

8- Tom Hickinbotham: *Aden*, Constable & Co., London 1958.

9- David Ledger: *Shifting Sands: The British in South Arabia*, Peninsular Publishing, London,1983.

10- J. B. Kelly: *Arabia, The Gulf & The West*, G. Weidenfeld & Nicolson Ltd., London 1980.

11- Fred Halliday: *Arabia Without Sultans*, Saqi Books, London, 2nd edition, 2002.

12- Noel Brehony: *Yemen Divided*, IB Tauris, London – New York, 2011.

13- P. Hinch Cliffe, J. Ducker & M. Holt: *Without Glory in Arabia, The British Retreat from Aden*, IB Tauris, London – New York, 2006.

14- Hunter F.: *An Account of the British Settlement of Aden*, London, 1968.

15- Robert Mumford: *Railway Magazine*, February 1976, (Indian Outpost in Arabia).

16- U. Freitag & W. Clarence Smith (editors): *Hadhrami Traders, Scholars and Statesmen in the Indian Ocean (1750 – 1960* s*)*, Brill, Leiden – New York, 1997.

17- Boutros Ghali: *The Anglo Yemeni Dispute*, Revue Egyptienne de droit international, 1955, vol 2.

الفهرست